المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

بسم الله الرحمن الرحيم

مفاهيم سوره الاعراف

التعريف بالسوره:_

هذه السوره مكيه ماعدا الآيات ثمان. ايات. من قوله تعالي وسئلهم عن القريه ...الي قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم ..الخ وآياتها (٢٠٦)ايه

ونزلت في السنه العاشره للبعثه في الفتره الواقعه بين الهجره للحبشه وحادثه الاسراء والمعراج

وترتيبها من حيث النزول فهي التاسعه والثلاثون ونزلت بعد. سوره ص

وترتيبها بين السور التي بدأت بالحروف المقطعه فهي الثالثه وترتيبها بين طوال السور من حيث النزول الاولي أما ترتيبها في المصحف فهي السابعه

وبالوقوف علي الرقم (٧) الذي هو ترتيب هذه السوره والتي عدد حروف كلمتها (الاعراف) أيضا ٧احراف

كما نجد أن كلمه (كتاب)تكررت سبع مرات وذكر اسم ادم في السوره سبع مرات وذكرت كلمه الشيطان ٦مرات وكلمه ابليس ١واحده اي المجموع ٧مرات وكررت كلمه الجنه ٧مرات وكذلك كلمه النار ٧مرات وكذلك تكررت كلمه عدو وأعداء سبع مرات وكلمه اذكروا ٦مرات وكلمه اذكر مره اي أن المجموع سبع مرات وكلمه السحر تكررت سبع مرات وكلمه الفساد تكررت سبع مرات وتكررت كلمه السجود سبع مرات واحتوت علي سجده واحده (أن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) والإنسان يسجد علي سبعه اعضاء

وهذا العدد له دلالات واسرار عظيمه تدل علي عظمه القران حيث نجد انه اضافه لذلك فإن سمه التقابل جاء متطابقا في السوره حيث نجد أن كلمه الدنيا تكررت (٤) مرات وكذلك كلمه الاخره تكررت بنفس العدد وكلمه الحسنه والحسنات تكررت ٤مرات وكذلك نجد أن كلمه السئيه والسئيات تكررت اربع مرات وكلمه انزل تكررت ٣مرات وكذلك كلمه أنزلنا تكررت ثلاث مرات وكلمه المومنين والمومنون تكررت ٦مرات وكذلك فإن كلمه الكافرين والكافرون تكررت ست مرات وكلمه رجال تكررت اربع مرات وقابل ذلك كلمه نساء اربع مرات وكلمه الحياه الدنيا ثلاث مرات وقابل ذلك كلمه يوم القيامه ثلاث مرات وكلمه أصحاب الجنه تكررت اربع مرات وقابل ذلك تكرر كلمه أصحاب النار اربع مرات أيضا بنفس العدد تماما وذكر أصحاب الأعراف مره واحده وهي المنطقه التي تفصل بين الجنه والنار وكأننا أمام ميزان دقيق محكم فهذا التنسيق يدل أن القرآن منزل من عند الله فكان هذا متناسبا مع ما افتتحت به السوره من الحديث عن القران الكريم وأنه معجزه والوعد الرباني بتيسر الأمر عليه ومتناسبا مع ما استهلت به السوره من الحروف المقطعه التي لايعلم معناها الا الله تعالي وفيها التحدي للعرب أن ياتوا بمثله وهم يتحدثون العربيه الفصحى في حين أن النبي صلى الله عليه وسلم امي لايعرف القراءه و الكتابه ولم يخالط أو يجالس أهل علم فقال تعالي (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به ...الخ

وهذا يظهر لنا جليا التناسب الداخلي للسوره والتي تحدثت عن العديد من القصص بشكل منسجم واحداث متسلسله لاسيما الحديث عن الرسل واقوامهم والصعوبات التي وجهت الرسل والنهايه لذلك وهلاك المكذبين وهذه الأمور كلها من اخبار الغيب التي لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها ولا قومه فهي تثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

وكذلك يظهر تناسب السوره مع طول السور حيث نجد أن سوره البقره أكثر سور الطول ذكرا لاصوال العقيده بما في ذلك التوحيد و البعث والنشور والحديث عن أهل الكتاب وقد جاءت سور الطول متممه بما فيها فالسور الثلاث الاولي وهي ال عمران والنساء والمائده فصلت الأحكام والقواعد المتعلقه بالحكم والعلاقات في جميع صورها وتحدثت عن أهل الكتاب بالتفصيل ثم جاءت سوره الانعام فيها الحديث الذي يفصل أحوال المشركين وهنا جاءت سوره الاعراف تتحدث بالتفصيل عن أهل الكتاب والمشركين

سبب تسميه السوره (الاعراف):_

لاحتواءها علي لفظ الاعراف ولم يذكر في سواها قال تعالي (وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجال...الخ

ولحديثها عن حال اهل الاعراف في الاخره وهم الذين استوت حسناتهم وسئياتهم ويطلق علي المكان المرتفع

(القضايا التي تناقشها السوره)

أنه بالنظر الي الموضوعات الرئيسيه والقضايا الاساسيه التي تطرحها السوره للنقاش وتحاورهم بها وتدعوهم للإيمان بهانجد أنها مرتبطه بما انتهت إليه سوره الانعام والتي ركزت علي دعوتهم للاتي :ـ

1

دعوتهم للإيمان بالله تعالي وتوحيده في الوهيته وربوبيته وانه المستحق للعبادة فقال تعالي (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين)

2

الدعوه للإيمان بالرسول والتصديق بالرسالة

فقال تعالي (وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون..الخ

3

الدعوه للإيمان باليوم الاخر والجنه والنار والقضاء والقدر والثواب والعقاب اي انها تتحدث عن اصوال الدين والإيمان بها فقال تعالي (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكه أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأت بعض آيات ربك لاتنفع نفس ...الخ

فذكرت الآيات أن بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ايه تثبت صدق دعوته ونبوته وتوجب الايمان والتغيير لأن بعثته من علامات الساعه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (بعثت انا والساعه كهاتين) وهذا يوجب قراءه بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم أنها مقدمه هامه لتحولات متعلقه بالكون كون بعدها يكون قيام القيامه

فالله يقول (هل ينظرون إلا الساعه أن تأتيهم بغته فقد جاء اشراطها) فذكر الحق بعدهاأن معرفه ذلك توجب الاتحاد والاعتصام بمنهج الله للتحذير من خروج قرار الحكم العام من دائره الاسلام الي مسميات أخري تمثل سياسه الكفر نظرا لان التحولات تتطلب فهم السنن التي تحكمها حتي لاتقع في مصيده الشيطان الذي يسعي للوصول إلي أهدافه في المسلمين كما وصل للمشركين والكفار فزين لهم قتل أولادهم وعباده الأصنام فإنه سوف يلجاء الي التفرقه بين المسلمين والتحريش بينهم فبذلك يتحقق للشيطان غرضه من الاحتناك و القعود علي الصراط المستقيم حيث أن ذلك يودي الي الانحراف والخروج عن دائره الايمان والاسلام الي الكفر يخرج عن دائره الوعي ا لإسلامي الي الكفر ولهذا قال تعالي (أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي)

ولذلك تاتي النصوص بعدها مبينه أن أول خطوه للخلاص من ذلك هو الوسيطيه والاعتدال بالسير بالطريق المستقيم الموصل الي مايرضي الله بلا إفراط ولاتفريط وهذا مرتبط بمعرفه الغايه من الوجود الإنساني في الأرض بأنه خلق ليعبد الله ومعرفته ومحبته وعبادته وتوحيده والإنسان خلق علي الاسلام فقد أراد الله أن ينهمك الإنسان في عبادته ومحبته بكل قواه ولهذا نجد أنه ينكر علي الذين عينوا لأنفسهم ولحياتهم أهدافا متباينه لاتخرج عن نطاق الشهوات والملذات وهم مخلوقات خلقها الله تعالي وقد استخلفهم الله في الأرض لغايه وهدف

فقال تعالي (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم ان ربك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

وهذ فيه اعلان انتقال القياده لامه الاسلام فالايه وردت في مقام الامتنان والشكر لله وبيان سنه الله في الاستخلاف البشري فالايه وردت في إطار الحوار والمناقشة باصطفاء الله امه العرب لحمل امانه الخلافه في هذه الفتره الزمنيه تحديدا فقد ورد في بدايه المقطع (أن تقولوا إنما انزل الكتاب علي طائفتين من قبلنا وانا كنا عن دراستهم لغافلين....الخ

فجاءت سوره الاعراف تفصيل قواعد الاستخلاف وقوانينها وسنته تعالي في الاستخلاف بشكل مفصل فقال تعالي

(المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكري للمومنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قريه اهلكناها فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذ جاءهم باسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون)

وهذا فيه الآتي

الموضوع الاول

(ا ن القران هوا لمنهج الذي يكون فيه تحقيق المطلب الرباني والمعجزه الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم)

ابتدأت الايه بقوله تعالي (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكري للمومنين)

لأن الايه قبلها بينت أن الخلافه ابتلاء وامتحان فقد جعل الله الإنسان مسؤولا عما يفعل ويقول فان اختيار الله امه العرب لحمل رأيه الهدايه وأمانه الخلافه والقيادة التي اختص الله بها امه العرب علي العالم مسؤوليه توجب العلم بالنواقض والنقائض اي الفتن ومضلا تها والعلم بالاسباب والمسببات والمقدمات التي تشير الي النتائج وإدراك السنن التي تحدثت عنها الايات تحتاج إلي العلم ودليل العمل التعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم فلا يمكن التعامل معها دون استعياب هذه السنن وامتلا ك القدره علي تسخيرها بحاجه الي العلم الذي يكون فيه قادرا علي قراءه التاريخ وتفسير الأحداث في مجال الخير والشر ومعرفه الخلل ومحدث الأزمات والقدره علي معالجه أسبابها وترميم آثارها كون ذلك منوط بفهم هذه السنن وحسن تنزيلها علي الواقع وما يلحق بها من ازمات وامتلاك القدره علي معالجتها وتجاوزها وامه العرب لم تكن تعرف الدول والقانونيين وهي امه اميه تجهل التعاليم وغارقه في الأوثان ولهذا فإن من أهم الأغراض التي ركزت عليها سوره الاعراف هو اعاده تشكيل عقولهم ونفوسهم وتفكيرهم ليكونوا اهلا لقياده العالم ولهذا ابتدأت النصوص بالتهجي (الف لام. ميم صاد)

فيه بيان أن المعجزه هي عين المنهج لأن رساله الاسلام عالميه تتجاوز حدود الزمان والمكان فأخبره الله أن القرآن هو المعجزه الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المنهج الذي يكون به المسلم موهلا لقياده العالم ولهذا فإن ابتداء النصوص بالحروف المقطعه يهدف إلي الآتي

الأمر الأول

الدعوه للإيمان بما أنزل الله والتحذير من الاختلاف والتفرق في الدين وجميع شوون الحياه فقد أخبرنا الله في السوره السابقه انه يترتب علي التحولات سعي عصبه العمل الشيطاني الي تمزيق الامه فانتقال القياده لامه الاسلام توجب العلم بالنواقض والنقائض اي الفتن ومضلاتها فالبشريه كلها هدف للشيطان وهو يسعي جاهدا لاضلال البشريه فهو يقعد علي الصراط المستقيم بحثا عن ثغره يتسلل منها الي الإنسان ليجعله ينحرف عن المسار والذين يقعون في مصيدته هم الذين في قلوبهم مرض لانه مريض بالريب والشك فتجد الشبهات منفذا الي قلبه وهو ما حذرنا الله منه في موضع آخر فقال تعالي (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشبهات فما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله ...اله

وهذه الحروف هي من ضمن المتشبهات التي أشارت إليها الايه ويتوجب الايمان أن لها معني لانعلمه نحن ويعلمه الله تعالي

فهذا اول درس تطبيقي يختبر الله به عباده في مدرسه الخير يجسد حقيقه الاحكام النظريه علي الواقع ينظر هل الايمان راسخ في القلوب والنفوس والعقول الذي يقتضي التصديق بما أنزل الله سواء الآيات المحكمات أو المتشبهات فالله يقول (والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا اولو الألباب) ولهذا حدد مهمه القران الكريم بأنه لانذار المكذبين وذكري للمومنين

الأمر الثاني

أن الايه فيها بيان أن المعجزه هو عين المنهج فجاء بالحروف المقطعه حيث والملاحظ ان عدد السور التي افتتحت بالحروف المقطعه في القران الكريم هي (٢٨)سوره والحروف التي بني عليه كلام العرب (٢٨)حرفا وجمله ماذكر من هذه الحروف في اوائل السور من حروف المعجم هو اربعه عشر حرفا اي نصف الحروف في المعجم هي(.الالف لام راء ميم .قاف صاد طاء . كاف .هاءعين سين . حاء

ياء .نون)

وهذا فيه الاتي؛_

التحدي بأن القرآن منظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم

وايضا فإن أهل اللغه قد قسموا الحروف العربيه قسمين

مهموسه وهو كل حرف ضعف الاعتماد في موضعه حتي جري معه النفس وذلك ما يحتاج الي معرفته لتبتني عليه اصوال العربيه وهي عشره حروف الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والغاء والفاء والتاء والصاد والسين) حيث نجد أن نصف هذه الحروف مذكوره في جمله الحروف المذكوره في اوئل السور

وكذلك نصف الحروف المجهوره علي السواء لازياده ولاتقصان

وكذلك فإن من قسم الحروف علي ضربين

أحدهما حروف الحلق وهي سته العين والحاء والهمزه والهاء والخاء والغين)نجد أن النصف من هذه الحروف في جمله الحروف التي تشتمل عليها الحروف المبينه في اوئل السور وكذلك النصف من الحروف التي ليست من حروف الحلق

وكذلك قسمت الحروف من حيث الشده فهناك حروف شديده وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه وهي الهمزه والقاف والكاف والجيم والظاء والذال والطاء والباء نجد أن نصف هذه الحروف مذكوره في جمله الحروف التي تشتمل عليها الحروف في اوائل السور وكذلك نصف الحروف الغير شديده وكذلك فإن الحروف المطبقه وهي الطا والظا والضاد والصاد نصفها من ضمن الحروف المبدوه بها في اوئل السور

يقول الامام ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتابه اعجاز القران تحقيق الشيخ عماد الدين احمد حيدر الطبعه الاولى

(فإذا كان العرب الذين قسموا الحروف في هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب العربيه وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث توصلوا أن مباني اللسان علي هذه الجهه وقد نبه بما ذكر في اوئل السور علي مالم يذكر علي حد التصنيف الذي وصفناه دل علي أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لايجوز أن يقع إلا من الله عز وجل لأن ذلك يجري مجري علم الغيوب

وان كان إنما تنبهوا علي مابني عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم شي وانما التأثير لمن وضع اصل اللسان فذلك أيضا من البديع الذي يدل أن أصل وضعه وقع موقع الحكمه التي يقصر عنها اللسان فإن كان اصل اللغه توقيفا فالأمر في ذلك أبين وان كان علي سبيل التواضع فهو عجيب أيضا لأنه لايصح أن تجتمع هممهم المختلفه علي نحو هذا الأ بأمر من عند الله تعالي وكل ذلك يوجب إثبات الحكمه في ذكر هذه الحروف علي حد يتعلق به الاعجاز من وجه)

الامرالثالث

أن الايات تهدف إلي إقناع المخاطبين بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم والعقيده التي يدعوهم إليها ولذلك كان من حسن البيان أن نجد هذا التنبيه الي مهمات كلامه سبحانه وتعالى والمقاصد الاولي بها ليكون لديهم الحرص منهم والاجتهاد في انزلها علي الواقع قبل البدء بها تهدف إلي إقناعهم بالقران الكريم وبشخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مرسل من عند الله وهذه المرحله من أشد المراحل صعوبه في حياه الداعيه ولهذا فإن المتأمل للسور التي افتتحت بالحروف المقطعه يجد أنها متعلقه بإثبات النبوه والرساله المحمديه والدعوه إلي الله وجميع هذه السور مكيه ماعدا الزهروان (البقره وال عمران) فهما مدنيتان

فجميع السور تناول إثبات الكتاب القران لايوثر في ذلك قول البعض أن سوره العنكبوت والروم وسوره ن ومريم لم تفتتح بذلك فإنه بـ الوقوف علي تلك السور يجد أن كلا منهالها معني متعلق بما في السور الأخري بشأن النبوه والكتاب والبعث والنشور

فقد افتتحت سوره مريم بقصه زكريا ويحيى ومريم وعيسي ثم ذكرت بعد ذلك قصه ابراهيم واسماعيل وادريس مبدوه في كلا منهم

(واذكر في الكتاب)

والمراد بالكتاب القران فكانه قال في قصه يحي وزكريا وقصه مريم وعيسي (واذكر في الكتاب)

كما أن ذكر القصص في القران من اداله الاعجاز أنها من عند الله وهو ما يثبت صدق النبي وما جاء به أنه من عند الله لقوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولاقومك) وكما قال تعالي في نهايه سوره يوسف (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذا أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وسوره مريم دعت الي التوحيد والبعث والنشور وإثبات صدق كتاب الله

وكذلك فإن سوره العنكبوت وسوره الروم قد افتتحت بامرين متعلقين بالدعوه وبالدين حيث تناولت العنكبوت سنه التمكين أنه لابد أن يسبق ذلك تمحيص مع أهل الكفر الذين يسعون لردهم عن دينهم وسوره الروم تحدثت عن أمور غيبيه متعلقه بانتصار الروم علي الفرس في بضع سنين وهذا ما تحقق بعد ذلك واعتبر نصر للمومنين لانه يوكد صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وسوره ن فيها إثبات نبوه الرسول صلى الله عليه ونفي الشبهات عنه فقال تعالي (ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمه ربك بمجنون)

الأمر الرابع

الحث علي التعليم مبينا أن الامه بحاجه الي التربيه واعاده تشكيل العقول والافهام وصياغتها من جديد لأنها غارقه في الجاهليه و الوثنيه والعادات والتقاليد الفاسده وهي اميه لم تنال نصيبا من العلوم والأديان ولهذا يقول لهم الحق انتم بحاجه الي التعليم لتكونوا اه لا لقياده العالم وحمل امانه الخلافه فانتم بحاجه الي منهج الاهتداء وبحاجه الي دليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها وبحاجه الي المعلم الذي يقوم بتاهليكم ومدكم بالعلوم والأفكار التي تجعلكم اهلا للامانه التي كلف بها الإنسان فانتم بحاجه الى معرفه السنن والنواميس التي تحكم الحياه بحاجه الي استعياب هذه السنن وامتلاك القدره على تسخيرها بحاجه الي تفسير الا حداث الجاريه في مجال الخير والشر والتعامل معها ومعالجتها فلا يمكن القفز علي السنن أو تجاهلها وبالتالي فإن القدره علي معالجه اسبابها وعلاجها منوط بفهم السنن وحسن تنزيلها علي الواقع

فادراك ذلك يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الأرض والاضطلاع بحمل الامانه لأن الإنسان قبل حمل الامانه قبل أن يعرفها ولهذا قال تعالي (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

وبالتالي فهو بحاجه الي معرفه كيف يحقق الهدف فأنت اذا كان لديك هدف ما فإنك إذا عرفته تكون بحاجه الي الوسائل التي تحقق تلك الغايه

وبالتالي فإذا عرفت انك خلقت لمعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده فإن هذا يعني أنك بحاجه لمعرفه الطريق الموصل لذلك الهدف تحتاج أن تعرف المعالم الواضحه التي ترشدك وتدلك علي الطريق المستقيم فلا تنحرف يمينا وشمالا

إذ كيف لعاقل يعرف هدفه أن يتحرك نحوه دون أن يعرف الاتجاهات والطرق الموصله لذلك الهدف

فأنت بحاجه أن تعرف لماذا انت هنا في هذا المكان بالضبط بحاجه أن تعرف الجهه التي تريد أن تتجه إليها والطريق الموصل الي غايتك

فإذا كنت في الدنيا لغرض معرفه الله وعبادته ومحبته وتوحيده وطاعته فإن هذا يعني أنك تريد أن تعرف ماهي وسائل القرب من الله التي توصل الي محبته تريد أن تعرف اسماءه وصفاته كي تدعوه فأنت في الدنيا من أجل أن تستقيم علي امره وان تتحرك وفقا لمراده تعالي انت بحاجه الي أن تتخلص من الجهل والظلم لتكون خليفه لله تريد أن تهتدي الي ما يحب الله ويرضاه فهذه المعرفه فيها السعاده بأن تعرف الماده وخالق الماده لتكون عابدا الله باعتبارها الغايه من وجود الإنسان فالعبوديه هي سر وجودنا في الحياه لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

والعباده هنا بالمفهوم الواسع الذي يشمل جميع جوانب الحياه فليست مقصوره علي الصلاه والصيام كما يتصور البعض

فهي منهج كامل شامل يضبط الحركه والقول والفعل للإنسان فالجهل سبب الشقاء لانه يجعل الإنسان يتوجه الي غير الله

الأمر الخامس

مما سبق يتضح حاجه الإنسان الي المنهج الرباني الذي يحقق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض ويكون به تخليص الإنسان من افه الجهل والظلم سواء في علاقه الإنسان بربه أو في تعامله مع الحياه وما فيها من سنن ونواميس وتحولات واحداث وقراءه التاريخ وتفسير الأحداث في مجال الخير والشر هو بحاجه الي هذا الدليل الذي يعيطه المعرفه التي تجعله قادرا علي استعياب الأسباب و المسببات فهي تمثل مفتاح المعرفه لقصه الإنسان علي الأرض منذ بدء الخلق حتي ينشي الله النشاه الاخره فمن خلال هذه السيروره وتتضح المعالم وتكشف القوانين والسنن ويتولد فقه التعامل معها ولهذا قال تعالى (كتاب أنزل إليك)

حيث نجد ألاتي

المفهوم الأول

أن من مقومات حمل الامانه الخلاص من الجهل والظلم من خلال التوحيد ومعرفه الماده وخالق الماده وان ذلك مرهون باستدعاء معرفه الوحي التي تعرفك بربك وأمره ونواهيه وكذلك فإنت بحاجه الي استصحاب الوحي كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع الحياه وابصار سننها لمواجهه الأزمات ولهذا جاءت تنكير كلمه (كتاب) للتعظيم والتفخيم له فذكر الله أنه نوع من الكتب المنزله علي الانبياء لكنه جمع فيه المعجزه وعين المنهج فأراد بهذا تقويه شأنه وكلمه (أنزل إليك) تعظيم قدره وقدر من انزل إليه ولذلك سميت الليله التي أنزلت فيه بليله القدر

المفهوم الثاني

أن الايه فيها بيان اهميه استحضار نعمه القران فالله يمتن علي نبيه أن أنزل عليه القرآن فقال تعالي (كتاب أنزل إليك)

فأراد بهذا أن يلفت الإنتباه الي مافيها من نعمه علي المسلمين وعلي الإنسانيه جميعا فعليهم أن يتمسكوا بتوحيهاته وارشاده ليشعروا بـ السعاده في الدنيا والآخرة فلا معني للوجود بدون منهج يسير عليه

المفهوم الثالث

تبين الآيات أن هنالك منهجين في الحياه منهج الهي ينزل من السماء ومنهج اراضي عباره عن نظريات بشريه وضعيه ومذاهب وافكار وتصورات مصدرها الإنسان

ولهذا فإن الإنسان فعلي الإنسان أن يختار المنهج الذي يسعده في الدنيا والآخرة ؟

فهل تختار المنهج الارضي ام تختار المنهج الرباني ولهذا استخدام كلمه (انزل) ولم يقل انزل الله وهذا فيه إيجازه بأن المنزل مستغني عن التعريف وعن إسناده الي الضمير أو الاسم الصريح فإن هذا الكتاب البديع لايمكن أن يكون إلا منزلا من اعلي من فوق العرش أنه منزل من عند الله خالق السموات والأرض

يعني أنه ليس من صنع البشر ولا من أفكار البشر الناقصه

انه منزل من الخالق سبحانه وتعالى الذي له صفات الكمال

منهج منزل من خالق الإنسان وبالتالي فإن ذلك فيه سعاده الإنسان وكماله لان الخالق خبير بمخلوقاته وما يصلح أحوالهم فالمنهج الرباني هو الكفيل بتحقيق الهدف والغاية من وجود الإنسان فالصانع اعلم بما يصلح مصنوعه فهو بمنزله الكتالوج الذي يرافقه صانع الآ لات الكهربائيه أو غيرها معها لتدلك علي كيفيه تشغيل الاجهزه بما يحقق الغرض الذي صنعت لأجله يضع لك نظام التحكم الذي يصون ا لآلات من الاعطال

ولهذا فإن من مصلحتك أن تأخذ بمنهج الله لانه فيه الصيانه والسلامه لك والمنفعه عليك الإنتباه من التشريعات البشريه لأنها تضر بك ف الإنسان ليس موهلا أن يشرع لنفسه لانه مخلوق

الموضوع الثاني

(رسم المعركه بين الحق والباطل وما يعترض طريق الداعيه من مشاق ومتاعب وكيف يتعامل معها)

نجد أنه بعد ذكر أنه تعالي انزل القرآن علي نبيه يقول سبحانه وتعالى (,فلا يكن في صدرك حرج منه)

والرسول صلى الله عليه وسلم لايمكن أن يكون شك في القران وهو المعصوم وانما أراد بهذا الآتي

الأمر الأول

اعلام الدعاه في كل زمان بأن طريق الدعوه شاق خاصه في المرحله الاولي منها مرحله إقناع الناس بشخصيه الرسول أو الداعيه والأ فكار التي يدعوهم إليها فهذه من المراحل الصعبه في حياه الداعيه حيث أن قوي الشر تجتمع كلها في محاوله إطفاء نور الله ولهذا فإن من شأن ذلك أن يجد الداعيه ضيق وشده وحزن من إنكار الناس دين الحق لانهم ينظرون الي ما يدعوهم إليه غريبا وهو مستنكرا لعقول الناس

فالدعاه في هذه المرحله يكونون غرباء وينظر الي أفكارهم أنها أمور غريبه تهدد الاستقرار فتكون التكاليف ثقيله أمام تلك العوائق التي تشكل حواجز أمام الدعوه مانعه من التقدم فتجد مقاومه من الناس ومن التقاليد والقوانين الوضعية والاوضاع والاحوال التي كونت شكل واتجه المجتمع وتصوراته وأفكاره

فهم تلقوا الأفكار والنظريات والتصورات للأشياء من البئيه ومن هنا فإن تفسيرهم للأشياء ينطلق من المورث الذي تلقوه من البيئه الجاهليه ولهذا فإن النفي للحرج المعني انزله اليك فلا يسري الي صدرك الحرج بل انشراح قلبك به فجاء نفي الحرج بصيغه نهي الحرج عن أن يحصل في صدرك ليكون النهي نهي تكوين بمعني تكوين النفي بعكس أمر التكوين الذي هو بمعني تكوين الإتيان فجاء نهي تكوين نفي الحرج عن صدره

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضيق من تكذيب قومه وأعراضهم واذاهم فقد قال تعالي (فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضاق به صدرك أن يقولوا ...الخ

فالنهي عن السبب ويراد به النهي عن المسبب كنايه عن عدم المبالاه بالاعداء فالنهي عن التشاوم واليأس وإنكار الذات

فلا يكون تكذيب الأعداء سببا للاحباط وفقدان الثقه بالنفس واحتلال ساحه قلبك الهموم والاكدار لأنها أن تمكنت من ذلك فإنها تضعف الاراده وتطفي لهيب الطاقات وتكسر العزيمه

ولهذا يقول الحق لنبيه عليك أن تحافظ علي الطاقه الايجابيه فلا تسمح أن تفقد هذه الطاقه بالحسرات والضيق من تكذيب هولاء فلا تبالي بهولاء الأعداء

الأمر الثاني

بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوه الحسنه المبلغ عن ربه ما نزل إليه والذي جسد معرفه الوحي واعتمادها السنن في واقع الناس وقدم النموذج العملي والتربوي لتسخيرها وحسن التعامل معها فجعله الله محل الاقتداء والتاسي لمسيره الحياه بكل تفاصيلها ومتعرجاتها وما يمكن أن يكون عليها حال الداعيه في العسر واليسر والشده والرخاء والهزيمه والنصر والقوه والضعف لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الدليل الهادي للناس للتعامل مع سنن الله واقداره في الحياه

حيث أن الدعوه لها مرحلتين الاولي إقناع الناس بشخصيه الرسول والأفكار التي يدعوهم إليها وهذه المرحله من أشد المراحل صعوبه في حياه الداعيه بشكل عام ولذلك فإن الداعيه يكون بحاجه الي الطاقه الايجابيه التي تجعله يصمد أمام العواصف المتمثله في التكذيب والاعراض والاذيه من اعداء الدين الذين ينظرون أنه يمثل خطر علي مصالحهم وغالبا ما يكون انصار الرسل والدعاه في هذه المرحلة من الضعفاء الذين لاحول لهم ولاقوه

فأراد بهذا التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم ان يحثه علي الصبر واثقا بنصر الله فلا يضعف أمام العواصف كما أخبرنا الله في موضع (حتي إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا .. الخ

فالايه تبين أن طريق الدعوه شاق فلا يعسر عليك السير في الدعوه تكذيب المكذبين

الأمر الثالث

أن النصوص فيها حرص الإسلام علي سلامه الجهاز المناعي للداعيه من أن يتأثر بتكذيب الأعداء وقله الأنصار الذين يستجيبون للدعوه ولهذا نجد ان الايات فيها تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم والتثبيت له وفي هذا أعطانا النموذج العملي الذي نقتدي به ومن هنا نفهم سبب مجئ النهي عن مسببات القلق والأحزان لأن هذه الأمور تعني قعود الداعيه عن السير الي المثل الاعلي الذي يتوخاه في عمله خصوصا في مثل المهمه الكبري التي يراد بها صقل النفوس وتهذيب الفطره الانسانيه وإصلاح ما أفسدته الجاهليه وتوجيه العالم البشري الي طريق الهدي والرشاد ليصل الي مافيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ولهذا نفهم من الايه سبب التركيز والاهتمام بسلامه الجهاز المناعي للداعيه من أن يفقد قوته عندما يفسر الأحداث والمعركه بين الحق والباطل تفسيرا ماديا فإن ذلك يعني تسلل الخوف الي القلب ولهذا فإن أول خطوه للمساهمه في خلاص الامه واستعاده فاعليتها ودورها المفقود نتيجه ركام الفكر الجاهلي الذي عندما تنظر إليه تجد أنه يضع حواجز مانعه من إحداث التغيير الإيجابي للفاعليه

فإن أول خطوه هي التغيير من داخل الداعيه فشراره التغيير ونقطه الانطلاق الاولي إنما تكون من داخل نفسك فعليك أن تتوجه الي الله أن لايسمح للخوف والمرض أن يتسلل الي قلبك ولهذا أمر بذكر الله كثيرا أثناء القتال فالمومن عندما يتصل بالله تزداد قوته المعنويه فهذا هو الزاد الذي يجب عليك أن تمضي حاملا دعوه الحق لتفتح الابواب المغلقه ولاتبالي بالمكذبين فلا تجعل آراءك حبيسه اراء الآخرين فالله يقول (وكيف اخاف ما اشركتم ولاتخافون انكم اشركتم .....الي قوله تعالى (فاي الفريقين أحق بالأمن ...الخ

ولهذا لاتحفل بمواجهه الأعداء لكلمه الحق وما يصدر منهم من مقاومه ونفره فباب النجاح يفتح الي الخارج وليس الي الداخل ولهذا عليك الإنتباه من يكون التكذيب الفكره والقيم سببا للخمول والاستسلام انتبه أن يودي ذلك إلي أضعاف قوه الاراده فان ذلك أن حدث أصاب قوي العقل والنفس بالشلل وانت تحتاج إلي قوه الدافعيه والاراده التي تجعلك تنجز ما تريده فعليك أن تزيل عن عقلك كل مفردات التشاوم والقلق وفقدان الرغبه والخمول والاستسلام وكن مطمنا بالله ومعتمدا علي الله وقدرتك التي أودعها الله فيك فليس مهمتك إجبار الناس علي الإيمان وانما دورك البلاغ والانذار وعلي هذا الأساس رتب حياتك وافكارك وطموحاتك وآمالك فهذه هي البدايه الصحيحه التي توصل الي النهايه المشرفه عليك الصمود امام العواصف فهي مقدمه تسبق النصر والتمكين فالصواعق لاتضرب الا القمم العاليه

الموضوع الثالث

تضع الآيات نصب أعيننا قاعده وحقيقه يجب الإنتباه لها وهي أن إرضاء الجميع طول الوقت أمر مستحيل فقال تعالي (فلا يكن في صدرك حرج منه) ثم ذكر بعدها تحديد مهمه الرسول صلى الله عليه ووظيفه القران الكريم ودوره في الدعوه فقال تعالي (لتنذر به وذكري للمومنين)

وهذا فيه

الأمر الأول

أنه ليس عليك أن تلبي رغبات الجميع فلا تهرول نحو إرضاء الآخرين ولا تخوف من تكذيبهم فلا تكن حبيس ارائهم فإن خوفك من رده فعلهم لما تدعوهم اليه أمرا غير مبرر فلا يجوز لك أن تفرط بحقوقك وتغيب باولوياتك فلا تضغط علي نفسك ولاتحملها فوق طاقته ف الله سبحانه وتعالى نهي نبيه عن ذلك فقال تعالي (طه ما أنزلنا عليك القران لتشقي)

وهنا قال تعالي (فلا يكن في صدرك حرج منه)

لنفي تكوين الحرج في الصدر نتيجه التفريط بالحقوق والضغط علي النفس وتحملها فوق طاقتها أثناء الدعوه فجاء النفي لبيان ان الدعوه والتفكير فيها هو هم الداعيه لكن لاينبغي أن يكون ذلك مصدر القلق لأن ذلك أن حصل فانه يقضي علي الفاعليه الإيجابية ولهذا عليك أن تجعل انتباهك مرتبطا بالاتصال بالله وان مهمتك هي الانذار المكذبين وتذكير المومنين بحدود طاقتك وقدرتك فهو تعالي يقول في موضع آخر (اصبر وماصبرك الا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون)

الأمر الثاني

تبين النصوص عله انزال القران فقال تعالي (لتنذر به وذكري للمومنين) بأن الانذار يكون مقرونا بالتخويف مع انتفاء الحرج من الصدر ولزوم الانشراح للنهوض باعباء هذا الأمر ولهذا جاءت الجمله معترضه بين العله والمعلول لافاده أنه كتاب للانذار والتذكير وجعل الا نذار به مقدما في التعليل لانه الغرض الأهم لابطال ماعليه المشركين وهو ما يفهم أنه كتاب للصداع في مجابهه الباطل والشرائع الفساده والأوهام والا وضاع الجائره وازاله ركام الفكر الجاهلي من حياه الناس ولهذا فعليك أن تدرك أن الحرج في طريقك كثيره و المشقه قائمه فعلي الداعيه أن يحمل الحق ويقطع الطريق دون توقف فلا تسمح لتسلل ما يطفي جذوه لهيب النشاط الدعوي ولهذا فإنه يفهم ان الامر أن تودي ذلك بتبليغ الناس شرع الله علي نحو ما يكون به وقوع البيان بالموعظ والعبر

الموضوع الرابع

تبين النصوص اهميه أن يتزود الداعيه بالمعلومات الكامله عن المخاطبين واوضاعهم وامراضهم وأحوالهم تعرف من تكلم ومتي تتحرك ولهذا نفهم لماذا كان البلاغ المبين مهمه النبوه الخاتمه رسالتها الي البشريه ومعجزتها للناس في كل زمان ومكان فالإسلام يهدف من هذا تربيه القاده علي انتقاء الألفاظ والوسائل والأساليب القادره علي إيصال الفكره للمخاطبين فالكلمه البيانيه هي معجزه الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول (لتنذر به وذكري للمومنين)

اي تصرف المخاطبين متوقفه علي الموعظه والذكري ولهذا نجد أنه تعالي يامر كل داعيه أن يكون خطابه للانذار مقرونا بالتخويف من سوء العاقبة لأن تحقيق الانذار لا يقع الا اذا اقتران بالتخويف من سوء عاقبة المخالفه وهو يتعدي الي مفعولين الانذر الذي يقيم الحجه بالبلاغ والعقاب اي التحذير من العذاب أو يخوف من وقوعه فاللّٰه يقول في موضع آخر (انا انذرنكم عذابا قريبا)

ولهذا فإن المفعولان يذكران تاره ويذكر أحدهما تاره أخري بحسب المناسبات وقد حذف كلامنهما هنا لافاده العموم حسب القاعده لي لتنذرهم فجمع الناس اي تبلغهم دين الله واتل ما أنزل الله في كتابه من عاقبه التكذيب وهي من الأمور الغيبه

لأن الإنسان إذا أمن بأن هنالك جنه ونار فإنه لن يرتكب المعصيه واذا أمن بذلك ولكنه لم يستقين العقاب فلو كان مستيقين أن العقاب سوف يحل به إذا ارتكب الجريمة فإنه لن يرتكب المعصيه فاللّٰه يقول في موضع آخر (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب)

ولهذا نجد أنه حذف متعلق لتنذر وصرح بمتعلق ذكري فقال تعالي (وذكري للمومنين)

فيكون متعلق (لتنذر) محذوف وتقديره من ذكر مقابله المذكور والتقدير لتنذر به الكافرين وصرح بمتعلق الذكري دون متعلق لتنذر فيها تعريض بتحقير الكافرين لأن نفوسهم لاتستحيب لنداء الفطره وعقولهم لاتستقيم لخروجها عن المنهج فهذه النفوس جاهليه متبلده بعيده عن عالم الغيب عريقه في طلب الذات الجسمانيه ولهذا لاتنفع لهولاء الموعظه لأن الفطره مطموسه ولهذا خص بتصريح أن المنتفعون بالذكري هم المومنون فهي تكون موثره فيهم لانهم مستعدون الاهتداء فالمومن ينظر إلي القران أنه وحيا ينزل عليه فيكون استقباله له بمشاعر واحاسيس أنه هو الذي يوحي اليه وان الله هو الذي يكلمه بكل حرف من حروفه فالإيمان يدفعه الي مواجهه الجاهليه بالقران فلا يكون في صدره ضيقا ولاحرج لانه ينظر أنه فيه الحياه وان أوضاع الجاهليه هو موت ولذلك ينطلق خالي من اثقال الهموم والاكدار نحو ازاله اثار الجاهليه بلا تردد لأنه قد أزال الأغطية التي كانت تحجب عنه رؤيه الحق فالإيمان يدفعه الي مواجهه واقع الجاهليه ويجاهد بالقران جهادا كبيرا فاللّٰه يقول (وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد) وقال تعالي (سيذكر من يخشي) وقال تعالي (فما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى)

المبحث الثاني

تبين الايه أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم انه جاء ليقرر سلطان الله ويبطل سلطان الطاغوت وأنه بالتوحيد يكون تغيير وجه العالم فلايعبد أحد مع الله فهذه هي الدعوه التي يدعوا الناس بحيث يكون الناس خاضعون لله في جميع جوانب الحياه فلا يعتقد المسلم أن هنالك الها مع الله يقوم بتدبير شوون الحياه فالمسلم لايتلقي الشرائع والقيم والموزين والعقائد ولا في أي شأن الا من الله تعالي فهذا هو دور الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كلف به لأن أول خطوه للوسيطيه والاعتدال هو ازاله ركام الفكر الجاهلي وآثاره وتنقيه الاوعيه القلبيه والذهنية والنفسيه من تلك الأوساخ فالمجتمع المسلم يختلف عن المجتمع الجاهلي

فما يجتمع عليه المسلمون هو التوحيد واتبع منهج الله ولهذا يقول الحق (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا

ما تذكرون)

وهذا فيه

المفهوم الاول

يريد الإسلام أن يحصل الإتباع للقران باراده حره ورغبه واقتناع ولهذا هو يخاطب العقول بأن عليها أن تتبع القران فهو فيه ماينفعهم لا نه منزل من الله تعالي فهو الجهه التي تستحق أن تتبع فهو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ف العقل وحده لا يكفي أن يعرف ماينفع وما يضر فهو بحاجه للمنهج الذي يحقق الكمال له لأن هنالك مسائل دقيقه يصعب علي العقل فهمها وانما العيب أن يرفض العاقل استعمل العقل بالانقياد لمنهج الله فهذا يكون مثل شخص باع شئيا بمبلغ ضخم واستلم ذلك بالعمله الصعبه وبرغم وجود جهاز كشف العمله المزيفه إلا أن هذا الشخص لم يقم بفحص العمله بواسطه الجهاز رغم أنه متاح له ثم بعد ذلك اكتشف أن العمله التي دفعت له مزوره فمن المتسبب في الضرر أليس الشخص نفسه فلو أنه استخدم الجهاز ما كان ليلحق به الضرر ثم أليس هذا الشخص مغفل وظالم لنفسه

فكذلك حال من لم يستعمل المنهج وعقله في رحلته علي الارض

(اقتباس الفكره من النابلسي في تفكيره مع اختلاف الألفاظ)

ولهذا يخاطب القران العقل ويتوجه الي صميم الاعماق الداخليه للإنسان لتحريرها من الضعف فالإسلام يحترم الإنسان واردته وكرامته واختياره فلايرغمه علي الإيمان قهرا بل يعطيه حريه الاختيار ولهذا يقول الله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)

المفهوم الثاني

عليك أن تشعر بأن انزل القرآن نعمه من الله ولذلك يفهم من قوله تعالي (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أنه لاظهار محاسن القران يقول لهم أن الأمر لسلامتكم و لسعادتكم ولأجل امنكم ونماءكم لانه منزل من عند الخبير الذي يعلم ماتحتاجون له فالمنهج يحدد لكم الطريق ويضع لكم المعالم الواضحه التي تسيرون عليها ولهذا جاء الخطاب موجه للمشركين ويندرج فيه المسلمون بالأمر فالنص بيان لجمله(لتنذر به) بقرينه قوله (قليلا ما تذكرون)

فبينت النصوص أن حكمه انزال الله القرآن علي الرسول صلى الله عليه وسلم الانذار والذكر لهذا أمر الناس أن يتبعوه ما أنزل الله تعالي تعريضا للمشركين بأنهم كفروا النعمه

المفهوم الثالث

أن عليك أن تفهم أن الأمر بالإتباع يعني ان تتلقي الأمر بالجد والاجتهاد والقوه وكذلك التنفيذ لأن الإتباع تعني المشي وراء ماشي اي اقتفاء أثره ولهذا استعمل عنوان الربوبيه بعد الأمر بالاتباع فقال تعالي (ما أنزل اليكم من ربكم)

دون اسم لفظ الجلالة للتذكير بوجوب اتباع امره تعالي لأن وصف الربوبيه يقتضي الامتثال لأوامره واجتناب ما نهاهم

عنه لانه من غير المعقول أن تعترف بأن الله الخالق والرزق ويصل اليك خيره وانعامه فكونه خالق وجب عبادته وحده لأن غير ذلك مخلوقات خلقها الله تعالي فكيف يعبد غيره ثم إن الله رزق فكيف يتوجه بالشكر لغيره تعالي والله غني عنكم وانتم الفقراء و المحتاجين لله فمن غير المعقول أن تعبدوا وتشكروا غير الله ولهذا ذكر بعدها النهي عن اتباع غير ما أنزل الله تعالي

فأراد بهذا أن يكون الإتباع عن رغبه وقبول ومحبه وعلم أن ما أنزل الله فيه المصلحه فهو ربكم الذي خلقكم ويعلم ما يصلح شؤونكم فهو تعالي الذي يتولي أموركم بالتشريع فهذا القران رحمه وعنايه من الله بكم فهذا هو منهج الله فلماذا يكون استيراد منهاج المخلوقات

فأراد بهذا أن يشعر الإنسان بأن هذا المنهج فيه السعاده له في الدنيا والآخرة يستعيد به إنسانيته ويتحرر من كل الأصنام التي تسعبده يعرف به قيمه نفسه وما أودع الله فيه من مواهب فهو خليفه الله الذي أخضع له الكون يدرك أن له رساله في هذه الحياه فإن الجسد

يظل ترابا لاقيمه له إلا بالدين الذي هو الروح الذي يصله بربه ولهذا جاء الأمر بالاتباع والاتباع حقيقه المشي وراء ماشي فمعناه يقتضي تابعا ومتبوعا والمراد بهذا أن تتبع القران فهو الهادي والقائد الذي يصل بك الي الطريق المستقيم الموصل الي الله تعالي اي منهج الفطره هذا هو ما يدعوكم إليه القران لانه دين الفطره فكل مولود يولد علي الاسلام وبعدها يفرض عليه الابويان ديانتهما فمن اختار الاسلام بأن انقاد لأمر الله واتبع دين الإسلام فقد صار خليفه لله في الأرض لتكون اداه في يد القدره الالهيه فعليك أن تخضع وتنقاد لأمر الله فاوامر الله ونواهيه هي لضمان سلامتكم

المبحث الثالث

عليك أن تفهم أن الخلافه شرف لايطلق الا علي من اختار الاسلام دينا وانقاد لمنهج الله واحرق الأصنام التي بداخله وهذا إنما يكون باتباع منهج الله الذي فيه السعاده ولهذا يذكرهم بشرط الخلافه الذي اخذه علي ادم (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالي أيضا في سوره طه (فمن تبع هدي فلا يضل ولايشقي) فهذا هو العهد المأخوذ علي ادم فهذا المنهج هو شرف الخليفه الذي يعني مركز الخليفه في الأرض وهذا هو مكانه المسلم في الوجود ولهذا جاء التعقيب (قليلا ماتذكرون) يذكرهم بالعهد سالف الذكر يقول لهم أن الأوامر والنواهي الالهيه هي لضمان سلامتكم فأنت لو كنت ماشيا في الطريق فوجدت لوحه وايضا فيه الاشاره الي انه لا يطلق علي الكافرين والذين يشقون لأنفسهم ويضعون لحياتهم أهدافا متباينه خارجه عن الإسلام أنهم خلفاء لله لان الخلافه عن الله لاتطلق الا علي المسلمين ولهذا فإن الذي يستعلي بالقوه والجاه والسلطان ويتخذ تشريع غير شرع الله فإن هذا ليس خليفه لله وهو فاقد لانسانيته ولهذا نجد أنه تعالي يأتي بالتعقيب (قليلا ما تذكرون) فيه التهكم علي الكفار فالضمير عائدا الي المشركين علي طريقه الالتفات من الخطاب الي الغيبه فيه اعراض عنهم كما يقال للعاصي انت قليل الاتيان بالأمر النافع اظهار ا له علي أخطاءه بحق نفسه فأراد بهذا بيان أن الفشل في الامتحان وأنه ترك شرف الخلافه لأن الايات تتناول شرح ما اجمل في سوره الانعام والتي اختتمت بقوله تعالي (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم أن ربك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

وهذا يعني أن هنالك نوعين من الاستخلاف استخلاف عام وهو استخلاف البشر في الأرض باعتبارهم مستعمرين لها لقوله تعالى(وهو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها)

واستخلاف خاص وهو الاستخلاف في الحكم سواء كان استخلاف الدول أو الأفراد كما قال تعالي (يادواد انا جعلناك خليفه في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله)

وسنه الله في استخلاف الدول والافراد أنه تعالي يستخلف الامه مادامت اهلا للاستخلاف وأنه تعالي يستخلف الأفراد أن كانوا اهلا لذلك فهو سبحانه وتعالى يبتليهم فيما آتاهم فقد اختتم سوره الانعام بقوله تعالي (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم)

ولهذا جاء النهي عن اتباع غير منهج الله لانه تعالي يستخلف الناس في الأرض فإن أقاموا علي امر الله فهم عند وعد الله لهم بالتمكين والعزه حتي إذا كفر بانعم الله وكذبوا باياته وخرجوا عن حدود رسله أخذهم بغته أو تدريجيا وهم لا يشعرون فقال تعالي (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليومنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

وهنا يقول تعالي (وكم من قريه اهلكناها فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون فما كان دعواهم إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين...الخ

الأمر الأول

تحدثنا الآيات إن الخروج عن طاعه الله يعني الخروج عن شرف الخلافه وان الخلافه عن الله هي شرف الإنسان الحقيقي

فالقوه والسلطان بدون هذه الصفه لاقيمه لها لأنها قوه بلا شرف ولهذا يلفت الحق عباده الي سنته الماضيه في الاستخلاف ويحدث عباده أنه يهلك الأمم بالذنوب رغم قوه هذه الأمم فقال تعالي (وكم من قريه) فيه بيان أن الأوامر والنواهي الالهيه هي لضمان سلامتكم وسعادتكم فأنت لو كنت ماشيا في الطريق فوجدت لوحه مكتوب عليها ممنوع التجاوز لأن هذا الطريق يعني انك تدخل حقل ألغام فهل تشعر بحقد علي من وضع لك هذه اللوحه ام انك تشعر بالامتنان وان ذلك رعايه وعنايه بك فهكذا هو المنهج الرباني أنه حمايه ورعايه

لك لانك عندما تخالف المنهج الرباني تعرض نفسك للهلاك والضياع فعليك تذكر هذا علي الدوام ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى انظر كيف كانت نهايه من خرج عن منهج الله فقال تعالي (كم من قريه)

فاستعمل كم وهذه الكلمه تستعمل للاستفهام وتسمي كم الا ستفهاميه وتستخدم للاخبار وتسمي كم الخبريه أو التكثريه

فأراد بهذا

المفهوم الاول

أن يدرك السامع أن هذه الحياه تحكمها سنن ونظام واقدار وان اي خلل في التعامل مع هذه السنن سيفضي الي الفشل والكوارث وان مصدر العلم بهذه السنن هو معرفه الوحي وان الاستدلال علي اطردها يتاتي من تلك المعرفه والتحقق بفاعليتها إنما يتم من خلال السير في الأرض والتوغل في تاريخ الشعوب والأمم وتاريخ النبوه وملاحظه قوانين سقوط الحضارات ونهوضها ولهذا استعمل كم الاخباريه (كم من قريه)

اشاره الي ماحل بالامم السابقه يقول انظر الي ماحل بتلك الأمم لتعرف نتيجه الخروج عن منهج الله

المفهوم الثاني

أنه سبحانه وتعالى يحدثنا عن اخبار السابقين ويطلعنا علي قانون الخلافه في الأرض وشروطه فالقصص من أهم الوسائل التي يكون ترقيق القلوب وايقاظ الفطره لمن يغتر بالجاه والسلطان والمال والقوه والأنصار فالقريه تشير الي معني المكان المثالي للمعيشه و الرفاهية يقول انظروا الي نهايه الحضاره عندما يكون بناؤه علي الماده وبعيدا عن منهج الله فإنها تكون عرضه للدمار والهلاك

المفهوم الثالث

عليك أن تدرك أن ذكر القصص عن الأمم تهدف إلي لفت الإنتباه الي التذكر والاعتبار فكأنه قال الواجب عليكم دوام التذكير والاعتبار بـ الامم السابقه لأن الغالب علي أحوال الناس الغفله والنسيان كما ورد في الايه قبلها فكانت هذه القصص بمثابه مطارق تدق الاذن لتوقظ القلوب بالتهديد لهم بما حل بالقري اي المدن السابقه من الهلاك فلفظ القريه تعني المكان المثالي للمعيشه فلم تدفع عنها قوتها شئيا

الأمر الثاني

وفي إطار الحديث عن عواقب الخروج عن منهج الله يقول تعالي (كم من قريه اهلكناها) نجد أنه جاء تعليق فعل اهلكناها بالقريه دون ذكر أهلها لقصد الاحاطه والشمول فهي تغني عن ذكر أهلها لأن السامع يفهم أن المراد من اهلاك القريه أهلها لأن العبره والعظه إنما هو بما حصل لاهل القريه فالاهلاك يعني الافناء والاستئصال فهذا هو الانذار الذي يحذر كل رسول قومه بأن يلفت انظارهم لما حل بـ المكذبين من قبلهم والسوره حافله بذكر ذلك حيث انها تبين ما حل بقوم نوح من الغرق ثم تأتي بقول هود لقومه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) فلما رفضوا إدراك هذه الحقيقه يئس هود من تكذبيهم وعتادهم قال لهم (ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا)

وهكذا يأتي صالح ويحذرهم بمثل ما حذرهم هود ولهذا فإن مكه ام القري عندما تسمع صيغه الاخبار باهلاك الكثير من القري يعني أنه يلفت أنظارهم الي قانون الاستخلاف في الأرض فيدعوهم الي التأمل لما حل بتلك الأمم وقراءه الأسباب والمسببات التي أوجبت هلاك تلك القري حتي لايقعوا فيما وقعوا فيه فقال تعالي (فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون)

فالفاء هنا عاطفه علي جمله اهلكناها ولما كان مجئ الباس حاصلا مع حصول الاهلاك أو قبله وهو سبب الاهلاك عسر علي المفسرون بيان معني الفاء في هذا الموضع

والمتأمل ان العطف هنا بالفاء اريد بها الترتيب للاخبار لانه ورد فيها الاخبار عن كيفيه اهلاكهم بعد الخبر بالاهلاك وهذا الترتيب هو في الغالب تفصيل بعد إجمال فيكون عطف المفصل علي المجمل فأراد بهذا بيان سنه الخلافه في الأرض فكأنه قال وهذا قانونها الاعلي فمن تجبر في الأرض واستكبر علي ايات الانبياء ونسي نعمه الله عليه وجحد كما جحدت الأمم السابقه من فعل هذا انسحب منه قانون الاستخلاف فابيد واهلكه الله فـالله لايظلم أحد فاستخدم الباس اي العذاب الشديد الذي ياخذهم بغته في أوقات الغفله سواء أثناء

النوم أو وقت القليوله في النهار اي في وقت الراحه وهذا التصوير للعذاب واوقاته ادعي الي التذكر والتوقي والاحتياط لما فيه من شده الترويع

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الاهلاك تأتي من حيث لا تتوقع فقد تأتي وقت النوم (بياتا) عندما تخلد الي فراشك لتنام أو وقت راحتك عند القيلوله (أوهم قائلون)

فأراد بهذا تصوير حاله الرفاهيه والاستقرار والامان فالقريه تعني المكان المثالي للمعيشه والرفاهية واضاف هنا الوقت بأنه وقت الراحه

فهذه المصائب عقابا لهم فالحق يقول لك اذا كنت في نعمه الله فرعاها فاياك أن تعصي الله واحذر من استعمال نعمه تعالي في المعاصي فإن ذلك يعني أنها مقدمه للزوال وهذا التهديد للأفراد والمؤسسات والدول فالله شديد العقاب فعليك الإنتباه من المخالفه لمنهج الله فأنت اذا شاهدت من يغتر بالقوه سؤاء كانت دوله أو أفراد وصار التغطرس سلوكه وحينما تشاهده لايقبل النصيحه فاعلم أن ذلك مقدمه السقوط والهلاك فقراءه التاريخ وتفسير أحداثه إنما يكون بالنظر الي التزام هذه الامه بالمطلب الرباني فهذه هي القراءه الصحيحه لأن القراءه الابليسه تقوم علي الفصل بين التاريخ والديانات فتقرا الأحداث بناء علي نظريات ماديه بحته وهو ما يفرغ الايه الكونيه الناتجه عن دليل الأحداث مفرغه من مضمونها فالاثار الموجوده علي مسرح الحياه عن الأمم السابقه إنما هي ايات ناطقه تعطي الواقف عليها الدروس ليأخذ العظه والعبره من خلال المشاركه الشعوريه حيث عليه أن ينظر إلي أهل الكفر والشرك وأحوالهم والأسباب التي كانت وراء ماحل بهم من الهلاك والاستئصال من زوايه البغض والكراهية وبالتالي فإن ذلك يودي الي تقويه قوه النفور لديه فيحذر أن يقع فيما وقعوا فيه لا كما هو حاصل اليوم حيث نري البعض يتغني بامجاد كفار مملكه سباء والفراعنه لانه ينظر إليها نظره قوميه وهذا تحريف لايه تركها الله للعظه والعبره فهم مثل اليهود والنصاري الذين حرفوا التوراه والإنجيل ولهذا فإن الايه فيها التوجيه للنظره لدليل الحدث من خلال الربط بينه وبين الديانه كتنزيل شرعي وفهم عاقبه الخروج عن منهج الله فراس الحكمه مخافه الله

وينظر الي المومنين وأحوالهم وظروفهم وأعمالهم والأسباب التي اوصلتهم الي النجاه والسلامه نظره محبه وإجلال وتعظيم فيقتدي بهم تعرف من خلالها أن طاعه الله وقايه من العذاب لانك تكون في ظل الله وعنايته ورعايته

الأمر الرابع

وبعد هذا يقول الحق (فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين)

هذه الايه معطوفه علي ماقبلها والتي ذكرت مجئ الباس وهذه الكلمه قادره علي ايصال المراد منها بأن تجعل السامع يرتجف لما تحمله الكلمه من معني العذاب فالباس تعني القوه التي لاتقوم فالمصائب والبلايا انواع منها ما يكون شفائها سهلا فمن انكسرت قدمه فإن الطب لديه وسائل توصل إليها لعلاج وجبر الكسر وكذلك الزكام يتعافي المريض بسرعه منه

لكن هنالك امراض خبيثه مثل السرطان وتلوث الكبد والكلى فإن الطب لايملك وسائل للعلاج

وكذلك فإن الاوبئه مثل فيروس كورونا الجديد أعجز العالم عام ٢٠٢٠م وراح ضحيه هذا الداء ملايين البشر حول العالم فهذا هو الباس الذي يعني أنه قوه مدمره لاتقاوم

وكذلك الكوراث الطبيعه مثل الزلزل والغرق التي يصعب مقاومتها كما حصل في توسونامي فإن الناس عندما يسمعون مثل هذه الكوراث التي يقفون أمامها عاجزين أمام قوتها المدمره لابد أنه يتسال ما الذي حدث بعد وقوع العذاب ولهذا اريد بهذا العطف علي نتيجه العذاب أن يرد علي سوال السامع ما الذي حدث بعد وقوع العذاب فجاء الجواب أنهم لم يستطيعوا دفع العذاب ولم يتبقي لهم إ لا الدعاء والاعتراف بما ارتكبوا من ذنوب في وقت لافائده من الاعتراف لماذا لأن الناس عندما يحل العذاب وتنقطع عنهم آمالهم وحيلهم يلجأون الي الله بالدعاء لكن هولاء كان الدعاء بعد فوات الاوان فأراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

لفت الإنتباه أن الذين اتخذوا من دونه أولياء واهدروا قانون الخلافه في الأرض وظنوا أنهم يتحصنون بتلك الحصون وأنها سوف تدفع

عنهم العذاب أنهم بعد وقوع العذاب يدركون أنهم كانوا ظالمين عندما اعتمدوا علي تلك الحصون الواهيه فهي لم تدفع عنهم العذاب عرفوا أنهم كانوا ظالمين عندما جعلوها مساويه لرب العالمين والمراد بالدعاء هنا هو الدعاء علي النفس بالويل والثبور أو أن المراد بقوله تعالي (انا كنا ظالمين)

المفهوم الثاني

أنه تعالي يلفت انتباهم الي أنه في لحظات الهلاك يري الإنسان ماكان فيه من الانحراف ولكن بعد فوات الأوان لأنها تزوال عنه الا غطيه فهو تعالي يقول في موضع آخر (فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد) فلحظه الموت تنكشف كل الحقائق ولأن الإنسان علي نفسه بصيرا فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا) يعني ان ذلك مقدمه لشهاده ألسنتهم عليهم في الحشر وأما لأن الله اجري ذلك علي ألسنتهم وصرفهم عن الدعاء الي تجريم أنفسهم وأما أن يكون ما كان منهم يجعل هذا القول يجري علي ألسنتهم نتيجه تفكيرهم في ظلمهم وما ارتكبوا من جرائم في مده بقاءهم في الحياه لكن العناد يصدهم عن الإيمان ولذلك فإنه في لحظات الهلاك فإن ما كان يجول في عقولهم يجري علي ألسنتهم والمراد بالظلم الشرك وهضم حقوق الناس والاستبداد ومخالفه شرع الله

المفهوم الثالث

يقول الحق للطفاه المستبدين وكل المخادعين الذين يتوهمون أنهم قادرين علي خداع الناس انتبهوا من الاستعلاء بالجاه والسلطان و المال والقوه التي تدفعك الي الاستخفاف بعقول الناس وتتوهم انك تخدع بها الناس كما قال تعالي عن فرعون (استخف قومه فاطعوه) يقول الحق أن الخداع لن يدوم طويلا ولكن لبعض الوقت وبعدها تدرك انك إنما خدعت نفسك فقال تعالي (انا كنا ظالمين) هذا هو قولهم ونحن نعلم أن فرعون ساعه الهلاك اعترف بظلمه ولكن بعد فوات الاوان فقال تعالي (حتي اذا أدركه الغرق قال امنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل)

المفهوم الرابع

عليك أن تنظر المقدمات والموشرات أنها ترسم النهايه والعاقبه

واللازم عليك التقاط الإشارات التي تسبق وقوع الأزمات فالله يخوف عباده بهذه الإشارات لعلهم يرجعون الي الصواب ويبتعد ا عن السلوك المفضي الي الازمه والهلاك وهذا النوع من الازمات يسمي (الردع) فالمصائب انواع فمنها ماذكر ومنها مايسمي (دفع) يبتلي الله بها المومنون يدفعهم بها فالمصائب كير العبد فإما أن يخرج ذهبا أو خبثا وبها يكون صقل المواهب واخراج القاده وإعداد الكوادر الموهله لحمل رأيه الهدايه

ومنها الرفع وهي مصائب يرفع بها الله المتقين درجات عاليه

ومنها مصائب كشف لتمحيص الصف ومنها القصم وهذه للمجرمين ولهذا عليك الإنتباه وقراءه الأزمات والمصائب القراءه الشرعيه الصحيحه و عليك أن تقفه هذه الأمور وعليك بالصبر عند الأزمات فالنصر لمن يضحك اخيرا لا من ضحك اولا ثم بكي كثيرا فالله سبحانه وتعالى يقول (وينقلب الي أهله مسرورا)

وقال عن المومنين (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

المفهوم الخامس

علي العاقل أن يتسلح باليقظه الدائمه فلا يغتر بالمال أو الجاه والسلطان فأنت لاتدري متي يحل بك العذاب إذا خالفت منهج الله ولهذا جاء ت (إذ) لتقسيم القري التي أهلكها الله بأن منها في الليل ومنها في النهار والمقصود من هذا التقسيم أن يبقي الناس علي وجل فلا يامنوا مكر الله الا القوم الظالمين

الموضوع الخامس

بمناسبه ما اختتمت به سوره الانعام من بيان أن الخلافه شرف لمن اختار أن يكون خليفه وعمل بما أمر الله وان ذلك ابتلاء وامتحان يترتب عليه مسؤوليه الإنسان وحيث أن الناس ينقسمون الي عصاه ومطيعون وهنالك فريق ثالث سليبون مقتنعون لكنهم لاينفذون أما بدفع الخجل أو الهزيمه من الداخل أو اللامبالاة وعدم الاكتراث والسلبيه وهذه المسألة من أخطر ما توجه الشعوب المسلمه اليوم حيث أن المستبدين والطغاه والفلسفات الجاهليه والعقائد المحرفه قد أفسدت الحياه الاجتماعيه والاقتصاديه والثقافيه ونتج عنها ترسخ فكره الياس وظهور التميع بين شباب المسلمين أو التشدد في جانب علي حساب جانب آخر ولهذا شاهدنا انتشار ثقافه الرهبانيه في المجتمعات المسلمه وشاهدنا التطرف باسم الدين شاهدنا أيضا فقدان الثقه بالنفس والمستقبل والتشاوم وإنكار الذات وضعف الاراده و التوقف عن التقدم أو التقدم بايدي مرتعشه ولهذا نجد أن الحق يقول لنا أن الدعوه للإسلام تعني الصمود والثبات تعني الصبر وتحمل المشقه فعقيده الاسلام تقوم علي فكره أن الالم ضروري للحياه هو والفرح سواء فهو السبيل الوحيد الذي ينضج فيه النوع الإنساني جيـ لا بعد جيل ومن الناحية الفسيولوجية ينبه الالم الي الأخطار التي تصيب جسد الإنسان فلو تصورنا مرض يصيب الإنسان بدون الم فإن هذا يعني أن يقضي علي الإنسان بدون أن يدري ولهذا يقول الحق (فلا يكن في صدرك حرج منه) فالمشقه لابد منها وبالبلاء تنضج الذات حتي ترفع الحجب التي تحجبها عن الله فقال تعالي (وذكري للمومنين)

ولهذا يتوجه الي كل من يقف موقفا سلبيا قائلا عليكم أن تحسموا موقفكم في هذه المعركه بين الحق والباطل باتباع الحق دون تردد فقال تعالي (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) فهذا يعني أنك لا تبالي بما حولك من عناصر القوه الماديه التي لدي أهل الكفر لانك تركن الي الله وحكمه فالرسول صلي الله عليه وسلم عندما عرض عليه أهل قريش الاغراءت أن يجعلوها ملكا قال لعمه ابوطالب والله ياعماه لو جعلوا الشمس في يمنيي والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر حتي يظهره الله أو اهلك دونه فهذه هي قوه الايمان واتباع الحق إنما تكون بحسم الموقف عليك أن تشعر بالمسووليه فالخلافه تعني الجد والاجتهاد في التلقي والتنفيذ وهذا يتطلب حسم الموقف واستشعار المسؤوليه تنظر انك في معركه مع الباطل فقال تعالي فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك هم الذين

الدرس الاول

يقول الحق عليكم أن تستحضروا المسؤوليه وأنكم سوف تقفون بين يدي الله تعالي وسوف يحاسب الله عباده كلهم فهو تعالي سوف يحاسب الداعيه الذي يحمل المنهج من ربه الي الناس وسوف يسأل المستمع فكلاهما لهما حساب

فأراد بهذا بيان أن علي الامه استشعار التحدي والمسؤليه وحسم موقفها وعدم التردد وان عليهامسؤوليه نقل العلم واصطحاب معرفه الوحي كبوصله هدايه للعقل لأن ضياع البوصله تعني الوقوع في التيه ونماء صور التدين المغشوش التي تودي أما الي المروق من الدين أو الانسحاب من الدنيا أو السلبيه بعدم القيام بتبليغ الدعوه للناس ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى أنه سوف يسأل الرسل في موقف الجمع يوم يجمع الله الرسل في ساحه الحشر عن قيامهم بالبلاغ والبيان اي يحاسبهم علي قيامهم بما كلفوا به وتقديم شهادتهم علي اقوامهم وهذا فيه لفت انتباه هذه الامه بأن عليها أن تدرك مسوولیتها كونها امه شاهده علي غيرها من الأمم فعليها أن تدرك ابعاد رسالتها وفاعليتها المرتبط بشهودها الحضاري (لتكونوا شهداء علي الناس) فإذا كان الرسل والأنبياء وهم اكرم الناس سوف يقفون بين يدي الله ويسالهم ويحاسبهم عن قيامهم بما كلفوا فكيف بنا نحن وقد كلفنا الله بالشهاده علي الناس فاحذروا التقصير في أداء المهمه ايه المسلمون عليكم استحضار المهمه التي اصطفاءكم الله بها فسوف تحاسبون علي التقصير

فالامه اليوم مطلوب منها معادوه بناء شهودها الحضاري واسترداد فاعليتها والمساهمة في معاوده اخراج الامه لتحمل الخير للبشريه وا لإنسانية عليها إدراك أنها سوف تسال عن هذا الأمر فالايه تهدف الي حث الامه علي النهوض وترك السلبيه والتردد فكل فرد في هذه الا مه مسؤولا عن نقل العلم ولهذا نجد أن القرآن يعطينا نماذج للتدرب علي مواجهه الصراع مبينا لنا جذور ذلك الصراع بأنه يعود إلي بدايه وجود الإنسان علي الأرض و تعطينا النموذج الاول للصراع ادم مع العدو ابليس ليبين لنا كيف أن الذين لايحسمون موقفهم يقعون ضحية اغواء الشيطان يقول لنا عليكم أن تحددوا موقفكم من هذا الصراع الدائر بين الحق والباطل

ولهذا سميت السوره بالاعراف اشاره الي الفريق الذي تتساوي أعماله الحسنات مع السئيات فيقول الحق انتبهوا أن تكونوا مثل هولاء الذين لم يحسموا أمرهم فعليك الإنتباه فلا تضع نفسك في هذا الموقف وأن تعمل جاهدا علي أن تكون من اهل الجنه فلا تقف موقف اهل الاعراف

ثم تعرض لنا النصوص قصص الانبياء لتبين لنا كيف يكون حسم الموقف ومن ذلك موقف السحره الذين حسموا موقفهم عندما عرفوا

الحق ثم تبين لنا النصوص جانبا من سلبيه بني إسرائيل الذين لم يحسموا موقفهم من الصراع بين الحق والباطل فقال تعالي (قالوا اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جيتنا) فذكر قول موسي (قال موسي لقومه استعينوا بالصبر والصلاه أن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين قالوا اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم من بعدهم فينظر كيف تعملون)

وعرضت علينا النصوص أيضا انقسام بني إسرائيل الي ثلاثه اقسام بشأن الصيد يوم السبت فريق نهي عن المنكر وفريق ارتكبه وفريق سكت ولم يكن له موقف إيجابي فلم تذكر الايه نهايه الذين وقفوا تلك المواقف السلبيه للتشنيع بهم فأراد الحق بهذا أن يربي المومنين علي أن يكون لهم فاعليه ايجابيه وان يبتعدوا عن السلبيه والتردد

الدرس الثاني

أن من أهم عناصر الفاعليه الايجابيه ليس مجرد الايمان بالله فقط بل الانتقال لمرحله الشعور بوجود الله واطلاعه علي أفعالك فإذا استقرت هذه الحقيقه في أعماق النفس فإنها تجعلك تخاف وتستحي أن يراك الله في معصيه وبالتالي يسهل عليك حسم موقفك فقال تعالي (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين)

فأحدث طريقه اليوم يستعملها المحقق للحد من الجريمه وتحقيق الردع والزجر وايضا يجعل المجرم يعترف بجريمته هو أن يريه الصوره التي تبين له مافعل بالصوت والصوره ولهذا فإن اخبار الله لنا أنه يعلم أعمالنا كلها لانه حاضرا كل شي يهدف إلي استحضار وجود الله فهذه هي العقيده التي نحتاجها اليوم لتكوين الفاعليه الايجابيه والابتعاد عن السلبيه والتردد

فأنت تجد الكثير من الناس من يدعي الايمان بالله وباليوم الآخر ومع ذلك يرتكب المعصيه والسوال هنا كيف يكون ادعاء الايمان مع ارتكاب الجريمة؟

الجواب :_

ان ذلك يعود إلي عدم الإيمان بوقوع البعث والنشور لانه لو كان متقين من وقوع ذلك وما يترتب عليه من العذاب لما ارتكب الجريمة لو كان لديه الاحساس بأنه إذا ارتكب الجريمة سوف يحل به العذاب كالبرق لما ارتكبه فأنت لو طلب منك أن تشرب السم أو تدخل في النار المشتعله فهل تقبل ذلك بالتأكيد انك لن تقبل لماذا لانك مومن باليقين أن السم يعني الموت وان النار سوف تلذع جسمك ولذلك فإن الشعور بوجود الله وانك سوف تحاسب علي اعمالك بالإيمان باليقين وأنه يترتب علي العذاب الشديد اذا حصل هذا الشعور فإنك لن ترتكب الجريمه وبذلك تكون حركتك ذات فاعليه ايجابيه

وايضا هنالك سبب آخر وهو التهاون والاتكال الي مساله عفو الله وعدم الحساب نتيجه طغيان عنصر الرجاء علي الخوف وهذا ناتج عن تلقي الأمر بنوع من الفتور ولذلك يخبرنا الله أن علينا أن نتلقي الأمر الإلهي بالجديه والاجتهاد وكذلك التنفيذ بدون تساهل وانك سوف تحاسب علي اعمالك فقال تعالي (الوزن يومئذ الحق)

وهذا يهدف إلي الآتي

المفهوم الاول

ابطال الموازين الارضيه التي تستند في وضع قيمه الانسان علي اساس النظر إلي مايملك من مال أو جاه أو سلطان حيث أن الوساطه و المحسوبية تلعب دور في محاسبه الشخص أو افلاته من الحساب ولأن البعض ينظر إلي موازين الله بنفس نظرته لموزبن الأرض ولذلك نري البعض يتصور أن منزلته من الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصالحين تعني أن له مكانه عند الله تجعله في مناي من الحساب

ولهذا يقول الحق (الوزن يومئذ الحق) وهو الحق سبحانه وتعالى فلا مجال للظلم وهضم الحقوق ولا محاباه ولامحسوبيه في الموازين الشرعيه فهو الحق سبحانه وميزانه الحق

فالميزان الشرعي الذي يوزن به حجمك عند الله هو العلم والعمل الصالح فهو تعالي يقول (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) ويقول تعالي (ولكل درجات مما عملوا وماربك بغافل عما يعملون)

وقال تعالي (اليه يصعدالكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فحجمك عند الله يكون بحجم العمل الصالح فهذا هو ميزان الله وهو يختلف عن موزان الأرض الذي يكون فيه الغني مبجل والناس ينصرفون عن الضعيف الانه بنظرهم لاحجم له ويتوجهون الي الغني لانه مبجل بنظرهم فميزان الأرض باطل أما ميزان الله الشرعي فهو الحق

المفهوم الثاني

أن استقرار هذه الحقيقه (الميزان الشرعي) في أعماق النفس الإنسانيه تعني امتلاك المسلم العقيده التي يكون فيها الفاعليه الايجابيه ويكون التنافس علي تنميه جوانب الخير في المجتمع المسلم ومحاصره جوانب الشر قال مالك بن دينار قلوب الابرار تغلي بأعمال البر وقلوب الفجار تغلي بأعمال الفجور) فأنت بحاجه الي تزكيه نفسك وان تتعاهد امرك بالمراجعه فاذا رأيت مكروها اصلحته وان رأيت أمر ا صالحا حمدت الله عليه فكانت عنايتك بذلك زياده او قربه ومن هنا ندرك التركيز علي اهميه أن تغزو فكره مطابقه موزانيك لميزان الشرع الاعماق الداخليه للنفس ولأن أول خطوه في الوسيطيه والاعتدال (الميزان الشرعي)يكون بتنقيه اوعيه النفس والقلب والعقل من اوساخ المقاييس والمعايير والموزين الارضيه بالشعور والاحساس أن السعاده الحقيقه تكمن بموافقه موزانيك لميزان الشرع ومطابقته له فالحسن ما حسن الشرع والعلم ما جاء به فجاء تعليق النجاح والفوز في الاخره بمطابقه موزانيك لميزان الشرع وان مخالفه ميزان الشرع يعني السفول والانحطاط والخساره والهلاك وهذا السقوط لانك اعتمدت علي ميزان ساقط عند الله فالله يقول في موضع آخر (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياه الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

المفهوم الثالث

أن استحضار العبد وتحركه وفق ميزان الله تعني ولاده قوه مانعه من ارتكاب الشر وتولد قوه دافعه لعمل الخير ولاتحس بالمشقه و التعب لانك تنظر إلي ما عند الله من ثواب فالمومن وقافا مع نفسه وليس حاطب باليل يقف مع نفسه ويطالع زوايا ضميره بعين حديده النظر نافذه البصر فالمراجعه مع نفسه هي شغله الملازم له فإذا راي في عمله أمرا محمودا حمدالله ورضي وان راي مكروها أدركه بحسن المراجعه والاستقصاء فيه فهو يسد الثغرات ولايسمح للعدو أن يتسلل الي كيانه ويختبي في زاويه من زوايا بيته وهو لايشعر لوجود الظلمه ولذلك فهو يحرص أن يكون معه سراج من العلم وضي واضح هو في يقظه دائمه لايغفل ويقبل النصح لانه مومن باليقين أنه يجد الخير الكثير في ميزانه يوم القيامه بصدق المراجعه ومبادرتها قبل أن تبرد عنها حلاوتها

يقول لك الحق عليك مراجعه نفسك وامرك فإذا لم تلحقه بالمراجعة فإنك ذاهب الي يوم القيامه فانتبه من التهاون في المعاصي و التساهل في ترك الفروض فأنت الخاسر في النهايه فلو علمت ذلك لكنت ممن يتفقد امره وعندها سوف تدرك ما دخل عليك من الندامه والحسره حيث فارقتك مافيه طاعه الله

الدرس الثالث

تهدف الآيات الي حث المومنين علي اعتمد الميزان الشرعي في وزن الأمور والمعاملات بأن تكون حياتك كلها وفق ميزان الله

وهذا الميزان حساس فالمومن إذا ارتكب معصيه أو حتي أخطئ في حق احد ولو بكلمه فإنه يصاب بالأرق ولايستطيع النوم لانه في يقظه يتخذ الاحتياط التي تمنع عنه الهلاك فهو لاينام حتي يعفو عنه من أخطئ بحقه لأنه يدرك أن مايفسد حياه العبد أكثر من التهاون باليسير فهو الذي يوقع في الإثم الكبير فالتهاون باليسير هو الأساس الذي يبني عليه الكثير فالأمر يبدأ بأمر يسير ثم يكون اكبر فلا يشعر حتي يجد نفسه حيث يكره فترك اليسير يوصل الي ترك الكثير وهذا يعني ضعف الارده والهمه وانكسار العزيمه وليس ذلك من أوصاف المومنين

وانما هو من أوصاف المكذبين الذين يشكون أنهم سوف يبعثون ولهذا فإن المومن يوزن كل أعماله وأقواله وفق ميزان الشرع لانه يري أن كل شي له وزن يوزن به متوقف عليه مستقبله وسعادته الابدايه فقال تعالي (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوايظلمون)

الأمر الأول

يريد الحق منك أن تدرك حقيقه ان كل قول أو عمل أو حركه تتحركها في هذه الايه لها وزن عند الله وهو مجازي به في الاخره ولهذا ذكر أن نهايه رحله الإنسان وسفره في هذه الحياه أحدي أمرين اما الفلاح والسعاده ..وأما خساره النفس والشقاء والذل والهون

وان ذلك متوقف علي الثقل الذي يوزن به الأعمال فقال تعالي (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون)وقال تعالي (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون)ومن هنا نفهم ان العمل له وزن

الأمر الثاني

تهدف الايه الي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر في المجتمع المسلم أفرادا ومجتمعات ودول حيث يفهم من تأكيد أن للعمل وزن أن المراد بهذا الوزن العمل الصالح الذي يودي الي اصلاح الأرض وهنا قد يقول قائل كيف يكون للعمل وزن وثقل ؟

أن اجمل ما قرات بهذا الشأن ماذكره النابلسي عندما طرح مثالا لذلك مطولا اذكره لكم باختصار لو أن شخص قام ببناء محلات ملاهي وأماكن الترفيهية وقام باسعاد الناس من خلال هذا المشروع وفي المقابل قام شخص باختراع القنبله الذريه أو النوويه التي تجعل الا مه قويه ايهما اثقل في الوزن العمل الأول ام الثاني لاشك أنه العمل الثاني حيث يكون تخليد الشخص لانه قدم الخير للامه

الأمر الثالث

تهدف الآيات الي القضاء علي كل مظاهر التنافس الذي يهدم الدول ويقوض الاجتماع بين أفراد الامه ولهذا يجعل التنافس بين المومنين والتسابق هو علي الاعمال الخيريه ومحاسبه النفس ولذلك فإن المومن شديد التحفظ فيما بقي من العمر ومواثبه الطاعه بـ الجد والاجتهاد مع رقه القلب وصفائه وطهارته لانه يري انه مسافر الي الله والدار الاخره ويري أن قيمه أعماله وثقل وزنها تتوقف علي عده امور أولها اولها النيه ولهذا فهو حريص علي تصفيه سريرته من الشوائب التي تفسد الأعمال فلا يطلب علي عمله الاجر الا من الله تعالي ولايبتغي به إلا وجه الله

والامر الثاني الذي يتوقف عليه وزن العمل الصبر علي احكام الله عزو جل والتسليم لأمور كلها في حسن الظن فأنت اذا اعتنيت بوالديك تري أن هذا الخير يثقل وزن اعمالك في الاخره وعندها تتلذذ بالطاعه وهذا يتطلب تلقي العهد بالقبول والارده والعزيمه لأن وزن الأعمال تتوقف علي العقبات التي تعترضه فكلما كانت اشد كان العمل اثقل ولهذا فإن هذا يعطي قوه دافعه للمومن لخوض الصعاب في سبيل الله فلا يبالي بالمشقه والمتاعب وبالتالي فإن ذلك يصنع الرجال وكذلك فأن مايثقل الأعمال في ميزان الحق هو الصوراف التي تقف في طريق العبد ولهذا فإنه لو فرضنا أن رجلا كبير في السن قد اصابه الكبر بحيث لم يعد لديه رغبه في النساء ولا قوه انتصاب ووجد امراه جميله تدعوه الي الرذيله فامتنع عنها لايكون امتناعه بثقل ما لو كان شابا لديه رغبه جماحه بالجنس وقوه قادره علي الجريمه فإنه إذا امتنع يكون اجره أعظم وأكبر ولهذا ورد في الحديث الصحيح سبعه يضلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فقال من ذلك شاب دعته امراه ذات منصب وجمال فقال إني اخاف الله

وكذلك فإن من تضخيم العمل في الميزان هو حجمه وعمق تأثيره بامتداده وامده باتساع رقعته وهذا واضح في الحديث الشريف اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث(ولد صالح يدعو له وصدقه جاريه وعلم ينتفع به)

فجعل الامتداد الذي له وزن للانسان يقوم علي الصلاح للولد الذريه اشاره الي اهميه تربيه الابناء علي الإيمان والاستقامه نظرا لان الإ نسان يحب الذريه لانه يري انه بذلك يمتد نسله

وكذلك جعل العلم النافع هو الامتداد الذي يحصل به استمرار هطول الحسنات الي ميزان الحق حتي بعد موت العبد وكذلك الصدقه الجاريه لأن ذلك يعبر عن قوه تاثير عمله وامتداده

الأمر الرابع

أن الموزين مستويات مختلفه ولهذا فان الايمان يزداد وينقص يزداد بالأعمال الصالحة وينقص بالمعاصي وهذا يرجع إلي اهميه مطابقه ميزانك لميزان الشرع فهو الميزان الذي يولد فيك قوه الاحساس فيكون تركيزك واهتمامك وبوعتك كلها تدور حول كلمه لا اله الا الله حاضره في عقلك وقلبك ووجدانك في كل الأوقات لأن زياده الحسنات تعني زياده الايمان

وان تقصد بها وجه الله لأنها إذا انصرفت لغير ذلك فإنها تضيع ولاقيمه لها وان كانت اعمال صالحه في مظهرها الخارجي

الأمر الخامس

أن من أهم ما يربي الحق سبحانه وتعالى المومنين بهذا القرآن هو الالتزام بميزان الحق والعدل في كل الاوقات ذلك أن التأثير الحقيقي بالشريعه ألحقه إنما يكون بحسن معرفه الحقوق وحسن استعمال ملكاتهم العدل والرحمة والإحسان بشأن حقوق بني جنسه حسب مرتباتهم ولهذا فإن المسلم يحذر ازدواجيه المعاييير فالدوله المسلمه تحترم العقود مع الأمم وان كانت كافره تحترم حريه الفكر والارده والعقيدة للإنسان وكرامته واختياره وهي أن امتلكت القوه والهيمنه علي العالم وهذا هو دورها القيادي التي اصطفاءها الله له فانه تتعامل مع الآخرين أشخاص وموسسات ودول بالعدل فلا تتكبر فالله يقول (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين لله فإن انتهوا ف لا عدوان الا الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام ...الخ

بعكس الدول المتغطرسه اليوم كامريكا فإنها تكيل بمكلين حيث نشاهد كيف أنها وقوي الغرب عموما اليوم انحيازت لإسرائيل وتقف في صف الظالمين الذين يقتلون العزل في غزه الذين وصلوا الي حوالي أربعين ألف شهيد ومائه الف جريح

في حين نسمع العويل لمقتل الف وخمسمائة صهيوني

ولهذا فإن القران يخاطب المومنين بأن عليهم التزام العدل والانتباه من ازدواجيه المعاييير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثاني من سوره الاعراف

بعد أن اختتمت النصوص في المقطع السابق بذكر نهايه رحله الإنسان وأنه ينتهي به المطاف الي الله والدار الآ خرة وان مصيره أما النجاح والفوز بالجنه وأما الخساره والهلاك بالنار تأتي ايات هذا المقطع تتناول عده امور متعلقه بوجود الإنسان علي الأرض وابتدااات النصوص بتناول مساله انعام الله وحقه علي الإنسان فقال تعالي (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

العلاقه بين الايه وما قبلها

ابتدأ ت ايات هذا المقطع بامتنان الله علي عباده بنعمه التمكين في الأرض ونعمه المعاش عليها بعد أن اختتمت الايه السابقه عليها بقوله (اولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون)

فدلت النصوص أن هولاء خسروا أنفسهم بالشرك فاستحقوا العذاب لأن الظلم يطلق علي الشرك لقول لقمان (أن الشرك لظلم عظيم) فارادت بهذا تذكير الإنسان بحق الله عليهم علي ما أنعم عليهم

والسوال هنا ماهو حق الله ؟

أنه بالوقوف علي حديث معاذ بن جبل قال كنت رديف الرسول صلى الله عليه وسلم علي حمار فقال لي أتدري ماحق الله علي العباد وما حق العباد علي الله قلت :- الله ورسوله أعلم

قال :_حق الله علي العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شئيا وحق العباد علي الله أن لايعذب من لايشرك به شئيا

قلت يارسول الله افلا ابشر الناس

قال لاتبشرهم فيتكلوا)

ولهذا نجد أنه تعالي بعد بيان نهايه الظالمين بالعذاب بسبب أعمالهم القبيحه يقفي ذلك بذكر انعامه علي الإنسان (نعمه التمكين __ونعمه المعاش)

فهو سبحانه وتعالى يقول لك ايه الإنسان انك تعيش فوق أرض خلقها الله وتتنفس من هواء صنعه الله وتشرب مياها انزلها الله وتاكل مما صنعته يدالله وتكلاه عنايته وتعيش علي نعم ساقها الله اليك

فلا يوجد احد يزعم أنه اوجد هذه الأشياء وخلفها ولايوجد من يدعي أنه المسؤول عنها

يقول الحق أنه لم يكلف الناس شيئا كبيرا علي انعامه فجعل حقه هو التوحيد تعبد الله ولاتشرك به

ولم يرتب عطاءه للناس وانعامه علي مساله إيمانهم وكفرهم فهو يعطي المومن والكافر فلم يحرم الكافر من عطاءه لأنه يريد توحيدا صادرا من اردة حره ولهذا اختتم الايه بقوله (قليلا ما تشكرون)

الأمر الثاني

(مامعني التمكين ...ومن هو الممكن)

التمكين تعني التمليك والتسلط والقدره علي تحصيل اسباب السعاده اي أن تكون في مكان مكين اي ثابت ومستقر

فالله جعل الأرض صالحه ليعيش فيها الإنسان جاهزه خاضعه له فلم يجعلها مستعصيه ممتنعه علي من أراد شي منها فجعلها بساطا وفرشا هياها للإنسان بحيث يتمكن من البناء عليها وحرثها والانتفاع بها

ولهذا سمي الإنسان ممكن في الأرض لأن الإنسان وحده الذي احتل هذا الكوكب وسيطر عليه بدون أن يزحزحه أحد من الكائنات الأخري لاحيونات ولا جماد ولاجن ولا غيرذلك

ولهذا فإن قوله تعالي (ولقد مكناكم في الأرض)

يعني ان الحق يمتن علي عباده بنعمه التمكين لهم في الأرض لانه فاضافه التمكين لله يراد بها الامتنان كما يقال مكنتك من كذا اي أعطيتك المكان بحيث لاينازعك أحد فيه فاالله مكن الإنسان في الأرض وجعله سيدا علي سائر المخلوقات في الأرض ومميزا عليهم لأن التمكين أن تكون في مكان مكين لايستطيع احد أن ينال منك ولهذا فإن الإنسان عندما يكون في مسكنه وبيته يقال إنه في مكان مكين ولهذا فإن الايه تشير الي نعمه المسكن في اشاره الي أن الأرض جعلها مسكنا للإنسان وسائر المخلوقات يقومون بخدمته ولهذا نجد التناسق بين النصوص حيث عطف علي نعمه تجهيز المسكن نعمه المعاش فقال تعالي (وجعلناكم لكم فيها معايش)

فلم يبين لنا ههنا الكيفية لهذه المعايش التي حصلت لنا في الأرض

ولهذا فإن الحق يريد منك أن تنظر إلي نفسك لتشاهد مظاهر التمكين التي أودعها الله في نفسك وفي الأرض ؟

من جعلك تمشي علي قدمين ومن جعل فيها هذا التوازن الذي يجعلك قادرا علي الحركه والمشي في الأرض ثم انظر الي سائر الأعضاء التي جعلها الله مخلوقه لوظيفه محدده لايتحقق ثم انظر الي العقل الذي اختصك الله لتقوم بالعمران علي الارض

ثم عليك أن تنظر إلي الأرض وتقارن حجمك معها لتسأل نفسك

من الذي جعل الأرض مسخره للإنسان ؟ ومن الذي أودع فيها هذه الخصائص التي تمنح الإنسان الحياه عليها ؟ من الذي أوجد فيها الهواء الذي يتنفسه الإنسان بهذا الوزن للذرات فيه من الذي أوجد فيها أسباب الرزق والمعاش من الذي هياها لتكون صالحه ليعيش عليها الإ نسان ؟

من المسؤول عن حركه الشمس والقمر ودوران الأرض بحيث يكون تحقيق سعاده الإنسان ولهذا عطف بعد نعمه المسكن بنعمه المعاش (وجعلنا لكم فيها معايش)

وهو سبحانه لم يبين لنا هنا الكفييه التي حصلت لنا بها هذه المعاش في الأرض لانه تعالي قد أخبر نا بمواضع أخري عن ذلك فقال تعالي (فلينظر الإنسان الي طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فانباتنا فيها حبا عنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهه وابا متاعا لكم ولانعامكم) وقال تعالي (أو لم يروا انا نسوق الماء الي الأرض الحرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وأنفسهم أفلا تنظرون)

اي أسباب الرزق فمن الذي أوجد الأرزاق بحيث تضع في باطن الأرض الحب فينتج اضعاف مضاعفه من المسؤول عن هذه الأسباب و النواميس التي تتحرك بها الأرض من الذي ارشدكم للتعامل معها

والاجابه علي هذه الاسئله أمر مهم ومتعلق بالمقصود والمراد من الوجود الإنساني علي الارض للاتي

المساله الاولي

أن الاجابه علي الاسئله تعطينا جواب لأمرين هما في غايه الاهميه وعليهما يتوقف المقصود من استخلاف الإنسان

الأول :-

تسخير التعريف حيث أنه يعرف الإنسان بربه لأنها تدل علي رعايه الله وعنايته ولطفه وقدرته وحكمته ووحدانيته والتذكير بنعمته وإحسانه والسير إليه والاستعداد للقائه والقدوم إليه فأنت سوف تحاسب علي كل ما أنعم الله به عليك

تعلم أن كل جزء منك وكل عضوا وكل ملكه من ملكاتك مخلوقه لغايه وهدف وهي معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده

لأن الرب يدعو عباده الي معرفته من طريقتين أحدهما النظر في مفعولاته والثاني التفكر والتدبر في آياته ولهذا فإن الأفعال تدلك علي الخالق فمعولاته من أدل الاشياء علي صفاته وصدق ما أخبرت به الرسل عنه تعالي ولهذا فإن الآيات المرئيه ثابته وكذلك الآيات المسموعه لقوله تعالي (سنريهم اياتينا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق)

الثاني

تسخير كوني :ـ

انه تعالي أرشد الإنسان الي كيفيه التعامل مع الحياه ويسر له المعرفه التي سلمه مفاتيحها فالإنسان مخلوق لعباده الله وتعمير الأرض ولهذا فعليه أن يعرف ان الانسان والكون والحياه كلها تخضع لسنن ونواميس وقوانين فالحياه بكل ما فيها لايمكن فهمها ولا التعرف علي أسبابها أزماتها ومواطن إصابتها الا بعد إدراك هذه السنن التي هي أشبه بمعادلات رياضيه مقدمات تورث نتائج كما لايمكن التعامل معها دون استعياب هذه السنن وامتلاك القدره علي تسخيرها

المساله الثانيه

تهدف الايه الي ازاله كل العوائق التي تمنع من الإيمان بالله فيقول لهم الحق أن الله اوجدكم في الأرض وجعلها مكانا ومسكنا لكم وتكفل سبحانه وتعالى يرزقكم ولهذا فإن ذلك يوجب عليكم حب الله تعالى وعبادته وحده لاشريك له فكيف يكون منكم الشرك بالله وطلب العون من المخلوقات وانتم تعلمون أن الله الرزق فجاء ذكر المعايش لأن الرزق من أسباب قوه الحب بعد ذكر الاخره والحساب و العقاب فأراد بهذا أن لايكون في قلب العبد حب غيرحب الله وان لايخاف العبد الا الله يقول له ما الذي يجعلك تشرك بالله وانت تعرف أن كل شي بيد الله لماذا لاتلجاء الي الله عند الحاجه

المساله الثالثه

لابد أن تعرف اهميه التكامل في الحياه بين دورك ودور الآخرين فالاجتماع يتطلب تكامل الأدوار فالله جعل الأرزاق في إطار دائره حيث نجد انه تعالي يهيئ الأسباب والمسببات فأحيانا نري شيئا ما بأنه سببا ضارا ويجعل الله منه خيرا كثيرا حيث نجد مثلا أن حادث السياره أمرا قد يكون مصابا لفلان من الناس لكن ذلك يعني أنه مصدر رزق للسمكري والأطباء وايضا فإن الحشرات التي تأكل المحاصيل الزراعية تمثل افه بنظر الكثيرون لكن ذلك لايخلوا من توفر سبل الأرزاق حيث نجد أنه يعيش منها تاجر المبيدات والمهندس والعامل الذي يقوم بضخ المبيدات وبالتالي كم من الناس يعيشون مع وجود الحشرات الضاره بالمحصولات الزراعيه

المساله الرابعه

أن هذا فيه عدم جواز احتكار المال فلابد من تشغيله بحيث يتحرك ويكون انتفاع الناس من حركته فهو مال الله وجعله الله لأجل أن يعيش الناس وهذا لايكون إلا في حركه المال وبدون ذلك يعني توقف الحركه وبالتالي حرمان الناس من أهم مصادر المعاش

المساله الخامسه

عليك أن تحذر من التدين المغشوش الذي أوجد اشكاليه في فهم البعض للدين اليوم بأنه يعني أنه تعالي خلق المسلمين للعباده بمفهومها الضيق الصلاه والصيام والجلوس في المساجد ومنح الآخرين امكانيه النظر والتفكير وبلوغ الصناعات وإتقان تدبير الحياه ليكونوا في خدمه عباده المومنين به يعالجون قضاياهم ويدبرون ازماتهم ويقومون نيابه عنهم في عماره الأرض ليتفرغوا هم لعباده الله فهذا التفكير لأصله له بالدين لانك مكلف بعباده الله في عماره الأرض وانما هذا يعود إلي ازمه كامنه في الذهنيه والثقافيه المغلوطه عن الدين والفهم السقيم للايات فتصورا أن أمر كشف السنن والايات والدلائل موجه للكفار وان الله سيريهم آياته وسننه في الآفاق وفي أنفسهم ليقودهم ذلك الي الايمان ولهذا فإن امتنان الله علي عباده بالمسكن والمعاش فيها توجيه الأنظار لاياته المرئيه وحث المومنين للسعي الي امتلاك هذه المعرفه فهي من مقتضيات الايمان ولوزامه ولهذا قال تعالي (قليلا ما تشكرون)

الأمر الثالث

يريد الحق منك أن تشعر بضعفك وافتقارك وحاجتك الي الله تعالي ولهذا نسب التمكين له تعالي لتنبيه الإنسان أنه ضعيف فالتمكين بقدره تعالي سواء كانت تلك التي تحصل بما خلق الله من أشياء أو تلك التي تكون بعمل الإنسان فالجميع من فضل الله فالواجب أن لا تغيب هذه الحقيقه عن أنظارنا ابدا بأن هذا التمكين هو بقدره الله تعالي فكل شئ يتحرك وفق اراده الله تعالي لانه تعالي خالق الكون وكل شي فلا أحد منا يستطيع أن يدعي أنه هو الذي يتحكم في حركه الشمس أو يدعي أنه خلق الماء أو الطعام والشراب أو الهواء فكل شئ مسخرةبقوه الله وقدرته

وهذا يعني أن نشعر أننا نحن الفقراء وان الله هو الغني فنحن محتاجون لله في كل الأوقات

الأمر الخامس

يريد منك الحق أن تعرف النعمه وقدرها وتعرف المنعم سبحانه وتعالى وتحقق الغايه والهدف من وجودك ولهذا يقول لك الحق أن هذه النعم من وسائل تحقيق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض يقول لك انك انت المخلوق الاول وقد مكنتك في الأرض وجعلتك سيدا علي سائرا المخلوقات وجعلت لك سبلا تكسب بها رزقك وانت في هذا السبيل في امتحان واختبار تمتحن هل تصدق ا م تكذب تنصح ام تغش يقول لك انتبه من أن تنشغل بالنعمه عن المنعم ولهذا يقول لك الحق لاتنسي أن ما أنت فيه من نعم هو من الله فاول أمرا يجب عليك أن تشعر بقدر النعمه وان هذه النعم هي من الله عليك وان هنالك واجبا علي هذه النعم لأن الذي لايعرف قدر النعم ولايودي شكرها مهدد بزوال النعم الذي هو فيها والغاني عليك أن تعرف أن هنالك منعم انعم عليك بهذه النعم سواء مايحصل بدون اسباب منك او تلك التي تأخذ بالاسباب للحصول عليها فعليك أن تدرك أن ذلك كله من فضل الله وإحسانه فالواجب عليك شكر من جهتين

معرفه المنعم المتفضل عليك بما يجعلك تري جماله وجلاله وكماله وعظمته وهذا يعني أن تومن بالله وهو ما يوجب أن تشكر الله وبهذا تحقق الغايه من وجودك بأن تعرف الله وتحبه فأنت حين تومن بالله وحين تشكر ربك يعني أن رده فعل معرفه المنعم أن تومن ورده فعل هذا التكريم أن تشكر الله فإذا امنت وشكرت فقد حققت الغايه من وجودك

عليك أن تكون صاحب رساله في كل الأوقات تري حسن الله وإحسانه وكماله وعظمته فتومن به تعالي وتشكره لانه تعالي هو المنعم وهو الذي منحك كل هذه النعم وان نعم الله لاتعد ولاتحصي

ولهذا فإن شكر الله بمعرفته ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته يعني معرفه اسماءه وصفاته تعالي ومعرفه الطريق الموصل إليه ومعرفه الآفات وأمراض النفس وعلاجها ثم بعد ذلك أن تكون صاحب همه عاليه وارده قويه لتكون قائما بواجب النعم وهذا يتطلب اكتمال القوي العلميه النظريه والقوي العمليه التطبيقيه

فاكتمال القوي العلميه النظريه يكون بالتامل في الكون وتدبر ايات الله

واكتمال القوي العمليه يكون بمحبه الله تعالي وطلب عونه تعالي علي الدوام تذكره في كل لحظه لانك تعيش علي انعامه فأنت اذا بدات بالاكل تقول باسم الله واذا انتهت تقول الحمدلله واذا اردت جماع زوجتك تقول اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا واذا اردت دخول الحمام تقول اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث وعندما تخرج تقول الحمدلله الذي أذهب عني الاذي وهكذا لاتنسي ذكر الله وشكره ولهذا قال (قليلا ما تشكرون)

والمراد بهذا أن تعتز بانك عبدا لله وان تفتخر أن لك ربا هو الله ولهذا فإن واجب الشكر أن تذعن لله وتتذلل له وتحبه وتعبده لاتمل من ذلك لانك تشعر انك محتاج له في كل الأوقات واياك والمعاصي فإنها اذلت عزيز كان قبلها واهانت من كان عزيزا لأنه رفض أمر الله (ابليس) فقد نفع الملائكه عز السجود ولم ينفع ابليس عز النسب فالانكسار امام الله هو السبيل الوحيد للعز

القسم الثاني

بعد أن تناولت النصوص ماحظي به الإنسان من انعام الله بنعمه التمكين ونعمه المعاش تنتقل النصوص الي نعمه خلق الانسان فقال تعالي (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين

وهذا فيه

اولا

ابتدأت الآيات بلفت انتباه المخاطبين الي نعمه خلق الانسان وتصويره عطفا علي ذكر نعمه التمكين والمعاش والخلق تعني الايجاد والا نشاء من العدم والتصوير تعني إعطاء الصوره والخصائص التي اختص الله بها الإنسان وجعله افضل واكرم المخلوقات فذكر امره الملا ئكه بالسجود لادم فقال تعالي (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكه اسجدوا لادم) ثم ذكر بعدها قصه العدواه بين ادم وإبليس و

بالوقوف علي هذه الايه نجد الآتي

المبحث الأول

لماذا نجد ايات القرآن الكريم تتناول قصه نشاه البشريه ونعمه خلق الإنسان (ادم) وتكريمه بعد ذكر خلق الأرض وتمكين الإنسان منها وتوفير الأرزاق للإنسان ؟

الجواب :ـ

لأن الأرض والكون وجميع المخلوقات خلقت قبل الإنسان فقد كان أول مخلوق هو القلم ثم خلقت السموات والأرض وكان الإنسان (ادم) آخر المخلوقات ولهذا فإن عطف خلق ادم وتكريمه علي خلق الأرض وجعلها جاهزه لسكن الإنسان عليها تهدف إلي مخاطبه العقل البشري لينطلق في نشاطه علي الارض من خلال فهم الأمور في الحياه وفقا لمنهج الله الذي حملته تعاليم الله للإنسان عبر انبياءه فعليه أن يدرك انعام الله عليه حيث هياوجهز له الأرض (الدار) قبل أن يخلق ادم ليسكن

وكذلك فإن تقديم خلق الأرض فيها بيان مظاهر التمكين وتسهيل المعاش فكان الحق يقول لك انظر الي فضل الله وإحسانه وكرامه عليك فقد هيا لك مافيه تلبيه حوائجك ومصالحك معاشك وأسباب حياتك قبل أن تكون حاضرا وقبل أن ترفع راسك

فأراد بهذا أن يعرف الإنسان مركزه في الكون يقول له انك الغايه التي خلق لأجلها السموات والأرض فالانسان خلاصه الوجود كله وثمرته ولذلك ربط خلق الكون بخلق الإنسان بأنه محكوم بعنايته تعالي وتصويره سبحانه له فأراد بهذا اظهار شرف الإنسان وفضله علي سائر المخلوقات فكان خلقه آخر الموجودات فأراد بهذا أن يبين للانسان أنه مخلوق مكرما علي سائر المخلوقات في الأرض وأنه مستخلف من الله محفوفا بالرعاية وتهئيه المخلوقات لخدمه الإنسان

فإن هذه الحقيقه تقرر أن الله شرف الإنسان وفضله علي سائر المخلوقات وتقرر (سياده الإنسان علي الكون) بتسخير الله الكون له

وهذا التكريم يتطلب من الإنسان :ـ

شكر وتبصر لمعرفه ماهو الأمر الذي من أجله كان التكريم

عليك أن تسأل نفسك لماذا خلقت علي هذه الهئيه وحسن الصوره ولماذا سخر لخدمتي هذا الكون

ولهذا نجد أن القرآن عندما يتحدث عن خلق الكون وتسخيره لخدمه الإنسان يربط بين مساله تعريف الإنسان بمركزه في الكون (أنه السيد الذي سخر الله له الكون) وبين مسوولیته عن هذا المركز ومدي تحقيق مهمته فإذا لم يقم بأداء ما كلف به فإنه بذلك لم يفهم دوره وبالتالي فان هذا الأمر يتطلب معرفه دورك في الكون ولهذا اختتمت الايه السابقه (قليلا ماتشكرون)

فانت مخلوق منحك الله هذا التمكين والتكريم بتسخير الكون لخدمتك وخلقك علي هذه الهئيه وحسن الصوره وربط ذلك بالمسؤولية

عن قيامك بأمر الله والخلافه وفق منهج الله ولتقريب معاني الرعايه الالهيه للإنسان وبيان مركزه في الكون ذكرت الايه بعدها الحديث عن خلق الانسان وتصويره علي احسن صوره والأمر للملائكه بالسجود لادم فإن ذلك التكريم يوجب الشكر ويقضي بالمسوولیه

ولهذا قال تعالي (قليلا ما تشكرون)

لذم من لم يعي المقصود من التكريم ويفهم الصله بين التكريم والمسؤليه

الأمر الثاني

أن الحق يريد منك أن تنطلق في الحياه من خلال الوعي للمقصود من التكريم فهم الصله بين التكريم والمسؤليه فالكون مجبور لا ارداه له وهو يعبد الله بقيامه بأداء وظيفته كما أمره الله وكما أراد الله اما الإنسان فإن له اراده واختيار ولهذا فإن الكون لايحاسب أما الإنسان فهو مسؤولا عن اختياره

فالإنسان إذا عليه أن يجعل أردته خاضعه لاراده الله طوعيه

عليه أن يجعل حركته منسجمه مع حركه الكون وهذا يتطلب اخراج الانانيه من داخله ليكون تفاعله مع ذاته ومع الكون موافقا لمراد الله لأن التجاوز في ذلك يعني حدوث الاضطراب في حركه الإنسان وإفساد الأرض ولهذا فإن الإنسان بحاجه للمنهج الذي يحقق الا نسجام في حركته ولهذا يقول الحق له أنه تعالي خالق الكون وخالق الإنسان ولهذا فإن دليل العنايه يوجب معرفه الله ومحبته فقد أراد الله أن يكون الإنسان سيدا علي الكون يبدع فيه ويخترع وينشي ويظهر أسرارها ليكشف الله للإنسان ماغاب عن الإنسان عن ربه فعندما ينظر إلي الكون يشاهد كيف أن الله سخر له ما هو اكبر منه (السموات والأرض)

وأعظم منه (الانعام) فإن هذا يجعله يدرك أنه لا اكبر من الله ولا أعظم من الله يجعله يدرك أنه تعالي معه أن التزم أمر الله ينطلق في الحياه وهو شاعرا بالمسؤولية الملقاة علي عاتقه فينظر أن تهئيه الحياه له وتسخيرها لمنفعته وتمكنيه منها هو لأداء دوره الذي خلقه الله من أجله

الأمر الثالث

أن عليك أن تدرك أن تكريم الوجود الإنساني مع عدم اختيار الوجود الكوني يكفل لك أن تحافظ علي مقامك وكرامتك وبما يجعل حياتك قائمه علي هذا التكريم اذا ربطت ذلك بالمسوولیه التي أوجبه هذا التكريم للإنسان وبالتالي فإن اللازم عليك أن تدرك أنك مسؤؤ لا لأن ما زوك الله به من ملكات إنما هي اشياء تقتضاها الوظيفه التي كلفت بها فقد اعطاك الله هذه الهيئه التي خلقك بها اعداد منه لما يتناسب مع الوظيفه التي خلقك لأجلها فقال تعالي (لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم) وقال تعالي (وصوركم فأحسن صوركم)

وهنا لابد أن تعرف ماهي مسوولیتك وحدودها ؟

انه بالنظر الي حديث القران عن المسؤوليه وما عبر عنها نجد الآتي

/١

أنه تعالي ذكر أن مناط التكريم الإنساني متوقف علي أداء الإنسان لما كلف به (الخلافه)

ولهذا نجد القران يركز علي اعداد الخليفه بما يجعله اهلا ليكون خليفه ويحذر من الخروج عن منهج الله والقيم والمبادئ التي فيها طهاره النفوس واتصال الروح بربه فهذا كله من أجل الحفاظ علي كرامه الانسان فالله كرم الإنسان من أجل الخلافه فهو تعالي قال (اني جاعل في الأرض خليفه) فوجود الإنسان علي الأرض مقصود من قبل أن يوجود الإنسان وهذا لايتحقق الا بالتزام منهج الله ولهذا ذكر بعدها خلق آدم وتصويره وسجود الملائكه له تكريما واحتراما وذكر ما كان من ابليس للتحذير من ابليس واتباعه

٢

ذكر الحق المسوولیه (العباده) فهي الغايه التي خلق لأجلها الانس والجن ولهذا عندما تسمع كلمه (خلقناكم) فعليك الإنتباه الي

المسؤوليه عن وجودك وهي عباده الله لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

ولهذا نجد تركيز القرآن علي مساله تحرير الإنسان من استعباد الناس أو الطبيعه أو غيرها ويبين أن الإنسان سيدا علي الكون كله ليكون عبدا لله

٣

الامانه

لقوله تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والأرض فابين أن يحملنها ....الخ

فامانه الدين ونشر الخير مسؤوليه كلف به الإنسان وهو يعبد الله بذلك لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ...الخ

ولهذا يفهم أن المراد بالمسؤوليه ان يكون نشاط الإنسان كله متجها الي الله تعالي فلا يخرج عن منهج الله ولهذا فإن المسلم يري أن عزته هي أن يكون عبدا لله فقد أخرج من نفسه أصنام الأهواء والانانيه والتعصب والتفاخر والكبر بلباس الذل لله والاعتزاز بالله ولهذا فهو ينظر إلي الناس بعطف ويتحمل مسولياته بالسعي الي تحقيق الهدف الذي خلق لاجله

فالمسلم ينظر لنفسه أنه مسؤول عن رفع الظلم عن المظلومين يري انه مسؤول عن الالم الجوعي واليتامي والمستضعفين فدائره مسؤولياته تتجاوز ذاته أو أقاربه فهو يبذل جهده طالما أنه قادر علي رفع معاناه الناس وان لم يكونوا مسلمين ابتغاء وجه الله واستشعار منه لواجبه ومسؤولياته بحدود طاقته وقدرته لقوله تعالي (لايكلف الله نفسا إلا وسعها)

المبحث الثاني

لماذا نجد أن قصه خلق آدم كررت في القران في البقره وطه والأعراف ؟

الجواب :ـ

أن التكرار في القصص وبالذات قصه ادم ليس عبثا ولكن هذا يعود لعده اغراض منها أن كل سوره تتناول الموضوع من زوايه معينه ففي سوره البقره تناولت القصه في إطار التعريف تناول قواعد بناء دوله الموحدين ونظرا لأن هنالك قضايا مصيرية واساسيه واي خلل فيها يشكل خطراً بترتيب عليه ضياع الإنسان لأنها مرتبطه بمستقبله وسعادته وشقاوه

ولما كانت المعركه هنا متعلقه بالهدف والغايه من الوجود الإنساني علي الارض وهذا الهدف يتوقف عليه سعاده الإنسان أو شقاوته نجد النصوص تكرر ذكر هذا الأمر لأجل أن يجعل الهدف امنيه الجماهير وهذا يتطلب تعريفهم بالهدف وبيان منافعه واضرار الخروج عنه ولهذا يقول الحق لك أن تكريم الإنسان مرتبط بمعرفه هذا الهدف وهو معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده وحمل امانه الخلافه فأراد تحويل هدف (شرف الخلافه) من امنيه الي عقيده تحيا عليها الجماهير من خلال اظهار كفاح الرسول صلى الله عليه وسلم ونضاله في دعوه الناس الي عباده الله حتي يدرك الناس أن هذا الهدف هو امنيتهم لأجل أن تتحول الامنيه بعد ذلك إلي عقيده شعيبه يحيا عليها الناس ويموتون لأجلها

ولما كان الهدف حقيقه كسائر الحقائق ذات اثرين فهنالك ظروف ينفع فيه الهدف ويكون له تأثير وهنالك ظروف مناقضه يضر منه البعض ومن هنا فإن مجالي الحقيقه لها مواقعين وبحسب موقع الإنسان من أحد مجالي الحقيقه يكون الاستجابه أو الرفض ولهذا ينقسم الناس الي منتفعون يدافعون عن الهداف وآخرون متضررون منه ويقفون ضده ولذلك لما فإن اهل مكه قالوا لتبرير مقاومتهم للإ سلام (أن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا)

ولهذا فإن الذي يدافع عن الهدف كالذي يقاومه لأن لكلا منهما وجهه نظر من الموقع الذي يتأثر به وبحسب مدي فهم كلا منهما للهدف واحاطته به من جميع جوانبه ولذلك ترسم لنا الآيات نموذجان الملائكه نموذج الطاعه المطلقه الذين اطاعوا أمر الله وسجدوا لادم

سجود تكريم لا عباده تنفيذا لأمر الله ونموذج العصيان والاستكبار هو الشيطان الذين رفض أمر الله

ثم ترسم لنا الآيات المعركه بين الحق والباطل من خلال محاوره الشيطان عن أسباب امتناعه والذي يظهر فيه مقاومته للهدف ويظهر تمسكه بمواقفه مبينا أن هذا الهدف سوف ينقسم المكلفون من الانس والجن حوله وينشأ الصراع الفكري بين الذين يويدون الهدف وبين الذين يرفضونه وهذا ما نراه في واقعنا حيث نشأهد الذين يؤيدون الهدف يقومون بتعريف الناس به ويشرحون جوانبه ويفسرون اثاره الايجابيه لكسب حب الناس له وتايدهم وان الذين يعارضون الهدف يحاولون طمس معالمها وتزيف طبيعته وينفرون الناس من القبول به كي يضلوا الناس ويبعدوهم عن فهم الهدف حتي يثروا ضده

فمعركه الهدف إذن تبدأ بمعركه معرفه معركه شرح وإيضاح وتفسير ثم تكرار الشرح.والايضاح والتفسير والمناظره تستمر مع أعداء الهدف فالتكرار اذن حتي لاينسي الناس الهدف وهذه هي بدايه كل رساله فقد خاض الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه الوحي و الصحابه معركه المعرفه يرتلون القران ويشرحون ويناظرون ويرتلون ويشرحون ويناظرون حتي استوعبت الجماهير دينها الجديد وأدركت أنه يمثل أمانيها فاتخذته عقيده تحيا عليها أو تموت دونها

ثانيا

لماذا عبر عن خلق نفس ادم وتصويره بخلق الكل وتصويرهم تنزيلا لخلقه وتصويره منزله خلق كل بني ادم وتصويرهم وجاء ذلك معطوفا علي ذكر نعمه التمكين والمعاش ؟

لأن المقصود من خلق آدم وتصويره تعمير الأرض باولاده فكان خلقه بمنزله خلق أولاده فجاء إسناد ضمير الجمع مجازا فأريد بهذا

الأمر الأول

اان يعرف الإنسان حقيقته والغايه والهدف من وجوده علي الارض من حيث أنه مقصود من خلقه وتصويره وأمر الملائكه السجود لادم سجود تكريم واحترام بعد أن اختتمت النصوص في المقطع السابق بذكر الحساب والعقاب فقال تعالي (الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون) بان هذا التكريم مقصود لعمار الارض وفقا لمنهج الله ليكون انطلاق الإنسان من هذه المسؤوليه عن هذا التكريم من فهم مستلزمات وصفه خليفه لأن القصور في الفهم لأن البعض فهم حقيقه الإنسان من جهه التكريم فقط دون المسؤوليه فكان تركيزه في انطلاقه من ذاته هو إذ فهم أنه المخلوق الذي ذللت له الصعاب وهيت له الحياه ولم يفهم أنه مسؤولا عن هذا التكريم فهو لم يسأل نفسه لما ذا خلق علي هذا النحو الذي جعله مفضلا علي سائر المخلوقات لم يسأل نفسه لماذا سخرت لي جميع الكائنات

ان الإنسان يجهل حقيقته ومهمته ولذلك نجد كلما تقدم الحضاره الماديه ازداد الانحطاط ولهذا نجد أن الإسلام يركز علي تعريف الإ نسان بأنه مخلوق متكامل فهو حظي بالتكريم

ما التزم بمسؤوليته وهذه المسؤوليه تمثل جوهر حقيقه الإنسان وهي محل التكريم فمن خالف منهج الله فقد فقد شرفه ولهذا فإن انط لاق الإنسان من هذه الفهوم يعني أنه يعتز أن له ربا هو الله يعتز بعباده الله فلا يمل من طاعه الله بل يجد فيها اللذه لانه يري أن ذلك هو شرفه وعزته ولهذا قال تعالي (ثم صورنكم ثم قلنا للملائكه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين)

وقد ورد عن ابن في تفسير الطبري انه لما صور ادم القاءه تعالي علي باب الجنه اربعين سنه لان دأب المحب أن يقف علي باب الحبيب وقد رمي به في طريق الذل فقال تعالي (لم يكن شئيا مذكورا) لئلا يعجب بنفسه عندما يسجد له

ولهذا فإن القصه تهدف إلي لفت الإنتباه أن منزله الإنسان ومكانته وكرامته تكون بطاعه الله والسجود لله هو العز فقال تعالي (اسجدوا) يقول انتبهوا أن ترتكبوا المعاصي فإنها اذلت بفعلها من كان قد جمع هو الملائكه في مقام فقال له تعالي أخرج منها

الأمر الثاني

أن حمل الامانه يتطلب المعرفه فالعلم بالماده وخالق الماده يعني أن تحمل امانه الخلافه عماره الأرض والعلم بخالق الماده أن يكون ذلك وفقا لمنهج الله

فالإنسان هو العالم وبصلاحه يصلح العالم وبفساده يفسد العالم وهذا إنما يكون باتباع منهج الله فالله عندما يقول لنا (ولقد خلقناكم) فمعني هذا أنه يريد منا أن نطيع أمر الله فهو يقول لنا لماذا تخرجون عن الأهداف حددتها لكم فانتم مخلوقات ولايحق لكم أن تضعوا لأ نفسكم أهدافا لحياتكم أو تصنعوا لأنفسكم منهجا فالخالق هو الذي له الأمر وله أن يحدد لكم ما تعملون والأهداف التي اوجدكم لأجلها ولهذا فعليكم أن تطبقوا تعليماته ففي ذلك أسباب السلامه والنجاه لكم

ولهذا فإن التكرار لهذه القصص لأنها متعلقه بهدف المقصود من الوجود الإنساني وهذا الموضوع هو الذي ترتبط به سائر الأهداف و المواضيع الأخري والخطاء في هذه الخطوه يترتب عليه الخطاء في ما يلحق ذلك من خطوات فإنها تعني السير في طريق معوج ف الخلل في هذه المعرفه أمر في غايه الخطوره يترتب عليه ضياع الإنسان فالموضوع مرتبط بمصير الإنسان ومستقبله وسعادته أو شقاءه وتعاسته ولهذا فإن القضايا المصيرية تتطلب التكرار لترسخ في العقول والافهام فلا يمكن أن تقول لابنك اجتهد مره واحده في عمره فلابد أن تكرر ذلك في كل وقت وكل مناسبه في المسائل الاساسيه ولهذا فالإنسان بحاجه الي معرفه سر وجوده بحاجه لمعرفه لما هو في هذا المكان بالضبط اي الأرض ولماذا هو في الدنيا ولما سخرت له الكائنات كلها

ولهذا فإنه اذا عرفت سر وجودك وسر هذا الاختيار للإنسان والاصطفاء فإن ذلك يجعلك تتحرك وفقا لمنهج الله

ثالثا

تبين النصوص اول صراع بدء في التاريخ بين الحق والباطل بين الخير والشر بأنه لم يكن قائما علي اساس الإلحاد والكفر بوجود الله أو إنكار الاعتقاد بربوبيته والوهيته وانما كان ناتجا عن رفض امتثال أمر الله فقال تعالي (ثم قلنا للملائكه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين)

فذكر ربنا تعالي أنه اختص الإنسان بخصائص ميزه علي سائر المخلوقات واهم هذه الخصائص (تعليم ادم الاسماء كلها) حيث علمه اسماء كل شي متعلق بخلافته من اسماء الأنهار والبحار والمحيطات والجبال والمعادن وكل شي وعلمه اسماء الله وصفاته تعالي اي اسماء الماده وخالق الماده وهذا ما يجعله قادرا علي التعامل مع سنن الكون وتعمير الأرض وكسب عيشه ومعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده

٢/التسويه بيد الخالق بأن جعل الإنسان مخلوق له هئيه جميله فقال تعالي (لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم)

وايضا اعطاءه ملكات تستطيع أن تقوم بواجب حمل امانه الخلافه والاسماء

/٣

النفخ في الروح وهذا يعني أنه مخلوق من جانب ارضي وجانب سماوي فالارضي الجسد من الطين والسماوي هو الروح الطاهر

ولهذا فإن الإنسان بهذا التقويم الذي خلق عليه أما أن يكون في منزله اعلي من الملائكه وأما أن يهبط الي أسفل السافلين فالتكريم مرهون بالمسؤولية فهو أن انطلق من هذه الزوايه بأن كرامته تكمن بامتثال أمر الله والقيام بواجب الخلافه فإنه محافظا علي ما خصه الله به من تكريم

ولهذا فإن اللازم عليه أن يحذر الأعداء المتربصين به لأجل أن ينزعوا عنه لباس ودرع الكرامه (التوحيد) والشكر ليكون عرضه للسقوط والهبوط الي أسفل السافلين

والحذر من الأعداء يعني أنك لابد أن تعرف منهم الأعداء لانك إذا لم تعرف عدوك فمعني ذلك أنك لاتملك القدره علي الاحتياط منه فمعرفه العدو الأساسي واعاونه وجنوده أمر مهم ولهذا نجد أن الدول تقوم بتجنيد اعداد هائله من الاستخبارات لكشف الأعداء حتي لا يغريك العدو بقناع الصديق وكذلك فأنت بحاجه الي معرفه واكتشاف السلاح الذي يملكه العدو والوسائل والأساليب والثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الي مدينتك ليكون منك الاستعداد وسد الثغرات ووضع التحصينات التي تصد العدو ولهذا نجد من رحمه الله تعالي بنا أنه

الأمر الأول

يخبرنا بموسس مدرسه الشر أنه ابليس فابليس فمصالحه تتعارض مع التكريم الذي اختص الله به الإنسان فقال تعالي (الا ابليس لم يكن من الساجدين)

فقد رفض ابليس الاعتراف بفضل ادم (العلم ..التسويه بيد الخالق..النفخ بالروح)

التي اختص الله بها ادم واظهر بهن منزله ادم وافضليته علي سائر المخلوقات

والملاحظ هنا أن الصراع هنا ليس صراع لأن ابليس لايعتقد بوجود الله والوهيته وربوبيته فالأمر ليس كذلك

ولكن الصراع هو علي الولاية للأرض فالله جعل الخلافه هذا الشرف العظيم للإنسان فأظهر فضل الإنسان وكرمه وجعله سيدا علي الكون كله

ولهذا فعندما تسأل نفسك لماذا سخرت لي هذه الكائنات فاعلم أن هذا الشرف مرتبط بالخلافه وشرف الخلافه طاعه الله فإذا خرجت عن طاعه الله فقد فقدت شرفك

ولهذا فإن الخلافه اختيار بينما العبوديه قهر فاختيارك الخلافه تعني الاستسلام لله باردتك الحره أما العبوديه فالجميع عبيد لله شاوا ام اباوا

المهم هنا أن بدايه الصراع هو سياسي فابليس شذ عن الملائكه ورفض الاعتراف بفضل ادم رفض القبول بولايه ادم علي الارض رفض أن يكون ادم هو الذي له السلطه عليه حيث ذكر أن إبليس كان يمر علي جسد ادم قبل أن ينفخ فيه فيعجب منه ويقول لامر قد خلقت ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت علي لاعصيانك ولم يعلم أن هلاكه علي يده فهو كان ينظر إلي طينا مجموعا فيحتقره فلما صور الطين صوره دب فيه داء الحسد فلما نفخ فيه الروح ونادي منادي الملائكه أن اسجدوا فسجد الملائكه طهاره التسليم لأمر الله وقام ابليس ناحيه ولم يسجد لانه خبيث قد تلوث بنجاسه الاعتراض فجري القدر بالذنب ليتبين اثر العبودية في الذل

الأمر الثاني

تبين لنا الآيات إن العقلانية المجرده فكره ابليس وان اصوال هذه الفكره تقوم علي تسيس القضايا بالانحراف عن أبواه المنهج التي توجب الإتباع لأمر الله واقامه العهد ولهذا أخبرنا الله أن هلاك ابليس يعود الي معارضته اختيارالله لادم خليفه علي الارض فالصراع علي السلطه علي الارض وأن ابليس قابل الأمر الإلهي برفض الاعتراف بفضل ادم بما اختصه الله به وقابل ذلك بالتحدي تحت شعار أنا خير منه دعوي الاعتزاز للعنصر المادي دون اعتبار الأمر الإلهي وما له من خصوصيات

لم ينظر إلي ماعليه من مسؤوليه ينطلق منها بل قام بتسيس الامر بدافع الكبر والإعجاب بالنفس بالقياس مع وجود النص

ولهذا فإن جذور انحراف البشريه والعالم اليوم يعود إلي لحظه رفض ابليس الاعتراف بفضل ادم وقوله انا خيرا منه فالملاخظ اليوم أن تبربرات الرافضين اليوم القبول بقياده الاسلام للعالم وان يحكم الدين الاسلامي العالم كله يلجأون الي ما لجاء إليه ابليس بادعاء الا فضليه وإظهار المسلمين بأنهم متخلفون لايفقهون شيئا متجاهلين أن الله تعالى قال (ومن يتبغ غيرالاسلام دينا فلن يقبل منه) وايضا فإن الامه الاسلاميه اليوم قد تخلت عن دورها وعن الابواه الشرعيه التي تعطيها حق القياده (العلم النافع ...وطهاره الروح ..والبدن) من خلال تزكيه النفس بالمنهج الرباني واكتساب العلوم الماديه التي تحقق العمران علي الارض

ثالثا

ذكرت الآيات السابقه حصول التسليم من الملائكه بما أمرهم الله وحصول التمرد والعصيان من ابليس ولم تذكر الآيات هنا ما حصل من حوار بين الرب والملائكه كما ورد في البقره قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ...الخ

واكتفي بذكر امتثال الملائكه هنا بأمر الله بالسجود لادم وسرد رده فعل ابليس والحوار الإلهي معه فأراد بهذا هنا

المبحث الاول

(ان الحوار الإيجابي هو الذي يودي الي التسليم والرضاء بالنتائج وان ذلك متوقف علي الباعث للحوار وهو معرفه الحقيقه وليس الجدل من أجل إظهار قوه الجدل)

ولهذا نجد أن الحق يذكر حصول التسليم من الملائكه بالسجود لادم ليظهر لنا الفرق بين الحوار مع الملا ئكه والجدل مع ابليس

فالملائكه لم يظهر اختلافا لان بواعث الملائكه عندما سألوا وتعجبوا من استخلاف ادم في الأرض هو الاسترشاد ولبيان ما جهلوا فلما أخبرهم الله بفضل ادم فقد نفذوا الأمر بالسجود لادم تكريما له نفذوا الأمر فأراد أن يقول لك عليك عند الحوار أن تقبل بالتسليم و الرضاء بالنتائج وهذا يعني ضروره ان يكون الباعث للحوار الاسترشاد وطلب الإيضاح والاثبات وليس الجدل لأجل الجدل وإظهار قوته لا طلب الإيضاح ومعرفه الحقيقه ولهذا ذكر بعدها الجدل مع ابليس لبيان ان باعث ابليس هو الحسد لما شرف الله به ادم من فضل فقال تعالي (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرا منه خلقتني من نار وخلقته من طين....الخ

فكانت نظرته ماديه بحته وهي نظره فاسده ولذلك طرده الله من رحمته تعالي التي وسعت كل شئ لان جدال الشيطان كان اعتراضا علي قضاء الله وحكمه

المبحث الثاني

(الفرق بين المنع والامتناع)

تبين النصوص ان حق الدفاع عن النفس مكفول لكل الناس فالله سبحانه وتعالى لم يصدر الحكم علي ابليس حتي سمع منه المبرر الذي دفعه لارتكاب الجريمه اي انه قبل إصدار الحكم علي شخص لما اقتراف من ذنب أن تمنحه فرصه للدفاع عن نفسه ومعرفه البواعث للجريمه التي دفعته لفعله

فقال تعالي (مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك)

ذهب البعض للقول إن لا هنا زائده وقال بعضهم أنها زيدت للتأكيد والاستفهام للتوبيخ

فابليس اول من سن قاعده التمرد علي النظام الذي جعل الحق السلطه فيه للخليفه ادم

ولهذا فإن الناس في تعاملهم يتمردون عن تنفيذ أمر القياده لسببين

الأول :ـ

عند وجود قوه قاهره تحول بينك وبين تنفيذ الأمر فمثلا انت مكلف بمنع بحراسه موقع ما فلا تسمح لاي شخص من دخول المبني فجاء مسلحين وقاموا بارغامك علي السماح لهم بالدخول الي الموقع

وكذلك فإنك مثلا تريد أن تأكل الطعام ولكن تفاجات بمسلحين يمنعونك من الاكل

فإن هذا الشي يعني أنك تمنع بالقوه وهو مايسمي بالمنع

اما الثاني :ـ

فأنت تريد أن تأكل ولكنك اقتنعت ان لاتاكل لوجود من اقنعك بأن لاتاكل فهذا يعني أنك ممتنع اختيارا

ولهذا فإن السوال ورد بصغيتن (ما منعك ألا تسجد) وقوله (مامنعك أن تسجد)

فالايه الثانيه سوال هل كان هنالك قوه قاهره منعتك من السجود

أما الايه في هذه السوره فهي سؤال من الذي اقنعك ألا تسجد

فجاء الجواب من ابليس (قال أنا خيرا منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

فيه كشف المغالطات التي وقع فيها ابليس والاستدلالات الفاسده للتحذير منه فذكر مبرراته (أنا خير منه) ذكر حجه استنكافه عن تنفيذ أمر الله بأنه فاضل فكيف يسجد الفاضل للمفضول وهذه هي قاعده انطلاق المفسدين في الأرض

فقد عارض النص بالقياس زاعما أنه أفضل من ادم وأنه اعلي منه رتبه ومكانه وذكر عله ذلك بأنه

من النار مدعيا أن النار خير من الطين بما يفيد إعجابه بنفسه وتعصبه لعنصره وهذه الحجه هي حجه الذين يتفاخرون بالانساب والسلا لين من البشر

وهذا القول من ابليس فاسد ويدل عن سفاهه العقل للاتي :ـ

ان الأمر صادر من الله ولاقياس مع النص واللازم مقابله أمر الله بالتعظيم والاجلال

أن هذا القول فاسد فالطين فيه الوقار والسكينة والثبات فهو محل النماء والنبات والإصلاح والاستقرار بينما النار فيه الطيش والحريق والخفه ولهذا فإن عنصر ادم نفعه بالرجوع والانابه والاستسلام لأمر والتوبه .

ولا اشد قبحا من الطيش التي تتصف بها النار ويفسر هذا اعتراض ابليس علي مولاه وجعل امتثال أمر خالقه موقوفا علي استحسانه له وموافقته لهواه

يقول ابن تيميه رحمه الله انه لو صح أن النار افضل من الطين فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل افض لأن الفرع قد يختص بما لايكون في أصله فالتراب يخلق منه الحيوان والنبات ماهو خير منه والاحتجاج علي فضل الإنسان علي غيره بفضل اصله علي اصله حجه فاسده احتج بها ابليس وهي حجه الذين يفخرون بانسابهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قصر به عمله لم يبلغ به نسبه)

كما أن التشريف بالنفخ الروح المقدسه فيه فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

والتسويه بيد الخالق والعلم

المبحث الثالث

تأتي النصوص مبينه العقاب الإلهي لإبليس عندما تكبر وعاند الأمر الإلهي فقال تعالي (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج انك من الصاغرين)

المفهوم الأول

يحذر الحق من الحميه والتعصب والتفاخر فيقول انظروا الي نهايه ابليس الذي تعصب علي ادم بأصله فالذبن يتعصبون للقوميات والس لاله عليهم أن يدركوا ان ابليس هو أمامهم وهو سلفهم الذي ينتسبون إليه فهو الذي وضع أساس العصبيه وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل فانظروا الي العقاب الذي حل به فقال تعالي (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج انك من الصاغرين)

فالله يقول الاترون كيف أن الله صغر ابليس بتكبره ووضعه بترفعه فابتدات العقوبه بقوله تعالي (فاهبط منها)

و الهبوط أما أن يكون هبوط مكاني وهو يعني النزول من مكان مرتفعا الي مكان هابط هذا في معناها الحقيقي مثل أن تقول هبطت الطائره في المطار

واما أن يكون هبوط مكانه ومنزله :ـ

مثلا نجد أن هنالك مدير عام أو رئيس محكمه أو عقيد بالجيش ارتكب مخالفه ولهذا صدر قرار بتجريده من رتبته العسكريه وبدل ما

كان عقيد صار مساعد أو رقيب وكذلك المدير صار عامل ورئيس المحكمه هبطت سلطته الي مجرد قاضي جزئي

فهذا يعني أنه هبطت مكانته وهبطت سلطته وهذا المثال يفسر لنا معني قوله تعالي (قال فاهبط منها)

اي كنت مرشحا أن تكون من الملائكه لكنك تكبرت ورفضت أمر الله وترفعت عن مرتبه العبوديه التي أساس الرفعه للإنسان فقال تعالي بعدها (فما يكون لك أن تتكبر فيها)

فمرتبه الاعتزاز بالعبوديه التي هي أساس المكانه والمنزله تعني أن تخلع عنك الكبر وتخضع لأمر الله فيكون هواك موافقا لمراد الله

المفهوم الثاني

أراد الحق أن يقول لنا أن عليكم استقبال أمر الله بالتعظيم والاجلال وان العز في طاعه الله وان الذل في العصيان

وان أوامر الله (المنهج الرباني) هو لسعاده الإنسان ورفعته ولهذا فإن مخالفه المنهج تعني الفضيحه والهبوط والانتكاسه لمنزله الحيوان بل اضل فمن أراد أن يحافظ علي الشرف والمنزله والتكريم الذي اختص الله به اصل الانسان ادم فإن ذلك إنما يكون بطاعه الله وارتداء درع المنهج وان من خرج عن طاعه الله فقد خرج عن شرف الخلافه الذي كرم الله به الإنسان

المفهوم الثالث

عليك أن تدرك أن المتكبر لاينال ما أراد من الرفعه والعظمه فالله يقول في موضع آخر (أن في صدروهم الا كبر ماهم ببلغه)

وان المتكبر يصرف ويحرم من الهدايه ورحمه الله لقوله تعالى (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الأرض...الخ

وانه ينتهي به المطاف بالذل والهون (ذق انك انت العزيز الكريم) (أليس في جهنم مثوي للمتكبرين) فهو تعالي (لايحب المستكبرين) ولهذا استعاذ موسي من الكبر والمتكبرين فقال تعالي (وقال موسي اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لايومن بيوم الحساب)

يقول لك الحق أن الكبر والعز هما رداء الله وازره ومن نازع الله في ذلك اذله فهو تعالي اختبر الملائكه بادم الذي يجهلون أصله تميزا بالا ختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وإبعاد للخيلاء عنهم وقد نجح الملائكه في الامتحان وسجدوا لادم لكن ابليس تكبر فاذله الله ففي ذلك عبره لكم بما حل به فكيف تتصورن النجاه من الهلاك اذا تكبرتم وقد شاهدتم ماحل بابليس نتيجه الكبر فقد أحبط عمله وضاع جهده وكان قد عبد الله سته الف سنه ففي كبر ساعه أضاع عمله فكيف تفكر انك تسلم اذا تكبرت وانت عمرك لايزيد عن خمسين سنه

المفهوم الرابع

ولما كان ذلك كذلك فإن من أهم اخلاق المومن التواضع فالله يقول في موضع آخر (وعباد الرحمن الذين يمشون في الأرض هونا)

ويقول تعالي (وتلك الدار الاخره نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبه للمتقين)

ومن توضع لله رفعه ومن تكبر صغره الله ولهذا تأتي النصوص بقوله (فأخرج انك من الصاغرين)

فيها الطرد من رحمته لانه تكبر فقد تكبر طلبا للرفعه والمكانه فعامله الله من جنس عمله بطرده من رحمته وهو ذليل وحقير

فالذل والهون مقابل الاستكبار والتعصب والتفاخر بالتسب فكل من سلك طريق ابليس عليه أن يدرك أن هذا هو العقاب

القسم الثالث

تبدأ ايات هذا القسم باستدراك ابليس وطلبه الامهال من الموت فقال تعالي (قال انظرني الي يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتيناهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين قال أخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين)

بالوقوف علي مدلولات الآيات نجد الآتي

اولا

ابتدأت ايات هذا القسم باستدراك ابليس وطلبه الامهال من ربه بأن لايعجل له الموت وان ياخره عنه الي يوم القيامه فقال تعالي (قال انظرني الي يوم يبعثون قال انك من المنظرين)

ولهذا سوف نتناول بالبحث والدراسه الأمور الاتيه

الأمر الأول

(هل كان السوال من ابليس والجواب من الحق هنا حقيقه ام مجاز)

الداعي لمناقشه هذا الموضوع هو أن الكثيرون أشكل عليهم هذا الحوار الوراد في النصوص لأن الله أجاب ابليس لما طلب من وجهه نظرهم فذهبوا للقول إن السوال هنا كان مجازي .

والحقيقه التي يجب أن تدركها اولا من هذه الايه أن السوال من ابليس لم يكن صادرا عن ثقه منه بمنزلته عند الله أو أنه كان اهلا أن يجاب له دعاء

ولكن سال التأخير منه لأنه إدراك بعلمه أنه من أهل النار وان عمله قد أحبط وضاع جهده لانه نازع الله رداء الجبريه وخلع قناع التذلل فسأل تأخير عذابه كفعل الايس من السلامه واستدراك الحوار بطلب الامهال من الموت باعتبارها امنيه تمناها وليس دعاء ولا ثقه بمنزلته عند الله

وان الله اجابه لما طلب لما اقتضت حكمته أن يبتلي العباد بشر ابليس وإظهار قدره الله علي خلق المتضادات والمتقابلات فهو سبحانه وتعالى خلق ابليس الذي هو أخبث الذوات و رمز الشر والتمرد والعصيان وخلق جبريل الذي هو افضل الذوات ورمز الخير

ولأن كمال النفس تكون بمجاهده أعداءها الهوي والشيطان وبهذه المجاهد تظهر عبوديه العباد الصالحين وفي المقابل يظهر الأشرار الذين يتبعون الشيطان

وكذلك فإن الحوار يحصل به العبره لجميع المكلفين فيشاهدوا الاهانه والذل لمن يخرج عن أمر الله

يظهر للمومنين أن التكريم الذي حظوا به عليه مسووليه فهو ليس مبعثا للغرور والانتشاء بل ينظر إليه أنه نعمه أودعه الله لك لتودي دورها بشكر الله فالتكريم طريق المسؤوليه وهو شرف الإنسان وان عدم القيام بالتكاليف وأداء المسؤوليه يعني فقدان الكرامه فهذا إبليس كان قد عبد الله سته الف سنه فعندما لم ينفذ أمر الله وخلع قناع التذلل فقد منزلته ومكانته

كذلك فإن تكريم الإنسان مقرون بأداء وظيفته التي خلق لأجلها باستشعر حقيقه ان قيمتك وكرامتك تكمن في تكون عبدا لله فعزتك بـ العبوديه فاحذر أن تصاب بعدوي الشيطان

وبالتالي فإن الحوار الوراد في القران هنا حقيقي لأن الأصل هو الحقيقه لما ورد فيه ولا يحمل اللفظ علي المجاز او علي التمثيل الا بوجود قرينه داله عليه

فالقران ليس شفرات الغاز ورموز كما يحاول البعض تصويره فهذا التصوير فاسد لأن القرآن كتاب البيان الذي انزله الله كاشفا لهم ومبينا فكيف يكون تبينا لكل شي وهو عباره عن شبكه رموز والغاز يحتاج الي فك شفرته فلو كان الأمر مثل مايذهب إليه من يقول بذلك فمعني هذا اننا نسوغ للناس التلاعب بالقران بدلالات الرموز التي لاقرينه لها في النص

الأمر الثاني

(هل اجابه الله لطلبه بالامهال الي يوم القيامه)

أن سوال ابليس الامهال الي يوم البعث امنيه لانه تمني الامهال من الموت الي يوم البعث وهو يعلم ان كل نفس ذائقه الموت

ولم تذكر الايه هنا هل انظره الي يوم يبعثون

ولكن ذكرت في سوره الحجر أن غايه الامهال هو يوم الوقت المعلوم قال تعالي (فإنك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم)

وسماه الوقت المعلوم لانه لايعلمه الا الله تعالي اي المعلوم عندنا وهو النفخه الاولي لقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات .....الي قوله تعالى (ونفخ فيه أخري فإذا هم قيام ينظرون)

الأمر الثالث

(غرض ابليس من طلب الامهال)

يقول لك الحق أن تكريم الإنسان مرتبط بالمسووليه الملقاه علي عاتقك فأنت في معركه مع الشر الذي جسد صورته الشيطان وان للشر افكار وبرامج وخطط وأهداف ووسائل وأساليب فهو مشروع هدم الخير فعليك أن تفهم أن هذا المشروع يستهدف البشريه والتكريم الذي حظي به الإنسان

ولهذا فإن امنيه ابليس التي طلبها أن ياخر عنه الموت هو لأجل أن ينتقم من ادم وذريته من بعده

فابليس قد أعد الخطه واراد أن يضمن الارضيه التي ينطلق منها فقال (انظرني الي يوم يبعثون)

فهذه الارضيه التي يريد الانطلاق منها في نشر الشر وصد الخير والانتقام من بني ادم يريد أن يضمن الارضيه التي تجعله متمكنا فيها ليزوال نشاطه القبيح فلا ينقطع نتيجه موته

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

علي المومن أن يدرك أن للشر افكار وبرامج وخطط وأهداف ووسائل وأساليب فلياخذ حذره لأن اهداف تلك السياسات والبرامج و الخطط هو اضلال الإنسان والقضاء علي فاعليته وتجريده من إنسانيته التي كرمه الله بها فالعدو يريد أن يحدث ضعفا في القراءه والا ستنتاج وإحباط المواقف والمدركات واجتثاث الهمم والعزائم وجمودا في القرائح والاستعدادات

ولهذا فإن علي المومن الانتباه من ذلك

المفهوم الثاني

أن علي المومن أن يدرك أن الشيطان وعصبه العمل الشيطاني مستمره في محاربه الخير واستهدف انسانيه الإنسان التي فيها الفاعليه ا لايجابيه والتكريم ما اقترانت بالمنهج الرباني الذي يستر الإنسان وهم يقومون بتحديث الوسائل والأساليب وابتكارها علي الدوام ف الله قد منح ابليس الانظار حتي النفخه

الاولي

يقول الحق للإنسان انتبه من الانهيار الداخلي في معركتك مع الباطل أو الانسحاب من حركه العمل الايماني فأنت مكلف بمواجهه الشر وبرامجه ورفع الالم عن البشريه كلها من خلال الوعي والفهم لمسووليتك والحرص علي أن يكون ضمير الإنسان وسلوكه وحركاته كلها وفطرتك متطابقه مع منهج الله لأنه هو منهج الفطره التي خلق عليها الناس فإذا حصل ذلك حقق الإنسان ذاته وايجابيته فدوره يقتضي قوه البدن والاستقامة كما يقتضي رجاحه العقل وحريه الاختيار والله قد سهل له ذلك واعانه حتي لايجمع بين هم المسؤوليه ومعاكسه الحياه فاعانه بإرسال الرسل الذين يحملون المنهج فأنت في معركه مع نفسك اولا ومعركه مع الشيطان وأهل الشر

وعليك استشعار التحدي والمسووليه وأنه مهما كانت صعبه فإن الله يقف معك وبقدر صعوبتها تكون اعانه الله لك فلابد أن تنتصر

وتهزم اعدائك انتبه أن تفقد توزانك أو احترامك لذاتك

وهذا إنما يكون في حاله خروجك عن طاعه الله فانظر الي ابليس كيف أنه عندما ارتكب الجريمة وكان شعوره بالانهزام سال تأخير موته زياده في بلائه كفعل الايس من السلامه

فالهزيمه تكون بارتكاب الجريمة ومخالفه منهج الله لأن ذلك فيه خروج عن الفطره ولهذا فالمومن لايحقد لانه يري انه عبدا لله ويحمل رساله الحق ويومن أن الله هو الفعال وبالتالي لايحقد علي أحد يومن أنه لابد للمومن من كافر يقابله ومنافق يبغضه

ثانيا

تحذر النصوص من المشروع الابليسي وأدواته وخططه فقال تعالي (قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين)

فإنه بالوقوف علي الآيات نجد الآتي

المفهوم الاول :ـ

عليك أن تدرك أن إبليس اختار بارداته أن يمهله الحق الي يوم القيامه وان هدفه من ذلك اغواء بني ادم كما قال تعالي في موضع آخر (قال اريتك هذا الذي كرمت عليا لئن اخرتني الي يوم القيامه لاحتنكن ذريته الا قليلا)

وهنا قال (فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

فاستدراك ابليس بطلب الامهال من ربه لم يكن محاوله منه لاستدراك ما ارتكب من جريمه في حق نفسه فلم يكلف نفسه الخبيثه استدرك حاله ولم يحرك ساكنا ولم يقدم سببا أو مبررا لما ارتكب من معصيه وجريمه الاستعلاء علي أمر ربه والاستكبار علي خلقه بل إنه بعد اجابه الله لطلبه بالامهال تبجح وأساء الاداب مع الله حيث أضاف الغوايه الي الله تعالي

والاغواء ايقاع الغي في القلب والغي هو الاعتقاد الباطل فابليس كان يعلم أن الحق والباطل إنما يقع في القلب ولكنه يعتقد أن ذلك من الله وتلك هي حجه القدريه الفاسده وهذا قول باطل لأن العاقل لايختار الغوايه مع العلم بكونها غوايه

وإبليس اختار بارداته الحره الغويه بدليل أنه أعلن عن مشروعه الذي من أجله طلب الامهال وهذا المشروع هو اضلال بني ادم وتياسهم من روح الله ورحمته فأقسم بالله أنه سوف يترصد للناس في كل طريق موصله لله فيغوئهم عن الهدايه واداله الهدايه ولذلك فقد كان من نتائج اختياره هو ومن تبعه العذاب كما قال تعالي في سوره الاسراء (قال بالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)

وهذا فيه ابطال مزاعم وأوهام القدريه التي تنسب كفر الكافر الي الله وأنه مقدر عليه ذلك

المفهوم الثاني

عليك الإنتباه من تسلل الياس من روح الله الي قلبك فرحمه الله وسعت كل شئ فلا تفكر أن تبني مجدك علي انقاض الآخرين لأن هذا التفكير يعني أن تختل موزنيك وتنهار نفسك من داخلها و تفقد احترامك لذاتك وتحتقره فإن عليك أن تحافظ علي سمعتك الطيبه وان بناء مجدك يكون بالعمل الصالح والاتصال بالله فالله يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ولهذا تنقل لنا الايه قول ابليس (فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم....الخ

فلم يطلب استدراك جريمته ولكنه قال قولته تلك المعبره عن الياس من روح الله ورحمته وهي مقوله كل مجرم معاند يصير علي جريمته يضيف اختياره الضلال للقدر ويهدف من ذلك تبرير قبائحه وإضافتها للقدر ومن نتائج اصابه المرء بالياس من روح الله انك تري المنحرف يتمني أن يكون الناس كلهم منحرفون ولذلك يسعي الي إفساد الناس فمقصود ابليس هنا أنه سوف يعمل مجتهدا بكل ما يستطيع للاغواء الناس وصدهم عن الحق وإخراجهم من الهدي الي الضلال حتي يكونوا معه في الجحيم وهذا الفعل ناتج عن الحقد و

الحسد فهو يري أن مجده يكون علي انقاض الآخرين وهذه الصفه مذمومه فاحذر أن تفكر بمثل ذلك التفكير في تعاملك في الواقع العملي فنحن نشاهد مثلا ان فلان من الناس يكون يتم اختياره لاداره موسسه من بين زملائه وقد ينظر بعضهم أو أحدهم أن الاختيار لم يكن مناسبا لانه يري نفسه مؤهلا أكثر من زميله فيدفعه هذه الشعور الي وضع العوائق في طريق المدير وصناعه المطبات لأجل اظهار فشل من تم تعينه فإن هذا يعني أنك تفكر بنفس طريقه ابليس الذي لم يقبل تفضيل ادم وأعلن عن مشروعه لاضلال بني آدم وصدهم عن أداء مهمه الخلافه التي تعني السير علي الطريق المستقيم الذي يحقق الهدف والغاية من خلق الانسان وشرف الخلافه علي الارض

المفهوم الثالث

يقول لك الحق انك مسافر الي الله والدار الآخرة ولهذا فإن عليك الإنتباه فهنالك قطاع طرق مترصدون لك وعلي رأسهم ابليس الذي يريد افشالك يريد أن تنحرف في طريقك لتصل إلي نار جهنم ولهذا فإن عليك أن تكون متيقظا علي الدوام فالشيطان الذي هو عدوك في معركه الخير والشر يقول لك أنه مستعد وجالس قاعد في اي لحظه ينتظر أن تغفل كي ينقض عليك ويجعلك تنحرف عن الطريق الموصل الي الله و الجنه فقال تعالي (لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

فاستعمل كلمه (لاقعدن)بين الوقوف والاضطجاع لأن الوقوف يعني أن المرء اذا استمر واقفا لفتره طويله فإنه يتعب لانه يحمل كل جسده وإذا جلس حمل نصف وزنه واذا اضطجاع ارتاح من حمل وزنه وهذا أكثر الحالات راحه واصعبها الوقوف والتي تعني العمل والا ضطجاع تعني التوقف والسكون أما القعود فهو الاستعداد كنايه عن الحرب لقوله تعالى (واقعدوا لهم كل مرصد) فالمعركه تتطلب الا جتهاد وهذا ما أعلنه ابليس أنه سوف يجتهد في اغواء بني ادم يقول إنه لن يرتاح باله وسيظل منشغل به حتي يحصل له إتمام مقصوده وهو اغواء اكثر عدد ممكن من ذريه بني ادم

المبحث الثاني

لماذا خص بالذكر قعود ابليس علي الصراط المستقيم (لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتيناهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين)

الأمر الأول

يقول لنا الحق أن البشريه كلها هدف تاريخي للشيطان رجالا ونساء منذ لحظه استخلاف ادم فالإنسان فهو يترصد لك من لحظه ولادتك قال تعالي (لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

وسوف يبقي هذا الصراع بين الإنسان والشيطان مادامت الأرض مادام هنالك كفر وإيمان نور وظلام فهو حريص علي اغواء البشريه كل الحرص أنه عدو يترصد باحثا عن مداخل ينفذ الي قلبك فاذا لم تحرس حصنك فإنك تكون عرضه للهلاك ولهذا فانه لايقدر علي الحراسه الا من يدري المنافذ التي ينفذ منها الشيطان ليقوم بحمايه قلبه من وسوس الشيطان ولما كان الشيطان وسلاحه خفي فإن الإ نسان بحاجه الي معرفه الشيطان ومداخله ليتمكن من دفعه ولهذا نجد أن القرآن يركز علي بيان حقيقه الشيطان فذكر القران الكريم ابليس بصفته الخاصه عشر مرات وبصفته العمومية الشيطان ثمانين مره وترسم لنا صوره عنه أنه محترف في الاغواء وأنه يجثم علي القلب ويحيط بالإنسان من كل جهه فلا وسيله لصده الا بالعبوديه لله واتباع منهج الله

وهدف ابليس تكثير اعداد أنصاره وأعوانه واتباعه وجنوده ولهذا فاللازم علي كل مسلم أن يحذر كل من يدعوه الي المعصيه متعمدا فهذا الداعي من اتباع ابليس أنه من شياطين الانس ومن يزين لك الباطل يكون من الشياطين احذر أن تنخدع بهم ولاتغتر بتزينهم الباطل فقد أخبر الله الناس أن الشيطان عدو واللازم أن يتخذوه المومن عدوا فهو قد اقسم بالله وسلطانه وقهره أنه سوف يغوي الإ نسان فقال تعالي (فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

والفاء هنا (فبما اغويتني) لترتيب العله من الأنظار بمعني أنه سوف يزين الباطل ويجعله مقبولا للنفس ويخدع العقول باستحسانه

الأمر الثاني

التحذير للمومنين هنا من إصابتهم بداء الشيطان فهو مصاب بداء خطير ينتقل بالعدوي والمخالطه كما يعدي الاجرب السليم فهو يقف

في طريقكم يستعين ببعضكم علي بعض من خلال العصبيه والكبر يستغل انكم متفاوتون في المواهب والقدرات والخصائص ابتلاء من الله ولأجل أن يحصل التكامل في الحياه كما قال تعالي (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض.....الخ

فالكبر يعني بطرا الحق وغمط الناس اي كراهيه الحق والنفور منه ..واحتقار الناس ولهذا فإن سياده ابليس علي كل المضلين تحقق من خلال مبدأ الاحتناك التفريق والتحريش بين الناس فهو يسعي من خلال هذا المبدأ لاضلال المومنين ويصل الي هدفه في المسلمين باختلافهم كما وصل إلي استعباد الكفار والمشركين بكفرهم لماذا ؟

لأن الذي يقود الي احتدام الاختلاف هو الفخر الذي يولد التعصب لما هو فيه المقرون بالاعجاب والاغترار بما لدي صاحبه فالله يقول في موضع آخر (كل حزب بما لديهم فرحون)

وبذلك تفرغ المبادئ والقيم والفضائل من جوهرها فعندما يشع الفخر يصبح الإنسان وعاء واسعا فارغا لاشي يملوه

فابليس اقسم بأن يقعد للخلق علي الصراط المستقيم ليزين لهم الكبر والغرور والعناد فسلعه ابليس هو ما قل مثقاله وقدح وزنه لأن ذره كبر واحده كفيله أن تدخل صاحبها النار

فمشكله البشريه اليوم مصدرها بطر الحق وغمط الناس فمن خلال هذا المبداء تحققت لإبليس سيادته علي الكفار و الملحدين وأهل الكتاب بدون تعب عندما خالفوا دعوه الانبياء لهم للقبول بالحق والاعتراف بفضل امه الاسلام التي اصطفاءها الله لحمل امانه الخلافه في مرحله الرشد الإنساني وعندما حرفوا الكتب السماوية وبقي أمامه المومنين ولهذا فإن اهتمامه وتركيزه ينصب باغواء المومنين واضلالهم ولهذا نشاهد هذا الاختلاف والتفرقه بين طوائف ومذاهب والشعوب المسلمه المتعمد من قبل عصبه العمل الشيطاني الذي استطعت من خلال مبدأ بطر الحق وغمط الناس أن تحقق للشيطان في الحياه الانسانيه الاحتناك والقعود علي الصراط المستقيم

فبالفخر لابد أن يتصارع الجميع افردا وجماعات ودول وتضيع الحقوق والواجبات وان هذا يتم من خلال الآتي

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

(إدراك قيمه التواضع)

عليك أن تدرك أن التواضع هو الوسيله واداه تحصين النفس من خطه الشيطان فالتواضع تعني أداء حق الله وأداء حق الناس تعني الا نتظام في الصف واحترام الهيكل التنظيمي الذي يدير المجتمع ويمنع التنافس الذي يقسم الكيان الي شيع متناحره فاجواء التحاسد تجعل الكيان رخو وهش لايستطيع الصمود أمام الأزمات فالفخر يعني أن تتداعي القلوب الي أهواء الباطل والميل للدنيا وعندها تعم الفوضي والصراع بين الأفراد والجماعات والدول وتضيع الحقوق والواجبات ويعم الفوضي والعشوائية ويكون تغليب المصلحه الحاليه علي المصلحه ذات الأثر الممتد لانه لايقبل الحق مهما كان ولاتعترف بالتخطيط

فتفاوت الناس هو لأجل أن توجد اداره رشيده تنظم أحوال الناس ولهذا لابد أن تتواضع فهو الوسيله الوحيده التي فيها الخلاص للبشريه وهو ما إدراكه الشيطان ولهذا اقسم أن يتآمر علي البشريه من الجهات الأربع من أمامهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم كي يصيبهم بعدوي مرضه وداءه الكبر وقال بعدها (ولا تجد أكثرهم شاكرين)

فهو يريد يزرع بينهم الحقد والحسد بما يجعل قلوبهم تشتعل بالبغضاء وعقولهم بالعصبيه والفخر ليعشوا بعوابت غير ثوابت الاسلام ليعيشوا علي مبادئ فارغه من جوهرها فنحن نشاهد اليوم الكثيرون ممن يدعوا الاسلام يتفاخرون بالانساب ويقسمون المجتمع المسلم الي طبقات يتكبرون علي الناس رغم أنهم يحافظون علي الشعائر الدينية وحريصون عليها ؟

اليس نظره هولاء للناس نظره احتقار ...أليس هذا السلوك من مظاهر الكبر الذي أخرج ابليس من الجنه

كما أننا نشاهد الكثير من أهل العلم وممن يدعي حمل امانه العلم والدعوه لأهم له إلا شتم وسب العالمين في حقل الدعوه ونجد أن أغلبهم انشغل بصناعه الأزمات والفتن يدرسون التاريخ لأجل الاحتناك والفتن بين المسلمين يثيرون أحقاد لصراع بين المسلمين قد اندثر منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وليس لأجل أخذ العبر واكتشاف السنن التي حكمتها حتي لايلدغ المر ء من جحر مرتين بل لأجل

صناعه افخاخ تعصف بوحده الامه يستمر في جهده لأجل أن يجعل المسلمين يتورثوا الأحقاد والعدواه ويبذلون جهودا جباره ويصنعون كتب والمولفات التي توسس لامتداد الضغائن بين المسلمين فلو انهم سخروا تلك الجهود في فهم الأحداث والاستفادة منها في تحصين العقول والافهام والقلوب من اختراق الشيطان الذي قد أعلن أن هدفه هم المومنون لكان لذلك سلاح نهاجم به الشيطان

المفهوم الثاني

(من وسائل الشيطان)

عليك أن تدرك أن الشيطان يريد الهاء الناس عن معرفه منافخ الكبر وقبائحه وصرفهم عن إدراك قيمه التواضع الذي هو وسيله النجاه من خطه الشيطان ولهذا فإنه لابد أن نتواضع وهذا يعني معرفه ماهو التواضع لأن الكثيرون قد اختلط عليهم معني التواضع حيث أن الكثيرون اليوم من دعاه الفكر الإسلامي وعلماء المذاهب صاروا اداه لخدمه المشروع الشيطاني من خلال الدخول للنفس من احب الا بواب إليها بالتعصب ورفض القبول بالآخر والعناد والمكابره واحتقار ما لدي الآخرين في مسائل فرعيه من مسائل الدين عندما كان خلط العلوم بنتائج مفرزات الطباع فكان تغليب الطبع علي الشرع حيث تحولت هذه المفرزات الي منزله التقديس للذوات والأشخاص وا لاراء بما يفوق تقديس كلام الله وشريعته واعتقاد منحرف أن ذلك هو مراد الله والغايه من ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم بنظرهم وهو ما شكل ماده احتدام الاختلاف والصراع وانصرفت جهودهم الي استدعاء ازمات تاريخيه وايقاض فتنه نائمه واشتعلت الحروب وسالت الدماء بين المسلمين واشتعلت نيران العصبيه والحميه في النفوس تحت نشوه الانتقام لمقتل ائمه ال البيت الذين لاتناكر علي أنهم قتلوا ظلما وهو أمر تتمني النفس الانتقام من القتله لكن أين هم هولاء القتله في هذا الزمان هل المسلمون الذين تهدر دماءهم في العراق وسوريا هم من قتلوا الحسين رضي الله عنه

ثم إن المسلمون بحاجه الي اللحمه والوحده لمواجهه عدوهم بدل أن يتقاتلوا فيما بينهم أن الأصل أن تكون دراسه التاريخ فيما مضي لأ جل تجاوز الصراعات التي مزقت المسلمين لا استدعاء الأزمات والمصائب والفتن لتمزيق الكيان الذي هو في أضعف أحواله فإن هذا يعود إلي تزين الشيطان للباطل وهو يدخل للنفوس من تحب الابواب إليها وهذا ما يفسر لنا حال الكثيرون الذين لا يستطيعون الحياه ا لا في مناخ ملئ بالازمات والفتن والمجاعات مثلهم مثل الاحتكاريون من تجار السلع الذين يتاجرون باقوات الناس واختلاق الأزمات فهذا يعود الي أنهم ينظرون أن مكانتهم وصعودهم تكون بصناعه الأزمات والفتن فدعوه ابليس الافتخار بالنسب والسلاله والكبر هو سلعته وكذلك فإن هولاء بضاعتهم هي الكبر والغرور وهذا يعني عدم القبول بالحق واحتقار الناس وبناء مجدهم علي حساب حقوق الآ خرين

ولهذا فإن المومن بحاجه الي تحصين عقله وقلبه من اختراق الشيطان ومن أراد ذلك فعليه الإنتباه من خطوات الشيطان

فعليكم أن تطفئ ا مافي قلوبكم من نيران العصبيه واحقاد الجاهليه فإنما تلك الحميه تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونشوته ب التعاظم والتفاخر فانتبه من أن تبني مجدك علي حساب حقوق الآخرين

المفهوم الثالث

أن المسلم اليوم بحاجه أن يعرف ماهو التواضع الذي عرفنا أنه الوسيله الوحيده التي تشكل حصنا حاجزا مانعا تمنع اختراق الشيطان مركز القرار في الامه

خاصه وان الحق قد أخبرنا أن الشيطان يحاول توجيه الناس لمسار اجباري يتجه بهم بعيدا عن الطريق الموصل الي الله والجنه يبعدهم عن الطريق المستقيم

حيث أن الشيطان يعرف أنه لاخلاص للامه الا بالتواضع فقد تعمد الهاء الناس وصرفهم عن معني التواضع من خلال التشويش وتلبيس الأمور فمن حيل الشيطان (تسميه المعاصي بأسماء محببه وتسميه الطاعات بأسماء منفره)

فنجد أن هنالك خلط بين مفهوم التواضع والبساطه والخنوع والضعف في الأداء والرثه في الهيئه فقد عمدت عصبه العمل الشيطاني الي تصوير هئيه المتواضع بأنه ذاك الشخص الذي يلبس الثياب القذره لنقل صوره مغلوطه فالتواضع ليس صورته القذره ولايمكن أن يكون المتواضع بذلك القبح

وكذلك كرس الشيطان ثقافه في المجتمعات أن المتواضع هو ذلك الشخص الذي لا يتقن إنجاز العمل فصار يقال لكل مقصر في أداء عمله وعاجز عن إتقانه بأنه متواضع وكل مخبول متواضع وكذلك فإن الساذج يطلق عليه متواضع فالشيطان تعمد التشويش وتلبيس المعاني لصرف الناس عن مفهوم التواضع لانه يقود الناس الي عذاب السعير ووسيلته في ذلك جذب الناس الي الكبر وصدهم عن الحق

فالتواضع قاعده ترتكز عليها جميع الفضائل لانها تعني القبول بالحق مهما كان واين ما كان وعدم احتقار الناس

ولهذا فإن جميع الفضائل من الصدق والأمانة والشجاعه والكرم كلها تستمد قيمتها منها لانه لاتنفع الشجاعه وانت لاتذعن للحق ولا تعترف بما ارتكبت من أخطاء فالتواضع يعني تمرين عقولنا علي الاعتراف بالاخفاق بعيدا عن المكابره والمعانده بغير الحق تعني الا عتراف بالمسؤولية بعدم إلقاء التبعيه علي الآخرين فالتواضع يعني القبول بالحق وعدم الهروب من تبعئيه الأخطاء ولهذا أخبرنا الله أن ابليس قال (فبما اغويتني)

فهذه هي مقوله كل مجرم متكبر لايومن بيوم الحساب يحاول إلقاء التبعيه علي ما ارتكب من أخطاء علي الآخرين فإذا لم يجد حيله القي بالتبعيه علي القدر وكأنه يستقصده دون غيره

والحياه ملئيه بالامثله لهذا الداء الناتج عن الكبر والعناد حتي أنه صار أشبه بظاهره اجتماعيه انتشرت فيها العدوي فلم تقتصر علي الأ فراد بل صار ذلك سلوك الجماعات والأحزاب والطوائف والمذاهب فتجد أنهم يجهدون أنفسهم في إلقاء تبعئيه فشلهم علي الآخرين فيما يناط بهم من مهام

تجد انهم يسعون جاهدين الي اقتناص أخطاء الغير فلو انهم بذلوا جهدهم هذا في دراسه ادائهم ومعرفه اخطاءهم لاستطاعوا الارتقاء باداءهم الي اعلي المستويات لكنه الاستكبار والتمترس وراء القاب وعناوين زائفه فتلك الألقاب تحولت مهمها الي توبيخ أصحابها وصبغت حياتهم بنوع من البهتان وارتكاب المحظور والمساهمة في خلق الأزمات بدل حلها فهم أصبحوا جزء من المشكله

ولهذا فإنه للمساهمه في معاوده الامه لدورها في حمل الخير والرحمة للانسانيه أن تعرف أن ذلك لن يتحقق إلا بالعمل العلمي المتخصص القاصد الهداف وامتلاك ادوات الحقيقه التي تمكنك من اكتشاف الخلل والعمل علي معالجته من خلال خطه متكامله بكفيه إصلاحها وقبل ذلك ترويض النفس علي الاعتراف بالحق والقبول به فالتواضع يعني اتقان العمل تعني العباده المطلوبه في قوله تعالي (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وهي تعني الاسلام نفسه الاسلام لله والإقرار بأن لاحول ولا قوة فكلمه لا اله الا الله تعني اخراج كل الأصنام من النفس فهي اعلان المساواه أمام الخالق سبحانه وتعالى فجميع البشر عبيد لله تعالي وقد استخدم الحق كلمه اسلام للتعبير عنها لأنها احسن منها وأفصح وقادره علي اثاره الاحساس والمشاعر لأن كلمه تواضع من الافتعال في حين أن توضع الإنسان في الحقيقه ليس افتعالا ولا تنازلا بل إقرار إرغام ولهذا استخدام كلمه اسلام كونها افضل من كلمه تواضع

ولهذا فإن المراد منها ليس مجرد فضيله من الفضائل بل هي القاعده التي تحقق اصل العقيده (التوحيد) لأن الكبر يعني خروج العبد عن التوحيد ولهذا يقول الله تعالى مخاطبا ابليس (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلا)

لماذا لأن المتواضع يجد الحمايه من الله ويكون له النجاه ولاتوثر فيه خطه الشيطان التي أحاطت به من الجهات الأربع لأن عنايه الله ترعاه ولهذا لم يقل (من تحتهم ولا من فوقهم)

لبيان ان العبد في هذا الحاله ليس وسيله للنجاه الا من جهتين اعلي وأسفل لانه من تواضع لله رفعه لهذا لايملك الشيطان أن يأتي للعبد من أعلي ولهذا فإن المتقي اذا مسه طائف من الشيطان ذكر الله فإذا هو مبصر وكذلك لايستطيع احد أن يأتيه من تحته لأن ذلك هو موضع السجود

وإبليس كان متكبر ا ولم ينظر إلي مصدر الأمر وكلك لم يسجد ولذلك هلك ولهذا فإن النجاه تكون بالتواضع والسجود فهذه هي وسيله الفرار من خطر الشيطان بأن تفر الي الله فالله يقول (وكفي بربك وكيلا) فهو تعالي متعهد بحمايه عباده

الأمر الثالث

(الوقايه خير من العلاج)

أن الحديث عن المومره الكبري التي تحيط بالإنسان من كل الجهات الأربع والذي اعلنه ابليس بالقسم ساعه تحدي أمر السجود فقال تعالي (ثم لاتيناهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين)

يقول لك الحق لقد خلقك الله متفردا علي سائر المخلوقات وأكرمك بالخلافة وتسخير كل الكون لخدمتك وهو تعالي لم يترك تتخبط فأنزل العلم الذي يدلك علي الطريق ولما كان الصراع بين الحق والباطل مستمر مادامت الأرض وأن الشيطان وأعوانه حريصون علي اغواء البشريه وهو عدوا متربص بك يبحث عن أي منفذ ليبث سمومه فيك ويستعبدك وهذه المومره منها ماهو ظاهر وهو الصادر من شياطين الانس ومنها ماهو خفي وهو الصادر من ابليس وذريته من الجن وبالتالى فإن ذلك يتطلب العلم بمداخل الشيطان حتي تقوم بسد المنافذ وإغلاق ابواب الشيطان ولهذا تشير الآيات الي أن الانسان بحاجه الي الضوابط الشرعية وربط ذلك بالمسؤولية عن التكريم لتكن يقظا تحسن استخدام وسائل الضبط فالشيطان يدخل من جهتين الشهوات والشبهات فهذه المداخل التي اذا انطلقت البشريه من خلالهما فإنها تكون عرضه لاختراق الشيطان الذي يوججها باغرائه واغواءه ليكسر حاجز الوقايه نحو تجربه اللذه المحرمه ولتحدث الكوراث

فهو يأتي للعبد من خلال خطوات متدرجه فيحاول أن يدخل الشك في قلب المومن لانه لو حصل له ذلك فمعني هذا فقد المومن إيمانه فالشك مقرونا بالكفر واليقين مقرونا بالإيمان

ولهذا يركز القرآن علي تكرار الحديث عن خطر هذا العدو حتي يحذر الناس من شره ولهذا يكشف لنا الحق خططه فقال تعالي

(ثم لاتيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين)

فأراد بهذا بيان الآتي

المساله الاولي

بيان أنه لايهجم دفعه واحده ليخرجهم من الايمان الي الكفر فهو له سياسات وخطط ينظر إلي الشخص أين تكمن نقاط الضعف لديه ثم يحاول أن ينفذ من خلالها

فإذا وجد من العبد قوه في العقيده اتاه من ذلك يتزين التشدد حتي يحصل الإفراط فإذا حصل ذلك استدراجه الي الغلو والبدع و العصبيه واحتقار شأن الآخرين

واحيانا يدخل من الرخص واحيانا يدخل من منفذ التزايد بالمباحات ويستمر في ذلك حتي يحصل التهاون

المساله الثانيه

انه يسوق المبررات التي تقتل الاحساس فلا يشعر بالذنب بحيث لا يلوم المخطئ نفسه فلا يتوب وذلك بتزين لهم أعمالهم بعد ارتكابها ف لا يشعرون بالمعصيه قال تعالي (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)

ولهذا تجد المستبدين والطغاه ينظرون إلي سفك الدماء واستبدا د الناس ونهب الأموال أنها اعمال فيها خدمه الشعوب تجد من شياطين الإنس من يكتب المجلدات ليسوق للاجرام علي أنه عمل نافع للامه والصحف والمجلات والقنوات تتباهي بالجرائم علي انها لصالح الامه

المساله الثالثه

تبين النصوص أن العلم وحده لاينفع في المعركه مع الباطل مالم يمدك الله بالعون والتوفيق فالشيطان يسعي للسيطره علي مركز القرار العلماء والحكام ليكونوا اداه خدمه المشروع الابليسي من داخل كيان البشريه وهو ما يتطلب الحذر وأخذ الحيطه من خلال احسان

تنزيل العلوم علي الواقع ودوام الاتصال بالله وطلب معونه الله وان لاتغفل فالشيطان كما تصوره الآيات في موضع آخر يطوف حول ا لإنسان طواف النازل بمكان فيل دخوله حتي إذا أصاب منه موطن غفله وأعراض اصابه فأطلق سهامه وحصل الاختراق وأنه لاوقايه من ذلك إلا بالتقوى وعدم الغفله فقال تعالي (والذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)

المساله الرابعه

أن الشيطان لايترك طريق فيه الغوايه للإنسان الا سلكه ولايترك وسيله الا استخدمها فهذا الخبيث يسلك كل طريق يتمكن من خلاله أن ينفذ الي قلب الإنسان وعقله ليسقط الوعي والفهم عن الإنسان ولأن الخبيث علم أن نقطه الضعف لدي الإنسان هو الغفله التي تغلب علي كثير منهم كان جازما في بذل مجهوده علي اغوائهم طمعا بمن صدق عليهم ظنه فقال (ولاتجد أكثرهم شاكرين)

وقوله هذا صادر بحق من صدق ظنه فيهم لقوله تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين)

المساله الخامسه

أن عصبه العمل الشيطاني تقوم بتطوير وسائلها وأساليبها من خلال التحديث والتجديد للبدائل السلبيه التي فيها تزين الشهوات و الشبهات للعقول لصرفها عن عباده الله والاضطلاع بحمل رايه الهدايه فنحن نشاهد اليوم المسلمون يصلون ويصومون لكنهم يعيشون وفق قيم ومبادئ غير مبادئ وقيم الاسلام نتيجه التأثير بالافكار الغريبه وحضارتها الماديه التي سلبت عقول الكثيرون ومن هنا تكمن اهميه مبدأ الوقايه خير من العلاج لمواجهه وسائل وأساليب الشيطان وأعوانه بعيدا عن الإفراط والتفريط

الأمر الرابع

أن حمل مشروع الخير والرحمة للبشريه يتطلب منك أن تكون صاحب خبره ومهاره تقدر علي مواجهه التحديات قادر علي تدبر معرفه الوحي لانك تواجهه عدوا محترف وله خبره مديده وطويله في صناعه الفتن والاغواء والاضلال فلو أن انسان عمل عملا لمده ثلاثين سنة فإنه لاشك يكون محترف وخبير بمداخل هذا العمل وأسراره وطرقه فكيف الحال والشيطان الرجيم لاشغل ولاعمل له منذ أن خلق الله آدم حتي يومنا هذا الا اغواء البشريه واضلاله

فعليك أن تدرك أنك أمام عدو محترف في مجال الاغواء وصناعه الأزمات والفتن وهو يطور نفسه علي الدوام ولهذا فأنت بحاجه الي مواجهه هذا العدو بخبره وقدره ومهاره ولهذا فإن القران يخاطب المومنين ويقص عليهم أحوال الامم السابقه لأجل أن تكون تلك القصص اداه تزويدهم بالمهارات والمعارف والخبرات ولهذا فإن قراءه المسلم للتاريخ هو لأجل تسليح المومن بالتجارب التي تتطلب منك وان تقرا أحوال المومنين والكفار المشاركه الشعوريه بحيث تنظر إلي المومنين وظروفهم وأحوالهم والأسباب التي أدت إلى نجاتهم نظره حب وإجلال وتعظيم وتقدير فتشاهد رويتهم كأنهم امامك وهذا يجعلك تكسب خبره ومهاره كانك عشت التجربه وبالمقابل تنظر إلي الكفار وأفعالهم وأحوالهم وظروفهم نظره نفور فتشاهد هم بالبغض والكراهية فتحذر أن تقع فيما وقعوا فيه

وكذلك يخبرك الله أن خصمك ضعيف فهو يستمد قوته من ضعف الإنسان اي أن قوته ليست ذاتيه وانما تستند الي ضعف الخصم وتراخيه واستسلامه ولهذا نجد الآيات تركز علي التحذير من وسائل الشيطان وأساليبه في الغوايه لتقويه النفس البشريه فطالما انت تستعلي بالحق فإن الشيطان يقف عاجزا أمام هذا الاستعلاء

المبحث الثالث

(قال اخراج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين)

لما كان اختيار ابليس للغوايه بارداته تأتي النصوص مبينه أن المسؤوليه فرديه عن فعله هو ومن اتبعه في نار جهنم بعد طرده وإبعاده فقد كان خروجه خروج صغار واحتقار لاخروج الكرام بل مذموم واتباعها بقوله (مدحورا) اي المقصي والمبعد المطرود فهذه نهايه الشيطان ومن يتبعه في ما أمره فليحذر العاقل من متابعه الشيطان وليجتهد في طاعه الله وعبادته حتي لايدخل في النار

وكذلك علي المومن أن يحافظ علي سمعته الطبيه فالمومن هو المحترم الذي يحافظ علي احترامه بطاعته لله تعالي

القسم الثالث

بعد أن بينت ايات القسم السابق دور ابليس في الأرض أنه مؤسس مدرسه الشر وأنه اختار بارداته الحره الغويه واضلال الناس ولذلك انتهت الي مبدأ التبعئيه الفرديه اي مسؤوليته عن فعله هو ومن اتبعه من بني ادم في إطار شرح وإيضاح دور ادم الخليفه رمز الخير ومعركته مع الشر وقائدها ابليس فالحوار يرسم قواعد الصراع بين الحق والباطل وأدواته وسلاح وجنود كل طرف في هذه المعركه في مقام امتنان الله علي الإنسان وعدله في حكمه وحسابه وعقابه ولهذا نجد أنه جاء بالعطف علي ذلك بقوله (و يا ادم اسكن انت وزوجك الجنه فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجره فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوءري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجره بدأت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه ونادهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجره وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الي حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

اولا

ابتدأت الايه بالعطف بالواو(ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنه فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجره فتكونا من الظالمين)

بعد أن بينت النصوص قبلها دور ابليس في الأرض التي خلق لأجلها ادم ليكون خليفه فيها وفصلت الآيات إن هنالك معركه سوف تحصل علي الأرض بين الشر وقائد هذا المعسكر ابليس اللعين الذي يسعي للافساد في الأرض وإخراجها عن صلاحها ومنع معسكر الخير من تنميه جوانب الخير وإصلاح ما أفسدته مدرسه الشر وهذه المعركه سوف تستمر الي يوم القيامه وبينت أنه سوف ينقسم موقف المكلفين من هذه المعركه إلي قسمين منهم من يتبع ابليس (من بني ادم ومن ذريته) فهولاء ينتسبون الي الشيطان ومدرسه الشر فالا هل والنسب يقوم علي العمل

وقسم هم المومنون الذين يطيعون الله فهولاء ينتسبون الي مدرسه الخير واختتمت الايه بذكر أن الإنسان مسؤول عن حريه اختياره للطريق بعد بيان سلاح الشيطان وأساليبه في غوايه بني آدم واضلالهم في إطار شرح وإيضاح امتنان الله علي الإنسان بالتسخير للكون خلقه بالهيئة التي تجعله قادرا علي القيام بدوره والاضطلاع بحمل امانه الخلافه لبيان عدله في حسابه وميزانه الحق التي يزن به الأ عمال بانه تعالي قد يسير لك أمر الخلافه فلم يجعل الحياه تقف معاكسه لك وكذلك أرسل الرسل الذين أوضحوا لك طبيعه عدوك وخطته وأساليبه وجنوده وأنصاره وكيف يكون حمايه النفس من مخاطر سلاح العدو وهنا عطف علي ذلك بقوله (ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنه) وهذا ما يفهم منه الآتي

الأمر الأول

أن الجنه المذكور ه في الايه ليست كما يتصور البعض أنها جنه الخلد لأن المعلوم أن آدم مخلوق ليكون خليفه في الأرض فوجود الإ نسان علي الارض مخطط له ومقصود لقوله تعالي (إذ قال ربك للملائكه اني جاعل في الأرض خليفه)

والجنه لفظ يطلق علي المكان الملتف الأشجار الكثيف الذي يستر الإنسان بداخله كما قال تعالي (لقد كان لسبا في مسكنهم ايه جنتان) وقال تعالي (ايود أحدكم أن تكون له جنه)

ولهذا فمن المعيب أن يقول البعض اننا كنا بالجنه فبسبب خطئيه ادم أخرجنا منها

إذ كيف لإبليس أن يدخل الجنه وقد طرد منها لو قلنا بذلك ونحن قد علمنا أنه تعالي قال قبلها (فأخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين)

فلا يصح أن تكون معطوفه علي كلمه (فاخرج) وانما الجمله معطوفه علي التمكين للإنسان ومراحل تسليمه الخلافه وماسبق ذلك من إعداد الإنسان الأول وتجهزه ليكون قادرا علي الاضطلاع بمهمته فاراد بهذا أن تفهم أنه تعالي لم يجعل ادم يباشر مهمه الخلافه الا بعد أن أوضح له طبيعه العدو وأساليبه ووسائله ونظرته الي الإنسان بأنها نظره الحقد والكراهية والعدواه وسعي كي ينحرف الإنسان كما هو انحرف هو وأوضح له العقبات التي تعترض أداءه مهمته فاطلعه علي عدواه وأمره أن يتخذه عدو وبصره بمداخله وأخبره بمومراه الشيطان التي سوف تحيط بعالمه من الجهات الأربع فهو مستهدف وان هذا يتطلب اخذ الحيطه والحذر قبل أن تخطوا اي خطوه في الحياه تنظر إلي أن تتجه خطوتك قبل أن تضع قدمك هل تسير الي الله والدار الآخرة أما انك تسير في طريق الغوايه فمن أخطئ في أول خطوه كانت كافه الخطوات تابعه للشيطان اذا لم يتدرك نفسه ولهذا فإن فاللازم عليك أن تنظر اين تضع قدمك وان تحاسب علي موقع خطواتك المتلاحقة وانت تنطلق في الحياه عليك أن تحذر مصيده الشياطين فهدفك اصلاح الأرض فأنت بحاجة إلي اختيار الوسائل والأساليب في هذه المعركه ولهذا كان لابد من وضع حواجز وضوابط لأجل ضبط الحركه فالإنسان أما أن يتحرك أو يتوقف

وحركته أما أن تكون ايجابيه أو سلبيه ولهذا فهو بحاجه الي ضوابط تضبط الحركه وبحاجه الي مهاره وخبره تجعله يحسن الضبط و الربط بين الاحساس بالمسؤولية من جهه ورسم التفاول والامل من جهه يحتاج الي مكابح تمنع السقوط والانحراف اثنا الانطلاق ف الشيطان يسعي الي كسر هذه الحواجز التي تشكل مانع من تسلل العدو الي كيان ولما كان العدو قد أوضح أساليبه وان المومره تنصب نحو تهيج الغرائز الانسانيه لتنطلق البشريه بغرائزها ورغباتها نحو إعصار الشهوات والملذات مستجيبه لداعي الجسد والشهوات التي يوجهها الشيطان باغرائه واغوائه ليكسر حاجز الوقايه وليغرق الناس ويجعلهم ينحدرون في الضلال ولهذا كان لابد من اعداد وتربيه وتمرين ادم وزوجته علي القيام بالخلافةوالتدريب والتسليك علي تجرع الصبر واهميه الالتزام بالضوابط والاحساس بالمسؤولية ولهذا جاء العطف علي ماسبق أنه بعد أن أخبر ادم بعدواه وأساليبه في المعركه كما قال تعالي في سوره طه (أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)

الأمر الثاني

تبين الايه اهميه التجارب بالنسبه للانسان فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان ليكون خليفه في الأرض للاختبار يمتحنه الله من خلال المنهج افعل ولا تفعل وأخبره تعالي بعدواه ابليس الذي مهمته أن يوسوس للإنسان ليجعله ينحرف عن الطريق وقد أخبرنا الله أن ابليس محترف في هذا المجال ولديه خبره طويله تمتد من لحظه ولاده ادم الي أن ينشئ الله النشاه الاخره وأخبر الله أن الوقايه من ذلك بالاعتصام بكتاب الله تعالي فاخبرنا الله أنه تعالي قد زود الإنسان بهذه التجربه العمليه التي خاضها ادم وحواء مع عدوهم الشيطان حيث أخبر الله آدم أن كل المأكولات في الجنه مباح له وزوجته الا شجره منعه من الاكل منها واتبع ذلك بالتحذير منها بأنه إذا أكل منها فإنهما قد ارتكب ذنبا وظلما لنفسيهما فالضوابط التي هي حدود وهامش الامان اذا اقتربت منها فإنك تكون عرضه للهلاك ففي هذا الموقف الذي كان يتأرجح فيه ادم بين الاقدام والأحجام اغرائه الشيطان فاكلا منها وبدأت لهما عورتهما وانكشف لادم وحواء خبث الشيطان وبذلك اكتمل بها وجود الإنسان وأصبح اهلا للتكليف فالله تعالي يقول (انا عرضنا الامانه علي السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

ولهذا قالا (ربنا ظلمنا انفسنا..الخ وبذلك كان بعدها بدايه رحله الإنسان ودوره في خلافه الأرض حيث وان التجربه تهدف إعداد الإنسان ليكون خليفه وتعطيه الدروس الاتيه

الدرس الاول

عليك أن تدرك أن الخلافه ليست مجرد رغبه في القيام بإصلاح أحوال البشريه والتحسين والعمران في الأرض فلابد أن تتحول الرغبه الي اراده مشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع مدعوم بإصرار متواصل مقصود وتصميم متطلع الي هدف مقصود ومعروف أن تبتغي بذلك إرضاء وبالتالي فلا تتردد ولاتتهاون في تحقيق الهدف وهذا يتطلب حمايه الارده من الآفات التي تفسدها عن القيام بدوره و الخروج عن الهدف ولهذا فإن معرفه ومحبه الله هي التي تجعل الهمه عاليه وتقوي العزيمه لأن ضعف الارده يعود إلي ضعف العلم بما ينفعه أو يضره ولأن التجربه من أهم وسائل العلم فإن رويه عواقب مخالفه المنهج بالتجربه العملي التي جسدتها هذه القصه في حياه الا نسان من أهم الدروس في حياه الانسان ولهذا لم يحدد النهي ماهي الشجره التي نهي عن اكلها لأن المقصود الذي يريد الحق أن يوصله لنا من هذه التجربة هو الحظر ذاته لأن الحظر يقصد منه حميه الإنسان من عاصفه الشهوه الخسيسه التي خلق عليها الإنسان فهذه الشهوه هي محل الامتحان والاختبار للإنسان فأراد الحق بهذا تدريب ادم علي الصبر وتحمل المشقه وان يشعر بالمسؤولية فهذا هو اختبار الارده التي يواجه الإنسان علي الأرض فإذا ضعفت الارده وجد الشيطان مدخلا ينفذ منه فعلي الإنسان أن يدرك أنه في معركه مع نفسه ابتدأ فإذا انتصر عليها كان علي غيرها اقدر أما إذا انهزم أمامها صار مطيه الشيطان

الدرس الثاني

كما أن ادم مكلف من ربه ليكون خليفه في الأرض فهذا هو المخطط من وجوده ولهذا فهو بحاجه الي التمرين علي القياده ولذلك جاء الخطاب من الله لادم (و ياادم اسكن انت وزوجك الجنه)

بأن عليه أن يدخل هو وزوجته الجنه وهو ما يدل أن حواء خلقت قبل أن يدخل ادم الجنه ولم يبين لنا كيف خلقت حواء وكل ما نعلمه أنها خلقت من ادم لقوله تعالى (يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث..الخ

أما من ذهب للقول أنها خلقت من ضلع ادم فلا يوجد دليل علي ذلك وأغلب الروايات من الاسرائليات أما بالنسبة للحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المراه خلقت من ضلع اعوج)

فإن هذا من باب التمثيل لبيان ان اعوجاجها رحمه مثل القفص الصدري فلو كان مستوا لما استطعت أن تتنفس والدليل علي هذا قوله صلي الله عليه وسلم بعده أن ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيرا)

وهذا مما لاشك فيه أن المراد منه النهي عن محاوله تقويم النساء بالشده والغلظه وانما يكون باللين فقياده الرجل للمراه لاتعني الاستبداد وانما هو لأجل ضبط حركه الاسره ولهذا نجد أن الخطاب توجه لادم فيه ولم يخاطب حواء أن تدخل الجنه وان ذكر بعدها الأمر فكلا و النهي ولاتقربا ...

فهذا فيه أن آدم هو القائد الذي يتولي قياده الاسره وادرتها والادراه مهم لتحقيق اي هدف فلابد من ضوابط لأن مشروع الشيطان يقوم علي الفوضي والعشوائية

ولهذا يقول الحق أن حياه الانسان لابد أن تكون منضبطه حركه مضوبطه خطوات مرتبه تخضع لمنهج ربنا يحدد مسار الخطوات باستشعار المسؤوليه عن تنفيذ قواعد المنهج وضوابطه فالشيطان يؤجج مافي نفس الإنسان من شهوات ورغبه بالملذات والوقايه من ذلك بعدم الاقتراب من الحرام فالنهي عن الاقتراب ابلغ من النهي عن الفعل نفسه فأراد بهذا أن يقول لك عليك أن تجعل بينك وبين الحرام هامش امان مسافه لاتقترب منه كما يكتب علي القواطر التي تحمل النفط ابتعد عن القاطره مائه قدم مواد سريعه الاشتعال فكذلك لابد من الوقايه من الشهوات لابد من الابتعاد عن المحرمات وعدم الاقتراب منها لان الاقتراب منها يجعلك في إطار سهام الشيطان ومرمي نبله ولهذا ورد في الحديث الأمر بالبعد عن مورد الشبهات وأسبابها (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالرعي يرعي حول الحمي يوشك أن يقع فيه إلا وان حمي الله محارمه)

وعلق النهي بذكر ما يعقب ذلك من الحرمان من رغد العيش نتيجه ظلم النفس

الدرس الثالث

اهميه الخبره في الخلافه لمواجهه التحديات ولأجل القيام بالمهمة ومنع اختراق الشيطان وهذا يتطلب المهارات الفنيه والقدره علي تنفيذ العمل وفق الخطه المرسومه ومن هنا كان تزويد الإنسان بهذه التجربه التي غرست في أعماق النفس الشعور بالألم نتيجه الوقوع في خديعه الشيطان فكان هذا درس عملي عن عدواه الشيطان الذي أخبر الله به الإنسان ثم علمت الإنسان درسا أن الكافر يتجرأ علي الكذب والقسم بالله فلا تثق به وأخباره وهذه أمور فنيه يحتاجها الإنسان في ميدان عمله اثنا ء الخلافه كان لابد من تجربه يخوضها الإ نسان عمليا لتكون حاضره أمامه مستقبلا وكذلك زودت الإنسان بالمهارات اللازمة التي يحتاجها في مواجهة العدو وعلمه كيفيه صد هجمات الشيطان من خلال توطين النفس علي الاعتراف بالاخفاق والفشل فهذه أول خطوه للخروج من الازمه ثم طلب عفو الله ومغفرته والتوبه من المعاصي

ولهذا فإن الجنه المذكوره ماهي الإمكان لتدريب الإنسان علي دوره في الخلافه وإعداده ليكون قادرا علي الاضطلاع بمهمته فكانت هذه التجربه تدريب عملي يترجم النظريات الي تجارب واقعيه

ثانيا

بعد أن انتقلت الآيات الي مرحله السكن في الجنه التي هي المرحله الثالثه من مراحل إعداد الإنسان ليكون خليفه بعد التكوين والتسويه بالخلق والتصوير في احسن صوره وذكر موقف ابليس من السجود لادم وما ترتب علي ذلك من طرد ابليس فذكرت النصوص بدء مرحله التدريب علي الأوامر والنواهي لتدريب الإنسان علي طبيعه المعركه مع العدو والاسلحه التي يستخدمها الشيطان لأن المعركه لابد لها من سلاح وهو ما تكشفه الآيات فقال تعالي (فوسوس لهما ليبدي لهما ماوءري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور)

ولهذا سوف نقف علي مدلولات النصوص ودراسه هذه المرحله من حياه الانسان والتي تسبق الاهباط الي الأرض واستلام ادم مفاتيح الأ رض ليزوال مهمته من خلال الآتي

المبحث الأول

أن الحق يريد أن يحدث التفاعل مع الاحداث فابتدات بنقل صوره تجسد مشهد التمرين والتدريب بأن اسكن الله ادم وزوجته الجنه المكان الذي أعده الله لتدشين برنامج الإعداد والتحضير والتمرين لادم قبل تسليمه الأرض التي خلق ليكون خليفه لله فيها

وقد أخبره بعدواه الشيطان وأساليبه واخبره أن هنالك معركه في الأرض سوف تحدث بينك وبين الشيطان فيجب أن تتخذ الشيطان عدو فلا تثق بعدوك لأن سلاحه هو الاغراء والغويه والتزين والخداع فهل انت جاهز لخوض المعركه ومواجهه التحديات فلابد أن آدم كان متشوقا ومستعجلا لاستلام خلافه الأرض لكن الحق أراد أن يزوده بهذه التجربه التي أراد أن تكون نموذجا حاضرا في ذهن كل انسان الي قيام الساعه ولهذا كان بدء تدشين الأوامر والنواهي عندما اسكن الله ادم وحواء الجنه فأخبره الله انه اذا ضعفت وخرجت عن منهج الله الذي امرك فإنك تفقد منزلتك واعلم أن قوتك بالحذر من طاعه الشيطان فهو العدو الذي يسعي لنزع منزلتك منك

وهنا تنقل لنا النصوص موقف الشيطان فقال تعالي(فوسوس لهما الشيطان)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

(ماذا تعني الوسوسة)

تعني الهمس سرا وبالخفاء والمتكرر ولهذا فإن وسوسه الشيطان ما تجدونه في أنفسكم من خواطر ردئيه وهي شر محض وهي سلاح ضعيف وان كانت تهاجم النفس ولم يعط الإنسان القوه علي قطعها ومنع هجومها علي النفس إلا أن قوه الايمان والعقل بما يعينه قبول أحسنها وعلي دفع اقبحها وكراهته لها ونفرته منها ولهذا قال تعالي (فوسوس لهما الشيطان)

لأن نفره النفس منه جعلت الشيطان يلجاء الي الهمس بالخفاء فالنفس تكره الشر ولاتقبله فلو كان خيرا لما همس به في الخفاء

فلا يكون الهمس من المتكلم الا في حاله خوف اطلاع الناس عليه لأنه أمر قبيح

فذكرت النصوص تبعات الوقوع في المعصيه من كشف العوره وهبوط منزله ادم بعد أن كان حديث الملائكه ويشار إليه أنه الذي كرمه الله عليهم صار يشار إليه بأنه ارتكب الخطئيه بعد

المفهوم الثاني

(الخواطر والهواجس بين الهام الملك ووسوسه الشيطان)

ان الحق سبحانه وتعالى يريد منك ايه المخاطب أن تحذر الهواجس والخواطر التي تدعوك الي الشر قبل أن تتحول إلي شهوه وان تحافظ علي قوه النفور مما حرم الله فقطع الخاطره اسهل علي النفس من قطعها بعدما تتحول إلي شهوه وهذا التحذير مهم لأن قوه فعل الوسوسه هو أنها تخفي علي الإنسان فلا يشعر بها وهذا المعني مأخوذ من الكلمه المستعمله فهي إنما يكون لها فاعليه إذا غفل الإ نسان فإن هذا يسهل عمل الشيطان ولهذا فاللازم عليك أن تتفحص الخواطر والهواجس التي ترد الي النفس وعرضها علي ميزان الشرع فإذا كانت تدعوك الي مخالفه منهج الله فاعلم أن هذه الخواطر والهواجس شيطانيه

وان كانت تدعوك الي الخير الموافق لمنهج الله فاعلم أن هذه الخواطر من الهام الملك احذر من الانخداع بالتزين والمبررات التي يسوقها الشيطان خاصه وان النفس الاماره والهوي تساند

الشيطان في هذه المعركه التي يكون العقل والملك والقلب واقفين معك في هذه المعركه فمثلا السارق اذا أراد أن يسرق فإن العقل يقول له لاتعمل ذلك في حين تقول له النفس الاماره بالسؤء افعل وهنا يستمر النزاع بين جيش الحق الساكن فيك وجيش الباطل الذي له موقع من كيانك فإذا انتصر جنود الحق انهزم العدو الداخلي للإنسان وبعدها تكون القياده للنفس والهوي والشيطان وحينها يخضع العقل لاملا ءت الأعداء فيبدأ بوضع خطه السرقه أما إذا انتصر جيش الحق فإن القياده تكون للعقل والقلب والملك وذلك فيه السلامه والنجاه ف الملك يلهم والشيطان يوسوس وانت مخير أما أن تتحرك وتقوي سلطان الملك وأما أن ترضخ لاملاءت الشيطان

ولهذا جاء (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين)

عطفا علي قوله فوسوس بيانا وتفصيلا لكيفيه الوسوسه

١

أنه قام بتزين المعصيه كي تنطوي الخدعه علي ادم واستغل أهواء النفس التي تحب البقاء وتكره الموت وتحب أن يكون لها خصائص اله لائكه فابليس يريد من البشريه أن تنطلق في مسيرتها من خلال الشهوات والملذات ولذلك فهو يوجهها

٢

دلت النصوص أن آدم وحواء لم يستجبا لطلبه رغم تزين المعصيه ولهذا لجاء ابليس الي الحلف بالله كي يخدعهما فاغنر ا ادم لانه لم يكن يظن أن هنالك من يحلف بالله كذبا فنحن نعلم أن الجن استغربت أن يقول المكلفين علي الله الكذب فانخدعت بترويج الانس و الجن للخرفات فقال تعالي (وأننا ظننا أن لن تقول الانس والجن علي الله كذبا)

فهذه هي طريقه المنافقين يوكدون اكاذبيهم بالقسم بالله فتراهم يكثرون الحلف لاظهار أنفسهم أنهم ناصحين لأجل اخفاء الغرض الأ ساسي لهم وهو أنهم يريدون أن يفضحوك ويظهروا عيوبك التي لاتريد احد أن يطلع عليها ولهذا قال تعالي (وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين)

اي الناصح الذي يريد لكم الخير في مشورته قائلا أنا أكثر منكم عمرا فقد خلقت قبلكم واستعمل صيغه المفاعله (وقاسمهما)

اشاره الي أنهما كانا مترددين فكان في سلوكهما عنه قسما بينهما باتهامه والحذر منه ولهذا استعملت هذه الصيغه التي تعني المقاومه بينهما وبينه

المفهوم الثالث

أن من أهم الدروس المستفاده من التجربه هو تعريف الإنسان بالتجربه العمليه الاحساس بالالم ليكون منبها له من المخالفه فجاء ذكر تبعات الوقوع في المعصيه بعد أن عرضت النصوص مشهد الاستمتاع باللمذات في الجنه دون منغصات ليكون من ذلك الشعور والحسره والندم سببا للشوق الي ما عند الله لتعرف فائده الالم

فلولا هذه التجربه لما عرف الإنسان اضرار المعصيه لكن الحق سبحانه وتعالى اقتضت رحمته تعالي أن يضع ادم في هذه التجربه وان لا يعاقبه بالطرد واللعن ولكن عفا عنه لتكون هذه التجربه التي نضجت بها ذات ادم نموذجا للبشريه ليكون هنالك احساس والتقاط الإ شارات كي يسعي الإنسان في علاج نفسه قبل أن يفوت الأوان ولهذا كان تبعات الوقوع في المعصيه درسا يعرف به موطن الخلل وتدرك أسباب الازمه فقد عرف الإنسان ان صبر ساعه علي الشهوات اهون من عاقبه المخالفه إدراك أن مهمته تحتاج إلي همه عاليه ونفس شريفه تنظر إلي النهايه التي فيها السعاده الحقيقيه ولهذا لما اكل ادم من الشجره انعكست المقاييس واستبان لادم وحواء العوره التي لم يكونوا يعلمون بها فقال تعالي (ليبدي لهما ما وءري عنهمامن سواتهما)

فقد أراد ابليس كشف عوراتهما حسدا منه لما راي تكريم ادم وحواء وتدل الايه أنه قبل هذه التجربه لم يكن يعرف ادم وحواء أن لهما عوره فقد خفيت عليهما لأن الله سترهما فجاء بصيغه المجهول ماووري عنهما من سوآتهما ويقال وري الشي غطاه وستره والسوء ما يسوء الإنسان أن يراه غيره ولهذا سميت عوره لانه يسوء الإنسان أن يطلع عليه غيره ولم يكن ادم قبل ذلك يعلم أنها عوره لأن الغطاء الرباني الذي كان يسترها لم يجعله يشعر به

المبحث الثاني

أن الايات تهدف من هذا التركيز علي خطه ابليس وأساليبه ان تغرس في النفوس جديه المعركه تشعر انك في حرب مع الشيطان ومع نفسك ومع الهوي وان جنود الشيطان من داخلك

يحاولون إفساد سعادتك فطاعه الله جنه حقيقه لايشعر بها إلا المطيع أن القرب من الله هو الذي يمدك بالسعاده والاطمئنان والراحه لا الشهوات هو الذي يزدوك بالرفعه ويشبع العاطفه فالطاعه فيها المنزله العاليه ولهذا فإن الشيطان يسعي الي أن تفقد هذه المنزله فقال تعالي (فدلاهما بغرور)

حيث وان معني فدلاهما من قولك دليت الشي اي أنزلته كما ينزل الدلو في البئر اي اسقطته وهذا السقوط يجده كل من يرتكب المعصيه حيث يجد الكابه والضنك ولهذا يقول الله (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا)وابليس لا يلقي بوساسه دفعه واحده ولكن يأتي بالتدرج حتي لايجد معارضه من الإنسان ينفذ من الأبواب المفتوحه الشهوات والشبهات فعليك إغلاقها ولهذا استعمل لفظ (بغرور) تشير الي التكرر والإلحاح بالاماني الكاذبه والوعود الباطله اي فخدعهما بغروره انزلهما من مرتبهما الي منزله أقل مما كانا عليه فارتكاب المعصيه فيها الانحدار والسقوط

ثانيا

تبين النصوص لنا العديد من القواعد والدروس التي يجب علينا أن نستنبطها من القصه نذكر منها الآتي

الدرس الاول

عليك أن تدرك أنك إذا خالفت المنهج الإلهي فانك تكون عرضه لانكشاف العوره

وبالتالي فإن السلاح الذي تواجه به الأعداء هو التمسك بكتاب الله وسنه رسوله

فأنت في معركه مع أهل الكفر الذين هم أعوان الشيطان وجنوده ولهذا فإن النجاه والتغلب علي الأعداء يكون بالاعتصام بحبل الله ولهذا يقول لنا الحق أن ظهور عوره ادم وحواء بدت عند المخالفه فقال تعالي (فلما ذاقا الشجره بدت لهما سؤاتهما)

انكشفت العوره وظهر مايسؤء الإنسان ولهذا فاي عوره تنكشف في الأرض يكون وراءها مخالفه المنهج قال تعالي (ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت ايدي الناس)

ولهذا فإن الستر والجمال والسعاده يكون بالتزام منهج الله

الدرس الثاني

ان المومن يدعو إلي الخير والستر اي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر ومنع اشاعه الشرور والقبائح في المجتمع فلا يحب اشاعه الفاحشه بين الناس ولايتتبع عورات الناس فهو منشغل بعوراته لكن الكافر واتباع ابليس فإنهم منشغلون بتعريه الناس وإظهار عوراتهم المستوره وهم يدعون الي التعري ونشر الرذيله والفاحشه

الدرس الثالث

(الي من تنصب مكائد الشيطان)

عليك أن تدرك أن مكائد الشيطان تنصب حول هدف صرف الفطره عن توجهها وحرفها الي طريق الضلال والهلاك إذ أن الله خلق الإنسان علي الفطره فقال تعالي (ليبدي لهما ماووري عنهما من سوآتهما) فهذه هو هدف ابليس فقد ورد في الحديث مما رواه مسلم في صحيحه عن عياض المجاشعي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إلا أن ربي أمرني أن اعلمكم ما جعلتم مما عملني يومي هذا .....يروي عن ربه (اني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطان)

ولهذا فإن مهمه الرسل والأنبياء ليس تغيير الفطره ولاتحويلها ولاتبديلها وانما إيقاظ الفطره وتذكيرها بما هو معلوم لها

فابليس أراد تعريه ادم وحواء سواء كان ذلك حسيا أو معنويا

فجعل كشف عوره ادم وحواء غرضا لعمله

ولهذا لما ذاقا من الشجره وكشفت عورتهما عمدا الي أخذ اوراق من شجر الجنه وجمع ذلك كما يفعل الإنسان البدائي لستر العوره وتغطيه جسدهما واورحهما ادركا بالفطره قبح كشف العوره ولهذا شرعا يقطعان اوراق من شجر الجنه ويصنعان من ذلك اغطيه تستر عورتهما فما الذي دفعهمالذلك أنها الفطره

ومن هنا تعلم الإنسان أنه بحاجه الي ما يستر عورته وهو المنهج الرباني ولهذا يأتي الخطاب الإلهي بعد بيان عاقبه ارتكاب المعصية (ونادهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجره وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين)

بأن التعري وانكشاف العوره يعود إلي مخالفه المنهج الي ضعف الارده في المعركه إلي الثقه يالعدو الذي يسعي للافساد في الأرض فهو لا يريد سعاده البشريه فكيف تثقون بنصائح العدو

الدرس الرابع

تبين النصوص أن الإنسان واقع بين الهام الملك الذي يقول لك التزم بأمر الله وبين وسوسه الشيطان الذي يدعو إلي الفوضي والعشوائية والخروج عن منهج الله والانسان واقع بين الهام الملك ووسوسه الشيطان كانت هذه التجربه لتربيه الإنسان علي إعمال العقل بأخذ الحيطة والحذر من عدواه تذكر عواقب الأمور فكان في ارتكاب ادم الخطئيه اكتمال ولاده الإنسان فعلمه الله كيف يتوب فقال تعالي (قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)

وهذه هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه كما قال تعالي في موضع آخر (فتلقي ادم من ربه كلمات فتاب عليه ...الخ

ومن هنا كان اعداد ادم وحواء لاستلام امانه الخلافه فقال تعالي (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاعا الي حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

فهبوط ادم وحواء هبوط تكريم فيه بدايه مباشرتهما عملهما في الأرض الخلافه بينما هبوط ابليس هو ابعاد وطرد من رحمه الله فشتان

بينهما

واخبر الله آدم وحواء أن الأرض فيها الحياه والموت ومنها يكون الخروج والبعث والنشور

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثالث من سوره الاعراف

ابتدأت ايات هذا المقطع بالنداءت المتكرره (يابني ادم)

عقب تناول النصوص امتنان الله علي الإنسان بالتمكين في الأرض وتسهيل المعاش وما أعقب ذلك من سرد قصه نشاه البشريه فجاء النداء هنا متوجها إلي أبناء ادم متضمن عده توجيهات فقال تعالي

(يابني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سوءتكم وريشا ولباس التقوي ذلك خير ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون يابني ادم لايفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما أنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايومنون واذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لأيامر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدي وفريقا حق عليهم الضلاله أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون)

اولا

ابتدأت ايات هذا المقطع بقوله تعالي (يابني ادم)

ثم كررت ذلك في أكثر من موضع بعد أن تناولت النصوص قبلها قصه نشاه البشريه ادم بمراحلها واختتمت بكمال ولاده ادم ومباشرته لدوره ووظيفته علي الارض بقوله تعالي (اهبطوا بعضكم لبعض....الخ وبأن الحياه علي الا رض موقته والموت فيها ومنها يكون البعث والنشور ولهذا فإن هذه الندءات عقب ما سبق تهدف إلي الآتي

الدرس الاول

(الغرض من ذكر القصه في القران)

يخبر الحق عباده أن عرض القصص في القران ليس لأجل الاستمتاع بسماع الأحداث التي جرت في التاريخ فهذا ليس الغرض من حديث الحق عن قصه نشاه البشريه وخلق ادم بل الغرض اخذ الدروس والعبر من القصه

ولهذا يأمرهم أن يقفوا علي ما في هذه المرحله من حياه الانسان ليأخذوا منها الدروس التي تتحدث عنها النصوص فليس ذكر القصه غرضا للتسليه

ولهذا نجد أن النصوص وردت تعقيبا علي قصه نشاه البشريه فالنصوص تبين لنا (اهميه القراءه الشرعيه لدليل الحدث و فقه التحولات) اي لابد لنا أن نقف علي المراحل التي تتحدث عنها النصوص لتكون قراءتنا سليمه للتاريخ وذلك بربط الاحداث التاريخيه بالديانه فهذه هي القراءه الشرعيه الصحيحه للتاريخ لنحصل علي الفائده حيث وان هنالك قراءه مشبوهه لاتستند الي دليل وتتطاول بالقول علي الله ما لاتعلم وهنالك قراءه وضعيه ماديه بحته للأحداث أو تقوم علي الاساطير ويحسبون أنهم مهتدون ولهذا نجد النصوص تتناول الأمر بالقراءه الشرعيه التي تنطلق من ربط قراءه التاريخ بالديانه وحيث أن الايات السابقه قد قسمت المراحل التي كان نشاه الإنسان الي ثلاثه اقسام :_

/١

مرحله التكوين الادمي وموقف ابليس من السجود لادم وما ترتب علي ذلك وما ترتب علي ذلك فالمطلوب منك دراسه ذلك لتعرف أن الحق سبحانه وتعالى قد خلق الانسان في احسن تقويم وصوره فأحسن صورته يذكرهم

المولي سبحانه وتعالى بعدواه ابليس وموقفه من تكريم ادم ابو البشر الذي يجب أن يتخذوه عدوه فقال تعالي (يابني ادم)

٢

دراسه مرحله بدء الأوامر والنواهي مع التجربه التي اسكن فيها ادم الجنه وفقه عدواه الشيطان والذي يسعي جاهدا لكشف عورات الإنسان

٢

مرحله الهبوط الي الأرض وبدء مرحله الصراع بين الحق والباطل وان من أثر ذلك أن ينقسم الناس الي قسمين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي الاهتداء للحق والتوفيق لما يرضاءه الله ومعونه الله وتوفيقه حتي لايقع في الضلال وهو يظن أنه علي الهدي

وهذه الأمور هي ما تتناولها الآيات في هذا القسم والمطلوب من الإنسان أن يقرا دليل الحدث القراءه الشرعيه

فالمطلوب أن تتذكر الدرس الذي تلقاه ادم قبل أن يتسلم مهمه الخلافه علي الارض حيث هبط الي

الارض حاملا مشروع الخير في مواجهه الشر ومخططاته فقال تعالي (اهبطوا بعضكم لبعض عدو)

فالمعركه ازاليه بين الشر والخير بين الصدق والكذب بين القبيح والجميل بين العدل والظلم

ولما كان ادم قد تلقي درسا بليغ حيث كانت أول معصيه هي نزع الثياب وكشف العوره لهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (يابني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سواءتكم وريشا ولباس التقوي ذلك خير ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص والمفاهيم التي احتوتها نجد الآتي

الأمر الأول

(اهميه رؤيه احسان الله وحسنه)

ابتدأت الايه بقوله تعالي (يابني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سواءتكم وريشا)

وهو ما يفهم منه امتنان الله علي عباده بعطاءه وإحسانه وحسنه لعباده فهو سبحانه وتعالي قد انعم علي الإنسان بنعمه التمكين بأن جعل الأرض مسخره للإنسان وهذا يوجب عليك أن تشعر بأن لك ربا يعتني بك ولأن الإنسان هدف للشيطان الذي يسعي الي تعريه الإ نسان فقد انزل الله للناس اللباس الذي يغطي عوراتهم

ولهذا فإن الله يريد أن يلفت انتباهك الي مساله في غايه الاهميه أنهانعمه مميزه اختص الله بها الإنسان وهذه النعمه هي انزل المطر التي كان به خروج نبات القطن التي يتم صناعه الملابس منها

والسوال :_ كيف يكون ذلك نعمه خاصه ونحن نعلم أن نزول المطر يكون به خروج جميع النبات ؟

الجواب :_

أن خصائص النبات التي يستخلص منها الخيوط لصناعه الملابس كانها خلقت لهذه الوظيفه لخدمه الإنسان في هذا الأمر

فلا ينتفع بها إلا الإنسان ومن هنا كان قوله تعالى (أنزلنا) فيه الاشاره الي منفعه خاصه بالإنسان كما قال تعالي (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)

كما أن اللولو وجد لأجل أن تتزين به النساء فهنالك اشياء خلقها الله تعالي لأمر خاص فالله خلق كل شي لغايه ووظيفه فأنزل المطر الذي أخرج القطن لأجل ستر عوراه الإنسان وتغطيه العوره المغلظه

وكذلك الريش وهو ما يزبن الإنسان فهو من الأمور التحسينيه الكماليات لذلك يقال فلان مريش اي قادر علي توفير الكماليات

وكذلك انزل الله المنهج الرباني الذي يستر روح الانسان وهو ما يجب علي العبد أن يذكر فيه عطاء الله لعباده فتري حسنه وإحسانه فهذا التوافق بين طبيعه الكون ونشاه الكائن الإنساني من أهم مظاهر العطاء الإلهي

الأمر الثاني

يريد الحق منك ان تدرك أنه تعالي لاينزل الا الخير فهو تعالي انزل المطر الذي أخرج به النبات التي تصنعون منها الملابس التي تستر عورتكم وكذلك انزل القران الذي فيه ستر العورات المعنويه فأنتم في معركه مع الباطل وسلاح هولاء هو السعي لتعريه الناس ومهتمكم ستر العورات سواء الحسيه أو المعنويه

ولهذا فإن ما شرعه الله في كتابه ليس قيدا للحريه كما يتصور البعض بل هو لحمايه الإنسان من سهام الشيطان فالمنهج صيانه للإنسان وفيه السلامه له

فعليكم أن تتذكروا معاناه ادم وحواء عندما كان منهم مخالفه منهج الله فتكريم الحق للإنسان المذكور في المقطع السابق هو لأجل أن يقوم بحمل امانه الخلافه

الأمر الثالث

اذا كانت السؤءه تعني أن الإنسان يكره أن تكشف عورته بالفطره وينظر لها انها من القبائح فاللازم عليك أن تكره كشف العوره المعنويه فاللازم أن تنظر للشرك أنها قبيحه وتنظر الي شرب الخمر أنه مقزز مغلما انك تنفر من رؤيه منظر قبيح ينبغي أن تنفر من النفاق والكبر و الكذب تنظر إليها أنها قذورات لأنها سواءت النفس التي تحتاج إلي لباس يستر سواتها و هذا إنما يتحقق بالتقوي التي تودي الي يقظه الضمير ومراقبه الله فينتج عن ذلك أنه يستقبح أن يراه الله في معصيه كما يكره أن تظهر عوراته لانه يستحي من الله وتكمن الافضليه هنا للمتقي لانه من لايستحي من الله ولايتقيه فإنه لايبالي أن يتعري وان تكشف عوراته أما الذي يخاف الله ويستحب منه فإنه يكون حساس يستحي من الله وبالتالي يكون حريص علي ستر عورته

الأمر الرابع

عليك أن تنظر إلي الكون ومافيه لتري أنه تعالي خلق كل شي ليحقق هدفا وظيفيا ويحقق هدفا جماليا فالهدف الوظيفي هو الضروري وان الهدف الجمالي هو التحسيني ولهذا فإن الفاكهه التي خلقها الله مثلا لها هدف وظيفي وهو الغذاء الذي فيها وكذلك لها هدف جمالي انك تستمع بمنظرها الجذب الجميل

ولهذا فمن الطبيعي أن يكون يلبس المومن ما يستر عوراته وبنفس الوقت أن تكون هذه الملابس انيقه وجميله ذات ألوان منسجمه ومتوافقه مع بعضها ولايعد هذا كبر ما ينظر البعض فالله جميل يحب الجمال وكذلك فإن من المومن الكامل هو الذي يهتم بمظاهره الخارجي والباطني فليس معيبا أن تكون بيتك نظيفه ومرتبه وانيقه المظهر بل هذا هو المطلوب من كل مومن ولكن ينبغي أن يكون تجميل الأشياء وفقا لمنهج الله ولايخرج عن شريعه الله فالله ذم التباهي والعبث بالمال في غير محله فقال تعالي (بكل ريع ايه تعبثون)

فهذا ليس تجميل بل عبث لكن أن يكون المومن انيق فهذا مطلوب بل ومطلوب لقوله تعالي (وريشا) وهذا يعني جمال الذواق لا جمال الكبر فالاعتناء بالجمال أمر مطلوب لتنقل عزيزي المومن صوره طيبه عن الإسلام ليكون في ذلك اظهار الاسلام في مظهره الجميل لجذب الآخرين إليه

فإذا قدمت شئيا للآخرين فأنت ملزم أن تهتم بجوهره ومظهره وإذاتكلمت ع انسان واردت أن تنصحه فأنت ملزم أن تختار الالفاظ الجميله القادره علي جذب هذا الشخص ليسمع لنصيحتك وكذلك فإنك عندما تنطق بكلام جميل فاللازم أن يحصل الانسجام بأن تكون م لابسك جميله وهكذا يكون الربط بين الجمال والايمان والقيام بالمسوليه وان ذلك يجعلك تتذكر فضل الله عليك فهو تعالي خلقك وصورك فأحسن صوركم

الدرس الثاني

ان النداء يابني ادم بعد ذكر قصه ادم وقوله (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

ليقع اقبالهم واستحضار قصه والدهم ادم وما كان من وسوسه ابليس فإن من شأن الذريه أن تثار لابائهم وان تحترس من الوقوع في مصيدته

تهدف إلي ابطال ما كان عليه المشركون الذين كانوا قد خالفوا الفطره ومن ذلك أنهم اختلفوا قانون الحمس فجعلوا لأنفسهم دون غيرهم أن يحجوا بملابسهم المستعمله واما سائر القبائل العربية فعليهم أن يحجوا بملابس جديده او يكون استعاره ملابس من قريش أو يحجوا عرايا بلا ملابس

ولهذا ابتدأت بالنداء يابني ادم ليقع اقبالهم واستحضار قصه والدهم ادم و ماكان من وسوسه ابليس الذي خدع والدهم ادم فالاصل أن من شأن الذريه أن تثار لابائهم وان تحترس من الوقوع في مصيده الشياطين ولما كان ادم وحواء قد ستر عوراتهما بأوراق الجنه بالهام الله بما أودع فيهم من فطره وهبط معه اوراق الجنه التي ستر بها عوراته فإن ذلك أوقع وادعي للشكر فكان نزول ادم معه اوراق الجنه التي ستر بها عوراته فيه معني الاختصاص اختص الله به الإنسان أو التسخير كما أوضحنا سابقا كما ذكر الله بشأن الحديد والأنغام ف اللباس من اصل الفطره الانسانيه والفطره اول اصوال الاسلام ولهذا جاء التعرض باساءه استخدم أهل مكه للكعبه من حيث مخالفه الفطره بالتعري بالحج وتحريم الزينه ومن جهه ثانيه جعلوا لأنفسهم منزله ومكانه بدون وجه حق فجاءت النصوص تذكرهم باصلهم الذي يجمعهم مع الناس كافه بأنهم ابناء ادم فلا فرق لاحد وايضا الاخبار بأن اختيار مكه لتكون الأرض التي انطلقت منها الرساله لايعني تكريس العنصريه التي صنعتها الجاهليه فلا تفاضل الا بالتقوى ولا فرق لأحد

مبينا أن الدعوه للتعري هو سلوك الشيطان واولياءه فالإسلام يدعو إلي الستر ولهذا جاء باستنافين

الأول (ولباس التقوي ذلك خير) بأن لباس التقوى بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهي هو خير للمومن

الثاني :ـ

أن اللباس من ايات الله الداله علي قدرته ولطفه وإحسانه عليهم فهي من دلائل وحدنيته وربوبيته وفضله ورحمته لعلهم يتذكرون هذه النعم فيشكروا الله ولا يعودوا الي النسيان الذي أوقع ابوهم في المعصيه اي يتصوروا هذا المعني فقال تعالي (لعلهم يذكرون)

فأراد الله بهذا

ثانيا

اختتمت الآيات بقوله تعالي (لعلهم يذكرون) بعد بيان انعام الله علي الإنسان بتيسير اللباس الذي هو من ايات الله الداله علي ربوبيته وفضله تعالي وإحسانه التي توجب شكر الله واليقظه فلا يعودوا الي النسيان الذي أوقع ابوهم في المعصيه فاللازم عليهم أن يتصوروا هذا المعني علي الدوام ثم قال بعدها تعالي

(يابني ادم لايفتنكم الشيطان كما اخر ج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم

فأراد بهذا الآتي

الأمر الأول

أن يحسن العبد قراءه التاريخ والذوات والانعام التي انعم الله بها وان تكون حاضره في الذهن فأنت عندما تلبس ثيابك في الصباح الباكر عندما تقوم من النوم وعندما تمشي وتمارس عملك تنظر لنفسك والملابس تستر جسدك وعندما تضعها وقت النوم في كل الأوقات عليك أن تستحضر قصه ادم وحواء عندما انخدعا بتزين الشيطان فتشعر بتلك العدواه تري أن

المعركه جديه بين الحق والباطل بين الشر والخير وانك عنصر أساسي وفاعل في هذا الصراع وأنك في خندق الخير وان عدوك في خندق الشر وان الشيطان واتباعه يتقنون استعمال الوسائل والأساليب التي تهدف إلي نزع اللباس عن الإنسان وتتفنن في صنع البدائل التي تخدع الكثيرون وهو ما يدفع البعض الي خوض المعركه بدون وعي ولاشعور ولهذا جاء الالتفات من الخطاب الي الغيبه في التعقيب (لعلهم يذكرون)مع أنه ابتدأ بالخطاب يابني ادم فهذا الالتفات فيه تعريض بمن لم يتذكر من بني ادم فكأنه غائب في حضره الخطاب يقول لنا عليكم التحديث والتجديد للوسائل والأساليب مع تأصيل البدائل علي العشوائية الشيطانيه والاطروحات الانفعالية فانتم مطالبون أن تتصوروا معني عدواه الشيطان واتباعه ولاتقعوا فيما وقع فيه ادم فالتجربه التي ذكرتها مرحله السكن في الجنه لادم هي نموذج نعرف به حقيقه العدو ومن أهم الدروس التي يجب علي الإنسان استحضارها في حياته

فقال تعالي (يابني ادم لايفتنكم الشيطان كما اخر ج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما أنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايومنون)

الأمر الثاني

يذكرهم بعدواه الشيطان القديم مع ابيهم ادم وسعيه لإخراجه من الجنه والذي كشف عوراته فخرج من الجنه بعدما كان مستقرا فيها وهذا اكبر دليل علي عدواه الشيطان يقتضي الحذر منه فالمعركه مستمره ولن تتوقف الي قيام الساعه وسعاده

الإنسان تكمن في الوقايه من هذه الفتن ومضلاتها التي يصنعها الشيطان وأعوانه فهي تهدف إلي تعريه الإنسان وإخراجه من السعاده التي يجدها بالالتزام بمنهج الله تعالي فهذه هي الجنه التي كان فيها ادم قبل أن يزين له الشيطان مخالفه المنهج الرباني فالشيطان ولهذا فإن ما تتخذون لأنفسكم من شرائع ومناهج صنعها الإنسان يعني انتصار الشيطان الذي لايريد لكم السعاده بل يسعي وراء الأسباب التي تودي الي كشف عورتكم فهو لايترك بني ادم وشانه فالشيطان يبذل جهده لأجل اغواءكم وفتنتكم

الأمر الثالث

أن خطه الشيطان تهدف لإخراج الناس من النور الي الظلمات من خلال تزين الباطل وتلبيس امره علي الفطره التي تعرف الحق وتحبه ولهذا فإن العدو يترصد لمواطن الثغرات والضعف كي ينفذ منها فهو يسعي الي كشف عوراتك المستوره ولهذا قال تعالي (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما)

وهذا فيه تصوير لشده المعركه التي يسعي فيها ابليس وراء شقاوه الإنسان وإخراجه من السعاده التي هو فيها واضاف نزع اللباس الي الشيطان وان لم يتولي ذلك لأنه كان بسبب منه فاسند إليه ذلك كما تقول انت فعلت كذا ...والمراد بهذا تذكر موقف ماحل بادام حتي لا تغفل وان تكون في يقظه دائمه فالمعركه لن تتوقف

فالعاقل لايسلم زمام امره الي عدوه لانه أن فعل ذلك فقد شارك في اهلاك نفسه باردته وهو يري جيوش الشر تمترس في خندق الشيطان

الأمر الرابع

يقول لك الحق أن الستر واللباس هو من عنايه الله ورعايته للإنسان سواء اللباس الحسي (الملابس) أو لباس الروح التقوي بالمنهج الرباني فإن هذا من عنايه الله بااولياءه يخرجهم به من الظلمات الي النور وفيه حمايه وتحصين للإنسان من سهام إبليس وان الخروج عن المنهج يجعلك هدفا سهلا للشيطان فعليك الحذر من الاستسلام للشيطان ولهذا قال تعالي (أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)

أن عدوك خفي لاتراه وهو متربص بك ويراك فأنت بحاجه الي شده الاحتياط ومضاعفه اليقظه بحاجه الي ولايه الله التي تحميك من الشيطان فالله يقول (أن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)

ومن هنا نفهم سبب مجئ التعقيب السابق بالالتفات الي الغيبه

(لعلهم يذكرون)

فالاتصال بالله ودوام ذكر الله هو الذي يجعلك مستور لاتصيبك سهام الشيطان

وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك والله قد أخبرنا أن الشيطان يرانا من لاتراه هو وجنوده وذريته ؟

الجواب

اذا سالت عسكري ما الفرق بين الهدف المكشوف والهدف المستور فإنه يقول لك :_

الهدف المكشوف الذي يعني أننا أراه ويمكن لي أن أطلق الرصاصه نحوه بحيث تصيبه

أما الهدف المستور فهذا يعني أنني يمكن أن أراه لكن إذا صوبت البندقيه نحوه فإن الرصاصه لايمكن أن تصيبه لوجود حواجز يستحيل معها أن تصل الرصاصه الي الهدف

وهذا فيه أن امتثال أمر الله واجتناب نواهيه والالتجاء الي ولايه الله بالعبوديه والطاعه تمنع سهام الشيطان أن تصل اليك لأن الله

يحمي أولياءه فهو القائل (أنه ليس له سلطان علي الذين آمنوا وعلي ربهم يتوكلون إنما سلطانه علي الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

ولهذا نجد أنه تعالي يعقب بقوله تعالي (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايومنون)

فعدم الايمان هو الموجب لعقد الولايه بين الإنسان والشيطان

ثالثا

تبين النصوص أن أولياء الشياطين يسعون الي كشف العورات وتعريه الإنسان ونزع كرامته أنهم يصبحون جزء من مشروع الدعوه للاضلال والافساد في الأرض ولهذا فإن أي دعوه للتعري وكشف العورات الحسيه أو المعنويه إنما هي دعوه الشيطان

فالاجهزه التي تدعو الي التبرج وكشف العورات هي اجهزه جاهليه واجهزه الشيطان وأدواته فالشيطان يسعي الي جعل الإنسان كالحيوان بلا كرامه ولا مشاعر ولا احساس يسعي الي إسقاط العلم والاعتقاد من خلال استهداف المراكز الدينيه من خلال تغيير معالم الايمان فيها وكذلك إسقاط قرار الحكم والاقتصاد ليكونوا اداه خدمه المشروع الابليسي في الأرض ولهذا تعرض لنا النصوص مواقف تجسد فساد وانحطاط الاعتقاد في الجاهليه التي اتخذت الكعبه لأغراض ومصالح اقتصاديه بحته عندما اختلقت قريش مبدأ (الحمس) الذي انتزعت لنفسها حقوقا علي سائر قبائل العرب بعد أن جعلوا الكعبه مكانا الأصنام وصنعوا قوالب اعتقاديه زعموا بأنها شريعه الله بأن جعلوا العرب لاتطوف الابملابس جديده لم يلبسها من قبل والا فعليهم الطواف بدون ثياب ولهذا قال تعالي

(وإذ ا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها أباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايامر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لاتعلمون)

فالايات فيها

المبحث الأول

تبين الآيات اثر من آثار تسلط الشيطان علي الذين لايومنون بأنهم يعملون القبيحه من الشرك والطواف بلا ثياب وعباده الأصنام وارتكاب الفواحش وينسبون ذلك لله تعالي وأنه شرع الله وإذا سئلوا عن الدليل علي فعل احتجوا بتقليدهم آباءهم وان الله أمرهم بذلك فقال تعالي (واذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها أباءنا والله أمرنا بها)

الأمر الأول

وهنا نري كيف أن الجاهليه الاولي كانت تحافظ علي خدع الناس بادعاءها أن ما هي عليه شريعه الله وهذا يعود لأن الناس كانوا لا يقبلون اي تشريع الا أن يكون له مصدر من وحي الله ولهذا اضطر أعوان الشيطان الي اختلاق هذه الأكاذيب

أما الجاهليه الثانيه التي نحن فيها فإن الشيطان قد لجاء الي وسائل اشد خطوره حيث نجد أنها تنكر علي الله حق التشريع بالجمله

الأمر الثاني

(معاني الفاحشه في القران)

وردت علي معاني عديده :ـ

الزنا :-

(ولاتقربوا الزنا أنه كان فاحشه)

بمعني اللواط

(ولوطا إذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشه ماسبقكم بها أحد من العالمين)

كما يطلق اللفظ علي الشرك والمعاصي والكبائر (ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن)

الأمر الثالث

تبين النصوص فساد قوي العقل والنفس الحب والبغض لدي هولاء فهم لاينظرون الي الفاحشه كما هو عليه صاحب الفطره السليمه فهذه الكلمه اذا سمعت يعني أن تنصرف الي الذهن معاني الفعل القبيح فعل يسبب لفاعله العار والخزي فعل مستقذر للنفس وتكره وتبغضه

وسمي بهذا الاسم لأن اثاره تمتد الي المستقبل ولهذا ارتبط بالزنا لأن الزنا أضراره مستمر حيث أنه انتهاك عرض الآخرين وايضا خروج عن قانون بقاء النوع الذي يقوم علي الزواج الذي يميزه عن الحيوانات وايضا يعني وجود مشكله الحمل والولاده ومشكله النسب و المكانه مشكله تستمر آثارها

ولهذا فإن المسلم مأمور بأن بايقرب الزنا مأمور بالابتعاد عن مقدمات الزنا بغض النظر والمراه المسلمه ماموره بالحجاب وستر العوره فكيف يكون التعري في الحج

المسلم مأمور بعدم الخلوه بالاجنبيه ومامور أن يقضي الشهوه عبر القنوات الشرعيه الزواج فالمسلم يطلب العفاف

المبحث الثاني

اهميه اعاده ترتيب أحوال الشعوب وبناءها حيث باستقراء أوضاع وأحوال العرب في الجاهليه يجد أنهم كانوا قد وصلوا الي درجه من ا لانحطاط الأخلاقي وفساد العقائد بالتزامن مع الضعف في القوه فقد كانوا أضعف الامم بدليل قول عبد المطلب انا رب ابلي وللكعبه رب يحميها ومن ينظر إلي أحوال الامه اليوم يجد أنها في جاهليه اشد من الجاهليه الاولي وان الامه في ضعف فهي لم تعد تملك حتي قول لا حول ولا قوه الا بالله فهي ممنوعه من مجرد قول هذه الكلمه ولهذا فالامه بحاجه الي اعاده ترتيب أوضاعها واعاده بناءها كما أعاد ا لاسلام ترتيب أوضاع العرب وبناء الامه وهذا إنما كان بالمنهج القران وهو ما يفهم من تلقين الحق نبيه (المعلم) كيف يكون تصحيح أوضاع وأحوال العرب واعاده بناء هذه المجتمعات حتي تكون وفق الصوره التي يريدها الله فقال تعالي (قل : أن الله لايامر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لاتعلمون)

الأمر الأول

(ابطال احتجاج المشركين بالعقل والنقل)

تنزيه الله عن الأمر بالفحشاء مطلقا فالله منزه عن ذلك

لأن الفاحشه اعتداء وتجاوز فكيف يأمر الله بالاعتداء والبغي كيف يأمر بمخالفه امره فالله لايامر بفعل الأعمال القبيحه فهو تعالي منزه عن ذلك ومن كمال حكمته أنه لايامر بالفحشاء بل يأمر بالعدل والإحسان وينهي عن الفحشا والمنكر

أما النقل فلا يوجد ما يثبت عن طريق الوحي المنزل علي رسل الله أنه تعالي أمر بالتعري بالحج وبالشرك بل الثابت العكس أنه نهي عن ذلك فهذا الكلام لاواقع له فقال تعالي (اتقولون علي الله ما لاتعلمون)

فلماذا تكذبون علي الله

الأمر الثاني

النهي عن التقليد الأعمى:ـ

تصور الآيات حال الذين يحتجون بأفعال آباءهم بدون دليل في أقبح صوره تدل علي الجهل فعليك ايه المومن الانتباه أن تبني عقيدتك علي التقليد فاللازم العلم قبل العمل فالله يقول (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

فالمقلد ليس لديه اجابه مستقره في وجدانه تعبر عن علمه فيما يقوم به من أعمال وبالتالي فهوفي اضطراب فالتقليد يولد الجهل ويعمي عن رؤيه الحقيقه وهو أمر قبيح فيه انتقاص من كرامه الانسان الذي ميزه الله بالعقل والأصل أن الإنسان يستعمل العقل بالبحث عن حقيقه الاشياء فالتقليد يولد خمول العقل فيجعله عاجزا مشلول عن التفكير ويولد في قلبه عدم الثقه بالنفس ويتنقص من قدرته ويقتل المواهب فيجعله لايملك القدره على اتخاذ القرار والإختيار للطريق الذي يحدد مستقبله فهو عنصر خامل لايتفاعل مع ماحوله من العناصر فاقد الارداه فهو اسير وسجين المورث الذي يقلده فهو يعطل الحواس فلا يري الحقيقه ويصدا قلبه فلا يفهم حقائق الأشياء فلا يقبل اي شي لايكون مقبولا لدي من يقلده

أما التقليد في السلوك كان تقلد الكريم في كرمه وتقلد المتواضع في تواضعه وتقلد الأمين في حرصه علي اداء الامانه فان هذا مسموح أما العقائد فلا يجوز التقليد

الأمر الثالث

لماذا خص القران استنكار القول علي بدون علم فقال تعالي (اتقولون علي الله ما لاتعلمون) مع أنه ذكر فعلهم الفواحش قبلها ؟

الجواب

المفهوم الاول

أن هذا الترتيب التصاعدي للمعاصي في القران يعود إلي خطوره الافتراء علي الله فهو أعظم من ارتكاب الفاحشة ذلك أن من يفعل الجريمه وهو غير مستبيح الفعل اهون من الذي يستبيح الفعل ويقول إن في ارتكاب المعصيه تقرب لله لأن الله أمر بها دون أن يكون ع الما بذلك

المفهوم الثاني

لأن في هذا جراءه علي الله بأن ينسب إليه أمور ا دون دليل فاساس الفساد يعود إلي الثقه بالمورث الذي نسبوه الي الله دون دليل ولأن الشيطان يلجاء الي إسقاط الامه من داخلها من خلال إسقاط قرار العلم والاعتقاد حيث أن إسقاط قرار العلم يكون بالسيطره علي العلماء الذين يثق بهم الناس وبفتاويهم فإذا حصل ذلك صار للشيطان أنصار من داخل المجتمع

ولهذا فإن عدم تعظيم أمر الله جريمه كبيره وأعظم من ارتكب الجريمه نفسها لأن فساد الناس يعود إلي تهاون العلماء بذلك وينتج عن ذلك فساد الاعتقاد لدي المقلدون

ولهذا يذم الله المقلدين في الايه والغرض من ذلك لفت الإنتباه الي أن يسبق العمل العلم

يقول لهم أن هذا الرفض للتخلي عن المورث الفاسد ورفض النظر إلي المصدر الذي اوجد القاعده باعتبار الالتزام بها يتطلب أن يكون لها مصدر تستمد منها قوته

وهولاء يرجعون القواعد الي آباءهم ويعتبرون أن في الالتزام بما ورثوه عن آباءهم شريعه الله وأنها فيها الفلاح والنجاح يرفضون أن يضعوا تلك القواعد في ميزان العقل

لأن المصدر الموثوق الذي يحق له الحديث عن الله هم الانبياء والمرسلين لأنهم يتصلون بالله بالوحي

ولهذا فإن التقليد يبلد الاحساس ويعمي البصيره وينحرف بالشخص عن الطريق المستقيم دون أن يدرك أنه يسير في طريق الضلال فقال تعالي في نهايه الآيات (ويحسبون أنهم مهتدون)

لان فقدان العلم يعني أن تهبط الي منزله ادني من البهائم يولد الاغترار بقواعد وماضي صنعه الجهلاء فينظرون اليها أنها فيها الرشد و النجاه والسلامه فيدفعه الي القول علي الله بما لايعلم لانه تنازل عن عقله

فالتقليد يعني التطاول بما لاتملك أدواته ولهذا فإنه يودي الي الأعراض والابتعاد عن ولايه الله فتصبح تابعا للشيطان

رابعا

يحذر الاسلام من التطاول بما لاتملك أدواته فهو تعالي يقول في موضع آخر (أن السمع والبصر والفواد كل اولئك كان. عنه مسؤولا)

والمسووليه تعني أن تعرف ربك وعظمته وجلاله وكماله وتعرف نفسك بضعفها وافتقارها وهذا يعني أن تقيم علمك علي الإيمان الصحيح بالله واسماءه وصفاته وأفعاله والطريق الموصل إليه وتعرف أوامره ونواهيه لتقيم ايمانك علي العلم لا التقليد وهذا مصدره الموثوق هو الوحي الذي جاء به الرسول من ربه ولهذا يقول تعالي (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا. هدي وفريقا حق عليهم الضلاله أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون)

وهذا فيه الآتي

المبحث الاول

تضمنت الآيات الرد علي قول المشركين بأن ما ورثوه من آباءهم هو شرع الله فأخبرهم كيف ينسبون ذلك جهلا الي الله فاباءهم ليس

لهم الحق في الحديث عن الله ولهذا ذكر أوامر الله المنزله علي جميع رسله لأن الرسل والأنبياء هم الوحيدون الذين يحق لهم الحديث عن الله سبحانه وتعالى لأن مصدر علمهم هو الوحي الذي يتصلون به بالله أما البشر فإن مصدر علمهم مكتسب ولايحق لهم الحديث عن أوامر الله ونواهيه لأنها من أمور الغيب فذكر أن الله أمر بالعدل والاستقامة وهومنزه من الأمر بالفحشاء مطلقا...التوجه بالعباده لله تعالي في كل حال وشان ....اخلاص العمل لله تعالي لاشريك له ....

فهذه هي نقطه الانطلاق التي ينطلقون منها في الرحله للإنسان بالشعور أنه مسؤولا عن أعماله فهو سوف يعود إلي الله في نهايه المطاف

وان الناس انقسموا أمام دعوه الانبياء والمرسلين الي فريقين فريق قبل هدايه البيان التي جاء بها الرسل والأنبياء وهولاء وفقهم الله بهدايته الخاصه الاعانه والتوفيق

وفريق رفض القبول بهدايه البيان التي دعاهم إليها الرسل والأنبياء عليهم السلام رفضوا العلم ورفض الاهتداء بالمنهج الرباني والاقتداء بالانبياء وتمسكوا بما ورثوه عن آباءهم وأجدادهم واسلافهم اتباع منهم للظن والهوي فاتخذوا آباءهم نماذج قدوه لهم ولهذا فإنه من الصعب اعاده هولاء الي طريق الهدي لأنه لايقدم علي ذلك إلا من لديه استعداد لقبول الهدايه ومن كان شاعرا بالمسؤولية اضافه الي أن المقلد مخدوع يرتكب الجرائم ويعتبر أن ذلك عباده لله وتقرب الي الله

المبحث الثاني

ابتدات التوجيهات التي تبين ما انزله الله علي رسله من شرائع قاموا بتيلغها للناس هي من انعام الله ورعايته وعنايته ولطفه وإحسانه لـ لإنسان ولهذا استخدام لفظ الربوبيه ثم ذكر اول أمر بقوله تعالي (قل أمر ربي بالقسط)

وبامعان النظر في الايه وما تحتوي نجد أنها تتضمن الآتي

الأمر الأول

لماذا ابتدأت الايه بذكر العدل (قل أمر ربي بالقسط)

أنه باستقراء لمهمه الانبياء والمناهج التي انزلها الله وحيا علي رسله نجد أنها لأجل اقامه العدل بين الناس فجميع الأديان قائمه علي العدل والايات وردت في إطار الحديث عن الأصول الثابتة التي جاء بها جميع الرسل

وكذلك فان الايه الكريمه تهدف إلي تصحيح الأوضاع الجاهليه التي كانت تزعم أنها قائمه علي شريعه الله ...وهي تشرع للعنصريه و الطبقيه وتصادر الحريات وتنتهك الحقوق باسم الدين بحكم موقع الكعبه في مكه فصاغت قوانين الحمس الذي انتزعت لنفسها حقوقا باسم الدين وان الله أمر بها

وهي بذلك قد انتهكت قيم ومبادئ المساواه والحريه والشوري والاخوه وسياده الشرع ....الخ

ولهذا ذكر العدل باعتباره القيمه والقاعدة والجذر الذي تقوم عليه كل القيم وترجع إليه

فغايه ارسال الرسل وانزال الكتب كما قلنا هو العدل يقول الأمين الشنقيطي في كتابه الازمه الدستورية (ومن العدل كقيمه كليه تنبثق القيم الأخري السياسيه وغير السياسيه فالمساواه اداه تحقيق العدل ...كما أن الحريه فرع من العدل إذ أن من الظلم تقيد حريه الإنسان دون وجه حق

ومثل ذلك يقال في الشوري فمن الظلم أن يتصرف فرد اوقله من الناس في الشان العام ويتصرف باسم الجماعة في المصالح المشتركة دون شوري أو تراض وتفويض من جمهور الناس أصحاب الحق الاصلي

هكذا يمكن إرجاع كل القيم الإسلامية والإنسانية الي مبدأ العدل فالعدل من بين كل القيم له قيمه مطلقه لاتدخلها النسبيه لاتخضع لمنطق تزاحم القيم وهو ما يقتضيه من تراجيح لقيمته علي بقيه القيم لانه جذر كل القيم وقد إدراك ابن تيميه ذلك فكتب أن عامه مانهي عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلي تحقيق العدل والنهي عن الظلم وعبر ابن تيميه عن خاصيه العموم والاطلاق في قيمه العدل في الإسلام فقال إن العدل واجب لكل أحد علي كل أحد في كل حال والظلم محرم مطلقا فلايباح قط بحال)

الأمر الثاني

لماذا عبر عن العدل بالقسط ؟

وذلك لأن المتأمل لتاريخ الرسل والرسالات يجد أن الأنبياء كانوا يجدون مقاومه من أصحاب النفوذ الذين كانوا يتعصبون ضدهم خوفا علي سلطانهم الذي ينظرون أن اقامه العدل يهدد هذه المراكز الجهوية ولهذا أخبرنا الله في موضع آخر أنهم كانوا يقتلون الذين يامرون بـ القسط من الناس ولهذا فإن القسط هنا فيه بيان أن الذين ينفذون أوامر الله هم الذين يحفظون الحقوق من الضياع فلا يظلمون لا في قول ولا فعل ولاحركه اي يقومون بإعطاء الحقوق للآخرين بالانصاف لأن الله أمرهم بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربي بمعني أنهم يحسنون استعمال الملكات في محلها فـالله تعالي يقول (واقسطوا أن الله يحب المقسطين) اي أعطوا الآخرين حقوقهم وانصفوهم ف الله يحب المنصافين ...وعكس ذلك القاسطون الذين يستولون علي قسط غيرهم بالجور والظلم كما يقول تعالي (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)

ولهذا فإن التعبير عن العدل بالقسط يعني الاشاره الي معيار العدل الذي يقاس به الحقوق الذي يكون به تحقيق العدل في كل صوره من تلك الصور فهو من المسؤوليات التي القاءها الله علي عاتق الانبياء الذين ارسلهم الي الناس فهو تعالي يقول في سوره الحديد (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أن الله قوي عزيز)

والله يقول (ونضع الموازين القسط ليوم القيامه)

وهو القائل (ولو اتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)

فالمعيار للعدل يقاس به الحقوق وهو قد يكون ماديه كالميزان وا المكيال والمقياس في المقاسات وما الي ذلك

وقد يكون معنوي بالنسبه للانظمه والقوانين والدساتير والأعراف والشرائع وهي ما يقاس بها العدل ومن هنا استعمل الميزان كرمز العدل لانه يوزن به الحقوق والواجبات وهذا يتطلب أن يكون الساق الحامل الذي يحمل الكفتين ثابت فالوزن بالقسط يحتاج الميزان فيه الي كفتين ويحتاج إلي عدم التأثر وانت تمسك بيدك الميزان فلا تنظر الي المتنازعين الا بعين واحده لأن من شأن اختلاف النظرات اختلال الميزان واضطرابه ولهذا فإن الايه تبين اهميه الإنصاف الذي هو العدل القسط اي الاعتماد علي ميزان الحق الذي يحقق وظيفه العدل بالا نصاف في الحقوق دون إفراط ولاتفريط فأراد بهذا الاعتدال لأن الناس بين مفرط بالدين وبين من يفرط بالغلو والتشدد وهو ما يودي الي البدع والخروج عن معيار الوسيطيه والاعتدال الذي يقوم عليه الاسلام في كل شي وفي كل عمل وبالتالي تضع كل شي في محله

المبحث الثالث

(واقيموا وجوهكم عند كل مسجد)

اي توجهوا الي عبادته بالاستقامه عند كل مسجد في كل وقت وكل مكان لأن تاريخ نزول الايه لم يكن هنالك مساجد ولم تكن القبله للكعبه ولهذا فإن المراد بالمسجد هنا بالمعني الواسع خاصه وأنه ذكر الوجه ...فالمراد بهذا :_

بيان أن كرامه الانسان التي كرمه الله بها إنما تكون بالتوجه الي الله والإقبال علي في كل حال ولهذا خص الوجه لانه مكان كرامه الا نسان وهومايقوم به الإنسان الي الشي وهو مايسجد فيه الإنسان يعني أن تضع مكان الشرف في الأرض تواضعا لله وحده لاشريك له ولهذا استعمل لفظ المسجد بالمعني الواسع كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)

فأراد بهذا أن الأمر الإلهي هو أن تقيموا وجوهكم الي الجهه التي امركم الله بالتوجيه إليه في الصلاه ونحوه كما قال تعالي (ولكل وجهه هو موليها)

المبحث الرابع

أن علي الإنسان أن يدرك أنه في عباده لله في كل شأن من شؤون حياته فالدين يطلق علي الاعتقاد والنظام والحساب ولهذا فإنه يراد به ان تكون حياتك كلها خالصه لله سبحانه وتعالى لتكون حياتك كلها عباده لله ولهذا فما جاء به الانبياء هو الأمر باخلاص العباده لله والا عتماد علي الله وان يطلب من الله العون فقال تعالي (وادعوه مخلصين له الدين)

والدين مصدر والمصدر يضاف الي الفاعل والمفعول يقال دان فلان فلانا اذا عبده والطاعه كما يقال دانه اذا اذله فالعبد يدين الله اي يعبده ويطيعه فإذا اضيف الدين الي العبد فلانه العبد المطيع وإذا أضيف الي الله فلانه المعبود المطاع فالدين كل مايدان الله به من العبادات الظاهره والباطنه

فالاتصال بـالله لايحتاج الي وساطه فالطريق مفتوح

كما قال تعالي (اياك نعبد واياك نستعين)

واستخدم صيغه (وادعوه)

لأن الداعي يرغب الي المدعو ويخضع له ويتذلل فأراد بهذا بيان أن ضابط التوجه إلي الله في كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به فيكون فعله لله عباده فإذا صرف من تلك العباده شئيا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسله عليهم السلام كما قال تعالي (قل الله أعبد مخلصا له ديني)

فدعاء المساله متضمن لدعاء العباده فالسائل لابد أن يخلص سواله لله مثلما يخلص عبادته لله وهذا يعني أن لا ترتبط بالاسباب وعليك أن تسأل من تنتهي إليه الأسباب فالله يقول (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

المبحث الخامس

(كما بداكم تعودون)

ذهب المفسرون الي قولان في معني الايه :-

الأول :ـ

أنه كما بداكم تعودون اي كما سبق في علم الله لما انتم عليه من سعاده أو شقاوه فإنكم تعودون الي سبق علمه

الثاني

أنه تعالي كما بدء خلقكم فهو سبحانه وتعالى قادر علي بعثكم بعد الموت

وهذا هو القول المناسب باعتبار أن الايه وردت في إطار بيان قوله تعالي (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

فأراد بهذا إثبات قدرته علي الاعاده من دليل البدء بالخلق

والايه وردت في إطار بيان اصوال الدين التي بعث بها جميع الرسل والتي اتفق عليها جميع الرسل حيث وبالرجوع الي حديث جبريل نجد أنه ذكر الاسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعه بأنها داخله في الدين فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (هذا جبريل جاءكم بعلمكم دينكم)بعد أن اجابه عن عن هذه الدرجات الثلاث مع علامات الساعه فبين انها كلها من ديننا

والايه تناقش التحولات التي حدثت في تاريخ الأمم واختتمت في نهايه المقطع بقوله تعالي (لكل امه أجل ....الخ

ولهذا يقول لنا الله أن هذه الأمور جاء بها الرسل والأنبياء كلهم فهم متفقون في الدين الجامع للاصوال الاعتقاديه والعمليه فالاعتقاديه هي مثل الايمان بالله واليوم الآخر والعمليه والأعمال العامه المذكوره في الانعام (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم...الخ

وفي سوره الاسراء (وقضي ربك أن لاتعبدوا الاياه ...الخ

وهنا قال تعالي (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون.....الخ

وقوله أيضا (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله ما لاتعلمون)

فهذه الأمور هي من الدين التي اتفقت عليها جميع الشرائع ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى أن الناس انقسموا بشأن الدعوه التي حملها الرسل إليهم فمنهم من قبل هدايه البيان التي حملها الرسل فآمنوا وصدقوا وهولاء استحقوا الهدايه الخاصه التوفيق والنجاح وفريق رفض قبول هدايه البيان عنادا واستكبار ا فقال تعالي (فريقا هدي وفريقا حق عليهم الضلاله)

وبينت النصوص العله :ـ

(أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون)

ان انقسام الناس يعود إلي الشك والتقليد وعدم اراده الاخره حيث أن البعض يريد بعمله الدنيا فلا يخرج من قلبه حب الخلق

ولايخرج الأصنام والطواغيت من قلبه فلا يخلص عمله لله فهم لايومنون باليوم الاخر أنه سوف يتحقق إيمانا باليقين الجازم وايضا ينظرون إلي المخلوقات نظره اجلال وتعظيم فالبعض يخاف من البشر أو الجن أنه يمكن أن يصيبه بما يكره فيترك ما يجب عليه خوفا من بعض الناس وقد ورد في الحديث قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله يقول للعبد يوم القيامه ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره فيقول رب خشيت الناس فيقول إياي كنت أحق أن تخشني)

حيث أن غياب اخلاص الخشيه لله دون سواه تعني فقدان تعظيم أمر الله وتعني تسلط الشيطان علي الإنسان لأن انقسام الناس الي قسمين لابد انه يدفع أهل الباطل الي اذيه المومنين فإذا أنت وافقتهم علي ذلك حصل له العذاب لأن سكوتك في البدايه يجعلهم يتسلطون عليك بالاهانه والاذي ومن هنا كان الكفر بالطاغوت ركن التوحيد فمن جعل ارضاء الناس بسخط الله اي توثر رضاءهم علي رضاء الله عندما تفر من الم أعداء الحق الي موافقتهم ومتابعتهم فإن هذا يعني أنه فضل ولايه الشيطان علي ولايه الله ولهذا فإن هذا يكون تابعا للشيطان ويفقد ولايه الخاصه التي فيها العنايه والتوفيق والسداد والفوز والنجاح

وكذلك فإن من وسائل الشيطان أنه يلجأ الي حيله نفسيه ومدخل يجعل البعض يشعرون بالطمأنينة لما هم عليه ويتصورن أن ما يفعلونه هو الصواب دائما وان الشيطان بعيد عنهم مهما كان قريبا منهم وهذا يجعل العبد في غفله (الكمال الزائف) فلا يهتم بمعرفه عيوب نفسه ويحرم من إصلاحها وتزكيتها والبعض الآخر يصاب بداء الغلو الذي يضخم فيه جانب علي حساب جانب آخر ويتصور أنه علي الحق ولهذا يقول تعالي (ويحسبون أنهم مهتدون)

ولهذا شاهدنا المتشددون الذين كان منهم الغلو في الدين مثلما شاهدنا المفرطون بالدين والجميع يدعي أنه علي الحق

فالمصيبه تكمن في ذهنيه هولاء حيث تغيب عنهم الموزين التي يوزنون بها الحق من الباطل حيث تختلط عليهم الأمور فيرتكبون المعاصي وهم يعتقدون أنهم يقومون بطاعه الله نتيجه غياب العلم واليقين وقد سماهم الله في سوره الكهف بالاخسرين أعمالا فقال تعالي (قل هل نبئيكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامه وزنا)

لأن الذي ينصرف الي الباطل وهو يعترف أنه علي الباطل فإنه من السهل أن يعود إلي الحق أما الذي يعتقد احقيه الباطل الذي هو عليه فإنه لايقبل بالحق اطلاقا وليس لديه استعداد لقبول الحق

فالطغاه والمستبدون يسفكون الدماء الطاهره ويقومون باهانه وقتل الذين يامرون بالقسط من الناس تحت ذريعة حمايه الوطن يتصورون أنهم يقدمون خدمه للوطن بتلك الأعمال الاجراميه

القسم الثاني

في إطار الدعوه الي الاستقامه علي منهج الله بالوسيطيه والاعتدال بلا إفراط ولاتفريط يتكرر النداء الإلهي الي (بني ادم) الذي فقال تعالي (يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا أنه لايحب المسرفين قل من حرم زينه الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياه الدنيا خالصه يوم القيامه كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله ما لاتعلمون ولكل امه أجل فإذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعه ولا يستقدمون)

اولا

تكرار النداء يابني ادم يدل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجد صعوبه ومشقه في ازاحه الاخلاق الفاسده التي تغللت في أعماق المجتمع الجاهلي فعمليه خلق المجتمع علي الصوره التي يريدها الله تعالي من خلال ازاحه الاخلاق الفاسده واستبدالها بأخرى جديدة فاضله كانت توجه بمقاومه شديده من المجتمع الجاهلي الذي اتخذ من موقع الكعبه المشرفه سلاح للاستعلاء علي الناس فحرموا اللباس والزينه علي القبائل العربية الأخري وقالوا نحن اهل الحرم ولاينبغي لأحد أن يطوف الا في ثيابنا ولا يأكل من دخل ارض الأمن مكه الا من طعامنا فإذا لم يجد من يعيره الملابس من اهل مكه طاف عريان وحتي النساء وهذه الامتيازات التي حظي بها اهل مكه اخترعوها ونسبوها الي الله بأنهم أهل الحمس التي تحرم الآخرين لبس الثياب والطعام وكانوا لايخرجون من مزدالفه وكان الناس يبلغون عرفات ولهذا قال تعالي في البقره (ثم افيضوا من حيث أفاض الناس)

ومن هنا نفهم ابتداء الايه بقوله تعالي (يابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا أنه لايحب المسرفين)

مع أن زمن نزول الايه لم يكن قد شيدت المساجد فلم يكن هنالك أي مسجد لأن منشأ الانحراف والعنصرية التي مارستها قريش باسم

الحمس تعود إلي استغلال اهل مكه منزله الكعبه في قلوب الناس للاستعلاء علي سائر العرب ولهذا فأراد بهذا

الأمر الأول

تربيه المومنين علي اخلاق الاسلام فلا يكون قياده المسلمين للعالم محل تفاخر وتباهي ومدعاه للاستعلاء فلا يحل تحويل الدين الي سلاح فئوي أو قبلي كما فعل اهل مكه الذين اتخذوا منزله الكعبه سلعه تعود عليهم بالامتيازات ولهذا فإن النداء يابني ادم يهدف إلي تذكيرهم باصلهم الأول ادم فدعوه الاسلام للمساواه والانسانيه من أهم القيم التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه للناس ولهذا فإن ابتدأ الايه بالنداء يابني ادم يهدف إلي فالناس سواسيه فلا فرق بينهم فاختيار العرب لحمل الرساله لايعني اتخاذ الاسلام سلعه للتباهي به أو الاستعلاء علي الآخرين وحتي لايكون انتصار الاسلام في المستقبل في نظر البعض أنه انتصار للعرب بل هو انتصار للحق

فالإسلام اول من دعا الي المساواه وحارب العنصريه التي كرستها الجاهليه باسم الدين فجاء القران الكريم يدعوا الي ابطال هذه التصورات الفاسده

الأمر الثاني

.يهدف إلي لفت انتباهك بأن عليك أن تستحضر الغايه من وجودك والمسؤوليه المترتبه علي التكريم فاختيار كم لقياده العالم يعني انك في معركه مع عدوك الشيطان فهذا هو عدوك في هذه المعركه والشيطان له جنود وأعوان يدعون الي التعري بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف يدعون الي معصيه الله ويامرونهم بها بالرغبه والرهبه قولا وفعلا وان الشيطان يبحث عن الثغرات التي يتسلل منها فأحيانا يأتي من باب التفريط بتزين الشهوات واحيانا يأتي من نافذه الغلو والبدع والتشدد في الدين ولهذا نجد النصوص تعالج موضوع الغلو و الافراط والتفريط فابتدات الايه بقوله تعالي (يابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا أنه لايحب المسرفين)

١/الأمر بأخذ الزينه التجمل عند كل مسجد

٢/ الاستمتاع بالطيبات من الأكل والشراب

٣النهي عن الاسراف في الزينه والأكل والشرب بتجاوز الحد

٤/التعقيب بأنه لايحب الذين يتجاوزن الحد

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

تهدف الايه الي اثاره الاحساسيس لرويه نعم الله والشعور بها

لأن البعض يحاول جاهدا دفع النعمه التي انعم الله بها عليه معتقدا أن ذلك من الدين نتيجه التباس مفهوم التواضع لدي البعض فيري أنه يعني لبس الثياب الممزقه ولهذا يقول الحق (يابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد)

اي البسوا افضل ما لديكم عليكم بالنظافه فالمسجد محل اجتماع لجميع المسلمين فاللازم علي الإنسان المسلم أن يكون جميلا في مظهره الخارجي والباطني فكيف تدفع نعمه إخراجها الله لك لماذا تلبس الثياب الممزقه والله قد انعم عليك

المفهوم الثاني

أنه سبحانه وتعالى يحب أن يري ظهور اثر نعمته علي عبده فإنه من الجمال الذي يحبه تعالي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله جميل يحب الجمال)وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله نظيف يحب النظافه)

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله طيب لايقبل الا طيبا

وفي الحديث عن أبي الاحوص الجشمي عن أبيه قال راني النبي (ص) علي اطمار فقال (هل لك مال) قلت نعم قال من اي المال قلت من كل ما اتي الله من الإبل والشاه قال فلتر نعمته وكرامته عليك)

فهو تعالي يحب أن يري اثر نعمته علي عبده وان يري شكر عبده له علي نعمه

فالاسلام حريص علي أن يكون المسلم أنيقا وذو ذوق رفيع في كلامه وملبسه وفي كل شي ولهذا يدعو إلي تنميه هذه الأمور في فكر

المسلم وإحساسه لأنها غذاء الروح التي تجعله يعرف الله ويحبه ولهذا حث الإسلام علي اهميه القصد من التزين هو معرفه الله ومحبته وطلب رضاه تعالي والتقرب منه ولهذا قال تعالي (أنه لايحب المسرفين)

ذلك أن شعور العبد بنعمه الله توجب شكره تعالي وتعني رؤويه جمال الله في مخلوقاته ولهذا قال تعالي (يابني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سواءتكم وريشا ولباس التقوي ذلك خير..الخ

فمعرفه خواص الخلق ومافيهم من جمال يدلك علي جمال الرب الذي ليس كمثله شي

فإذا شاهدت شيئا جميل فإن هذا يدلك علي جمال أفعال الرب وتستدل به علي جمال الصفات ثم تستدل بجمال الصفات علي جمال الذات

فالعبد بحاجه الي أن يكون خضوعه لله خضوع مع المحبه ولهذا انزل الله علي عباده لباسا وريشا ستر وزينه وكذلك جعل الملابس الماخوذه من جلود الحيوانات لوقايه الإنسان من الحر والبرد ومن الحرب فقال تعالي (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) وزينه تجميل بواطنهم التقوي

وهذا يدلك علي جمال الله وجلاله وإحسانه وكماله وعظمته فله العزه جميعا والقوه جميعا والجود والكرم والإحسان وهذا يولد في نفسك محبته تعالي فهو تعالي خلق كل شئ جميلا وهو تعالي يحب الجمال في الأقوال والافعال واللباس والهئيه ويبغض القبيح من الأ قوال والافعال واللباس والهئيه فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله ولهذا يقول في موضع آخر

(ولقاهم نضره وسرورا وجزاهم بما صبروا جنه وحريرا)

فجمل ظواهرهم بالنضره وبواطنهم بالسرور (عن ابن القيم)

فمن عرف الله بجماله الذي لايماثله فيه شي عليه أن يعبده بالجمال الذي يحبه من الأقوال والافعال واللباس والهئيه والأعمال والأخلاق فيجب علي العبد أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبه والتوكل والانابه وجوراحه بالطاعات وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره من الانجاس والأحداث والاوساخ ...الخ

فالمعرفه تعني السلوك

الأمر الثالث

عطف علي الأمر باتخاذ الزينه بقوله (وكلوا واشربوا ولاتسرفوا)

فقد ورد في الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيله ولا إسراف فإن الله يحب أن يري اثر نعمته علي عبده) رواه النسائي

فما هو الاسراف :_

هو تجاوز الحد ولهذا فإن المعني البسوا وكلوا واشربوا ولكن عليكم الاعتدال لان الخالق لايحب المسرفين

والاسراف هنا للحدود له معاني عديده فيها (علم الأبدان ..وعلم الأديان)

/١

معني متعلق بالجوع والشبع والظماء والرووي :_

بمعني اذا احسيت بالجوع اكلت وكف عن الاكل اذا احسيت بالشبع وان كان يستلذ باستزداه وان لايشرب الا إذا أحس بالظماء وهذا فيه الصحه للإنسان فالإسلام حريص علي صحه الانسان فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول المعده بيت الداء فقد جمع الاسلام الطب في ث لاث كلمات (وكلوا واشربوا ولاتسرفوا)

٢

معني اقتصادي :_

فيها حث الإنسان علي الاعتدال في الإنفاق واللباس والماكل والمشرب علي حسب الدخل اي أن المسلم ملزم بالتوازن في نفقاته فلا يتجاوز القدر المسموح به وبنفس الوقت لايكون بخيلا

٣

شرعي :ـ يعني لا إفراط ولاتفريط فإن الشارع قد أباح اشياء لكن يجب عليك استعمال المباح بقدرها وفق ميزان عدل لا الهوي فنحن نشاهد كيف يكون الإفراط في المهور والاعراس بالبذخ وفي المقابل نجد من يمنع الفرحه باسم الدين أما بخلا أو تشدد وغلوا ولهذا فإن اسلوب المترفين والبخلاء والغلاه مرفوض في الإسلام لانهم خالفوا سنن الفطره ولم يبتغوا بفعلهم ارضاء الله فقال تعالي (أنه لايحب المسرفين)

اي المعتدين لحده بالحلال والحرام والقائلين فيه بدون علم

ثانيا

بعد أن بينت الايه قبلها الأمر الإلهي بالزينه والأكل والشرب بالاعتدال وعدم تجاوز الحد وعقب أنه لايحب المسرفين يقول الحق (قل من حرم زينه الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياه الدنيا خالصه يوم القيامه كذلك نفصل لآيات لقوم يعلمون)

ابتدأت الايه باستنكار تحريم البعض الزينه باسم الدين حيث أن قريش لما شاهدت المسلمين يطوفون بالملابس عيرتهم علي ذلك فانزال الله الايه وهذا فيه

الأمر الأول

وهذا فيه تصوير الأثر السلبي للبئيه عندما تنحرف عن المنهج حيث أن الموزين والمعيار تفسد لدي الإنسان وتنقلب رأسا علي عقب وتنطمس الفطره التي أودعه الله في الإنسان والتي دفعت ادم وحواء لستر عوراتهما بورق الجنه الهاما من الله فانظر الي بني آدم كيف أنهم يعيرون المسلمون لانهم ستروا العوره أثناء الطواف

ولهذا فإن اول وظيفه للدبن هي اعاده الإنسان الي إنسانيته التي فقدها جهلا بالبعد عن دين الله لأن الجاهليه تشوه الفطره وتحول الا نسان الي مرتبه ادني من الحيوان وتفسد الذوق وتجعله يري الحق باطلا والباطل حقا تجعل الإنسان أقل منزله من البهائم أو وحشا مفترس

وهذه هي طبيعه الجاهليه في كل زمان فنحن نشاهد وسائل الإعلام اليوم كيف أنها تسخر من المحجبات في افلامها نشاهد كيف أنها حولت المراه الي سلعه باسم الرقي والتقدم والحضاره وترسم لها صوره ناصعه في اعلامها بينما تذم المحجبه

الأمر الثاني

لماذا أضاف الزينه الي لفظ الجلالة وقال بعدها (التي اخرج لعباده)

تبين النصوص أن الزينه إخراجها الله اي خلق موادها وكذلك علم الانسان طرق صنعتها بما أودع في فطرته من جهد وميل

الي اتقان استعمالها

اي خلقهم مستعدين لاظهار آياته في جميع ما خلق في هذا الكون الذي يعيشون فيه بما أودع فيهم من غريزه البحث والكشف في المجهول والاطلاع علي خفايا الأمور ولهذا فإن الإنسان لايدع شيئا يجول في خاطره الا بحث عنه فغريزه حب الزينه والتمتع بالطيبات من أهم وسائل العمران ومعرفه السنن وهي من الأمور التي صان الاسلام حق الإنسان فيها فالإسلام لايحارب مباهج الحياه فهو تعالي أمر بالتمتع بالزينه والابتهاج جاء بمنهج متكامل يلبي احتياجات الجسد والروح يستوعب الجد واللهو يستكمل الحاجات والاشواق وتستجيب لضغط الضروره ودواعي الزينه والجمال والكمال فالحياه في الإسلام مستقيمه ليس فيها نسك الاعاجم وعبوس المتزمتين واضناء الجسد بدعوي ترقيه الروح فجعل بعد الصيام عيد وبعد الحج عيد وجعل الموذن صاحب الصوت الجميل فالإسلام لايعرف التقوي المرهقه القاسيه ولهذا نقرأ (والخيل والبغال ....لتركبوها وزينه) (خذو زينتكم عند كل مسجد) (قل من حرم زينه الله...الخ وقال إن يعقوب نبي الله ارسل ابنه يوسف مع إخوانه يلهو ويلعب فقال تعالي (أرسله معنا غدا...يرتع ويلعب ...وانا له لحافظون)

.ولهذا فإن المومن يجد في بحثه الغذاء الروحاني ولهذا فإن التشدد الذي نراه في حياه المغالين ليس من الدين ولم يحرم الله الزينه فمن اضرار الغزو الفكري الاستعماري هو تصوير المسلمين بمجموعه درويش يلبسون الثياب المتسخه وهو مانقل صوره مغلوطه عن الإس

لام باسم الزهد الذي يختلف تماما عن تلك النظريات الفاسده فالإسلام لايصادر مباهج الحياه ولايحرم ما أحل الله من الطيبات أنه يفرض الوضوء طهاره ونظافه ثم يردف الحكم بالحكمه (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)

وفرض الصلاه وبين أن الحكمه أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر

وكما فرض الله الصيام اتبعه بالعيد فالصيام الجد في موضعه مطلوب بشرع الله واتبعه بالعيد الذي فيه اللهو وحرم صيام يوم العيد

ولهذا فإن التكامل يقوم علي الاعتدال فاللله يعبد باشاعه الفرح والسرور كما يعبد بالجد في معالي الأمور

وهنا تجد من يقول إن ماهو عليه من التزامت والمبالغة في تحريم الاشياء أنه الزهد ويستدل بماورد في قوله تعالى (ولا تمدن عينك الي ما متعنا به أزواجا منهم زهره الحياه الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقي)

فهذا الاستدلال بالايه في غير محله واستدلال فاسد فيه مجافاه لروح الاسلام واصواله وإفراغ لقاعده التكامل في الشريعه عن مضمونها

لأن الايه تبين أن نظره المومن للزينه تختلف عن نظره الكافر ذلك أن نظره الكافر لمتاع الدنيا علي وجه المحبه والتعظيم لها ولاهلها

أما نظره المومن للمخلوقات العلويه والسفلي فهي نظره رويه جمال الله وجلاله والتفكر والتدبر فيحصل علي غذاء لروحه

والزينه تختلف باختلاف أحوال وحال الإنسان في السعه والضيق فمن عنده ثواب واحد ستر عورته المغلظه ومن عنده اثنين ستر كامل بدنه وينظر المسلم الي الزينه من حيث أنها طيبه أو خبيثه وهذا يعني انه يفحص مصدر كسبها هل هو حلال ام حرام فإذا كان حرام ك السرقه والغصب فإن المومن لايقبل أن يستمتع بالحرام وايضا فإن المسلم ينظر إلي أن الرزاق هو الله الذي إخراجها ولذلك فإن نظرته تعني أنه لا يتعلق بالاسباب في طلبها وانما يأخذ بالاسباب ويتعلق بالله من يملك الأسباب والمسببات والأرزاق ولهذا فإن نظره المومن للزينه تنطلق من هذه الأمور حتي لايفتن المسلم بما إعطاء الله غيره من متاع الدنيا

الأمر الثالث

مما سبق يتضح بجلاء أن استمتاع المومن بالطيبات والكماليات التي أخرجها الله لعباده تختلف عن غيره فهي تنطلق من اعتقاده أنها وسيله القيام بالعمران في الأرض ولهذا فإن لذته واستمتاعه تختلف قطعا عن استمتاع الكافر الذي يشاركه بها في الدنيا وهذا يعود إلي اختلاف نفس المومن عن نفس الكافر فنفس المومن شريفه وهمته عاليه لانه يستعين بالمتاع علي طاعه الله فهو يعرف ربه ويحبه ويشتاق الي لقاءه ولذلك يستعد للقاء المحبوب بالطاعه والتودد بما يرضا ربه ولهذا يحرص علي أن لايسخط ربه ومحبوبه يقول ابن القيم في كتابه الفوائد (فلذته في اقباله عليه وعكوف همته عليه فهذه اعلي مراتب اللذه ودون ذلك مراتب لايحصيها الا الله حتي تنتهي الي من لذاته في اخس الأشياء من القاذورات والفواحش في كل شي في الكلام والفعال والاشتغال فلو عرض عليه مايتلذذ به الأ ول لم تسمح نفسه بقبوله ولا التفات إليه وربما تألم من ذلك...وأكمل الناس لذه من جمع بين لذه القلب والروح ولذه البدن لانه يتناول المباحات علي وجه لاينقص حظه من الدار الاخره ولايقطع عليه لذه المعرفه والمحبه والانس بربه وهم المذكورون في الايه (قل من حرم زينه الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياه الدنيا خالصه يوم القيامه)

وابخسهم حظا من اللذه من تناولها علي وجه يحول بينه وبين لذات الاخره فيكون ممن يقال لهم يوم استفياء اللذات (اذهبتم طيبتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)

فكلا منهما تمتع بالطيبات وانما افترقوا في وجه التمتع فالمومنون تمتعوا بها علي الوجه الذي إذن الله لهم به فجمعوا بين لذه الدنيا والآ خرة بينما الكفار تمتعوا بها علي الوجه الذي دعاهم إليه الهوي والشهوه سواء أذن لهم ام لم يوذن لهم فانقطعت عنهم لذه الدنيا وفاتهم لذه الاخره فلا لذه الدنيا دامت ولا لذه الاخره حصلت لهم

ولهذا فمن أحب اللذه ودوامها والعيش الطيب فليجعل اللذه موصلا له الي لذه الاخره فيستعين بها علي معرفه الله ومحبته وعبادته وطاعته لابحكم مجرد الشهوه والهوي

الأمر الرابع

يعقب الله علي ماسبق بقوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)

أنه بمثل ما فصل احكام اللباس والاطعمه والطيبات من الرزق الذي ضل فيه الكثير من الناس بين الإفراط والتفريط قد فصل الله

للومنين الحلال والحرام في كل أمر لكن لاينتفع بهذا الا الذين يعلمون سنه الاجتماع وطبائع النفوس حيث أن العاقل العالم هو الذي ينتفع لانه ينظر إلي الحدود التي أمرنا الله بالالتزام بها أنها هي التي فيها السعاده وينظر الي ما أمر الله به انه فيه السعاده وبهذا يحصل التوازن النفسي والعقلي لانه يجد الحياه الطيبه لانه يحرص علي ارضاء الله ويتجنب أن يسخط ربه

ثالثا

ابتدأت الايه بصيغه القصر للمحرمات فقال تعالي (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله مالا تعلمون)

المبحث الأول

ابتدأت الايه بصيغه القصر للمحرمات (قل إنما) والتي حصر أوصاف المنكرات بعد أن إنكار حال الذين يتشددون في الدين والتمادي في وضع الاغلال بما لم يأمر به الله فهذا لم يعقل معني الوسيطيه والاعتدال فحياه الإسلام ليست ثقيله باسم الدين وليست منطلقه معربده تتحلل من كل القيم فالمتشدد كانه يرفض قبول ما امتن الله عليه من التخفيف الذي وضع عن هذه الامه ماكان علي غيرنا من ثقيل التكاليف فهو تعالي يقول في موضع آخر (يايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا أن الله لايحب المعتدين)

ولهذا يقول لنا الحق أن في الإسلام دائره واسعه شاسعه فسيحه اسمها المباح تنتظم كل شي لم يرد فيه أمر ولانهي وهي الأصل في كل شي ومن البديهي أن تصغر دائره المامورات والمحظورات بجانب دائره المباح ويكفي المباح أن لايكون ضارا ولامحرما ولهذا جاء الحصر (إنما حرم ربي)

المبحث الثاني

أن صيغه الحصر للمحرمات تهدف اضافه الي ماسبق أن تدرك مقاصد الشريعة من هذا التحريم فهو يهدف إلي صيانه الإنسان وحمايته من المفاسد التي تعيق الإنسان عن القيام بدوره في الخلافه ولهذا ذكر الاوصاف لخمس جنايات

الاولي :_ تهدف إلي حفاظ بقاء النوع مطهرا فذكر تحريم الفواحش وهو ما استفحش واستقبح فقد جعل الله بقاء النوع البشري و التناسل قائما علي علاقه نظيفه الزواج وهو ما يميز الإنسان عن الحيوانات

الثانيه ؛_(الإثم) تهدف إلي حمايه النفس من جنايات الذنوب والمراد به الذنوب التي توثم وتوجب العقوبه من حصوله

الثالثه (البغي بغير الحق) تقع علي الأموال والاعراض بالاعتداء علي أموال الآخرين وحقوقهم

الرابعه (الشرك) وهي جريمه تقع علي الدين وتفسد القوي العقليه الإيمانية وهذا أمر حظي بحمايه القران لانه من مقاصد الشريعة

الخامسه القول علي الله بغير علم وهذه الجريمه تقع علي العقل

المقطع الرابع

بعد بيان ان التحريم والتحليل سلطه اختص الله بها نفسه وربط ذلك بحق التوحيد فهو الأصل الذي تنبثق منه كل قواعد الحياه ف التوحيد هو الأساس الذي تقوم عليه الحياه ونظام الاجتماع وليس معني التوحيد أن يبقي في النفوس ولايخرج للحياه ليحكم أوضاعها بل المراد به ان يحكم جميع شوون الحياه ويعيد خلق المجتمعات وفقا للصوره التي يريدها الله ولهذا يقول الحق أن الخلافه شرف ويكمن هذا الشرف بالقيام بأمر الله وطاعته فمن خرج عن الطاعه يفقد شرفه وقوته فالله يبتلي الأمم فإذا استكبروا وخرجوا عن الطاعه عاقبهم بالهلاك ولهذا ابتدأت الآيات بقوله تعالي (لكل امه أجل فإذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعه ولا يستقدمون)

يقول الحق أن المسلم بحاجه الي أن يعرف المعروف ويعلم المنكر لأن خيريه الامه هي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

معني الأجل ؛_

أجل لوجودها في الحياه ٢/أجل لعزها وسعادتها بين الأمم

والايه مرتبطه بما قبلها بأن التحريم هو لأجل سلامه الامه وبقاءها فهذه الأصول هو المنهج الذي يكون به سعاده الامه أن أخذت به وان هي خالفته كان هلاكها فالحق يقول إن الأمم السابقه جعل الله لها أجل مثل قوم عاد وثمود وقوم نوح بأن ارسل الله عليهم العذاب ولكن بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الأجل لعزها وسعادتها بالمنهج فإن هي خرجت عن منهج الله اذلها الله بأن سلط عليها من

يستبدها أن ارتكبت الضلاله

٢

ان اللازم أن تعلم أنه تعالي جعل لكل شي سنن وقوانين فإذا ارتكبت الامه المخالفه وضحت بقيم ومبادئ الاسلام فإنها تعرض نفسها للهلا ك بزوال عزها ولذلك فإذا أردت أن تحفظ مكانتها وان تستعيد فاعليتها ودورها في قياده العالم فعليها أن تعود إلي المنهج الرباني ونحن نشاهد كيف صار حال المسلمون اليوم عندما تركوا الاجتماع علي منهج الله فقد أصابهم الذل والهون ولهذا وردت الايه تعقيبا علي ذكر أوصاف المحرمات لأن الامه مامور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا هو الذي أعطاها وصف (خير امه اخرجت للناس) ولهذا تأتي النصوص بعد ذلك بقوله تعالي (يابني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقي واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

تأتي النصوص مبينه اهميه أن يبني الإنسان حياته واوضاعه بالموافقه لمنهج الله فهو تعالي قد جعل شرط الخلافه التوحيد وان العهد المقطوع مع ادم حينما سلمه مفاتيح الخلافه علي الارض كان بشرط التزام منهج الله فهذا هو شرط الخلافه الربانيه التي تحظي بالرعايه والعنايه ويكون فيها السلامه والنجاه للمومنين أما الذين يتكبرون ويكذبون بالايات فإن هولاء وان منحوا القوه والسلطه الماديه فهي قوه بلا شرف تكون مصيرها الهلاك فهذا هو عهد الخلافه

فأراد بهذا الآتي

الموضوع الاول

(الدعوه للحفاظ علي المثل العليا للإسلام حيه في النفوس)

ولهذا نجد النصوص تدعو ا الي التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن كان المسلمون في ضعف فالمشركون يستخدمون كافه انواع وسائل التعذيب ضد المسلمين وقت نزول الآيات ومع ذلك لم يضعف المسلمون

فالرسول صلي الله عليه وسلم يقف صامدا وثابتا علي الحق ويقول لعمه ابوطالب والله ياعماه لو جعلوا الشمس في يمنيي والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر حتي يظهره الله أو اهلك دونه)

فالحق يعلمنا أن قيادتنا للعالم تهدف إلي اخراج البشريه من براثين الوثتيه والأوهام والخرافات الي انوار الحق فهي قياده تنوير العقول والافهام والقلوب بالإيمان فيها نشر الخير والعدل بدل الظلم والشر نشر العلم بدل الجهل قياده تهدف إلي تحرير الإنسان من كل ما يستبعده فقيادتنا فيها اعلاء كلمه الله (لا اله الا الله) اي المساواه بين الناس والحريه فلا يذل الإنسان إلا لله تعالي وهدفنا هو السعي بـ العمل علي اقامه حضاره تقوم علي المعرفه والحكمه والعدل والكرامه للإنسان فمنزله هذه الامه وعزها مرهون بالقيام بتنمية جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر (كنتم خير امه آخرجت للناس نامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)

فالمسلم يشعر انه مسؤول عن رفع الظلم عن المظلومين حتي ولو كانوا غير مسلمين وان عدم قيام المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أنه تخلي عن دوره في الخلافه وفرط بالامانه ومعني هذا أن عليه أن ينتظر زوال عزه فعزنا مرتبط بالتزام أمر الله وحمل امانه الخلافه وأداء الوظيفه والحفاظ علي القيم والمبادئ والمثل العليا فمن فرط بشي منها يكون قد فرط بعزه

الموضوع الثاني

(ماهي أساس المثل العليا)

اذا كانت خيريه امه الاسلام بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الامر بالشي لابد أن يكون مسبوق بمعرفته فمن لايعرف المعروف لايمكنه الأمر به والنهي عن المنكر مسبوق بمعرفته فمن لايعلمه لايمكنه النهي عنه فالعلم به مهم أيضا حتي يصح القصد الي فعل المعروف وترك المنكر فالقصد يتطلب اراده جازمه نابعه عن حب ما أمر الله وبغض ما نهي الله عنه وهذا يقتضي أن يعلم علما مفص لا يمكن فعله والأمر به إذا أمر به مفصلا لأن الحب للشي اوبغضه يتطلب تصوره فمن لم يعلم الشي لايمكنه تصوره وبالتالي لايتصور منه حب ولا بغض ولهذا فالأمر بأوصاف لابد من العلم بثبوتها ولهذا فإن معرفه المنكر وانكاره قد يحتاج الي الحجج المبينه لذلك لتقويه قوه دفع الأهواء والقدره علي تحمل مشقه الطاعه ولهذا قرن المنكر بالفوحش لأن مبناها علي المحبه والشهوه فهي تشتهي وتحب وكذلك البغي قرن بها لانه ابعد من محبه النفوس منشاه قوه الغضب وكذلك فإن الاشراك والقول علي الله بلا علم فإنه منكر محض ليس في النفوس ميل إليهما بل هما من العناد والظلم المحض فمن يتبع الشيطان في هذه الخطوات فإن مصيرهذه الأمم الهلاك لانه بذلك تفسد قواه النفسيه (الحب والغضب) وتفسد قواه العقلية المنطقيه بالشرك والقول علي الله بلا علم

ولهذا يقول لنا سبحانه وتعالى إن رحمته بالناس اقتضت ارسال الرسل الذين يحملون المنهج الرباني الذي فيه بيان الحلال والحرام فقال تعالي (يابني ادم الم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقي واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

اي أن أساس المثل العليا في الإسلام هو القران الكريم والسنه النبويه فهو سبحانه وتعالى عندما يقول لك (يابني ادم)

يقول لك ان هذا المنهج لصالحكم ومن أجل سلامتكم وسعادتكم أن القرآن منزل من الله الخالق والصانع للإنسان والخبير بما يحقق سعاده الإنسان فهما المصدران اللذان فيهما الضمانه للحياه الانسانيه في الأرض بكرامه فقال تعالي (فمن اتقي واصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون)

الموضوع الثالث

يعلمنا الحق كيف نحمي المثل العليا ويرشدنا كيف نكون اقويا لنتمكن من أداء دورنا في قياده العالم ولا نفقد مكانتنا وعزنا ولهذا يقول لنا الحق أن الموضوع يحتاج الي مراقبه النفس علي الدوام عليك أن تدخل في حسابتك انك سوف تموت فالعلم لاقيمه له بدون الخشيه من الله تعالي الذي يتبعه العمل الصالح بأن تنظر إلي أن مستقبلك وسعادتك يكمن في بناء حياتك واسرتك وكل شي من شوون حياتك علي القران بحيث تكون موافقه للمنهج الرباني وان تكون قائمه علي أساسه فلا تتلقي شي خارج عنه فأنت في معركه مع الباطل ولهذا ف اللازم أن تكون في يقظه دائمه وان توطن نفسك علي التحمل في سبيل الله والصبر فلابد أن تكون ثابتا علي القيم والمبادئ والمنهج الرباني في السراء والضراء

عليك أن تخرج الكبر من قلبك وتذعن لأمر الله وتقبل باختيار الله واصطفاءه الانبياء لأن الرسل هم المصدر الوحيد الذي يحق له الحديث عن الله لأن مصدر علمهم الوحي

ولهذا يقول لنا الحق (رسل منكم) هم بشر مثلنا لكن الله اصطفاءهم ولهذا فاللازم الاستجابه لهم طاعه لله تعالي فهو تعالي لم يترك العباد بلا توجيهات رحمه منه فمن رحمته ارسال الرسل حاملين المنهج الذي فيه بيان التوجيهات للناس واعطاءكم العقل وأدوات العلم

الموضوع الرابع

(لماذا نحتاج الي التقوي والإصلاح)

عليك أن تدرك أنك في امتحان واختبار تمتحن في بالمال والجاه والسلطان وتمتحن بالفقر والضعف وتمتحن بالعلم وتمتحن بكل شي

ولهذا فعليك أن تدرك أن البطوله الحقيقه هي في النجاح في هذا الامتحان الذي يرافقك الي أن تلقي الله فالابتلاء لابد منه ولهذا فإن الذكي الذي يضبط حياته وفق منهج الله

وهذا الاقتران بين التقوي والعمل الصالح يعود إلي أن النجاح يعني أن تكون الفاعليه ايجابيه بأن تحمل أعباء المسؤوليه وتنجح في الا ختبار ات والفاعليه تعني أن تشعر بوجود الله علي الدوام ولهذا تحرص علي أن تتقي غضبه وسخطه وعقابه بالالتزام بأمره فتكون حياتك وحركتك كلها قائمه علي اساس التقوي فيكون العبد حريصا علي المساهمه في بناء دوله التوحيد ويستحضر مسؤولياته وان هذه المساهمه تبدأ من بناء الاسره المسلمه علي اساس التقوي لأنها اللبنه الاولي في بناء المجتمع والاهتمام بها يعني بناء القاعده التي تساهم في تربيه النشا والأجيال قبل أن يختلط في المجتمع ولهذا جاء الخطاب للخليفه الفرد (فمن اتقي) في إطار الدعوه لدوله الموحدين لأن الفرد يعني اللبنه الاولي الذي يبدأ منه اعداد التحصينات لحمايه المثل العليا لأن الفرد له اسره يقودها فاذا قامت الاسره علي اساس التقوي فمعني ذلك كان وقايه الأجيال من الاصابه بعدوي الكفر والشرك وبه يمنع الفساد ولهذا فهو يتجه نحو الاعمال الصالحه التي يكون فيها حمايه المثل العليا بحيث يكون ازاله الشر واستبداله بالخير ونشر العدل والقضاء علي الظلم تسعي إلي محاصره الشر وبناء بد لا عنه مجتمع متماسك علي قيم الخير وهذا هو الإصلاح الذي يساهم به المسلم في إصلاح المجتمع ومحاربه الفساد والانحراف تنظر إلي مستقبلك وسعادتك أنه يكمن بطاعه الله وتربيه الأجيال علي امتثال أمر الله وخوف الله ومراقبته

وان يكون تنقيه الاوعيه القلبيه والذهنية والنفسيه في كل تتحركها من الأهواء ومن ركام الفكر الجاهلي فهذا ن هما أساس الامان و السلامة والسعاده والفلاح للإنسان فقال تعالي (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

لايخافون من الأعداء لانهم يعتمدون علي الله لايخافون علي الأموال والأولاد ولهذا جاء بصيغه الماضي ولايحزنون في الاخره علي ما فاتهم اي لايحزنون في المستقبل فجاء بصيغه المضارع

ولهذا فإن المسلم يشعر باعباء المسؤوليه الملقاه علي عاتقه فهو يسعي جاهدا لإصلاح المجتمع ومحاربه لأن غياب المصلحين والمربين و

القاده يعني استفراط المفسدين بالأرض وبالتالي يحل الهلاك بالامه اذا وصلت إلي المجاهره فالله يقول

(وما كان ربك ليهلك القري بظلم واهلها مصلحون)

الموضوع الخامس

ان العاقل هو الذي يعمل لمستقبله وسعادته ولهذا يدخل في حساباته اليوميه مساله الموت وأنه سوف يقف بين يدي الله ويحاسبه علي أعماله فالدنيا ماهي الا مجموعه مشاهد تمر بسرعه وبلمحه عين تزوال وبعدها يكون مستقبلك وسعادتك فاختر منزلتك ودراك فأنت أما تكون في الجنه او السعير

العاقل الذي يعرف ربه أنه سبحانه وتعالى الغني ويعرف نفسه أنه الفقيرالي الله المحتاج لله في كل الأوقات

العاقل الذي يعد العده ليوم الحساب فيحاسب نفسه ويسالها ماذا اعددت لذلك اليوم من عمل يحرزها ويحفظها من العذاب

العاقل الذي يصدق بايات الله سواء المرئيه في الكون التي منحك الله مشاهدتها لتري عظمه الخالق من أفعاله ومفعولاته الشاهده علي جماله وجلاله وكماله وعظمته وإحسانه وعطفه وكذلك آياته المسموعه بالتدبر والتفكر وهنا يظهر دور التقوي لأن غياب الخوف من الله يعني الاستكبار والإعجاب بالنفس والفخر والخيلاء تبدأ من الإعجاب بالنفس وتتطور هذه الخواطر والهواجس والمشاعر حتي تصبح فكره فيستحوذ الشيطان علي قلب الإنسان حينها ويفقده توزانه ويذهب عنه العلم الفطري عندها ينسي ربه وينسي نفسه فيكون مطيه الشيطان ولهذا تسمع من هولاء الكثير من الضجيج بالحديث عن ذاته ونسبه وماله ... لانه مثل الإناء الفارغ الذي يحدث ضجيج عند ابسط حركه بعكس الاوني المتلئيه لاتسمع لها اصواتا فكذلك أصحاب العقول الفارغه فإنهم يحدثون ضجيج

نتيجه الاستكبار والإعجاب بالنفس فنسي نفسه انه عبدا مقهور ولهذا عجز عن تقدير الأمور والحقائق فهو يعيش في قلق واضطراب ونيران تشتعل في صدره في الدنيا فيكون في ضنك شديد تدفعه للافساد في الأرض والظلم بالتطاول والاستكبار ويوم القيامه يكون م لازما وخالدا في نار جهنم

ثانيا

بعد بيان أن شرف الإنسان في طاعه الله والالتزام بمنهج الله واخبرنا الله انقسام الناس من المنهج الرباني إلي قسمين مومن مصدق ب اليقين الجازم ومكذب بآيات الله ومستكبر واخبرنا بنهايه وعاقبه كل فريق ..بأن الذي يتكبر عن آيات الله ويرفض القبول بالحق الذي جاء به الانبياء فإن هذا يكون عرضه لسنه الله وقانون الخلافه الذي يكون فيه هلاك كل من انسحب من شرف الخلافه وإهدار شرط الخ لافه (التوحيد) ولم يلتزام المنهج ولم يقوم بواجب العهد فإن مصيره الهلاك والاستئصال بالعذاب فقال تعالي (فمن اظلم ممن افتري علي الله كذبا أو كذب باياتنا اولئك ينالهم نصيب من الكتاب حتي إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهد وا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

تبين الايه الآتي

الأمر الاول

عليك أن تدرك انه لايوجد في الأرض اشد ولا أشنع ولا افظع من الذي يختلق الأكاذيب وينسبها الي الله ولا من الذين يكذبون بآيات الله سؤاء المقروؤه أو المرئيه لأن هذا يتطاول علي الحق ويتوهم نفسه عزيز ا ولهذا يريد أن يتخذ من الدين سلعه يتاجر بها لتحقيق مصالح شخصيه كما كان حال المشركين الذين اتخذوا الدين وسيله حصول علي منافع ومكانه ومنزله وجاه يمتازون بها علي سائر قبائل العرب

وكذلك الذي يرفض قبول الحق المنزل في كتاب الله أو آياته الكونيه ويكذبها ويحاول دحضها فهذا ارتكب جريمه بشعه

لانه تطاول علي الله ولم يوقر ربه حق توقيره كما فعل اولئك الذين زعموا أن ما ورثوه عن آباءهم وأجدادهم واسلافهم من الشعائر وما شرعوا لأنفسهم بأن الله أمرهم بها

واولئك الذين كذبوا بآيات الله التي انزلها علي رسله وفيها شرع الله ورفضوا القبول به خوفا علي سلطانهم ومصالحهم فإن هولاء ارتكبوا أقبح انواع الظلم

الامر الثاني

لماذا خص هولاء بهذا الوصف بأن الافتراء علي الله والتكذيب بالايات اشد انواع الظلم ؟

الجواب

لأن المفتري علي كذبا يعني أنه لم يوقر الله ويقدره حق قدره

والايه تشير أن هذا النوع من الناس هم الذين لهم سلطه القرار والتأثير علي العوام فضلالهم لم يقتصر علي أنفسهم بل امتد الي اضلال غيرهم فصلاح الناس وفسادهم يكون من صلاح صاحب القياده الدينيه (العلماء) ومن القياده القدريه (الروساء والزعماء) وفساد الناس غ البا ماتكون ناتجه من هولاء أيضا

ولهذا فمعني هذا أنه ليس علي وجه الارض انسان افضل ممن اذعن لمنهج الله ودعا الي الله وعمل الاعمال الصالحه

٢

لأن المفتري مستغني عن تشريعات الله

ولهذا فإن الذي يتطاول علي منهج بالانتقاد كما نسمع من دعاه التقدم ممن ينسبون الي الاسلام ظلما الذين يصفون احكام الحدود كقطع يد السارق وجلد السكران ورجم الزاني المحصن بأوصاف قبيحه تدعو الي تنفير الناس من اقامه الحدود فإن هولاء مكذبون بآيات ..وكذلك كل من يقول إن شريعه الاسلام غير صالحه لهذا الزمان ويزعم أنها كانت مناسبه للإنسان البدائي ولاتتناسب مع التطور الإنساني ويقدم مشروعا مخالف لمنهج الله يكون ممن شملتهم الايه بأنهم لايوجد علي وجه الأرض اشد ظلما منهم

فكل من يقدم اقتراحات أو تعديلات تمس منهج الله أو فيها إلغاء نص فإن هذا يكون ممن شملتهم الايه

الأمر الثالث

بعدين أن بينت الايات السابقه أن شرف الإنسان بالخلافه وان ذلك مرهون بطاعه الله والتزم المنهج الرباني وان من خالف المنهج يكون فاقد للشرف والقوه وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك ونحن نري أهل الباطل لديهم دول ذات قوه وسلطان وعز وهم يفترون علي الله الأكاذيب ويكذبون بايات الله ؟

فالجواب :_

أن عليك أن تعلم أن هولاء ينالهم نصيبهم من الأرزاق والإعمار ومن الحياه والعمران اي الاستخلاف الاستعماري فقال تعالي (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب)

كما قال تعالي (كلا نمد هولاء ....وما كان عطاء ربك محظورا)

فعطاء الله يكون للمومن والكافر

لمن قال إن المراد بالكتاب هو القدر في اللوح المحفوظ الذي فيه حياه الانسان سعيد أو شقي .....

فلا يحرم من مظاهر القوه الماديه ... لكن هذه القوه بلا شرف لأنها تكون عرضه للزوال

يقول انظروا الي حال صاحب العزه المتوهمه التي سعي الي بلوغها في الدنيا بالمال والجاه والسلطان التي تكبر وترفع بها بالباطل وظن أنها حصون يتحصن بها أمام أي قوي تحاول قهره وتفاخر بها فقال تعالي (ينالهم نصيبهم من الكتاب حتي إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ق الوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهد وا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

المفهوم الاول

أن من أراد السلامه فعليه التصديق بالمنهج الرباني لان قوانينه هي التي فيها السعاده والعز والتمكين والسلامه أما الذي يكذب بالقران فإنه يكون كمن يقود مركبه ليس لها كوبح ولا فرامل فهو. يعرض نفسه للهلاك الموكد فهو لم يلتزم بفن القياده والمسؤوليه المعتبره في رحله سفره

ولهذا فإن نهايه الرحله هو الهلاك لامحاله لان المركبه التي صعد اليها يقودها الشيطان وتصل الي عذاب السعير

المفهوم الثاني

ان الاستعلاء بالباطل من الجاه والسلطان والمال والقوه

لاتحقق السعاده بل إن صاحبها يعيش في اوهام العز المزعوم وخرفات فهو يتصور أن الماده تمثل حصون يتحصن بها حتي يتفاجا بقهره وقبض روحه فقال تعالي (حتي إذا جاء تهم رسلنا يتوفونهم)

لبيان انه مقهور أمام قوه الله فهذا الشخص ظل يلهث وراء الدنيا وملذاتها وظن أنه بذلك يجد العز وتعلق بالدنيا وظن أن المال ترفعه وفيها السعاده فإن هذا لايجد السعاده فهو يظل يلهث حتي غايه انتهاء أجله ويأتي ملك الموت لقبض روحه هنا تنكشف عنه الاغطيه التي كانت تحجب عنه رؤيه العواقب

ولهذا تعرض لنا مشهد الاحتضار كما قال تعالي (قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا أنها كلمه هو قائلها ...الخ

فالمحتضر يتمني العوده الي الدنيا لاصلح ما ترك خلفه من أوضاع فاسده فالموت انتقال من دار الفناء الي دار البقاء وهو أمر محتوم ف الكافر انشغل عنه بجمع المال وطلب الجاه والسلطان فلم يعد لما بعد الموت العده ولم يدخل ذلك في حسابه ولهذا فإنه عند الموت ينقسم الناس الي صنفين

المومنون تتنزل عليهم الملائكه بالبشري والتطمئن لهم كما قال تعالي (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكه الا تخافوا والا تحزنوا وابشروا بالجنه التي كنتم توعدون نحن اولياءكم في الحياه الدنيا وفي الآخرة...الخ

وقال تعالي (إلا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)

أما الكافر فإنه يظل في غفله وشك ومغرور حتي يتفاجا بالموت وعندها يبشر بسخط الله وعقابه وعذابه فقد ورد في الحديث عن عائشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت فقلت يانبي الله اكرهيه الموت فكلنا نكراه الموت فقال ليس كذلك ولكن المومن اذا بشر برحمه الله ورضوانه وجنته احب لقاء الله فأحب الله لقاءه وان الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه)

فالمعتبر من محبه الموت وكراهيته هو ما يكون عند النزوع فأهل السعاده يحبون الموت ولقاء الله يشتاقون الي ما أعد لهم من الجنه

أما أهل الكفر فإنهم يكرهون ما ينتظرهم من العذاب

المفهوم الثالث

يقول الحق انظروا الي العزه المتوهمه التي سعي لبلوغها أهل الدنيا بالمال والجاه والسلطان فهم تكبروا بالباطل وتفاخروا بعطاء الله وظن أن فيها العزه وأنها تدفع عنه العذاب وأنها ترفعه ولهذا تأتي النصوص بالحوار (اين ما كنتم تدعون من دون الله)

اين الأموال والجاه والسلطان الذي جعلتم منهم اصناما تعبد من دون الله فأين هي في وقت الحاجه كي تنفعكم وتدفع عنكم العذاب فابن ادم اذا كان انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقه جاريه وعمل صالح ...وهذا كذب بآيات الله ووقف محاربا لها وانشغل بجمع الأموال والجاه والسلطان

فأراد الحق أن ينقل لنا صوره حيه لحال الإنسان بعد الموت من خلال هذا الحوار ليجعلك تشاهد حال الكافر علي سبيل البغض والكراهية فتنفر من أعمالهم

ولهذا يأتي الجواب (قالوا ضلوا عنا)

اي غابوا وتاهوا وقت الحاجه فلم نجدهم. ...وهذا فيه أن عليك ايه القارئ أن تنتبه لنفسك قبل أن تقع في هذا الموقف فلا تغتر بالمال و الجاه والسلطان

عليك أن تدرك أن العزه إنما تكون بطاعه الله وسبيل الوصول إليها أن تكون عبدا لله والتقرب الي الله بما شرع من الكلم الطيب والعمل الصالح

ولهذا يقول لنا الحق عليكم تزكيه أنفسكم فكل عضو من أعضاءك وكل ملكه من ملكاتك خلقت لمعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته ولذلك أودع في الفطره منهج الاسلام ولهذا فإن الخروج عن الغايه من وجودك يعني أن كل عضو من أعضاء ك سوف يشهد عليك بأنك كنت كافرا فعليك الحذر فقال تعالي (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

فالايه فيها رجز الكافر عماهو فيه ليكون ذلك حاملا له علي النظر والتأمل في عواقب امره عواقب التقليد والجحود

القسم الثاني

(قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امه لعنت اختها حتي إذا أداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون)

اولا

أن الحقيقه التي تتوجه بها النصوص للسامع هي عليك أن تدرك أن من مات قامت قيامته فهو إما سعيد أو شقي من لحظه الاحتضار ومايتلاوها من البرزخ والبعث والنشور ولهذا تنتقل النصوص من مشهد الاحتضار الي سوق الكفار والمكذبين الي نار جهنم حيث تسقط الفتره ما بين الموت والبعث والنشور والحساب فالايه ترسم لنا صوره كأنما يوخذ فيها المتحضر من الدار الدنيا الي النار لتغرس في النفس ترقب الموت بالمسارعه للتوبه والأعمال الصالحه وهذا فيه

الأمر الأول :

يقول لك الحق أن الحياه زمن مؤقت بسيط والموت بدايه لحياه ابديه ولهذا لابد للاستعداد بالعده لما بعد الموت فالدنيا زمن مؤقت تعيشه ومستقبلك الحقيقي متوقف علي عملك في الدنيا وموقعك هل كنت مع اهل الإيمان والخير والصلاح ام كنت مع اهل السوء و الكفر والإلحاد انظر لموقعك لتعرف ما ينتظرك

فالأمر يحتاج الي حسم الموقف واستشعار المسؤوليه والعواقب قبل فوات الاوان ولهذا قال تعالي (قال :ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار)

وهذا الأمر يحتاج الي المسارعه بالتوبه والانابه والأعمال الصالحه قبل أن يداهمك الموت وتقوم قيامتك

ولهذا نلاحظ أن القرآن قد حشد العديد من المؤثرات الصوتيه والكلمات القادره علي تقويه الارداه والعزيمه وتحمل المصاعب والثبات علي الحق ولهذا بعد أن ذكر تعالي ما يحصل للمحتضر من مشاهده أحواله السئيه عند النزوع ويري قبيح أعماله فقال تعالي (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار)

فهذه العباره الساميه قادره علي دفع أهل النفوس الحيه الي حسم موقفهم من دعوه الرسل خاصه وان الايات فيها اسلوب التدريج بأن ا لاهلاك يقع اولا كما قال في الانعام (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربك مهلك القري بظلم واهلها غافلون) اي أنه بعد الاهلاك يكون دخول النار وهذا التدرج ذو اهميه لان العاقل اذا وقف مع نفسه وهو يقرأ الايه يربط الصوره في ذهنه فهو يشاهد مستقبله أن سلك طريق المكذبين اين ينتهي

فإن لابد أن ذلك يفزعه ويدفعه الي اعاده ترتيب أحواله لينتظم في صفوف فريق مدرسه الخير والايمان فالفرصه أمامه مازالت سانحه طالما لم يصل الي مرحله غرغره الموت (النزوع)

الأمر الثاني

يقول الحق أن مصير الناس حسب ولاءهم فاولياء الله مصيرهم الجنه وأما مصير الكفار أولياء الشيطان فمصيرهم الي النار فقال

(قال :ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار)

بعد أن ذكر قوله (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

فقد اقيم عليهم الحجه بإرسال الرسل وانزل عليهم الكتب ولهذا فإن المراد بقوله تعالى (ادخلوا)

بيان أن السبب في هذا المصير هو مخالفه المنهج فهذا الخزي والعار والذل والهون لأنهم رفضوا اتباع منهج الله لانه قال قبلها (أما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقي واصلح فلا.....والذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خ الدون)

فمصير الناس يوم القيامه حسب المنهج الذي اتبعوه والولاء فمن اتبع المنهج الشرعي الرباني فهولاء يحظون برعايه الله وعنايته ويدخلون الجنه فالتسلسل هنا هو تابع للمنهج فابواه المنهج الرباني يجمع فيها المومنون كلهم من ادم عليه السلام الي قيام الساعه

وان الكفار المستكبرون هولاء يتبعون منهج ابليس ولهذا فإن المصير واحد لجميع الكفار من الجن والانس منذو بدايه نشاه البشريه الي قيام الساعه وهو النار ولهذا يقول الحق لهم ادخلوا مع زملائكم من الأمم السابقه في نار جهنم

ولهذا قدم ذكر (الجن) في سياق الايه علي الانس بدخولهم النار ؟

لأن ابليس قائد مدرسه الشر ومؤسسها وقد كان اتباعه في بدايه الامر ائمه الضلال الذين يدعون الي الكفر والشرك هم من ذريته المرده والشياطين من الجن ثم كان قيامهم باغواء بعض الانس ولهذا قال تعالي في سوره الانعام (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس)

ومن هنا فإن الذي يفهم أن دخول النار إنما يكون أفواجا حيث يؤمر بقاده الضلال والشرك ورؤساءهم ثم يكون ادخال الإتباع ولهذا قدم الجن لانهم قاده الكفر والاغواء ثم يليهم ائمه الضلال من الانس ثم الإتباع وهكذا ولهذا نجد تقديم ذكر الجن علي الانس في القران في سياق ذكر دخول النار فاول الداخلين ائمه الضلال من الجن فاللّٰه يقول في موضع آخر (ولقد ذرنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) ويقول (لاملان جهنم من الجنه والناس أجمعين)

ثانيا

لما كانت الايه تتحدث عن تحذير الناس من اتباع الشيطان وأعوانه وقاده الكفر من الجن والانس يقول لهم انتبهوا أن تطيعوا سادتكم واكابركم علي الكفر والعصيان فإن نهايه ذلك الهلاك في النار فعليكم أن تحسموا موقفكم فلا يكون التنازل منكم عن عقولكم وكرامتكم لأ جل ارضاء الأكابر والساده وكسب مودتهم لهذا تنقل لنا الايه مشهد يوم القيامه بان جميع أسباب الموده التي كانت بينهم تتمزق حيث يحصل البراءه من بعضهم البعض فقال تعالي

(كلما دخلت امه لعنت اختها حتي إذا أدركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون وقالت آولاهم لاخرهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

تبين النصوص فلسفه أصحاب النار التي يقومون عليها علاقاتهم مع بعضهم بأنها عند الأزمات كلا منهم يلقي اللوم على الآخرين لأن العلا قه بينهم قامت علي المصالح الدنيونيه والماديه فهم وان كان بينهم موده اجتمعوا فيها علي الكفر والعصيان فإن هذه الموده تنقلب الي عدواه ولهذا استعمل لفظ (كلما) ظرفيه مصدريه اي كل وقت دخلت امه منها لعنت اختها فتفيد عموم الازمه وامه نكره وقعت في حيز عموم الامه فتفيد العموم أن كل امه دخلت لعنت اختها اي المماثله لها فدخول النار يكون بعد مناقشه الحساب ويعرف بعدها السبب الذي أو قعهم في الهلاك وبذلك يقع في نفوسهم كراهيه ما كانوا عليه فعند دخول النار يعلمون أنهم دخلوها بسبب اتباعهم ائمه الضلال ولهذا يكون اللعن والسب والشتم بينهم كما قال تعالي (ويوم القيامه يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا)

وهذا فيه الحث علي اختيار الاصدقاء الصالحين الذين يتوصوان بالحق والصبر فهم يساعدونك علي الطاعه فهذه الصداقه تدوام فهو تعالي يقول في موضع آخر (الإخلاء يومئذبعضهم لبعض عدو الا المتقين)

فكل من اشتركا في معصيه يلعن بعضهم بعضا فالاجتماع علي المعاصي من أسباب العدواه والبغضاء في الدنيا والاخره فهي تنقلب الي عدواه لان اجتماعهما علي الشهوات والملذات والمصالح فإذا انتهت ظهرت الأحقاد

الأمر الثاني

(هل اللعن يكون سببا لزياده عذاب الملعون)

بالطبع لا وانما أراد بهذا أن يبين لك ان الاجتماع بين أمر ضروري في حياه البشر وهنا لابد من نظام ومنهج يحكم حياه الناس ولهذا فإن هذا الاجتماع أما أن يكون علي طاعه الله والتوصي بالحق والصبر وأما أن يكون علي المعاصي والمصالح الماديه وطلب العز والقوه ف الاول ينطلق من منهج الحق الذي يربط علاقاته برابطه أبواه المنهج الرباني الذي يطلب الاخره ولهذا يجتمعون علي الاعمال الصالحه التي ينظرون لها انها ما يزرعونه لاخرتهم لأن الحصاد من جنس ما زرعوا ولهذا يتوصون بالحق والصبر علي المكاره كما قال تعالي (و العصر أن الإنسان لفي الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر) ولهذا تدوام العلاقه بينهم والثاني يطلب الدنيا وما فيها من مصالح ومنافع ولهذا فإن المنهج الذي يتبعه كل فريق يكون هو النسب الذي ينتسب إليه كل فريق

ولهذا قال (كلما دخلت امه لعنت اختها)

فقوله اختها يعني في الاعتقاد والعمل لا من حيث النسب فالكفار اخوه في الشر والكفر والعمل الفاسد بينما المومنون اخوه في الإيمان والخير والعمل الصالح كما قال تعالي لنوح (أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح) فقوله اختها هنا يعني أهل مله النصاري يلعنون قادتهم من ائمه الضلال من النصاري وكذلك اليهود تلعن ائمه اليهود والمشركين تلعن ائمه الشرك وهكذا

ولهذا يقول لك الحق أن اللعن من صفات أهل الباطل فأراد بهذا

المفهوم الاول

أن تدرك أن الاجتماع علي الباطل ينتهي باللعن والسب عند انتهاء المصالح ولهذا فعليكم أن تحرصوا علي أن يكون اجتماعكم علي الحب في الله والبغض في الله ليكون دوام المحبه بحيث لاتنقطع الموده

المفهوم الثاني

أن الايه تهدف إلي أن تسد الباب علي من يتعلق بالاكابر لأن الاقتداء والتأثر بهم من قبل البسطاء إنما يكون ناتجا عن ما يأملون من الا عتزاز بهم وطلب مصادر القوه فانت تلاحظ الذين يتبعون الأكابر والساده يهدف للحصول علي العزه المتوهمه ورجاء المنفعه من الأقوياء والحمايه وايضا يطلبون مدحهم ورضاءهم ويخافون من ذمهم والانبهار بعلمهم وقوتهم ولهذا تركز النصوص علي نفي تلك الأسباب من كل جهه وإظهار انقطاع الموده بينهم وقت الحاجه

فابتدات النصوص بذم من يتنازل عن كرامته ويعطل عقله بتقليد الأكابر والساده طلبا لكسب مودتهم فأخبرهم الله أنهم لن يشفعوا لهم ولن يدفعوا عنهم العذاب ولن ينفعهوهم

يقول انكم سوف تقفون بين يدي الله من لحظه احتضاركم وسوف تكشف لكم الحقائق فأنتم ترون مقعدكم من النار وتشهدون علي أنفسكم (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

يقول لك الحق عليك أن تراجع علاقتك مع ربك فالإنسان علي نفسه بصيرا وسوف تشهد علي نفسك عند حلول الموت بأعمالك الكافره وبعد الهلاك تقوم قيامتك ولهذا أسقطت الفتره الزمنيه مابين الموت والبعث والنشور والحساب فذكر أنه قائل للكفار المستكبرين الذين رفضوا القبول بمنهج الله واوامره ونواهيه

(قال:ادخلوا النار في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امه لعنت اختها حتي إذا أدركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

وهذا فيه

المبحث الأول

ابتدأت النصوص بذكر المحاوره بين فريقين هم آخرهم دخولا الي جهنم واولاهم دخولا إليها ؟

والسوال هنا منهم الآخرون دخولا ومنهم الأولون في الايه وماهو المراد بقوله ذلك ؟

عليك أن تدرك أن المراد بهذا القول لايراد منه الترتيب الزماني لاهل الكفر كما توهم البعض بأن الأولون هم الأسلاف والاخرون الأبناء لا بل المراد به المنزله والمكانه التي انقسم فيها أهل الباطل في الدنيا اي الرتبه فالاخرون هنا تعني العوام والاتباع الرعيه والاولون هم القاده والروؤساء والزعماء لأن كل امه وطائفه وجماعه وأهل مله لاتخلوا من من القاده والروؤساء والزعماء (المتبوعين) ومن الرعيه و الجنود (الإتباع)

فأراد بهذا التحذير من الطاعه العمياء ومن التنازل عن عقلك وحريتك واستقلالك الذي اختصك الله به فكيف تقبل أن تكون تابعا لبشر مثلك وتترك طاعه خالقك ومعبودك

وهذا المعني ينسجم مع ما ورد في سياق النصوص التي ابتدأت بذكر حال الكفار عند قبض الأرواح وعندما يقفون أمام الله للحساب و العقاب فالله يقول لك انك سوف تقف بين يدي الله وهو بعدها يأمر بك اما الي الجنه او النار وذكر حالهم عندما يلعن بعضهم البعض وحالهم وهم يتلاحقون حيث يكون دخول الأكابر والساده من ائمه الضلال الي نار جهنم ويتبعهم بعد ذلك بالدخول الي نار جهنم الإتباع فاستعملت النصوص اسلوب يفزع النفوس من عواقب التبعيه بالاتباع لاهل الباطل بأنهم يجتمعون في قعر جهنم ولهذا فعليك أن تدرك أن السر الوحيد الذي يكون فيه النجاه هو علاقتك مع ربك فلا تغتر بمدح المدحين فمدح الناس لن يدخلك الجنه وذمهم لن يدخلك النار

فالانسان لايستطيع أن يمنع نفسه من سماع مدح الناس وذمهم لكن باستطاعته أن يمنع نفسه من التأثر بما يقولون فانتبه أن تقف في صف المجرمين فيكون عقابك النار مع الطغاه والظالمين

حيث يكون التلاحق والتتابع كل فريق يتبع قادته ورؤساء ه الذين اجتمعوا معهم في الدنيا علي المعاصي فاستعمل كلمه الدرك لبيان سرعه التلاحق والتتابع كلا منهم يلحق بمن اقتدي من ائمه الضلال فالدرك يطلق علي الحبل الذي يوصل به حبل آخر ليدلوا الماء ويقال لـ لإنسان لما يلحق من يبتغيه أدركه اي أنهم تلاحقوا أفواجا حتي اجتمعوا مع بعضهم كلهم بدأ الخصام والمحاوره والقي اللؤم علي بعضهم البعض فقال تعالي(قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

فأراد بهذا أن تشاهد عاقبه اتباع الأكابر والساده وما فيها من الندامه والحسره حيث أنهم لايدفعون عنكم العذاب فلماذا تتنازل عن حريتك باتباع أهل الباطل

المبحث الثاني

تبين النصوص أنه بعد اجتماع أهل النار في قعر جهنم تبدأ ماساه التقليد والولاء بين أولياء الشيطان فتظهر العدواه حيث تنكشف المغرور بهم فادحه ما ارتكبوا من جريمه بحق أنفسهم عندما الغوا عقولهم واتبعوا ائمه الضلال الي مخالفه المنهج ومحاربته

ويدخل في هذا الجنود الذين يقولون نحن ننفذ الأوامر العسكرية بالقتل والتنكيل لاهل الحق الذين يامرون بالقسط

بعد أن يتم الحساب ويري أعماله التي ارتكبها لأجل ارضاء الأكابر والساده يري أن تلك الأعمال أوصلته الي الهلاك فهو قبل أن يدخل النار يسأل الله أن يريه الذين اضلوه من الانس والجن كما ورد في سوره فصلت كي يدسوه عليهما تحت اقدامهما هذه هي نهايه الطاعه لغير الله والاحترام لاهل الباطل يتمني أن يراه فيدوسوه تحت أقدمه

فهم لايرونهم لانهم قد سبقوهم الي النار لأن القاده والروؤساء والزعماء يدخلون النار قبل الإتباع ولهذا يخبرنا الحق أن امه الإتباع تلعن امه ائمه الضلال وهم أصناف فائمه الشرك وائمه يدعون الي القتل وائمه يدعون الي الزنا والفواحش وهكذا يكون كل جماعه صنف ولها قاده واتباع

فعندما يجتمعون في نار جهنم يري الإتباع من كانوا يتبعون من ائمه الضلال وهنا يبادر هولاء الي القول (ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

فسياق النصوص توحي بأنهم وجدوا شئيا كانوا يبحثون عنه ولهذا استعملوا اسم الاشاره (هولاء) اضلونا اي تسببوا في اضلالنا وسألوا الله أن يضاعف لهم العذاب كما قال تعالي في موضع آخر

(وقالوا ربنا انااطعنا سادتنا واكابرنا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)

المبحث الثالث

ابتدأت الايه بقولهم (ربنا) اي اعترفوا بالرب السيد والمالك لهم ولكل الخالق والمربي الذي يجب أن يطاع وتوجهوا إليه بالدعاء بعدما أنكروا ذلك في الدنيا وجعلوا معه الهه أخري فهم رفضوا ولايه الله وربوبيته وفضلوا طاعه الأكابر والساده في الدنيا

ولهذا فإن المطلوب منك ايه المومن وانت تقرا الآيات إن تحذر أن تقع في هذا الموقف الذي وقع فيه اتباع الساده والاكابر

فعليك أن تدرك أنه إذا أردت النجاه فعليك أن توثق علاقتك بربك وان تقطع كل علاقه مع ما سواه

فلا تغتر بمدح المدحين فمدح الناس لن يدخلك الجنه وذمهم لن يدخلك النار فالانسان لايستطيع أن يمنع نفسه من سماع مدح الناس وذمهم لكن باستطاعته أن يمنع نفسه من التأثر بما يقولون فانتبه أن تنخدع بتزين الأكابر والساده من المجرمين لطاعتهم فإن ذلك يجعلك من اتباع الشيطان وأعوانه ويخرجك من النور الي الظلمات فهذه هي وظيفه ائمه الضلال ولهذا ذكر قولهم (اضلونا)

اي جعلونا نتخبط في ظلمات الجهل والشرك والكفر باخفاء الدلائل علي وحدنيتك والوهيتك وربوبيتك وطاعتك فعبدناهم واطاعنهم وتعلقت قلوبنا بهم نتيجه تزين هولاء لنا الأعمال الخبيثه

المبحث الرابع

طلبوا زياده العذاب لهم فقالوا (فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

الطلب تضمن فاء الفصيحه وهو فعل دعاء والهاء مفعوله الاول وعذابا مفعوله الثاني وضعفا صفه للعذاب ولهذا نجد نص الايه جاء مخالفا لما ورد في سوره ص (ضعفا في النار)

فالايه استخدامت (من) هنا لأن المراد به جنس العذاب أما في سوره (ص) فيها بيان مكان العذاب أنه في النار

وهذا حاصل لأن دخول الأكابر والساده في العذاب لابد له من ايقاع مولم للنفس ففي الدنيا مثلا عندما يحكم علي الزعماء والاتباع بـ الحبس لابد أن الأكابر يتألمون أكثر من العوام رغم أنهم في الحبس جميعا ولهذا فإن الالم والحسره تختلف وهذا لاينفع الإتباع ولايخفف عنهم العذاب كما قال تعالي في موضع آخر (ولن ينفعكم اليوم اذ ظللتم انكم في العذاب مشتركون)

المبحث الخامس

في إطار وصف أحوال النار والمحاوره التي تكشف لنا نهايه من اجتمعوا علي ضلاله يأتي الجواب علي سوال الإتباع مضاعفه العذاب للمتبوعين فقال تعالي

(قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون)

الجواب من الحق سبحانه وتعالى لهولاء بانه (لكل ضعف)

اي لكم جميعا ما طلبتم من مضاعفه العذاب وهنا لابد أن نقف علي الآتي

المساله الاولي

(ما المقصود بالضعف هنا)

الضعف يستعمل للزياده في الشي وهو من الألفاظ التي تختص بالعدد وبالمقدار ويستعمل في التكثير

ولهذا فإن هذا الطلب يعلم منه أنه آتاهم العذاب وهم سألوه زيادة قوه منه تبلغ ما يعادل ضعف قوته ولهذا لما وصف يضاعف علم أنه قبل ذلك يوجد عذاب وهذا القول منهم لما علموا أنهم لن قد انخدعوا بعباده وطاعه الأكابر والساده وعلموا أن الضلال هو سبب العذاب الذي هم فيه فعلموا أن الذين شرعوا الضلال أولي بالعقوبه ولهذا كان طلبهم مضاعفه جنس العذاب الكيفيه فاستخدام (من النار)فأخبر الحق أن كلا منهما يستحق مضاعفه العذاب

المساله الثانيه

السوال كيف يكون زياده العذاب علي ما ارتكبوا والله يقول في موضع آخر (من جاء بالسئيه فلا يجزئ الا مثلها)اي أن السئيات لا تضاعف من جهه العدد ؟

الجواب :ـ

أن المضاعفه من جهه الكيفيه لامن جهه العدد وكذلك قال العلماء وجه مضاعفه الكيفيه بالنسبة للاتباع يعذبون علي كفرهم وعلي طاعتهم المتبوعين وتمكينهم لهم وتكثير سوداهم وكل هذه الأمور

بحد ذاتها ذنوب تستحق العذاب لجهتها وايضا أن الشرك والكفر عليها عذاب مضاعف الكيفيه مع استوائهم في المضاعفه لكنهم متفاوتون في نسبه المضاعفه بأن ما يعذب به المتبوعين يضاعف لهم أكثر من التابعين لقوله تعالى في موضع آخر (يحملون ا

المساله الثالثه

لماذا جاء الاستدراك (ولكن لاتعلمون) بعد بيان أن الجميع يستحق مضاعفه جنس العذاب

يقول ابن عاشور

لرفع ماتوهمه التسويه بين القاده والاتباع في مضاعفه العذاب

بأن التغليظ علي الإتباع بلا موجب لانهم لولا القاده لما فتنوا ولهذا جاء الاستدراك ولكن لاتعلمون الكثير من الحقائق ولاتشعرون بخفايا المعاني فلذلك ظننتم أن موجب مضاعفه العذاب لهم دونكم هو أنهم علموكم الضلال ولو علمتم حق العلم لاطلعتم علي ما كان لطاعتكم

اياهم من الاثر في اغرائهم بالازدياد من الاضلال ومفعول تعلمون محذوف دل عليه قوله لكل ضعف والتقدير لاتعلمون سبب تضعيف العذاب لكلا من الطائفتين يعني لاتعلمون سبب تضعيفه لكم لظهور أنهم علموا سبب تضعيف العذاب القاده لانهم اضلوهم لم ينظروا الي فعلهم

وهذا فيه أن عليك أن تدرك أن من اهم أسباب تسلط الطغاه هم طبقه الضعفاء الذين يقفون ضد من يحاول جاهدا إنقاذهم من براثين الوثنيه السياسيه والظلم فهي تحول دون تحقيق هذا الغرض فهم قاعده الوثنيه السياسيه

ثانيا

تستمر النصوص في نقل الحوار بين أولياء الشيطان من القاده والروؤساء والتابعين من الجنود والعوام والأنصار فقال تعالي

(وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)

الفاء في قوله (فما) فصحيه يقول فيها الأكابر والساده من ائمه الكفر للاتباع بأننا متساوون في استحقاق العذاب كلنا فنحن لم نجبركم علي الكفر وانما كان الكفر منكم باختياركم واهواءكم وجهلكم فقد اشتركنا جميعا في الضلال كما قال تعالي في موضع آخر (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدي بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ....الخ

وهذا فيه بيان نهايه اتباع المستكبرين بأنهم يتبرون منهم ومن أعمالهم فقال تعالي (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)

وكلمه فذوقوا فيها تشفي واهانه من الأكابر بالاتباع لانهم طلبوا مضاعفه العذاب لهم والذوق استعمل مجازا مرسلا في الإحساس والباء سببيه اي بسبب اعمالكم القبيحه التي جعلتم منها مكسب فإن دعاءكم لم يرفع عنكم الالم العذاب كما قال تعالي (ولن ينفعكم اليوم اذ ظللتم انكم في العذاب مشتركون).

فالايه ترسم نهايه العلاقه بين أولياء الشيطان بانه تنقطع كل اواصر وأسباب كل علاقه بينهم والغرض من هذا التصوير للمشهد بأسلوب الحوار أنه يكشف لك المستقبل الذي ينتظرك أن انت اتبعت الأكابر والساده في الكفر والضلال فكلمه ضعافا وضعفا جمع كلمه ضعف وهي بالفتح تعني عند الفراهدي ضعف في العقل والرأي والضعف بضم الضاد تعني ضعف الجسد ولهذا يتوجه الخطاب الي هولاء الضعفاء الذين يتنازلون عن عقولهم وحريتهم بالقبول باتباع الأكابر والساده لانهم ينظرون إليهم أنهم أهل قوه بما يحظون من ملك ومال وسلطان اي غني واقتدار أنهم أهل شانا وعلي هذا الأساس ينظرون إلي أن هذا الأمر علامه السعاده في الدنيا والاخره فهذه المقاييس و المعايير والموزين الخاطئه تجعل الكثيرون يتصورن أن ذلك علامه علي رضاء الله عنه وأنه ينال هذه المنزله في الاخره ويدخل الجنه ولهذا تأتي الايه بعدها مبينه فساد هذه التصورات ويصحح للسامعين التصورات الفاسده فقال تعالي

(أن الذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم ابواب السماء ولايدخلون الجنه حتي يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين)

وهذا فيه

الأمر الأول

يقول الحق أن الاستقلال الذي ينبغي أن يكون عليه العبد لايعني ترك الإتباع ولكن عليك الإنتباه من الاقتداء بأهل الضلال وانما يكون الا قتداء بأهل الصواب

فأهل الصواب هم الذين يتبعون منهج الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم

وهولاء يصدقون بآيات الله المرئيه والمسموعه التي تأمر بالقبول بالحق وتنهي عن الظلم وهضم الحقوق فمن أراد الاخره فإنه إنما يستعلي بالحق وليس بالمال والجاه والسلطان لانه يعلم أن الدار الاخره إنما تكون لمن قال عنهم الله أنهم أهلها (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبه للمتقين)

فانتبه أن تعجب بنفسك وان تستمد عزتك من الجاه والسلطان والمال والكبر فهذه راس المعاصي التي هلك بسببها ابليس

الأمر الثاني

يقول الحق من أسباب ذل وهون الإنسان الاستعلاء بالمال والجاه والسلطان والقوه والقدره الماديه فمن تعلق بغير الله واستغني بعطاء الله عن ربه فإنه لايقبل دعاءه ولا تفتح له أبواب السماء لأن البعض يري أن التقرب من هولاء فيه الشفاعه والوساطه عند الله فينظر إليهم أن لهم منزله عند الله وايضا يطلبون منهم العزه ولهذا أخبر الله أن هولاء لاتصعد أعمالهم الي السماء ولا اروحهم لأنها اعمال وأرواح نجسه والله يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فاساس الرفعه وصعود الأعمال هو التوحيد والعمل الصالح القائم علي الإيمان باليقين الجازم فالعزه لله جميعا والتشديد في قوله تعالى (لاتفتح) لكثره ابواب السماء فهي مغلقه علي الكفار

الأمر الثالث

لماذا جاء التشديد في قوله تعالى (لاتفتح لهم ابواب السماء)

هذا يعود إلي كثره ابواب السماء وهذا فيه اغراء للمومنين فمعني أن تفتح لك ابواب السماء تعني انك تعيش باطمئنان وسكينه لاتبالي بـ البلاء والالالم لانك تتصل بالله فلا تبالي بالمعاناه لانك تستيقن أن الله معك تعني أنك تعيش في الجنه قبل أن تموت لانك تتلذذ بطاعه الله فأنت لاتفكر في الهموم والاكدار ولاتنشغل بها لانك تشعر أن الله معك اما الكافر المكابر المعاند وكل مكذب بآيات الله واستكبر يعيش في قلق واضطراب ونيران تشتعل بداخله فلايجد الراحه ولهذا يقول الحق أنه يستحيل ان يدخل الجنه كل مكذب بآيات الله وكل مستكبر وعبر عن استحاله ذلك بقوله (حتي يلج الجمل في سم الخياط)

أنه لو دخل الجمل الكبير في ثقب الابره الضيق الصغير عندها لك أن تقول إنه يمكن أن يدخل هولاء الجنه وطالما أنه محال حصول ذلك فإن دخول الكفار الجنه مستحيل

فدل هذا أن مصير هولاء الي نار جهنم وذيل ذلك بقوله (وكذلك نجزي المجرمين) فالتكذيب بآيات والاستكبار يفضي الي الاجرام ولهذا فمن اتبع المكذبين المستكبرين سوف يكون جزاءه أنه خالدا معهم في نار جهنم فذكر بعدها نوع الجزء فقال تعالي (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين)

يقول الحق أن هولاء الكفار الخالدون في نار جهنم لهم من جهنم (مهاد) فراش من تحتهم وسماه مهاد ليغرس في نفوس السامعين الا شفاق من العذاب فما امتهدوه واضطجعوا عليه كالفراش الذي يفرش والبساطة الذي يبسط هو نار جهنم (ومن فوقهم غواش) اي الغطاء هو نار جهنم اي احاطه جهنم بهم من جميع الجهات فقد انتفت راحتهم وهذا فيه تفزيع النفوس وتحمل العقلاء علي الاستقامه وان هذا الجزء لكل ظالم مشرك

القسم الثالث

لما ذكرت النصوص مشهد أهل النار في جهنم وما هم فيه العذاب

تاتي النصوص بذكر حال اهل الجنه فقال تعالي (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا إلا وسعها اولئك أصحاب الجنه هم فيها خـ الدون ونزعنا مافي صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون ونادي اصحاب الجنه أصحاب النار انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذان موذن بينهم أن لعنه الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالا خره كافرون)

اولا

لما ذكرت النصوص مشهد أهل النار في جهنم وماهم فيه من العذاب تأتي النصوص بذكر حال اهل الجنه وما هم فيه من النعيم فقال تعالي (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا إلا وسعها اولئك أصحاب الجنه هم فيها خالدون...الخ

يقول انظروا الي حال الطرف المقابل وما هم فيه من سعاده في الجنه

الأمر الأول

(منهم الطرف المقابل الذين هم أصحاب الجنه)

أخبرنا الله أن هولاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات...اي صدقوا وامنوا بالله تعالي ورسله وآياته المرئيه في الكون المشهوده وآياته المسموعه التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه وامتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه وصدقوا باليقين الجازم باليوم الا

اخر والحساب والعقاب

ولهذا فإن هذا الإيمان الصادق دفع الجوارح الي الأعمال فالاعتقاد لابد أن يلحقه السلوك ولهذا نجد أن الحق كرر قوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) في القران (٢٠٠) مره

فالعمل هو شرط الايمان فالإيمان بلا عمل كالشجره بلا ثمره والعمل بلا ايمان لاقيمه له أيضا

الأمر الثاني

لماذا وردت جمله(لانكلف نفسا إلا وسعها) معترضه بين قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقوله تعالى (اولئك أصحاب الجنه هم فيها خالدون)

الجواب :ـ

لأن الايه السابقه وردت بمناسبه ذكر حال الاشقياء المكذبون والمستكبرون عطف بذكر حال السعداء المصدقون بآيات الله وهم الذين حملوا المشروع الايماني ووقفوا في وجه المستكبرون والطغاه فكان قوله مجئ الايه (لانكلف نفسا إلا وسعها) معترضه بين جمله الا بتداء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وبين جمله الخبر (اولئك أصحاب الجنه هم فيها خالدون)

لبيان ان تكاليف حمل الدعوه ومافيها من مشقه ليس صعب وهو سهل وقليل مقابل ما أعد الله لهم من الجنه فهو تعالي لم يكلفهم فوق طاقتهم فالتكاليف في نطاق الوسع بقدر طاقه الإنسان وسعته فلا مشقه

/٢

يقول لك الحق هل تريد ان تكون من أصحاب الجنه فإن الطريق لذلك هو الاستقامه علي منهج الله بالإيمان باليقين الجازم والعمل الصالح فهو الذي تبني علي أساسه الشخصيه الاسلاميه وتبعا لما جاء به بحيث تمتزج فيها الدوافع الفطريه بالمفاهيم الاسلاميه عن الحياه فيصبح ميول الشخص وتفكيره ووجدانه ومقايسه ومراجعه كلها للإسلام وقبوله للأشياء والافعال والنفور لها ورفضها كلها تابعه لـ لإسلام والمنهج الرباني بحيث تكون عقليته ونفسيته اسلاميه وعلي قاعدته المنهجيه وموافقه له ولهذا يقول الحق لاتظنوا أن الله امركم بأعمال تفوق قدرتكم فليس المنهج الرباني الذي هو شرع الله الذي يجب أن يكون عقيده في القلب (آمنوا) وسلوك (عملوا الصالحات) فوق طاقتكم وإياكم أن تظنوا أن الخالق قد كلفكم بما يشق عليكم أو أن تشريعاته رغبه في ارهاقكم فليس الأمر كذلك فـ الخالق الذي خلقكم والصانع الذي صنعكم يعلم قدره المصنوع فلا يكلفه فوق طاقته فما انزله الحق في كتابه هو في نطاق الوسع فـالله جعل العمل علي قدر استطاعه العبد فلم يكلف أحد فوق طاقته

/٣

فيها أيضا التنبيه بأن الجنه مع عظيم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل الصعاب فأراد بهذا أن يغرس الشوق لما عند

الله ولهذا جاء بجمله (لانكلف) معترضه بين المسند إليه والمسند علي طريقه الادماج وفائده ذلك تطمئن المومنين بأنهم لا يطلبوا من الا عمال الصالحه بما يخرج عن الطاقه فهم لن يبلغوا الجنه بأعمالهم وانما برحمه الله تعالي

الأمر الثالث

لماذا جاء الحصر بملازمه الجنه للمومنين الذين حملوا المشروع الايماني ووقفوا ضد الباطل وأهله عليهم دون غيرهم في قوله تعالى (اولئك أصحاب الجنه هم فيها خالدون)

هذا فيه تقويه الارده والعزيمه وغرس الهمه العاليه في النفوس للمومنين ما يجعلهم يشتاقون لما عند الله ويعملون بالاسباب التي توصلهم الي الجنه فلا يبالي بالمكاره ويولد فيه قوه النشاط للأعمال الصالحه والرغبه في الطاعه فيجد لذه الطاعه فيدخل الجنه وهو في الدنيا

وايضا هذا فيه تايئس آخر للمشركين المستكبرين من دخول الجنه

الأمر الرابع

قوله تعالي (ونزعنا مافي صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار

)

النزع هو:

قلع الشي عن مكانه ولهذا فإن المراد به أما أن يكون معناه اذهبنا ما كان في قلوبهم في الدنيا من أحقاد وضغائن فدل هذا أن قلوب اهل الجنه غير قلوب اهل الدنيا فالايه تعطينا صوره حال المومنون في الجنه بعد أن ذكر حال اهل النار أنهم يتلاعنون فجاءت النصوص تبين حال المومنون أنهم في الجنه اخوان متقابلين لانه قد أخرج من قلوبهم أسباب الحقد والضغائن الذي قد يوجد لدي البعض في الدنيا وهذا ما بينه الحق في سوره الحجر فقال تعالي (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا علي سرر متقابلين لايمسهم فيها نصب ولا هم منها ...الخ

وهذا فيه أنه قد يوجد ضغائن في الدنيا بين المومنين بحكم بشريه الإنسان والتنافس فيها فجاء التعبير بالماضي (ونزعنا) للتعبير عن المستقبل للتنبيه علي تحقيق وعده وانها لامحاله فعليك أن تزهد عن الدنيا لأن الحقد والضغائن إنما يكون من التعلق بالدنيا وما فيها وبانقطاع تلك العلاقه ينتهي مافي النفس من عله الحقد والضغائن فأراد بهذا الأخذ بيدك لتعيش في الجنه وانت في الدنيا وبالتالي فإن أول خطوه لذلك أن تقلع من قلبك الحقد والضغائن فإن فعلت ذلك ذقت لذه الجنه وانت في الدنيا

ولهذا روي عن الامام علي رضي الله عنه قوله ارجوا أن أكون أنا وعثمان وطلحه والزبير من الذين قال الله فيهم (ونزعنا مافي صدورهم من غل)

وذكر في الحديث عن أبي سعيد الخدري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (اذا خلص المومنون من النار حبسوا علي قنطره بين

الجنه والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتي إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنه ...الخ

الأمر الخامس

فائده جمله (تجري من تحتهم الأنهار)

الجمله في موضع الحال اي أنهم في أمكنه عاليه تجري الأنهار من تحتهم وفائده هذا اظهار ماهم فيه من نعيم مقابل ما ذكر من حال الكفار أنهم في نار جهنم هي الفراش واللحاف يصطلون بها

فذكر أن المومنون في جوا نعيم جالسين والأنهار تجري مياها من تحتهم

ثانيا

لما أخبر الله عن حال اهل النار أنهم يتلاعنون وينشغلوا بالخصام تأخذنا الآيات في رحله نشاهد فيها حال المومنون فقال تعالي

وقالوا الحمدلله الذي هدانا لهذا و ماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ولقد جاءت رسل ربنا بالحق)

الأمر الأول

لماذا جاء التعبير بالماضي (وقالوا) والمراد به المستقبل ؟

الجواب :ـ

يريد الحق أن يصل ايمانك بهذا المستقبل إيمانا باليقين الجازم كانك عشت فيه فاخبرنا الحق أن اهل الجنه منشغلون بالحمد والثناء علي الله تعالي فقال تعالي (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا)

كيف يقولون ذلك ؟

يحتمل أن يكون قول ذلك في نفوسهم باراده التقرب من الله بحمده

ويحتمل أن يقولوا ذلك وهم مجتمعون لأن الايات تنقل لنا النهايه التي يعيشها الفريق المومن في الجنه ونعيمها بعد نقل نهايه فريق الكفر والشرك والاستكبار في نار جهنم فالايات تتحدث عن أحوال فريقين كانوا مختلفين في الصفات والأهداف وتبين أن النتيجه و

العاقبه كانت مختلفه أيضا ولهذا تنقل الايه مانجم عن الاختلاف في العاقبه والجزاء فالناجي لايكاد يصدق أنه نجا كما أخبرنا الله في موضع آخر فقال تعالي (فيقول هاوهم اقروا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه ..الخ فما الذي أسعده هل هو عمله كلا وانما رحمه الله شملته وها هو ذا في الجنه يتنعم بما فيها مما لاعين رأت ولاخطر علي قلب بشر فهم في فرح وبهجه

وهذا الأرجح لأن الايه قبلها تحدثت عن حاله نزع ما في قلوبهم وهم في حاله الاجتماع ولأن من أهم فوائد نزع الغل من الصدور منع الحقد علي ما يعطي فيه العباد من الدرجات والمنازل المتفاوته في الجنه فذكر الحمد والشكر لله بعدها لبيان ان من نتائج ذلك أن كلا يشكر الله علي فضله ولهذا تأتي الاشاره (لهذا) اي جميع ماهو حاضر من النعم

وقت الحمد والهدايه هي الإرشاد والسداد الي أسباب الايمان والعمل الصالح فجاء الاعتراف بفضل الله وتوفيقه (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

فهم يتذكرون ما كانوا فيه قبل الايمان من ضلال ويتذكرون كيف أن الله وفقهم للأعمال الصالحه والايمان بأن سهل قبول الدعوه التي دعاهم إليها الرسل ولهذا ابتدأ بالحمد والثناء والاعتراف بفضل الله عليهم يتذكرون أسباب الهدايه وهم يتسامرون مع بعضهم فهذه الذكريات للأمور المحبوبه التي تتلذذ النفس بتذكرها

ولهذا يأتي الثناء بقولهم (ماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

في موضع الحال فيها تعظيم أمر الهدايه وتوفيق الله لهم حال بعدهم عنها لولا توفيق الله ولهذا جاء بجمله الحمد لله والثناء علي الرسل والشهاده لهم بقيامهم بالدعوه اظهار نعمه ارسال الرسل وتصديقهم فقال تعالي (لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

بأن تيسير الله لهم قبول دعوه الرسل وامتثالهم أمر الله نعمه عظيمه حرم منها المستكبرين المكذبين لآيات الله فقد أصبح علم اليقين الذي آمن به المومنون بالدنيا علم حق اليقين ولهذا تنقل لنا الايه بعدها مظهر من مظاهر التكريم والترحيب الذي يحظي به المومنون في الجنه فقال تعالي (ونودوا أن تلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون)

فأراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

أن واجب كل مسلم نحو ربه أن يعمل جهد الطاقه مستعينا بالله تعالي أن يوافقه لما يحب ويرضى بعلمه أن النجاه إنما يكون بعون الله وتوفيقه له لأن يكون من أهل الجنه فاخلاص العباده لله والاستعانة بالله هي أساس الطريق المستقيم فالله يقول (ايا ك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

المفهوم الثاني

تهدف النصوص أن تكون الجنه ماثله أمام عينيك بنعيمها وسعادتها يريد أن تملك الاخره مشاعرك وتستولي علي فكرك بنعيم الجنه وجحيم النار بسعادة الجنه وشقاء الحجيم ولهذا بعد ذكر شقاء أهل النار تأتي النصوص مبينه سعاده اهل الجنه

فاستعمل النداء (ونودوا أن تلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون)

النداء في حقيقته اعلان الخطاب ويطلق غالبا في التعبير عن دعاء اخر ليقبل بجسده أو فهمه لسماع الكلام ولايشترط أن يكون بصوت مرتفع فالله يقول لنا عن زكريا (إذ نادي ربه نداء خفيا)

ولهذا فإن النداء هنا في هذه السوره (ونودوا) تعني القول

فمن الذي نادهم يجوز أن يكون المولي سبحانه وتعالى ويجوز أنهم الملائكه فالايه وردت في إطار بيان مظاهر النعيم ولهذا فإن الذين ينادوهم هم يجوز أنهم الملائكه لقوله تعالى في الزمر (حتي إذا جاوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خ الدين وقالوا الحمدلله الذي صدقنا وعده واورثنا الأرض نتبوا من الجنه حيث نشأ فنعم اجر العاملين)

وقال تعالي أيضا في موضع آخر (والملائكه يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار)

المفهوم الثالث

تهدف الايه الي تقويه الارداه والعزيمه وتحمل المشقه فالإيمان بالثواب الجزيل علي الاعمال الصالحه القليله من أعظم الدوافع علي القيام بأعمال الخير والبر والاصلاح في الأرض برغبه وارده قويه بالإيمان بانك سوف تلاقي ثواب اعمالك التي تقدمها عند الله فقال تعالي (وتلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون)

فاستخدام اسم الاشاره للجنه (تلكم) الذي حقه أن يستعمل في المشار إليه البعيد مع أن الجنه حاضره بين أيديهم والقصد من ذلك رفعه شأن الجنه وتعظيم المنه يقول لك الحق أن سلعه الله غاليه

وهذا يحمله علي الصبر واحتمال الاذي والشدائد في حمل المشروع الرباني

فالسوره نزلت في وقت شده الصراع بين المسلمين والكفار مع بدايه الامر بالجهر بالدعوه فقد كانت تلك مرحله جديده في حياه المسلمين مرحله الاعلان والمواجهة وهي مرحله حساسه فقد كان هنالك صعوبه لدي البعض نتيجه شده الاضطهاد وهذا هو حال الدعوه في كل زمان في بدايتها وبالذات عند الانتقال لمرحله الجهريه فكان هذا التقسيم لأحوال الناس في الاخره فيه رسم نهايه الصراع بين الحق والباطل

يقول لك الحق اين انت من هذا الصراع ؟ لابد أن يكون لك موقفا

هل انت مع اهل الجنه ام أهل النار حدد موقفك فلا تقف موقف المتفرج

فهذا الموقف يحتاج منك حزم وارده وحسم فلا مجال للتذبذب فأين تحب أن تضع نفسك فهذه هي نتيجه الصراع فهذا التصوير من أعظم الحوافز علي تخفيف الالام

فما تواجه من مصاعب في الدنيا لاتساوي شي مقابل النعيم الذي أعده الله لك ولهذا يقول الحق بعدها (اورثتموها)

والارث حقيقه مصير مال الميت الي اقرباءه فيقال ا ورث الميت فلان بمعني جعله وريثا له ويطلق مجازا علي مصير شي إلي أحد بدون عوض ولاغصب تشبيها بارث الميت كما قال تعالي (اورثنا الأرض نتبوا من الجنه حيث نشأ) كلام جري مجري المثل عن ورث الملك لأن الحق جعل العطاء في الدنيا للمومن والكافر أما في الاخره فالعطاء الإلهي يكون للمومن فقط اما الكافر فهو محروم من العطاء في الا خره لقوله تعالي (من كان يريد العاجله عجلنا له فيها ما نشاء .....ومن أراد الاخره وسعي لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكور ا كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض والاخره اكبر درجات واكبر تفضيلا) فحارث الدنيا يكون محروم من العطاء في الاخره لانه قد استمتع في الدنيا فلذته منقطعه

ولهذا فإن العطاء بالاخره يكون للمومن عطيه من الله فالمعني صارت الجنه عطيتي وروي السدي أن للناس منازل في الجنه ومنازل في النار فإذا دخل اهل الجنه منازلهم في الجنه وادخل أهل النار منازلهم في النار رفعت الجنه لاهل النار فنظروا منازلهم منها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعه الله فقال يا اهل الجنه ورثتموهم بما كنتم تعملون فتوزع تلك المنازل علي اهل الجنه)

المفهوم الرابع

أن علي المسلم أن يعلم أن تقسيم الناس في الاخره الي أهل النعيم وأهل النار يعني أن دخول الجنه فضل ورحمه من الله فالاعمال ليست هي موجب لدخول الجنه وانما توجيه من حيث أن الله وعد العاملين أن يتفضل بها بمحض رحمته وكمال فضله وإحسانه ولما كان الوعد في بالتفضيل في حق العاملين بمقابله أعمالهم كان العمل بمنزله السبب الموصل إليها فلذلك قال تعالي (اورثتموها بما كنتم تعملون)

وبالتالي فلا تعارض بين الايه الكريمه وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يدخل الجنه أحد منكم عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا أنا إلا انا يتغمدني الله برحمه منه وفضل)

لأن إطلاق الايراث استعاره تشبيها للاعطاء بالتوريث في سلامته من التعب والاكتساب فدلت كلمه الإرث أنها عطيه من الله هنئيه بلا تعب ولامنازعه وانما محض فضل من الله أما قوله تعالى (بما كنتم تعملون) ثناء عليهم من الله علي أعمالهم القليله مقارنه بالجنه أنه تعالي أعطاهم هذا العطاء تقديرا لجهودهم وسعيهم فهو تعالي شكور لانهم أرادوا حرث الاخره وجعلوا لقاء الله هدفا لحياتهم فكان منهم السعي بالعمل الصالح قاصدين بذلك النجاه والسلامه من غضب الله وسخطه ...اردوا مرضات الله وشكر الله علي انعامه فهم لم يكونوا ينظرون أن أعمالهم توصلوهم الي ما ناولوا وانما عملوا ذلك طمعا بثواب الله وتركوا المعاصي خوفا من عقابه ولهذا جمع بين الإرث و الباء السببيه (بما كنتم تعملون)

كما قال تعالي (ومن أراد الاخره وسعي لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكور ا) وقال تعالي (انظر كيف فضلنا بعضهم علي

بعض وللاخره اكبر درجات واكبر تفضيلا)

ثالثا

تهدف الآيات الي تربيه المومنين علي التعامل مع هذه المفردات (الجنه والنار) (الثواب والعقاب) (النعيم والعذاب). يقول لك الحق أن هذه المفردات ينبغي أن تربط بينها لتودي كلا منها دورها في الحياه لتكون هي الميزان الذي نقيس بها الأشياء من حيث الفاعليه الا يجابيه أو السلبيه

نقيس بها موقعنا ومواقفنا ومنطلقتنا لتتحول هذه المفردات الي مفاهيم أو منتجه للمفاهيم المتصله به وبالتعاطي مع الأسباب التي توصل الي كلا منها أما بالحب للاسباب التي يكون ثمنها الجنه والنعيم فتكون باعثا علي طاعه الله وتقويه الارداه وكذلك بالبغض للأ سباب التي توصل للنار والعذاب فيكون مانعا من ارتكاب المعاصي وهذا فيه تقويه قوه الغضب فيكون غضبك في الله ولهذا ذكر قال تعالي بعدها (ونادي أصحاب الجنه أصحاب النار ...الخ

وبالوقوف علي المفاهيم التي ترتبط بمفرادت ذلك نجد الآتي

المفهوم الاول

عليك أن تفهم أن الدنيا ليست دار الجزء بل هي دار عمل وابتلاء وان الاخره هي دار الجزء ولهذا فإن المتأمل لاحوال الناس في الدنيا يجد ان اهل الفساد والكفر والبغي والعدوان يرتكبون الجرائم فتري تسلط الأقوياء علي الضعفاء ولانري في أغلب الحالات الجزاء في الدنيا فربما نموت قبل أن نري مجازاه المسي علي إساءته وهذا لأن الدنيا إنما هي دار امتحان واختبار فلا تتوهم أن الجزاء لابد أن يتحقق في الدنيا ولهذا فإن الجزء في الاخره وهذا من أهم مظاهر العدل والحكومه أن يبعث الله الناس ويجازيهم علي أعمالهم الجزء الا وفي فيوم القيامه يكون توفيه الجزاء فهو تعالي يقول في موضع آخر (إنما توفون أجوركم يوم القيامه)

فهذا اليوم بالنسبه لجزاء الكفار بالنار هو العدل وبالنسبه لدخول الجنه فهو الفضل والرحمه

المفهوم الثاني

يقول الحق لعباده أن القوي هو الذي يستمد العزه والاستعلاء من الله لا من يستمد العزه والكرامه من المال والجاه والسلطان يقول انظروا الي حال اولئك الذين ترونهم في حياتكم في كل زمان من المستكبرين الذين اغتروا بالقوه والجاه والسلطان والمال فاقبلوا علي ارتكاب الجرئم لانهم ينظرون لأنفسهم أنهم في مناي من الحساب والعقاب انظروا إليهم وهم في النار لأن المومنون في كل زمان قد يعانوا من الاضطهاد من الأكابر والساده الذي يقفون في وجه الحق ويموتون ولم يحصلوا علي العداله فإنهم يوم القيامه عندما يشاهدون حال المستكبرين الذين كانوا يضطهدونهم في الدنيا لابد أنهم يجدون في ذلك ما يدفعهم الي التعبير بما هم فيه من نعيم والتوبيخ و التقريع للكفار فهذا جزء من العدل فقال تعالي (وناد أصحاب الجنه أصحاب النار)

جاء النداء عطفا أما علي قولهم (الحمد لله)اي عطف القول علي القول فحكي قولهم المنبئ عن فرحتهم وبهجتهم وسرورهم عما انعم الله عليهم برحمته من نعيم الجنه

وأما عطفا علي قوله (ونودوا) اي عطف قصه علي قصه بمناسبه الانتقال من مناداه الله للمومنين أو الملائكه انتقل الي مناجاه

المومنين لاصحاب النار والتعبير في كلا الوجه عن أصحاب الجنه دون ضميرهم توطئه لذكر أصحاب الأعراف وأهل النار للتعبير عن كل فريق بعنوانه لتشاهد أهل النار بالبغض والكراهية لهم ولاعمالهم والأسباب التي كانت سببا في دخولهم النار وتشاهد اهل الجنه بالحب و التقدير لهم ولاعمالهم والأسباب التي كانت سببا في هذا النعيم ولتشاهد اهل الاعراف وماهم فيه فيكون منك تحديد موقعك الذي تحب أن تكون واقفا فيه فهذا هو المستقبل الذي ترسمه الآيات فعليك أن تحسم موقفك وان تقف بوجه الأعداء لا تنظر إلي ما لدي الكفار من أموال وجاه خاصه في بدايه المرحله حيث يكون اتباع الدعوه الضعفاء والفقراء ولابد أن يتعرضوا للسخرية والاستهزاء من قبل المجرمين المغترين بعطاء الله لهم الذين يتفاخرون ويتعصبون لاثار مواقع النعم بالظلم والجور والكبر اعتبروا أن الرضا والسخط بالمال والولد فقالوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ...وقالوا نحن أكثر اموالا واولاد ا وما نحن بمعذبين)

فلا تظن أن ذلك مسارعه من الله لهم بالخيرات فإن سخريه هولاء بالفقراء يعود إلي جهلهم بمواقع الفتنه والاختبار في موضع الغني والا قتدار فالله يختبر العبيد المستكبرين في أنفسهم باوليائه المستضعفين في أعينهم

أما الدار الاخره فهي للذين لايريدون علوا في الأرض ولافسادا والعاقبه للمتقين

المفهوم الثالث

ما دلاله التعبير بالماضي (ونادي أصحاب الجنه أصحاب النار)

مع أن النداء يكون في الاخره ؟

أراد بهذا أن يجعلك تشعر بتحقيق وقوعه وتأكيده والمعني أن

عليك وانت في الدنيا أن تنظر إلي عطاء الله للكافر المال والجاه والسلطان أنه ابتلاء وامتحان عليك أن تجعل همك ارضاء الله تعالي وان تخاف عذابه فلا يكون عطاء الله الكفار والضجيج الإعلامي الذي يلجأ إليه أهل الجاه والسلطان سببا لانسحابك عن حمل المشروع ا لايماني أو خجلك عن الصداع بالحق لاتحتقر إمكانيات امام ما يتمتع به أهل الكفر الذي لابد أن يسخروا من الدعاه فهم كانوا إذا مروا ب المومنون يض ويحاولون أن يحدثوا فيك ضعفا في القراءه والاستنتاج وإحباط المواقف والمدركات واجتثاث الهمم والعزائم وجمودا في القرائح والاستعدادات لديك فعليك أن تنظر للاخره أنها مزرعه فانظر ماذا زرعت فا لحصاد إنما يكون وفقا لما زرعت خيرا او شر فالله يقول(,من كان يريد حرث الاخره نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وماله في الاخره من نصيب)

ويقول (كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض وللاخره اكبر درجات واكبر تفضيلا)

المفهوم الثالث

النداء اذا من باب التهكم والتوبيخ والتقريع للكفار المستكبرين الذين كانوا يتغامزون ويسخرون من المومنين ردا علي سخريتهم من المومنين في الدنيا كما قال تعالي (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

فدل هذا أن اهل الجنه يرون أهل النار فقال تعالي (فاطلع فرآه في سواء الجحيم ....الخ

فالنداء من كل أهل الجنه لكل اهل النار لأن الجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد علي الفرد فكل فريق من اهل الجنه ينادون من كان يعرفهم من الكفار في دار الدنيا حيث يتحدث اهل الجنه عن النعيم الذي انعم الله به عليهم جزء إيمانهم بالرسول والتصديق بالكتاب فيزدودن فرحا بنعمه الله وايضا يتحدث اهل النار عما هم فيه من العذاب لانهم كذبوا الرسول والكتاب فيزدادون ندامه وحسره وعذاب

وهذا بعد مشاهده كل فريق لما حظي به الفريق الآخر من النعيم أو العذاب وعبر بالماضي مع أن النداء يكون في الاخره لتحقيق وقوعه وتأكيده ولهذا فإن السوال من قبل المومنين أصحاب الجنه أهل النار عن تحقيق وعد الله لايعني أن المومنون في شك من تحقيق الله وعده ولكن اردوا أن يحدث لاهل النار الحسره والالالم والعذاب بعلمهم بالرفاهية التي حظي بها المومنون فليس الغرض أن يعلم أهل النار بما حصل لاهل الجنه ولكن ما يلزم عن ذلك العلم من العذاب النفسي لأن هولاء المجرمون انطلقوا في سخريتهم من المومنين في الدنيا من فكره الاستهزاء والسخرية بالدين وبالمومنين فكانوا ينظرون للمومنين أنهم ضلوا الطريق وضاعوا عندما فارقوا دين أسلافهم وأنهم حمقاء عندما حرموا أنفسهم متاع الدنيا بالانكفاء عن المحرمات ولهذا نجد أنه تعالي يقول (ونادي أصحاب الجنه أصحاب النار انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا)

وهذا فيه

١

اظهر المفعول به في قوله (وعدنا ربنا حقا) واخفاءه في قوله (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا)

لأن الخطاب موجه لكل اهل النار باختلاف اصنافهم فطرق الكفر متعدده كلها توصل الي النار

أما طريق الايمان واحد ولهذا فإن هذا التقريع يجعل جميع الكفار مشمولين بالخطاب

فأراد بهذا أن يقول لك ان نهايه الصراع بين الحق والباطل ينتهي أما الي الجنه او النار

فهل مازالت لم تحسم موقفك فاختر لنفسك اين تريد أن تقف ولهذا عبر عن النداء بالماضي مع هذا النداء إنما يكون في الاخره فأراد بهذا تحقق وقوعه في نفسك وتأكيده

/٢

كما أن السوال بهل في هذه الجمله يريدون أن يقف المخاطبين علي غلطهم والشماته فيهم علي مافرطوا في حق الله وفيها التنبيه من عواقب الأمور وقرينه المجاز أن أصحاب الجنه يعلمون أن أصحاب النار قد وجدوا الوعيد الذي حذرهم منه الرسول وهو العذاب في نار جهنم فاستعمل (هل وجدتم ما وعد ربكم حقا)

والوجدان الفاء الشي ولقيه لقوله تعالي (فوجد فيها رجلين يقتتلان)وهو يتعدي لمفعول واحد لقوله تعالى (فوجد الله عنده)

فقولهم (وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) يعني الفيناه حال كونه حق لاتخلف فيه شي مما أخبرنا الله علي لسان رسله ولايدل ذلك أن قوله وجد نا أنه سبقه بحث أو طلب في الاخره

ودل أن الصله التي تربط الموصول معلومه عند المخاطبين فاستعمل (ما) الموصوله لانهم سمعوا الوعد من الرسل مباشره او بواسطه الدعاه

فأراد بهذا أن يقول لك ان اللازم علي الدعاه أن ينطلقوا بدعوتهم جهارا بها وإظهار ا لخيرها ونفعها للعالمين مبشرين ومنذرين

رابعا

يأتي الجواب بكلمه (قالوا :نعم)

وهذا فيه تحقيق للمسوول عنه بهل لأن السوال بهل يتضمن ترجيح السائل وقوع المسئول عنه

فهو جواب المقر المتحسر المعترف بعدما أصبح الوعد واقعا فالمقصود من الجواب تحقيق ما اريد من السوال حقيقه ومجازا

فهذا الكلمه الصادره من المجرمين المنكرين للبعث في الدنيا وفي مقدمتهم كفار مكه فيها الإقرار بصدق ما جاء به النبي فيها التعبير عن الانكسار والخيبه والذل والهون فالسوره مكيه ومن أهم المواضيع التي تعالجها اسس العقيده وفي مقدمتها الايمان باليوم الاخر ف الجواب يهدف إلي رسم صوره قبيحه عن حال الكفار الذين كانوا يسخرون من المومنين قد اقروا بالواقع الذي عاشوه ومكابرتهم ومخالفتهم المنهج

ولهذا تأتي الآيات بعدها (فأذن مؤذن بينهم أن لعنه الله على الظالمين)

وهذا فيه

/١

(فاذان)

الفاء يحقق غرض اهل الجنه من سوال أهل النار الذي يهدف إلي اظهار غلطهم و فساد معتقدات الكفار الذين كانوا ينكرون البعث و النشور ولهذا عطفت بالفاء بعد المحاوره مع اهل النار فاراد بهذا الإعلان تفظيع شان الكفار وإعلان أنه لامعني من الاعتراف في الاخره فقد فات الاوان فالتاذين من الإعلان برفع الصوت قدر الإمكان فأراد بهذا زياده الاسي والحزن بهم أو دعاء عليهم بزيادة البعد عن الرحمه بتضعيف العذاب ثم ذكر بعدها صفات الظالمين والمقصود منها تفظيع شان أهل النار والدعاء علي خبث نفوسهم وفساد معتقداتهم

/٢

من الذي يوذن بينهم أنهم الأشهاد الملائكه الذين يشهدون للرسل بالبلاغ وعلي الكفار بالتكذيب كما أخبر الله في سوره هود فقال تعالي (ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا اولئك يعرضون علي ربهم ويقول الأشهاد هولاء الذين كذبوا علي ربهم الا لعنه الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخره هم كافرون)

وهنا قال تعالي (فاذان موذن بينهم ان لعنه الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله يبغونها عوجا وهم بالاخره كافرون)

فاللعنه الطرد والأبعاد من رحمه الله (كلا أنهم عن ربهم لمحجوبون)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

عليك أن تحدد موقفك هل تريد ان تكون من اهل الجنه المكرمين ام من أهل النار هل تريد ان تفضح علي الملاء هل ترضي أن تبعد عن جنه الله الا تبغض أن تقف مثل موقف انكسار الكفار وتبعد عن رحمه الله وعن رضوانه وتبعد عن نعمه النظر لوجه ربك العزيز الكريم

اذا كنت تكره أن تقف مثل موقف الكفار فعليك أن تقف مع الحق

لاتغتر بالمال والجاه والأنصار فتقول انك بمناي عن العقاب لا تتصور انك لن تحاسب علي جرمائك لانك تمتع بنفوذ

لانك سوف تقف بين يدي الله ويحاسبك علي اعمالك ولن ينفعكم المال ولا السلطان

الأمر الثاني

علي حامل الدعوه أن يصبر وان راي اعراض من الكفار الذين يقفون ضد الحق فلا تتوقف نتيجه محاوله الكفار الطغاه المتجبرين الذين يكرهون الاسلام والدعوه إليه والالتزام به

فهولاء الطغاه سوف يحاولون وقف مسيره البلاغ من خلال استعمال قوه الترهيب والترغيب وبث الفتنه بين الملتزمين للانسحاب من حركه العمل الايماني

فلا تتوقف فعليك أن تستيقين بتحقيق الله وعده فعملك غير ضائع فسوف تجده امامك كاملا ولهذا تبرز الايه تحقيق الوعد الذي وعد به المومنون والوعيد الذي توعد الله به الكفار لأن الإنسان في الدنيا يرتاح لتحصيل الوعد والايات تهدف إلي غرس تعلق المومن بوعد الله فهو تعالي يقول (افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامه من المحضرين)

فإن هذا ان حصل هان علي العبد ما يلقاه من الكفار من المكاره وتيسير عليه كل عسير

ولهذا فإن قيمه الإيمان باليقين والثقه بتحقيق وعد الله هو القوه الحقيقه التي لا يعرفها الكفار الذين يقفون من الدعوه الي صراط الله المستقيم موقف المتكبر المتغطرس جهلا منهم وحمقا فاستحقوا بناء علي ذلك أن يقفوا موقف العذاب والانكسار والذل والهون الذي ترسمه الآيات لتصوير انعكاس موقفهم من الدين والعقيدة علي حالتهم في الاخره تلك الصوره القبيحه التي وضعوا أنفسهم بها نتيجه التكذيب والاعراض عن الانذار الذي جاء به الرسل

الأمر الثالث

اعلم انك مكلف بحمل الدعوه ومواجهه أهل الباطل الذين يقفون ضد الحق بمنع أنفسهم من قبولهم وكذلك يمنعون الناس من اتبعه ولهذا فأنت مطالب بالجهر بالدعوي وتعريف الناس بها وازاله الشبهات التي سوف يختلقها الكفار حول الاسلام ليجعلوه غامضا عند عامه الناس ولأجل أن تجد افتراءتهم قبولا عند العامه وهذا إنما يكون سهلا في حاله غياب المعرفه عند الناس عندما يكون أمر الدين غامضا عند العوام وإلا فإن الفطره تحب الاستقامه علي الخير وتكره الطريق المعوج

فعلي السالك الاجتهاد في طلب الحق وتعريف الناس به حتي لايقعوا في مصيده الكفار أولياء الشيطان الذين قال الله أنهم (يصدون عن سبيل الله)

اي يقفون ضد الطريق الموصل الي الجنه ودين الله فهم يريدون تحويل المسار وتبديله من طريق الهدي الي طريق الكفر والضلال

فذكر أن اردتهم انصرفت الي طريق الانحراف فقال تعالي (ويبغونها عوجا) هم لايريدون الاستقامه فطبيعه هذه النفوس خبيثه لاتريد المضي علي منهجه تعالي ودينه وشرعه الوسيطيه والاعتدال فهم لايكتفون بكفرهم بل يسعون في اضلال الآخرين واستعمل (يصدون ...يبغون) أفعال مضارعه فأراد استحضار حقيقه هولاء أن هذه الأفعال تكرر وتتجدد منهم واستعمل الجمله الاسميه (وهم بالا خره كافرون) للدلاله علي رسوخ الكفر فيهم وثباته

ولهذا فأنت مكلف بمواجهه الباطل وإظهار الدين للناس فالايات نزلت بمناسبه المرحله الجديده التي انتقلت فيها الدعوه من السريه الي الجهريه

الأمر الرابع

عليك أن تدرك أنك صاحب قضيه فكيف تخجل أن تجهر بالحق

علام تكتم الحق وانت تحمل الخير والنفع للعا لمين لماذا تخجل فأنت تدعوا الناس الي الله تدعوهم الي أعظم أمر وانفع واصلح

فدين الاسلام وصدق كله وعدل كله وبركه كله فلماذا لا تنهض بالدعوه وتقوم باظهارها للناس لماذا يتخفي الداعيه وعلام يكتم والشر يعلن والباطل يجهر به والرذيله يمشي بها أصحابها بلا خجل أو حياء والظلم يمارس جهارا

أن عليك أن تدرك المسؤوليه الملقاه علي عاتق فالاعداء يقفون ضد الحق وليس ذلك فحسب بل إنهم يمنعوا الناس من الإيمان فهم ينطلقون في قراءتهم للقران وايات الله الهاديه إلي الصراط المستقيم من الرغبه في القضاء علي الدين لانهم يعتبرون مبادئ وقيم الاسلا م التي فيها العدل والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية وسعاده البشريه أنها تمثل خطرا علي مصالحهم ينظرون أنها تحول بينهم وبين استعباد الناس ينظرون أنها تهدد مصالحهم الشخصية فهم سوف يسعون الي تطويع الدين ليكون في خدمه مصالحهم ولهذا فواجب الداعيه الوقوف ضد رغبات هولاء النابعه من الكبر الزائف والغرور والأهواء فلا تسمح لهولاء من أن يستخفوا بك فإن قله خيرهم وقله يقينهم بالحساب تجعلهم يعودون بكم إلي الوراء بحيث تكون الدعوه غريبه كما بدأ الإسلام غريبا فاللّه يقول (ولايستخفنك الذين لا يوقنون)

فضعف إيمانهم وقله يقينهم جعلتهم ضعاف العقول والافهام

ولهذا يكون حال هذا الشخص كالحيوان فكل ضعيف اليقين هو ضعيف العقل فنقطه انطلاق هولاء هي اللّهث وراء الشهوات والملذات فهولاء اذا تمكنوا في الأرض فإنهم سوف يحولون الحياه كلها الي شرور بعكس الذي يوقن أن لحياته علي الارض نهايه تبدأ معها حياه جديده يكون فيها الحساب والعقاب فإنه يكون يتحرك وفقا لمنهج اللّه فكل مومن موقن رزين العقل وبالتالي يسهل عليه الصبر فيكون ذلك من دواعي اصلاح الأرض اما الكافر فهو يري أن الخير ما يحقق مصالحه وان كانت تتعارض مع حقوق الآخرين

القسم الرابع

تستمر الآيات في نقل مشهد أحوال الخلق في الاخره من خلال التصوير الذي يرسم لوحه كامله يجسد المشهد بصوره حيه كانه ماثلا امامك فعطف علي ذكر النداء من اهل الجنه لأهل النار ذكر بعدها حال فريق ثالث هم الاعراف فمن هم الاعراف وحالهم والي ما ينتهي أمرهم يقول اللّه تعالي (وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجالا يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنه أن سلام عليكم لم يدخلوا وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادي أصحاب الأعراف رجالايعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهولاء الذين اقسمتم لاينالهم اللّه برحمه ادخلوا الجنه لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون)

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

اولا

ابتدأت الايه بقوله تعالي (وبينهما حجاب) عطفا علي ماسبق ذكرهم وهم اهل الجنه وأهل النار

فما هو الحجاب ؟

والحجاب فاصل وحاجز اي بين فريق اهل الجنه وفريق أهل حجاب يفصل كلا منهما عن الآخر ويمنعه من الاستطراق

وهذا الحاجز لم يبين هنا ماهو ولكن ذكر في سوره الحديد بأنه سور فقال تعالي (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمه وظهره من قبله العذاب)

وهذا الحجاب لايمنع الرؤويه حتي تتضاعف السعاده للمومنين ويتضاعف الشقاء للمجرمين

*

وعطف علي ذلك بقوله (وعلي الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم)

ماهو الاعراف في اللغه ؟

تطلق علي جمع عرف وهو عرف الديك اعلي مكان من الديك

اي علي أعالي ذلك السور (الحجاب)رجال يفقون عليه وسمي أعراف لانه مشرف علي الجنه والنار

من هم الاعراف ؟

هم الذين تساوت حسناتهم مع سئياتهم فلم تصل بهم تلك الأعمال الي الجنه ولم تودي بهم الي النار موقفون محبسون ينتظرون فضل الله ورحمته

لماذا لايوجد نساء علي الاعراف لقوله تعالى (وعلي الاعراف رجال)

اعلم أنه لابد أن يكون منهم نساء وانما إطلاق الرجال عليهم تغليبا

والايات تتحدث عن الآتي

المفهوم الاول

أن تكون صاحب همه وان تحسم موقفك واعمالك في الحياه فأنت غدا في سباق والغاية التي يجب السابق ان يصل إليها هي الجنه فهذه هي الحياه المحبوبه لانك إذا تخلفت في السباق خسرت فإنك أما الي النار الذي فيه البوس الشديد وأما أن تقف موقف اهل الا عراف

فالزمن الذي تضمر فيه ليكون هنالك خفه في الجري يوم السباق إنما يكون عمله في الدنيا لأجل الحصول علي السعاده في الاخره

فالعمل يكون في أيام الامل قبل بلوغ الأجل لأن بلوغ الأجل يعني بدايه السباق فالجزء من جنس العمل فالناس ثلاثه اصناف مومنون طائعون ..وكفار عصاه ....وسلبيون مقتنعون يعرفون الحق مثل أهل الاعراف فقد كانوا يعرفون الحق والباطل لكنهم لم يحسموا أمرهم في الدنيا وقفوا موقف المتفرج أما بدافع الخجل أو الامبالاه أو عدم الاكتراث ولهذا حبسوا بين الجنه والنار فمن عرف الحق ولم ينتفع به فإنه اذا لم يصل الي مطلوبه من السعاده وربما جري به الضلال الي الردي والهلاك

فأنت لابد أن ترحل عن الدنيا فالله خلقنا لنرحل عنها ولنستقر في الحياه الاخره والزاد الذي دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السئيات فهذا هو الحرز الذي تحفظ به نفسك في اليوم الآخر

واصحاب الاعراف أصناف كثيره وليسوا عرفا واحد فاياك أن تكون أحدهم انتبه أن تضع نفسك في هذا الموقف وعليك أن تعمل بعمل أهل الجنه فعليك أن تبادر الي اتباع طريق الحق ولاتكن اعرافيا

المفهوم الثاني

الاسلام يدعوا الإنسان الي الاهتمام بمستقبله وان يعد العده للغد ولهذا يوسس بناء المومن علي العقليه المستقبليه ولهذا نجد أن النصوص القرانيه تركز علي غرس المفاهيم التي تساعد علي توجيه سلوك الإنسان نحو مرضات الله وبما يجعل اهتمام المسلم منصبا نحو الاعمال الصالحه التي من شأنها ألارتقاء بالشخصيه المسلمه وصلاحه ونجاته ينطلق من حرصه علي أن يكون مستقبله

أكثر اشراقا وفلاحا فالمستقبل الحقيقي يتوقف علي اعمال الإنسان في الدنيا ولهذا تعرض الآيات لنا المشاهد لنهايه وعاقبه مصائر الناس يوم القيامه وما ينتهي إليه حالهم فعرضت حال اهل الجنه وأهل النار وعطفت علي ذلك بقوله تعالي (وبينهما حجاب)

فاصل وحاجز يفصل بينهما فهذه العباره فيها الخطوه الاولي التي يحتاجها من يريد التفوق والنجاح في مستقبله وهي

(وضوح الهدف) الذي يجب أن يكون مستقبلك الذي تسعي إليه ويحقق سعادتك لأن غموض الهدف وعدم وضوحه يعني أن هذه العقليه فوضوئيه لا تتحرك في اتجاه هدف واضح ومعلوم إذ كيف لطالب غايه أن يتوجه إليها دون استحضارها فالهدف هو الذي يترجم المستقبل الذي يبتغيه العبد ويسعي إليه وهذا يعني أن تتكون له صوره في ذهن العامل تحدد ملامح هذا المستقبل بشكل تقريبي يتفق و المخزون اللغوي في الذهن لمعاني المستقبل الذي يتطلع إليه فالمستقبل كما حدده الله في ال عمران (كل نفس ذائقه الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامه فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز وما الحياه الدنيا إلا متاع الغرور)

ومع أن امنيه اي عاقل تتمثل بأن يحظي بعفو الله ورضاه إلا أننا نجد الناس ينقسمون من هذا الهدف الي ثلاثه اصناف أهل الحق وأهل الباطل وهناك صنف ثالث أطلق عليهم سلبيون يعرفون الحق ومقتنعون به إلا أنهم لايقفون في صفه ولا يدافعون عنه

والسوال هنا :_

لماذا ينحرف الفريق الثالث(السلبيون) عن هذا الهدف الواضح والسامي الذي هو امنيه كل راشد عاقل رغم وضوحه ورسوخه في

معتقداتهم لماذا يتصرفون في الكثير من المواقف تصرف من لايرجوا ثوابا ولايخشي عقابا ؟

هذا يعود لعده اسباب منها أنهم انشغلوا في حياتهم الدنيا وشؤون حياتهم بما لايحصي منها حتي نسوا الاستعداد لهذا اليوم نتيجه الغفله ...وايضا ضعف الهمه واو نتيجه عدم التعامل بجدية مع مستقبله فهو عنصر خامل نظر للاسلام أنه صلاه وزكاه ولايتفاعل مع قضايا الاسلام المصيريه فالسلبيه من اخطر الآفات التي تهدد كيان المجتمع بالانهيار لأنها تعني أن يكون المجتمع مجموعه من المتقاعسين الكسلاء الذين لايريدون إرهاق أنفسهم باي التزام لايسعي الي النجاح وكثيرا ما يختلق الأعذار والمبررات الواهيه اذا كلفته بعمل لايثق بقدرته وإمكانياته فانت تلاحظ في حياتك اليوميه الكثير من هذه النماذج الذين أن طلبت منهم إنجاز عمل لجاء الي التسويف وإظهار المساله أنها صعبه فهو يظهر عجزه كي يتنصل من التزاماته

المساله الاولي

فمشكله هذا السلبي تكمن بداخله فهو لم يحسم المعركه مع ذاته ولهذا نجد الايات ترسم نتيجه الصراع بين الحق والباطل لتقول لهذا المتردد عليك أن تحسم موقفك فنهايه المطاف يكون المصير أما الي الجنه او النار فقال تعالي (وبينهما حجاب) يفصل بينهما بشكل نهائي فهل انت مازالت مترددا لم تحسم موقفك فعليك أن تبدأ بحسم المعركه مع ذاتك انت بحاجه أن تعرف اين تقف الان لأن ذلك يحدد مستقبلك تعرف هل المكان الذي تقف فيه صلب وثابت ام أنه رخو يمكن أن يسقط لابد أن تعرف اين انت ذاهب والطريق الذي تسلكه للوصول إلي الهدف الذي تريده فالرجوله تعني أن تكون صاحب قرار تحدد موقفك من اي الفريقين انت لاتقف موقف المتفرج فأنت في معركه مع ذاتك فلابد أن تعرف الارض التي تقف عليها هل هي صلبه أو رخوه قابله للانهيار فالتطلع للمستقبل ينبغي أن يكون مستندا علي معطيات هكذا علمنا من واقع الحياه أنها تقوم علي أسباب ومسببات فإذا كنت تريد الجنه فإن عليك أن تدرك أن طالب الجنه لابد أن يكون عاملا لمطلوبه في السر والعلن لابد أن يضع الخطط التي توصلك الي هذا النعيم وان تستعد لذلك اليوم تحتاج إلي توظيف الإمكانيات المتاحة في الوصول إلي هذا الهدف فلا يليق أن ينام طالب الجنه عن التزود بالزاد الذي يجعله قادرا علي بلوغ.
الجنه في عظمها واستكمال اسباب السعاده فيها كيف يكون طالبا الجنه وهو لاينهض لنصره الحق ولا يكترث بذلك كيف ينام الهارب من النار في هولها واستجماعها أسباب الشقاء ولا يبالي فذلك لايستقيم مع قاعده النجاح والفوز الذي يعرفها العاقل فالتفوق نراه دواما من نصيب المجتهدون الذين تحملوا الأعباء للوصول للهدف وان الفاشلون هم الذين اهملوا وفرطوا باوقاتهم ولم يستغلوه لما فيه فائده فأنت لابد أن تقوم بمعالجة الآفات التي تشكل نقاط ضعف فيك بحيث تكون قادرا علي الوصول إلي الهدف بحيث يكون تقويه الجوانب الإيمانية ومحاصره جوانب الشر فأراد بهذاايقاظ السامع من غفلته فهي من أهم أسباب التردد والسلبيه فعليك أن تبادر الي اتباع طريق الحق ولاتكن اعرافيا بل احسم موقفك لأنك قد تحرم حتي من أن تكون مع أصحاب الأعراف

فعليك أن تترك الخجل في الحق وأن تكون صاحب موقف تحدد فيه موقعك الذي تريد أن تقف فيه فالرجل لايخجل في الحق ابدا ولا يقف موقف المتفرج فلا يكون متصفا بعد بصفات عدم الاكتراث لما يدور حوله يمكن أن توجد مثل هذه الأوصاف في النساء نتيجه وظائفهن أما الرجل فلا ينبغي أن يقف موقف المتفرج ولهذا كان القول رجال تغليبا وسبقها قوله (وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجال)

فالرجل القوي هو الذي ينتصر علي ذاته في المعركه ولديه رؤويه للمستقبل لاغموض ولالبس فيه فالايات وردت بعد أن ذكرت أن من أسباب هلاك الكفار هو عدم إيمانهم باليوم الاخر باليقين الجازم فقال تعالي (وهم بالاخره كافرون وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجال...الخ

المساله الثانيه

من اهم المشاكل التي تكون من أسباب عدم الفوز والنجاح هو سؤء الفهم للهدف وعدم النظر له بالتعظيم حيث نجد أن البعض يدعي الا يمان باليوم الاخر ويصلي ويصوم ....الخ

لكنه لايتورع عن ارتكاب المعاصي فلماذا ؟ هذا لم يكن مومنا بالبعث باليقين فهنالك شك فيه فلو كان مومنا باليقين أن هنالك يوم اخر ما تجرأ علي ارتكاب المعاصي ...فهو إما أنه غير مومن باليوم الاخر وأما أن يكون مصدقا بالبعث ولكنه متساهلا في وقوع العقاب فهو غير مستيقن بالعقاب فلو أنه مومن أن الفعل يوقع العقاب ما ارتكبه فأنت لو أيقنت أن مافي الاناء سم قاتل من الموكد انك لن تشربه وان كان فيه شراب مذاقه محبوب لك

المساله الثالثه

تهدف الآيات الي غرس قوه الاعتقاد في نفوس السامعين أنهم علي الحق فالايات نزلت بمناسبه انتقال الدعوه من السريه الي الجهريه ولذلك نجد أن الايات تركز علي هذا الجانب وتهتم به اشد الاهتمام لأن من لم يعتقد أن ما هو عليه من القيم والمبادئ والمثل هو الحق الصريح لايقدر علي حمل المشروع الرباني ومواجهه التحديات والأزمات التي يصنعها الأعداء ومن هنا كان الحرص علي تقويه العقيده في النفوس حتي يكون النهوض بالمهمه ومقاومه الضغوطات والتحديات وهذا الامر مهم لأن الإنسان يحب الحق ولايجد صعوبه في

قبوله الا اذا وجد عارض من هوي أو مصلحه وهنا يقف أمام خيارين إما أن يضحي بمصالحه أو يضحي بمبادئه وهنا يظهر دور الايمان الحقيقي ودور الفهم والإدراك للهدف فإذا كان الايمان ضعيف أو كان إدراكه الهدف كان بطريقه رتبيبه أو مبتذله ولهذا فلايستحقه ذلك علي العمل والبذل

وعندها يكون الإخفاق والفشل والانهزام امام الهوي وتجد الكثير منهم يبرر ذلك بعدم القدره وان التكاليف خارجه عن طاقته وقدرته متعللا بالايه السابقه (لانكلف نفسا إلا وسعها)

وهذا التصور الفاسد يعود إلي الخلط بين مفهوم القدره والسعه وبين مفهوم الارداه خلط بين الارداه والرغبه فالرغبه كما سبق واوضحنا في أكثر من موضع تبقي مجرد امنيه اذا لم يلحق بها عملا تنفيذي مشفوع بإصرار متواصل مقصود وتصميم متطلع الي هدف مقصود ومعروف

فغياب العزيمه يعني الخلط بين الارده والقدره ولهذا فاللازم عليك أن تعتقد أن كل تكليف هنالك إمكانيات للعمل علي تحقيقه فعليك أن تبذل جهدك فإذا عجزت فعليك أن تلجاء الي الله بالدعاء أن يمدك بالعون ولاتقرر العجز قبل أن تحاول القيام بأداء العمل فعليك اكتشاف الإمكانيات الغامضه لديك التي قد تختفي وراء الأسباب فلابد أن تكسر حاجز الخوف وتقاوم التسويف وان تبادر الي تنفيذ الأمر في إطار الطاقه المتاحة بما يحقق لك وللمسلمين الخير ويدفع عنك الشر

المفهوم الثالث

تبين الآيات ان تحسين معطيات المستقبل يرتكز علي تحسين معطيات الحاضر فنحن نشاهد في الحياه الدنيا أن إخفاق الناس في غالب الأحوال للوصول إلي ما يحبون الحصول عليه لايعود الي سوء الظروف أو ضعف قدرته وانما يعود إلي التصرف بعشوائية وعفويه دون ترتيب يتعاملون مع المستقبل أما باليأس او بالرجاء المفرط دون العمل أو لايعرفون ماذا يريدون ولديهم خوف من الالتزام بشي محدد من الأهداف يخشون أن يضطرهم ذلك إلي تغيير بعض جوانب حياتهم وكذلك في نظرهم للجنه والثواب والنعيم يكون بالركون علي رحمه الله دون بذل أي مجهود في أسباب الوصول لذلك الهدف

ولهذا فإن المسلم ينطلق في الحياه وهو مشدود نحو المستقبل الذي يتطلع إليه في جنه النعيم علي الدوام ويضبط ايقاع حياته وفق هذا الاعتقاد الذي هو هدف حياته ان يحظي بعفو الله ورضاه فهو يحرص أن يكون موقفه وموقعه علي أرض خير وفي أهل الخير ويامل أن يكون موقعه صحيحا ينبئ بمجي الخير غدا فهو يطلب في كل حركه يتحركه زياده حسنات يضيفها الي رصيده في كل يوم من سن التكليف حتي يلقي ربه

ثانيا

بينت النصوص أن أصحاب الأعراف هولاء الذين خلطوا عملا صالحا واخر سئيا وهم أعراف عديده وليسوا عرفا واحد فأنت تري انسان مستقيم في تعاملاته خارج منزله يتعامل بالعدل لكنه سي الطباع في تعاملاته مع اسرته لايرعي حقوق أبناءه وبناته وزوجاته عليه أليس هذا قد خلط بين الخير والشر في تعاملاته اليوميه وكذلك نجد انسان آخر عكس ذلك يتعامل بالاحترام مع اهل بيته ولكنه سي التعامل مع الاخرين

كذلك نجد قاضي يتعامل بالعدل في مجلس قضاءه لايظلم أحد يطبق القانون بالعدل لامحاباه ولايقبل رشوه ولا وساطه لكنه في تعامله الشخصي خارج مجلس قضاءه ظالم يريد أن يبطش باقرباه دون أن يكترث لمعاناه اقرب المقربين منه أليس هذا قد خلط عمل صالح واخر سئيا في تعاملاته

نجد هناك من يحرص علي أداء الحقوق لأهلها في تجارته لكنه يفرط في أداء الزكاه أو لايتورع من التعامل بالربا مع أنه يودي الامانه لأ هلها اذا اوكلت إليه أليس هذا قد خلط عمل صالح واخر سئيا والأمثلة كثيره لكم أن تضعوا نماذج متعدده تندرج تحت هذا العنوان

فأراد بهذا القضاء علي الباعث لذلك والمحرك الذي يدفع نحو هذا الخلط لأن الاعراف من الموحدين الذين آمنوا وصدقوا بالله وبالتالي فإن هذا الخلط يعود إلي طول الامل والتسويف وعدم الزهد في الدنيا ولهذا تعرض النصوص هذا المشهد الذي يظهر أصحاب الأعراف وهم واقفون علي مشارف الحاجز الذي يفصل بين اهل الجنه وأهل النار ليكون من مشاهده مصير كل فريق موعظه كافيه تقطع علائق ا لآمال وتدفعه الي عمل الاخره بالاتعاظ والازدجار ليكون التسابق الي الجنه فالسباق إنما يكون لأمر محبوب مطلوب فهذه صفه الجنه وهذا يعني عمل الأعمال الصالحه الواجبات والمندوبات والنوافل وكذلك فإن عليك الهروب من النار وهذا يكون بترك المحرمات و الشبهات والمكروهات

عليك أن تكون في الدنيا مع اهل الخير والصلاح وأن تبتعد عن أهل الشر والفساد فأنت تعرف أهل الخير وأهل الشر باوصافهم وعلا ماتهم فالخير والعمل الصالح ينعكس علي وجه الإنسان فتري في وجهه ملامح الانوار التي تشرق لحصول الانسجام بين عمل

الإنسان وفطرته وكذلك تنعكس اثار العمل السئ علي وجه الإنسان فتري وجهه مسودا فقال تعالي هنا عن الاعراف أنهم يعرفون أصحاب الجنه وأصحاب النار بسيماهم اي علاماتهم فقال تعالي

(يعرفون كلا بسيماهم)

فالقران الكريم تحدث كثيرا عن العلامات التي يتسم بها المومنون في الاخره والكفار فاخبرنا أن عالم الاخره ليس شيئا جديدا علي الإ نسان وان جميع مظاهره هي اثار أعمالنا في حياتنا الدنيا

فقال تعالي (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا)

فاثار أعماله تربط علي رقبته وتظهر آثارها الخفيه أمام الخلائق يوم القيامه فتصير مكشوفه فكل عمل يعمله الإنسان يترك اثرا خفيا في نفس عامله والله يقابل ذلك العمل سواء كان خيرا اوشرا بعمل من عنده يرسم اثاره علي القلب والوجه والاعين تظهر آثارها في الدنيا أما في الدنيا فإن ملامح الصادق تختلف عن ملامح الكاذب والخائن فانت تري البعض يشبه الثعلب في ملامح وجهه فإذا بحثت عنه تجد أنه مخادع مكار فكل عامل عمل لابد أن تنعكس اثار أعماله علي ملامح وجه وعيونه في الدنيا والاخره فاخبرنا الله تعالي عن ذلك فقال تعالي في موضع آخر (وجوه يومئذ مسفره ضاحكه مستبشره ووجوه يومئذ عليها غبره ترهقها قتره اولئك هم الكفره الفجره)

وأشار إليها أيضا بقوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)

وقال تعالي أيضا (يعرف في وجوهم نضره النعيم) وقال تعالي (وجوه يومئذ ناظره) وقال تعالي في شأن أهل النار (كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما)

فعليك أن تعمل الأعمال الصالحه وطاعه الله وامتثال امره سبحانه وتعالى وان تتقرب إليه بالنوافل ان اردت أن يكون لك سمه بياض الوجوه وجمالها والنور الذي يسعي من امامك ومن خلفك وعن يمنيك وعن شمالك

رابعا

تاتي الآيات بنداءن من أهل الاعراف أحدهما لاهل الجنه والثاني لاهل النار وابتدا الحوار بالنداء من أصحاب الأعراف لاهل الجنه (ونادوا أصحاب الجنه أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون)

فالايه ترسم صوره الحق والنهايه التي يحظي بها من مظاهر السعاده الابدايه التي تجعل كل ناظر لهم وما هم فيه ينظر إليهم بالحب و التقدير والاحترام والتكريم فقال تعالي (أن سلام عليكم)

فالنداء الذي توجهوا به لاصحاب الجنه هو بالسلام الذي يعني إلقاء التحيه عليهم كما قال تعالي (لايسمعوا فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا س لاما سلاما)

ثم بينت النصوص نتيجه مشاهده أهل الجنه وما هم فيه بأنه كان بالحب والتكريم وان نرجوا ونطمع أن نكون معهم هكذا يجب عليك أن تشعر وانت تقرا الآيات فتبادر الي عمل الأعمال الصالحه فقال تعالي عن الاعراف (لم يدخلوها وهم يطمعون)

اي لم يدخلوا الجنه ويطعمون أن يكون مكانهم مع اهل الجنه فأراد الحق من إبراز هذا الحوار أن نشهد الصالحين بالحب والتكريم وان نسارع الي الاقتداء بهم بالاخذ بالاسباب التي كانت وراء هذا الفوز والنجاح الذي حظي به هولاء فنحن في دار العمل ومازالت الفرصه سانحه

وفي المقابل تنقل لنا الآيات مشهد رؤويه أصحاب الأعراف لاهل النار فقال تعالي (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين)

فاول ما يلفت الإنتباه استخدام كلمه (صرفت أبصارهم)

فدل هذا أنها لم تكن نظره حب استطلاع وانما صرفت أبصارهم قسرا ووجوهها بقوه عن مكانها التي كانت فيه فهم كانوا مستمتعون بـ النظر لاهل الجنه لم يكونوا يرغبون أن تتحول أنظارهم عنهم ولكنهم تم صرف أنظارهم الي النار قسرا من غير قصد ولا رغبه بل يصرفهم إليها قسرا والغرض من ذلك التخويف من التقليد والتهاون في الواجبات والنواهي

يقول انظر الي نهايه المخالفه للمنهج فماذا كانت نتيجه ما شاهدوا لقد فزعوا فلجاوا الي الله مستعذين طالبين أن يبعدهم عن النار واهلها

وبعد هذا المشهد تنقل لنا الآيات بقيه المشهد المتعلق برده فعل أصحاب الأعراف لما شاهدوا حال أصحاب النار فقد شاهدوا أناس من أكابر أهل النار رجالا كانوا يتمتعون في الدنيا بسلطان ونفوذ ومال وقوه أناس يعرفونهم بسيماهم التي تميزهم عن بقيه أهل النار فقال تعالي (ونادي أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم)

اي عظماء الإجرام وقادتهم واكابرهم الذين كانوا في الدنيا لهم أنصار واتباع وأعوان ومال وقوه ونفوذ لم يخاطبوا العوام من أهل النار ؟

لأن ان تفهم أن عليك أن تستمد قوتك من الحق واحذر من الركون للجاه والمال والقوه والنفوذ والجبروت فهذه القوه زائفه تذل صاحبها فقال تعالي (ما اغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون)

لقد انشغلتم بجمع المال ومصادر القوه الماديه فأين هو كما قال تعالي (ولقد جئتمونا فرداي كما خلقناكم اول مره وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم...الخ

يقول لهم اين جمعكم الذي كنتم تتباهون به في الدنيا لم ينفعكم وقت الشده فالسوال للتبكيت ولأجل أن تنقل لك الآيات صوره عن احوال الكفار الذين تشاهدهم في الدنيا يمارسون الطغيان فتجد القاضي يقول لك لقد تعرضت لضغوط لأن غريمك من أهل النفوذ وله ثقل واحلاف واتباع يجتمعون حوله

فإن هولاء بالاخره يذوقون الذل والهون في جهنم وبالتالي فاللازم عليك أن لاترضخ لقوه الطغاه عليك أن تقاوم الظلم لاتتنازل عن كرامتك أمام هولاء فتكون من الإتباع في جهنم

فالنصوص تبين أنه لاينفع لآمال ولابنون فالرصيد هو الأعمال الصالحه كما قال تعالي (ماغني عني مالي.الخ

أن مقاومه الظالمين وان اجتمعوا قاطبه أمر ينبغي علي المسلم لأن المسلم يستمد القوه من الحق فأنت علي الحق والله مولاك

فنحن نشاهد اليوم كيف أن الغرب وإسرائيل وامريكا تجمعوا علي الشعب الفلسطيني الاعزال في غزه فهل رضخ اهل غزه كلا لانهم ينظرون أن القوه الحقيقه هي قوه الحق فعليك الإنتباه من الرضوخ للباطل

وفي سياق الحديث عن أهل النار تبين النصوص مساله في غايه الاهميه ينبغي التركيز عليها فقال تعالي (هولاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمه)

هذا القضيه أن الكفار والمستكبرون المغترون بالجاه والمال والقوه والنفوذ يسعون جاهدين لتحريف المفاهيم في حياه الناس يريدون قلب الحق باطلا وتصوير الباطل حقا يحاولون اخفاء الحقيقه وشيطنه أهل الحق ولهذا يطلقون أوصاف مزريه علي أهل الحق بانهم فاسدون لافائده منهم يهددون مصالح البلاد فنحن نعلم أن فرعون قال (اني اخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) ... وهنا يقول أصحاب الأعراف لهولاء الأكابر تذكيرا لهم عندما كانوا يحتقرون المومنون في الدنيا وقولهم أن هولاء تعساء وحمقاء متزمتون مغفلون كيف يكون لهم الجنه اغترارا بما أنعم عليهم من نعمه الغني والاقتدار ابتلاء وامتحان من الله فانظر الي نهايه هولاء في عذاب الجحيم فلا تتاثر بما يطلق الكفار علي الصالحين من أوصاف احذر أن تتأثر بذلك فتخجل أن تكون واقفا في صفهم أو تنسحب من حركه العمل الايماني فعمل الشيطان وأعوانه وحزبه الي قيام الساعه هو تبديل المصطلحات وتغيير المفاهيم وإفساد التصور والسلوك اذا نجحوا في تبديل المصطلحات لتكون عبدا للشيطان فالله يقول عن خطه ابليس في موضع آخر (ولا مرنهم فليغرن خلق الله)

فهم يبذلون جهودا جباره باستمرار بلا توقف لتبديل المصطلحات والمفاهيم التي تقوم عليها حياه أهل الخير والصلاح لتصبح قائمه علي الشر والفساد فيحاولون تصوير الخير شرا والظلم عدلا والحريه رذيله وهكذا فهذا هو المشروع الابليسي في الأرض فعليكم الحذر عليكم أن تكرهوا كل تلك الأوصاف التي تخالف منهج الله فلا تسمح لهم أن غزو عقولكم وقلوبكم فيجب أن تتعلق قلوبكم بالمصطلحات و المفاهيم التي جاء بها القرآن وان يكون الحب في الله والبغض في الله ولهذا نجد انه بعد اظهار اهل الاعراف كراهيه واحتقار أهل النار وثقافه أهل النار وسلوكهم وأفعالهم وأحوالهم والأسباب التي اوصلتهم الي النار يأتي النداء الرباني متواجها لاصحاب الاعراف فقال تعالي

(ادخلوا الجنه لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون)

هذه النهايه يعفوا الله عنهم برحمته ويدخلهم الجنه والملاحظ أن هذا العفو جاء متبوعا بالحوار الذي أظهر فيه أصحاب الأعراف حب

اهل الجنه وتقديرهم وبالمقابل أظهروا بغض وكراهيه واحتقار أهل النار فأراد بهذا تنميه ميزه حب الخير وأهله في نفوسنا وكراهيه الشر وأهله فاصحاب الاعراف لما أظهروا بغض وكراهيه واحتقار أهل النار ...وحب وتقدير اهل الجنه عفا الله عنهم وادخلهم الجنه

القسم الخامس

اولا

تبدأ ايات هذا القسم بذكر مناجاه واستغاثه أهل النار بمن يعرفون من اهل الجنه طالبين أن يفيضوا عليها ببعض الماء ومن ثمار الجنه فقال تعالي (ونادي أصحاب النار أصحاب الجنه أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)

يريد الحق من خلال ما ينقله هذا المشهد الذي يجسد معاناه الكفار في نار جهنم

الأمر الأول

أن تشعر بالمسؤولية وان يترسخ في ذهن المسلم النهايه التي ينتهي إليها أهل الباطل ليكون تركيزه علي الاستعداد لهذا اليوم فلا يغتر بـ الدنيا فتكون نهايتك النار والعذاب فلا تنشغل بملذات الدنيا فهذه الاصوات التي تأتي من جهه أهل النار اصوات مملوه بالحزن والالام وا لاستجداء وهم ينادون اقربائهم من أهل الجنه الذين كانوا يحتقرونهم في الدنيا انظر الي ماذا يطمعون وهم في العذاب الذي احرقهم أنهم يطمعون بشربه ماء او بقايا الاطعمه الثمار التي ينعم بها اقربائهم من أهل الجنه فذكرت الايه مضمون النداء (أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)

فهذه الجمله قادره علي رسم صوره في ذهن السامع عن طبيعه هذا النداء فهو نداء استغاثة كل فرد من أهل النار بقريب له من أهل الجنه أباه أو اخاه أو أمه أو ابنه

فدل الكلام أن النداء للاستغاثه وعلي حصول العطش والجوع الشديد لأن الاستغاثة تدل عليه فقد ورد عن أبي الدرداء قوله إن الله يرسل علي أهل النار الجوع حتي يزداد عذبهم فيستغثون فيغاثون بطعام من ضريع لايسمن ولايغني من جوع ثم يستغثون فيغاثون بطعام ذي غصه ثم يستغثون طالبين الشراب فيغثون بماء كالمهل ويدفع لهم الحميم والصديد فيقطع مافي بطونهم ويستغثون بأهل الجنه كما في الايه فيقال لهم أن الله حرمهما علي الكافرين ويقولون لمالك ليقضي علينا ربك فيجيبهم بعد الف عام ماانتم مخرجين ويقولون ربنا أخرجنا منها فيرد بقوله اخسوا فيها ولاتكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير

المفهوم الثاني

تربيه الاشفاق من عذاب النار في النفوس والاشتياق لما عند الله من النعيم من خلال ما ترسمه الايه بهذا النداء (ونادي أصحاب النار أصحاب الجنه أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما علي الكافرين) فتظهر الايه لنا صورتان متقابلتان الاولي ترسم حال اهل النار وهم يستغثيون باقاربهم من أهل الجنه طالبين أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله

فالموقف مخيف فالصوت الذي يأتي من جهه أهل النار في هذا المشهد يودي دوره في تزكيه النفوس فيكون المشهد برنينه في آذان السامع الذي لديه سمع له تأثير يحدث صوتا قويا ومخيفا في اذنه يصل الي اعماق قلبه منبها من الغفله يقول انتبه وانت في الدنيا هذه هي عاقبه أهل الكفر فيجعله يتصور هذا الموقف الذي يرسم حجم الالم والحسره والعذاب في اذن كل صاحب قلب حي وحاضر عند قراءه الايه وايضا ترسم الايه مايحظي به اهل الجنه من نعيم فكلمه افاضه الماء تعني لغه صبه ثم استعملت في الشي الكثير فيقال لمن كثر ماله ورزقه أفاض عليه النعم وقالوا أعطاه غيظ من فيض اي قليلا من كثير والمعني أنهم يستغثيون بأهل الجنه أن يصبو عليهم من الماء الذي يرونه كثيرا وفائض عن حاجتهم ومن ثمار الجنه

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما صار أصحاب الأعراف الي الجنه طمع أهل النار بالفرج بعد الياس فقالوا يارب انا لنا قربات من اهل الجنه فاذان لنا حتي نراهم ونكلمهم فياذن لهم الله بذلك فينظرون الي قرباتهم في الجنه وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنه الي قرباتهم من أهل النار فلا يعرفونهم لما في وجوههم من السود فينادي أهل النار اقربائهم باسماءهم فينادي الرجل أباه وأمه وأخاه فيقول ياابا‌ه يا أخاه قد احترقت لشده حر جهنم فافضي علي من الماء فيقول اهل الجنه أن الله حرمهما علي الكفارين

فالطلب من أهل النار كان مع علمهم بالياس من إجاباتهم إذ أنهم يعرفون دوام عقابهم وأنه لايفتر عنهم ولكن يريدون التعلق باي شي مثل الغريق يتعلق بقشه ظنا منه أنه يمكن أن تنفعه

فالايه ترسم ما عند الله للمومنين من نعيم في الجنه لتغرس فيهم الشوق للجنه وهذا فيه تقويه قوه الحب لما عند الله فلا يبالي بـ الشهوات وايضا فإن الصوره التي تنقلها عن أهل النار تولد الخوف من العذاب ومن تلك العاقبه ومن الطبيعي أن الخائف من النار عليه أن

يجتنب المحرمات ولهذا كان الجواب (أن الله حرمهما علي الكافرين) منع عنكم طعام الجنه وشربها

فالتحريم هنا هو المنع وليس تحريم التكليف لأن تحريم التكاليف لا إجبار فيه فأنت مخيرا ولكن عليك أن تتحمل مسؤولية ما فعلت اما التحريم هنا فهو المنع لهم من الشرب والأكل منع قسرا وقهرا فمن دخل النار فليس له أن يشرب من ماء الجنه ولاطعامها وهذا فيه تقويه قوه الزهد عن الدنيا بالنظر للدنيا وما فيها من لذه بأنها منقطعه وهذا فيه تقويه قوه التحمل والصبر علي الابتلاء والامتحان بالفقر و المكاره تجعلك تصبر علي ما في الدنيا من مصائب لأنها لاتساوي جناح بعوضه

كما أن الجواب من اهل الجنه علي طلبات أقاربهم أهل النار

أن الله حرمهما علي الكافرين)

فيه الجواب إن التكليف انتهي والعمل الصالح انتهي والتسامح والعفو انتهت فهذه الدار دار جزء لا دار عمل فالإنسان إذا مات انقطع عمله وقامت قيامته فلا ينفعه اب ولا ام ولا أحد إلا عمله الصالح

وهذا فيه الحث علي أن تحرص علي الاعمال الصالحه وان تسارع إليها قبل أن يفاجئك الموت فلا ينفعك شي غير عملك

ثانيا

تنتقل الآيات الي وصف الكفار فقال تعالي (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياه الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون)

ابتدأت الايه بوصف الكفار المحرمون من ماء الجنه وطعامها فقال تعالي

(الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعب وغرتهم الحياه الدنيا)

هذا الوصف يجوز أنه جمله استنائفيه استنائف ابتدائي يتحدث فيه الحق عن أسباب حرمان أهل النار من شراب وطعام اهل الجنه ولهذا قال بعدها (فاليوم ننساهم..الخ

ويجوز أنه من جمله رد أهل الجنه لاقربائهم الكفار من اهل النار عندما طلبوا منهم أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله من ثمار الجنه فقال اهل الجنه لاقاربهم (أن الله حرمهما علي الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعب وغرتهم الحياه الدنيا)

وكلا الأمرين فيهما الاتي

الأمر الأول

أن عليك أن تعلم أن وجودك في الأرض لغايه وهي معرفه الله ومحبته وتوحيده وعبادته وفقا للمنهج الذي حمله الرسل والأنبياء عليهم السلام للبشر فلست مخلوق بلا غايه ولاهدف ولهذا فإن الذي يكفر بنعم الله ويجحد ما جاء به الرسل من ربهم يكون هو السبب في النهايه المولمه التي ينتهي إليها في نار جهنم وعلي هذا يكون الرد (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياه الدنيا)معناه انكم انتم السبب في هذا المنع والحرمان لانكم جعلتم دينكم أعمالا قبيحه لاتجعل انفسكم اهلا للتشريف والكرامه فالخلافه شرف لمن قام بحمل ا لامانه وتحمل أعباء المسؤوليه وما انعم الله به عليك

فلم تكن اعمالكم فيها تزكيه أنفسكم فقد كان اختياركم الانشغال بالخسيس دون النفيس انصرفتم الي ما لايحسن الانصراف إليه

فانتم لم تتعاملوا مع هذا الشرف بالجديه فالخلافه تحتاج إلي الجد والاجتهاد بالأعمال الصالحة والمفيده وانتم كانت حياتكم (لعبا) واخترتم الدنيا علي الاخره

الأمر الثاني

عليك أن تدرك انك مكلف بأن تكون خليفه وهذا يقتضي أن تكون جادا ومنتجا ونافعا لنفسك ولبني جنسك

وان حركتك متجهه نحو هدف تقصده وغايه تريد الوصول إليها

لك نظام منضبط تنظر إلي القيم والمبادئ والمثل العليا التي جاء بها الرسل والأنبياء عليهم السلام انها لصالحك وليست تقيد حريتك فيكون انشغالك بالنفيس لا الخسيس فالاحمق هو الذي يغوص في أعماق البحر فيجد لولو واصداف فيترك اللولو ويأخذ الاصداف

فهذا بلا عقل يقبل علي الانشغال فيما يصرفه الي ما لايحسن الانصراف إليه (لهوا)

وكذلك فإن الإنتاج يتطلب أن يكون عملك له هدف مقصود ومعروف تسعي إليه فالوقت عندك له اهميه تخاف أن يمضي دون أن إنتاج ولهذا ذم الله الكفار لأنهم يعملون أعمالا لاجدوي منها لاتتجه نحو هدف أو غايه فهولاء انشغلوا فيما لافائده منه فهم مثل الاطفال الذين يصنعون العاب يستهلكون فيها طاقاتهم بأعمال لاجدوي منها اطلاقا اعمال ليس لها أهداف اعمال عبثيه هكذا كانت حياتهم يرهقون أنفسهم بالحركه واللعب مثل الاطفال

الأمر الثالث

أن هولاء نظروا للدنيا نظره ماديه ولهذا انخدعوا بالدنيا ولم ينظروا أن مافيها لايساوي جناح بعوضه نظروا لها بحجم اكبر من حجمها لم ينظروا أنه لابد أن يفاجئهم الموت والبعث والنشور والحساب فتعلقوا بها لم ينظروا الي من قبلهم أنهم كانوا أكثر اموالا واولاد فماذا كان مصيرهم الم يقل الله (كم تركوا من جنات وعيون)

ولهذا فعليك أن لاتنخدع بحسن العيش وكثره المال وقوه الجاه واحذر الطمع في طول العمر فإن ما أنت فيه ومافي يدك من الدنيا قد كان له أهل قبلك ولابد أن تصير الي ما صاروا إليه يقول لك انظر الي نهايه الذين اغتروا بالدنيا وزخرفها أنهم يطلبون شربه ماء من اهل الجنه

فيجب عليك أن تتعامل مع الدنيا وزخرفها أنه عرض زائل يجب أن تكون مشاعرك نحوها مشاعر الخوف فعليك الحذر من يودي بك التعامل معها الي نسيان اليوم الآخر والوقوف بين يدي الله

فتعاملك مع الدنيا يكون من أفق وصايا الشرع والدين الرباني من أفق طلب الفوز برضوان الله يكون تركيزك علي تحقيق هذا الهدف تنظر إلي الاخره أنها القضيه الكبري في حياتك تظل ذاكرا له تسلط الضوء عليها فالاخره هي الحياه التي تسعي إليها انتبه أن تنشغل بأمور المعيشه وتفاصيلها عن أهدافك الكبري لأن نسيان الأهداف الكبري نتيجه الانشغال بأمور المعيشه تعني أن تصبح حياتك في فراغ ملئ بالتناقضات فتصبح المصالح الدنيونيه هدفا تعيش من أجله يصبح الأكل والشراب والانجاب هدف حياتك حينها تصبح بمنزله البهائم ولهذا ينبه الله العباد من ذلك يقول لكم يجب أن يكون هدفك الفوز برضوان الله يجب أن يكون هذا الهدف حاضرا في وعيك ماثلا في ذهنك تستحضر فيه يوم الوقوف بين يدي الله تحذر أن يصير حالك كحال أهل النار وبالتالي لاتنسي يوم القيامه ولهذا عليك الا ستعداد ليوم الرحيل

المبحث الثاني

يدعوا القران الكريم المسلم إلي أن تكون نظرته للحياه نظره شرعيه يرسخ في ذهنه حقيقه ان الحياه الحقيقه هي تلك الحياه التي تبدأ بعد الموت أنها الحياه الاخره فإذا ترسخ هذا في ذهنه فلابد أن ينظر إلي الدنيا أنها شي صغير وحقير اذا ما قيست بعظم الاخره ووفره نعيمها وديموتتها وشده العذاب فيها وديمويته

وهذه النظره تجعل المسلم يتذكر علي الدوام مشهد الوقوف بين يدي الله قبل أن يقدم علي فعل أي أمر أو القيام بأي حركه تجعله يحرص علي القيام بالتزماته تجعله يستحضر مشهد يوم القيامه في ذهنه وهذا ما يساعده علي كبح رغبته بعكس ويرتب علي هذه النظره الكثير من المفاهيم والسلوكيات التي يتعامل بها مع الحياه وزينه الدنيا فالمسلم ينظر إلي الاخره أنها هي المستقبل ولهذا لا يمكن أن ينسي الاستعداد بالعده التي يحتاجها في مستقبله فهو ينظر إلي الدنيا أنها لاتصلح أن تكون مستقبلا ولهذا لايصح أن يتعامل مع الدنيا بعيدا عن المنهج الرباني بل تعامله وفقا للمنهج وبما يحقق الانسجام في الحركه مع الهدف والغاية من وجوده فالعاقل يكدح لا نه يريد أن ينال السعاده الابدايه التي لاتنقطع وهذه السعاده لايجدها الا في الاخره فكيف يوثر الحياه الدنيا

بعكس الكافر الذي ينظر للدنيا نظره ماديه تنحصر في تحصيل الشهوات والملذات ولو كان علي حساب الاخره لانه لم يدخل في حساباته أن هنالك بعث ونشور وحساب ووقوف بين يدي الله

ولهذا يأتي الحكم من الحق سبحانه وتعالى بتعامله مع هولاء

يوم القيامه فقال تعالي (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

عليك أن تفهم أن الله تعالي لاينسي وان ورد هذا الفعل من باب المشاكله اللفظيه لنسيان الناس لربهم ..وقد يكون المراد اننا نهملهم ونتركه في العذاب تركا مثل تركهم العمل والاستعداد للقاء يومهم هذا اي تعاملهم معامله من نسي فنتركهم في النار لانهم أعرضوا عن آيات الله

الأمر الثاني

تبين الآيات ان علي المسلم أن يكون ذاكرا لمستقبله وناظرا للهدف الذي خلق لاجله وأن ينال رضا الله وعفوه فلا يغفل عنه فأنت تشاهد الكثير ممن يدعي انه يطلب رضاء الله وعفوه يرتكب المعاصي ويتصرف تصرف من لايخشي عقابا ولا يرجوا ثوابا

وهذا يعود إلي امراض خفيه تصيب الإنسان إذا تعلق بالدنيا وزخرفها حيث أن الإنسان بسبب حب الرئاسه والشهوات والانشغال بها قد يخفي عليه مافي نفسه من داء ولايشعر بذلك لاسيما والشيطان يغطي علي الإنسان الكثيرمن الامور فالعبد ينكت علي قلبه كلما أذنب نكته سوادء ذلك هو الران كما قال تعالي (كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقال تعالي عن المتقون (اذا مسهم طائف تذكروا فإذا هم مبصرون)

فهم اذا أصابهم هذا الطيف الذي يطيف بقلوبهم تذكروا ما علموا من العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري فيزوال الطيف ويبصرون الحق المعلوم لهم والذي كان الطيف يمنع رويتهم

أما الكفار فإنهم لايبصرون مع الغي ماهو معلوم لهم مستقر في فكرتهم لكنهم ينسونه فقال تعالي (وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

ولهذا لم يستعدوا لليوم الآخر لم ينظروا الي مستقبلهم وان سعادتهم تكمن العمل الذي يحققون به هدف وجودهم في الحياه فسعاده الإ نسان تكمن في معرفه ربه ومحبته وتوحيده وطاعته وعبادته فجميع ملكاته وقدرته واعضاءه لاتجد السعاده الا في معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده وهذه المعرفه مغروسه في فطره الإنسان وكذلك المحبه والتوحيد فإذا نسي الإنسان مافي فطرته من العلم الفطري و المحبه الفطريه والتوحيد الفطري فإنه يتعلق باصنام شتي من الماديات التي تحيط به من المال أو الجاه أو الأصنام ويتعلق بها فيكون عبدا لها ولهذا فإن هذا الإنسان يعاقب لنسيانه ربه بنسيان أنفسهم كما قال تعالي (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون)وقال تعالي (وكذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي)

فنسيان الرب يوجب نسيان النفس وعدم العمل لما ينفعها فحين لم يعملوا واهملوا الاستعداد للقاء الله يوجب له العذاب

ثالثا

ولما كانت اليوم الآخر من الأمور الغيبه التي لاسبيل لمعرفتها وكذلك لاسبيل لمعرفه أوامر الرب الا عن طريق الوحي المنزل علي رسل الله في كتابه لأن الحديث عن ذلك لايحق الالرسل عليهم السلام فقال تعالي (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون)

وهولاء الكفار لم يعيبوا بها ولا بالمعجزات أنكروا الآيات نتيجه حبهم الدنيا وتعلقهم بها

ولهذا تأتي الآيات بعدها بقوله تعالي (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه علي علم هدي ورحمه لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ولهذا يخبرنا الله أنه قد أقام عليهم الحجه بإرسال الرسل الذين يحملون المنهج الرباني المتضمن تذكير الفطره ماهو معلوم لها وتقويته وامداده ونفي المغير للفطره فالرسل بعثوا بتقرير الفطره وتكلميها لاتغيير الفطره وتحويلها والكمال يحصل بالفطره المكمله بالشرعه المنزله فهو اي القران مفصل تفصيل مبين لاغموض ولالبس فيه فيه بيان جميع المطالب التي يحتاج إليها الإنسان وبما يتفق مع الفطره التي خلق عليها الإنسان فمن خلق الانسان هو الله ولهذا قال تعالي (علي علم)

فمنزل الكتاب هو الله الذي يعلم أحوال العباد وما يصلحها وما لايصلح لهم ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالامور فيجهل بعض الأحوال فيحكم حكما غير مناسب بل تفصيل من أحاط علمه بكل شي ووسعت رحمته كل شي

الأمر الثاني

يقول الحق أن الكتاب المنزل مع الرسل هو منهج الحياه الذي يحتاج إليه الإنسان في حياته ويسترشد به ليدله علي الطريق المستقيم فا لانسان يحتاج الي الاهتداء الي كيفيه التعامل مع نفسه ومع ربه ومع بني جنسه ومع الكون من حوله وهذا يحتاج الي علم مفصل يزوال عنه الجهل الذي اتصف به ويحتاج إلي استعمال ملكاته في أداء الحقوق والواجبات بالعدل دون أن يظلم وهذه مهارات تحتاج إلي اتقان وضع كل شي في محله ليزوال عنه صفه الظلم فهو حمل الامانه وهو ظلوما جهولا فالاصل فيه عدم العلم والميل الي مايهواه من الشر وولهذا فهو بحاجه أن يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل يحتاج العبد الي ارده مفصله جازمه فلا يكفي أن يحصل علي هدي مجمل بأن الله حق والرسول حق والكتاب فلابد له من هدايه مفصله في كل ما ياتيه من الجزئيات التي تصيب الكثيرون بالحيره بقبول الحق حيث أن الحاجه الي ازاله الحيره غالبا ما يكون في مرحله التحولات التي تطرا علي البشريه حيث يخفي علي الإنسان المقصود نتيجه تغلب الشبهات والشهوات علي الكثير من الناس من جهه يحتاج العبد أيضا الي ارداه مفصله جازمه في فعل المامورات وترك المحظورات وهذا الأمر في كل وقت وفي كل مرحله من مراحل الإنسان والتحولات التي تطرا في الحياه تجعله محتاجا الي الاهتداء الي الصراط المستقيم الذي ينال به رضوان الله ورحمته يحتاج المعونه الربانيه وأنوار الرحمه الالهيه التي تمده بالتوفيق والسداد لفهم وفقه التحولات ليضع كل شي في موضعه نظرا لأن الحيره التي تصيب الكثيرون بقبول الحق غالبا ماتكون في مرحله التحولات التي تطرا علي البشريه حيث يخفي علي الإنسان المقصود فيكون صعب فهم هذه المرحله وتحليلها وكيف مواجهه التحديات التي تحملها مع خفاء المعاني التي يمكن الالتجاء إليها لمواجهة هذه التحولات

ولهذا يقول الحق أن الانتفاع بالقران والاهتداء به ونيل رضوان الله ورحمته يكون للمومنين الذين يصدقون بما فيه دون ادني شك ثقه بالمصدر خاصه فيما يتعلق بالأخبار عن الغيب مثل البعث والنشور والحساب والعقاب يدخل الجنه وهو. في الدنيا يتذوق حلاوه الطاعه هم ذاكرون لما فيه وهذا يعني أنه ياخذ الإشارات من النصوص التي تخرجه من الحيره التي يقع فيها الكثيرون ممن تغلب عليهم الشبهات

ولهذا فإن فقه التحولات الذي يرزقه المومن كثمره من ثمرات الارتقاء في درجات الايمان وارتباطه بربه واتصاله به يجعله قادرا علي احسان تنزيل النصوص من خلال دراسه العلاقه والإشارات من النصوص والموقف والدلالات وهذا الأمر يحتاج الي سلامه الذوق الباطني والظاهر والوعي السليم ولهذا ذكر أن الانتفاع بالقران إنما يكون للمومن الذي حصل له الارتقاء بالوعي ورزقه الله الفهم الذوقي الناتج عن علم الذكر وعلم الفكر وعلم الشكر لانه عرف نفسه بفقره وضعفه وحاجته لربه فاتسع علمه وانشرح صدره فرزقه الله التوفيق والعرفان

أما الكفار لاينتفعون به لانهم لم يحصل منهم الايمان والتصديق بما يخبرهم الله في القران عن أمور الغيب فهم لايهتمون بمستقبلهم حتي تتحقق الاخبار التي تحدث عنها القران فيقول الحق (هل ينظرون إلا تأويله)اي أنهم في انتظار تحقيق وقوع ما أخبر به من المسائل الغيبه كما قال يوسف (هذا تأويل رؤيا من قبل)

وقال الربيع لايزال يجي من تأويله أمر حتي يتم يوم القيامه وحتي يدخل اهل الجنه الجنه وأهل النار النار

ولهذا يقول الحق بعدها (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل)

فدلت الايه اهميه الاهتمام بعلم الساعه ودراسته والتأمل في معانيه المعبره عن حال البشريه أمام تحولات الازمنه ومسيره التاريخ وكذلك مواقف الناس من الرسالات

فالنسيان فيه هي للتعبير عن الغفله عن ما يجري عليهم من اشراط وعلامات الساعه المونيه بهم الي الأعراض عن تذكر الاخره من جهه و الاعراض عن القيام بالمسؤولية الشرعيه في الحياه الدنيا الذي حمله إليهم الرسل من ربهم حيث انشغلوا عنه بالانهماك بالشهوات و الملذات والماديات حتي جاءهم الموت حيث كان حصول علم عين اليقين ثم كان الحساب والعقاب فحصل علم حق اليقين عندها بعد أن فات الاوان كان منهم اظهار التاسف والندم والحسره علي التفريط بأمر الله الذي اهملوا في الدنيا وتركوا العمل بما أمرهم الله وتناسوه وهم في الدنيا

(قد جاءت رسل ربنا بالحق)

اعتراف منهم بعد مشاهده ما أخبر عنه الرسل من الانذار من العذاب اعترافا بعد معاينه العذاب وبعد أن صار العذاب حقا واقعا بهم حصل منهم الاعتراف والإقرار بصدق الرسل وما جاء في الكتب السماوية

فما فائده الاعتراف هنا والندم فالاجدار بكم أن تتذكروا ذلك في الدنيا فالإنسان مولود علي الفطره والاسلام دين الفطره التي أودعها الله في الإنسان فهو يعرف ربه ويحبه ويوحده ولهذا لما أعرضوا عن ذكر الله الذكر المشروع الذي كان في الفطره وجاءت به الشريعه الذي يتضمن معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده نسوا الله من هذا الوجه وتركوا العمل والاستعداد للقاء الله عاقبهم بنسيان أنفسهم فلم

يستعدوا للقاء الله ولم يعملوا لما فيه الخير لأنفسهم فتعلقوا باهاوم وخرافات ظنوا أنها تنفعهم وقت الشده وعند الحاجه

ولهذا قال تعالي أن الإيمان هو سبب الانتفاع بهدايه القران لأن المومن كان شاعرا بالمسؤولية عن القيام بأمر الله وذاكرا لله وشكرا له استفاد من الايات القرانيه التي تدله علي مافيه سعادته

في الدنيا والآخرة فحياته كلها تقوم علي قاعده (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

أما الكفار فهم كما قلنا أعرضوا عن الساعه وعن اشراطها اي عن تذكر الاخره واعرضوا عن القيام بالمسؤولية في الدنيا لانهم تعلقوا بـ المال والجاه والسلطان ولهذا تصور لنا الآيات حال هولاء عندما شاهدوا العذاب حقيقه أمامهم حيث كان الاعتراف بصدق ما جاء به الرسل من الوحي الإلهي فلم يتبقي لهم إلا التاسف والندم علي الوقوف ضد الحق في الدنيا والاعراض عنه ثم يقولون (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)

هكذا هو حال كل من لم يعمر قلبه بالإيمان عند الأزمات يصاب بالانهيار واول ما يخطر في باله إذا حلت به مشكله أنه يبحث عن الأ قوياء وأصحاب النفوذ لأجل أن يتوسطوا له لإنقاذه من الازمه التي حلت به يبحثون عن الخلاص مما هم فيه من خلال الاستعانة باصحاب الكلمه النافذه هذا هو حال الذي يستمد عزته من مال وجاه أو جنس أو عشيره ولهذا فإن هولاء يتصورن أن الاخره مثل الدنيا ولهذا يبحثون عن أقاربهم من الصالحين يريدون أن يشفعوا لهم عند ربهم لانهم فاسدون ينظرون للاخره بتفكيرهم الخسيس الذي عاشوه في الدنيا حيث أن الشفاعه في الدنيا تعني أن المخلوق يشفع عند غيره سواء كان اعلي منه أو أدني اودونه بدون إذن المشفوع إليه ويقبل المشفوع إليه أما لرغبته أو لخوفه وخشيته ولهذا يبحثون عن الشفعاء يبحثون عن أعمال كانوا ينظرون لها انها اعمال خير تنفعهم ساعه الحساب لكنهم يجدون أن الله جعلها هباء منثورا يبحثون عن الأكابر والساده الذين كانوا تابعين لهم في الدنيا وعن ما كانوا يعبدون من دون الله من ملائكه وصالحين

والايه توحي أنهم لايجدون من ينفعهم أو يضرهم فقد انقطعت حيلهم واخبروا أنه لاوساطه ولامحسوبيه فمن كان له نسب يتصل بـ الصالحين لاينفعهم فالشفاعه التي علقوا آمالهم عليها في الدنيا لم يجدوها فلا شفيع الا لمن إذن له الرحمن ورضي له قولا أخبروا أن الرصيد الوحيد هو العمل الصالح المقرون بالإيمان فالتوحيد ولهذا يتضرعون لله طالبين العوده الي الدنيا وأنهم سوف يعملون أعمالا غير الأعمال التي عملوها فقال تعالي (أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وهذا كذب منهم مقصود به دفع ما حل بهم وظهور ما كانوا يخفون من قبل كما قال تعالي (ولو ردوا لعادوا لما نهو ا عنه وأنهم لكاذبون)

فهذا الوصف لأحوال ومصير أهل النار في الدنيا والآخرة بعد ذكر أحوال ومصير أحوال اهل الإيمان في الدنيا والآخرة مشحون بفقه التحولات وسنن الدلالات لتربط عموم الزمان والمكان فلا تقع فيما وقعوا فيه يقول لك الحق انتبه أن تقف موقف هولاء فتطلب العوده للدنيا لتعمل الأعمال الصالحه لانه يكون بعد فوات الاوان فأنت في الدنيا فعليك أن تستغل الفرصه فتعمل الأعمال الصالحه فلا تكون حـ الك مثل هولاء الذين فوتوا علي أنفسهم النجاه والسلامه والفوز والنجاح والأرباح الحقيقه وسلكوا بها طريق الهلاك فقال تعالي (قد خسروا أنفسهم)

خسروا أنفسهم بأن أوردها موراد الهلاك خسروا أنفسهم لانهم لم يستعدوا لهذا اليوم ولم يعملوا الأعمال الصالحه خسروا أنفسهم لانهم لم يحذروا العاقبه التي يصير إليها فلم يعمل عملا لنفسه يحفظها من سوء المصير فقد انشغلوا بالشهوات والملذات وجمع المال والسعي للحصول علي الجاه والسلطان وكل ما تعلقوا به وظنوا انه يدفع عنهم الضرر وعلقوا آمالهم عليها انها فيها العزه والكرامه والقوه وقت الشدائد فالنهايه أنهم لم يجدوا من الأقوياء النصره ومن كان يعبد المال لم يجده فقال تعالي (وضل عنهم ما كانوا يفترون)

لم يجدوا الشفعاء الذين تعلقوا بهم ذهبوا عنهم فـالله يقول في موضع آخر (لايملك الذين يدعون من دونه الشفاعه)وقال تعالي عن إبراهيم بشأن ابيه(وما املك لك من الله شي)

فـالله يقول (ولاتنفع الشفاعه عنده إلا لمن إذن له)

ويقول (يومئذ لاتنفع الشفاعه الا من إذن له الرحمن ورضي له قولا)

فإذا كان لايشفع الشفعاء من الأنبياء والصالحين الا بإذنه تعالى

فإن ما تعلق به هولاء من أوهام الأصنام والتقرب بعباده الصالحين والتوسل بهم يذهب ويضيع عنهم فلا يجدونهم

فالايه ترسم خيبه الامل الناتج عن فساد التصور الذي علق في أذهان الكفار حيث تصورا أن هنالك وساطه ومحسوبيه عند الله فعبدوا الأ صنام علي اعتبار أنها تقربهم الي الله زلفي تقوم هذه الفلسفه علي فكره سخيفه تنظر للاخره من مفهوم الدنيا التي يكون فيها قيام

المخلوق بالتوسط عند اخر ادني منه أو اعلي حيث يكون قبول شفاعته أما لرغبته أو فيما عنده من قوه أو مصالح متبادلة او سبب ينفعه أو يدفع عنه ما يخشاه أما للرهبه منه أو لمحبه وأما للمعاوضه بينهما أو المعاونه أو لغير ذلك من الأسباب ولهذا كان توجه هولاء في الخطاب (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)

فلم يجدوا ما اعتمدوا عليه في الدنيا وتوهموا أنهم ينفعونهم وقت الشده فأراد بهذا الحق أن يقول لك لاتركن علي المال والجاه و السلطان كما فعل هولاء الذين عبد وا الأوثان وقالوا هولاء شفعاؤنا عند الله فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولقد اهلكنا ما حولكم من القري وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهه بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون)

فالتوحيد أن تعبد الله وحده لاشريك له وأن لاتعبد ه الا بما أحبه ورضيه وهو ماامر وشرعه علي السن الرسل صلوات الله عليهم تضمن طاعه الله ومحبته وطاعه الرسول ومولاه أولياء الله ومعاداه أعداء الله وان يكون الله ورسوله أحب إليك من كل ما سواهما وان تحب المرء لاتحبه الا في الله وان تبغض المرء لاتبغضه الا في الله ولهذا فإن توحيد الألوهية يعني فعل المأمور وترك المحظور ابتغاء مرضاة الله والصبر علي الشدائد اي يكون أفراد العباده والاستعانة بالله (اياك نعبد واياك نستعين)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

فهذا التوحيد وهو الفارق بين الموحد والمشرك وعليه يقع الثواب والعقاب والجزء في الاولي والاخره ومن لم يأتي به كان من المشركين خالدا في النار فالله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لأن المشركين كانوا يعترفون (بتوحيد الربوبيه)

بأن الله خالق الكون والناس وهو الرزق والمعطي والمانع والمالك لكل شي ولهذا كان هذا الإقرار حجه عليهم لأن اقرارهم بأن الله الخالق والمالك والأرزاق يعني أن يعبد الله وحده لاشريك له لأن مادونه مخلوق لايملك نفع ولاضر ولهذا نجد أن الايات تأتي بعدها تاخذ القارئ في رحله متانيه في الكون لتطلع الإنسان علي ربوبيته تعالي والوهيته والشواهد الكونيه في الكون الناطقه بانفراده تعالي بالخلق والأمر من خلال توجيه الأنظار الي التأمل والتفكير بمكونات هذا الكون لتري جمال الله وجلاله وكماله وعظمته وإحسانه فانت مخلوق لمعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته فاول خطوه في هذا الطريق تكون بمعرفته تعالي ولهذا ابتدأت نصوص المقطع الخامس بقوله تعالي

(أن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في سته ايام ثم استوي علي العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الإله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفيه أنه لايحب المعتدين ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلا حها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتي إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتي لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الانكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)

اولا

تناقش انفراد الله بالربوبيه يقول الحق أنه تعالي هو خالق الكون ومبدعه ومسخره لخدمه الإنسان فالله هو الذي يدبره ويصرفه بقدره تعالي هو الخالق المهيمن علي هذا الكون الضخم فانظر إليه وتأمل الي انفراد ه تعالي في تدبير الكون فلو كان معه الهه لما شاهدت هذا ا لانضباط في حركه الكون يطلب فيها حضور العقل البشري للتفكر في مخلوقات الله في الكون فاراد بهذا الآتي

الأمر الأول

تحرير عقل الإنسان الذي اداه الخلافه من الأوهام والخرافات التي أصابت العقل الجاهلي بمقتل وجعلتهم يعيشون ضمن نساق فكري غير صحيح فهم رغم أنهم يقرون بربوبيه الله للكون كله وأنه الخالق والرزق لكل شي ولاخلاف حول ذلك إلا أنهم كانوا ينكرون الرساله والأمر والنهي والرسول اي (ينكرون ماهو متعلق بمقام الالوهيه) الذي هو افعل أو لاتفعل

ولهذا تاتي الآيات بخطاب يدعو العقل الي التفكير في مخلوقات الله ومفعولاته في هذا الكون لتكون مقدمه يستدل بها علي معرفه الحق وثمره ذلك الايمان والاقتناع

فالحق يريد أن يتعرف الناس علي عظمه خلقه ودقه صنعه وإبداعه فيعرفوا الخالق وعظمته وجلاله وكماله وصفاته هذا الهدف المباشر وهذه المعرفه لاتاتي الا بالبحث والدراسه والتحليل والاستقراء لما في الكون واكتشاف اسرار ها وفهم دقائق الأمور وتفاصيل الاشياء فمن خلال الرؤيه العميقه التي ينطلق منها المومن في بحثه ينطلق العبد في قراءتها للظواهر الكونية والايات المرئيه فهو يتجاوز المناظر الطبيعيه الجماليه التي يشاهد بها الايات الكونيه الرؤيه القريبه الي رؤيه ماوراء الطبيعه من عظمه الخالق من الشهاده الي الغيب ومن المتناهي الي اللا متناهي فهي اللغه التي يخاطب بها العالم يقود فيها البشريه نحو وحده الخالق ووحده الخلق ووحده المعرفه الانسانيه

فالايات تركز علي تحرير الإنسان من حاله الجمود الناتج عن ثقافه الجاهليه التي جعلتهم يعبدون الأصنام رغم اعترافهم أن الله هو خالق الكون ليس لاحجه بل لأن ذلك ما وجدوا عليه آباءهم وهذا هو حال الشعوب التي تسمع للاخبار وهي غير ابهه للفحص والتفكير في مدي صحه تلك الأخبار فإن هذه الشعوب تكون قابله للمغالطات والأوهام والخرافات ولهذا نجد أن الايات وردت بعد ذكر شرك اهل مكه فهو يدعو الإنسان الي النظر والتأمل يقول لك الحق عليك البحث والنظر والتأمل في الكون

عليك أن تقف مع نفسك وتسالها :-

من المسئول عن حركه الكون بهدا الانضباط في الحركه والروعه في دوره الكواكب وتتابع دوره الليل والنهار انظر الي عجيب هذا الحساب الدقيق فالليل لايسبق النهار ولا النهار يسبق الليل يخرج الضوء من الليل والظلمه من النهار ويجري كلا منهما في فلك

فهذه الدوره التي تراها تلقي في الشعور جمال الحركه وحيوتها وانت تشاهد تتابع الليل والنهار وكلا منهما يطلب الآخر ويجتهد في طلبه فكل منا لابد أنه شاهد هذه الدوره العجيبه

لكن الفرق بين مشاهده المومن صاحب القلب الحي وغيره أن المومن عندما ينظر لها يري جمال الله وعظمته وجلاله وكماله وإحسانه في مفعولاته وأفعاله يري كيف يدور الليل والنهار ويراقب جمال هذه الدوره فيري قدره الله وإبداعه

أما صاحب القلب الميت فإنه يكون بلا احساس نتيجه اعتياده النظر لهذه الظواهر فيكون الأمر مألوفا لديه فتغيب عنه ماتوحي به ايات الله المرئيه من مفاهيم ودروس وتختفي وتحتجب وراء الالفه التي تقتل الاحساس في النفس فلا يري ما يراها المومن

الذي يحس بما يراه يدرس التحولات والسنن التي ترتبط بها فيكون له دراسه وقراءه الإيحاءات التي تنقلها الآيات الكونية فتحدث آثارها بزياده علم الذكر للخالق وعلم الفكر الذي يجعل العبد لاينظر لشئ إلا ويري فيها يد الخالق تعمل فيها يري ابداع الخالق الذي ليس كمثله شي يري أن الله هو الأول والاخر وأنه لاتدركه الأبصار فتلقي هذه المشاعر في النفس الخوف منه تعالي والرجاء فيراقب هذه الحركات التي يراها بقلب مرتعش خايف من ربه قلب شاعرا بعطف الله وانعامه ولهذا يزيد علم الشكر لديه فيقبل علي ربه شاكرا كلما حل أمامه مشهد من الايات الكونيه

ينظر إلي أنها كائنات تتحرك وفق أوامر الله وان النظام الذي يحكمها ويضبطها هو السنن والقوانين والنوميس الالهيه التي تخضع لله تعالي فهو من خلقها ولهذا فإن الخالق هو الذي له الأمر وهو تعالي رب العالمين

فأراد الحق بهذا تحرير العقل الإنساني من الخرافه والأوهام التي عاشها أهل الجاهليه فهذا المنهج العقلي الذي يخاطب فيها العقول والا فهام لأعمال العقل من خلال توجيه الأنظار الي مخلوقات الله في الكون

عليك أن تقف مع نفسك وتسالها:-

كيف لي انا المخلوق أن أخرج عن طاعه الله إذا كان هذا الكون الواسع وكل ما فيه يعبد الله بطريقته فالتسخير الإلهي لهذا الكون ومافيه لخدمه الإنسان هو عباده هذه المخلوقات

فأنت ايه الإنسان سيد علي الكون بأمر الله واذا كان هذا الكون يمضي حيث أمر ه الله تعالي فكيف لك انت ايه الإنسان الضعيف أن تعصي الله وانت لاتساوي شي امام ما خلق الله

ثم إنه إذا كان هذا الكون كله يعبد الله علي طريقته فإن اللازم عليك ايه الإنسان أن تتجه يالعباده الي الله والاستعانة به تعالي في الدعاء وحده لاشريك له ولاتعتد ي علي سلطانه في شئ

عليك أن تسأل نفسك كيف تحافظ علي تكريم الله لك :_

اعلم أن عنايه الله ورعايته للإنسان انه تعالي جعل عباده الكون في تسخيره لخدمه الإنسان والله تعالي اعطاءك كل هذه النعم التي لا تعد ولاتحصي فجعل السنن الكونيه كلها تتحرك وفقا لمنهج الله الذي يحكم هذا الكون (أسباب ومسببات)

لأجل أن تعرف الله وتحبه وتوحيده وتعبده ولأجل أن تقوم بواجب الخلافه فهذا المنهج التجريبي يعني أن تعرف الخالق من خلال معرفه عظمه خلقه فهذا هو الهدف الأساسي من المنهج التجريبي فالمطلوب منك أن تدرس ظاهره حركه الليل والنهار ظاهر حركه الشمس والقمر والنجوم لكن عليك الإنتباه من تفتن بهذه الظواهر فتكون دراستك وبحثك وتحصيل التجارب في اكتشاف أمر الكون سببا يجعلك تقدس هذه المخلوقات فتكون عابدا لها فهي مخلوقات تتحرك بأمر الله

ولهذا فعليك أن تحذر من التعلق بالاسباب دون المسبب في طلب ما تحتاج أو عندما تواجه المصاعب فجميع من في الكون مخلوقات

وعليك أن تتوجه بالدعاء الي الله تعالي في كل أمر فهو الذي بيده كل شي فهذه الأسباب والمسببات التي يتطلب منك استعيابها لتعرف حركه الكون وتدرس خصائصها ينبغي أن يتوجه الي حقيقه جوهرها بما يحقق انتفاعك الروحي والجسدي فالمعرفه المطلوبة هي تلك المعرفه التي تستفيد منها في بناء الحضاره والعمران والتي توثر في اخلاق الناس وسلوكهم وأفعالهم بأن تكون موافقه لمنهج الله تعالي فالله عندما طلب اليهود معرفه الروح قال في رده عليهم (قل الروح من أمر الله وما اوتيتم من العلم الا قليلا)

فلا توجد فائده من معرفه كنه الروح وحقيقتها فيما يتعلق بأمر الخلافه فأخبرهم أن العلم الذي منحه الله لهم هو ذلك العلم الذي يحتاجونه في القيام بالخلافة فالمهم أن يتعلموا كيفيه جعل الروح أكثر صفاء بحيث تكون كل حركه تهدف إلي الفوز برضوان الله وعفوه ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته

عليك أن لاتعتد علي سلطان الله سواء في ترك شرعه والحكم به والاتجاه الي الهوي فهذا اعتداء أو بالاستعانة بالمخلوق أو الشرك به

وكذلك فإن الخلافه تعني العمران بالتحسين والاستقرار في الأرض

بالبناء والإعمار وفقا لمنهج الله القويم الذي يحقق الهدف وإصلاح ما أفسدته الحضارات الماديه بما يحقق التطور المادي والروحي للإ نسان ولهذا فاللازم الحفاظ علي القيم والمبادئ والمثل العليا الروحانيه التي أمر الله بها في كتابه اثنا ء الاعمار ولهذا يحذر الحق من الا فساد في الأرض بعد إصلاحها

فالدنيا دار أسباب ولهذا فعلي المومن أن يبني خططه وآماله بناء علي ذلك مع الاعتماد علي الله فليس من حق أي إنسان أن ينتظر نتائج لم ينجز مقدماتها ولهذا فاللازم أن تتوجه بالعمل وجه الله قبل كل شي بصدق وإخلاص وان تتحري الصواب في العمل من حيث المشروعية في الكتاب والسنة ومن حيث الصواب من حيث العلوم الماديه واستشعار المسؤوليه وانك سوف تقف امام الله وتحاسب علي كل صغيره وكبيره فالله محصيه مهما قلت اوصغرت ولهذا عليك أن تربط كل عمل بالتوحيد وانطلق من هذه القاعده

الأمر الثاني

تهدف الآيات الي اعاده تشكيل العقول والافهام والقلوب بحيث تكون موافقه للصوره التي يريدها الله تعالي ولهذا نجد صدر الايه ابتدأ بذكر أن الرب المستحق للربوبيه ليس الا اله واحد هو الله الخالق كل شي علي الترتيب المحكم المتضمن صفات كمال العلم والحكمة و القدره فقال تعالي (أن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في سته ايام ثم استوي علي العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا و الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وهذا فيه الآتي :-

المساله الاولي

دعوه الي تأمل ابداع الخالق في هذا الكون الفسيح فالسماء كل ما يعلوك والأرض كل مانت فوقه

يقول لك الحق أن الخالق لهذا كله هو الله تعالي الذي وهب لكل شي خلقه بحسب حاله ثم هداه الي ما يستكمل به غايته التي خلق لأ جلها فكل مخلوق خلق لغايه فإذا تأملت في هذه المخلوقات تجد أنه تعالي أعطاه كل مخلوق بنيه تتناسب مع الوظيفه والغايه التي خلق لأجلها

فهو تعالي يخبرنا أنه الخالق والمهيمن علي الكون الفسيح الذي هو أكبر من خلق الانسان وبالتالي فإن هذا الدليل يقود الي معرفه الله

وعظمته وإحسانه وكماله من خلال مشاهده مفعولاته فيجب عليك تنزيه الله عن النقص والتشبيه أو التعطيل وان تدعوه باسماءه وصفاته التي سمي بها نفسه في كتابه

المساله الثانيه

تلفت الآيات الأنظار الي دليل آخر يدل علي الخالق سبحانه وتعالى وأنه المدبر للكون كله والميهمن عليه والمتصرف به فقال تعالي (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)

وردت بعد ذكر أنه استواء الله علي العرش وهذا فيه إثبات الاستواء لله بما يليق بجلاله دون الخوض في كيفيه ذلك فلا يجوز التفكر في ذات الله لأن في ذلك الهلاك وانما التفكر يكون في مخلوقات الله ولهذا انتقل بعدها الي تعاقب الليل والنهار فأنت مكلف أن تعبد الله مكلف بالعمل والحركه وهذا يحتاج الي بذل الجهد والراحه بعده ولذلك خلق الله الليل والنهار فالليل للراحه والنهار للعمل فقال تعالي (يغشي الليل النهار)

يغشي حال من ضمير خلق وجي به بالمضارع لما يدل عليه من التجديد لانه جعل الاشياء المتقدم عليه ثابته مستمره أما غشي الليل و النهار فهو أمر متجدد باستمرار تري أنه يستر بظلامه النهار ويغطيه وكذلك فإن النهار يزيل بضوه الظلام وهذا من الاعجاز القراني الذي سبق فيه الاكتشافات العلمية عن حركه الارض حول نفسها وحركه الشمس والقمر حيث اكتشف أن الارض كرويه وهو ما يجعل الليل و النهار موجودان معا علي سطح الأرض فلا يسبق أحدهما الآخر ولهذا نلاحظ أن كلا منهما يعقب الآخر وبجي بعده من غير أن يفصل بينهما شي كانه يطلب الآخر فقال تعالي (يطلبه حثيثا)

وهذه الكلمه (حثيثا) تعني سريعا وهذا يدل علي كرويه الارض حيث يكون نصف الكره الارضيه مضيئا والنصف الآخر مظلم فيكون في بقعه نهارا وبقعه ليلا فدوران الأرض حول نفسها يحدث تعاقب الليل والنهار

فالقران الكريم جاء بمنهجان منهج عقلي وهو الايات الكونيه ومنهج روحاني وهو الايات المسموعه وتكمن مشكله المسلمين اليوم في مخاطبه العالم بلغه القران التي يفهمها العالم كله لأننا لم نهتم بالايات الكونيه التي تمثل لغه عالميه يخاطب بها القرآن اجمع

فنحن اليوم نحتاج الي اعاده بناء المفاهيم الكونيه من خلال إعداد العالم المسلم الذي يبحث في الفلك والطب والفضاء والهندسه في كل المجالات والذي يكون به تعريف الناس بالخالق وإثبات صدق القران بحيث يكون تأصيل الرويه الكونيه في منهج القران لتقديمه للبشريه كمصدر حيوي كما قدمه القران قبل الف وأربعمائة عام

فالحق يعيطك النماذج المعرفي الذي تنطلق فيه في عرض آياته الكونيه يقول لك عليك أن تنظر الي حركه الكون حيث تجد أنها تقوم علي نواميس وسنن فأنت تشاهد الشمس والقمر والنجوم تتحرك وفق تلك الأسباب والمسببات وفق نظام منضبط ودقيق فلولا لم يكن هنالك مدبر حكيم ينظم سيرها لحدث اختلال نظام الكون فلماذا لايصطادم الشمس والقمر رغم أن كلامنها يتحرك بسرعه فائقه لو نقص مقدار شعره لاختل نظام الكون ولانهار نظام العالم فهذه الافلاك التي تضم عددلا يحصي من الإجرام لو أصابها ادني خلل لحدثت الكارثه فمن أعطاها هذا الانضباط بحيث تكون حركه الإجرام منضبطة تتحرك ولاتتصادم ولاتتغير سرعتها

أنها قدره الله فقال تعالي (مسخرات بأمره)

فالله بعد بيان ذلك يقول لك ايه الإنسان انظر لمركز ك في هذا الكون وموقعك الذي اختصك الله به فأنت سيد الكون لأن الله سخر الكون لخدمتك بأمره فجعل النوميس التي تحكم الكون لأجل أن تعيش فيه ايه الإنسان جعل عباده الكون هو التسخير الذي يكون فيه تيسير المعيشه للإنسان في الأرض

فعليك أن تحس بهذا التكريم وان تحترم ماهذا التكريم فكيف تلجاء الي عباده مخلوقات خلقها الله وجعلك خليفه له في الكون ولهذا فإن كرامتك مرتبطه بالقيام بتنفيذ أمر الله بحيث تنسجم حركتك مع حركه الكون يجب أن تنطلق من أهداف وقيم ومعايير ومثل المنهج الإلهي لان الخالق له الخلق والأمر

والخلق الايجاد من العدم ...والأمر اي أن تخضع للتشريع الإلهي الذي سنه لخلقه تعرف الغايه من خلقك وهي التي أخبرنا الله فقال

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون.الخ

وعباده الله تعني الالتزام بمنهج الله واوامره ونواهيه في كل شي تنطلق من هذا المنهج لا من الغرائز الماديه ولهذا فإن الفرق بين الحضاره الماديه التي يحصل بها التقدم واكتشاف اسرار الكون

المجرده من القيم والمبادئ الروحانيه

حيث أن هذه الحضاره تحدث قتل للمواهب ويكون جذب الإنسان نحو أسفل السافلين حيث نجد أنه كلما حصل مزيدا من التطور في الحضاره يكون فيه مزيدا من الانحطاط في القيم الروحانية وتنعكس نظرتهم للحياه فينظر الي أهل القيم أنهم اغبياء وحمقاء

لكن الحضاره الاسلاميه تقوم علي تعريف الإنسان بالماده وبخالق الماده وبهذا فإن الحضاره وفق النظريه الاسلاميه تودي الي التفاني في خدمه البشريه والارتقاء بالقيم والمبادئ الايمانيه والإصلاح في الأرض تنطلق من عقيده التوحيد التي توجب شكر الله علي انعامه ومعرفتها والثناء علي الله الذي تعاظمت انعامه وعنايته بالمخلوقات كلها فالله هو الموجد لكل شي والمتصرف بكل شي فهو رب العالمين فقال تعالي (الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

الأمر الثالث

لماذا خلق الله السموات والأرض في سته ايام مع أنه تعالي قادر أن يخلقهن في كلمه كن فيكون فهو يقول في موضع آخر (إنما امره اذا

اراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

عليك أن تدرك أنه تعالي خلق الكون ولم يمسه تعب ولا لغوب

فاللّٰه قادر أن يخلق السموات والأرض بكلمه كن فيكون ولكن أراد أن يعلمنا الرفق والتثبت في الأمور والصبر وعدم الاستعجال فقد جعل اللّٰه لكل شي اجلامحدد ووقتا مقدرا فهو تعالي قادرا علي إيصال الثواب للمطعين في الحال وإيصال العقاب للعصاه في الحال ولكن يوخر ذلك إلي أجل معلوم ومقدر لانه تعالي جعل لكل شي اجلا فهو تعالي لايهمل وبالتالي فلا يكون تأخير العقاب حاملا علي ترك العمل فاللّٰه يمهل ولا يهمل

فالنظام والتدريج في الخلق من الدلائل علي الارده والحكمه والواحدنيه الذي يقتضي وجوده تعالي وان له الخلق والأمر وأنه رب العالمين

ثانيا

بعد تقديم هذا النموذج المعرفي (خلق السموات والأرض والظواهر الكونيه) لتكون مقدمه انطلاق لمشاهده ما غاب عن الحس واحتجب وراءها لتكون هذه المعرفه مقدمه انطلاق للإيمان بالغيب ولهذا يدعوا التي يدعو العقل للتفكير لهذا الكون فماهي النتيجه التي يرجع بها العقل ...أخبرنا اللّٰه أنه لابد أن يدرك أن لهذا الكون من خالق حكيم مدبر له كمال القدره والعلم والحكمه والواحدنيه اذا فكر في ملكوت السموات والأرض فلا ينكر هذه الحقيقه الا جاحد اوفاقد لعقله وبالتالي فإن عليكم اعاده بناء نظرتكم ومشاهدتكم للعلوم الطبيعيه والاجتماعيه والايات الكونيه فعليكم الانطلاق من رؤية توحيديه بحيث تتجاوز نظرتكم رويه جمال الطبيعه ومحاكتها الي رويه ما يختفي وراها اي الانتقال من مشاهده افعال الرب ومفعولاته المشهوده التي لايختلف عليها أحد من الناس فالجميع متفقون أن اللّٰه تعالى هو خالق الكون لاشريك له إلي الايمان بآيات اللّٰه النظريه التي تغيب عن عالمكم (الغيب) والناس يتفاوتون فيها ويختلفون بشأنها ولهذا فإن دلاله آياته الكونيه تثبت صحه الأفعال النظريه التي أخبرنا اللّٰه عنها في القران والي إدراك حقيقه انك خليفه لله في الأ رض فأنت سيد الكون بأمر اللّٰه انت فأنت بحاجه الي هذه المعرفه التي تجعلك عارفا ماهو مركز في هذا الكون وماهو موقعك فيه انت بحاجه لتعرف ماهي العلاقه بينك وبين بني جنسك والعلاقه التي ترتبط بها مع المخلوقات من حولك وكيف تتعامل معها والعلاقه بينك وبين ربك فقال تعالي

(ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايحب المعتدين ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت اللّٰه قريب من المحسنين)

المبحث الأول

تبين لنا الآيات أنه بناء علي ماسبق عليك أن تعرف انك مخلوق وان من في هذا الكون مخلوقات وان الخالق لكم جميعا هو اللّٰه تعالي فهذا كان المدخل لتحرير الإنسان من الضغوط التي تستعبده في الحياه يقول له الحق أن الخالق والمالك لهذا الكون هو اللّٰه

فقال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايحب المعتدين)

الأمر الأول

توجه إليهم بالأمر بالدعاء في العباده والمساله لله فأراد بهذا أن يغزو التوحيد أعماق النفس الداخليه ولهذا قال (ادعوا ربكم)

اي ادعوا متولي أموركم في كل الأوقات لانك ايه الإنسان ضعيف تحتاج إلي ربك فشان العبد أن في افتقار الي اللّٰه

فقد خلق اللّٰه الإنسان ضعيف لانه لوخلق قويا لاستغني بقوته عن اللّٰه ولهذا فإن ضعف الإنسان لأجل أن يكون الإنسان شاعرا بافتقاره الي اللّٰه ولهذا كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الي الرب قبل علمهم بحاجتهم الي الاله المعبود وقصدهم في طلب حاجتهم العاجله قبل الاجله فاقرارهم باللّٰه من جهه ربوبيته اسبق من اقرارهم به تعالي من جهه الوهيته وكان الدعاء له والاستعانة به تعالي والتوكل عليه أكثر من العباده والانابه إليه

ولهذا يدعوهم اللّٰه الي عبادته وحده لاشريك له بأن هذا هو المقصود المستلزم للاقرار بالربوبيه ولهذا قال تعالي (الا له الخلق والأمر تبارك اللّٰه رب العالمين)

فالانسان وجميع المخلوقات عباد اللّٰه وهو خالقهم وما لكهم وهم فقراء الي اللّٰه مماليك له وهو الههم ومالكهم وربهم وهم محتاجون له

تعاظمت خيراته فلا ينفذ عطاءه

ومن هذه البوابه كان تربيه المومنين الاوائل وتحريرهم من كل علاقه تبعيه لإنسان اخر ولهذا فإن استقرار حقيقه التوحيد في أعماق النفس تعني أن تتحرر من كل أشكال التبعيه لانك تتصل بالله فلا تتنازل عن كرامتك وعقلك أمام انسان مثلك فتخضع له علي حساب الحق لانه يملك القوه والمال والجاه والسلطان

فالايات السابقه علي هذا المقطع قد أنكرت التبعيه التي فيها امتهان كرامه الانسان واوضحت انها تخرج الإنسان من دائره

إنسانيته واوضحت أن تلك العلاقه أو العلاقه التي تربطه بالاصنام العاجزه سواء كانت ماديه احجار أو بشر أو ملائكه أو جن أو مال أو اي شكل من أشكال الوثنيه سواء كانت دينيه أو سياسيه استبدادية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سلاليه أو مال أو اي نوع من أنواع الصنميه وبينت الآيات إن الساده والاكابر لايمتازون عن الإتباع شي فهم كلهم مخلوقات خلقها الله وان الإنسان إذا خضع لها صار ظالما لنفسه لانه لم يحتفظ بكرامته التي منحها الله له

ماحاجتك الي عباده غير الله اذا علمت أنه تعالي الخالق والمالك لكل شي فقال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايحب المعتدين)

الأمر الثاني

يقول لك الحق عليك أن تستمد قوتك من الله فهو تعالي خلقك ضعيف لتكون قوي بالله لتستعين بالله خلقك جاهلا لتستنير بنور الله فالقصد من الدعاء الاتصال بالله أن تتذوق حلاوه مناجاه الله تعالي وان تشعر أن كل شي بيد الله تتوكل عليه في العسر واليسر و الرخاء والشده لا تعتمد علي أحد غير الله فعليك أن تلجاء الي الله تشعر أن كل شي بيد الله تري أن كل شي بيده ولهذا قال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا)

اي أظهر ضعفك الي الله أظهر افتقارك الي الله وتذللك بين يديه مرغ جبهتك بين يديه في كل الأوقات

الأمر الثاني

(القصد من الدعاء الاتصال بالله وتذوق طعم الوقوف بين يدي الله)

ولهذا قال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايحب المعتدين ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين)

فالايات اشتملت عليه اداب نوعي الدعاء دعاء العباده ودعاء المساله

يريد الحق منك أن تذكر الله في كل الأوقات حين تنام تذكر الله وحين تاكل وحين تشرب وحين تعمل وقت الشده ووقت الرخاء يجب أن يكون حالك مختلفا عن المشركين الذين أخبرنا الله أنهم إذا مسهم الضر ضل من يدعون الاياه فقال تعالي في موضع آخر (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين)يذكر أن النفس البشريه تعرف ربها بالفطره فقد أودع الله فيه معرفه ربه ومحبته وعبادته وتوحيده ولهذا وقت الشدائد يلجاء الإنسان الي ربه لكنهم بعد زوال الشدائد يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم فليس هذا هو القصد من الاتصال بالله وانما يجب أن تكون ذاكرا لله علي الدوام يجب أن تكون المشاكل بواعث ودوافع تجعلك تدعوا الله علي الدوام لتذوق طعم الوقوف بين يدي الله تعالي سواء وجدت مشاكل ام لا فقال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه.....الي قوله (وادعوه خوفا وطمعا)

فدعاء المساله طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه

ومن يملك الضر والنفع فإنه المعبود وهذا يعني أنه مالكا للنفع والضر ...ويدعوه خوفا ورجاء وهذا دعاء العباده

المبحث الثاني

فالانسان بحاجه الي الاتصال بالله فهذا الاتصال هو الذي فيه سعاده الإنسان ويلبي متطلبات الروح النفخه التي نفخها الله والتي كانت من أهم أسباب تكريم الإنسان وسيادته علي الارض

فالله يقول في موضع آخر (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

فسعاده الإنسان تكمن بتحقيق الغايه من خلق الانسان وهو معرفه الله ومحبته وتوحيده وطاعته وعبادته وقد أودع الله فيه الاسلام

الذي هو الفطره (العلم الفطري ..والمحبه الفطريه..والتوحيد الفطري)

والإسلام هو دين الفطره الذي خلق عليه الإنسان فكل عضو من أعضاءه وملكاته كلها خلقت لتعرف ربها وتحبه وتعبده وتوحيده اي ان الله خلق الانسان علي الاسلام ومن اجل الاسلام يريد أن ينهمك الإنسان بجميع قواه في عباده الله ومحبته وطاعته

ولهذا نجد أن الإنسان يبحث دواما عن الذات العليا يجد نفسه مشدودا نحو ها وان هنالك جاذبيه تدفعه للبحث عنها منذو لحظه ولادته يتعلق بأمه ثم إذا صار شاب بدأ يبحث عن الذات العليا في الزوجه ثم جمع المال والاولاد والجاه والسلطان ظنا منه أنه بذلك يشبع اشواق النفس التي تدفعه للبحث عن الذات العليا ولهذا فهو مهما صار غنيا ثريا أو صاحب ملك ومنصب وسلطان أو إعلاميا وسياسيا نافذا أو عالما في الذره أو فيلسوف شهيرا فإنه لايجد السعاده التي يبحث عنها فإنه يظل يبحث دواما علي الذات العليا وهذا البحث ماهو الا بحث عن الإله العلي فهو بحث فطري لأن ملكات الإنسان وكل عضو من أعضاءه خلقت لمعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده فهو المقصد الحقيقي للحياه البشريه

كيف يكون تحقيق الاتصال بالله ؟

يقول الحق أن المنهج الرباني الذي يحقق الاتصال بالله ومعرفته هو الاسلام فهو الدين يكون من خلال آياته المرئيه والمسموعة فالا يات المرئيه احتوت علي اداله يصبح العقل فيه في غايه القوه والجلاء في استنتاج الادله العقليه في الكون وبما يتقي به العثار و الخطاء ومنهاج روحاني ولهذا بعد أن ذكر الحق آياته الكونيه التي تدل علي عظمه الخالق سبحانه وتعالى وقدرته وكمال علمه وحكمته وانعامه وإحسانه قال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايحب المعتدين ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين)

يقول لهم هذا هو الإله الحق الذي تبحثون عنه ولهذا فإن عليكم أن تفمهوا أنه تعالي هو الذي له دعوه الحق فهو الذي خالقكم وهو المعبود وحده لاشريك له ولهذا تضمنت الايتان الاشتمال علي اداب نوعي الدعاء دعاء العباده ودعاء المساله لأنهما متلازمان فدعاء المساله هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه ولهذا فإن كل من يملك النفع والضرر هو المعبود أما الذي لايملك النفع و الضرر فإنه لايكون معبود فهو تعالي يقول في موضع آخر (ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولايضرك) وقال ايضا (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم)

فالله يبين أن المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعو اي الداعي طالبا النفع وان يكشف عنه الضرر وهذا دعاء مساله ..وهذا الدعاء (المساله) متضمن لدعاء العباده الخوف والرجاء فهو عندما يسأل النفع يرجوا الله أن يجيبه لما يطلب وعندما يطلب كشف الضر يكون خائفا من الله لأنه هو الذي بيده الضرر والنفع

وكذلك فإن كل دعاء عباده مستلزم لدعاء المساله

ولهذا يقول الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه.....وادعوه خوفا وطمعا)

بعد عرض آياته الكونيه فيقول لنا هذا هو الإله الحق القادر علي الاجابه هذا هو الإله الذي بيده كله شي كما قال تعالي (له دعوه الحق و الذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشي الا كباسط كفيه الي الماء ليبلغ فاءه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

فالذين يجهلون الإله الحق ادعيتهم باطله ولهذا نجد أن الايات تركز علي تقويه الجانب المعرفي بالله وتقويه الارده يتوجه الي الناس يعرفهم بذاته وكماله يقول لهم (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه) افهموا الغايه من وجودكم عليكم ان تذكروا الله علي الدوام فانت مخلوق لعبادته فما رأيت من عجائب مخلوقات الله ينبغي أن يكون غذاء روحاني تري فيه حسن الله وجلاله وجماله بالوقوف علي جماله الذي تنطق به آياته الكونيه الداله علي الكمال التام فإن هذا الحسن تنجذب إليها القلوب تلقائيا لان الإنسان يحب بطبعه رؤيته وحسن الله هو وحدانيته وعظمته وجلاله وكمال صفاته فالجميع محتاجون إليه وهو تعالي يقوم برعايه جميع المخلوقات خلق كل شي من العدم ومازال يشملهم بربوبيته علي الدوام فهو الذي يلجأ إليه كل الخلائق ثم إن رحمته تعالي ظاهره علي كل المخلوقات

فذروه كمال الإنسان هو الوصال بالله تعالي لتظل اوعيه المعرفه والارداه النفسيه والقليبه والذهنية كلها مفتوحه تجاه الله ولهذا فإن التركيز علي الفهم الصحيح للإله الحق وتقويه الارداه يعود إلي أن انحراف الناس يكون ناتجا عن سوء الفهم للغايه التي خلقوا لأجلها أو لضعف الهمه فيتخذون لأنفسهم أهدافا متبانيه لاتخرج عن نطاق الشهوات والملذات

ولهذا فإن المنهج العقلي مقدمه يحصل فيه إيقاظ الفطره يوجب الاقتناع فالإيمان ثمرته ولهذا تضمنت الآيات اداب نوعي الدعاء

فقال تعالي ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايحب المعتدين ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين) وهذا فيه

الأمر الأول

تمنيه الحس الايماني بالشعور بجلال الله ووحدنيته وقربه منك من خلال استشعار قرب الله ولهذا فلا داعي لأن ترفع صوتك بالدعاء

فمن كانت هذه مشاعره يعني ان مشاهدته لآيات الله الكونيه قد كان ثمرتها زيادة قوه الايمان لأن صاحبها يعلم أن الله سميع عليم

يعلم أنه في حضره الله ملك الملوك ومالك كل شي فهذا الشعور يعني أن تتادب وانت واقف بين يدي الله فكيف ترفع صوتك أمامه يعني أن تستحي من أن ترفع صوتك بالدعاء وخفض الصوت بين يديه يعبر عن هذا الشعور فالله يقول عن زكريا (إذ نادي ربه نداء خفيا) فهو قد استحضر قلبه قرب الله وأنه أقرب إليه من كل قريب لعلمه أنه تعالي اشد حضورا للمعتمدين عليه ولهذا اخفي دعاءه ما أمكن

الامر الثاني

عليك أن تعرف علاقتك بربك أنه تقوم علي الاعتزاز بالعبوديه لله تعالي تعتز بالانكسار والتضرع والخشوع لله فذلك مقصود الدعاء وروحه يقول ابن تيميه رحمه الله (لأن الخاشع الذليل إنما يسأل مساله مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت روحه وخشع صوته حتي أنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعته الي أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق وقلبه يسأل طالبا مبتهلا ولسانه لشده ذلته ساكنا وهذه الحال لاتاتي مع رفع الصوت بالدعاء اصلا)

وايضا فإن الخفيه من أسباب دوام الطلب والسوال لأن اللسان لاتمل والجوراح لاتتعب بخلاف رفع الصوت فإن الإنسان يمل ويتعب

الأمر الثالث

كما أن الدعاء ذكر للمدعوا والإقبال عليه والمحبه والثناء باوصافه واسماءه فهو ذكر وزيادة كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه للطلب كما ق ال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الدعاء الحمدلله)

فسمي الحمد لله دعاء وهو ثناء محض لأن الحمد متضمن الحب والثناء والحب اعلي انواع الطلب ولهذا فهو دعاء فهو تعالي يقول في موضع آخر (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفيه) قال مجاهد أمر بذكر الله في الصدور بالتضرع والاستكانه دون رفع الصوت فاذكر هنا مثل (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه)

فالذكر والدعاء فيهما التضرع وهو التذلل والتمسكن والانكسار

وخص الدعاء بالخفيه لما سبق وكذلك الذكر لحاجه الذاكر الي الخوف فالإنسان بحاجه الي معرفه الله وثمرته هو المحبه لله واقتران المحبه بالخوف فالوصول الي الله يكون بالمحبه والخوف والرجاء فمتي خلا القلب من هذه الأمور فسد فسادا لايرجي صلاحه وان ضعف لخلو أحدها كان ضعف إيمانه ولهذا نجد اقتران الدعاء بالخفيه والتضرع والطمع والرجاء لأن الإنسان إذا لم تتحرك البواعث التي تدفعه للطمع بما عند الله فإنه لن يقوم بأمر الله ولن يترك ماحرم الله

الأمر الرابع

تبين النصوص أن الذي لايدعو الله بما أمر به يكون معتدي فجاء النهي عن الاعتداء (أنه لايحب المعتدين) في جمله خبريه

لأن الذي لايتضرع في الدعاء يعني أنه مستغن عن ربه فما فائده الدعاء منه وما فائده الذكر اذا لم يكون مصحوبا بشعور الحاجه الي الله والافتقار الله شعور العارف بنفسه لانه وضع العباده في غير موضعها وهذا الاعتداء من أعظم العدوان لمنافاته لدعاء الذليل فمن لم يسأل ربه مساله المسكين المتضرع الخائف فهو معتد

أيضا فإن من الاعتداء أن يعبده بما لم يشرعه أو يثني عليه بما لم يثني به علي نفسه فالانسان لابد أن يحرص أن يكون عمله وقوله وحركاته كلها تهدف إلي ارضاء الله تعالي وطلب ما يحب ويرضى

واجتناب ما يبغض الله وما يسخطه

٢

الايه قسمت الناس الي داع الي الله تضرعا وخفيه ومعتد بترك ذلك اي أن الذي يرفع صوته أو لايكون متضرعا هو معتدي

بعد ذكر الايات الكونيه الداله علي الخالق سبحانه وتعالى وكماله وعظمته وجلاله وإحسانه وهذا يعني أنه لم يومن بآيات الله فالله

يقول (إنما يومن بايتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون تتجافي جنوبهم من المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا...الخ

وايضا فإن رفع الصوت منافي للاخلاص .... وايضا من مظاهر الاعتداء أن يدعوا طالبا الجنه دون العمل أو يطلب المغفره دون التوبه لحديث (سيكون هنالك قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللّهم اني اسالك الجنه وما تري له إليها من قول وعمل ويقول اعوذ بك من النار ...الخ

المبحث الثالث

تبين الآيات أن المنهج الرباني الذي يكفل المعرفه الربانيه الصحيحه وعباده الله علي احسن وجه إنما هو الإسلام وقد أودع الله الاسلام فطره الإنسان فهو تعالي يقول (أن الدين عند الله الاسلام) ال عمران...وقال تعالي في موضع آخر أيضا (فطره الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

فقد خلق الله الإنسان علي الاسلام من أجل أن ينهمك بكل قواه في عباده ربه وطاعته ومحبته ولهذا وهب له قوي تتلائم ومقتضيات الا سلام هذه هي الفطره التي خلق الله الناس عليها ولهذا فإن جوهر الصراع بين الحق والباطل منذ و فجر نشاه البشريه هو أن الشيطان يسعي جاهدا لتغيير خلق الله فقال تعالي في موضع آخر لما توعد به الشيطان الإنسان (ولامرنهم فليغيرن خلق الله)

فالله قد خلق الانسان علي الفطره فاودع فيه معرفه ربه ومحبته وعبادته وطاعته وتوحيده والخضوع له والاذعان لربه خلقه ليكون له وحده

فإذا فرط الإنسان بذلك يخرج عن إنسانيته ويصبح ادني منزله من الحيوان ولذلك ارسل الله الرسل حاملين المنهج الرباني لاعاده

كرامه الانسان ومنزلته التي فقدها نتيجه اغواء الشياطين له من أن يتذكر خالقه فالله يقول في موضع آخر (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلايضل ولايشقي و من أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي)

ولهذا يقول الحق لعباده (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين)

المفهوم الاول

يقول لك المولي سبحانه وتعالى عليك أن تلتزم الحق وطريقه فهو طريق الصلاح والإصلاح وانتبه من الباطل فهو سبيل الفساد فأنت في معركه مع الباطل الذي يسعي الي الفساد والافساد واللازم علي الناس أن يتوصوا بالحق والصبر إلي أن ينتصر الحق

فالطغاه والمستبدون والمستكبرون في الأرض يحاولون جاهدين اخفاء العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري عن الإنسان من خلال تغيير مفهوم الذكر وتبديله لتفسد الرويه عند الإنسان وتزيغ البشريه عن المنهاج الرباني ولهذا نجد أن بدايه الشرك علي ممر تاريخ البشريه أنه يبدأ من خلال فكره المغالاه في حب الصالحين نجد أن المشركين غيروا الهدف من بناء الكعبه وهو أن يذكر فيها اسم الله الي مكان امتلاء بالاصنام تحت شعار أنها تقربهم الي الله زلفي فقال تعالي عنهم أنهم قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي)

نحن نشاهد اليوم كيف أن الكثير من الناس قد اتخذ من قبور العلماء مزرا يتوسلون بهم عند الله

فالجاهليه قديما وحديثا هي نفسها ترفع شعارات الايمان والانتساب للدين وهي تصنع اصناما بأسماء اسلاميه لاتقل قبحا عن أصنام مشركي مكه أن حياتنا اليوميه في هذا الزمان تمارس فيها عباده الاصنام اشد مما كانت عليه حياه مشركي مكه

وكذلك فإن صنميه المال والجاه والسلطان اليوم اشد واعتي لقد صارت العوالمه والاقتصاد الحر اليوم صنما تنحني له أعناق قاده الأمم وحاكمها قبل العوام نري اليوم حال امه المليار تنحي أمام حثاله من اليهود ولقد شاهدنا البقر تعبد ويبني لها معابد في بلدان إسلامية ولهذا فإن واجب الدعاه هو أن يحملوا المشروع الرباني للناس وان يقفوا بشجاعه ليصدعوا بالحق وبفقه الدعوه التي يكون ازاله الفساد به الكتاب والسنة..وفقه الداعي بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم عليك فالاغترار بالراي بدون دليل من الأعمال الفاسده التي تخرج صاحبها عن الحق ودائرته الي الباطل والافساد يكون بالمعاصي والشرك والقتل والدعاء لغير الله بعد أن قام الانبياء باصلاحها لقوله تعالي (ثم أذن موذن ايتها العير انكم لسارقون) الي قوله تعالى (قالوا تالله لقد علمتم ما جاءنا لنفسد في الأرض ...الخ

فدل هذا أن المعاصي تدخل ضمن الافساد في الأرض والذي هو سلاح الشيطان ومدرسته التي تنصب حول محاوله اتباع الشيطان تشويه المصطلحات وبالذات مصطلح الذكر من خلال محاوله تغيير وتبديل مفهومه لتفسد الرويه ولأجل أن تزيغ البشريه عن المنهاج الرباني الذي يهدف إلي الافساد في الأرض فهم يرفعون شعارات تهدف إلي تغيير مفاهيم التوحيد بحيث يدفعوا الناس الي الأعراض عن

ذكر الله فجهدوهم تنصب حول تبديل وتغير مفاهيم الذكر

ولذلك فإن مهمه الرسل والأنبياء تهدف إلي الحفاظ علي مصطلح ومفهوم الذكر من التحويل والتبديل فمهمه الرسل تذكير الفطره ماهو معلوم لهم مستقر في فكرتهم لاتغير الفطره وتبديلها ولهذا بعد ذكر ملكيه الله وقدرته وكمال علمه وحكمته

يقول لكم عليكم ان تتمسكوا بالحق والتمسك به بوجه الباطل فالحق هو الذي ينتصر مهما كانت العقبات فالله يقف الي جانب الحق علي الدوام فلا تنخدعوا بالشعارات التي يرفعها أهل الباطل والتي يزعمون فيها أنهم مصلحون

المفهوم الثاني

تبين النصوص أن اللازم علينا أن نحذر من التدين المغشوش فلا يكون الأمر بالدعاء والتضرع مانعا من المساهمه في الاعمار والحركه في الأرض كما تصور البعض العباده بمفهومها الضيق فتوهموا أنها تعني القعود في المساجد والتفرغ لذلك وترك غير المسلمين يقومون بـ العمران في الأرض والصناعه واكتشاف اسرار الحياه فهذا تدين مغشوش فالخلافه تتطلب أن تترك الكسل والخمول والجمود يعني أن تتحرك وان تكون نشيطا وجاد

ولكن ينبغي أن تكون حركتك في الأرض والحركه ايجابيه الفاعليه

تهدف إلي اصلاح الأرض من خلال تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر لماذا ؟

لأن الفساد يعني اخراج الشي عن صلاحه ولهذا فإن التعامل مع الأرض التي نعيش فيها وما تحتوي بمنهج غير منهج الله يعني أنك تخرجها عن صلاحها

أيضا أن تسخير الأرض لك ايه الإنسان هو لأجل أن تقوم بالخلافه علي الارض وهذا يعني العمران ؛ـ

ومن هنا فإن حركتك فيها ينبغي أن تكون متوجهه الي الاستقرار والتحسين وقد شاهدنا كيف أن اختراعات الاسلحه النوويه اليوم أصبحت تهدد الكون بالدمار نتيجه الحضاره الماديه لقد شاهد العالم ما فعلته القنبله الذريه في هيرشما ..المدينه اليابانيه لقد أفسدت حياه الناس وافسدت التربه وجعلتها لاتصلح للحياه

هذا اعتداء ناتج عن فعل الإنسان وغيرها من الاختراعات التي تهدد حياه البشر

ومن هنا يقول الحق لنا أن الحضاره والقيام بالعمران في الأرض من أغراض خلافه الإنسان لكن ينبغي أن يكون القيام بذلك لأجل التحسين في الأرض والاستقرار وان يكون متزامن مع الحفاظ علي القيم والمبادئ والمثل التي أمر الله فلابد من الحفاظ علي القيم الروحانيه ولهذا فإن الخروج عن قاعده الشوري يعني أنه إفساد في الأرض...التفريط بسياده القانون يعني إفساد الأرض الخروج عن مبدأ المساواة يعني الافساد في الأرض انتهاك حقوق الإنسان يعني إفساد في الأرض

فالقيم الروحانيه تعني أن تقصد بعملك وجه الله فلا يكون هنالك تنافس في الأرض بين المومنين بما يودي الي البغض والكراهية ولكن التنافس بينهم هو التفاني في خدمه البشريه اتقان العمل وإحسانه قاصدين بذلك وجه الله فهم يشعرون أنهم في عباده في كل عمل يقومون به يفهمون العباده بمعناها الواسع فهم يحرصون أن لا تودي حركتهم الي مخالفه أوامر الله أو مافيه شرك وان تكون فاعليتهم موافقه لمنهج الله يحرصون علي أن تكون النيه صادقه يشعرون براقبه الله عليهم فهم يفكرون في اهوال الاخره مع قصر الامل ينهضون لبناء الحضاره دون أن تستغرقهم هموم الدنيا ولهذا لاتصعب عليهم المهمه ولهذا بعد النهي عن العدوان في الدعاء تأتي الآيات بجمله طلبيه (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) وهذه المساله تحتاج إلي صدق نيه وقوه عزيمه وثبات ومجاهد

وقال بعدها (وادعوه خوفا وطمعا)

وهذا جاء مشتملا علي مقامات الايمان والإحسان (الخوف والرجاء والحب)

وعقب ذلك قال تعالي (أن رحمت الله قريب من المحسنين)

اي أن رحمه الله التي هي مطلوبكم هي قريبه لكن لمن فعل المأمور وترك المنهي عنه وهو الاحسان المطلوب منكم في حمل المشروع الرباني وما حفظت حدود الله ومحارمه وما وصل إليه الواصلون الا بالحب والخوف والرجاء فقرر مطلوبكم منه الرحمه وانتم تحتاجون لمعونه الله وإرشاده وتوفيقه ورحمته وهي إنما تنال من دعاء الله خوفا وطمعا فهو المحسن ومطلوبه (الرحمه) قريب منه ولهذا قيل إنها اشتملت علي مقامات الايمان والإحسان لأن مدار الاحسان علي هذه الاصول الثلاثه

لأن الناس يتفاوتون في فعل وإتقان ما أمروا به من الدعاء والتضرع والفاعلية والتوجه به الي الله والأمر يتطلب قوه العزيمه والثبات وصدق النيه فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

فالأمر يحتاج الي مجاهده النفس للوصول إلي سبيل الله الرحمه وهذا بحسب ادائكم لمطلوبه (الاحسان) فإذا احسنتم احسنتم لأنفسكم

فالحق يقول لك انه تعالي جعل لكل شي سنن توصل إليها فهو تعالي يقول في موضع آخر (ولن تجد لسنه الله تبديلا)

ولهذا يقول لك اذا اردت القرب من رحمه الله فعليك أن تكون محسن في عملك فهذا هو السبب في قرب الرحمه منكم الرحمه التي تجعلك محاطا برعايه الله وعنايته وهذه الرحمه هي الخاصه التي يرزقها الله أولياءه

فاداه التقرب الي رحمه الله هي الاحسان وبالتالي فمن تباعد عن الاحسان تباعد الله عنه فالله يحب المحسنين ومن احبه الله فرحمته اقرب شي منه ومن ابغضه الله فرحمته ابعد شي منه والإحسان ههنا هو فعل المأمور به سواء كان إحسانا الي الناس أو الي نفسه وأعظم الاحسان التوحيد فمن احسن في عبادته نال رحمته ومن احسن الدعاء نال القرب منه فقد ورد في الحديث (أن الله كتب الاحسان في كل شي فإذا قتلتم فاحسنوا القتله واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحه ....الخ

فمن أحب الله احب الخلوه به والتنعم بمناجاته ومن شعر بوجود الله كان حريصا علي أن لايراه الله في ما يكره أن يراه فيه

ومن أحب الشي ورجاء حصوله لابد أن يتهيا بالاستعداد للقيام بما يوصوله الي محبوبه ومطلوبه لابد أن تتحول الرغبه الي اراده وإصرار مشفوعا بعمل تنفيذي يهدف إلي تحقيقه والا كانت تلك الرغبه مجرد امنيه فالله يقول في موضع آخر (ولو اردوا الخروج لاعدوا له عده)

والخلاصه:-

أن الايه تدعوا الي أن تمارس عقيده التوحيد دورها وفاعليتها وقوتها الايجابيه وتأثيرها الاجتماعي باعاده خلق المجتمع من جديد علي الصوره التي يريدها الله تعالي لعباده فالسوره نزلت مع بدايه الجهر بالدعوه ولهذا كانوا بحاجه الي الطاقه والنشاط وعدم التوقف في منتصف الطريق ولذلك يقول الحق (أن رحمت الله قريب من المحسنين)

فمقام الاحسان هو الذي يحتاجه الإنسان هو الذي يعطي للعقيده فاعليتها الايجابيه ودورها تأثيرها فبعد أن عرف وجود الله كان لابد لتحقيق فاعليه العقيده أن تشعروا بوجود الله وان تمتلئ قلوبكم به لتكون هي الطاقه التي تحدث التغيير في الحياه

ولهذا بعد قوله ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا) يقول الحق (أن رحمه الله قريب من المحسنين)

فالاحسأن أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فما هي الرويه ؟

تراه اجلالا ومحبه وتعظيما ومهابه وحياء وخشيه ولهذا فإن فإن عملك متصلا بالجهد الفكري فأنت تهدف من العمل الوصول إلي رحمه الله فاخبرنا الله أن طلب رحمته تكون بإحسان العمل بأن تقصد به وجه الله تعالي وان تثق بالله وتحسن الظن به تعالي وتخاف عاقبه الخروج عن طاعته فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الرحمه يوم خلقها مائه رحمه فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمه وأرسل في خلقه كلهم رحمه واحده فلو يعلم الكافر لكل الذي عند الله من الرحمه لم ييأس من الجنه ولو يعلم المومن لكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار)

ولهذا فإن الخوف والرجاء اهم مقامات الايمان والإحسان لانه يحفظ توزان المومن وانضباط تطلعه وتفاوله وحركته فلا يكون متشاوما ولا يكون هنالك تفريط ولهذا فإن حسن الظن بالله تعني الثبات علي الإيمان فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم مالم يقول دعوت فلم يستجاب لي)وهذا يمثل أهم مبادئ وقيم ايجابيه الفاعليه الوسيطيه والاعتدال

فلا يكون التشاوم واستعجال الاجابه سببا للتباعد عن رحمه الله فالله سبحانه وتعالى اعلم بما ينفعك فقد ورد في عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الجنه اقرب الي احدكم من شرك نعله والنار كذلك)

فتكون حركتك وافعالك كلها تتوجه الي الله وبقصد طلب رضاءه اي رحمته وجنته وبرغبه ناتجه عن محبته تعالي بالشعور بوجوده فتمتلي النفوس به كمصدر طاقه وتغيير النفس بتمكينها من تجاوز وضعها فيكون تحررها من السكون له أثرا إيجابيا في الحياه حركه ناتجه عن الاتصال بالله فهذه الصله هي التي تمده بالفاعليه في مختلف انشاطته وتحكمها

ثالثا

(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتي لعلكم تذكرون)

وبالوقوف علي الايه نجد فيها الآتي

المبحث الأول

يخبرنا الحق عن اياته الكونيه التي تدل علي اثار ربوبيته وأنه تعالي فعال لما يريد فقال تعالي (وهو الذي يرسل الرياح.)

يعني عليك عندما تفكر بالله أن تنتقل من مشاهده اداله وجوده الي الاحساس بوجوده تعالي فهو الذي له التأثير علي الاشياء كلها

ولهذا استعمل الضمير (وهوالذي) يعود علي الله اي انه تعالي القوي الذي يقف وراء خلق هذا الكون فهو الذي يتصرف فيه ويدبره فإذا عرفت أنه تعالي الخالق والمالك للكون فاعلم أنه المتصرف به فكل ما في الكون من صنع الله وهو الذي يرسل الرياح وينشي السحاب وينزل الأمطار وبالتالي فلا ينبغي أن تلجاء الي رب غير الله فهو القادر وبيده الأسباب ومقاليد كل شي وتضمنت الايه عطاء الله من ارسال الرياح ...وانشاء السحاب ...وانزال الأمطار ..وأحياء الأرض الميته ..وإخراج النبات وان ذلك يدل علي أنه لم يخلق كل هذا الكون عبثا وأنه مثلما اخراج النبات من الماء سوف يبعث الناس الي الحياه بعد الموت وجاء التعقيب (لعلكم تذكرون)

لأن الإنسان ينسي انه يعيش فوق أرض خلقها الله ويتنفس هواء صنعه الله ويشرب مياها انزلها الله وياكل مما صنعته يد الله وتكلاه عنايه الله ويعيش علي نعم ساقها الله إليه

والسوال الأول الذي ينبغي أن تطرحه علي نفسك ؟

من هو المسئول عن الهواء أو المياه أو نبات الأرض أو حيوانه

هل يوجد احد يدعي أنه مالك لشئ من ذلك أو ساهم في صنعه أو إيجاده ابتداء هل يوجد لأحد ملك فيه ؟

الجواب من الموكد أنه لايوجد لأحد اي ملك لابشر ولاملائكه ولا أنبياء فجميع المخلوقات تعيش وسط جواء لاتملك منه شي ولم تخلق منه شي

وحياه الإنسان شاهده علي هذا هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا هواء أو ماء او طعام ..فان هذه الأشياء الثلاثه من خلق الله وجهد الإ نسان فيها معدوم والتحكم فيها يتم بأمر الله تعالي فقال تعالي (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته .....الخ

وهذا فيه

الأمر الأول

يعني التحكم في هذا كله(الهواء والماء والطعام) يتم بأمر الله تعالى....وان جهد البشر فيه معدوم فكيف يتم هذا يقول الحق انظر الي

المبحث الثاني

تتحدث الآيات عن آيات الله الكونيه التي تحرك بواعث الفطره لتتذكر ربها وتستيقظ من غفلتها حيث وبالوقوف علي الاعجاز العلمي وا لأسلوب البلاغي الذي تحدثت النصوص فيه عن الحقائق التي تناولتها النصوص تظهر المعجزات جليا للقارئ وان القران كلام الله ولايمكن لبشر أن يتحدث عن هذه الحقائق قبل الف وأربعمائة عام

الأمر الأول

(ماالفرق بين الرياح والريح)

يقول الله تعالي (يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته)

وهنالك قراءه أخري (وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته)

فالرياح هي الهواء فهذا الهواء من عطاء الله وآياته انظر الي هذا العطاء فأنت تحتاج إليه لانك تتنفس الهواء ولايستطيع اي مخلوق يدعي أنه مالك مع الله للهواء هو تعالي اوجده لمنفعه الإنسان فاول نعمه يستنشقها الإنسان هو الهواء

وهي نعمه يبلغ من كثرتها أنها صارت شفافه لاتري و من فرط ما يتنفس الإنسان لايحس أنه يتنفس ويمشي من خلاله ولاتحس به برغم وجوده

فمتي يراه الإنسان ويحس به ؟

عندما يتحرك حركه لطيفه تحدث لك انتعاش كما هو الحال عندما تمر في الفجر بالذات في مناطق الازهار والورود حيث انك تشم رائحه الازهار مع نسمات الهواء اللطيفه التي تجعلك تنتعش فما الحركه التي تفعلها تستنشق الهواء وتأخذ نفس عميق طالبا نسيم العليل فهذا من نعم الله تعالي

وكذلك إذا كان الجو حارا فتفتح نافذتك فعندما تهب رياح لطيفه تنتعش وتشعر أنك في انتعاش فتقول نسمات لاتقدر بثمن وفالهواء يتحرك ولهذا لما يسكن الهواء تحس بالضيق فتقول انا مختنق

فالهواء يتحرك وله سرعه فهو جزء من الأرض ويتحرك معها لانه لو لم يتحرك معها لكان دورن الأرض سببا لتدمير الأرض بالرياح فأنت لو أخرجت يدك من نافذه السياره وهي مسرع تجد أن الريح تدفع يدك للخلف لانك تحركت والرياح ثابته وهكذا الحال لو الأرض تتحرك والريح ثابته

ولهذا فإن سرعه الرياح هي التي تحدد نوع هذه الريح هل هي ريح عذاب ام نعمه فالله يقول (فيرسل عليكم قاصفا)

اي ريح تحطم كل ما تقابله وقال تعالي في موضع آخر (ريح صرصراعاتيه)

فالسرعه التي تصاحب حركه الرياح هي التي تحدد هل هي ريح عذاب ام رياح رحمه فمن الذي يتحكم في سرعه الرياح هل للبشر جهد في ذلك ؟

الجواب لا وانما هو بتقدير الهي وبامره تعالي وبالتالي فإن اللازم الشعور بوجود الله ولهذا فإن الواجب عند مشاهده الرياح علي المسلم أن تلجأ الي الله بالتسبيح والاستغفار والدعاء كما ورد عن عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذ ا راي مخيله في السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فإذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عائشه ذلك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما ادري لعله كما قال تعالي (فلما رواه عارضا مستقبل اوديتهم ...الخ

فالواجب أن تتذكر ما حل بالامم السابقه عند مشاهده هذه الايه وتحذر أن تسير في سبيلهم خشيه الوقوع فيما وقعوا فيه وهذا مرتبط بـ الخوف والرجاء فمقام الخوف يقتضي غلبه عدم الأمن من مكر الله فحديث عائشه فيه ايحاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يواظب علي وأنه من صنيعه فقالت كان إذ ا راي فعل فرؤيه السحاب التي يخال فيها مطر بشري للناس بقدوم المطر لانها فيها الحياه للإ نسان والأرض والحيوان والنبات وهي نعمه من الله امتن بها وجعلها من أسباب الثواب علي الاستقامه للدول التي تحكم بشرع الله حيث يوفر لها مصادر الدخل ويقوي اقتصادها فقال تعالي (وان لو استقاموا علي الطريقه لاسقيناهم ماء غدقا)

وهنالك من قرأ (وهو الذي يرسل الرياح نشرا) اي رياح متفرقه اي من كل جانب ومهب وناحيه حيث أنها تقوم بجمع السحاب من كل جهه فتحمل الماء فتلقح السحاب وتمر به فتدره كما تدر اللقحه ثم تمطر فهي حامل بعكس ريح العذاب فهي تهب من الارض الي السماء كعمود فيه نار ووصفت أنها ريح عقيم فتكون بارده ومدمره ولهذا فإنه من خلال التفكر في حركه الرياح نهتدي الي رويه رحمه الله وعظمته وجلاله وكماله سبحانه وتعالى حيث نشاهد أنه يرسل الرياح بتقدير دقيق لسرعتها لأنها لو زدت فإنها تكون مدمره وتشكل خطراً علي الإنسان

الأمر الثاني

يدعوك الي أن تتفكر بنعمه الهواء ودوره كوسيط والذي يتضح من الآتي :ـ

انت في الصيف تحتاج إلي مكيف بالذات في المناطق الحاره فما الذي تفعله تقوم بتشغيل المكيف الهوائي ؟ فما هو دور هذا المكيف ؟

دور هذا المكيف أنه يبرد الهواء ..وكذلك في المناطق البارده في الشتاء تحتاج إلي تدفيئه المكان فما الذي تفعله تشغل المدفاءه وهي تقوم بتدفئه الهواء وهذا ما يستطيع الإنسان أن يقوم به بالتحكم في هواء غرفته عن طريق تبريده أو تسخينه لكن هل يستطيع الإنسان التحكم في الغلاف الهوائي حول الكره الارضيه أن ذلك أمر خارج طاقه الإنسان

ولهذا فإن علي الإنسان أن ينظر إلي من يتحكم في هذه النعمه فسوف يري انه يتم بأمر الله وان جهد الإنسان معدوم

كذلك فإن وسائل الاتصال والإعلام والتواصل الاجتماعي كلها تتم عبر الهواء

كذلك فإن الإنسان يتنفس الهواء الاكسجين ويخرج ثاني أكسيد الكربون الذي لايصلح للتنفس فمن يتنفس ثاني أكسيد الكربون يختنق ويموت ...ولهذا فإن عليك أن تتفكر وتسال نفسك اين يذهب ثاني أكسيد الكربون الناتج عن عمليه الشهيق والزفير وعن الصناعات و السيارات والمعدات والمصانع كيف لانصاب بالاختناق فالتجديد للهواء الاكسجين أمر في غايه الاهميه لاستمرار الحياه فقد رأينا كيف أن أطفالا ماتوا اختناق لأن والدهم تركهم داخل سيارته واغلق النوافذ فيها

أن التجديد للاكسجين يتم من خلال الرياح التي تهب حيث أن ثاني أكسيد الكربون يطفوا ويصعد الي السحاب مع ذرات بخار الماء فمن الذي ارسل الرياح التي حملت ثاني أكسيد الكربون لأجل تجديد الاكسجين ؟

الأمر الثالث

(علاقه الهواء بالماء)

لولا هذه العلاقه لما وجدت الحياه علي وجه الارض فإذا كان الماء فيه الحياه فإن الهواء عنصر اساسي لوجود الماء فتوزيع المياه علي سطح الأرض يتم نتيجه دوران الأرض وتبخر مياه المحيطات والبحار وسقوط الأمطار وتكوين الأنهار وأما دور الهواء فهذا يرتبط بعده عوامل أهمها (درجه الكثافه ...والضغط)

والكثافه مختلفه من عنصر لآخر فمن كثافته اكبر يرسوا بداخل الماء ومن كانت كثافته أقل يطفوا ولهذا نجد أن الاسفنج والخشب يطفوا فوق سطح الماء لأن كثافته أقل مهما كان حجمه بعكس الحديد فإن قطعه صغيره منه ترسوا بداخله نتيجه الكثافه

فالماء يتصف بوحده الكثافه أما الهواء فهو غاز وكثافته تختلف من مكان لآخر فالهواء في المناطق الحاره مخلخل وكثافته قليله وفي المنطقة الباردة فضغطه كثيف وعال والهواء في الضغط المرتفع يتحرك الي الضغط المنخفض ولهذا فإن ضغط القطبيه كثيف جدا وضغطه عال جدا من ضغط من خط الاستواء لانه ممدد ومنخفض نتيجه الحراره ولهذا فإن هبوب الرياح من مناطق الضغط المرتفع الي مناطق الضغط المنخفض (الحاره) يودي الي حمل الهواء بخار الماء الصاعد من البحار والمحيطات بفعل حراره الشمس أثناء دوران الأ رض حيث يتحول الماء الي غاز فتقل كثافته ويصعد للاعلي تحمله الرياح فيكون هذا الهواء حامل بخار الماء ولهذا يقال درجه الرطوبه كذا. وعندها تتكون السحب نتيجه بردوه الهواء فتصل لدرجه النداء . عندها تطفوا و يصير بخار ماء حتي إذا وصل لدرجه التشبع فتقل قدرته علي حملها عندها تتحول إلي قطرات ماء سائل أو بلورات ثلجيه حسب درجه الحراره في تلك المنطقه

ومن هنا نفهم(ماذا تعني كلمه السحاب ولماذا سميت بهذا الاسم)

فهي كما عرفنا مجموعه من قطرات الماء أو بلورات الجليد أو كليهما معاً يترواح حجمها مابين تطفوا في الجو علي ارتفاعات مختلفه وفقا لكثافته والمواد التي تصعد معه حيث نجد أن بخار الماء يحتوي علي مواد سائله واملاح ومواد ضاره وغازات تنبعث من الأرض مثل ثاني أكسيد الكربون والاوزان وهذه السحاب انواع منها الطبقيه ..وركاميه ...ورقيقه بحسب الارتفاع التي تطفوا فيها وقد ذكرت في تسع مواضع في القران وسميت بهذا الاسم ؛_

لانسحابه في الهواء حيث تقوم الرياح بسحب هذه السحاب الي حيث أراد الله تعالي

والسحاب ذكرت في القران (٩) مرات وهي انواع الطبقية وهي التي تكون في مناطق مرتفعه ...الركاميه ..والرقيقه ....وهنالك اسماء أخري

ماذا تعني (السحاب الثقال) سميت بهذا لكثره مافيها من مياه

هي السحاب القريبه من سطح الأرض حيث يكون تكوينه في طبقات الجو السفلي وتتكثف قطرات الماء الذي في السحاب ويزداد حجمها حيث تجمع بينها الريح وتسوقها الي المكان الذي يريد الله

والسوال من الذي يتحكم في كل ذلك هل للإنسان جهد بشري في تلك العمليه

اليس الله تعالي ثم إن دوره حركه المياه وصعودها الي السماء حيث يكون تخليصها من الشوائب والاملاح ليكون ماء عذبا طهور ا يدل علي قدره الخالق وأنه لايعجزه شي فهو قادر علي اعادتكم الي الحياه بعد الموت مثلما يخرج النبات من الأرض القاحله بعد نزول المطر

المبحث الثاني

يريد الحق منك أن تنظر الي تكوين السحاب ونزول الأمطار ففي ذلك اصل دوره الحياه علي الارض لأن المياه اصل الحياه وبالتالي فإن السوال من انزل الماء من السماء ومن الذي يتحكم في السحاب وتكوينها من أجل انبات الأرض وتكوين الأنهار ؟

يريدك أن تري انعام الله ورعايته وعنايته ولطفه وقدرته وكماله وعظمته وجلاله وإحسانه سبحانه وتعالى

يقول لك ان الذي احي الأرض بالماء بعد موتها قادر علي اعادتكم للحياه فالله لم يخلقكم عبثا فهو تعالي لم يرتب عطاءه علي ايمان الإ نسان أو كفره

وانما جعل عطاءه للبر والفاجر في الدنيا لأن الدنيا ليست دار الجزء بل دار الابتلاء والامتحان وانما الجزاء في الاخره

وهو تعالي يريد توخيدا نابعا من ارداه حره فلم يريد أن يقهر الناس علي الإيمان ليكون الإنسان مسؤولا عن حريته في الاختيار وأنه تعالي سوف يعيدكم الي الحياه بعد الموت فقال تعالي (فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتي لعلكم تذكرون)

وهو يتوجه الي الفطره يذكرها بما هو معلوم لها من العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري كي تعود إلي الصواب يريد منك أن تنظر إلي ما خلق الله فتذكر قدرة الله علي اعاده الإنسان للحياه بعد الموت تذكر انعام الله ورعايته وعنايته ولطفه وإحسانه

فالانسان ينسي انه يعيش في أرض خلقها الله ويتنفس من هواء صنعه الله ويشرب مياها انزلها الله وياكل مما صنعته يد الله ويعيش علي نعم ساقها الله تعالي فلا يزعم أحد انه مسؤول عن الهواء أو الماء أو نبات الأرض لايزعم أنه خلق شئيا منها أو ساهم في صنعه أو إيجاده ابتداء فلا يملك أحد مثقال ذرة لافي السموات ولافي الأرض فالملكيه منعدمه فلا ملكيه لأحد من مخلوقاته لا ملكا مقربا ولانبيا ولاصالحا ولامومنا ولافاجر

ولهذا يلفت الله انتباه المخاطبين الي تذكر هذه النعم الثلاثه (الماء والهواء والأكل)

فالانسان لايستطيع أن يعيش بدون ماء او طعام أو هواء فهو يموت إن لم يأكل والطعام إنما يخرج من الأرض فإذا انقطع عنها الماء وتصحرت أو غرقت بمياه البحر المالحه فإن الإنسان لايملك إلا أن يفر منها طالبا ارض صالحه للزراعه وكذلك فإن انعدام الماء يعني انعدام الحياه وكذلك الهواء

عليك أن تتذكر انك تعيش انت وجميع الخلائق وسط جوا لاتملك منه شئيا ولم تخلق منه شيئا فاذا كانت هذه العناصر الثلاثه من خلق الله والتحكم فيها يتم بأمر الله وجهد البشر معدوم

فاللازم أن تدرك أنك تعيش معتمدا في أساس حياتك علي نعمه الله فأراد بهذا أن يغزو أعماق النفس الداخليه لتشعر ان مصدر جميع النعم واصل كل خير هو سبحانه وتعالى المتفضل ابتداء...وانتهاء وان رحمته تعالي تسبق عدله فهو اعطي المومن والكافر

المبحث الثالث

تستمر النصوص بعرض ايات الله والأمثلة التقريبه التي تعرضها للناس في إطار الدعوه الي معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته فقال تعالي

(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الانكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)

تشبه النصوص العقول والقلوب بالأرض فالارض نوعان ذات تربه خصبه اذا أصابها وابل فإنها تخرج الثمار وهناك ارض قاحله جدباء لا ينفعها هطول الأمطار وان كانت غزيره فلا تنبت الثمار

فالايات تبين أن الوحي والايات النازل من السماء بالنسبه للعقول والقلوب هو بمنزله الماء السماوي الذي فيه الرحمه بالنسبه للأرض

ولهذا فإن العقول الطيبه تنمو وتزداد بمجي الوحي والايات المرئيه والمسموعة فيخرج ثماره مثل الارض الطيبه التي تنبت الثمار بنزول الماء من السماء

والمراد بهذا تصوير اثر الوحي عندما تكون القلوب قابله لاستقبال انوار الله فإن ثمره الادله والايات الاقتناع الذي ينتج عنه الإيمان ب اليقين

فالعقل مثل الارض إذا انقطع عنه الماء السماوي يجف تدريجيا حتي يصبح العقلاء بلا عقول جهلاء هكذا هو حال الأمم عند انقطاع الوحي عن أي امه مثلما أن انقطاع الماء عن الأرض يعني أن تفسد الأرض نتيجه الانقطاع الطويل حتي تصبح ارض قاحله

كما أن الماء مهم لازاله وتطهير الأرض من الاوساخ والمواد الضاره التي فيها وتزويد الأرض بما تحتاج من الماء الذي يزود التربه بالغذاء اللازم ويحدث اهتزاز الشحنات الكهربائيه الموجبه والسالبه فيخرج بها النبات أما إذا كانت الأرض بور فإنها لاتنتفع بالماء

وكذلك فإن العقول اذا انقطع عنها الوحي تفسد وتترسخ الأفكار الباطله نتيجه اختلاط الشوائب والله جعل خضره الأرض متوقف علي عاملين هطول الأمطار وخصوبه التربه

وكذلك جعل قدره العقول علي الإدراك والفهم متوقف علي معرفه الوحي وسلامه القلب من الاوساخ بحيث يكون الاتصال بالله ومعرفته بمراده تعالي منبت لافكار الايمان بحيث يكون مركز اهتمام المسلم ومشاعره وتوجهاته وانفعالاته كلها تدور حول فكره الإله الحق القادر الحكيم المنعم في كل أمر وشأن من شؤون حياتك وبذلك تتخلص من العجز والالالم التي يعاني منها ضعاف العقول عندها تنتفع بمعرفه الوحي أما من كان عقله متصحر فإنه لاينتفع بمعرفه الوحي مثله مثل الارض الخبيثه والعياذ بالله

فالمعرفه تقود الي الايمان والشكر لله والطاعه فهذه المعرفه هي التي تحدث المنفعه بنعمه الوحي أما الجاحد فلا تنفعه المعرفه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع السادس

الاعراف

ابتدأت ايات هذا المقطع بقوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا) فيها القسم (لقد)وحرف تحقيق بحرف التوقع الذي يطرق إذن السامع يخبرنا الله بسنته في ارسال الرسل أنه رحمه للعالمين اي أن كل رسول يأتي برحمه من الله ولهذا أضاف الضمير (أرسلنا) وعطف عليها بذكر قصه ارسال هود الي عاد (والي عاد) والي ثمود..ولوطا ..والي مدين فتناولت قصص خمسه أنبياء مع اقوامهم هم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط فذكرت ما كان من كل نبي ومعالم ما دعوا إليه ومواقف اقوامهم وهذه القصص قد ذكرت في أكثر من موضع في القران الكريم و قد يقول قائل ما الداعي الي هذا التكرر لهذه القصص ..ولهذا فإن عليك أن تفهم

أن كل قصه تذكر في موضع فإنها تخدم فكره فنجد أن السوره الفلانيه ياتي الحق فيها بلفظه ليخدم موقف وفكره تتحدث عنه السوره ويأتي بلفظه في سوره أخري لتخدم موقفا وفكره أخري وهذا من بلاغه القران ويتضح من خلال الآتي

اولا

عندما نقف علي زمن نزول السوره هنا ندرك أن لها أهداف واغراض مختلفه عن بقيه السور الأخري فقد نزلت في مرحله مهمه من حياه امه الاسلام مرحله فيها انتقال وتحول لأمر الدعوه من السريه الي الدعوه الجهريه و لهذا فإن هذه التحولات تحتاج إلي اعاده ترتيب أوضاع الطليعه من المومنين ليكونوا قادرين علي التعامل مع هذه التحولات الجديدة في عمل الجماعه الاسلاميه فالدعوه الي الله تحتاج إلي فقه التعامل مع هذه التحولات ليكون إنجاح مشروع الدعوه الي الله في المجتمع علي الوجه المسند المتصل بالكتاب والسنه النبويه .ولهذا فإنه بالوقوف علي ذلك نجد ...لأن انعدام فقه الدعوه للمرحله وما فيها من تحولات تفسد علاقه الداعي والعالم بـ المجتمعات

ولهذا فإن عليك أن تدرك أن فقه الدعوه يأتي في الترتيب الشرعي لمجري التحولات سابقا لعلم الاصوال ومرحله التدوين لماذا؟

لأن انعدام فقه الدعوه للمرحله وما فيها من تحولات تفسد علاقه الداعي والعالم بالمجتمعات ..

فالمشكله التحولات في كل العهود بالنظر الي صفحات التاريخ ليست في عجز الشعوب بالتعامل مع هذه الاطراد المتغيره وانما يعود إلي غياب النموذج وغياب المنهج وليست المشكله في عجز الشعوب فالامه بحاجه الي النموذج الذي تلتف حوله طاقاتها النموذج الذي يمثل قدوه عمليه الإسهام في حمل المشروع والتقدم وفي غياب المنهج والنموذج يتحول نظام الحكم الي سلطه تنفير للطاقات ويفتح المجال بل يعرض المجال للتفكير بالبديل الخاطئ وعندما ينصرف المومن الي البديل فإنه بذلك يستبدل به كل شي ولهذا نجد أن الامه عندما امنت بـ العقيده وقامت القدوه اي النموذج أسست الدوله واقامت الحضاره الاسلاميه العريقه وعندما غاب النموذج الذي تحول الي ملك عضوض انهارت الحضاره الاسلاميه فالتحولات في حياه الأمم تمثل نقطه فارقه في حياتها أما أن تحصل النهضه والتقدم وأما أن يكون الانهيار والضياع ولهذا كان ترتيب فقه الدعوه سابقا لعلم الاصوال

ومرحله التدوين ونجد أن هذا المنهج يرتكز علي عاملين

١/فقه الدعوه الكتاب والسنة ٢/ فقه الداعي الاخلاق النبويه والاستقامة ويتحقق ذلك من خلال دليل العمل و التعامل مع اطراد الحياه وتحولاتها وهو القرآن الكريم الذي فيه الاداله والنماذج الإرشادية التي تحتوي علي دليل فقه الدعوه

(ادعوا الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي احسن)

وعلي دليل فقه الداعي(لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنه لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)

ولهذا فإن هذا يعني اهميه التسلسل الأبوي يقوم علي أساسه الاقتداء والاتباع (سنه المواقف)

بأنه يقوم علي أساس الايمان فلم تذكر النصوص نسب نوح ولا تاريخ رسالته ولا نسب هود ولا صالح ....الخ

ولهذا فإن الامه في هذه التحولات تحتاج إلي نماذج تخدم فقه الدعوه في دراسه التحولات تحتاج إلي تفسير وقراءه الأحداث في مجال الخير والشر والتعامل معها ومعالجتها واستدراكها والقدره علي تجاوزها فهي بحاجه الي فهم السنن التي تحكم الوقائع والأحداث حتي تستطيع تحليل الازمه وتفكيكها وهذا لايحدث الا باكتشاف الأ سباب والسنن التي تنشئ الظواهر من خلال الاحاطه بعلم الشي وتقدير العواقب والمالات وبما يحقق العبره التاريخيه فيضع كل شي في محله قبل اي شي فأنت عند التحولات تحتاج إلي نماذج الاقتداء التي تجمع الطاقات لتحقيق الأهداف

فأنت بحاجه الي القدوه العمليه التطبيقيه للنصوص لترشدك علي كيفيه التعامل مع هذه التحولات ...ترشدك الي كيفيه تحويل المحنه الي منحه فلا تضعف أمام التحولات

ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بقوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا الي قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملاء من قومه إنا لنرك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلاله ولكني رسول من رب العالمين ابلغلكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله مالاتعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين)

الأمر الأول

فلم تذكر ايان من النصوص نسب نوح عليه السلام ولا عمره ولا مده بقاءه بعد الطوفان ولا مده بقاءه قبل البعثه وحددت مده

قياده بالدعوه بانه استمر الف سنه الاخمسين عام يدعو إلي الله تعالي وذهب البعض للقول إنه يصل نسبة الي ادريس وذكر ابن كثير. تسلسل طويل لكن هذا القول لايستند الي دليل

ولهذا نفهم أن اول درس يعلمنا الحق أن علينا أن نفهم أن ذكر القصص ليست لغرض التباهي بالانساب وانما تهدف إلي دراسه نماذج لمسيره الدعوه الي الله فالله لم يذكر نسب أحد او تاريخ رسالته الا لغرض يخدم

مصلحة الايمان فذكر أن يحي ابن زكريا لان ولادته معجزه ونسب عيسي الي مريم لذات السبب وكذلك ذكر أن اب ابراهيم ازر لاخبارنا أن تسلسل الاتصال الذي ينتسب إليه المومنون هو الايمان ومدرسه الخير فذكر نسب الا نبياء ليس من أغراض القران وان دور المومن ينظر إليهم أنهم أسلافه وان عليه أن ينظر في دعوه كل نبي و المعالم التي يستفيد منها في رحله بحثه فيها يقوم بدراسه الأسباب والمسببات التي تنشئ الظواهر والاحاطه بعلم تلك الأشياء وتقدير العواقب والمالات وبما يحقق العبره التاريخيه فيضع كل شي في محله ولعل إدراك ذلك يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الأرض بل هي مفتاح معرفه قصه الإنسان علي الأرض منذو بدء الخلق حتي ينشأ الله الاخره

فقد خلق الله الإنسان ليكون خليفه لله لعبادته و لتعمير الأرض ولهذا فإن الإنسان يحتاج الي العلم والي المنهج الذي يعبد الله فيه ليعرف ما يفعل و ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا الي قومه)

وفي هذه الآيات تلخيص قصه نوح عليه السلام في إطار الحديث عن سنه الله في ارسال الرسل لبيان ان موكب الرسل هو رحمه من الله فالرسول صلي الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل يقول الحق أن كل رسول يأتي برحمه من الله فكان هذا مناسبا لما تحدثت عنه النصوص في المقطع السابق وليس كما زعم البعض أن ايات هذا المقطع مفصوله عن الآيات التي قبلها فصلا بيانيا

فإن هذا قول خاطئ لأن السوره ابتدأت بذكر قصه ادم ومافي ذلك من بيان التمكين له بتسخير الكون لخدمه الإ نسان حيث أنه تعالي علم ادم الاسماء ...ثم جاء المنهج الرباني الذي فيه أوامر الله ونواهيه لتنظيم حركه الإ نسان وحياته وخلافته علي الارض

حيث أن رحمه الله اقتضت ارسال الرسل فلم يوكل لادم نقل الدين لاولاده بما علمه الله وأن يقوم الأبناء بنقل الدين الي أبناءهم جيلا بعد جيل فهذا هو المفترض ولكن نظرا لأن مهمه الدين فيها تنظيم الحياه والحركه و النفس لاتقبل مافيه قيد اهواها وشهواتها ولهذا فإن الأبناء الذين سمعوا من ادم ومن بعدهم من ذريته بعد أن يتناسون أوامر الله حتي تصاب بالغفله نتيجه تعاقب الأجيال ولهذا نجد أن الايات ورد فيها اربع نداءت يابني ادم واهمها قوله تعالي (أما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي...الخ فالرسل يرسلهم الله لنقل تعاليم الي خلقه ولو ظل الناس محافظين علي المنهج كما انزله الله لما احتاجوا الي الرسل ولهذا يأتي كل رسول لتذكير الناس بما نسوا ثم ينسي الناس وبعد فتره يرسل الله الرسل فيبعث الله الرسل في كل زمان ومكان والهدف من ذلك أن يكون المنهج الرباني هو الذي ينظم حياه الناس ولتذكير الناس

وايقاظ الفطره لأن العقول اذا انقطع عنها الوحي فإنها تصاب بالجفاف والتصحر مثل الأرض التي يجف عنها الماء ولهذا ذكر ت النصوص الادله العقليه الكونيه الشاهده علي الوهيه الله وربوبيته وتوحيده ثم اشارت الي بعض مظاهر ربوبيته تعالي ومنها انزال المطر من السماء و أن استقبال الأرض للماء انواع فمنها أرضا خصبة يخرج منها النبات وارضا سبخه لايخرج منها نباتا فهكذا يكون الناس في استقبال القران كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (مثل ما يعطني الله من الهدي والعلم كمثل غيثا أصاب أرضا فكانت منها طائفه خصبه قبلت الماء فانبنت الكلاء والعشب الكثير وكان منها اجادب اسكنت الماء ....الخ

فقد شبه العقل البشري بالأرض كما قلنا فالعقل السليم يقبل الحق ويوتي ثماره أما العقل الفاسد الذي انطمست معالمه فلا ينتفع بالوحي وهولاء سوف يقفون في وجه الدعوه ولايستجبون لنداء الفطره ولهذا فإن عرض

قصص الانبياء الخمسه فيه تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنون يقول لهم الحق أن نوح عليه السلام ظل الف عام الاخمسين يدعو الناس الي دين الله لم يتوقف رغم عدم استجابه قومه له إلا عدد قليل طيله تلك المده الطويله ومع ذلك استمر نوح في دعوته ويوجهه الأعداء وفي ذلك تسليه للرسول صلى الله عليه وسلم و المومنون الذين كانوا يجدون قله النصراء من المسلمين يقول لهم اياكم أن تصابوا بالياس فتنسحبوا عن حمل مشروع الدعوه لعدم استجابه اهل مكه ولهذا جاء بعدها ذكر قصص الانبياء (لقد أرسلنا نوحا)

الأمر الثاني

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا)

وهذه الصيغه ذكرت في سوره الاعراف وهود والمومنون والعنكبوت والحديد واخبر في سوره نوح انا أرسلنا نوحا..و

هذا التعبير بهذه الصيغه تهدف إلي تزويد الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون بالطاقه والنشاط في الدعوه الي الله وحشد لذلك الموثرات التي تحرك قوه الدفع نحو القيام بحمل الدعوه ومواجهه التحديات حيث استعمل القسم الذي تضمن حرف التوقع قد وهو فيه التشوق لسامع الخبر لما يغرسه القسم واللام الموطئه للقسم من التوقع الباعث علي ذلك فالايات توحي أن المسلمون كانوا في ازمه ولهذا فهم بحاجه الي تجاوز هذه الازمه فماهي هذه الازمه؟

أنها تكذيب مشركي مكه بالدعوه واذيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حيث أنهم تمادوا في التكذيب فقالوا (اللهم أن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء)

ولهذا جاءت الآيات تسليه للرسول صلى الله عليه وسلم وتعليم امته بتاريخ الأمم التي قبلها من الأمم المرسل إليهم الرسل ليعلم المكذبون من العرب أنه لاغضاضه علي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من تكذيب المكذبين منهم فهذا الصراع ليس أمر جديدا فتلك هي طبيعه الكفار في كل زمان وتلك هي سنه الله وأكد هذا الخبر بلام الموطئه للقسم (لقد)

وحرف التحقيق لأن الغرض من الاخبار تنظير أحوال الامم المكذبه لرسلها بحال مشركي العرب من قريش في تكذيبهم

فالحق يريد أن تعلم أن الاحاطه بأسباب الازمه من شروط التأهيل للاستخلاف لصلتها الوثقي بمفهوم الاحاطه التي تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (وان دين الله لن ينصره الا من احاطه من جميع جوانبه)

ومقتضي هذا أن تكون وعيا بالسنن الكونيه والأحداث التاريخية والسنن التي تكونها فأراد الحق أن يزود النبي بـ المناعه اللازمه للصمود أمام التحديات

يريد الحق منك أن توطن نفسك علي حقيقه أن الصراع بين الحق والباطل أمر ازالي الي قيام الساعه

فالابتلاء لابد منه في الدعوه الي الله عليك أن تدرك أن مهمتك صعبه فعلي الداعيه أن يعرف ان طريقه ليس مفروشا بالورود فلابد من الاضطهاد وان الصراع مستمر فأنت مبتلي في مالك واهلك ودينك وكل علاقه مع أي إنسان تقوم علي هذه القاعده فالله يقول (ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم

مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتي يقول الرسول والذين آمنوا معه متي نصر الله إلا أن نصر الله قريب)

فالتمكين لابد أن يسبقه الابتلاء ولهذا فإن عليك أن تعتز بالحق ومن هنا نفهم ابتدأت الايه بقوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا الي قومه)

ولهذا نجد إسناد الارسال الي ضمير المعظم لنفسه أنه أرسل الرسل مما يدل علي عظمه المرسل وهو المتصف بـ الكمال والجمال والجلال يقول صاحب كتاب التفسير الموضوعي بهذا الشأن

فاول معلم من معالم الدعوه :_

الاستناد الي قوه القوي العزيز الذي اختار رسله وارسلهم الي اممهم وهذا العلم يجب أن يكون نورا هاديا للدعاه حين يستعلون بالحق الذي معهم فلا يضعف المومن ولايشعر بالانكسار ولاينهزم أمام التحديات فالمسلم لابد أن يكون عزيزا وتلك وسيلته للدعوه وهو الاعتزاز بالله وقد ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه قوله نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزه بغيره اذلنا الله

الأمر الثالث

و تعرض لنا قصص الانبياء و ترسم لنا رسم بياني للصراع عبر التاريخ بين الحق والباطل بعد أن سردت ايات المقطع السابق الادله العقليه الكونيه علي وحدانيه الله والوهيته وربوبيته

وأنه تعالي له الخلق والأمر مبينا ان الكون والحياه محكوم بسنن ونواميس تحكمه وتنظمه والإنسان بحاجه للتعامل وان والملاحظ أن الايات جاء فيها

المبحث الأول

أنها ركزت علي خمس حضارات أولها قوم نوح عليه السلام وعاد وثمود ومدين ووقوم لوط وجميع هذه الحضارات مسرح أحداثها حدثت في الجزيره العربيه التي انطلقت منها رساله الاسلام وبالذات حضاره ثمود وعاد ومدين وقوم لوط فلا خلاف أنها كانت في الجزيره العربيه وكذلك ذهب المورخون للقول إن قوم نوح كانوا يسكنون الجزيره العربيه وهذا التركيز عليها لأن هذه الحضارات كانت معروفه لدي العرب وآثارها ومعالمها في ارض جزيره العرب وترك الله آثارها لتكون ايه تخبر بعذاب الله فهو تعالي يقول (أن في ذلك لآيات وانا كنا لمبتلين)

والغرض من هذا العظه والعبره ولهذا نجد اضافه قوم نوح إليه

مع أنهم أهل الأرض كلهم كما ورد في حديث الشفاعه بالصحيحين عن أنس بأن نوح اول نبي بعثه الله الي أهل ا لأرض وفيهم القوه حيث لايخفي علي من تأمل آثارهم وعرف اخبارهم أنهم كانوا اقويا واشداء وقد انحرفوا ولهذا ذكر القصه مجرده من أدوات العطف وعطف عليها بذكر ارسال الرسل الآخرين وهذا فيه

١

التنبيه علي أن أصل الرسالات واحده وجميع الرسل متطابقون فيما يدعون إليه ولهذا نجد تكرار قوله تعالي (ياقوم أعبدوا الله)

أبلغكم رسالات ربي ...وفي الحجج أو عجتم أن جاءكم ...وفي تكذيب الكفار (انا لنراك في ضلال ...انا لنراك في سفاهه ...

٢

تبين النصوص أن سنه الله أن يرسل الرسل بلسان قومه وهذا فيه واقعيه الرساله لحصول التفاهم فلا يكون ما يدعوهم إليه غريبا فواقعيه الرساله هي التي تحدد نجاحها

٣

عليك أن تدرك أن خطاب الدعوه السريه الذي يعتمد علي دعوه من تثق باستجابتهم يختلف عن خطاب الدعوه الجهريه حيث يكون التوجه بالخطاب للكافه لايقتصر علي أفراد ولانخبه أو صفوه بل ينساح خطاب الدعوه الى الناس كافه جميعا ينطلقون بدعوتهم للجميع فالدعوه السريه مرحله لها ادواتها ووسائلها لأنها فرديه تنغلق علي الأ فراد ولاتتعدي الي الجماهير وهذه مرحله لها ظروفها أما الدعوه الجهريه يعني انبساط الخطاب للناس كلهم صيحه بالحق ونذاره وبشاره للخلق تهدف إلي استقطاب الجماهير للالتزام

بالحق واستهداءهم ليكونوا نصراء الدعوه يجدهم أهل الدعوه عند الحاجه فالاستقطاب الجماهيري يتطلب خطابا خاصا غير خطاب الأفراد وتتعين له وسائل معينه ترشده وتسعده وتوفقه وأساليب تزينه وتنجحه ولهذا كان هذا العرض للقصص مناسبا لمرحله الانتقال بالدعوه من السريه للجهريه

المبحث الثاني

تبين النصوص أن الصراع بين الحق والباطل مستمر الي قيام الساعه فسنه الله أن يكون للرسل والدعاه أعداء هم أما كافر يكذب الرساله ويوذي الرسول أو الداعيه وأما منافق مبغض وأما حاسد

فسنه الله التي يجب أن تكون حاضره امامك من لحظه التحاقك بالدعوه أن الحق لابد أن يقابله الباطل وهما يتوجدان في مكان واحد فلابد أن تجد من يقف في صف الباطل في الاسره والمجتمع والحي وأماكن العمل مثلما تجد أهل الحق لابد أن تواجه الأزمات والتحديات فهذه سنه الله فالحق لايقوي الا بالتحدي يقول الشيخ الكيلاني(أن في الله عزاء من كل مصيبه وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات ...يابني المصيبه ما جاءت لتهلك وانما جاءت لتمتحن صبرك وايمانك واعلم أنه لولا المصائب لبطر العبد وبغي وطغي فيحميه بها من ذلك ويطهره مما فيه ...الخ

فالمسلم عليه أن يوطن نفسه علي هذا الواقع ويتعامل معها من خلال الإدراك أنه في معركه الحق ضد الباطل وهي معركه ازاليه

فأنت ممتحن في كل شي في صحتك ومالك وجاهك وعلمك وكل شي

سوف تجد من يقف ضدك فيجب أن تومن أن الابتلاء أحد سنن الله في الأرض وأن دخول الجنه لايستحقها الا من قدم التضحيات عليك أن تنظر إلي النهايه لتري اين هي السعاده الابدايه فالابتلاء قبل التمكين فقد سال شخص الشافعي يامام اندعوا الله بالابتلاء ام التمكين فقال له لن تتمكن قبل أن تبتلي

المبحث الثالث

أن قوه المومن تكمن في ثباته علي الحق مهما كانت المتاعب فالحق يريد منك أن تكون شجاعا في عرض الدعوه فلا تخجل أن تعلن أمر الدعوه للناس نظرا لأن التحول في الدعوه من السريه الي الجهريه يجد فيه الداعيه صعوبه في اعلان دعوته وصعوبه في إقناع الناس بشخصه وبفكرته ولهذا نجد عطف جمله (فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

علي جمله (لقد أرسلنا نوحا الي قومه) (بالفاء)

وهذا فيه اشعار بأن ذلك القول صدر منه بفور إرساله فهي مضمون ما ارسل به وخاطب به نوح قومه كلهم لأن الدعوه تكون عامه

وقد جاء النداء منه (ياقوم) :

وهذا الأسلوب الذي ينبغي أن يسلكه كل داعيه لتكون للموعظه أثرها في النفوس فقد أراد نوح يستجلاب استجابتهم من خلال تذكيرهم برابطه القرابه التي تربطه بهم فأنت لابد أن تكون رقيقا في عرض نفسك وفكرتك التي تحملها لأن هذه المرحله الاولي في الدعوه (الاقناع بشخص الداعيه وفكرته) من اصعب المراحل في الدعوه ولهذا أضاف القوم الي ضميره للتحبيب والترقيق لاستجلاب هدايتهم ليغرس في نفوسهم أنه يريد لهم الخير ويشفق عليهم

كم نحن اليوم بحاجه الي أن يعرف من يدعي أنه يحمل مشروع الدعوه الي فهم هذه الحقيقه الجوهريه في عرض الدعوه علي الآخرين ...لأننا نري الكثيرون في عزله عن المجتمع لا يحاولون التقرب بهم فمن يتدين يترك الحديث مع أقاربه وأصدقائه لانه ينظر إليهم أنهم عصاه دون أن يتقرب منهم ويحاول اصلاح اعوجاجهم يصنع حواجز بينه وبينهم ثم يقول انني انصح الناس واخطب فيهم بالمسجد لكنهم لاينتفعون

الم تسأل نفسك ماهي الوسائل والأساليب التي استطيع ان اكسب ود الناس لأجل أن يقبلوا دعوتي لهم لطاعه الله وترك المعاصي

لماذا لاتقتحم الابواب المغلقه التي تقف حائلا بينك وبين الناس

فهذا نوح ظل ينادي قومه تسعمائة وخمسين عام ياقوم نوع أساليبه وقام بتجديد وتحديث الوسائل لم يغلق الباب علي نفسه في المسجد بل ذهب الي الأسواق التي يلتقي فيها الناس وعرض أمر الدعوه عليهم ذهب للانديه لم يقتصر بعرض دعوته في وقت محدد بل عرضها ليلا ونهارا وفي كل الأوقات لم يمل ولم يفتر وهكذا كان شأن بقيه الانبياء

أن من أهم المشاكل التي توجه أصحاب الدعوه اليوم هو في فهم الخطاب القرآني محل العطاء والاقتداء حيث نجد أن الكثيرون يتعاملون معه بقدر كبير من السذاجه والعمي فموصفات الخطاب لديهم لاتحقق الأهداف ولا تضع الشي في موضعه حيث اننا اصبحنا نسمع خطاب مستغربا موحشا خطاب منفرا طاردا بدل أن يكون مغريا وجاذبا وغير موثر ناتج عن سوء التصور وسوء الأداء ناتج عن قراءه القيم والمبادئ والمثل الاسلاميه بأدوات وابجديه خاطئه لاينظرون الي ازاليه الصراع بين الحق والباطل اضافه الي شيوع نزعات التحزب والانغلاق و

التمجيد للأشخاص علي حساب الفكره أنقلبت الأحزاب الي هدف بدل أن تكون وسيله الاتصال بالناس لأجل عرض الدعوه وأصبحت اسوار الأحزاب سبيلا مانعا من اتصال الناس بأقرب المقربين كما أن اللجوء إلي العمل السري

والاختفاء عن الأنظار والغياب المعلن عن الساحه كرس الانفصال عن جسم الامه وخطابها وتقديم نماذج الاقتداء لها ...وساهم هذا اضافه الي العزله التي فرضتها بعض الجماعات علي نفسها إلي وجود تصورات غامضه بعيدا عن أجواء الحوار والمناقشة والمناصحه وقد افرازات هذه الأحوال والظروف قيادات لاتعرف ما تتحدث عنه قيادات ذات آفاق ضيقه فقادت العمل بالمجازفه والاندفاعات الغير محسوبه وانتهت الي التشرذم وخروج جماعات تري سفك دماء العاملين في الحقل الاسلامي أمر مستباح وأنه يخدم الدعوه فشاهدنا من يدعي أنه محسوب علي اهل السنه يقتل الإسلاميين في ليبيا وشاهدنا جماعات محسوبه علي المتدنين وتزعم انها تحمل المشروع الرباني تشارك في اغتيال ائمه المساجد

والدعاه في عدن وشاهدنا قبل ذلك جماعات التطرف التي تنقل صوره قبيحه عن الإسلام من خلال ذبح وقتل العزل بدون سبب

شاهدنا من يصعد المنابر ليخدم اليهود من خلال التقليل من شأن المقاومه في فلسطين هذه المقاومه التي تدافع عن مقدسات المسلمين كل هذا

نحن بحاجه اليوم الي أن نفتح الابواب المغلقه لبعضنا البعض نتوجه الي الناس بالخطاب بالحكمه والموعظه الحسنة والدعوه بالتي هي أحسن وان نقنع الآخرين بالحوار والنقاش بأن ذلك فيه الخير لهم علينا أن نتجاوز حـ اله الانغلاق وان نختار الألفاظ والكلمات القادره علي إيصال الخطاب الديني الي شرائح أخري خارج نطاق جسمك الخاص ولهذا فإن اللازم علينا أن نستقري خطاب الانبياء لاقوامهم ومعاناتهم وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم الجامع لخطاب النبوه التاريخي فهو ثمرته وخلاصته لنخرج من عنق الزجاجة التي اوجدتها العقول المتازمه و الضيقه والتدبن المغشوش والفقه الحسير لمفهوم الدعوه وخطابها خاصه في مراحل الاستبداد السياسي في التاريخ الاسلامي الذي انشي الجماعات لخدمه مشروعه الاستبدادي لإضفاء الشرعية علي ما يكرسه من مظاهر ا لاستبداد والتسلط والهيمنه باسم الدين فانجبت تلك الحركات جماعات مشوهه تدعي أنها تحمل فكره الاسلام و الدعوه إلي الله فشاهدنا أطفالا يرددون ما يملي عليهم علماءهم المزعومين بأسلوب جاف يفتقد لادني مقومات الحوار لايقبل منك أن تصحح له فكره مغلوطه يعدها بنظره أنها هي عقيده الاسلام وهي في الحقيقة لاتمت لدعوه الاسلام بصله بل تخدم تقديس الأشخاص

المبحث الرابع

تبين النصوص مضمون دعوه نوح لقومه فقال تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

واول ما يشد الإنتباه أن كل الأنبياء كانت دعوتهم جميعا (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فما من نبي من الأنبياء الذين أرسلوا علي مدار التاريخ الا قال لقومه (اعبدوا الله) ونحن نجد في هذا المقطع أن كل نوح قال لقومه اعبدوا الله.. وكذلك هود وكذلك صالح وشعيب ولوط ولهذا لابد أن نسأل أنفسنا

(لماذا التركيز في عرض كل رساله علي أمر واحد هو الدعوه الي عباده الله وحده لاشريك له)

الامر الاول

أن الايات تعطيك المنهج الرباني الذي يجب أن تسلكه في عرض الإسلام علي الآخرين أو تطبيقه في ميادين الحياه لانه لابد لكل نظريه أساس تنطلق منه ولكل مبدأ قاعده

فالديمقراطية مثلا تقيم مذهبها علي مزاعم الحريه والمساواة وعلي أساسها تقيم الديمقراطية نظمها في شتي الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جميع المجالات

وكذلك فإن الرأسمالية تقيم نظامها علي المال والإنتاج والصناعة والاختراعات فالماده هي التي ترتبط بها جميع شوون الحياه وتنظمها وتحكمها الطبقيه

وكذلك الشيوعيه تقيم مذهبها علي نظريه المساواه والحاجه في القيمه وصراع الطبقات ولهذا فهي تطبق نظريتها في جميع المجالات علي ضوء ذلك

ولهذا فانه كما يعرض هولاء حلولوهم وتطبيقاتهم الجزئيه مشفوعه بفلسفاتهم وأصولها الجذريه يجب علي المسلم أن يسلك هذا المنهج في عرض الاسلام وهو يدعو الناس إليه أو حين تطبيقه في حياه الناس أو في ميادين الحياه فلا تقيم الاسلام في أذهان الناس جزئيات وتفاريق منفصله عن أساسها الاعتقادي

(التوحيد)الذي يثبت اصوالها وينظم مجراها ويحكم وضعها

ولهذا أخبرنا الله باساس عقيده الاسلام القاعده التي هي أصل الدين الاسلام بأنها التوحيد وتعبيد الناس لله وحده لاشريك له

فمن الخطاء عرض الاسلام وحصره في جزئيات مثل التدين المغشوش الذي نظر للعباده بالمفهوم الحسير و الضيق أنه صلاه وصيام..وكذلك أن تعرض الدين علي أنه متعلق بتنظيم الاسره دون أن يصلوا هذا بأصل الاسلام الاصيل الذي يكفل وحده النجاح لنظامه وتميزه لأن عرض الاسلام بغير هذا الأصل يغدو الاسلام مجرد إصلاحات جزئيه موضعيه وميزات عارضه سطحيه لاتمس جذور التكوين النفسي والعقلي للامه ولاتصوغ روحها ومفاهيمها وموزانيها ومن ثم تختلط السبل علي الناس فعرض نظام الاسلام يجب أن يرتبط باساسه العقائدي

فالكثير من الناس ينظرون أن الإسلام ايمان قولا وفعلا وان الحركه من دواعي الاستجابه لهذه العقيده لكن لايقيمون أفعالهم علي اساس هذه العقيده أثناء التطبيق أو أثناء عرض الاسلام علي الآخرين وهو مايجب الإنتباه منه

فالاساس الذي يجب أن يهيمن علي كل شي هو التوحيد ولهذا نجد أن القرآن يحدثنا عن دور الأديان السماوية السابقه في هذا المجال فاول قضيه في دعوه اول نبي حذر فيها قومه من الشرك ودعاهم الي عباده الله وحده وقد جاء الانبياء من بعده فساروا علي نفس النهج وسلكوا السبيل نفسه في الدعوه الي توحيد الله سبحانه وتعالى (فهي الكلمه التي لاتتبدل فقاعده هذه العقيده التي لا توجد الابها وهي عماد الحياه الانسانيه التي لا تقوم علي غيرها فهي الكفيله وبها يكون هزيمه الأهواء والشهوات ...)

فلم يكن عبثا أن أرست الديانات الالهيه المبكره علي ايدي الرسل

الاوائل قواعد العقيده وحدها ولم تتعرض للتشريع الا بتدرج يزيد من نصيب الأحكام علي مر الأجيال وتتابع الرسالات حتي تبلغ الغايه الاسلام ولهذا تعرض لنا النصوص محاوره الانبياء لاقوامهم في إطار جهود الاسلام تثبيت قواعد العقيده في العهد المكي الذي استمر ثلاثة عشر عام و من بعدها بدأ الوحي ينزل بالتشريع ومازالت عقيده التوحيد هي أخص الخصائص التي يقوم عليها دين الإسلام وحضارته ودولته وتاريخه فهذا هو الأصل الثابت والجذر الضارب وبالتالي لايجوز أن نغفل عنه أثناء عرض الاسلام او محاوله تطبيقه علينا أن نفهم انه لم يكن عبثا ما ارسته الديانات السماوية السابقه من قاعده وأساس الدين ولهذا نجد أن حوار هود مع قومه (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)..وها هو ذا صالح يكرر نفس العباره وحتي شعيب الذي جاء لإصلاح فساد اقتصادي في قومه فلم يكونوا مشركين بعباده الأوثان بل كان شركهم ناتج عن رفضهم الاحتكام لشريعه الله وكذلك لوط فقد كان فسادهم اجتماعي الشذوذ فاعتبر الدعوه لإصلاح الفساد الاجتماعي جزء من عباده الله ...

فهل يجوز أن نغفل عن لفتات القران وهو دائب يقرع اسماعنا بذكر العقيده في احكام العبادات والمعاملات وسائر مجالات التشريع

الأمر الثاني

تبين النصوص أن الاصوال التي بني عليه موكب الرسل والأنبياء الأمم هو (التوحيد) فهذه هي الاصوال الثابته التي ينبغي أن تبني علي أساسها التصورات للفكر الإنساني هي الاصوال الثابته التي ينبغي أن يبني عليها ما في القلوب ويتفرع عنها ولهذا نجد أن الأنبياء والرسل قد توجهوا الي مخاطبه العقل لإقناعه بأنه لايوجد معبود بحق غير الملك الاعظم فإن هذا العلم هو أعظم الذكري المنجيه من اهوال الساعه فنوح قال (مالكم من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فإذا اخراج الإنسان من قلبه كل معبود غير الله عندها يذوق المومنون طعم حلا وه الكلمه الطيبه (التوحيد) حيث تنبت في قلوب المومنين شجره التوحيد باليقين والطمأنينة ولهذا شبه الله القلب الطيب في استقبال غيث القران وزواجره وأمره مثل البلد الطيب في استقبال غيث المطر ولهذا فان دخول غيث القران القلب يحتاج الي قلب طيب يستقر فيه غيث الله القران فيثمر في القلب اتصاله بالله

وهذا إنما يكون بترك الشرك الكلمه الخبيثه عن علم فالله يقول (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

وهذا يحتاج الي إقناع الإنسان وعقله ليخرج الأصنام التي تسكن عقله وقلبه ليكون بعد ذلك اعاده خلق المجتمع علي الصوره التي يريدها الله لعباده عن قناعه لا إرغام ولاقهر ولاضغط فالإسلام يحترم حريه الإنسان ومنهجه في الدعوه يقوم علي حريه التفكير

فالحريه تعني الانسانيه ودور الدين هو تقرير هذه الحقيقه وحمايتها لان مهمه الدين هو تحرير الإنسان من الضغوطات التي تقيد حريه اختياره من خلال دعوته الي نفي كل معبود ومالوه غير الله يتحرر من كل الطواغيت ليكون العبد بعدها حر التفكير والإختيار ولهذا فإن محاوره الانبياء لاقوامهم تهدف إلي اعاده تشكيل أذهان الناس وتكوينهم العقلي من خلال هذا المنهج الذي يعرض فيه الله دينه علي الناس للوصول إلي تقرير عقيدته وإقرارها في القلوب والعقول من خلال الحوار والنقاش فالمراد اعاده تشكيلهم الذهني وتكوينهم العقلي الذي علي هداه يمارسون سائر قضايا العمل والفكر لأن تخلف دور العقيده عن فاعليتها يحدث اذا انفصل العمل عن الفكره ولهذا نجد أن المنطق الذي عرض الله فيه دينه نجد أنه حرص فيه علي إيراد كل معارضه ومناقشه كل مخالفه ومناهضه كل نزوه فأراد بهذا تحرير الفكر والعقل من الأوهام والخرافات ولهذا نجد أن المقطع السابق

توجه إلي العقل البشري يحاوره ويناقشه بالاداله ويدعوه الي التفكر ليكون من النتائج المنطقيه التي يترتب عليها تقرير المسائل العقائدية البحته في عالم الحياه العمليه انطلاق المومن من عقيده التوحيد في كل شأن فهذه النتائج هي التي توسس عليها نظم الاسلام الاجتماعيه والاقتصاديه والسياسية باراده حره وإيمان ناتج عن قناعه لا إرغام ولاقهر ولاضغط فالإسلام عرض نفسه علي الناس ودعاهم بالحكمه والموعظة الحسنه وجادلهم بـ التي هي أحسن فالحوار الذي يجريه رب العزه مع مخلوقه في الايات السابقه وهو تعالي يلفت الأنظار الي الاداله الكونيه ومحاوره الانبياء لاقوامهم هنا فيها تربيه المومنين علي الفكر الحر فمهمه الدين هي تحرير الارده من الضغوط التي تسعبدها لأن الاراده هي التي يمارس فيها الإنسان الاختيار و اداه ممارسه الاختيار في الارداه هو العقل والتفكير ومشاعر النفس الداخليه (قوه الحب وقوه الغضب) ولهذا نجد أن القرآن يركز في نقد ه للمخالفين بالمقطع السابق يذمهم بأن عقولهم مثل الأرض الجدباء نتيجه الريبه والشك وعدم الايمان الحقيقي ثم عقب بذكر قصص الانبياء والتي نجد فيها حوار الانبياء مع اقوامهم وهم يدعونهم الي الايمان حوار فيه تكريم لانسانيه الإنسان وتقدير العقل والعلم واقامه الدليل والبرهان والمنطق ودعوه لأعمال الفكر والفقه والتدبر ونجد أيضا هجوم القرآن علي الانقياد للهوي والتقليد أنه استنهاض لحيويه الارداه التي يغدو بها الإنسان قوه ايجابيه الفاعليه وليس مجرد اداه سلبيه فأراد بهذا الشعور بوجود الله ففاعليه العقيده تكمن في ربط الفكر بـ العمل

فعقيده الاسلام منبع تخريج الاحرار أولي الألباب فتاليه الله وإنكار الواهيه من سواه يعنيان تحرير الفرد و المجموع من الوهيه الأهواء والتقليد والطغيان ولهذا نجد أن طريقه الانبياء في الدعوه تقوم علي الدليل الذي يحاصر العقل فلا يجد إلا أن يسلم فيه يظهر فيه الانبياء حرصهم علي مافيه خير اقوامهم يحملون الدعوه إليهم بأسلوب فيه التجرد من المصالح لايطلبون لأنفسهم مصلحه ولامال ولامقابل إنما الدافع هو خوفهم علي اقوامهم من الهلاك فقال تعالي (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

فهذا المنهج الذي كان تربيه المومنين عليه وكانت نتائجها في الفكر والعمل فالحوار يهدف إلي أن يكون ثمرته تعبيد الناس لله تعالي والكفر بما سواه بالشعور أنهم سوف يحاسبون علي أعمالهم يوم القيامه فهذا هو المراد من تكرار الدعوه للإيمان فذات الكلمه قيلت من جميع الأنبياء مع اختلاف لغات الانبياء التي كانت تخاطب بها تقوم علي نزع السلطان من كل الطواغيت لتحقيق معني وحده العقيده السماويه علي مدار التاريخ حتي في صورتها اللفظيه كما ذكر السيد قطب ...فالمراد بهذا أن تعرف المنهج الرباني الذي يكون به اعاده تشكيل الأذهان وتكوين العقول العمل مرتبطا بالفكر ومن نتائج تقرير عقيده التوحيد أن تكون الحركه في كل المجالات مرتبطه باصلها ا لاعتقادي التوحيد فهو الذي يحكمها وينظم مجراها في شتي الميادين

الأمر الثالث

أن من أهم ثمرات المنهج الرباني في اعاده تشكيل العقول والافهام والقلوب في الفكر والعمل هو أن يعرف الناس معني العباده وحقيقتها وان يكون سلوكهم منسجما مع فكره التوحيد ومتصلا بها اتصالا وثيقا لأن الكثيرون يتصورون أن العباده منحصره في التسبيح والجلوس في المساجد وصيام رمضان والحج فهذا تدين مغشوش لأن العباده بمعناها العميق وحقيقتها تعني أن تكون حياتك كلها لله تعالي في ماكلك ومشربك وملبسك تعني الخضوع لشرع الله ومنهجه في كل أمر وكل حركه تتحركها تعني أن يكون التوحيد هو المسؤول عن تنظيم حركه الناس أفرادا ودولا وحكومات وشعوب فاساس هذا الخضوع لله تعالي هو الشعور الواعي بوحدانيته تعالي وقهره لكل من في الوجود وما في الوجود فكلهم عبيده وفي قبضته وقهره ولهذا قال نوح (اعبدوا الله ما لكم

من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

فالله وحده الذي يمتلك حق التشريع الاصيل الذي لايرد (الا له الخلق والأمر) وكل ما عداه محكومين باصوال دينه وشرعه فهو يقول في موضع آخر (فإن تنازعتم في شي فردوه الي الله والرسول أن كنتم تومنون بالله و اليوم الآخر)

وهو تعالي المتفرد بخصائص يستعلي بها علي من سواه فهو الخالق ومن عداه يستوون في أنهم مخلوقات وهو المعبود والجميع سواء في عبادته (ليس كمثله شي)

والله بيده خزائن كل شي هكذا تثمر عقيده الاسلام نتائج تعتبر أصولا سياسيه واجتماعية واقتصادية لنظام الا سلام وشريعته

ومن هنا ندرك لماذا كان التركيز في كل رساله علي أمر واحد هو تعبيد الناس لله وقله التفصيلات بعد هذه القاعده التي شملت كل التفاصيل وان أي قاعده في الدين أو الدنيا فإنما يرجع إليها ولايخرج عنها من هذا المفهوم الشامل العباده التي تمثل القاعده الاساسيه لما سواه التي تمثل النظام الجامع الذي ينظم الجزئيات و الفروع والكليات ويربطها بهذا الأساس العقائدي الذي ينظم مجرها ويحكمها انطلق الانبياء في معالجه مظاهر الخلل الموجوده لدي اقوامهم وتوجيههم الكامل الي عباده الله وحده لا شريك

ليبنوا للناس وللاقوام والأمم أن العباده والدين ليست محصورة في أن يقوم الناس بادا ء شعائر تعبيديه لله ثم ينطلقوا بعد ذلك ليفعلوا ما يشاون ويتصرفون في سائر شوونهم كما تملي لهم اهوائهم يقول المودودي في (نظريه الاسلام السياسيه) والذي ينبغي ان نعرفه قبل كل شي ولانغفل عنه ابدا أن الإسلام ليس الدين بمجموعه افكار مبعثره ولاطرق عمل متفرقه بل هو نظام جامع محكم أسس علي مبادئ حكيمه وأركانه الكبيره المهمه الي الحزئيات الصغيره الدقيقه كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطا وثيقا ...الخ

فالعباده تعني الخضوع لله في كل شي وليست مجرد شعائر دينيه وإلا فما الذي كان يريده الانبياء بتوحيد الاله؟ وما معني عباده الواحد الاحد وحده لاشريك له وماذا كان وراء قولهم (مالكم من إله غيره)ثم لو أن العباده منحصره بالشعائر الدينيه فما بال من مضوا من أكابر الأمم كلما جاءهم رسول يدعوهم الي عباده الله الواحد واجتناب الطاغوت انقضوا عليه لماذا يقف أهل الجاه والسلطان والمال بوجه الداعيه لله ويشعلون الفتنه و الحروب مادامت مصالحهم لم تمس وسلطانهم لم يقهر وقوانينهم ساريه اتراهم قد أصيبوا بعقولهم حتي يمنعوا رعاياهم الوفيه المطيعه من القيام بأداء الفروض والصلوات وهي لاتضر بمصالحهم

يقول صاحب كتاب (الدفاع عن الاسلام)

اذا نظرت إلي تاريخ البشريه والمجتمع الإنساني استيقينت أن منبع الشرور والفساد الحقيقي إنما هو الواهيه الناس علي الناس أما مباشره او بواسطه

فأراد الحق أن تعرف من خلال هذه القصص التي فيها تجارب ونماذج تخبرك أن الإنسان لابد له من معبود فنفس الإنسان تبحث عن معبودها ولاتستطيع أن تعيش من غير الها وربا فإذا لم تعرف ربها الحق فإن الإنسان يتخذ لنفسه الها وربا فمن لم يراض بالله الها وربا فإنه يتسلط عليه الهه الباطل)

فأنت اينما وجهت وجهك نظرت وجدت أن أمه اتخذت نفسها الها لقوم آخرين الا تري اليوم أن أمريكا قد اتخذت نفسها الها للعالم كله وان الشعوب كلها تراقب نتائج الانتخابات الامريكيه لأنها تعتقد أن مستقبلها مرهون بمن يصل الي البيت الأبيض تري أن حكامنا اليوم الذين يزعمون أنهم مسلمون منبطحون أمام امريكا أليس هذا الها يعبد من دون الله يجب إنكاره من الشعوب والحكام وإعلان تاليه الله وحده فإن حصل ذلك تحرر العربي من تسلط امريكا وإسرائيل علي امه الاسلام

لقد شاهدنا كيف أن ثله قليله من المومنين أعلنت إنكار الواهيه امريكا وكل من إله سواء الله وناضلت وكفاحت انتصرت علي قوي الشر كما حصل لطالبان وحماس فاحذر اخي المسلم أن تصنع اصناما في قلبك لاتخاف من قوه الاعداء فالخق هو الذي ينتصر في النهايه انظر الي تاريخ البشريه لتعرف لمن كانت النهايه

كذلك فإن من مظاهر هذه الأصنام انك تشاهد طبقه في المجتمع قد سلطت الواهيتها علي طبقات أخري أو حزبا سياسيا استولي علي مناصب الالوهيه واستبد بها أو تجد نافذ يقول أنا ربكم الاعلي ..لقد شاهدنا من يصيح علي شاشه التلفاز من يصف شعبه بالجرذان ويقول من انتم كيف لكم أن تخرجوا عن طاعتي فالوثنيه ليست مقصوره علي عباده الاصنام بل هناك وثنيه سياسيه واجتماعية وماليه والدليل أن لوط جاء يدعوا قومه الي عياده الله والالتزام بما شرع الله لهم في حياتهم الاجتماعية واعتبر اصلاح الفساد الأخلاقي جزء لايتجزء من عباده الله وكذلك شعيب دعاهم الي عباده الله والالتزام بما شرع لهم في البيع والشراء

واعتبر اصلاح الفساد الاقتصاد ي جزء لايتجزء من عباده الله وموسي اتي يدعو فرعون الي اصلاح الأوضاع السياسية والي اخراج بني إسرائيل من عبودية فرعون وتعذيبه وهذا ايضا جزء لايتجزء من نظام العبوديه لله تعالي

ولهذا فليس للوثتيه السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية من دواء إلا أن يقوم الإنسان بالكفر بالطواغيت جميعاويومن بالله العزيز الذي لا اله الا هو ويخصه تقدست اسماوه بالالوهيه والربوبيه يقول صاحب كتاب الدفاع عن الاسلام (فهذا هو الطريق النجاه الوحيد من براثين ذئاب الانسانيه وقطاع سبل الانسانيه وهذا هو الصلاح الذي ظهر في المجتمع الإنساني علي أيدي رسل الله الكرام وهذه هي النظريه الصالحه التي بعث بها الا نبياء الي الناس لتحكم حياه الناس فالتوحيد والعبودية لله وحده لاشريك له هي قاعده سلطان الله في حياه الناس وهذا يتطلب منك أن تخرج من قلبك كل محبوب غير الله كل معبود غير الله فالاله الرافع والخافض و الخالق والمانع الرزاق هو الله تعالي فعله وجود الإنسان في الحياه معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته

وان الدين ليستقيم امره في القلوب والعقول اذا سار دعاته علي هذا النهج وربطوا نظامه وشرائعه بفلسفته الا عتقاديه في أصولها المنهجيه ونتائجها الفكريه فهل تبين معالم الطريق وهل نجادل في الله علي علم وهدي وكتاب منير و

فهو تعالي الخالق والمالك والرزاق وبالتالي فهو المعبود وحده لاشريك له فقال تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) حيث نجد اظهار النون الساكنه مع الهمزه (من إله) والتنوين مع الغين (إله غيره) والمعني اي ليس لكم رب سواه وبالتالي افردوه بالعباده وحده لاشريك له دون غيره فليس غيره لكم اله والكون وأدلته واضحه شاهده بذلك فناسب ظهور المعني مع الاظهار اي من وجد الله استغني عما سواه فعليكم أن توحدوا الجهه التي تتوجهون إليها في كل شأن الي الله وتوكلوا عليه وتعاملوا مع الله وحده في كل أمر وشان فالمومن يعتز بالله

وحده لاشريك له يعتز بعبوديته الله يشعر بشرف تكريم الله له بالعقل والارداه ليكون خليفه الله في أرضه ولهذا فالمومن يحرص علي الحفاظ علي هذا الشرف الذي يتحقق بطاعه الله وامتثال امره ونواهيه بما أنزل علي رسله فهذا المنهج فيه عزه المومن وكرامته فإذا خرج عن طاعه الله وخالف منهجه بالعصيان فإنه يفقد شرف الخلافه و لهذا نجد أن نوح يذكر عله تحذيرهم لهم (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

هذه هي النظريه التي كان بها صياغه روح الامه وحضارتها عندما اعتز المسلمون بالله وأخذوا بمنهج الاسلام وعندما تخلوا عنه انظر الي ماحل عندما تركنا منهج الله لقد أصبحت امه الاسلام تابعه ذليله مهانه

ثالثا

تبين النصوص

تنقل لنا الآيات جواب قوم نوح لما دعاهم إليه فقال تعالي

(قال الملاء من قومه انا لنراك في ضلال مبين)

الأمر الأول

أن رده فعل قوم نوح علي دعوه نوح لهم للإيمان بالله ..والايمان باليوم الاخر بأنهم اتهموه نوح بالضلال الواضح. هي نفس رده فعل كل الكفار في كل زمان حيث أن المتأمل للمراحل التي مرت بها دعوات الانبياء نجد أن النبي ودعوته يخضعان للجدال والحوار فلم يحدث في التاريخ أن أمن كل الناس وانما ينقسمون الي فريقين مومن وكافر وفريق سلبي لا راي له بل يواجه فئه من المكذبين وليس ذلك فحسب بل تسبهم وتشتمهم وتصد عن دعوتهم فقال تعالي (قال الملاء من قومه انا لنراك في ضلال مبين)

فالايات لنا الذين يتصدرون الموقف من أهل الباطل في الصراع في معركه الحق والباطل فقال تعالي (قال الملا ء من قومه)

فالملاء هم الساده والاكابر الذين يملوون عينك مهابه أنهم الأشخاص المرموقة في المجتمعات تحظي بالاحترام عندهم تراهم تملاء عينك بماهم فيه من رزانه ووقار ومكانه ومنزله

فهولاء هم الذين يقفون في وجه الدعاه في كل زمان ومكان ولهذا جاء بصيغه التبعيض (من قومه)

أما العوام فهولاء أما أن يكونوا جنود تابعين لطبقه الأكابر عن رغبه وحب وأما ان يسكتوا جبنا منهم ويفضلون أن يتجنبوا ما يغضب الأكابر لما لهم في أعينهم من مكانه يفضلون أن يعيشوا علي هامش الحياه سلبين لا فاعليه لهم أنهم مثل الحيط الذي جعلوا المشي جواره شعارا لهم

لاتذكرهم النصوص لانهم لامواقف لهم ينتظرون لمن تكون الغلبه فهم وان شعروا بظلم الوثنيه السياسيه الا ستبدادية فإنه انفعال لاقيمه له لأنه لايغير الاحساس ولايولد قوه تحريك الطاقات فيهم ولايساهمون في صناعه الخلاص لما هم فيه يقبلون الذل والهون

فهولاء تنازلوا عن عقولهم وحريتهم بالقبول بالتعايش مع الوثنيه الاستبدادية السياسيه لان عيون امتلأت بالنظر الي قوه الأكابر فخضعوا لهم

أما سلاح أهل الباطل في هذه المعركه فنجد أن قاده وائمه الضلال

يتعمدون التهجم علي الداعيه وتشويه صورته أمام العوام والاتباع من خلال إطلاق الاشاعات والافتراءات و الشبهات التي تلقي في النفوس الضعيفه الريبه وتحملها علي الاضطراب وعدم التصديق يريدون أن يصنعوا جاحزا نفسيا يمنع الناس من مجرد الاستماع لخطابه فتجد أنهم يتهمونه بالجنون والسحر والسفاهه وخفه العقل

وهو أسلوب ماكر وخبيث يهزون من النبي في الإمكان العامه أمام أعين الناس حتي لايعار الناس الانبياء اي اهتمام وبالأخص أمام العوام لأجل لايهتم بما يدعوهم الانبياء أحد من الناس ولاجل أن يقتدي العوم بالملاء في معامله الانبياء فلا يصغون لدعوتهم ولايلتفتون إليهم ولايرونهم اهلا لأن يسمعوا منهم ويقتدي بهم فلا يثقون فيهم لأن العوام يقلدون الملاء ولهذا قالوا (انا لنراك في ضلال مبين)..(انا لنراك)

فاردوا استغلال تأثر العوام بهم في تحطيم مكانه الانبياء ومهابتهم عند العوام حتي ينصرف عنهم العوام فلا يقتدي بهم ولايسمعون لهم ولهذا فإن طبيعه الصراع أن ائمه الضلال في كل زمان يسعون لتبديل المصطلحات وتغيير المفاهيم لدي العوام فتجد الملاء يصفون العلماء بالإرهاب ويطلقون عليهم أوصاف الفساد والضلال يتهمونه بالحماقه حيث يعمدون الي إفساد الثقافه لدي الناس حتي يصبح الباطل بنظرهم هو الحق والضلال هو الهدي وينظر الي أهل الهدي أنهم حمقاء واغبياء وهذا ما نراه واقعا اليوم حيث اصبحنا نري السارق والمحتال ذكي ونري من يتعامل بالأمانة أنه احمق وغبي هذا الواقع الذي نعيشه اليوم نتيجه الانحطاط الأخلاقي نتيجه الا بتعاد عن القيم والمبادئ ناتج عن التقدم المادي للحضاره وتقليد الأكابر والساده الذين لديهم ادوات اعلام ومركز قوي في مجتمعاتنا أفسدت ثقافتنا أن ما نعانيه اليوم من فساد وتمزق القيم والمبادئ من نفوس الناس واستبدالها بثقافه الماده حيث أصبح فتح مراقص في بلاد المسلمين واشاعه الرذيله والتفريط بأرض المسلمين ومقدساتهم وأعراضهم ودمائهم في فلسطين وغيرها بنظر الكثيرون وسيطيه واعتدال صار ينظر إلي من يتمسك بدينه ومن يقاوم العدو الصهيوني أنه متشدد وضال فهذه الثقافه التي صارت تشكل عقول الكثيرون إنما هي ناتجه عن الهجوم الذي يقوده الملاء من جنود الشيطان في بلدان المسلمين مثلهم مثل الملاء من قوم نوح الذين ادخلوا نوحا في الضلال ووصفوه بأن الضلال متمكن منه واستعملوا (في) الذي يفيد الظرفيه للتعبير عن تمكن وصف الضلال منه حتي كانه محيط به من جوانبه احاطه الظرف بالمظروف

فهم اردوا الوقوف أمام محاوله الانبياء بث أفكارهم ومعتقداتهم والذي يعتمد في هذه المرحله علي السعي لإ قناع الناس بشخص الداعيه وبما يحمله من أفكار ثم يأتي بعد ذلك العمل لإصلاح الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي فعليك أن تدرك أنه كلما بلغت درجه في سلم النجاح يزداد الخصوم في طريقك فأنت في هذه المرحله تجد صعوبه قويه لشده دور الأعداء الذين لديهم مهندسون متخصصون في صناعه الخطط والبرامج التي تمنع ثقه الناس بك لمنع إقناعهم فالانبياء عليهم السلام وجدوا الأعداء يقفون في طريقهم كما أوضحنا لأن الأكابر والساده يخافون علي مصالحهم وسلطانهم لأن التوحيد يهدد كل سلطان وجاه ومال وقوه يريد بها صاحبها العلو في الأرض والفساد فالتوحيد تعني أن الناس سواسيه لافرق بينهم وان الحكم لله واول اهدافه هو استرداد كرمه الإنسان وادميته وحريته فالإنسان بدون الحريه لايكون إنسانا لانه يفقد الارده والتفكير الذي اختص الله به الإنسان

المبحث الثاني

تاتي النصوص بجواب نوح علي تكذيب الملاء من قومه وما صدر منهم من سب وشتم وصد الناس عن دعوته بقوله تعالي

(قال ياقوم ليس بي ضلاله ولكني رسول من رب العالمين ابلغلكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم ....الخ

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

نجد أن المولي سبحانه وتعالى يحكي لنا رد الانبياء علي سب الملاء لهم والتهم التي وجهها هولاء للانبياء من نسبهم الضلال إليهم وأنه متمكن منهم لقد كان رد الانبياء ردا هادئا ومتزانا قابلوا ذلك بالحلم تركوا المقابله بما قيل لهم مع علمهم بأن خصومهم اضل الناس واسفهم وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

بيان الاسلوب والمنهج الرباني الذي فرضه علي الانبياء كلهم في مواجهه سب وشتم المكذبين (الحوار والجدال) وهذا الأسلوب الذي فرضه ينطوي علي الحكمه والموعظه الحسنة والجدال بالتي هي أحسن فأراد الحق بحكايه رد نوح وهود وصالح وشعيب ولوط علي اقوامهم أن يعلمنا أن ماذا يعني الحوار والأسلوب المتبع في ذلك فاخبرنا الله أن استقطاب الناس نحو الدين الحق يعتمد علي الاقناع فهو الطريق الوحيد الذي يجب أن تسلكه لأن عمليه الاستقطاب الناس تعني وجود جاذبيه تشدهم نحو قبول الاراء والمعتقدات الجديده لتحل محل الآراء القديمه وترك الموروث الثقافي الذي يتعارض مع الدين الحق ولهذا فإن التقدم والخروج من الجهل و التخلف مرهون برفض أبناء المجتمع الموروث والاقتناع بأنه غير صالح للحياه لما فيه من باطل وفساد

ولاسبيل لذلك الا بالاقتناع النابع من العقل والقلب فهو الذي يوفر القوه القادره علي ترك الموروث والقبول بـ الجديد فالمعركه بين القديم والجديد يكون هدفها الوصول إلي الاقتناع الذي يوكد الجديد ويهزم القديم في عقول ونفوس الناس فهذا هو الهدف من الحوار ت التي يعرضها لنا القرآن ولهذا نجد أنه يتوجه الي العقل و النفس فالخطاب كما أوضحنا سابقا يتوجه الي العقل البشري لانه اذا اقتنع حصل تكوين الايمان فالإيمان من الا رتقاء بالعقل وتزكية النفس بالعلم بالله والعرفان في دينه فيعرف الخير ومنافعه فيعمل به ويعرف الشر واضراره فيتركه ولهذا وصف الكفار بالعميان لأن طبيعه الانسان كما أخبرنا الله عنه (وكان الإنسان اكثر شي جد لا) أراد المولي أن يعلمنا اداب الحوار في تحقيق الهدف حتي لايدفعنا ارداه الغلبه والنصر في اراده تحقيق الهدف الي الانحراف في الطريق بالتعصب الذي قد يدفع البعض للاعتماد علي الباطل ولهذا فرض الله علي الانبياء و المرسلين والدعاه اسلوب الحوار بأن يكون بالحكمه والموعظة الحسنه والمجادله بالتي هي أحسن

الأمر الثاني

يقول الحق لكل داعيه عليك أن تدرك أنك تخوض معركه صراع الأفكار الجديده مع الأفكار القديمه الموروثه وانت القائد في هذه المعركه وسلاح المعركه هو اقامه الحجه وإظهار قوه الحق لاجل إحقاق الحق من خلال اقناع الناس بالفكره التي تدعوهم إليها والاقتناع بشخصك فأنت كسب ثقه الجماهير وهي مهمه شاقه وصعبه جدا من أصعب مراحل الدعوه يمر الداعيه بمصاعب تحتاج إلي الحلم وعدم مقابله الاساءه بالاساءه ولتعلمينا

كيف نتخاطب مع الناس في هذه المرحله يحكي الله لنا جواب الانبياء علي اتهامات اقوامهم لهم بأنه جاء هادئا ومتزانا ودعوا اقوامهم الي التفكير العميق في المساله وفيما يثيرونه أمامهم من قضايا ومحاوله التحبيب إليهم بأنهم يخافون عليهم ودافعهم حبهم لقومهم فقال تعالي (قال ياقوم ليس بي ضلاله)وعن هود (ياقوم ليس بي سفاهه)

يذكرهم برابطه الاتصال التي تربطه بهم فكلمه قوم مشتقه من قام وأقام واستقام تشمل الماضي والحاضر و المستقبل

فيقال قام الأمر يعني تولاه ونهض بالقيام به تاما

ويقال قام الشي اي تحقق وقوعه

ويقال قام العدل اي رعاه في سلوكه

وأما أقام فيقال أقام بالمكان اذا استقر فيه وأقام الشي عدله وازال اعوجاجه وأقام البناء وأقام الجدار وأقام حدود الله

وأما استقام فيقال استقام الشي اذا صار معتدلا في قيامه

ولهذا يفهم أن أهم مقومات القوام :_

روابط الدم والنسب ...أو الاجتماع في مكان واحد وهذا ما نسميه بالوطن الذي يتولاه المرء بالحب والاستعداد للتضحيه بالنفس والمال من أجل الوطن ولهذا يكون بينهم مصلحه مشتركه من استثمار الخيرات في الوطن و الحفاظ علي الثروات وهناك موارد بشريه وهذه المصالح مرتبطه باللغه والموروث الثقافي الذي يعبر عن هويه القوم والذي يعتز به كل أفراده المجتمع ويتفاخرون به

ولهذا نجد أن القرآن اهتم اهتماما بلغيا بهذه العلاقه فذكرت في القران (٦٦١) مره

فأراد الانبياء بهذا النداء اشعار المخاطبين أن الباعث لهم لدعوتهم هو حرصهم علي ما ينفع اقوامهم ولهذا نجد في الايه السابقه أن نوح يقول (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

فهو يخاف أن يتعرض هذا الوطن للدمار ويخاف علي قومه من الهلاك فجاء اضافه الخوف الي المتكلم لاشعارهم بأن هنالك خطر يهدد قوميتهم جميعا فأراد بهذا حثهم علي ترك الموروث لانه اصبح خطر قومي يهدد هذا الكيان وان في ترك الموروث القديم واستبداله بما يدعوهم إليه فيه النجاه لهم والخير فأراد أن يقنعهم بدعوته ولهذا توجه بالنداء (ياقوم)

مع أن المكذبين الذين يجادلهم فئه الملاء فهذا يعود إلي الآتي

/١

أهميه مشاركه جميع فئات المجتمع بالحوار والنقاش والدعوه لاتتوجه الي طبقه دون أخري فإذا كان من المهم مواجهه فئه الاقليه (الأكابر والساده والقاده)الذين يصنعون ازمات الاستبداد والجهل والتخلف ويسعون من خ

لال الجدل الي تعميقه واستمراره ولكن مواجهتهم لاتعني إهمال الاغلبيه العظمي فلابد أن يكون التركيز علي إخراجها من حاله العزوف التي تتصف به الأغلبية لأن صنعي الأزمات يستغلون عزوف الاغلبيه عن توحيد مواقفها وعدم مبالاتها بما تزرعه الاقليه من سلبيات الاستبداد الذي يفضي الي عزوف الاغلبيه الصامته عن المساهمه في صناعه الخلاص لفقدانها الثقه بالقدرات و مصادره حريتها (الاغلبيه)وحقها في التفكير والتعبير هو أساس بقاء هيمنه الاقليه ولهذا تصدرت الموقف بالجدل والحوار (الاقليه)ولم تسمح للاغلبيه أن تشارك في هذا الحوار

/٢

اهميه تحرير الاغلبيه من هيمنه الاقليه فهم بحاجه الي قوه تحطم لهم الأصنام التي اجبرتهم الظروف علي عبادتها والخضوع لها والامتثال لاوامرها تلك الأوامر التي تعني استمرار عبوديه الاغلبيه للاقليه واستمرار فقره وتخلفه وحرمانه وقهره ولهذا لابد أن تكشف لهم حقيقه الأصنام وان تكون الفكره التي تعرض فيها الحلول للخلا ص واضحه ومحدده لاغموض ولالبس فيها لابد من كشف الشعارات التي تستر خلفها الفئه التي تصنع الأصنام لا بد من كشف أهدافها القذره التي تختفي وراء الشعارات التي تعلنها فهم يسترون بواعثهم بفلسفات ويزخرفونها بزخارف براقه يظهرون فيه نظامهم القبيح الفاسد من الشرك والاستبداد أنه يهدف إلى تحقيق الحفاظ على مصالح الجماعه ففرعون قال عن موسي(اني اخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) وقال (وما أهديكم الا سبيل الرشاد)

فنحن نشاهد في حياتنا اليوميه الامثله العديده فنجد انظمه تذبح الناس باسم الدين وتضطهد الشعوب باسم الدين نجدها ترفع شعارات كبري عن الإسلام ...وهي بعيده عن جوهر الإسلام أنها تهدف من ذلك أن تجذب أكثر الذين تبهرهم الشعارات الكبري بحكم ظروفهم والثقافه التي شلت قدرتهم على التمييز بين حجم الشعار ومضمونه والممارسات الميدانيه لتطبيقه حيث أصبح الدين سلعه للاختلاف والصراع والانقسام بين امه الاسلام نتيجه التعصب المذهبي وغيرها من الأحزاب وهو ماشكل ماده يستمد منها الطغاه قوتهم في استمرار فرض استسلام وخضوع الاغلبيه لهم وبقاء الشعوب وإمكانياتها تحت سيطرتهم ولهذا نجد تركيز نوح علي ازاله بواعث الاختلاف فقال تعالي (ابلغلكم رسالات ربي)

فجمع الرسالات لبيان وحده الرسالات وكلها لها غرض جامع وهو عباده الله فكل الرسالات جاءت تحمل هذا الهدف سواء تناولت جانب سياسي أو اقتصادي أو أخلاقي فأراد بهذا اخراجهم من الواقع السطحي الذي يعيشونه يمثل بوره فساد يجب تصحيحه

وهذا الواقع السطحي هو الذي نعيشه اليوم للاسف الشديد في عصرنا من أهم العناصر التي أفسدت حياتنا واهدرات طاقتنا وشكلت اهم عائقا أمام محاولات الإصلاح التي حملها الدعاه فقد استغلوا الفهم السطحي عن الدين لدي الاغلبيه العظمي من أبناء المجتمع المسلم لتكون سلاحا يصد قوه هدم أصنام الكبر والاستعلاء بالباطل فكانت تلك السطحية في فهم الدين أرضا خصبة لنجاح خطه الباطل في مقاومه قوه الحق من خلال قابليه الشعوب فلسفه البلبله والشبهات التي يلجأ إليها أصحاب المصالح الاستعمارية في كل زمان لأجل التشكيك في نوايا المخلصين الذين يشفقون علي حاضر الامه ومستقبلها والذين يبذلون حياتهم ليصنعوا مستقبل الامه ولهذا نجد تركيز نوح في دعوته علي ازاله العبقات التي تعترض عمليه تحرير الإنسان من عباده الاصنام بأشكالها المختلفه مبينا أن أول خطوه للخروج من الواقع السطحي هو الحوار الذي يتوجه مباشره إلي جوهر المشكله فلا

تضيع الفرصه في الحوار بعيد ا عنها لأن الحوار بعيدا عن الجوهر هو بذاته أحد طباع التخلف وأسبابه وأركانه بل هو أكثر جذوره عمقا وصلابه فالإنسان كما وصفه الله أكثر شيئا جدلا فأنت في معركه الصراع بين الفكر الجديد والقديم وتحتاج الي اقتناع الجماهير وهذا يتطلب أن يكون الحوار والنقاش العقلي باختلاف اسلوب التفكير ضمن قواعد المنطق لأن ذلك الأسلوب ينتهي الي استخلاص النتائج العقليه التي لايختلف العقل عليها لأجل أن يجمع الناس كلهم علي مصلحه جماعيه تشكل هدفا لحياتهم يجتمعون عليه عن اقتناع تام كامل لا إرغام ولاقهر ولاضغط فيه ولهذا لابد أن يكون الحوار والنقاش بأسلوب هادئ ولين غير عنيف ولاقاسي لأجل أن تحاصر العقل البشري والنفس بالبرهان الذي يغزو أعماق النفس الداخليه ليحصل الاقتناع فالامم لاتتطور إلا برفض أبناءها لواقعهم وليس برضاءهم عنه وقناعتهم به فالتطور لن يحدث إلا بعد أن تخلق السلوك الجماعي الذي يجتمع حوله الناس ولهذا ذكر أن الغايه التي يجتمع حولها الناس (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وان في تحقيق العبودية لله وحده لاشريك له السعاده في الحياه الابديه فقال تعالي (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) المستقبل الذي يجب أن يتطلع له المومن هو اليوم الآخر يوم القيامه فالدنيا دار عمل والاخره هي دار القرار وهذا مرتبط بعمليه خلق المصالح المشتركة التي تراط بين أفراد المجتمع المسلم ولها علاقه بعمليه التطور فالامم الناهضه تجعل أبناءها يعيشون في الامل ينظرون إلي الأمام ولايتشبثون بالواقع إلا بالقدر الذي يفيد الانطلاق ويضاعف التطور وليس بالقدر الذي يشد الي الخلف فيربط المجتمع بقيود الذكريات فالافراد في الامه بحاجه الي روابط مشتركه يسعي فيها الفرد بنفسه ممثلا بقدرته لتحقيقها وتسعي الجماعه لتحقيقها ممثلا بقدره المجموع حول هذا الهدف تقوم خلافه الفرد الإنسان وخلافه الدوله كلها يجب أن تتحرك لأجل عباده الله وحده لاشريك له فهذا المقصود من خلق السلوك الجماعي ليكون حياه الناس موافقه للصوره التي يريدها الله لعباده فالتوحيد يجب أن يحكم جميع العلاقات سواء الفرديه في حياه الانسان او تلك المتعلقه بالدوله فيجب أن تكون كلها متوجهة نحو هدف عباده الله وحده (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) ثم قال بعد رد قومه عليه واتهامهم له بالضلال (ليس بي ض لاله ولكني رسول من رب العالمين ابلغلكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون) توجه إلي جوهر المشكله بعد نفي الضلاله عن نفسه لأن المجتمعات لاتتخلص من التخلف الا بعد التخلص من أسبابه فالاجيال تتورث هذه التقاليد منفعله بسهوله الإتباع ومنطقيه التقليد فأراد بهذا أن يحدث اهتزازا عميقا في النفس يحدث تغيير ا يكون الاقتناع بالدعوه عندها سوف نشعر بالقلق تجاه العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي ورثناها عندما تشعر بهذا القلق سترفض الاقتناع بالواقع السطحي الذي تحياه كما ترفض إهدار الطاقات الخلاقه في الخصومات العقيمه عندها سوف تدرك أن العادات الموروثه ليست كالصفات الوراثيه التي يستحيل التخلص منها تدرك أنه في وسعك أن تمحو اثارها السئيه التي ورثتها لتسبدل بها بصفات ومقومات أكثر قدره علي تحقيق الغايه التي خلقت لها عندها سوف تمتنع عن اغراق نفسك في بحور المشاكل الشخصيه والجزئيه التي تشكل حواجز تمنع فهم حقيقه الدين

ولأجل تحقيق ذلك فرض الله علي الانبياء اسلوب الحوار وشدد علي اهميه الابتعاد عن الجدل الذي قد يدفع الإ نسان الي الاعتماد علي اي سلاح يحقق الغلبه والنصر حتي لو كان اعتماده علي الباطل فالإنسان كما وصفه الله اكثر شي جدلا لهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يحكي لنا رد الانبياء تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء في هذه المواقف يعلمهم اداب الحوار وقانونه في القران بأن اول هذه الآداب أن تلتزم الدعوه لسبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وهذا يعني أن تكون حليما فلا تقابل الاساءه بالاساءه فاخلاق واداب الحوار في الإسلام تعني الابتعاد عن كل ما من شأنه احداث التأزم وإغلاق الأبواب بل عليك أن تفتح الابواب المغلقه وتفتح مجالات الخير وان يكون الخير والحق هو المستهدف من الحوار لا الجدل بالباطل

فمشكله العجز والتخلف والاستسلام للأمر الواقع في كل العهود بالبحث في صفحات التاريخ ليست في عجز الشعوب بل في غياب النموذج وغياب المنهج القادر علي معالجه المشاكل حيث أن عدم وجود المنهج يودي الي البحث عن الحلول

الأمر الثاني

أن علي الداعيه أن يدرك أنه يخوض معركه الاقناع لقومه بشخصه وبفكرته انها فيها السعاده والرقي والازدهار لقومه وهذه المرحلة من أصعب مراحل الدعوه فأنت تتوجه الي استقطاب الجماهير وإقناعهم انك قائد قادر علي قيادتهم لما فيه الخير

وابتدا رده بقوله (ليس بي ضلاله)

نفي عن نفسه اي ضلاله لأن نفي الضلاله الواحده تعني نفي ماسواها

وهو ما يفهم منه أن من ضمن ما يجب علي الداعيه في هذه المعركه أن ينفي عن نفسه الشبهات عليه اقناع الناس بشخصيته والأفكار التي يدعو الناس إليها فنوح ابتدأ بنفي التهمه عن نفسه ثم كشف لهم حقيقه دعوته وأنه ناصح لهم مشفق عليهم يبلغهم ما أمره الله تعالي

وهنا قد يقول قائل لماذا يجب أن ينفي الداعيه عن نفسه التهم المنسوبة له من الأعداء ؟

لأن صاحب الدعوه في بدايتها يحتاج الي كسب ثقه الناس حتي يستجيبوا لما يدعوهم إليه هو بحاجه لان ينفتح الناس بعقولهم وقلوبهم لسماع ما يدعوهم إليه ولهذا فهو بحاجه أن يطمنوا لما يدعوهم إليه ويثقوا بشخصه فإذا حصل هذا كان الانتقال الي اصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع

فالاعداء يسعون جاهدين للخط من قيمه الدعاه في هذه المرحله وتسخير كل الإمكانيات والوسائل المتاحه حتي يتمكنوا من تحقيق ذلك لأجل أن ينصرف الناس عن الدعاه فلايقتدي بهم ولايسمعون لهم ولاتتحرج السنه السفهاء من النيل منهم واشاعه الاباطيل حولهم ولهذا فعلي الداعيه أن يحذر مواطن الشبهات حتي لايكون صيدا سهلا لاهل الباطل عليك أن تدرك أنك واقعا تحت مجهر العدو يريدون أن يجدوا هفوه منك لأجل أن ينالوا من الدعوه واهلها عموما ولهذا قال (ليس بي ضلاله)

الأمر الثالث

لماذا جاء بالاستدراك (ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون) بعد نفي الضلاله ...

المفهوم الاول

ان علي الداعيه أن يستغل الفرصة في مثل هذه المواقف بتحويل المحنه الي منحه فعندما اتهم القوم نوح بالض لال نجد أن الجواب جاء بالاستدراك (ولكني رسول من رب العالمين)

مع أنه يكفي ماقاله (ليس بي ضلاله) لدفع تهمه الضلال عنه لكن نوح استغل الفرصة لإثبات المحاور التي دارت حولها الحوار واهمها العقيده الايمان بالله والبعث والنشور والحساب والعقاب والرساله التي يحملها للناس

وذلك هو مضامين محاورات الانبياء لاقوامهم فلما أنكروا أنه رسول الله واتهموه أنه في ضلال لانه دعاهم الي التوحيد الذي يخالف عادتهم توهما منهم أنهم في عباده الاصنام علي الحق ..فقالوا (انا لنراك في ضلال مبين) يقول الالوسي وسلك طريق الاطناب فهذا الاستدراك زياده علي الجواب إذ قوله ليس بي ضلاله...كان كافيا فيه فيكون من الأسلوب الحكيم الوراد علي التخلص الي الدعوه علي وجه الترجيع المعنوي لانه بدأ بالدعوه الي إثبات التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالي فلما أراد إثبات الرساله لم يتمكن لما اعترضوا عليه في قولهم (انا لنراك ...الخ

فانتهز نوح الفرصه وادمج مقصوده في الجواب علي احسن وجه حيث إخراجه مخرج الملاطفه والكلام المنصف يعني :

دعوا نسبة الضلال الي وانظروا ماهو اهم لكم من متابعه ناصحكم وامينكم ورسول رب العالمين)

المفهوم الثاني

تقديم الدعوه مجرده من اي مصالح وتطمئن المخاطبين بانه ليس للنبي مطامع واهدافا دنيويا ولهذا نجد الانبياء يخبرون اقوامهم أن الوحي ليس صادرا من الأنبياء ولا من ذكائهم فلا يملك النبي الإتيان به لو قطع عنه الوحي

ولهذا قال لهم هذا الوحي هو رساله الله وأمره لكم فهو المنهج الذي يربيكم فيه فهو كلام رب العالمين وانما انا رسول من الله يوحي اليه لازاله التوهم الذي توهموا من أنه في ضلال حيث خالف دينهم فيما دعاهم إليه

الأمر الرابع

أن مهمه الانبياء هي البلاغ اي أداءها علي اكمل وجه لأن البلاغ مشتق من كلمه بلغ فانت تقول بلغت مكان فلان إذا وصلت إليه بالتمام و الكمال فالبلاغ يعني بيان شامل تام كامل وواضح لا لبس فيه

اي ينقل أوامر الله ونواهيه للناس كما انزلها الله عليه دون زيادة أو نقصان وهذا يعني التزام الامانه في البلاغ ....ولهذا جاء بعدها (رسالات ربي) فيه جمع رساله وهذا لأن الأوامر والنواهي الالهيه متعدده المجالات وايضا فيه وحده الرسالات أيضا الرساله تصدق ما جاء قبلها كما قال تعالي (أمن الرسول بما انزل إليه من ربه و المومنون كلا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لانفرق بين أحد من رسله ..الخ

ومن هنا نفهم ان الواجب علي العالم أن يودي امانه العلم للناس كما يجب علي من أودع المال أن يرده علي صاحبه

فكتمان العلم خيانه من العالم لتركه القيام بالبلاغ ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يذكر بعد البلاغ قوله (وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون)

فالنصيحه :_

تعني الإرشاد بتقديم النصح في كل شي في كل شأن من شؤون حياتكم أنها رساله مطوله فالدين ليس مجرد صلاه وصيام بل منهج هدايه ودليل عمل وتعامل مع الحياه النصيحه لكل حاجه

وهذه الكلمه يعبر بها عن حسن النيه واراده الخير في قول أو عمل

فقد ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال الدين النصيحه قلنا لمن قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمه المسلمين وعامتهم)

(وانصح لكم) تعني تحري المصلحه التي تنفعكم فاصل النصح في اللغه الخلوص يقال خلصت العسل اذا خلصته من الشمع ولهذا فإن استعمل هذا اللفظ للدلاله علي أنه أراد من نصحه الخير لهم فهو لايطلب شيئا ماديا لذاته من وراء النصيحه فهي خالصه للمنصوح لهم اشفاق منه لما اعد الله من عذاب للمكذبين ولهذا قال (واعلم من الله ما لاتعلمون)

فواجب اداء امانه العلم أن ترشد الناس الي الطريق المستقيم الذي فيه السلامه وتحذرهم من كل طريق معوج يوصل الي الهلاك فالواجب علي العالم أذا راي منكر أن ينصح الناس فهذا هو واجب امانه العلم ولهذا نجد الإتيان بالمضارع (وانصح لكم) للدلاله علي تجديد النصح وأنه غيرتاركهم من أجل كراهيتهم النصيحه وايذائهم له فهذا المبدأ من أهم قواعد استعاده الامه لدورها فأنت عندما تشاهد تفشي الجهل بالحق وظهورالتخلف وانتشاره في مجتمع فاعلم أن ذلك يعود إلي تقاعس العلماء عن القيام بدورهم في النصح والإرشاد وتوعية الناس بطريق الحق يعني أنهم فرطوا في امانه العلم وتركوا الواجب الذي يجب عليهم القيام به اتجاه امانه العلم فرتبه العلم اعلي الرتب ولذلك فإن الواجب علي العلماء اكبر من سواهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثالثا

(اوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقواولعلكم ترحمون)

الايه فيها استغراب نوح من عجب قومه أن الله اختار بشر مثلهم يحمل المنهج الرباني للناس وهذه شبهه آثارها الملاء من القوم وردت علي لسان قوم نوح ثم رددتها الأمم من بعدهم

والايه وردت بعد اخبار نوح قومه بمهمته مبينا لهم أن الوحي الذي ينقله إليهم ليس نابعا من ذكائه ولامن شعوره الدقيق الحساس ولامن خبراته وتجاربه الواسعه الحكيمه لا شئ من ذلك إنما مصدره الوحي والرساله التي اصطفاه الله لها وان مهمته البلاغ والعلم الذي ينشره والعقيده التي يدعوا إليها هي من عند الله فقال (ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون)

وخص بالقول (واعلم من الله ما لاتعلمون)

لأن مواضيع الحوار هي بالامور الغيبه وأوامر الله ونواهيه للناس التي حملها الرسل لعباده الله ومعرفته وتوحيده وطاعته ومحبته

والدعوه للإيمان بالرسول والرساله واليوم الآخر...الخ

لبيان ان الانسان لاوسيله له لمعرفه ذلك إلا عن طريق الوحي و المصدر الوحيد الموثوق به للاخبار عن هذه الأ مور هم الانبياء والرسل عليهم السلام الذين يتصلون بالوحي فمصدر علم الانبياء الوحي أما الناس فمصدر علمهم العقل والتجارب الحياتية والعقل محدود فلا يمكنه معرفه ماغاب عنه وبالتالي فإن المصدر الوحيد لمعرفه الأمور الغيبه وأوامر الله ونواهيه لايكون إلا عن طريق الوحي

وهذا ما جعل القوم يتعجبون من ارسال الله بشرا رسولا فحقيقه العجب انفعال نفساني يحصل عند إدراك

شي غير مألوف

ولهذا قالوا (انا لنراك في ضلال مبين) فهذا الانفعال جعل العجب مشوبا بانكار الشي المتعجب منه ونفي حصوله فهو مستحيل بنظرهم كما قال تعالي (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شي عجيب ...الخ

وكما قال تعالي (اتعجبين من أمر الله) لامراه ابراهيم لأنها عدت ولادتها وهي عجوز محالا

ولهذا انتقل الي كشف هذه الانفعالات النفسية والتصورات الفاسده فعطف علي كلامه قوله (اوعجبتم)

مستفتتحا الجمله بالاستفهام الانكاري دون أن يقول لاعجب اشاره الي أن احتمال وقوع ذلك مما يتردد فيه ظن العاقل بالعقلاء فقوله (اوعجبتم) للرد علي قولهم (انا لنراك في ضلال مبين)

فمن الشبهات المستخدمه في ردهم هو أنهم يرون استحاله أن يكون الرسول بشريا ولهذا قال (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون)

يعني أنه يستنكر هذا التعجب فلا وجه له لأن ارسال الرسول من جنس الناس يعرفونه ويعيش بينهم يعني نجاح الرساله كون النجاح يكون علي قدر واقعيه الرساله وانسانيه الرسول لان مشكله كل العهود علي صفحات التاريخ تكون لغياب المنهج الذي يعالج المشاكل وغياب النموذج (القدوه) فغياب المنهج الواقعي يفتح المجال للبديل بل يفرض التفكير في البديل وعندها ينصرف ذهن الإنسان الي البديل ليستبدل به كل شي ومن هنا تظهر المشاكل في عمل وحركه المجتمعات وتتحول المثل الي شعارات والناس إنما يعرفون المنهج والرساله من خلال شخصيه صاحبها فقد تبهر الناس بالشخصيه القدسيه الملائكيه لحين لكنهم لايستريحون لصحبتها دواما في كل حين ولهذا فإن اول أمر يجب على الداعيه أن يعد له العده هو إقناع الناس بشخصه وبفكرته

ومن هنا فاللازم علي الداعيه أدراك الواقع بحسن تشخيص امراض المجتمعات التي يريد معالجه مشاكلها فالعمل علي علاج ذلك يحتاج الي العلم أكثر من الحماس وبالعلم يكون إدراك الواقع ثم إدراك العلاج الذي يناسبه ف الناس وان كانوا أحرارا في معتقداتهم وعلاقاتهم الاجتماعيه الانهم بحاجه الي تعريفهم بالموعظه الحسنه علي ا لآثار السئيه التي يودي إليها الشرك وعباده غير الله وغيرها من الآفات الاخلاقيه والاقتصادية والاجتماعية الناتجه عن الخروج عن منهج الله فاالعلم يكون به إدراك الواقع

وإدراك الواقع يستلزم العلم بتشخيصه وإدراك العلاج يستلزم العلم بفاعليته الايجابيه فاالتشخيص والعلاج طب في مجال الصحه والمرض الجسدي وهو طب روحاني في مجال اخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك الي نور الايمان يلبي احتياجات الروح والجسد وهو طب في مجال التقدم والتخلف وهذا يتطلب دراسه أحوال المستهدفين وقابليتهم للتطور وظروفهم هل هي قابله للتطور ام جامده ولهذا فأنت بحاجه الي اطلاعهم علي قواعد الحساب في حجم المصالح الجديده التي ستعود عليهم عندما يقبلون العلاج الذي جاء به المنهج لتحريك الطاقات المعطله كي تخلق فرص النجاه من مخاطر الآفات ولأجل الوقايه من عدوي تلك الأمراض ولأجل أن تحظي بالسعاده وتخرج من حاله التردد

ولهذا تتكون مناعه مقاومه الأفكار الهادمه من خلال القناعه الذاتيه بأن المنهج الرباني هو الكفيل بمعالجه المشاكل فلا حاجه لاستريد الوصفات الجاهزه البدائل الهادمه التي تصاب بها الشعوب المغلوبه علي أمرها عند غياب المنهج الواقعي والقدوه الصالحه فالامم بحاجه الي النموذج الذي تلتف حولها الطاقات وتجميعها للمساهمه

في النهضه التي تحقق سعاده الجماعه لأن الشعوب في غياب (المنهج ..والقدوه الصالحه) تصير متلكئه في مشيتها عندها تكون فريسه سهله للطغاه والمتسلطين الذين يرفعون شعارات تجذب الناس اليها وعندها يصنعون اصناما تعبد من دون الله نتيجه الاندفاع من هذه الشعوب وترضخ للامر الواقع عندها يتحول نظام الحكم الي سلطه تنفر منها الكفاءات كما حدث عند غياب النموذج والقدوه الصالحه في زمن معاويه بتحول النموذج الي ملك عضو ض باسم الإسلام والتوحيد ففياب دور المنهج حقيقه ادي الي التعايش مع الاستبداد أو الاندفاع خلف دعوات الشيوعيه والامبرباليه والديمقراطية نتيجه الاتصال بالعالم فقد أصبح العالم كانه قريه فأصبح الموطن المسلم يشاهد الفارق الذي يفصل بين حال المجتمع المسلم وحال الحضاره الغربيه يشاهد الضعف والهون في امه الاسلام فماذا كانت النتيجه انقسام المجتمع المسلم الي قسمين فريق تأثر بالغرب وحضارته وصار ينظر للإسلام والتراث الموروث بأنه عامل تخلف الشعب المسلم وفريق اصابه التطرف نتيجه استغلال أعداء الإسلام الاحزان الناتجه عن تميز الفرق بين حال امه الاسلام والغرب ماديا مع غياب المنهج الواقعي والقدوه الصالحه لتهيج حاله الحزن تلك ليحطم الشعب ماتبقي لديه فشاهدنا من يكسر ويقتل ويسحل ويرتكب الفضائع زاعما أن هذه الأعمال هي الحلول للخروج والخلاص وأنها طريق السلامه مرت أمتنا بتجارب مولمه لم تفيق منها الشعوب المسلمه وان فاقت وجدت نفسها في خانه التخلف والجهل قد فقدت كل شي ولهذا فإن المنهج الرباني و القدوه الحسنه هما السبيل الوحيد للخروج من الازمات ولهذا فإن المتأمل لتاريخ تطور الديانات نجد ارسال الرسول من البشر هو لأ جل مراعاه هذه الواقعيه التي بدونها يعيش الناس في دوامه الخيال ولايستطيع الناس التعرف علي وسيله الخروج من المازاق فالمتامل لتاريخ تطور الديانات السماوية يجد أنه لم يذكر التفاصيل وانما ذكر ارسال كل رسول بلسان قومه يترجم آمالهم وطموحاتهم والقرآن لم يوراد تفاصيل كل رساله وانما إبراز معالمها وهي تختلف من قوم لآخر كما هو مبين في هذا المقطع ولهذا قال نوح (اوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون)

والذكر هو الوحي الذي يتفق مع الفطره السليمه وسمي ذكرا لانه يذكرها بالعلم الفطري والمحبه الفطريه و التوحيد الفطري فالرسل بعثوا بتقرير الفطره وتكلميها لاتغيير الفطره وتحويلها

وان الرسول بشرا إنسانا معلهم اختاره الله لانذارهم بالعذاب كي يأخذوا بالاسباب والمسببات المنجيه من ذلك وان يراقبوا الله لتنزل عليهم رحمه الله والايه جاء فيها تناسب احكام الاخفاء مع المعاني التي تتحدث عنها فذكر الاخفاء في قوله (أن جاءكم) النون مع الجيم ..والنون مع الكاف (منكم) والنون الساكنه مع الذال (لينذركم) حيث ينكر نوح عليهم تعجبهم من ارسال

رسول منهم بمجي الذكر علي رجل منهم لينذرهم لانهم قد خفي عليهم مجئ الذكر من الله علي رجل منهم. يقول الفخر الرازي (انهم استبعدوا أن يكون لله رسول الي خلقه لأجل أنهم اعتقدوا أن المقصود من الارسال هو التكليف وان التكليف لامنفعه للمعبود لكونه متعاليا عن النفع والضرر ولامنفعه للعابد فيه وقد اعتبروا أن الحلال والحرام مرهون بتحسين العقل فقالوا ما الحاجه الي ارسال بشرا وكانوا ينظرون أن الملائكه أولي لانهم اطهر وأكمل فقد خفي عليهم عله اهميه واقعيه الرساله وأنه بقدر واقعيتها يكون نجاحها وان إدراك الناس لها إنما يكون من خلال الرسول الإنسان ثم ان عله الانذار قد خفيت عليهم عندما تصورا العقل قادر علي معرفه مايضره وما ينفعه وأقاموا معيار الخير والشر علي تحسين العقل وهذا معيار غير مستقر فمن الأمم ماتري اشياء حسنه في حين تراها امم أخري قبيحه فنحن نري في افريقيا أقوام يرون من جمال المراه قطع أنفها وشفايفها في حين ننظر نحن لذلك أنه تشويه لجمالها فهذا المعيار فاسد وغير صالح ولهذا قال تعالي (لينذركم) وكذلك فإن المشاهد

في صفحات التاريخ أن غياب المنهج ادي الي تسلط الهواء علي العقول وضاقت آفاق الأمم في دائره السلاليه و العصبيات وقادت الأمم الي الهاويه ولهذا قال بعدها (ولتتقوا)

فالإنسان بحاجه الي الشعور برقابه الله فدور العقيده هنا هو توجيه فاعليه الإنسان نحو الفاعليه الايجابيه وإخراجه من الانانيه وحب الذات وتوسيع دائره آفاقه وإخراجه من الآفاق الضيقه من العصبيات من خلال بناء الشخصية المتقيه التي لا تتحرك اي حركه الا بعد عرضها علي منهج الله تشعر بوجود الله

تشعر بحاجتك الي الله وافتقارك إليه ولهذا فإن اهتمامك وتفكيرك ويواعثك كلها تتوجه نحو طلب ارضاء الله تعالي طالبا رحمته تعالي

رابعا

تلخص الآيات الي عرض نتائج هذا الحوار المطول بين نوح وقومه وهو نفس الحوار الذي دار بين الانبياء واقوامهم فقال تعالي (فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا أنهم كانوا قوما عمين)

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

الأمر الأول

أن علي المومن أن لاييأس من عرض دعوته وان يتحمل في الله ويصبر في الحق فنوح ظل ٩٥٠سنه يدعو قومه إلي الله فماذا كانت النتيجه المترتبه علي دعوه نوح لقومه طيله تلك المده الطويله فقال تعالي (فكذبوه)الفاء لـ لافصاح يقول الحق أنهم كذبوه فلم يستجيب إلا عدد قليل لايتجاوزن ثلاثه عشر شخص طيله تلك السنوات

فاللازم علي المومن أن يقوم بواجب الدعوه ويترك مساله الاستجابه من الناس لله فهو ليس مسؤولا عن عدم الا ستجابة منهم

الأمر الثاني

أن علي المومن أن ينظر إلي نهايه الصراع بين الحق والباطل فنوح عليه السلام كان يرد علي سخريه القوم منه وهو يصنع السفينه بان النهايه هي العبره فقال تعالي (ويصنع الفلك كلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه قال أن تسخروا منا فأنا نسخروا منكم كما تسخرون)

فلا تخجل من عرض دعوتك خوف أن يسخر منك الأعداء فسخريه الكافر محدوده لاتتجاوز الدار الدنيا إما سخريه المومن فإنها لاحدود لها فالله يقول (قيل ادخل الجنه قال يليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي)

ولهذا جاء تقديم الاخبار بالانجاء لنوح ومن معه في السفينه وهم المومنون علي الاخبار بالاغراق مع أن مقتضي مقام العبره تقديم الاخبار بالاغراق للمتكبرين فقدم الاخبار بالانجاء للاهتمام بانجاء

المومنين لتدرك أن النجاه يكون بالاصطفاف مع المومنين في سفينه الخلاص من الطوفان فلا مجال للتذبذب و الحياد في معركه الخير والشر فعلي الإنسان إذا وجد في نفسه نفره من أهل الخير أو عن فضيله ينبغي له أن

يبحث عن المقتضي لذلك ليسعي الي إزالته حتي يتخلص من الوصف المذموم وكذلك إذا وجد في نفسه انجذاب الي أهل الشر والي الرذيله فعليه أن يسارع الي تزكيه نفسه من ذلك

لابد أن تحدد موقفك اين تحب أن تقف في معركه الحق والباطل فلا تكون متردد فعليك أن تحسم موقفك ولهذا نجد أن جميع قصص الانبياء ركزت علي الفصل بين أهل الحق والباطل في النهايه بذكر نهايه أهل الحق بالسلامه والأمان وذكرت أهل الباطل بما انتهوا إليه من الهلاك فقال تعالي (فاغرقنا الذين كذبوا باياتنا)

مع عدم ذكر حال الفئه المتفرجه وكذلك في قصه قوم عاد عن نجاه هود والمومنون واهلاك الكفار قال تعالي (فانجيناه والذين معه برحمه منا) وكذلك هو حال قوم ثمود وفي قصه لوط قال تعالي (فانجيناه وأهله ا لا امرأته) وفي قصه أهل مدين فلم تذكر القصه شأن الذين وقفوا موقف المتفرج فمن لم يحسم موقفه يكون مع الهالكين وهذا يهدف إلي التحذير من السلبيه فاللازم أن يكون لك موقفا واضحا في هذه المعركه وهذا يتناسب مع ما افتتحت به السوره (فلا يكن في صدرك حرج منه) فالمطلوب الجهر بالدعوه فلا تستحي من انتقاد الكفار علي الدعوه فالمسلم حازم في وقوفه علي الحق لايتردد ولايخجل من أمر الدعوه

الأمر الثالث

الملاحظ في جميع القصص الخمس أن التركيز برسم النهايه للباطل جاء فيه الآتي

/١

أن السبب الأساسي لهزيمه الباطل هو البعد عن الله بالافساد والشرك والخروج عن منهج الله سواء كان هذا الفساد سياسي أو أخلاقي أو اجتماعي اواقتصادي أو ديني

٣

تضع النصوص لنا قاعده قراءه التاريخ وتفسير التحولات وأنها ترتبط سنه الله في الاستخلا ف أنه كلما خرجت امه عن منهج الله واستكبرت علي الانبياء اهلاكها فالمتامل للحضارات الانسانيه علي ممر العصور كما ترسمه الآ يات في هذا المقطع يجد أن هنالك حضارات متعدده نشاءت في الأرض خرج أهلها عن شرف الخلافه بترك المنهج الرباني وكانت نهايتها الدمار والهلاك وهكذا توالت هذه الحضارات في الصعود والهلاك حضاره بعد أخري ابتداء من قوم نوح وحضارتهم الماديه التي انتهت بالطوفان وجاءت بعدهم قوم عاد ثم قوم ثمود ثم قوم شعيب ....الخ

فمن رفض منهج الله وترك ولايه الله اهلكه الله فلا يتصور أشباه هولاء أن هنالك حصونا يتحصنون بها من عذاب الله فلا توجد قوه تحظي بشرف أمام قوه الله تعالي

٣

أن المتأمل لنهايه الباطل يجد ان القرآن يبرز التوافق الملائم بين اسلوب الحضاره الكافره وبين العذاب الذي حل عليها أي أن الجزء من جنس العمل فقوم نوح كانت حضارتهم قائمه علي الاعتزاز بالعقل الذي صار مولها لديهم وطول الأمل وعباد ه الأصنام فعاقبهم الله بالطوفان

واخبرنا الله أنهم كانوا قوما عمين لانهم جعلوا العقل الها فالله يحترم العقل ويكرمه لكنه لم يسمح له أن يكون الها ولهذا فإن عدم استجابة هولاء القوم لدعوه نوح رغم أنه أوضح لهم حقيقه العقل البشري ودوره في معرفه الله بأنه مقدمه انطلاق الإنسان يجب أن يخضع بعدها لمنهج الله المنزل علي رسوله لكنهم استمروا في التكذيب رغم طول المده التي استمر نوح في دعوته ورغم تنوع الأساليب فهم لم يرغبوا بالحق ولم يقبلوا به ولهذا كان استئاصلهم بالطوفان

وأما قوم عاد فقد كانوا أهل حضاره بناء وعمران واستغلال الموارد وحضارتهم حضاره قوه وشده بحكم ضخامه أجسامهم فعذبهم الله بالريح العقيم

وقوم ثمود كانوا أهل صناعه وهندسه معماريه وفن بالنحت علي الصخور بيوتا فشيدوا المدن والسدود والمباني وغير ذلك مما يحتاجون إليه في حياتهم وهذا دعاهم للاستكبار علي دين فتصوروا أن تلك الحضاره تمثل حصنا يمنع عنهم العذاب والزوال لحضارتهم فعقابهم الله بالصيحه فأصبحوا في ديارهم جاثمين فماذا فعلت لهم المباني هل أغنت من عذاب الله شيئا كما هو حال امريكا اليوم أنها تتباهي بالقوه الماديه والصناعه التي تمتع بها والا ختراعات أنها نموذج ينطبق مع حضاره قوم ثمود الذين قالوا من أشد منا قوه أنها تمارس العربده والتنمر علي الشعوب استقواء منها بالقوه الماديه وعليها أن تنتظر الهلاك كما اهلك الله قوم ثمود اذا التزام المسلمون بأمر الله فإن قياده العالم من حق امه التوحيد أما ونحن تابعين لها وبعيدون عن ديننا فإن تسلطهم علي رقابنا إنما هو عقاب لنا لأننا تخلينا عن القيام بدورنا في حمل رايه الحق

أما قوم لوط فقد كانت حضارتهم قائمه علي الرفاهيه والمتع الحسيه فقد كانوا في منطقه الشام حيث الأنهار و البساتين والجنان فانشاوا الاندايه والملاهي قبل آلاف السنين فخرجوا عن شرف الخلافه بالشذوذ الذي هو نتيجه اي حضاره ماديه تبتعد عن منهج الله وتمتع بالرفاهيه والمال فنحن نلاحظ في هذا العصر كم أفسد المال من شعوب لدرجه انه لايخجل أن يعلن أمام شاشات التلفاز عن إنشاء انديه للشذوذ في بلدان إسلامية دون خجل هكذا هو حال الشعوب عند قيام الحضاره علي الرفاهيه والمتع الحسيه فإنها تودي الي تحلل الاخلاق في إطار سعي أبناءها البحث عن الرفاهيه لينتهي الحال بهم الي ما انتهت إليه حضاره قوم لوط بالرمي بالحجاره

أما قوم شعيب فكانت حضارتهم قائمه علي التجاره وتبادل السلع وكان فسادهم اقتصادي فعاقبهم بالرجفه فهذا هو العذاب المناسب لكل حضاره فعليك أن تدرك أن الجزاء من جنس العمل

فعليك أن تحذر الوقوع فيما وقعوا فيه فإذا وجدت في مجتمعك

أفعال مشابهه لأفعال اولئك القوم تحولت الي ظاهره اجتماعيه فعليك أن تدرك أن العذاب قريبا اذا لم تدرك نفسك بالعلاج والتوبه

(القصه الثانيه)

تتحدث القصه عن قوم عاد الاولي وهم من ذراري نوح والناجون معه في السفينه وقد عاشوا في منطقه الا حقاف باليمن حضرموت كما ذكر القران الكريم في سوره الاحقاف وهولاء كانوا أهل حضاره عمرانيه وبناء وهندسه معماريه وفن حيث شيدوا القصور والمباني والمصانع وكانوا أشداء واقويا ضخام الاجسام فقال تعالي (والي عاد أخاهم هود ا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملاء الذين كفروا من قومه انا

لنراك في سفاهه وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغلكم رسالا ت ربي وانا لكم ناصح امين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمه منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مومنين)

اولا

(والي عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون)

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد أن دعوه هود هي نفس دعوه نوح تماما (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) فالا يات تعرض لنا كفاح هود ومن قبله نوح ومن بعده صالح و و و و وصولا إلي النبي صلى الله عليه وسلم في إصلا ح الناس وأحوالهم وحياتهم لتكون موافقه لهذه القاعده (التوحيد) ومن هنا نفهم الآتي

المفهوم الاول

عليك أن تدرك ان نقطه الانطلاق للوصول إلي الكمال الإنساني والسعاده هو التوحيد وان تكون العبوديه لله تعالي وحده لاشريك له فالعباده تعني الاستسلام والخضوع لله تعالي في كل شأن من شوونك بأن يكون الإ نسان كله لله خالصا له تعالي وان يبتغي نجاته بالتضحيه بماله ونفسه وكل شي في سبيل الله ومن ثم ينفذ بهذه النيه والارده بالعمل والسلوك (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وهذا يعني ان يكون الخضوع والاذعان لله بـ التعظيم والاجلال والمحبه والخوف وهذا يتطلب وهو ما يتطلب الكفر بكل ما سواه من الالهه ولهذا فإن دعوه الانبياء جميعا تحرير الإنسان من كافه الأصنام والقيود التي تشكل حواجز أمام وصول الإنسان إلي الكمال الذي يجعله كله خالصا لله ولهذا نجد أن الصيغه ورد فيها التعبير ب(من) الاستغراقيه للنوع في قوله تعالى

مالكم من إله غيره)

فهي تفيد الاستغراق لأفراد النوع فأنت اذا قلت لشخص اعطيني مائه الف ريال سلف فإذا قال لك ماعندي مائه الف فإن هذا يعني أنه عنده مال لكن أقل من مائه الف أما إذا قال لك ما عندي من مال اي ما عندي ولا ريال واحد فمعني هذا أن من تفيد الاستغراق لأفراد النوع

والسوال هنا ما الحاجه ل (من) الاستغراقيه للنوع هنا التي تنفي وجود الالهه التي يالههه الناس غير الله تعالي ؟

الجواب

لأن الإنسان له عقل يفكر به وله ارداه تحركه وهو مكون من جسد ارضي وروح سماوي

ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي الإله الحق الذي يكون تركيز اهتمامه ودوافعه وعواطفه تدور حول فكره الإله الواحد الاحد الفرد الصمد وتتبلور عنده كل المطالب والجزئيات والكليات والعواطف والمشاعر العرضه والاساسيه وتكون فكره الإله الحق هي الميزان لكل خاطره أو سلوك في حياته

لأن غياب فكره الإله الحق عن الإنسان تجعل الإنسان يرضخ لعباده مخلوق مثله ويفقد إنسانيته فلا يمكن للإ نسان أن يعيش بلا دين ولا اله فعند غياب فكره التوحيد تبرز الأصنام فإذا كان دور الانبياء تحرير الإنسان من الأ صنام فانه لابد أن يملي قلب الإنسان بعدها وعقله بالاله الحق والدين الحق الذي يستعيد به الإنسان حريته وكرامته وانسانيته في عباده الله وحده لاشريك له وإلا فإنه يكون عبدا لامحاله لمخلوق مثله لانه عندما تغيب فكره التوحيد تبرز الأصنام التي تمتهن كرامه الانسان وادميته وتنتقص من حريته وقد شاهدنا النماذج العديده ففي عصر النهضة في أروبا حدث انفجار للناس ضد الالهه المتعددة التي تحكمت في الناس باسم الدين من رجال الدين والاقطاع والطغاه والملوك والذين كانوا يزعمون أنهم ينفذون أوامر الرب وأنهم لهم سلطه الهيه وحق سماوي في طاعه الناس لهم المهم أن شراره ثوره الشعوب الهايجه

جعلتها تصل لدرجه ان تنكر الوهيه الله وترفض الأديان تحت شعار اريد أن أكون حرا فلن نخضع لأي اله أو دين فهل وجدت أروبا حريتها وهل استطعت أن تعيش تلك الشعوب بدون فكره الإله أو الدين من الموكد أن الإنسان لايستطيع أن يعيش بلا دين وبلا اله

فالنوزاع النفسانيه تجعل الإنسان يبحث عن الإله فهنالك اشواق خفيه تدفع الإنسان للاعتقاد بوجود عالم الغيب الذي يجاوز نطاق الحس وليس أمامه إلا الاستسلام لهذا الغيب الذي بالإيمان به يرضي الإنسان أشواقه الخفيه لأ ن الإنسان مخلوق من تراب ارضي وروح سماوي فالروح يتعلق بمصدره الذي وجد منه ولهذا لاتشبع شوق العاطفه الا بالاتصال بالله وهذا يعني معرفه من هو الله واسماءه وصفاته والمنهج الذي تناجي به الله لتصل إلي الاطمئنان ثم إن من لوزام الجماعات البشريه ان توجد صبغه يصبغ بها المجتمع ويعطيه لونه الخاص الذي يميزه عن غيره فلا بد للأمم من دين وبدونه لايوجد استقرار لا اجتماعي ولاسياسي ولا اقتصادي فالناس لا يستطيعون الهرب من نوازع أنفسهم والتجارب الانسانيه كثيره في التاريخ التي تعطينا دليل الحدث التاريخي الذي يحكي لنا قصه الإنسان مع الدين في صوره الدين الحق الذي حمله الانبياء لاقوامهم واديان أهل الباطل الذي صنعه البشر ويرسم لنا اوجه الصراع بين الفريقين والسوال هنا ؟

لماذا اجتمع الناس علي الاعتقاد كيفيما كان اختلافهم في الجنس والزمن والموطن والمصلحه علي الإيمان بالدين بغض النظر هل كان هذا الدين دين حق أو باطل ؟

ولماذا سفكت الدماء منذ نشاه البشريه حتي يومنا هذا في صراع الأفكار والأديان والمذاهب والمعتقدات لو كانت فكره الدين عمل فردي أو فعل عارض يقع بين الحين والآخر أو اتفاقا من فعل الحيله والتدبير أليس ذلك يعود إلي باعث قوي داخل في تصميم بناء الإنسان كيانه شكلت هذه النوزاع تدفعه لطلب السمو الروحي الذي يلبي احتياجات الروح للوصول للاطمئنان بالاتصال بمصدره فالإنسان ذو طبيعه مزدوجه جانب ارضي التراب وجانب روحي الروح فهو بحاجه الي أن يعرف الله واسماءه وصفاته والمنهج الرباني الذي يناجي فيه ربه ليشبع العاطفه والتي لاتجد الاطمئنان والسعاده الا بالاتصال بالله فحاجه الإنسان للسمو الروحي باعث من داخله ومن صميم تكوينه فالإنسان بحاجه الي الاهتداء لما فيه سعادته بما يلبي أحلامه واشواقه ويقنع عقله ويحتاج الي الاهتداء لقانون التعامل مع بني جنسه فهو يعيش وسط المجتمع ولوزام الاجتماع يقتضي وجود علاقه متبادلة بين الفرد والمجتمع فالسمو الروحي للفرد الذي هو هدف كل نظام لايمكن تحقيقه الا اذا كان الفرد يحصل علي الروح المعنوية والتشجيع والحمايه من المجتمع حوله وبالمقابل ينتظر المجتمع أن يحصل من الفرد علي التعاون و التشجيع والحماية وهذا التداخل بين الفرد والمجتمع تدل حاجه الناس للدين لحفظ النوع وكذلك فإن الإنسان بحاجه الي الاهتداء للسنن والنواميس التي يتعامل بها مع الكون من حوله

ومن هنا نفهم أن الايمان ضروره كونيه لاتخلقها مشئيه أحد من الاحاد وهي ليست امر ا عارضا وانما لها باعث من صميم قوي الكون لأن الله الذي خلق الكون هو خالق الإنسان

الأمر الثاني

لماذا جاء اسم (هود) منصوبا في قوله تعالي (والي عاد أخاهم هود ا)

الايه معطوفه علي قوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا) وهي مسبوقه بذكر الدلائل الكونيه التي تحدثت عن خلق الله الكون كله وتدبيره له وانزال الأمطار التي يكون احياء الأرض الطيبه بها .... كمثال لدور المنهج الذي يأتي به الا نبياء الي الأمم

فالمطلع للخمس القصص يجد أنها معطوفه وكذلك فإن المتأمل لمحاورات الانبياء مع اقوامهم في القران عموما يجد أن الآيات المتعلقه بذلك تكون مسبوقه بعرض الادله في الكون والسوال لماذا يحرص الأنبياء كلهم في نشر دعوتهم علي اظهار مطابقه دعوتهم لحكمه الخلق وسر التكوين ؟ومع علاقه ذلك بالعطف الوراد في هذه الآيات (والي عاد أخاهم هود ا)

الموضوع الاول

عليك أن تدرك أن مهمه الرسل هي تحرير الإنسان وانقاذه من عباده الهوي وإخراج الانانيه من وتخليصه من قيود واغلال العبوديه لغير الله

تعني أن يعرف الإنسان مركزه ومكانته في الكون ودوره في الحياه يسترد فيها كرامته فالتوحيد يزيل مخاوف ا لإنسان من الطبيعه والكون يخبره أن الكون مسخرا لخدمه الإنسان ولهذا يتحرر الإنسان من كافه الأصنام و القيود التي تسقط وعي الإنسان وتجعله ادني من الحيوانات والبهائم فمن رحمه الله ارسال الرسل يدعون الناس الي التوحيد لحمايه انسانيه الإنسان وحريته وكرامته لاعاده شرفه ولأجل أن يمارس دوره في الخلافه علي الا رض وفقا لمنهج الله والقيام بدوره في العمران علي الارض يشيد حضارتها وفقا لمنهج الله فشرف الإنسان ومكانته هو بالعبوديه لله وهذا يتطلب أن يعرف الإنسان سبيل الهدايه في تعامله مع نفسه وربه والمجتمع من حوله ويحتاج إلي دليل التعامل مع الكون الذي سخره الله لخدمه الإنسان وكذلك يحتاج الي دليل التعامل مع الحياه وأحداثها وتحولاتها

يحتاج الي معرفه السنن والنواميس التي تحكم الكون والحياة لانه لايمكنه التعامل معها إلا بفهم واستعيابها ومعرفه قوانينها حتي تكون حركته منسجمه مع حركه الكون والحياه وهذا لايتحقق الا باستصطحاب معرفه الوحي الذي هو بوصله الهدايه لذلك لأن خالق الكون والإنسان هو الله والذي سخر الكون هو الله تعالي

ولهذا نجد أن الايات تعرض رسائل الانبياء الي اقوامهم بعد عرض ايات الله في الكون يخبر كل نبي قومه فيها أنه يحمل رساله الله للناس لكي يعيش الانسان بصوره تتلاءم والنظام الذي ابداع الله به العالم فنجد أنه تعالي ق ال (والي عاد أخاهم هود ا) حيث نجد أن اسم (هود ا) منصوب بالعطف علي قوله تعالى (لقد أرسلنا)وهذه الجمله كما أوضحنا مسبوقه بعرض الآيات الكونية والمعني لقد أرسلنا هود يدعوا قومه حاملا رساله الله للناس التي يدعوهم فيها الي الالتزام بالمنهج الرباني الذي يحقق الانسجام بين حركه الإنسان والكون والحياه وهو مافيها مطابقه دعوتهم لحكمه الخلق وسر التكوين لأن مهمه الدين تتجاوز مساله حفظ النوع فحسب إلي تقرير

مكانه الإنسان في هذا الكون أو في الحياه

يقول العقاد (فالإنسان يتعلق من النوع بالحياه ويتعلق من الدين بمعني الحياه ....)

الموضوع الثاني

ان معرفه الإنسان لمكانته ومنزلته في الكون والحياه هي مفتاح القيام بمهمه الاستخلاف في الأرض وبدونها يسقط الوعي عن الإنسان الذي ميزه الله عن المخلوقات فهو يتساوي مع بقيه المخلوقات من حيث الاحتياج لله والافتقار وعدم الاستغناء عن الرب فالجميع محتاجون لله ولرحمته وعونه والفرق بين المومن والكافر هو الوعي فانخلاع الوعي عن الإنسان تجعله أقل منزله من الحيوان ولهذا فإن غياب الدين الحق يجعل الإنسان يتخبط ويتخذ اصناما يصعنها الإنسان من الطبيعه أو مخلوق مثله أو ماده أو ماشابه معبود ولهذا جاءت عقيده التوحيد لتخليص الإنسان من كل الالهه المتعددة لإنقاذ الإنسان وتحريره من كافه الأصنام تحرير أردته من كافه الضغوطات التي تعيق وتمنع عمليه اتصاله بالاله الحق

ومن هنا نفهم سر هذا التذكير بالاله الحق القدير من جميع الرسل لانبياءهم لأن عمليه التحرير للإنسان تتوجه صوب عقله وقلبه

بأفراد العبوديه لله قاصدين بذلك أن تكون حركه الإنسان متطابقة مع حركه الكون الذي يعبد الله فلا ينبغي للإ نسان أن تكون حركته شاذه عن حركه هذه المخلوقات في هذا الكون الفسيح الواسع فكيف للإنسان أن يتمرد ولهذا ارسل الله الرسل وانزل معهم المنهج الذي يحتاجه الإنسان لتكون حركته متطابقه مع حركه الكون

حيث والإنسان بحاجه لمعرفه الله ومحبته وعبادته ولهذا فسر ابن عباس قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) بأن العباده هي المعرفه معرفه الإنسان لنفسه ولبني جنسه والكون من حوله وربه يعرف حقوقه وواجباته وطبائع الأشياء فالمعرفه ألحقه تعني أن يحسن أستخدام ملكات العدل والإحسان والرحمه كلا في محلها وبهذا يحيا الحياه الطيبه ويتفاني في خدمه البشريه ولهذا

فتكون حركته كلها خاضعه لله بحيث يكون حركه الإنسان خاضعه لله مثل خضوع الكون واستسلامه عن اختيار منه بحب ورغبه وارداه فالملاحظ لمناهج الانبياء كلهم يجد أنهم ركزوا علي الاقناع بالاعتماد علي قوه الحجه والبرهان من خلال المنهج العقلي الذي خاطبوا به اقوامهم قاصدين لاستعاده الوعي الإنساني لمنع موت ا لانسان الحي لأن توقف القلب في الدنيا عن الحركه يعني الموت لكن عليك أن تدرك أن توقف معرفه الله عند الإ نسان تعني سقوط الوعي وهذا موت اخطر انواع الموت لانه يعني موت الاحياء وهم لايدركون أنهم اموات فهل هنالك موت أقبح من عقول لاتعرف وقلوب لاتشعر وإذن لاتسمع واعين لاتري

فالغرض من مجئ ذكر قصص الانبياء بعد عرض الايات الكونيه يهدف إلي استعاده الوعي الإنساني وآثاره الا حساسيس فيهم من خلال توجيه أنظار المخاطبين إلي الكون لإقناع العقل البشري بالمنهج الرباني وإشباع العاطفه فلو نظرنا الي الكون المحيط بنا من بحار ومحيطات ويابسه وانهار ووديان وجبال وسماوات ونجوم وكواكب وشمس وليل ونهار ورياح وأمطار فإنها محكومه بقوانين منضبطه وسير وفق سنن دقيقه كشفت معها العلوم الطبيعيه والاجتماعيه والهندسية والرياضيات والجولوجيا من اصغر شي الذره الي اكبرشي في علمنا المجرات لوجدنا أن هذا الكون محكوم بسنن ونواميس دقيقه لاتخرج عنها ويسمي هذا بدليل(الحركه)

فمن المسؤول عن حركه الكون هل يتحرك هكذا عشوائيا ثم هل للفوضي والصدفه أن ينتج عنها هذا الانضباط و الدقه في الحركه

فالإسلام لم يقهر أحد علي الإيمان به فلم يقتل أحد لانه لم يومن ولكن حطم الأصنام والقيود التي تقيد حريه الإ نسان وترك للإنسان حريه الاختيار فأراد بهذا إيقاظ العقو ل فليست الصدفه هي المسؤولة عن اعجاز هذا النظام الذي يسود الكون ثم إن كل شي في الكون محكوم بالعنايه الالهيه فانظر الي المسافه بين الأرض والشمس فلو نقصت مقدار ابره لادي ذلك لاختلال الكون وكذلك المتأمل في تكوين السحاب ونزول الأمطار وغيرها من الآيات تدل أن كل شي محسوب بدقه ومقدر بعنايه وهذا مايسمي دليل العنايه ولهذا أخبرنا الله أنه انزل القرآن عنايه بـ الناس ليحصل الانسجام بين حركه الإنسان والكون والحياه فالإنسان والكون والحياه محكوم بسنن ونواميس تحكمه وتنظمه لهذا فدور الانبياء ابتدأ هو دعوه الناس الي الربط بين عبوديه الناس لله وبين عبوديه الكون لتكون حركتك منسجمة مع حركه الكون كلها تتجه نحو هدف طاعه الله تعالي والخضوع والاستسلام والانقياد لله لتصل إلي الكمال الإنساني فإن هذا لايتحقق الا اذا وصلت إلي إخضاع ارداتك طواعيه لتكون خاضعه لاراده الله ومنهجه استسلاما منك وخضوعا مثل خضوع الكون فأنت والكون مخلوقات لعباده الله وقد جعل الله الكون مجبور يتحرك وفق سنن ونواميس تحكمه وتنظمه ولهذا لاحساب عليه اما الإنسان فقد منحه الله العقل وحريه ا لاختيار ولهذا أرسل الرسل يحملون المنهج الذي يحقق هذا الكمال للإنسان لأن صانع الشي هو الأقدر علي وضع النظام الأمثل لسيره وعمله وصيانته فالذي خص الإنسان بهذه المكانة في الكون وخلقه باحسن تقويم هو الأقدر علي وضع قانون خلقه السليم وبالتالي فإن الإنسان مسؤولا عن أفعاله واختياره وهذا هو الفرق بين الكون والإ نسان ولذلك قال نوح (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقال هود (أفلا تتقون)

فلا يكون الإنسان شاذا عن أصل الوجود في الكون ولهذا كان لابد من إخراج كافه الأصنام من اعماق نفس الإ نسان ليتحرر من كافه الضغوط والنزوات ليصل إلي الكمال الإنساني الذي يجعله خاضعا لله وحده لاشريك له

المبحث الثاني

لماذا قال تعالي في سوره هود (أفلا تعقلون) وهنا (أفلا تتقون)

ولماذا قال في قصه نوح (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

ذكر العلماء أن هود قال مره أفلا تعقلون ومره أخري أفلا تتقون

/١

من هم قوم عاد ؟

هم اول العرب ذكرا وسموا العرب البائده وهم أول امه أهلكت بعد قوم نوح عليه السلام وهم من ذريه القوم الذين نجو مع نوح في السفينه وهو مما لاشك فيه ان أجدادهم كانوا يعبدون الله ثم انحرفوا عن عقيده التوحيد وسلكوا طريق الضلال الذي سلكه قوم نوح وكانوا يسكنون منطقه الاحقاف وهي منطقه مشهوره في حضرموت اليمن

/٢

أوصاف قوم عاد ؟

كانوا عتاه اقويا ء الاجسام أشداء طوال اقرب بالصفه لادم عليه السلام وكانوا أهل حضاره عمرانيه وبناء وهندسه معماريه وزراعيه فكانوا مترفين وعرفوا التمدن والحضارة فقد وصفهم الله في عده مواضع (ارام ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقال عنهم (قالوا من أشد منا قوه) ولم يقر الله قوم علي ادعاءتهم امتلاك القوه في الأرض بحيث لايوجد من الناس اقوي منهم إلا هولاء القوم فجاء التحدي بقوته سبحانه وتعالى أنه اقوي منهم

٣

والايات وردت في إطار الدعوه الي عباده الله ومعطوفه علي قوله تعالى (لقد أرسلنا نوحا) وجمله العطف سبقها ذكر دليل الحركه .ودليل العنايه كما أوضحنا في الدرس السابق ... ..

فأراد الحق بهذا الآتي

الأمر الأول

يريد الحق أن يغرس في اذهان المخاطبين ونفوسهم التصورات والمشاعر عن حقيقه ربوبيه الله تعالي علي جميع الخلائق ودوام عنايته ورعايته لها للانتقال من توحيد الربوبيه الي توحيد الألوهية ومن توحيد الألوهية الي توحيد الأسماء والصفات حيث والمتامل لارتباط عرض عمل موكب الانبياء مع ما ورد في المقطع السابق من الادله العقليه الكونيه الشاهده علي وحدانيه الله والوهيته وربوبيته وحده لاشريك له يجد أن الأنبياء في محاورتهم لاقوامهم قاموا بالربط بين دعوه الناس الي عباده الله وبين عبوديه الكون لله تعالي من خلال هذا المنهج العقلي الذي يعتمد علي الاقتناع الناتج عن قوه الحجه والطاعه بالبرهان وهذا يعني الحجه العقليه

ليكون الانتقال من توحيد الربوبيه الذي تري فيه جمال الله وجلاله وكماله وعظمته وإحسانه فيتحقق بذلك توحيد الألوهية والاسماء والصفات ولهذا ورد في سوره هود (أفلا تعقلون) بعد قوله اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تعقلون) وهنا قال نفس الجمله وجاء بكلمه (أفلا تتقون)

وهو ما يعني أنه قال الجملتين مره قال (أفلا تعقلون) ومره قال (أفلا تتقون)

فعندما عرض الاداله الكونيه التي فيها دليل العنايه والرعاية والحركه الذي يحاصر العقل ليسلم بالنتيجة وهي عباده الله ولهذا قال أفلا تعقلون والثانيه لما عرض دليل الحدث التاريخي المتعلق بما حدث لقوم نوح من الغرق بالطوفان لانهم اشركوا بالله قال (أفلا تتقون) وهذا فيه بيان اهميه المعرفه والفهم والمحبه

فالمعرفه العقليه والفهم التي هي غايه جهد العقل ليست بمفردها في الغرض النهائي لوجود الانسان فليس الفهم هو المطلوب من المومن لأن هنالك مستويات أخري ينبغي أن ترتبط بالفهم والمعرفة فالعقل يصلح لاستكشاف الطريق في بدايه الامر لأن من شأنه أن يبحث ويسأل لكن الارداه تحتاج إلي الحب الذي من شأنه أن يبعث علي الطاعه يحتاج الي الخوف الذي من شأنه أن يدفع العبد الي الخضوع والاذعان والاستسلام من شأنه تجعل الا نسان بلا اراده أمام مشئيه الله تعالي فيها ارشاد الإنسان كيف يختار أن يكون مجبورا مثل الكون أمام اراده الله

تعالي ولهذا جاء قوله تعالي (أفلا تتقون)

اي الا تخافون سخط الله وغضبه فيحل بكم العذاب الذي حل بقوم نوح فالاستفهام للانكار واستبعاد عدم الإ يمان منهم وقد عرفوا ماحل بقوم نوح لأن قوم عاد من ذريه قوم نوح الذين مما لاشك فيه أن أجد ادهم كانوا يعبدون الله ثم مع تعاقب الأجيال انحرفوا عن منهج الله وخرجوا عن طاعه الله

فأراد بالتخويف تحفيزهم علي طرح التساؤلات والاستفسارات للخروج من حاله الجمود الذي يعيشه قومه فهذه الاسئله والحوارات ترمي أيضا بناء الشخصية الإسلامية بالنسبه لنا لتكون منفتحه للخروج من حاله الجمود الناتج عن التقليد ولهذا نجد الآيات تأتي بالجواب للحوار (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) بعد مناقشه القوم بـ الدليل الكوني ودليل الحدث ثم يطرح السوال (أفلا تتقون) يريد أن نبني الشخصيه المسلمه علي الفكر والوعي وتشجيع الناس علي التخلص من الموروث الثقافي الناتج عن التقليد دون العلم والبحث والتمحيص للدليل ولهذا فالاستفهام يهدف إلي اخراج الأمم من حالته الجمود والركود فهو نوع من التنشيط العقلي والذهني للناس

لتخرج من دائره الخرافه التي تسيطر علي عقول الكثير ون من الناس نتيجه حشو الادمغه بقصص ملفقه تعطي الباطل قدسيه تودي الي إخضاع الناس للباطل وتشويه ثقافه الناس وتنقل صوره مغلوطه للناس بالذات تلك المجتمعات التي تنظر إلي ما يتناقله الأسلاف من روايات وأساطير أنها حقائق دون أن تفكر في صحتها فكل يرد قوله إلا كلام الله وسنه رسوله ومن هنا فاللازم أن لاتجعل الخرافه تسيطر عليك فعليك أن تطرح كل أمر للنقاش وتسعي لجمع المعلومات حوله من مصادره الموثوقه وان تفسر ذلك بالنظر الي موقعه من الدين فهذه القصه نجد فيها أن هود يدفع قومه الي دراسه وتفسير ما حل بقوم نوح فينظروا الي أسباب الكرامه التي كانت وراء نجاه نوح ومن معه ليأخذوا بها وأن ينظروا الي أسباب الذل والهون الذي حل بالمكذبين فيجتنبوا الوقوع فيها فالا سئله من الموكد أنها سوف تنقل صاحبها في تعامله مع الأشياء من دائره المشاعر والظن والتخمين الي دائره الوعي والفهم والمنطق سوف تكشف لك الحقائق فكلما وجدت اجابه لسوال تجد نفسك تطرح سوال آخر مرتبط به ولهذا فهو ينقلك إلي مستوي اعلي في طبقات المعرفه وبنفس الوقت فإن تلك المعرفه لاقيمه لها اذا لم تحدث التأثر الحقيقي الذي يجعلك تعلم انك حرا ومسؤول أمام الله تعلم أن حريتك يجب أن تخضع لاراده الله ومنهجه فحريتك موجوده لكنها تتحرك في إطار المشئيه الالهيه عليك أن تختار أن تذوب اردتك في مشئيه الله فتتحرك بـالله وتسكن بـالله وتحب في الله وتكره في الله بمعني تكره ما يكره الله وتحب ما يحب الله فيكون الله هو السبب وراء كل ما تفعل

فالإنسان بحاجه الي أن يحاور نفسه وهو يتأمل أحوال الامم السابقه ويدرس تاريخها يقتضي أن تتزامن النظر لأ حوال الفريقين مقرونا بمشاعر البغض والحب فأنت عندما تقرأ عن المومنين من قوم نوح أو قوم هود فإنك تنظر لهم ولافاعلهم والأسباب التي كانت وراء نجاتهم نظره حب واحترام وتقدير فتشهد صورتهم ماثله امامك بمشهد متحرك تدفعك الي اقتفاء آثارهم وكذلك فإنك عندما تقرأ عن كفار قوم نوح ينبغي أن تنظر لهم ولا فعالهم والأسباب التي اهلكتهم نظره بغض وكراهيه واحتقار ونفور منهم ومن افعالهم ولهذا فإنك تشاهد واقعهم ماثلا امامك باقبح صوره ولهذا لابد أن تكون النتيجه المترتبه علي تلك النظره أن تحذر الوقوع في ما وقعوا فيه تخاف أن يحل بك العذاب الذي حل بهم وبالتالي تبتعد عن كل ما من شأنه أن يوقعك فيما وقعوا به

الأمر الثاني

يهدف إلي تقويه عزائم وهمم المومنين للجهر بالدعوه بشجاعه واراده وايضا فيه التهديد للمشركين فهم يعرفون حضاره عاد واثارهم موجوده في منطقه الاحقاف مابين اليمن والسعودية وهم من العرب البائده واول امه أهلكت بعد قوم نوح وهم من ذراري نوح والناجون معه في السفينه ومما لاشك فيه أن آباءهم كانوا يعبدون الله وأنهم انحرفوا بعد ذلك واغوائهم الشيطان نتيجه تعاقب الأجيال

فاهلكهم الله ودمر حضارتهم

فالحق يذكرهم بقصه قوم عاد المعروفين لدي المخاطبين فهم من العرب وأهل مكه والمناطق المحيطة بها يتفاخرون بحضارتهم

يقول لك الحق عليك أن تعلم أن الخلافه شرف لمن اراد ذلك بأن امتثل أمر الله وأنه إذا خرجت عن طاعه الله فإنك تفقد شرفك مهما كانت قوتك وجبروتك

فعليك أن تعلم أن المجد لابد له من ثمن بأن تلتزم منهج الله ولاتخرج عن طاعته فإذا كان الله قد انعم علي اهل مكه بنعمه المنزله في قلوب العرب لمنزله الكعبه في نفوس العرب فإن هذه القوه لاينبغي أن تستخدم للظلم و الطغيان لأن ذلك موجب لزوال القوه فهذا التحذير للمشركين يقول لهم انظروا الي مصرع قوم عاد

الذين اتصفوا بأوصاف القوه وضخامه الاجسام فقد كانوا بطول ادم أشداء واقويا ضخام الاجسام وأهل علم بـ الهندسة والصناعه والبناء والعمران وكانوا مترفين وعرفوا التمدن والحضارة فوصفهم الله في أكثر من موضع فقال تعالي (ارام ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد)

والملاحظ أن القرآن ماذكر أنه اهلك قوم الا ذكر أنه اهلك من هم أشد منهم قوه الا قوم عاد حينما أهلكهم قال (أولم يعلموا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوه)

فمقتضي الايه أنه لم يكن من البشر من هو اقوي من قوم عاد ولهذا ذكر غرروهم بالقوه جعلهم ينسون أن الله هو أشد منهم قوه

ولهذا نجد أنه تعالي يقول (واهلك عاد الاولي) فدل هذا أن قوم عاد نموذج للاقوياء الذين يتحصنون بحصون القوه الارضيه بأنهم سوف يهلكون مهما كانت قوتهم حتي لو بلغت قوه قوم عاد فإن هذه الحصون تنهار أمام قوه الله تعالي وليس كما يزعم البعض أن هنالك عاد ثانيه من العماليق أهلكها الله فهذا لاسند له

فالمراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

عليك أن تدرك أن شرف الإنسان العظيم يكمن في أن تكون عبدا لله تعالي فصفه العبوديه لله هي العزه والقوه الحقيقه للإنسان فالرسول صلي الله عليه وسلم وصفه الله بأنه عبدا لله فقال في سوره الاسراء (سبحان الذي أسري بعبده) فلم يقل رسوله ولانبيه وانما ذكر اعلي الصفات واشرفها العبوديه لله ولهذا فإن المتامل لقصص الا نبياء يجد أنهم اختاروا أن يكونوا مجبورين طواعيه بالاعتزاز بالعبوديه لله وحده لاشريك له فقد فهموا أن الجبر هو الحريه الحقيقه للإنسان والتي تعني الخروج من كل سلطان غير سلطان الله وهذه هي العبودية الحقيقه فابراهيم امره الله أن يذبح ابنه فنفذ الأمر فأراد الله بهذا أن يخرج من قلب ابراهيم كل حب غير حب الله تعالي

المفهوم الثاني

تقويه اراده المومنين بالثقه بتحقيق وعد الله لهم بالعز والتمكين وان عليهم أن ينتقلوا الي مرحله الدعوه الجهريه عملا بالاسباب للوصول للتمكين فهذه المرحله تكون مرحله تهئيه المناخ الملائم للوصول إلي العز و التمكين فلا تضعفوا أمام قوه الاعداء فقوتهم اضعف من أن تقف أمام قوه الله سبحانه وتعالى

المفهوم الثالث

أن علي الداعيه أن يستثمر علاقاته وقرابته لصناعه الاصدقاء للقبول بما تدعوهم إليه ولهذا نجد أن النصوص ذكرت قيام هود بدوره في مكافحه الفساد المنتشر في حضاره قوم عاد وعبرت عن ذلك بوشيجه القرابه في النسب فقال تعالي (والي عاد أخاهم هود ا) وهو مومن وهم كفارا ومع ذلك جاء التعبير بالاخ

وهذا فيه اهميه أن يكون الانتقال من مرحله الدعوه السريه الي الجهريه انتقال مترفق بعيدا عن التشنج ف المطلوب منك التركيز علي التقرب من الناس وإقناعهم حتي تفتح الابواب المغلقه وتكسر الحواجز الفاصله بينك وبينهم لتكسب ثقتهم ومحبتهم وحتي تستغل هذه العلاقه في خدمه الدين وضم أفرادا جدد يحملون هم الدعوه فأنت اليوم مطلوب منك أن تستفيد من هذه النماذج لتعرف أن دور الداعيه يقتضي أن تنشئ روابط قويه مع الآ خرين تستغل كل علاقه لخدمه الدين علاقه القرابه والصداقه سواء الصداقه الحاضره أو صداقه الطفوله أو الجامعه او العمل أو المصاهره أو حتي صداقه الانترنت عليك أن تجعل تلك العلاقات وسيله لاستقطاب الجماهير للدعوه

ولهذا جاء التعبير بالاخ لبيان أن الانبياء كانوا يتعاملون مع اقوامهم في منتهي الرحمه والمحبه مثل اخ حميم و لايالون جهدا لارشادهم وهدايتهم ودعوتهم الي الخير فهذه الكلمه تستعمل من قبل من يعطف علي أحد وإظهار ا لاهتمام به حرصا علي كسب محبتهم وهي تعني اظهار التساوي بينك وبين المخاطبين اي أن عليك أن توسع دائرة صداقتك والتواصل مع كل معارفك تدعوهم الي الخير بدون أن تتعالي عليهم كي تستفيد من قدرت وإمكانيات كل واحد في حمل الدعوه وهذا يحتاج الي التواضع من الداعيه ونفي اي رغبه في التفوق والزعامه ولهذا جاء التعبير بالاخ فنجاح مشروع الدعوه يحتاج الي تخليص النفس من اي دوافع شخصيه في صعيد هدايه الناس وانما تقصد إنقاذهم من الهلاك والافات ولهذا فإن القيام بذلك يحتاج الي أن يكون الداعيه من أوساط المجتمع المستهدف بالدعوه لأن افات وأمراض المجتمعات تختلف من مكان لآخر والامر يحتاج الي تشخيص للأ مراض ليسهل معرفه العلاج ولهذا نجد أنه تعالي يقول والي عاد أخاهم هود ا..والي ثمود أخاهم صالح فالتطور يتطلب معرفه الواقع وان يكون المحرك من داخله فهو الأقدر علي احداث حركه التطور المناسبه فقد شاهدنا كيف أن نقل الشعارات الغير مدروسة من اوربا الشرقية والغربية الي المجتمع المسلم ادي الي طمس معالم التطور وتحول الأمر إلي صراعات وازداد التخلف بقدر الابتعاد عن الواقع ومن هنا تظهر الحاجه الي القدوه الصالحه التي تتراجم المنهج الرباني في واقع الحياه الملموس فتحوله من نظريات الي واقع عملي

المفهوم الرابع

أن القرآن الكريم لاينكر علي قوم عاد الموهلات التي وصفوا بها من القوه والشده وتشيد المصانع إنما أنكر عليهم لوزامها لم ينكر عليهم القوه والعظمه وانما أنكر عليهم انهم جعلوها اداه للبطش والظلم والبغي ولهذا ذكر في موضع آخر (ويزدكم قوه الي قوتكم)بأنهم اذا طاعوا الله وشكره فسوف يزيدهم قوه وتمكين وهنا قال تعالي

(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون)

والايات تتحدث عن قوم عاد الذين تعود جذورهم الي العرب البائده فهم اول من تكلم العربيه وقد سكنوا منطقه الاحقاف باليمن حضرموت كما أخبرنا الله في سوره الاحقاف وكذلك فإن بقيه القصص في هذا المقطع هي لحضارات كان مسرح أحداثها في امه العرب

وهذا فيه كشف جزء من سر اختيار امه العرب لتكون حامله الرساله الاخيره فهم وان كانوا متوحشون همجيون ا لا أنهم مهياون للقيام بإصلاح العالم كله بعكس بني اسرائيل فقد كان دورهم محصورا حول إنقاذ أنفسهم من الا ستعباد فقال تعالي

(أن أرسل معي بني إسرائيل)

ولهذا فإن ذكر حضاره قوم عاد تهدف إلي أمرين الأول تذكير امه العرب بتاريخها لتنهض بالمهمه وتحذر أن تغتر اذا صار لها العز والتمكين وليس في الايات إنكار امتلاك القوه فهذا أمر غير منطقي يقول ابن باديس (محال أن ينكر القران علي الناس القوه وهو الداعي إليها ...فالقران شرع يحبب الدعوه الي القوه لكن يجب استغلال هذه القوه للحق والخير والعدل وليس للشر ...فقال تعالي في موضع آخر (وتبنون بكل ريع ايه تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين)

وفي هذه الايه تكشف لنا العمران الذي وصلت له امه العرب تدل علي بناء حضاره قويه فقال تعالي (ايه) علامه علي البناء الشامخ الدال علي قوتهم وعلامه عظمه البناء ولم ينكر عليهم عظمه البناء وانما أنكر عليهم الغايه المقصوده من البناء وهو العبث لأن كل بناء شامخ لايكون له من غايه محموده شريفه إنما هو عبث ولهو باطل

ولهذا كانت دعوه هود لهم لعباده الله بتصحيح أوضاع حضارتهم بحيث تكون متوجهه لخدمه قضيه الخلافه بأن تخضع لمنهج الله

وفي هذا اشاره الي أن العباده لله لاتعني الصلاه والصيام والزكاة والحج كما يتصور البعض فالتوحيد ليس عقيده تعمل عملها في نفس الإنسان فقط ولاتتعدي النفس للمجتمع فالتوحيد الذي حمله جميع الرسل لم ينزل ليملأ القلوب والعقول فقط وانما نزل ليعمل أثره في الحياه وينظم المجتمع فالعقيده دين ودوله وعباده وعمل روح وسياسه ايمان واقتصاد يتدخل في علاقات الرجل وزوجته وخادمه وأمه وأبيه يتدخل في الاقتصاد والمالية و الميراث فيضع دستورا لهذا كله فالتعاون الإنساني المتبادل بين الفرد والمجتمع في عقيده التوحيد هو السر في أن الإسلام لايمكن فصله عن الاقتصاد أو السياسه فهو المسوول عن تنظيم العلاقات الإنسانية بين الفرد و المجتمع والدوليه في جميع نواحي الحياه

ولهذا نجد أن القرآن يصور انحراف قوم عاد في بناء حضارتهم عن قيم الدين جعلهم خارجين عن طاعه الله وأنهم عابدون للمال والقوه والجاه وليسوا عابدين لله فالحق لم ينكر عليهم بناء القصور والمصانع والسدود لذاتها ولكن أنكر عليهم غاياتها وثمرتها بأنها لم تكون اداه لتحقيق العدل والمساواة وحمايه الحقوق لأن طغيان الماده جعلهم يهضمون حقوق الضعفاء من عمال وغيرهم

فقوله تعالي (أفلا تتقون) تهدف إلي تهذيب النفوس من طغيان الماده فالاصل أن يودي العلم الي الخشيه وقد وصفهم الله بأنهم كانوا (مستبصرين) لم يكن اهلا قوم عاد لعباده الأصنام فليس الأمر كذلك ولكن للافراط بـ

القوه والجبروات للتفريط بالعدل والمساواة ولهذا قال تعالي في موضع آخر (واذا بطشتم بطشتم جبارين)

فالبطش بحد ذاته ليس ما ينكره المولي سبحانه وتعالى لأن البطش مأمور به لأنه لابد لكل امه تسود اوتقوي من بطش لكن البطش فيه ماهو حق وفيه ماهو باطل فالبطش الحق أن تلتزم قواعد العدل والانصاف أما الجبارين فهم الذين يرغبون الناس ويجبرونهم علي أن يعملوا بارداتهم هم لا باراده العاملين اي تعمل بغير رايك فبطش الجبارين يكون انتقاما ارضاء لكبرياه وجبروته

وهو ما يفهم منه لماذا قال هود (أفلا تتقون)

فقد جاء بشريعه يعلم فيها الناس كيف يكون بناء الحضاره وفقا لشرع الله ويقال إنه ذهب يقيم قواعد العمران علي معني شرع الله بحيث تكون حضارتهم موافقه لمنهج الله تعالي ومبادئه من القيم والمثل العليا أراد أن يجعل لحضارتهم الماديه ارتباط بالقيم الروحانيه ولهذا غضبوا منه اشد الغضب لانه تعرض لأمور تمس شوون الدوله وادرتها فقالوا (انا لنراك في سفاهه وانا لنظنك من الكاذبين)

وهذه هي ثقافه أصحاب اي حضاره ماديه حيث نجد أنه بقدر تقدم الناس من الناحية الماديه يكون هنالك انحطاط بالقدر نفسه في القيم الروحانية هذا واقع نراه اليوم في حياتنا المعاصرة

حيث تتلاشي القيم والمبادئ تدريجيا حتي تصل اوراح الناس لمرحله لم تعد تحتمل ان تمسها الحقائق المقدسه ولهذا ثقل علي قوم عاد أن يدعوهم هود الي تصحيح مسار الحضارة التي بنوها بربط ذلك بالتوحيد ومواقفه منهج الله فنظروا الي دعوته واستنكره أنه تطاول منه وقله احترام لمكانتهم ومنزلتهم وسؤء تقدير للمقام ولهذا اتهموه بالسفاهه والحماقه والكذب لأن التقدم المادي في غياب القيم والمبادئ والمثل العليا والحقائق الروحانيه يشكل قوه جذب تجر الناس الي الماديات حينها يطرأ انقلاب علي المواهب فتجد من يمدح اشياء قبيحه ويزعم انها جميله عندها فإن التقدم المادي يدمر كيان الإنسان فينظر للحقائق الروحانيه نظره استهزاء وسخريه عندها تسود ثقافه الماده في حياه الناس حينها يعد الصادق الحقيقي والأمين بنظر هم حمقاء واغبياء لايعرفون ما ينفعهم وفعلا فإن هذا الواقع ملحوظ فنحن نشاهد كيف أن الناس أصبحوا يطلقون علي الامين احمق وينظرون للسارق والمحتال أنه ذكي يدبر حاله فهذا الانحطاط ينتج عن التقدم المادي للحضاره اذا لم يكون التقدم بالتزامن مع مراعاه الحفاظ على المبادئ والقيم فإن قول الأكابر من قوم عاد لهود أنهم يرونه في سفاهه والتي تعني الحماقه وخفه العقل التي تودي الي الخطاء في الرأي

فالسفاهه في نظرهم هي أن يقف هود ضد تقاليدهم واعرافهم وان كانت تحتوي علي الاباطيل فالعقل في نظرهم أن تقف مع الموروث الثقافي وان كان فاسد

وكان ما سمعوا من هود أمر غير متوقع أن يصدر من شخص ولهذا نجد أنهم أكدوا التهمه التي توجهوا بها لهود بخفه العقل بقولهم (وانا لنظنك من الكاذبين)

فهو بنظرهم كاذب من جمله الكاذبين واستعملوا الكلمه لمعني التأكيد بمعني أنهم متقينون من ذلك إذا كان معني الظن هنا اليقين كما في قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أما إذا كان معني الظن من باب الترجيح فهذا يعني أنه ما ترجح عندهم أنه كاذب في ادعاء النبوه والكلام صادر من الملاء الذين كفروا من قومه كما ورد في الايه فدل لفظ التبعيض من قومه علي ان هنالك من امن بما يدعو هم إليه هود

ثانيا

يأتي جواب هود علي اتهام الملاء من الذين كفروا من قومه بقوله تعالي

(قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغلكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم

الجواب فيه الآتي

الأمر الأول

أن علي الداعيه اذا أراد نجاح دعوته أن يقوم بتنميه الحوار الإيجابي من خلال تهئيه المناخ المناسب لذلك نجد أن رد هود فيه التحلي بالوقار والابتعاد عن التشنج والانفعال فقال تعالي (قال ياقوم) انه يتودد لهم يظهر الا هتمام بمن حوله يريد أن يكسب حبهم وبالتالي فعلي الداعيه أن لاينسي أن مهمته توسيع دائرة صداقته فهود توجه بالخطاب للجميع رغم أن الايه قبلها تشير الي أن هنالك من استجاب من الأكابر لدعوه هودبعكس قوم نوح كما يتضح من لفظ التبعيض في قوله تعالي (قال الملأ الذين كفروا من قومه) لكن هود لم يحصر دعوته في مجموعه واحده فتوجه بالخطاب لجميع قومه وهذا يعني أن علي الداعيه أن يعيد التواصل مع كل الاصدقاء وكسب ثقتهم بأسلوب هادي وان تعتمد علي اسلوب الحوار والتفاهم والابتعاد عن الجدل والمناقشات التي تشكل ازمه مانعه من التواصل مع الآخرين وهذا يتطلب فهم الواقع وعدم تجاوز حدود الإمكانيات والحذر من إهمال الحقائق الموثره في تحريك سرعه التطور فإن عليك أن تكون أحكامك للواقع صحيحه ومنطقيه بحيث تكون مفاهيمك متحركه بقدر تحرك تجارب الواقع الذي تريد تطويره ولهذا ينبغي أن تستفيد من الإمكانيات المتاحة

ولهذا نجد أنه ابتداء بنفي عن نفسه تهمه الحماقه والسفاهه فأخبرهم أنه لم يسئ التقدير للمواقف (ليس بي سفاهة) ثم يأتي الاستدارك (ولكني رسول من رب العالمين)فما دفعه لما دعاهم إليه هو أنه مأمور من الله أن يبلغهم أوامر الله ونواهيه وليحذرهم عواقب التكذيب فالباعث هو خوفه واشفاقه عليهم فمصدر علمه هو الوحي الإلهي

الأمر الثاني

عليك ايه الداعيه أن تشعر أنك صاحب قضيه وانك مكلف من الله بالدفاع عن الحق و تبليغ الدعوه وإستنقاذ الناس من الاففساد وسفك الدماء اي أن هذا واجب علي عاتقك وهي من أعظم المهام واشرفها ولهذا فاللازم عليك أن تحسن انتقاء الألفاظ والكلمات القادره علي اثاره الاحساس للقبول بما تدعوهم إليه ينبغي أن تكون عباراتك جذابه لاستجابه المخاطبين وقادره علي الوصول الي أعماق نفوسهم ولهذا نجد أن هود يقول لقومه (انا لكم ناصح امين) في رده علي اتهامهم له بأن الحماقه متمكنه منه لاتنفك عنه بأنه ليس به حماقه فهو يتحري الذي يصلح لهم بصدق وأمانة وانه ماقال لهم ذلك إلا من موده الناصح ومن صدق الأمين

الأمر الثالث

اهميه تربيه النش علي الامانه والصدق والشجاعه في قول الحق لان من أهم

القائد الامانه والصدق فجميع الرسل اتصفوا بالامانه والصدق وهذا هو واجب البلاغ ولذلك يقال عن الانبياء أنهم يحملون الامانه ويبلغون الرسائل اي حملوها وبلغوها للناس بامانه دون زياده حرف واحد ولانقصان

ولهذا عندما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين الدعوه لم يدعوهم لها مباشره بل ابتداء بقوله اريتم لو اخبرتكم أن جيشا وراء هذا الودي يريد أن يغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما علمنا عنك كذب قط

قال فإني رسول الله اليكم فالصدق هو الأساس والمدخل لقبول الناس ما تدعوهم إليه ولهذا فإن الصدق والأ مانة من صفات القوه فالله سبحانه وتعالى يقول علي لسان ابنه شعيب عن موسي (ياابت استاجره أن خير من استأجرت القوي الأمين)ووصف الله المومنون بقوله (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون)

فالحياه لاتستقيم بدون الامانه لأن الناس بحاجه الي الثقه فيما بينهم لاستمرار التعاملات ونجاح الاجتماع بينهم يقوم علي هذه الصفه فانعدام الثقه بين الناس يودي الي هدم قواعد الاجتماع ولهذا لابد من غرس الاحساس بحمل الامانه وبالذات امانه حمل التكاليف والحقوق المنصوص عليها في قوله تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والأرض....الخ

وبالتالي فإن حمل الامانه تحتاج إلي انسان قوي يقوم بمرعاتها وحفظها بحسن الأداء لها وحسن التلقي بالطاعه و الانقياد والتعظيم لأمر الله والشعور بواجبها علي الدوام فالامين هو الثقه الموتمن

المبحث الثاني

تستمر النصوص في بيان القاعده التي تقوم عليها الدعوه بأنها تقوم على الإقناع ولهذا يقول لهم لماذا تتعجبوا من نزول الوحي علي شخص من بينكم فلا وجه للعجب بل إن ذلك هو الوسيله لمعرفه مراد الله ومطلوبه ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بإرسال رسول تعرفونه ليكون قادر علي التخاطب معكم فهو يحاول إقناعهم بشخصه وبفكرته من خلال المنطق وبالحوار لان مهمه الرسول البلاغ والبيان وموضوع الرسالة هو الإنسان وقد جعل الحق الايمان والتدين ثمره الاقتناع ودليلا علي حريه اختياره واحترام أردته وتحقيق كرامته ومخاطبه عقله ووعيه لياتي الايمان اختيارا وليس اكراها وعنتا ومصادره لاراده الإنسان ولهذا نجد أن التركيز في مخاطبة الإ نسان يتوجه الي عقله ووعيه لأجل تحريك عقله وآثاره تفكيره ونظره سبيلا لإيمانه لأجل تنميه ملكاتهم ولهذا يقول (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون)

يقول لهم اذكروا وقت استخلافكم فهذا الاصطفاء لكم بعد اهلاك قوم نوح فالانتساب للصالحين يوجب عليكم اتباع طريقهم والسير علي ماساروا عليه

يذكرهم بما حل بالمكذبين من قوم نوح من الهلاك

الأمر الأول

فأراد بهذا اعاده تشكيل رؤيتهم للكون والحياه من خلال قراءه قانون الاستخلاف المطبق علي الأمم في الأرض بأن الذي يخرج عن طاعه الله ويجحد الانبياء وايات الله يكون مصيره الهلاك ولهذا يذكرهم بما حل بالمكذبين من قوم نوح من الهلاك لانهم خروجوا عن طاعه الله

الأمر الثاني

أراد احياء الشرف في نفوسهم وما يعتزون به من الانتساب لمن انجاهم الله من مع نوح في السفينه ولهذا اذكروا أن الله اصطفاءكم من ذريه القوم الصالحين الذين انجاهم الله فالانتساب للصالحين يوجب عليكم اتباع طريقهم والسير على ما ساروا عليه فالخلافه شرف مرهون بطاعه الله فهذا الشرف لن يتأتى مالم تكن الامه في مستوي إيمانها فيما ومبادئ وفي مستوي تجربتها الحضاريه التاريخيه ارتكازا واعتزاز ا واعتبارا وفي مستوي عصرها بحيث تكون قادره علي تجسيد مبادئ وقيم الايمان التي كانت وراء نجاه أسلافهم

ليشعرهم أن الشرف الذي حظي به أسلافهم يعود إلي طاعه الله لأجل تعمير الارض وفقا لمنهج الله فهذا الشرف المضاف له نعمه قوه وضخامه الاجسام التي انعم الله بها عليكم وهو شرف لم يعطي لأحد غيركم فقال تعالي (وزداكم في الخلق بسطه)

فأراد بهذا أن يشعروا بالمسؤولية وان ينهضوا بالواجب المترتب علي اصطفاء الله لهم من بعد قوم نوح وتمكينهم في الأرض والانعام عليهم بتلك النعم يقول لهم وهو ما يجب أن تدركه انت ايه المسلم وانت تقرا النصوص فأنت المخاطب بالقصه فقد اصطفاك الله بأمر الخلافه في اخر الزمان وهذا المجد من النعم التي يترتب عليها مسؤوليه ملقاه علي عاتقكم يا امه الشهاده فلا بد أن تسترد الامه دورها ومكانتها وفاعليتها وقوتها الا يجابيه وتأثيرها فهذا المجد عليه التزامات وليس للتباهي والتغني بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابه عليك أن تدرك أنه لابد المجد من ثمن لابد أن تقوموا به فاي امه لاتودي ثمن المجد لاتحافظ عليه ثم هي امه لايعتمد عليها في النهوض بنفسها أو بغيرها

فأراد باحياء الشرف في نفوسهم. ان يتعاملوا علي ذلك الأساس بالعدل والرحمه والتوحيد فنعم الله توجب طاعه الله وشكره وتوحيده فالذكر يعني احياء الشرف في نفوسهم فشرف الإنسان الخلافه وهذا الشرف مرهون بطاعه الله ولهذا فإن أعداء البشريه في كل زمان يعمدون الي قتل هذا الشرف في النفوس ليستبدلوه بالعصبيه والتمرد والعصيان فإذا صار الانتساب للصالحين شكل من أشكال التباهي بهم وبصلاحهم وتقديس اشخاصهم واعتبار الا نتساب لهم سببا لدخول الجنه او اعتبارهم شفعاء فإن هذا يعني قتل الشرف في النفوس ولهذا فإنك تكون عرضه للهلاك

وانما احياء الشرف بالاقتداء بهم في طاعه الله والنهوض بأمر الله وشكر الله علي انعامه فعليكم أن تنظروا لقوه من خرج عن طاعه فإنه يفقد شرفه فالقانون المطبق في الخلافه أن من خالف منهج الله فإن سنه الله التي لا تتغير تكون باهلاكه ولهذا ربط الامر بأحياء الشرف الحقيقي في النفوس بالتذكير بالاء الله

لان التذكير لاء الله هي طريق العلاج لماذا ؟

لأن الذي يعتز بالقوه والجاه والسلطان والمال ... وينظر لها انها قوه يتحصن بها ويجعلها القوه التي تحميه اذا آفاق من غفلته وحصل اليقظه للفطره فلابد أنه سوف يعرف أن ذلك كله من عطاء الله ... وبالتالي كيف له أن يستغني عن الله وهو الرزاق الذي بيده كل شي فامراض الناس يعود إلي الجهل والغفله والغني فالإنسان بحاجه الي العدل والعلم لازاله الجهل والظلم للقيام بالخلافة وأداء امانتها لقوله تعالى (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

والفطره كما قلنا تعرف ربها فإذا خرجت من غفلتها فلابد أن ذلك يعيطها العلم الفطري وبالتالي فإن من عرف نفسه بضعفه وافتقاره لربه ومعرفته ربه بعظمته وقوته وشدته وإحسانه وكماله وجلاله لابد أن يجتمع في قلبه

الشعور بالتعظيم والمحبه والخوف من ربه والرجاء فعندما ينظر لمخلوقات الله لابد أن يعظم قدره وابداع الخالق ولابد أنه عند رؤيه عطاء الله وإحسانه وانعامه يورث المحبه لله وعند قراءه دليل الحدث لابد أنه يخاف من ربه لانه يري أن الفاعليه والتأثير علي كل شي إنما هو لله تعالي ولهذا فهو ينظر إلي عطاء الله أنه امتحان وان الفشل في هذا الامتحان يكون بجحود النعم وان الناجح هو الذي يشكر الله فإنه يخاف من الفشل في الا متحان فيبادر الي شكر الله خوفا من عقابه ورجاء الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة

ثالثا

أن مما يجب أن تفهمه هذه الآيات إن طريق العلاج للخروج مما نحن فيه اليوم لاسترداد الامه المسلمه دورها يكمن في الشعور بالمسؤولية والتحدي وان تستعيد الامه قدرتها علي التذكر والتذكير بالقران ومعاوده العطاء من معين النبوه لإنقاذ الانسانيه وامتلاك القدره علي المساهمه في الخلاص ومعالجه ازمه الحضاره المعاصره وإدراك الدور القيادي الذي يمكن أن تضطلع به علي مستوي الذات والآخر ولهذا يقول هود لقومه (واذكروا الاء الله لعلكم تفلحون)

فقد جاء يضع لهم قواعد العمران يرشدهم الي طريقه التعامل مع القيم التي تركها أسلافهم ليكون الارتقاء من خ لال واقعها جاء يحدد لهم المداخل الصحيحه والمواقع المناسبه والاليات والأدوات الملائمه لكيفيه التعامل مع القيم والمبادئ التي جسدتها تجربه هلاك الكفار من قوم نوح ونجاه المومنين الذين هم جذور قوم عاد فاللازم مراجعه الطريق الذي ساروا عليه من بعد أجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح في السفينه لمعرفه الخلل وتصويبه يقول لهم بدل استغراق الحديث عن عظمه اجدادكم وأنهم الفئه التي نجت من الهلاك ابحثوا عن أسباب نجاتهم وهذا ما نحتاجه اليوم نحن المسلمون وكل جماعات العمل الإسلامي هو العوده الي ينابيع الاسلام ودراسه تاريخيه والاستفادة من تجاربه بإصلاح أحوالنا فأنت اليوم اذا وقفت علي حال الامه تجد فيها من الأ حوال ما يجعلك تصاب بالاحزان وانت تشاهد مصيبتنا وكيف اننا اصبحنا في ابتعاد عن دين الله وتري الكثيرون يتغنون بامجاد الإسلام وحضارته وهم بعيدون عن عنه كل البعد وتجد كلا يدعي أنه علي الحق ويتعصب لأفكاره ويرفض قبول النصائح وهم يدعون أنهم عاملون في الحقل الاسلامي فما بالك بالحكام ومن هنا ندرك أن استعاده الامه لدورها الريادي مرهون بقدرتها علي التذكر والتذكير بالقران ومعادوه العطاء واسترداد الفاعليه مرهون باستصطحاب معرفه الوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع الحياه وأحداثها وتحولاتها وان الامه الغير قادره علي التذكر والتذكير والعاجزه عن التعامل مع المثل والقيم والمبادئ التي تستمد منها حضارتها فإنها تنتهي الي الهلاك والزوال ولهذا تنقل لنا الآيات رده فعل قوم عاد علي دعوه هود لهم باقامه بإعادة النظر في قواعد العمران التي أقاموا عليه حضارتهم وتصحيح تصوراتهم عن الانتماء والارتباط باجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح بأن يكون انتماء للفكره والقيم وليس للذوات وتحذيره لهم من أن يحل بهم العذاب كما حل بقوم نوح المكذبين يأتي الجواب يرسم رده فعل قوم عاد علي نصائح هود لهم فقال

لقد قدم لهم النصائح فماذا كان رده فعلهم تفصح لنا الآيات عن رده فعل المتكبرين في كل زمان عندما تنحرف الفطره وتطمس معالمها وتتشوه فانه يتضايق من تذكير الانبياء لهم و يجعله يحس بالم لان التذكير يمس كبرياءه وغروره فالايات تنقل لنا مشهد يرسم حالهم بأنهم يستثقلون النصح والإرشاد وينفرون من سماع النصائح فقال تعالي (قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

ترسم لنا الآتي

/١

أنهم لايستجيبون للنداء وترسم لنا صوره تجسد حالهم بأنهم يستثقلون النصح والإرشاد وينفرون من سماع الفضيله فهنالك قوه نفره من الفضيله التي يدعوهم إليها فهم لايطيقون الاستماع إليه ولايصبرون علي النظر فيه وهذا يدل علي خلل في قوي الحب والغضب وانحراف في قوي العقل وان الفطره قد طمست معالمها وتشوهت لا ن الإنسان مفطور علي حب الفضيله وكره الرذيله ولهذا فاللازم عليك اذا وجدت في نفسك نفور من الفضيله أن تبحث عن مقتضي ذلك وتتلاحق نفسك بالتزكيه قبل أن تفسد فطرتك وكذلك في حال وجدت لديك ميل الي الرذيله فعليك أن تبحث عن مقتضي ذلك وتتداركه

أما إذا تركتها فإن الفطره سوف تفسد والعقل سوف يخمل وعندها لن تكون قادرا لاعلي التذكر ولا التفكير وسوف تحس بالضيق من سماع نداء الفطره نتيجه التشوهات التي لحقت بالفطره

٢

ترسم النصوص مشهد يجسد خطوره العاده عندما تتمكن من الإنسان وعندما تسيطر علي كيانه فإنه يصير عبدا لها فقد استعجلوا العذاب وقطعوا الحوار بذلك

فهولاء لايقبلون إجراء المراجعه والتقييم للحضاره التي شيدوها يرفضون القواعد الربانيه الصحيحه التي فيها القيم والمبادئ الحقيقه لنهضه الامه والعوده الي ماكان عليه نوح عليه السلام ومن معه في السفينه ويفضلون التصنيم الخرافي الذي صنعوه هم واسلافهم ونسبوه الي نوح ومن معه زورا وبهتان

زاعمين أن ذلك فيه السعاده فقد استعبادهم المألوف وافقدهم خصائص الانسانيه فهم عاجزون عن التفكر و التأمل والنظر في ما يدعوهم إليه هود

ولهذا فإن اللازم تربيه النش علي مقاومه قوه العاده والمالوف حتي لايكون اسير وسجين العاده فالإسلام قد سعي جاهدا لتحرير الإنسان ولذلك أمر بالهجره من الديار والأوطان عندما تحاصر الدعوه وتقيد الحريات وذلك للقضاء علي سلطان العاده والمالوف لتحرير الإنسان من قوه استعباد المألوف ولأجل المحافظه علي خصائص الإ نسان من أن تمس

٣

تفصح الآيات عن تمسك قوم عاد بالعادات والتقاليد المورثه وترفض استبدالها بقواعد العمران التي أراد هود إقامتها وهذه القواعد التي تمسكوا بها زعموا أنها دين الله الذي سلكه الناجون مع نوح في السفينه الذين بنظرهم وسيله التقرب لله

وهذا هو حال كل من جعل الذات هي الفكره عندما يصبح الانتماء للذات بدل الفكره فعندما يصبح المعيار و العصمه للذات بدل الفكره فإن الناس لايقبلون النقد

وهولاء أقاموا عقيدتهم علي الاعتزاز بالانتساب بالصالحين من قوم نوح عليه السلام وبدل عباده الله قاموا بمتجيد الأشخاص الأجداد والقوه والمال والجاه فهذا لابد أن حاله أنه لايتدبر ولايتفكر لانه اتخذ من ذلك سندا ووليا يتحصن خلفه ولهذا فقد كانوا يعبدون المال والقوه والجاه جعلوها اصناما والهه تعبد مع الله وعندما

دعاهم هود الي التوحيد واقامه العمران علي منهج الله فقد إدراكوا أن معني ذلك العدل والمساواة لأن كلمه لا اله الا الله تعني اعلان المساواه بين الناس جميعا وهم كانوا جبارين في بطشهم وكانوا عابثين كما وصفهم الله و النصوص توخي أن مفاسدهم كانت لها فلسفه وقوانين مورثه تعارفوا عليها يزعمون أنها وصايا أجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح ولهذا نظروا الي غيرهم من الناس أنهم خرجوا عن وصايا الأجداد ولهذا كانوا يتعاملون معهم بالبغي والطغيان فقد انزلوا العرف منزله العقيده التي تنبع منها أفعالهم وتصرفاتهم فهو المعيار والميزان الذي يزنون به تصرفاتهم واحكامهم علي الخير والشر علي الهدي والضلال ولهذا قالوا (ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

فاستبعدوا تحذير هود لهم وقد تعلقوا بقوتهم وبان أسلافهم يقومون بحمايتهم ما التزموا الاعراف المورثه عنهم وبالتالي فهم في امان وفقا لتصوراتهم ولهذا فقد طلبوا استعجال العذاب استبعادا وتكذيب وعتوا وتمردا

رابعا

بعد ذكر إصرار وعناد قوم عاد وتكبرهم ورفضهم القبول بالحق وقطعهم الحوار بطلب استعجال العذاب يأتي جواب هود عليهم فقال تعالي

(قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

يلاحظ أن حوار هود معهم مختلف عن ما سبق فهو لم يتودد إليهم كما كان حاله في السابق بقوله (ياقوم) وانما ورد الجواب بدون هذه العباره وهذا يعود إلي اهميه المفاصله بين أهل الحق وأهل الباطل عند الوصول إلي مفترق طرق ولهذا نجد أنه عند ذكر النجاه يقول الحق (فانجيناه والذين معه) ولم يقل المومنين لأن الايمان يفهم من الاصطفاف في المكان الذي تقف فيه عند المفاصله بين الحق والباطل فهذه الموقف تحتاج إلي شجاعه وارده قويه إذ لامعني لايمان لايدفعك في هذه اللحظات الفارقه من حياتك أن تقف مع اهل الحق فإن استمرارك بـ الوقوف بصف الباطل يعني أنك غير مومن حقيقه فأنت لاتثق بـالله ووعده وبالتالي فإن عدم وقوفك بصف الحق وبقاءك في صف الباطل يعني أنك لم تومن وانت من جمله المكذبين ولذلك نجد أنه تعالي يقول (فقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين) نفي عنهم الايمان ولهذا فاللازم عليك في مواقف المفاصله بين الحق والباطل أن تحسم موقفك بصف من تريد أن تقف هل مع اهل الحق وأن كانوا قله وضعفاء ام مع أهل الباطل لأن المكان الذين تختار أن تقف فيه يحدد موقعك في المعركه والعاقبه التي تفرزها نتيجه الصراع بين الحق والباطل فلا مجال للمداهنه في هذه المرحله فأما أن تقف مع اهل الحق فتكون معهم في المصير والفوز والنجاح وأما أن تقف مع أهل الباطل فتكون معهم في المصير فلا يوجد حل وسط في هذه المواقف فلا تردد فالايدي المرتعشة لا تصنع النهضه وغير قادره علي اصلاح نفسها ولا غيرها

الامر الثاني

يلاحظ أن الجواب ابتدأ بقوله تعالي علي لسان هود لقومه (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) جاء فيه الا

اخبار عن عذاب الله الذي وجب عليهم علي مقالتهم تلك بعبارات قادره أن تهز المشاعر حيث جاء التعبير عن تحقيق العقاب بحرف التحقيق(قد)مع الفعل الماضي (وقع) فكان استعمال الفعل الماضي للاخبار عن عقاب متوقع لأجل الآتي

/١

لتعلم انت ايه المخاطب أن لكل شي شي سنن ونواميس تحكمه وتنظمه بمثابه معادله رياضيه مقدمات تودي الي نتيجه فلا يمكن القفز من فوق هذه السنن في تفسير الأحداث في مجال الخير والشر ولهذا فعليك أن تحذر الأ سباب والمسببات التي تكون سببا في الهلاك والدمار

فهود قال هذا لقومه بعد أن لجوا في طغيانهم وطلبوا استعجال العذاب استبعادا وتكذيب وعتوا وتمردا منهم أخبرهم أنه لابد من وقوع العذاب فقد انعقدت أسبابه وحان وقت الهلاك

فعليك أن تحذر مانزل بهم فاحذر أن تكون أمثالهم اجتنب كل أمر تسبب في هلاكهم عليك أن تدرس الأسباب التي اوصلتهم الي الهلاك لتحذر الوقوع فيها فهي مقدمات تودي الي النتيجه فيجب أن تنظر إلي النتيجة من خلا ل المقدمات لتكون الصوره في ذهنك وانت تري الأسباب الموديه للنتيجه أنها سوف تحقق لامحاله وليس مجرد توقع ولهذا نجد أن ألفاظ النصوص ونغماته جاءت متناسقه مع الغرض ومنسجمه معه ومع الصوره التي ترسمها ا لآيات في جعل ماهو متوقع كالواقع فنجد الادغام هنا ابتداء بادغام المتماثلين (عليكم من) الميم الساكنه مع الميم ثم إدغام النون الساكنه مع الراء (من ربكم) ثم إدغام التنوين مع الواو في (رجس وغضب)

يقول الاشقر (اي قد استحقيتم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لامحاله فجعل ماهو متوقع كالواقع فكانما الرجس والغضب قد حصل عليهم فأصبحوا داخلين في سخط الله وعذابه وان هذا الغضب قد وقع لهم واحاطتهم من كل جانب فهم غير منفكين عنه فناسب هذا الادخال الادغام الذي هو ادخال شي في شي

/2

الايه فيها وصف لحالهم يقول لهم أن اصراركم علي الكفر وعدم قبول النصائح يجعلكم غير صالحين للخلافه التي هي شرف الإنسان فهذه المهمه هي التي يعرف بها الإنسان لوجوده غايه ويحس أن لحياته قيمه ومعني وأنه ليس شي تافها ولامخلوق يتخبط مضطرب ومن معاني الرجس النجاسه والشك والرجز الذي هو الاضطراب فيقال رجست السماء اي رعدت رعدا شديدا ويقال وهم في مرجوسه من أمرهم اي في اختلاط والتباس و الرجس الشك وكل عمل قبيح وكل قذر ومستخبث ولهذا لايصلح للخلافه الا من كان طاهر النفس قد أزال مافيها من نجاسه فالله يقول (كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لايومنون)

فعندما ينشغل الإنسان عن الغايه التي خلق لأجلها ويترك المهمه التي كلفه الله بها فإنه عندها يفقد شرفه وكرامته ويكون غير صالحا للخلافه ولهذا يعاقبه الله بالرجس كما قال تعالي (وأما من بخل واستغني فسنيسره للعسري)

ولهذا نجد إطلاق المسبب علي السبب فذكر أنه نزل عليهم عقاب (من ربكم) من جهته تعالي (رجس) اي رين علي قلوبكم عقوبه منه تعالي لكم بالخذلان والغضب بالطرد من رحمته تعالي لأن الكفر الذي تصرون عليه يعني انكم غير صالحون لشرف الخلافه لأن الرجس يعني كل مستقذر خبيث والرجس عذاب

واضداد الرجس اسم البري والبار والطاهر والنقي والزكي ....ولهذا جاء الوصف بأنهم قد اتصفوا بأوصاف توجب الجزء بالهلاك كما قال تعالي (سيجزيهم وصفهم)

ولهذا تكشف الآيات عن سخافه معتقداتهم وتصوراتهم بأن تمسكهم بالعادات والتقاليد كمصدر شريعه لهم لتنظيم أمور حياتهم ورفضهم الاستجابه لنداء الفطره وعدم استرشاد عقولهم بالشرع القويم مع أن اصنامهم وعاداتهم وتقاليدهم ليس شيئا حقيقا إنما مجرد اسماء وقواعد اطلقوها هم من عند أنفسهم هم واباؤهم فاين كانت عقولهم اين غابت بصائرهم اين الحجه أو الدليل علي ما يجادلون به فهم يجادلون علي أمور لاحقائق لها وهي لا شي فقال تعالي

(اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم مانزل الله بها من سلطان)

فأراد بهذا الرد بيان أن خبث نفوسهم الاماره بالسوء والهوي التي تقودهم قد اجتمعت هذه الشهوه مع شبهه العقول عندها وجدتها موافقه لهواها فترسخت وأخذت طريقها الي القلب فالله يقول (كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لا يعقلون)

فلولا ان الشبهه موافقه لهوي النفس ماكان لها تأثير عندما وردت الي العقل فهي ليس لها برهان ولا اذن من الله فما الذي أعطاها القوه انها موافقه هوي النفس ولولا ذلك لدفعتها النفس ولتجاهلتها ولهذا فإن الباعث والمحرك لعباده الأصنام والتمسك بالموروث هو هوي النفس لأن من يعبد صنما أو شي صنعه بيده وسماه هو أو اباءه هل استعمل عقله ام أخفاه لاشك أنه اخفاءه وستر ه عن رؤؤيه الحقيقه وهي بطلان عبادته وخفاء مشروعيته ولهذا ناسب الخفاء الاخفاء الوراد في الايه التنوين مع السين (اسماء سميتموها) والنون الساكنه مع التاء في قوله (انتم) لأن اتباعهم لاهواء أنفسهم غطت علي القلوب والعقول الحقائق وسترته واخفته فهم لاحجه لهم إلا التقليد الأعمى للاباء والأجداد وهم من أجل هذه الدعوي الواهيه مصرون علي شركهم اتباعا لهوي أنفسهم يقول الغزالي (من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه إذ نفسه مائله الي دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الي المالوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوي)

الامر الثالث

ما معني (مانزل الله بها من سلطان) وما علاقته بقوله (فانتظر اني معكم من المنتظرين)

من معاني السلطان القهر والغلبه والحجه والبرهان وبالنظر الي قوم عاد نجد أنهم اغتروا بالقوه فقالوا من أشد منا قوه...واغتروا بالحضاره فتصوروا أنهم في منعه من العذاب وأنهم يتحصون بتلك الحصون ..وايضا زعموا أن الاعراف والتقاليد المورثه لايجوز الخروج عنها وان من خالفها فإنه يشكل خطراً علي حضارتهم وقوتهم زاعمين أن تلك القواعد هي التي كانت وراء نجاه أسلافهم الناجون مع نوح

ولما شاهد هود حال قومه يذهبون خلف اهوائهم مما يعتقدون عرف أن الله قد أوجب عليهم العذاب فهو واقع لا محاله لأن من اوكله الله الي نفسه وتركه يذهب خلف هواه مما يعتقده فإن هذا دليل انعقاد أسباب العذاب وأنه مطرود من رحمه الله لأن من كان هذا حاله فإنه لا يرجع إلي حقيقه من الدين ولايهتدي بدليل من الكتاب فهذا جائر عن قصد السبيل فهو مشغوف معجب بما اخترعته الاهواء ولم يعتمد علي ركن من الحق يركن إليه ولهذا جاء نفي أن يكون الانتساب للصالحين والتوسل بهم والقوه التي انعم الله بها عليهم حصنا يتحصنون بها أمام

قوه الله فقال لهم عليكم أن تدركوا أن خروجكم عن طاعه الله ومنهجه يجعل من قوتكم وحضارتكم عرضه للزوال لأنها قوه بلا شرف فليس الشرف عائدا ماذكرتم أو إلي

حمايه اسلافكم فهذه أمور اخترعتموها انتم واباؤكم لاحقيقه لها انها خرافه لاقيمه لها فشرف العبد الحقيقي هو العبوديه لله فهذا هو الحصن المنيع الذي يمنع الهلاك والزوال ولذلك جاء بعدها بجواب الشرط (فانتظر اني معكم من المنتظرين

)

لأن تحدي القوم بطلب استعجال العذاب كان استبعادا منهم لأنهم تصوروا أن أرواحهم أجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح عليه السلام تقف مدافعه عنهم ما التزموا بالتقاليد والعرف ولذلك قالوا (فاتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

ولذلك بعد وصف حالهم الموجب للهلاك قال (فانتظروا اني معكم من المنتظرين)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن علي الداعيه أن ينطلق في دعوته متوكلا علي الله واثقا بالله فلا يضعف أمام الأعداء فهو يحمل مشروع الدعوه الي الله ويدافع عن الحق فأنت مكلفا من الله بالدفاع عن الحق وبالتالي فإن قلوب الأولياء لله تكون مطمئنة واثقه بتحقيق الله وعده فهو أشداء النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه

ولهذا فمن كان واثقا بالله ومعتمدا عليه تعالي فإنه لن يتأثر بالعواصف ولن يضعف أمامها لانه يركن الي قوه الله

المفهوم الثاني

يريد الحق منك أن لاتستوحش في طريق الهدي لقله أهله وان تكون واثقا بأن الحق هو الذي سوف ينتصر نهايه المطاف مهما كانت قوه الباطل فلابد أن ينهزم الباطل فلابد أن يزوال الباطل مهما تفشي ومهما كانت قوته ظاهره لأنها قوه بلا شرف سرعان ماتزوال

ولهذا فإن انتظار المومن للنهايه تختلف عن انتظار الكافر فالمومن يقف صامدا يستعلي بالحق واثقا بالنصر للحق وهزيمه الباطل فمن كان معه الحق لابد أن ينتصر انتظار العالم الذي يخشي الله

أما الكافر فإن انتظاره هو انتظار المستهتر المتعلق بالدنيا وطول الأمل فهم يجتمعون علي ملذات الدنيا الزائله ومتاعها قليل حتي يتفاجاون بالعذاب

الأمر الرابع

لماذا ادخل هود نفسه معهم في الانتظار لحلول العذاب الذي وعدهم الله إياه

وما علاقته بالايه بعدها (فانجيناه والذين معه برحمه منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

الجواب

المفهوم الاول

لبيان ان انتظاره هو انتظار الواثق بتحقيق وعد الله بانزال العذاب الذي طلبوه ليهلك من هلك عن بينه ويحي من حي عن بينه فانتظار هود هو انتظار المومن المصدق بحصول العذاب علي المكذبين بينما انتظار قومه هو انتظار المرتابين

ولهذا نجد تقديم ذكر نجاه هود والمومنون معه من العذاب فقال تعالي (فانجيناه والذين معه برحمه منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

المفهوم الثاني

ادخل نفسه في الانتظار لبيان ان العذاب الذي طلبوه سوف ينزل به الله تعالي وليس من عنده فهو لايعلم متي يحل موعده فأراد بهذا الإشارة إلي حقيقه أنه رسول من الله يجري عليه ما يجري علي البشر من مشاعر الحزن و الخوف والرجاء فانتظاره فيه الخوف من العذاب انتظار العبد الذي يدعو الله أن ينجيه انتظار من يرجوا النصر و النجاة فأراد بهذا أن تعلم أن الرسل مهما بلغت منزلتهم لا يتجاوزن مهمه الرساله فلم يدعي أنه هو الذي ينزل العذاب بل أراد بهذا نفي مانسبوا إليه من مجئ العذاب عندما قالوا (فاتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

فأخبرهم أن العذاب بيد الله وهو الذي ينزله وليس غيره

المفهوم الثالث

عليك أن تعلم أن النجاه لاتكون باستحقاق العمل وانما هي ابتدأ فضل من الله ورحمته تعالي ولهذا أخبرنا تعالي أن نجاه هود ومن معه برغم منزله هود لم يكن ذلك إلا رحمه من الله تعالي

الأمر الخامس

لماذا نجد الفصل بين مصير المومنين والكفار في القصص واضحا فنجد أن الحق سبحانه وتعالى بعد ذكر النجاه لهود ومن معه يذكر نهايه المكذبين فقال تعالي

(وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

المفهوم الاول

يراد بهذا أن يزود المومنين بقانون قراءه التاريخ الشرعيه وتفسير أحداثه بأنه يقوم علي أساس موقف كل انسان من الرساله فذلك هو الذي يحدد موقعه من الخير ومن الشر ويحدد النهايه التي تنتهي إليها المصائر في نهايه المطاف

فإن علي العبد أن يتأمل أحوال الامم السابقه في الخير والشر فينظر في تفاوت حالهم من سعاده وشقاء ولهذا بعد أن ذكر الحق النجاه لهود ومن معه من المومنين برحمه الله يذكر هلاك المكذبين فقال تعالي (وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

والقطع هنا يعني الاستئصال بالعذاب الشديد الذي لم يبقي منهم أحد إلا أصبح كالرميم فاستعمال كلمه دابر للكنايه عن الاستئصال والاهلاك للجميع فالدابر تعني استئصالهم جميعا حتي اخر واحد منهم بمعني أنه لم يبقي منهم أحد

فهذا التفاوت في حالهم الذي يجب أن تفكر فيه ينبغي أن تستفيد منه بأن تلزم الأسباب التي سببا في عزتهم وما يتبعها من الأحوال اسئل نفسك ماهي اسباب العزه التي حظوا بها وزاحت عنهم الاستئصال والاهلاك ماهي الا عمال التي مدتهم بالعافيه وكيف انقادت النعمه لهولاء المستضعفين ينظر إلي الطريق الذي وصلهم بحبال الكرامه الذي جنبهم الهلاك فإذا عرفت أن كرامتهم وعزتهم هو بالاتصال برحمه الله فهي التي كانت وراء نجاه هود ومن معه فإن هذا يعني أن تلزم الطريق والأعمال التي تتقرب بها الي الله لتصل إلي رحمته تعالي فهذا هو طريق النجاه والعزه والكرامة ومن لزم التواصي بها وكذلك فإن عليك أن تجتنب كل أمر كان وراء كسر قوتهم واهلاكهم وكل امر أوهن قوتهم انظر الي أسباب سلبهم نعم الله فتحذر أن تقع فيما وقعوا فيه ولهذا ذكر أنه اهلك الذين كذبوا بآيات الله سواء كانت المنزله في كتابه أو آياته في الكون أو اياته في صفحات التاريخ التي أخبرهم بها هود عندما ذكرهم بأنهم خلفاء من بعد قوم نوح ومانعم الله عليهم من ضخامة الأجساد فقال تعالي (الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين) فعطف جمله (وماكانوا مومنين) علي وصف التكذيب لبيان ان مناط النجاه و الوصول لرحمه الله هو الايمان والتصديق بالله ورسله واليوم الآخر وكتبه كما أن مدار الهلاك هو الكفر و التكذيب

المفهوم الثاني

يراد بهذا أن يحسم كل واحد موقفه في معركه الحق والباطل لأن النهايه يكون تقسيم الناس الي فريقين مومنين يقفون مع الحق وكفار يقفون مع الباطل

صفان لاثالث لهما ولهذا قال فانجيناه والذين معه...اي معه علي الحق واقفون في صف أهل الحق ...وأنه اهلك الباقون الذين وقفوا في صف الباطل والسلبيون الذين لم يكن لهم موقف المترددون لم يذكر نهايتهم لكن يفهم منها أنهم اهلكوا مع الكفار لانهم لم يكونوا مومنين حقيقه فلو كانوا مومنين لقفوا مع الحق ولهذا فأنت مطلوب منك اليوم أن تحسم موقفك اين تحب أن تقف هل مع اهل الحق ام أهل الباطل خاصه ونحن اليوم نخوض حرب اعلاميه وفكريه وسياسه واقتصادية واجتماعية وثقافية ورياضية وعسكرية مع الباطل وأصبح لدي الناس استهتار وعدم مبالاه ولاينظرون بجديه لهذا الصراع ويتصورون أن اظهار موافقه أهل الباطل فيما هم عليه وما يقولونه عن الحق بأنه أمر لايوثر في الانتساب للدين ويعتبرون الأمر طبيعي وهو ما يجب الإنتباه له

(القصه الثالثه)

تتحدث هذه القصه عن حضاره قوم ثمود فقال تعالي (والي ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم هذه ناقه الله لكم ايه فذروها تاكل في ارض الله ولاتمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال

بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا أن كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفه فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولي عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رساله ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين)

اولا

منهم قوم ثمود ولماذا سموا بهذا الاسم ؟

تضمنت دعوه صالح لقومه نفس ما دعا نوح وهود اقوامهم (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) فجميع الرسل يدعون لعباده الله وحده فالله يقول (ولقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

والسوال

لماذا تتكرر صيغه (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) رغم اختلاف افات وأمراض المجتمعات والأمم التي تنقل الآ يات لنا واقعهم ؟

بالوقوف علي الآيات نجد انها تتحدث عن حضارات نشاءت في بلاد العرب لان قوم ثمود من العرب العاربه قبل ابراهيم عليه السلام وسموا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأكبر ثمود بن عائر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا أهل حضاره عمرانيه وبناء وهندسه معماريه فقد دلت النصوص أنهم بنوا القصور في السهول ونحتوا البيوت في الجبال ومازالت آثارهم موجوده الي اليوم تدل علي ما وصلوا إليه من التقدم حيث ومساكنهم في منطقه بين الشام والحجاز الي وادي القري بالقرب من تبوك وهذه الحضاره نشاءت في امه العرب وهذه الحضاره نشاءت بعد هلاك حضاره قوم عاد العربيه هي الأخري ولهذا فإن أهم اغراض النصوص هي

الأمر الأول

لبيان اهميه الاعتناء بفقه المراحل وتاريخ الشعوب وفقه التحولات فالعباده هنا بمعناها الشامل والتي تعني أن يحكم الناس المنهج الرباني اي انشاء دوله يحكمها المنهج الرباني المنزل علي الرسل ولهذا جاء اعلام المومنين بـ الموهلات التي تمكن امه العرب من حمل الامانه الخلافه في هذه المرحله التاريخيه مرحله الرشد البشري يقول لهم أن المعجزات الحسيه لاتناسب عصر النضوج البشري وانما هي كانت في مرحله طفوله البشريه وان معجزه القران هي اللغه القادره علي مخاطبه العالم لأن رسالته عالميه ودور القران يشمل جميع جوانب الحياه للعالم أجمع ولهذا نجد أن النصوص تضمنت لفظ العموم في دعوه صالح نفس دعوه بقيه الرسل (اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

فجميع الرسل دعوا الي عباده الله وحده قال تعالي في موضع آخر

(ولقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)....فهذا هو مضمون المنهج الذي حمله الرسل جميعا باختلاف الأقوام واختلاف انواع الكفر لديهم لأن كل نبي كان يرسل لمعالجه امراض قومه

وكذلك فقد كان الرسل يحملون الي جانب المنهج معجزه تتناسب مع حجم الدعوه ونوع المرض الذي أصاب كل

قوم فالمعجزات كانت موضوعها متعلق بالعلاج الذي يراد من ارسال الرسول أن يدوي القوم منه بالمنهج فنحن نعلم أن معجزه عيسي احياء الموتي والاكمه والابرص باذن الله لأن المجتمع الذي أرسل إليهم كانوا أهل علوم طبيه فلابد أن تكون المعجزه في متناول الجميع ولهذا أخبرنا الله أن صالح عندما دعا قومه قال (قد جاءتكم بينه من ربكم هذه ناقه الله لكم ايه فذروها تاكل في ارض الله ولاتمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم)

فأخبرهم بأن هذه المعجزه توجب منهم التصديق فيما يدعوهم إليه فهي خارقه غير مألوفة وهي لاتكون الا ايه سماويه يعجز الناس علي الإتيان بمثلها ولهذا فسرها بقوله (ناقه الله لكم ايه) لانهم طلبوا منه واقترحوا أن يأتيهم بايه ناقه لاتولد بطريقه طبيعيه فهي معجزه حسيه شاهد الناس حصولها بطريقه خارقه للعاداه ولادليل أنها أخرجت من الصخره كما ذهب المفسرون وانما ذلك من الاسرائليات الذي يجب الإنتباه له

المهم هنا أن حصولها كان خارقه بكل المقاييس وهو ما اذهل قوم ثمود ولهذا استعمل اسم الاشاره (هذه ناقه الله) لبيان انه حصل تلقي الأمر بالتعظيم في أول وهله منهم وحصل الاقتناع والقبول لكن بعد ذلك حصل الرجوع عن ذلك ولهذا يقول الحق في موضع آخر (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عندما مر بالحجر (لاتسالوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت يعني الناقه ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فاخذتهم صيحه اهمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله) فقالوا يارسول الله من هو قال أبو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما أصاب قومه)

وقد أخبرنا الله في سوره الاسراء عن موضع المعجزه الحسيه فقال تعالي (ومامنعنا أن نرسل بالايات إلا أن كذب بها الأولون ولقد أتينا ثمود الناقه مبصره فظلموا بها ...الخ

فمعجزه الاسلام القرآن هو نفسه عين المنهج لانه رساله عالميه صالح لكل زمان ومكان فمعجزه القران الاعجاز العلمي بما احتوي من ايات قادره علي مخاطبه العالم الي قيام الساعه وهي لغه يفهمها العالم أجمع

ومنهج القران جاء فيه الشمول لجميع ما يتعلق بحياه الناس من طقوس وشعائر دينيه واقتصاد ونظام حكم في كل شان

الأمر الثاني

تهدف الآيات الي تعريف المسلم بدوره ومكانته في الأرض باعتباره يحمل امانه الخلافه الخاتمه التي تعني تحمل مسؤولية الشهاده فالإسلام هو الوريث لجميع مراحل الأديان والتدين الي أن يرث الله الأرض ومن عليها ولهذا جاء القرآن جامع اي منهج شامل لجميع جوانب الحياه (العباده الشامله) حيث وبالوقوف علي دعوه صالح لقومه نجد أنها نفس دعوه نوح لقومه وهود رغم اختلاف افات وأمراض المجتمعات (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) و هي دعوه جميع الأنبياء فالله يقول في موضع آخر (لقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فلفظ العباده هنا شامله لجميع جوانب الحياه دعوه ليكون المنهج الرباني هو الذي يحكم الحياه انشا مجتمع يحكمه القران فالعباده تكون في الأخلاق والسلوك والدوله والطقوس وفي السياسيه والاقتصاد وفي كل شأن أي أن يكون منبعها هو المنهج الرباني ولهذا فإن المسلم بحاجه الي معرفه عباده العصر او الوقت ويقصد به أن

العباده مرتبطه بالزمن فأنت عندما تسمع الموذن ينادي للصلاه وانت تقرا القران الكريم فلا تنهض لأداء الصلاه وتقول قراءه القران عباده تكون غير عابد ..ولهذا فانه عندما يكون هنالك انحراف وانحطاط في الاقتصاد فإن عباده الوقت تعني أن تعيد الاقتصاد الي اصول الاسلام وان علي كل مسلم معرفه اسرار وعلوم الصناعه والتجاره والتكنولوجيا حتي لايستخدم الاقتصاد والصناعات والاختراعات في القضاء علي قوه المسلمين ..واذا كان هنالك توجه لنشر الرذيله في المجتمع المسلم فإن هذا الزمن يتطلب أن تقف محاربا لمشاريع الباطل فهذه هي عباده هذا العصر التي تتطلب أن تشحذ الهمم والطاقات للوقوف ضد الانحلال الأخلاقي ولذلك فلا عجب أن تتكرر نفس الدعوه من جميع الرسل رغم اختلاف امراض الأمم وافاتها

ومن هذا نفهم سبب اعتناء الاسلام بفقه المراحل وتاريخ الشعوب فالقران ليس منهج تكاليف وشعائر وطقوس بل هو منهج حياه وهو وثيقه شرعيه لعرض وحفظ ماسارت عليه الأمم والشعوب فهذه التجارب الإنسانية التي يقص القران لنا الأحداث تهدف إلي إعطاء المسلمين تجارب تحمل معاني ومفاهيم قادره علي خدمه الاسلام و المسلمين

الأمر الثالث

تناقش الآيات مساله الحضاره وفقا لمفهوم الاسلام وطبيعته المنبثقه من النظره الاسلاميه للإنسان والغايه من وجوده وما يجب عليه تحقيقه من الأهداف

فقال تعالي (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا في الأرض مفسدين)

يهدف الي اعاده تشكيل العقول والافهام والقلوب بتحريرهم من آثار الفكر الجاهلي الواقع تحت تأثير التغني بالا مجاد في قراءه التراث دون الاستفاده من ذلك بمعالجه المشاكل في الحاضر والمستقبل نتيجه غياب الروح الا يماني كما هو حالنا اليوم عند غياب روح الاسلام عنا حيث شجع الغرب علي قراءه تاريخ الاسلام لتمجيد الماضي العظيم دون أن نستفيد من ذلك في مناقشه ومعالجه مشاكلنا ولهذا لابد من القراءه الواعيه والعميقة بحسن النظر في التاريخ وربط ذلك بالديانه قراءه شرعيه اي دراستها من خلال ما هو ثابت في الكتاب والسنه لتحصل الفائده من دراسه الحضارات فلا يكون دراستها بالتغني بامجاد الماضي دون الاستفاده منها في معالجه المشاكل ولهذا عندما مر الرسول صلى الله عليه وسلم علي ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب الي تبوك سنه ٩هجريه وقد ورد في الحديث النهي عن دخول المسلمين الي مساكن قوم ثمود وورد في صحيح البخاري أنه قال لهم (لا تدخلوا علي هولاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما اصابهم)

يقول صاحب كتاب شرح الباري في تاوويل معني الحديث

والمعني لئلا يصيبكم اي خشيه ان يصيبكم ووجه الخشيه أن البكاء يبعثه علي التفكير والاعتبار فكأنه أمرهم بـ التفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله علي أو لئك الكفره مع تمكينه لهم في الأرض وامهالهم مده طويله ثم ايقاع نقمته بهم وشده عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المومن أن تكون عاقبته الي مثل ذلك ولهذا فإن قول صالح لقومه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد)

فأراد بهذا أن يبين لهم أن وجودهم وقيام حضارتهم بعد حضاره قوم عاد أمر مقصود ومخطط له من الخالق

سبحانه وتعالى وان هذا الاستخلاف امتحان وابتلاء لأن اختيارهم مرتبط بالغايه من وجودهم وهو عباده الله تعالي فهذه أول مقومات مفهوم الحضاره وفقا للنظريه الاسلاميه أن يكون انشاء حضاره تخضع لمنهج الله يقول لهم أن تمكينكم في الأرض والأخذ بأسباب التقدم والسياده والحكم والسلطان هو نعمه امتحان الله بها هل تلتزمون بالقيام بأمر الله في أن تكون حضارتكم قائمه علي قيم الدين ومبادئ الشريعة وان يكون الأخذ بالاسباب

التقدم بما يودي الي تعمير الارض قائما علي اراده نفع البشريه بما يودي الي التحسين والاستقرار وفقا لمنهج الله تعني أن تحكم الدوله بمنهج الله ولهذا

يدعوهم للتفكر في النظر إلي في سبب هلاك قوم عاد وزوال حضارتهم لان قوم ثمود لم يخلفوا قوم عاد بالأرض والمكان كون حضاره قوم عاد كانت في الاحقاف باليمن حضرموت بينما حضاره قوم ثمود في وادي القري بين الشام والحجاز فأراد بهذا أن يحفزهم علي التفكير والاعتبار بالنظر الي سبب سقوط حضاره قوم عاد فهم اذا فكروا سوف يجدون أن ذلك يعود إلي الإخفاق في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح لانهم لم يجسدوا مفهوم العباده في نظام الدوله وحضارتها بل عملوا علي تجسيد مراد الشيطان ومشروعه الابليسي القائم علي قاعده انا خير منه ولهذا أهلكهم الله لأن سنه الله أن يستخلف الامه مادامت اهلا للاستخلاف فالسوره الانعام اختتمت بقوله تعالي (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم)

هكذا يستخلف الله الناس في الأرض فإن أقاموا علي أمر الله فهم عند وعد الله لهم بالعز والتمكين حتي إذا كفروا بانعم الله وكذبوا باياته وخرجوا علي حدود رسله أخذهم الله بغته وهم لا يشعرون فالله يقول في موضع آخر (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظالموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليومنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

ولهذا فإن التفكير الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المومنين أن يتفكروا فيه

عندما مر بالحجر (مسكن قوم ثمود) هو دعوه لربط الإخفاق بالمطلب الرباني من العباد (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

والتفكير أيضا في مقابله اولئك نعمه الله بالكفر وأعمالهم عدم اعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به والطاعه له لأ ن من مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتبارا باحوالهم فقد شابههم في الإهمال ودل علي قساواه قلبه وعدم خشوعه فلا يأمن أن يجره ذلك إلي العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم ولهذا نجد أن الايات فيها تنبيه صالح قومه من ذلك الإهمال فقال تعالي (وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا في الأرض مفسدين)

فالايات ترسم اثر نعمه التمكين لهم في الأرض فهم أهل الحضاره التالية بعد قوم عاد فقد صار لهم قياده العالم وامتد سلطانهم الي خارج الحجر فقد كان يملكون سلطه القرار علي أهل الأرض ولهذا يحذرهم من الانطلاق في الأرض بالفساد

اغترارا بالقوه والتمكين والعبره أمامهم ماثله في عاد الغابرين

لبيان ان الحضاره التي يحصل لها ازدهار من خلال التقدم المادي في الهندسه والطب والصناعات فإن هذا أمر لا ينكره صالح عليهم لأن العلم من مقومات مفهوم الحضاره وفقا للنظريه الاسلاميه لكن غياب الروح في عمليه بناء

الحضارات والمجتمعات الانسانيه يعني بناء حضاره مشوهه فالبناء لايحتاج الي العقل والعلم فحسب فهو قبل هذا يحتاج الي الروح لأن الروح هو الذي يتيح للانسانيه ام تنهض وتتقدم فضياع الروح يعني انحطاط الحضارة وسقوطها لأن عدم وجود التوزان بين العقل والروح يعني الاستسلام للجاذبيه الارضيه وعدم القدره علي الصعود فعندما تكف الرياح التي تمنح الحضاره الحياه عن الهبوب فانها تتوقف عن الحركه وتكون نهايه دورته ونهايه حضارته وتصبح الأرض بقعه مهجوره وفي البقعه المهجوره يفقد العلم كل معناه لأن توقف إشعاع الروح خمود إشعاع العقل فتصبح حضاره بلا روح حضاره بلا شرف لخروجها عن طاعه الله

لانه حين يفقد الإنسان قوه إيمانه وهمته وتوحيده يفقد تعطشه الي الفهم وارداه العمل وحينها يتراجع العقل ويمتلي بالخرافه

فالحضاره في الإسلام تنطلق من مفهوم التوحيد فهو الوقود الذي يحتاجه الإنسان لأجل أن يستعيد طاقاته التي تبددت وسط أجواء التخلف والخرفه وطغيان الماده علي الحضاره وغياب الروح الذي هو الجناح الثاني لقيام اي حضاره فالتوحيد هو المنبع الوحيد للطاقه الانسانيه الذي يستحيل لاي معوض زمني أن يقوم خلال التاريخ الإ نساني مقام منبع الطاقه الوحيد للانسانيه الا وهو الايمان بالتوحيد ولهذا نجد أن التوحيد هو أساس الحضارات التي سعي الانبياء كلهم الي إنشاءها ولهذا نجد أنهم ربطوا انشاء الحضاره بمعني العبوديه لله الخالصه لله فكانت دعوتهم واحده (اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

فا الحضاره وفقا لمفهوم النظريه الاسلاميه هي التي تسعي لتحقيق الغايه من الوجود الإنساني وان تعمل علي ا لاستفاده من الكون وما فيه من إمكانيات وتعمل علي تطويرها وتحسينها وفقا لمنهج الله لان غياب المنهج الرباني يعني أن الحضاره خارجه عن الغايه التي لأجلها خلق الانسان يعني أنها حضاره خارجه عن المقصود من الوجود الإنساني في الأرض وهو عباده الله يعني أنها لاتحفظ التوزان الذي يلبي احتياجات الروح والجسد لأن عدم التزام الحضاره بمبادي وقيم الحق والعدل والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية والخير تعني أنها حضاره إفساد وفوضي تتفق ومشروع الشيطان بالافساد في الأرض ولهذا قال تعالي علي لسان صالح (ولاتعثوا في الأ رض مفسدين)

والعثي اشد انواع الفساد والاستمرار فيه اي أن الفاعليه سلبيه لأن انفصال الدين عن الدوله يعني أن الدوله خارجه عن مفهوم (التوحيد) فالانبياء كلهم منهجهم نزل لأجل انشا دوله يحكمها المنهج الرباني دوله التوحيد ولهذا كانت دعوتهم (اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

والايات نزلت في مكه في مرحله انتقال وتحول المسلمون من الدعوه السريه الي الجهريه فكانت تمهيد وتهئيه وإعداد لانتقال المسلمين الي مرحله الدوله فبعثه النبي كانت بدايه مرحله التوحيد الاولي أراد أن يوقظ روح الإ نسان ويبعث فيها الحياه وصولا إلي انشا دوله الموحدين بعد الانتقال الي المدينه المنوره حيث أنشأ دوله يحكمها القران فالتوحيد هو منبع الطاقه الانسانيه الوحيد الذي يبني به دوله الموحدين علي اساس من التوزان بين العقل والروح ولهذا شاهدنا كيف صار حال امه الاسلام بعد تفريطهم بدوله الموحدين باستيلاء معاويه علي السلطه وتحويلها إلي دوله تحكم القران بدلا من دوله يحكمها القران حيث فقدت العقيده دورها وفاعليتها وصار ا لايمان فردي متحلل عن صلاته بوسطه الاجتماعي ولهذا فإن المخرج اليوم لمعاناه المسلمين يكمن بالعوده الي الا صوال الاولي للإسلام فالدعوه لعباده الله (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

هي دعوه بالعوده الي الأصل الذي ينقذ الامه من الهلاك ولهذا فإنه إذا أردنا استرداد الامه لدورها في قياده العالم فعلينا أن ننطلق من الكتاب والسنة نحتاج الي هذا المحرك الذي يمدنا بالوقود والطاقه الباعثه للحركه والفاعلية ا لايجابيه الذي تحدثه العقيده دون إفراط ولاتفريط وهذا يستوجب أن نعود الي جذور اصواله بالنظر الواعي الذي يجعلنا قادرين استخلاص احكام صحيحه ومنطقيه باستنباط مفاهيم حقيقه تتناسب مع الواقع الذي نعيشه بحيث نضع كل حكم في محله وقبل ذلك أن يكون تفسيرنا يتفق مع جوهر النص فالإسلام جاء لإسعاد البشريه ولفظ العوده اشمل واعم من قول تحقيق أو تطبيق لأن هذا فيه بيان أن الواقع لم يعد إسلاميا في أغلب صوره فيها اعلان أن شريعه الله لم تعد تحكم المجتمع فالعوده تعني اننا نعود الي احكام كانت مهجوره أو مهمله

والعوده تعني الرجوع الي التراث ودراسه الأحكام ومعرفه ماينا سب أحوال الناس والواقع المتحرك بسرعه يحتاج أن تكون لدينا فهم لفقه التحولات بذات السرعه التي أصبح الواقع يتحرك بها نعود فيها الي التراث نستنبط المفاهيم القرانيه التي تمدنا بالحركه والتقدم المواكب لحركه الواقع فلا تتوقف حركتنا في الحياه

ثانيا

تنتقل النصوص هنا الي بيان رده فعل قوم ثمود من دعوه صالح عليه السلام فهم رغم الايه والمعجزه الحسيه الظاهره انقسموا الي فريقين فريق مومن وفريق كافر فقال تعالي (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن ءامن منهم أتعلمون أن صالحا مرسلا من ربه قالوا إنا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي ءامنتم به كافرون)

الموضوع الاول

تبين النصوص أهميه تشكيل الارداه الواحده التي تجمع الطاقات كلها لبناء الحضاره وتحقيق هدف التقدم و التطور في قالب واحد تنصهر الاردات كلها في يشكل قوه قادره علي صناعه التاريخ وهو ما يتطلب فتح مجال العضويه أمام جميع شرائح المجتمع المسلم بحيث تنصهر الاردات كلها في اراده واحده تمثل الارداه المعبره عن المجموع ولهذا فلابد من استعياب جميع فئات المجتمع دون استثناء تشكيل فريق عمل جماعي لا يستثني أحد للاستفاده من الطاقات بحيث تكون قوه موثره فاعله لامتاثره بالاحداث بل مساهمه في صناعته ولهذا تبرز النصوص الحوار بين الفريقين لبيان أن شرط العضويه هو توفر ارداه المشاركه في صنعه المجد و الا لتحاق بشرف عضويه الخلافه التي تشكل اراده كل من أراد أن يكون خليفه لله في الأرض فلايحتاج من اراد الا نتساب لهذا التجمع الي معجزات ماديه وحسيه للمساهمه في صناعه الحضاره والتاريخ بل يحتاج الي ارداه متحرره اراده المشاركه والمساهمة في صناعه الحضاره التي تحقق المطلب الرباني وهذا لايكون إلا إذا كان الإ نسان متحررا من الانطواء والانكماش في الذات المتخلفين في النفس البشريه متحررا من اثقال التعصب والكبر والأنانية والحسد بالنسبه لفئه الأكابر والساده والرؤساء وكذلك فلابد أن يكون الإنسان متحررا من القيود والاغ لال التي تجعله جاهلا بقيمه نفسه وفاقد كرامته لانه خاضع للاكابر والساده فهو لايثق بقدرته ضعيف الارداه لا يعرف أنه خلق ليكون خليفه في الأرض في هذا العالم الفسيح ووصيا عليه وقد أخضع الله له الكون وأمر الملا ئكه بالسجود لادم

بالنسبه للضعفاء ولهذا قال تعالي (قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن ءامن منهم)

فذكر انقسام الناس الي فريقين كفار من الملاء ومن الضعفاء أيضا وهنالك مومنين من الأكابر ومن المستضعفين

فقوم ثمود قد عرفوا الطريق واستبان لهم الحق وجاءتهم معجزه ماديه ظاهره فلم يبقي معها اي شك فالله يقول في موضع آخر أنها مبصره ومع ذلك لم يومنوا لماذا ؟

لقد أخبرنا الله علي لسان صالح أنهم لا يحبون الناصحين وقال تعالي في موضع آخر (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

فالايه تبين أنهم كانوا قد عزموا الايمان وعرفوا الطريق لكن الارده كانت ضعيفه لم تصمد أمام الشهوات و الرئاسات والجاه والسلطان حيث شكلت عوائق قطعت عليهم الطريق فقد تمكن الشيطان من بيت ارداتهم الناتج عن خسه النفوس ودناءتها فهي اختارت الادني علي الذي هو خير أثرت الدنيا علي الاخره أثرت المعصيه علي الطاعه

فهذا يعود إلي خسه النفوس لأن النفوس الشريفه لاترضي بالظلم والفحشاء

فاخبرنا الله أن عدم صلاحية المحل لاستقبال انوار الله شكل مانعا من التأثر بالايه الحسيه التي شكلت معجزه لهم فهذا يعود إلي أن قلوبهم ميته ممتلئه بالاوساخ ومشحونه بحب الدنيا وملذاتها ولهذا لم يستفيد هولاء ولم يتأثروا من مشاهده الآيات ونصائح صالح لهم لأن قلوبهم مشغوله بالباطل ومنصرفه عن معني الخطاب الي الدنيا والشهوات الرئاسه والجاه والسلطان والمال فهو يري أن هذه الامور هي مصدر القوه والشرف والكرامة فإن صلا حيه المحل امر ا هاما للتوفيق والخذلان فإذا كان المحل غير قابلا للنعمه وان عرفها ولايشكر المنعم بها بل يقابل النعمه بضد مايليق أن يقابل به سلبه اياها ولهذا فإن اهلاك الله لهذه الأمم يعود إلي عدم اهليتها لشرف الخلافه لأ نها خرجت عن طاعه الله تعالي

الموضوع الثاني

تبين النصوص أن الانتفاع بنعمه الله بالإيمان والعلم لايكون إلا لمن عرف نفسه بضعفه وافتقاره إلي الله ووقف بنفسه عند قدرها وحدها ولم يتجاوز الي ماليس لها ولم يتعد اطوارها وتيقين انه لله ومن الله وبالله فيشعر بـ النعم ولهذا فإنه ينكسر لله ويخضع له رغبه ورهبه بمحبه وإجلال وتعظيم لانه عالم بربه وكماله وعظمته وجلاله وإحسانه وغناءه ورحمته ولهذا نجد أن الايات تعطينا صورتان لرده فعل الناس لدعوه صالح

الفريق الأول المستكبرين من الكفار الذين لايعرفون حقيقه أنفسهم وتصوروا أنفسهم عظماء فتطاولوا علي ربهم لرفضهم الإذعان له لان الخلافه تعني الاسلام وهو الخضوع والاذعان والاستسلام والانقياد لأمر الله تعالى وقد أسماءهم الله هنا (الملاء) اي الرؤساء وأصحاب الزعامات والنفوذ والصناديد الذين استعلوا بالمال والجاه و السلطان فقد خشوا أن تنجح الدعوه ويلتف الناس حول النبي فيكثر سواده فينتزع منهم الرئاسه التي يجلبون من وراءها غنما عظيما فأبوا أن يتبعوه فيكونوا اسواه بالضعفاء من أصحابه ويزوال ما لهم من امتيازات باطله كما هو شأن المستكبرين في كل زمان ومكان فقد أخبرنا التاريخ كيف أن ابوجهل وأبو لهب وقفوا ضد دعوه النبي صلى الله عليه وسلم وقاموا بوضع العقبات أمام نجاح الدعوه حتي يدب الياس الي قلبه فيترك دعوته وكذلك فإن الديهماء من العامه فكانوا يرتعون في ميدان الشهوات البهميه الدنئيه فقد كانوا يقفون مع الاسياد ضد ما فيه شرف لهم فتحالفوا مع الأكابر ضد دعوه الحق وهكذا هو حال الناس في كل زمان ومثلما أن كفار ثمود اذوا المستضعفين المومنين بالتعذيب والتنكيل فكذلك هو حال كفار قريش وهو حال المستكبرين في كل زمان وقد اجمل القران الكريم كل ذلك بجمله موجزه عبر عنها بقوله تعالي

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن ءامن منهم أتعلمون أن صالحا مرسلا من ربه)

فالسوال تعبير عن التهمه التي يسندها الأكابر للضعفاءمن المومنين للتنكيل بهم واضطهادهم فطريقه وأسلوب الكفار واحده فنحن اليوم نري هذا الأسلوب من التهديد والتخويف بالطرد من الوظيفه أو الحرمان من أبسط الحقوق في احسن الأحوال حيث يقال لك هل انتميت لجماعه ....أو حزب فلان والتعبير بالسوال من الأكابر يعني السلطه الحاكمه التي صارت تري صالح ومن معه يشكلون خطراً علي السلطه وأنه يستهدف الكرسي و القوانين التي صنعوها وهذا يعود إلي الاغترار بالقوه نتيجه جهل الإنسان بنفسه فلو عرف نفسه لما كان هذا فعله فالاستكبار رفع النفس فوق قدرها وجحود الخالق وهذا ما ذم الله به هذا الفريق

وفي المقابل تنقل لنا الآيات جواب المومنين المستضعفين من قوم ثمود علي ال الاضطهاد والاستهزاء من قبل المستكبرين ردا العارف بنفسه الواقف علي حدها وقدرها ونقصها وظلمها وجهلها والعارف بعظمه ربه وكماله سبحانه وتعالى وإحسانه وغناءه ورحمته فانصرفت قوه حبه وخشيته ورجائه وانابته وتوكله إليه وحده وكان أحب شي اليه واخوف شي عنده وارجاءه له تعالي كما يتضح من الجواب (قالوا إنا بما ارسل به مومنون) حيث نجد فيه

الأمر الأول

عدول عن الجواب لمقتضي السوال فلم يقولوا نعم ...ولم يقولوا نعلم أنه مرسل منه تعالي

وهذا فيه التنبيه علي أن إرساله أمر معلوم لديهم باليقين الجازم عندهم ولهذا أورد صله الموصول (بما) بمعني الذي ومن المعلوم أن الصله لابد أن تكون جمله معلومه الانتساب الي ذات الموصول فكانهم قالوا لا كلام في إرساله لانه أظهر من أن يشك فيه عاقل أو يخفي علي ذي رأي لما اتي به من هذا المعجز العظيم الخارق وأما الكلام في الإيمان به فنحن مومنون به وهذا فيه

الأمر الثاني

هذا الرد وصف لما هم عليه من الثبات علي الحق واظهره رغم ضعفهم عن مقاومه الكفار فأراد الحق بهذا بيان علامه المومن الحقيقي انك تراه صاحب قوه دين متيقين فيما آمن به إيمانا جازما مع لين في التعامل إيمانا لا يخالطه شك بل ايمان باليقين الجازم

ايمان من يدرك أنه صاحب قضيه ايمان ومكلف من الله بحمل امانه الخلافه وان يسعي جاهدا لتهئيه الظروف الموضوعية لتطور الشعب وإحداث التغيير لا يستهين بقدرته وما أودع الله فيه من مواهب انسان حر لايحتقر نفسه كما هو شأن بقيه المستضعفين الذين بقوا علي الكفر خوفا من الرؤساء فكانت مواقفهم سلبيه لم تذكرها النصوص لانهم لايستحقوا الالتفات إليهم

أما هولاء فهم يريدون تفجير طاقات الشعوب وتوظيفها لخدمه الحق في معركه الصراع مع الباطل فالتاريخ يدلنا أنه كلما تهيأت الظروف الموضوعية للشعوب للتطور فإن العقبات التي تحول دون تطوره سرعان ما تتهاوي وتسقط ولكن علي مدي زمني يتوقف علي طاقه هذا الشعب وإبعاد رسوخ هذه العقبات في جذوره التاريخية التي صاغت تركيبه ولهذا فإن التغيير يتطلب تغيير نفوس الجماهير وصمودها والحاحها علي التغيير ولهذا تحدثنا النصوص أن المومنون تحرروا من ضغوط الأصنام فهم أصحاب قضيه لايخافون الا الله لم يعودوا ضعاف

كما كانوا لقد صاروا اقويا ء يجهرون بالدعوه ولا يترددون ما السر في ذلك ؟

انه قوه الايمان بالله والثقه بنصره وتأييده والتوكل عليه والاعتماد علي الله أنه الاستعلاء بالحق لم يعد لقوه الجاه والسلطان والمال تأثيرا علي نفوسهم ولهذا فلايجدي معهم التخويف والتهديد من قبل الأكابر

فأراد الحق بهذا أن يقول لنا انتبهوا من الياس والتردد والأحجام في التغيير

فلا يودي الظلم الي الياس انتبهوا فعليكم بالأمل والتفاؤل بالنجاه مهما بلغ الظلم ذروته لأن الياس إذا تمكن من نفوسكم يعني قتل المواهب يعني قبول التعايش مع الظلم والرضي بالعلل فالأمل واليأس يشتركان في تحديد مصير الثوره بنسب ايجابيه وسلبيه متفاوتة

وكذلك فإن العزم والتردد والاقدام والأحجام واليأس والامل أمورا متناقضه يحتاج المرء أن يحسم موقفه وبالذات الجماهير المغلوبه المظلومه التي يغلب عليها هذا السلوك لتحديد الخطوه الاولى التي تخطوها نتيجه التناقضات في المشاعر واختلاطها وهي تشاهد إخطار حمل مشروع التغيير فتري تعليق الرؤوس وتري استحاله تحقيق الأهداف فتضع حولها علامات استفهام لاتجد لها اجابات أثناء مسيره التغيير ولهذا فإن الحسم مهم لأن سلوك الجماهير أمر مهم في تفجير طاقات التغيير بشكل منظم ينتج اثاره أو تقيل التعايش مع الظلم أو تفجيرها بشكل فوضوي ولاتحدث التغيير المطلوب وانما يعيد الظالمين ترتيب صفوفهم من خلال ثوره مضاده

ولهذا يبرز اهميه الثقه بالقياده في العمل الثوري وان يكون منظم وهو ما أكده المومنين من المستضعفين بقولهم (انا بما ارسل به مومنون)

اي أن الذي يجمعهم وينظم حركتهم هو العمل المشترك تحت قياده نبي الله صالح عليه السلام

الموضوع الثالث

تتحدث النصوص رد الملاء علي جواب المومنين فقال تعالي

(قال الذين استكبروا انا بالذي ءامنتم به كافرون فعقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا أن كنت من المرسلين)

الأمر الأول

رد فيه رفع النفس فوق قدرها وجحود الخالق... يقولو ن مانتم نحن اصحاب القرار الذين يقرر ون ما تفعلون وما لاتفعلونة (قال الذين استكبروا انا بالذي ءامنتم به كافرون)

حيث أن العدول في رد المستكبرين بهذا يدل علي أن العناد والطغيان منعهم من الإيمان لأن الجواب المطابق هو انا بما ارسل به كافرون لكن جاء عدولهم بالجواب الي قولهم (انا بالذي ءامنتم به كافرون)

للدلاله علي أن إرساله معلوم عندهم ومسلم به كما دل عليه قول المومنين فكانهم قالوا ليس إرساله معلوما مسلما عندنا وليس هناك إلا دعواه وايمانكم ونحن بما امنتم به كافرون فالمومنون فرعوا إيمانهم علي الارسال الثابت باليقين الجازم

والكفار فرعوا كفرهم علي ايمان المومنين فالايات فيها مدح المومنين علي الثبات والصمود علي الحق وإظهاره مع ضعفهم وذم الكفار علي رفع نفوسهم فوق قدرها وجحود هم الخالق

الأمر الثاني

تبين النصوص أن قوم ثمود اجتمع فيهم الكبر ودناءه النفس وحقرتها وهذه الاوصاف كما يقول ابن القيم هي اصل الاخلاق المذمومه كلها ولهذا برغم الايه الحسيه التي جاءهم بها صالح رفضوا الانقياد للحق فالكبر يمنع صاحبه من قبول الحق ومنشاء هذا جهل الإنسان بربه وبنفسه فلو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال وعرف نفسه بالنقائص لما تكبر وبالتالي يسهل عليه الانقياد ولهذا فانه اذا انهدم الكبر سهل عليه الانقياد فالفخر والبطر والعجب والحسد والخيلاء والقسوه والتجبر والاعراض وآباءقبول النصيحه وطلب العلو والرياسه والجاه كلها ناشئه من الكبر .. والايه ترسم لنا مظاهر التجبر والاعراض والتبجح والبغي والعتو من قبل قوم ثمود فإنها ترسم لنا اختيارهم استبدالهم الذي هو ادني بالذي هو خير بما يدل علي دناءه نفوسهم وحقارتها فهم برغم الايه الماديه التي جاءهم بها صالح فضلوا ايثار المعصيه علي الطاعه وفضلوا ايثار الجهل علي العلم وإيثار الدنيا علي الدين ولهذا أخبرنا الله أنه هداهم ولكنهم استحبوا العمي علي الهدي فقال تعالي في موضع آخر (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

فقد استبان لهم الحق لكن لم ينتفعوا بما وهب الله لهم من عقول لأن القلوب ميته انصرفت الي الدنيا ولم يقوموا بأحياء قلوبهم بالعلم بعد الايمان فقد خدعتهم عقولهم فلم تبصرهم بعيوب أنفسهم ولهذا عتو عن أمر ربهم اي تجبروا عن اتباع الحق علو ا في الباطل عتوا في الباطل وتركوا الحق وهو من قولهم جبار عات اذا كان عاليا في تجبره ولهذا كان العلم الذي وصل لقوم ثمود حجه عليهم يقول الامام المحاسبي وكل علم لا يصحبه ثلاثه اشياء فهو مزيد من الحجه كف الاذي بقطع الرغبه ووجود العمل بالخشيه وبذل الإنصاف بالتباذل والرحمه ولهذا فعلي الرغم من البينه التي جاءهم بها صالح من ربه وبما لايدع مجالا للشك الا أنهم لم ينتفعوا بهذا العلم لأ ن قلوبهم مشغوله بالباطل وحب الجاه والسلطان ولهذا فضلوا العمي علي الهدي فلم يتوقفوا عن تلبيه رغباتهم واهوائهم ولم يولد فيهم العلم الخشيه ولهذا اتبعوا القول العمل فعقروا الناقه برغم أن صالح قد انذرهم بالوعيد الشديد أن هم مسوها باي سوء أن ياخذهم عذاب موجع

إلا أنهم لم يبالوا بأمر الله الذي نهاهم عن أن يمسوها بسوء وهو ادني شي من الاذي لكنهم تمادوا الي قتلها فقد اختاروا الادني. ملذات الدنيا علي الاخره وفضلوا العصيان علي الطاعه فعتوا عن أمر ربهم ولم يكتفوا بذلك بل تبجحوا بارتكاب الجريمة فصورت النصوص الشعور النفسي المصاحب للجريمه بالتحدي وطلب استعجال العذاب فقال تعالي (فعقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا أن كنت من المرسلين)

الأمر الثالث

نسب الفعل لهم جميعا فقال تعالي (فعقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم...الخ

مع أن الذي عقر الناقه واحد منهم والمفسدين كانوا تسع رهطه كما أخبرنا الله في موضع آخر والسوال لماذا نسب لهم الفعل كلهم

المفهوم الاول

عليك أن تدرك أن الذي يجمع الناس في استحقاق العقاب وسخط الله وغضبه هو الرضي بالمنكر لأن الراضي بـ المنكر كفاعله ومن لم ينهي عنه فهو راض عنه فالذي عقر الناقه واحد منهم ولذلك عمهم الله بالعذاب

المفهوم الثاني

تهدف الايه الي إيقاظ الامه لتقوم بدورها في تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر يقول لهم أن تخلي الا مه عن دورها في القيام بهذه الأمر وسكوتها يعني أنها تعرض نفسها للخطر لأن الفتنه اذا هبت سوف تعصف بـ الجميع ولن تقتصر علي الذين ظلموا كما قال تعالي في موضع آخر (واتقوا فتنه لاتصبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا أن الله شديد العقاب)

المفهوم الثالث

تذم الايه السلبيه والجمود في المواقف عند الناس حيث أن المجتمعات السلبيه تعني أن الناس يتاملون المنكرات ولا يتدخلون لتغييره فيقول كلا منهم ما دخلي ماشاني فهذه المجتمعات ميته ومشاركه بالجريمه وان لم تفعلها ولهذا فإن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل علي أن المجتمع نابضا بالحياه لانه اذا كان كذلك فإنه لن يقبل أن يري أحد أفراده غارق في المنكرات والمعاصي ولهذا سوف يقوم كل فرد بدوره في الأخذ بيد العاصي وتقويم سلوكه وإعادته الي الطريق المستقيم استشعار بمسوولیته عن ذلك يشعر أنه أن سكت فهو شريك له في الجريمه

ثالثا

تنقل الآيات لنا نهايه قوم ثمود فقال تعالي (فاخذتهم الرجفه فأصبحوا في دارهم جاثمين)

الأمر الأول

(وسيله العذاب في حق قوم ثمود)

الرجفه وهي الصيحه الواحده التي ليس لها من فوق فالرجفه من قول القائل رجفت فلان كذا يرجف فهو راجف وذلك إذا حركه وزعزعه فالصيحه زعزعتهم وحركتهم للهلاك فقد اهلكوا بالصيحه الواحده كما ورد في القرآن الكريم فقال تعالي في موضع آخر (فما ثمود فاهلكوا بالطاغيه)

اي بالصوت الشديد الذي جاوز القدر والشدة وطغي وارتفع فهلكوا كلهم

الأمر الثاني

ما علاقه هذه الوسيله الصيحه بقوله تعالي (فأصبحوا في دراهم جاثمين)

أن اهلاك قوم ثمود بصيحه واحده كما دلت الايه يعني أن اهلاكهم كان خاطفا ولهذا قال (فأصبحوا) اي لما سمعوا الصيحه رجفت قلوبهم فصاروا في دارهم جاثمين موتي لايتحركون اي أنهم عند ابتدأ نزول العذاب هلكوا من غير اضطراب ولاحركه فكان التعبير بكلمه فأصبحوا مناسبا لوسيله الاهلاك وهذا لأن ثمود كانوا ينحتون الجبال بيوتا فهم امنون حسب ظنهم من عوداي الزمان وتقلبيات الأجواء ولهذا تطاولوا منهم عقر الناقه فاتاهم

الله من حيث لم يحتسببوا وكانت وسيله العذاب قادره علي أن تقضي عليهم وهم في أعماق بيوتهم المنحوته في الجبال ولهذا جاء بصيغه الأفراد وليس الجمع فقال تعالي (فأصبحوا في دراهم جاثمين)

ولم يقل في ديارهم فأراد بهذا بيان زوال الحضاره فسمي البلد التي اهلكوا فيها دار ولذلك وحد ولم يجمعها لأن ا لايه تتحدث عن الهلاك الخاطف لجميع قوم ثمود الذين ارتكبوا الجريمه والساكتون عليها وأنهم وقفوا عاجزين عن مقاومتها فالله تعالي يقول في موضع آخر (فعتوا عن أمر ربهم فاخذتهم الصاعقه وهم ينظرون فما استطعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

اي أنهم سقوطوا صرعي لايتحركون لانهم لاروح لهم فقد هلكوا بصوره خاطفه والعرب تقول للبارك علي الركبه جاثم والجثوم هنا تعبير عن العجز عن الحركه مقابل اعتداهم مثلما عبر عن الرجفه مقابل العتو فالجزء من جنس العمل والايه مكيه والقصه قادره علي تحقيق الروع في قلوب كفار مكه لانهم يعرفون ما وصل إليه قوم ثمود فهم يمرون علي مساكنهم في رحلتهم الي الشام و لايستطيعون أن يزعموا أنهم في مثل قوه ثمود وما وصلوا إليه من العمران والهندسه والقوه وبالتالي فعليهم أن يأخذوا العظه والعبره من نهايه ماحل بقوم ثمود نتيجه تكذبيهم الرسول وعصيانهم أوامر الله وتنكليهم بالمستضعفين من المومنين والا كانت النتيجه واحده لتشابه السبيلين في الضلال

رابعا

تنقل الآيات موقف صالح عليه السلام بعد هلاك قومه فقال تعالي (فتولي عنهم)

اي تركهم جاثمين موتي بعد أن هلكوا بالصيحه (وقال ياقوم لقد ابلغتكم رساله ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين)

فيه تقريع من صالح لقومه بعدما أهلكهم الله عن مخالفتهم وتمردهم علي الله وأعراضهم عن الهدي الي العمي وهذا فيه

أن الموتي تسمع الاحياء كما ورد في شأن قتلي كفار قريش في بدر عندما نادهم الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه أن هناك عذاب في البرزخ والا كيف لصالح أن يخاطب قومه وهم موتي لو كان الإنسان لايعذب في البرزخ

وايضا هذا فيه الأشهاد علي امانه التبليغ والبراءه من المكذبين والمصير الذي استحقوه لأنفسهم بالعناد والكبر وا لأنانية ودناءه النفس وحقارتها لانهم لم يقبلوا النصيحه لأن نفوسهم متعلقه بالدنيا ومتاعها فما حل بهم عائدا الي خسه نفوسهم

القصه الرابعه

قال تعالي (ولوطا إذ قال لقومه اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوه من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخرجوهم من قريتكم أنهم أناس يتطهرون فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

اولا:

الملاحظ أن القصه ورد فيها حذف كلمه وارسلنا وحذف توحيد العباده وهذا للعلم به من الآيات قبله ومما ذكر في غير هذه السوره اي وارسلناه في الوقت الذي أنكر

علي قومه ما هم فيه من شذوذ جنسي ولم يقل أخاهم لانه لم يكن من البيئه التي أرسل إليها فهو ابن اخ ابراهيم عليه السلام وقد عاش فيهم بعد أن ترك قومه هروبا بدينه ولهذا فهم قومه لانه مكث فيهم فتره طويله فهم يعرفونه

والملاحظ أن هذه القصص لم تتعرض لقصه ابراهيم مع قومه فهذا يعود لأن القصه تتناول سنه الله في الاستخلا ف واهلاك كل من خرج عن طاعه امتدادا لقوله تعالي في مقدمه السوره (وكم من قريه اهلكناها فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون ..) وقوم ابراهيم لم يهلكوا

واحداث هذه القصه تدور في منطقه سدروم في الشام في البحر الميت حاليا حيث أن أهل هذه المدينه كانوا قد وصلوا إلى الرخاء والرفاهية والتمدن مافسده فطرتهم فنتج عن ذلك الشذوذ الجنسي فماذا كانت دعوه لوطا لقومه قال تعالي (ولوطا إذ قال لقومه اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

تبين النصوص اهميه انتقاء الألفاظ والعبارات القادره علي تحقيق الغرض عند مخاطبه الآخرين ودعوتهم الي الا يمان وكذلك إنكار المنكر ولهذا نجد أن لوط ابتدأ في مخاطبة قومه بتوجيه سوال (اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين)

فلم يقل أن الله ينهاكم عن هذه الجريمه القذره وهي اتيان الرجال في ادبارهم

برغم بشاعه الجريمه ولكنه استعمل الاستفهام الانكاري يخاطب فيها العقول والفطره بأسلوب استفهام انكاري وهو قادر علي إيصال التقريع والتوبيخ وتحقيق الغرض يقول لهم أن هذه العمليه قذره ولهذا كني العمل الذي يقومون به بالاتيان وسماها فاحشه اي البالغه أقصي درجات القبح الذي لم يسبق أن قام بها أحد من العالمين قبلكم فهم من اخترعوا وابتدعوا هذه الجريمة الشنعاء

المفهوم الثاني

الفرق بين الزني واللوط

ذهب البعض للقول إن اللوط كالزني واستدلوا بقوله تعالي (ولاتقربوا الزنا أنه كان فاحشه) فاعتبروا أن لفظه فاحشه الوراده هنا في قوله (ولوطا إذ قال لقومه اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أنها هي نفس الفاحشه

وهذا القول غير سليم لأن الزني يعني الخروج عن منهج الله أي انحراف شرعي

لأن الله حدد المنهج الذي يكون فيه قضاء الشهوه بأن يكون عن طريق الزواج الشرعي وبقصد الانجاب فالإنسان له ثلاث قوي العقل والشهوه والغضب فالكفر يفسد قوه العقل والقتل يفسد قوه الغضب لانه يفسد النفس الموجودة والزنا اعتدي وفساد في القوه الشهوانيه لأن قوام النوع بالنكاح والنسل ولهذا فهو إفساد في صفه الوجود لا في أصله ومن هنا يتبين أن اللوط أعظم فسادا من الزنا

لأن الزنا انحراف في الطريق الذي رسمه الله لبقاء النوع البشري

فالاصل أن المراه خلقت لأجل الرجل والرجل للمراه لأن عالم المخلوقات يبدأ بالافتقار فكل واحد يحتاج للآخر فكل منهما يكمل الآخر فالرجل محتاج المراه والمراه تحتاج الرجل ولهذا فإن الزنا يعني انحراف في الطريق

أما اللوط فهو مخالف للفطره والمنهج لانه يسلك طريقا قذرا ....

ولهذا جاء بعدها (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) فيه أفاده الاستغراق من العالمين أي اجتماع جميع أفراد العالمين كلهم (بني ادم_والخيوانات _والطيور والحشرات والنبات) علي تحاشي هذه الفاحشة ولهذا قال بعدها (انكم لتاتون الرجال شهوه من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون)

يعني خالفتم المنهج وخالفتم الفطره السويه للاتي

الأمر الأول

(أن الحق خلق الماده وقرين الماده)

فالله تعالي يقول في موضع آخر (يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي ...الخ

وقال تعالي (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفه اذا تمني)

وقال تعالي (وقلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) وحتي النبات فقد قال تعالي

(ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) فالإنسان والحيوان والنبات خلقوا جميعا في صوره ذكر وانثي بل إن كل شي حتي الجماد له صورتان ذكر وانثي فالله سبحانه وتعالى يقول (ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

وهذا ما أكده العلم الحديث ان كل شي له ذرات موجبه الشحنه وذرات سالبه الشحنه وان الموجب يتنافر مع الموجب وكذلك السالب مع السالب يتنافر اي لايمكن أن يتحدان وأنه لا يحصل الاتحاد والجاذبيه الا بين الذرات الموجبه والسالبه فالله قد خلق كل شي في صوره ذكر وانثي

ولهذا فإن جميع المخلوقات لاتشذ فأنت لاتري كلبا يمارس الجنس مع كلب ذكر مستحيل بل يقضي شهواته مع انثي وهم حيوانات ولهذا قال تعالي (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)

ثم فسر ذلك بألفاظ التأكيد بقوله (انكم لتاتون الرجال شهوه من دون النساء) اكد خروجهم عن سنه الخلق

بفعلتهم النكراء بأن وباللام (لتاتون) أنهم يضعون الشهوه فيهم (الرجال) ما يوضع في النساء وعبر بالرجال لبيان مخالفه الفطره فوضع ماهو للنساء في الرجال وهذه شناعه لاحدود لها وهذا خروج عن الفطره التي خلقت عليها المخلوقات كلها

الامر الثاني

استعمل صيغه مبالغه في التوبيخ بقوله (شهوه) لأن الشهوه خلقت في الإنسان لأجل بقاء النوع الإنساني و التناسل

فالاصل أن الداعي الي المباشره طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الشهوه ولهذا سجل عليهم انهم يبتغون الشهوه وحدها وفوق ذلك فهم خالفوا غريزه الذكوره التي تطلب الإناث فدل هذا أنه وصل بهم الانحطاط الي أقل منزله من الحيوانات.

فالحيوانات لاتطلب الا الإناث ولهذا قال تعالي (بل أنتم قوم مسرفون)

اضراب عن إنكار ماهم عليهم الي الاخبار باحوالهم التي أدت الي اقبالهم علي هذه الفعله الشنيعه أنهم قوم اعتادوا علي تجاوز الحد في كل شي

فالشاذ قد جمع خصلتين مذمومتان انحراف في الفطره والغريزه التي أوجدت في المخلوقات كلها وانحراف عن المنهج الذي رسم للإنسان طريق قضاء الشهوه بينما الزنا انحراف شرعي عن المنهج الذي يميز فيه بقاء النوع الإ نساني بأن يكون امتداد النسل عن طريق الزواج الشرعي وبالتالي فإن الزاني هو الذي يخرج عن الطريق الذي رسمه الشرع لقضاء الشهوه ولهذا فإن الشذوذ أعظم فسادا من الزني لأن الشذوذ خالف الفطره وتوجه الي مكان قذر مكان ليس مكانا لقضاء الشهوه ولا فيه حرث ولانسل ولهذا قال تعالي (بل أنتم قوم مسرفون)

اكد خروجهم عن الفطره بفعلتهم النكراء بأن وباللام لتاتون أنهم يضعون الشهوه فيهم الرجال مايوضع في النساء وعبر بالرجال لبيان مخالفه الفطره فوضع ماهو للنساء في الرجال وهذه شناعه لاحدود لها فيه خروج عن الفطره التي خلقت عليها المخلوقات كلها واستعمل صيغه مبالغه في التوبيخ بقوله شهوه لأن الشهوه خلقت لأجل بقاء النوع الإنساني والتناسل فالاصل أن الداعي إلى المباشره طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الشهوه ولهذا سجل عليهم انهم يبتغون الشهوه وحدها وفوق ذلك فهم خالفوا غريزه الذكوره التي تطلب الإناث فدل هذا أنه وصل بهم الانحطاط الي أقل من منزله من الحيوانات والبهائم فالحيوانات لاتطلب الا الإناث ولهذا قال تعالي (بل أنتم قوم مسرفون)

اضراب عن الإنكار المذكور الي الاخبار باحوالهم التي أدت اقبالهم علي هذه الفعله الشنيعه أنهم قوم اعتادوا على تجاوز الحد في كل شي اسرفوا في باب قضاء الشهوه وتجاوزا الحدود الي غيرها تجاوز الفطره السويه فهنالك فرق بين العاص والمسرف لأن المراه خلقت للرجل ومن الطبيعي أن الإنسان لايطلب الا الإناث

وهو يشترك في هذه الرغبه الجنسيه وهذا الطريق هو والحيوانات لكن الذي يميز الإنسان أنه ارقي في علاقاته الجنسيه فهو يسلك طريق الزواج في قضاء الشهوه

ولهذا فإن الشاذ قد خالف الفطره السويه وخالف المنهج نتيجه الاسراف ولهذا يقول الحق في سوره الشعراء (بل

أنتم قوم عادون) ويقول في النمل (بل أنتم قوم تجهلون)

فهم مسرفون في جميع أعمالهم ولايقفون عند حدود الاعتدال ولهذا فإن اسرافهم جعلهم بهذا الفعل يقتلون ذكوره الذكور ويغتلون الانسانيه ويعتدون علي كرامتها وهذا من افظع انواع العدوان وكذلك فإنهم يتعدون حدود العقل والفطره ولايعقلون ضرر ما يفعلونه لحياتهم علي النسل والصحه

فاذا كانت الحشرات والحيوانات مجرده من الاراده والعقل ومع ذلك فهي تستعمل قوه الشهوه في بقاء النوع وليس لاجل قضاء الشهوه فقد علم الله سبحانه هذه الكائنات كيف تحافظ علي بقاء النوع حتي لايحصل لها الا نقراض فنحن لو تاملنا الي كيف تقضي الخيوانات والنبات والحشرات غريزه الشهوه التي اودعها الله فيها نجد انها تتجه بها نحو حفظ نوعها وقد ذكر الدكتور جمال الدين افندي مثالا يظهر التعقيدات الطرفيه في هذا الكون عن العلاقات التوافقيه الاضطراريه بين الاشياء فضرب مثالا للعلاقه الموجوده بين فراشه اليوكا ونبات اليوكا وهو احد النباتات الزنبقيه يقول الدكتور جمال (فزهره اليوكا تتدلي الي اسفل ويكون عضو التانيث فيها اكثر انخفاضا عن عضو التذكير او السداه اما الميسم وهو الجزء من الزهره الذي يتلقي حبوب التلقيح فانه يكون علي شكل الكاس وهو موضوع بطريقه يستحيل معها ان تسقط فيه خبوب اللقاح ولابد ان تنتقل هذه الحبوب بواسطه فراشه اليوكا التي يبدا عملها بعد مغيب الشمس فتجمع كميه من خبوب اللقاح من متك الازهار التي تزورها وتحفظها في فمها الذي بني بطريقه خاصه لاداء هذا العمل ثم تطير الفراشه الي نبات اخر من نفس النوع وتثقب مبيضها بجهاز خاص في موخره جسمها ينتهي بطرف مدبب يشبه الابره وينزل منها البيض وتضع الفراشه بيضه او اكثر ثم تزحف الي اسفل الزهره حتي تصل الي القلم وهناك تترك ماجمعته من حبوب اللقاح علي صوره كره فوق ميسم الزهره وينتج النبات عدد كبير من الحبوب يستخدم بعصها طعاما ليراقه الفراشه وينضج بعضها كي يواصل دوره الحياه)

فاذا كانت الحشرات والتبات لديها غرائز تستخدمها لحفظ نوعها وفقا للنظام الذي حدده لها الخالق فان علاقتها تنبثق عن النظام لا الفوضي وبالتالي كيف لهذا الانسان العاقل ان يخرج عن الفطره وعن النظام وهو العاقل الذي ميزه الله علي سائر المخلوقات

ولهذا فإن معركه هولاء مع العلم والفطره والإنسانية ولذلك تجد دعاه المثليين جنسيا اليوم يحاولون تسوق ثقافه الجهل والتجهيل لتبرير هذه الجريمه من خلال نظريات فلسفيه يهدفون فيها إلي أن يرتاح المنحرفون الشوذ من تأنيب الضمير فزعموا أن الشاذ جنسيا هو أمر بيولوجي في تكوينه واصل خلقه

فاعلم أن هذا القول من اسلحه الباطل الذين يريد ون أن يبدلوا الفطره ويطمسوا معالمها ليكون الشذوذ مقبولا عند الناس فاللازم أن تحافظ علي مفاهيم الفطره ولاتقبل هذه المحاولات لانه يستحيل علي الخالق سبحانه وتعالى أن يوجد في الإنسان شذوذ ثم يحاسبه علي ذلك بالخلود في جهنم عليك أن تقف ضد هذا الانحلال الذي تجاوز الاخلاق المذمومه الي الانحراف عن الفطره فانتبه أن تتأثر بدعوه الإلحاد والكفر التي تعتبر الشذوذ من حقوق الإنسان فإن هذه الدعوات تقتل الانسانيه وتقتضي علي الادميه وهي دعوات كافره من وافقهم فيها فإنه يخرج عن المله

المفهوم الثالث

تبين النصوص نهايه كل من يعيش بلا هدف في الحياه بأنه مهما بلغ من الرفاهيه فإنه لايجد السعاده التي يبحث

عنها ولهذا تنقل لنا الآيات صوره لما وصل إليه أهل سدروم الذين كانوا يعيشون في رخاء مادي وتمدن ورفاهيه فقد أقاموا الانديه كما تصف الآيات في مواضع أخري لأجل الترفيه علي النفس لقد كانوا يمتلكون أموال طائلة واثرياء وأهل غني فاحش فهل وجدوا السعاده ؟

ترسم لنا الايه كيف أن غياب الهدف الذي يقنع العقل ويشبع اشواق العاطفه

عن الناس ينحرف فيه الإنسان عن الفطره فإن الإنسان حينها يفقد ادميته وينحط إلي مستوي ادني من البهائم والحشرات في مسيرته البحث عن ما يشبع رغباته وشهواته ومن هنا فإنه يمل قضاء الشهوه في طريقه السليم ويكون الانحراف نتيجه البحث عن الجديد الذي يشبع رغباته وشهواته والعالم اليوم يرسم صوره مشابهه لما وصل إليه قوم لوط خاصه في المجتمعات الغنيه حيث أن عمليه البحث عن الكيف والجديد في عالم الجنس قد اوصل الناس الي حال يستحي الشريف أن يتحدث عن ذلك لبشاعه أحوال الكثيرون

ولهذا لاتستغرب هذا الشذوذ الجنسي الذي يبحث عن أماكن القذره لقضاء الشهوه فهو من الموكد ليس امتع من لذه المراه ولكن عندما يعيش الانسان بلاهدف للحياه فإنه يمل من الوضع الطبيعي ويبحث عن كل شي جديد وغريب

فهو لايجد طعم الحياه مهما بلغت مرتبته في العلم والمال والجاه فهو لايجد طعم الحياه يبقي باحثا عن كل جديد وغريب يريد أن يذوق طعم اللذه ومن هنا لاتستغرب أن تري منه هذا الانحراف والشذوذ عن الفطره

أما المومن فإنه يعيش لله يعيش لأجل أن يعمل الأعمال الصالحه ولهذا فإنه يجد لذاته في طاعه الله فهو يفرح بـ الطاعه والأعمال الصالحه ولهذا فإن صلاح الشعوب هو بالعوده الي الله تعالي وامتثال منهجه تعالي

ثانيا

تنتقل النصوص الي بيان ما انتهي إليه الحوار الطويل بين لوط وقومه فقال تعالي (فما كان جواب قومه إلا أن قـ الوا اخرجوهم من قريتكم أنهم أناس يتطهرون)

المفهوم الاول

أن علي الداعيه أن يتحمل المسؤولية فلا يتقاعس عن القيام بواجبه في الدعوه

فلا تكون الأحوال المزريه التي تعيشها المجتمعات سببا للتخلي عن دورك والقاء اللوم علي الآخرين أو التعلل بنظريه المومره كما هو حال الكثيرون اليوم حيث وأن المتأمل لحال قوم لوط يجد ان أزمتهم كانت كبيره جدا فلو وضعت نفسك مكان نبي لوط عليه السلام انك كلفت لدعوه قوم مثل هولاء القوم فأنت حينها لابد أن تنظر إلي ما فيهم من علل لابد انك عندما تري تلك الأوضاع المزريه من الموكد أن النتيجه هي الشعور بالاسي لماهم عليه لابد أنك سوف تقف حائرا لاتعرف من اين تبدا ولا ماذا تفعل ولا كيف تواجهه هذا الواقع المولم خاصه وانك تواجهه برده فعل عنيفه كلما حاولت أن تحرك المياه الراكده تحاول أن تبحث عن بقايا جذوه نار بين الرماد المبعثرة لتبعث فيهم الحياه فلا تجد إلا رمادا لانار فيه

فما الذي ستفعله لو كنت مقام لوط وانت تواجهه بهذه التحديات والعقبات التي تعترض طريق دعوته الن تصاب بـ الاحباط وتفقد الامل من تغيير أحوالهم التي وصفها لوط (بل أنتم قوم مسرفون)بهذا الإضراب الانكاري الذي

تحول الي الاخبار باحوالهم بأنهم مسرفون في كل شي فدلت الجمله هنا كثره انزعاج لوط لحال قومه . ومع ذلك تحمل لوط المسووليه ووقفا ثابتا ولم يسمح للاسف والانزعاج أن يسيطر عليه وهو يري القوم غارقون في الرذيله التي ابتدعوها واخترعوها رذيله قبيحه بل ظل ثابتا متحملا المسووليه يقول الامام الشوكاني في فتح القدير بشأن قوله تعالى (فما كان جواب قومه) أن التكرار لهذه الجمله في الموضع الثلاثه من سوره النمل و العنكبوت والأعراف تبين أن لوطا كان ثابتا علي الإرشاد ومكررا للنهي لهم والوعيد وبعد ذلك قالوا هذه الجمله (فما كان جواب قومه)

استثناء مفرغ من أعم الأشياء وليس المراد أنهم لم يصدر منهم غير هذا الجواب علي محاوراته معهم إلا هذه المقاله الباطله كما هو المتسارع الي الافهام بل المراد أنه لم يصدر عنهم في المره الاخره الا هذه المقاله

المفهوم الثاني

أن معركه الباطل منذ الأزل يتوجه الي تشويه الفطره وطمس معالمها لأجل أن تقبل الفساد ولهذا فإن الانبياء يستهدفون بدعوتهم الفطره لازاله ما علق بها من اوساخ فالفطره إذا سلمت من التلوث فإنها تعرف الحق وتحبه

ولهذا تنقل لنا الآيات مظاهر فساد الفطره لدي هولاء فذكر تعالي أن جوابهم في اخر مره هو (إلا أن قالوا اخرجوهم من قريتكم أنهم أناس يتطهرون)

لماذا يريدون أن يخرجوا لوط والمومنين من المدينه ؟

لانهم أناس يتطهرون ؟

لقد عابوهم بهذه الخصله الحميده انظر كيف أفسدت الجاهليه ثقافه هولاء وفطرتهم وغيرت معيار القبول بالآ خر ..أمروا باخراجهم لانهم حريصون علي النظافه فهم لايريدون أن يبقي في المدينه الا الملوثون

وهذه هي صفات الفاسدون في كل زمان يكرهون الرجال الطاهرين لأن وجودهم يظهر قذرات القذرين يظهر نجاسه الانجاس

فهذه هي حال الجاهليه في كل زمان فمنطق الجاهلية اليوم هو نفس منطق جاهليه الامس بل روبما أقبح فقوم لوط قالوا اخرجوهم لانهم يتحرجون من فعل ما تفعلونه ومن اقراراكم عليه علي صنيعتكم فاخرجوهم من بين اظهركم فإنهم لايصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا علي ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها بينما جاهليه اليوم أقبح فاي انسان يعيش في الغرب امريكا وكندا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا....لايتجرا أن ينتقد المثلين ولو حصل انتقاد لافعالهم التي تمارس علنا وتشريعات أقرتها الدول الغربيه بل فيهم من وصل إلي مركز القياده في تلك الدول فإن رده الفعل لكل من ينتقد أفعالهم سوف تقابل بالاجراءات الصارمه والطرد من تلك الدول ومنع دخولك لها مره اخري تحت شعار حمايه الإنسان وحريته الشخصيه بينما لو أن قام شخص باحتقار ا لأديان وسب الانبياء فلا يتجرأ أحد أن يعترض عليهم ولك أن تقارن بين ذلك لتري ان منطق الجاهلية في الزمن الغابر هي نفس منطق جاهليه هذا الزمان

كلاهما يحمي القذره ويمنع إزالتها ولهذا عابوا علي لوط وأهله أنهم قوم يتطهرون

ثالثا

بينت الايه السابقه أن دور المومن في ازاله النجاسه عن المجتمع أمر واجب علي المسلمين

فليس المراد من التشخيص للداء أن تقف موقف من يحلل الأحداث ولايقوم بأي عمل ملموس ولهذا بعد ذكر تشخيص لوط للاسراف الذي اعتاده قومه مبينا أنه صار أمر مألوف عندهم تلك الأفعال الشنيعه لم يتوقف عند هذا الحد بل كان له مواقف وأعمال ملموسه بالدعوه والإرشاد والنهي ولهذا جاء الإيجاز القرآني علي طريقته البلا غيه فقال تعالي (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخرجوهم من قريتكم أنهم أناس يتطهرون)

فما الذي خوف القوم منهم ما الشي الذي عابوه أنه الأعمال المملوسه المعبره عن موقف لوط في محاربه مفاسد قومه بأعمال علي الارض لقد لاحظ القوم أن لوط

تركيز لوط علي تنظيف نفسه وتوسع الي من يستطيع التأثير عليهم بدرجه أولي

لأن طبيعه المومن طاهر هذه هي صوره المومن الحقيقه هو نظيف في بدنه وسلوكه وظاهره وباطنه عليك أن تحرص علي أن تكون طاهرا علي الدوام فاللازم أن تنظف نفسك من الاوساخ فالطهاره تعني رفع الحدث وازاله النجاسه يقال طهر المياه اي نقاه ونظفه من النجاسه قال تعالي (وثيابك فطهر والرجز فاجهر) بمعني طهر ونظف ثيابك من الاوساخ وطهر روحك من الذنوب والمعاصي

فلوط كان الي جانب اهتمامه بإرشاد الآخرين وتقديم النصح لهم لكنه لم يهمل أن يركز علي يستطيع أن يسيطر عليهم وان يوثر فيهم بدرجه أولي ولايعني هذا أن لا يهتم بالآخرين ولكن الالويه هنا تكمن في الذين يسيطر عليهم ومن هم قابلين للتأثير ولهذا قال تعالي (فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

١

فدل هذا أن لوط لم يومن به إلا أقاربه وهم أبناءه وبناته ولهذا يأتي الاستثناء (الا امرأته كانت من الغابرين) وقال تعالي في موضع آخر (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

٢

فامراه لم تخن لوطا بالزنا أو غيره قطعا ولكن أقرت قومها علي فعلهم وخانته بالكفر واخبرت قومها عن اضياف لوط وهذه خيانتها

٣

عليك أن الإنتباه من التعاطف مع العصاه وأهل الكفر والشرك او التغافل عن معصيه فلا تنكرها ولو كنت تشاهد فيلم او مسلسل سينمائي كما هو حاصل في الافلام الاجنبيه والهدنيه التي تحاول تصوير المسلمين بأنهم مجرمون وترسم صوره جميله للهندوس في معركتهم مع المسلمين تصور الهندوس أنهم أصحاب اخلاق وابطال لتجذب مشاعرك وعواطفك مع بطل الفلم وكذلك فإن بعض الافلام حتي العربيه منها تحاول تصوير المعصيه انها بطوله فإن انصراف عاطفتك مع الكفار أو حتي مع العصاه يجعلك مشاركا لهم في الجريمه وان لم تحضرها لأن من غاب عن معصيه فاقرها كمن شهدها ومن اشهد معصيه فانكرها كان كمن غاب عنها

ولهذا يخبرنا الله أن زوجه لوط كانت من الهالكين مع انها لم ترتكب ما ارتكبوا من فاحشه وليس لها مصلحه أن يكون زوجها متنزها عن جريمه اللوط لأنها امراه ومن مصلحتها نظافه زوجها عن قذره القوم فما الذي جعلها من الغابرين اي الهالكين اي المنقضي بالفناء والهلاك ...لقد تعاطفت مع قومها لقد تغافلت عن المعاصي فصارت في العقاب من ضمن الهالكين الذين ارتكبوا الجريمه ولم ينفعها صله القرابه بنبي الله لوط عليه السلام

رابعا

(وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

انه بالوقوف علي حروف كلمات الجمل (وامطرنا عليهم مطرا)

تري بلاغه القران الكريم وإبداعه العجيب في رسمه للصوره التي تحكي نهايه قوم لوط الذين كانوا يرفضون النظافه يرفضون الطهاره ويريدون بقاء النجاسه في مجتمعهم وقد هموا بإخراج لوط وأهله لانهم من سدروم لا نهم قوم يتطهرون ينقون أنفسهم واجسادهم من الاوساخ والنجاحات

ولهذا جاء مناسبا قوله تعالي (وامطرنا عليهم مطرا) لقد كان تنظيف الأرض من هذه النجاسه والوحل والاوساخ التي طالما تفاخروا بها ورفضوا إزالتها عن أنفسهم بان امطرهم الله بالعذاب النازل من السماء فكان الجزء من جنس العمل

ولهذا يقول بعدها (فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

الأمر بالنظر الي نهايه المجرمين دعوه للسير في الأرض واكتشاف مافيها من سنن يهدف أن يلفت انتباهك أن كل شي في الحياه يحكمها سنن ونظام واقدار وهذه السنن ثابته لاتحابي أحد ولهذا فإن المسلم بحاجه الي أمرين معرفه هذه السنن لأن الاستدلال علي اطرادها يتاتي من هذه المعرفه وهذه المعرفه هي من الوحي

ولانه لاسبيل النهضه والبناء الحضاري الا بالوقايه من الازمات ولهذا فإن الحاجه الي استعياب السنن وفهمها أمرا ضروريا ولذلك فإن التحقق بفاعليه السنن إنما يتم من خلال السير في الأرض والتوغل في تاريخ الشعوب وتاريخ النبوه وملاحظه قوانين سقوط ونهوض الحضارات ولهذا بعد أن حكي الحق قصه قوم لوط قال تعالي(فانظر كيف كان عاقبه المجرمين) فالسير في الأرض مهم لاكتشاف هذه السنن يزودك بأسباب السقوط و النهوض للحضارات ويعطيك الفقه بكيفيه التعامل مع الأزمات وكيفيه تجاوزها ولهذا فإن الامه اليوم مطلوب منها لاستعاده دورها وفاعليتها أن تستدعي معرفه الوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع مسيره الحياه لمعرفه مواطن الخلل واستبانه أسبابها وإيجاد العلاج للخروج من الازمات

فمن ينظر حال المسلمون اليوم يري أن أوضاعهم بين سوء التشخيص للداء أو الرضا بالعلل او وجود التشخيص السليم لكن لا يضعون العلاج المناسب القادر علي اخراج الامه مما هي فيه

أن الملاحظ اليوم أن استدعاء التجارب الإنسانية في مجتمعنا ليس لاكتشاف مواطن الخلل واستشرافها قبل وقوعها للحيلوله دونها أو التخفيف والحد من آثار الأزمات وانما لطلب الفتن وخلق الأزمات في المجتمعات استدعاء أزمات تاريخيه ماضيه وايقاظ فتن نائمه لها اكثر من الف وثلاثمائة سنه استدعاء ليس لاخذ الدروس و العبر ومعرفه السنن التي نتجاوز أزمات جديده وانما تهدف إلي اشاعه الفوضي واسالت الدماء هكذا ينظر اغلب

ربان وقاده اغلب مذاهب وحركات العمل الإسلامي الي التاريخ والأحداث لماذا؟

لأن المسلم أضاع بوصله معرفه الوحي وتنزيله علي الواقع نتيجه الفهم المحزن والسقيم للوحي الذي منحنا فقه السنن وقدم لنا نماذج للتدريب والاقتداء فهو تعالي يقول لنبيه (فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

إن المسلمون اليوم بحاجه الي فهم فقه السنن بحاجه الي منهج السنن فغيابه عن عقل المسلم اليوم أوقع علماؤنا في التيه وساعد في خبال الامه وتخلفها وبروز صور التدين المغشوش والانسحاب من الدنيا او المروق من الدين شاهدنا من اعتبر سفك الدماء سبيلا للدعوه الي الله شاهدنا من أباح دماء المسلمين باسم الإسلام ارضاء للحكام شاهدنا من حول الاسلام الي القاب يتمترس وراءها صارت مهمتهم خلق الأزمات والمشاكل في المجتمع المسلم بدل المساعده في إنهاء معاناه الامه بدل مواجهه أعداء الإسلام والمعركه الشرسه الموجهه ضد المسلمين شاهدنا من يقف في صف الأعداء ويصدر الفتاوي باسم الإسلام

أن معرفه السنن وفقه التحولات يتطلب أن تفتح منافذ التفكير ولهذا يقول الحق لنبيه (فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

لتعرف الأسباب والعوامل الكامنه وراء كل ازمه فالعمليه تتطلب دراسه تحتاج استبانه مواطن الخلل والتقصير ف لا يكون ردك عفوي اذا وجهت ازمه مشابهه بل قائما علي علي دراسه وتأمل واستشعار التحدي فمهمه

فالأمر بالنظر بعد ذكر القصه يعني أنك بحاجه الي الادوات التي تقرأ بها الأحداث فالوحي دليل عمل لكن ذلك يتطلب منك توفير الادوات التي تجعل العقل قادرا علي القيام بدوره ووظيفته في الاجتهاد وتنزيل معرفه الوحي علي واقع الناس ونوازلهم من خلال المنهج السنني في ضوء الاستطاعات المتوفره والظروف المحيطة والخلوص من ذهنيه التخلف والعجز

القصه الخامسه

(والي مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم فاوفوا الكيل و الميزان ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين وان كانت طائفه منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفه لم يومنوا فاصبروا حتي يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا علي الله كذبا أن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شي علما علي الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير. الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفه فأصبحوا في دراهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون فتولي عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسي علي قوم كافرين)

اولا

الايه (والي مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

المبحث الأول

يحكي لنا الحق قصه شعب مدين الذين أرسل الله إليهم شعيبا عليه السلام

فمن هم أهل مدين ؟

شعب مدين قبيله تسكن قرب معان الاردن وقد ذهب البعض للقول إن الاسم يراد به بنو مدين بن ابراهيم وهذا ما ذكره الالوسي بان مدين بن ابراهيم عليه السلام تزوج من ابنه لوط عليه السلام وسكن هذه البقعة من الأرض وقد سميت قبيله مدين بهذا الاسم والمراد به بنو مدين كما يقال مضر والمراد بنو مضر

والرأي الثاني أنه اسم مدينتهم فنسبوا إليها .. وشعيب أخاهم في النسب ومنهم هذه القبيله وهو نبي من أنبياء العرب أرسله الله الي أهل مدين والي أصحاب الايكه فالاسم عربي (شعيب) وقد ورد في التوراه اسم عم موسي عليه السلام المذكور في القران أن موسي تزوج أحدي ابنته رعوئيل اي رع :صديق وئيل الله

بمعني صديق الله اي الصادق في عبادته طبعا هو شخص آخر غير شعيب نبي الله

المبحث الثاني

ماهي حضاره قوم مدين ومعاصيهم ؟

مشكله هولاء القوم هي فساد ذات طابع اقتصادي واجتماعي وسياسي حيث يبدوا أنه كانت ثمه حضاره تجاريه قامت علي هذه الأرض بلغت فيها التجاره مبلغا من اتساع رقعه التعاملات التجاريه وتبادل السلع التجاريه وصارت هذه الأرض لها تأثير علي غيرها من الأمم لأنها تمتلك قوه المال وكانوا أهل علم بفنون التجاره والبيع و الشراء فحصل انحراف منهم فقد استغلوا حضارتهم تلك في الافساد بالأرض بالغش والظلم والتطفيف بحثا عن المكسب المادي ولهذا أرسل الله إليهم شعيبا فقال تعالي (والي مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

الأمر الأول

لماذا سماه أخاهم ؟ في حين ذكر القران نداءه لاصحاب الايكه بدون هذه القرابه كما ورد في قوله تعالى (كذب أصحاب الايكه المرسلين إذ قال شعيب ...الخ

والمراد بهذا أنه أخاهم في النسب فهم يعرفونه ويانسون به فليس غريبا عنهم فمن فقد أخاه يفقد القوه ولا يعني هذا أن أصحاب الايكه لم يكونوا من نفس القبيله لأن القول بذلك يتعارض مع سنه ارسال الرسل في فتره الطفوله البشريه التي كان ارسال الرسل بلسان قومه لأجل أن يحصل البيان فقال تعالي (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه...الخ

فشرط أن يكون الرسول من القوم المرسل إليهم مهم وأساسي

سواء كان منهم من حيث صله الدم والنسب أو منهم مقيم في القبيله يعرفهم ويعرف امراضهم ويانس بهم ويانسؤن به كما هو حال لوط فهو لم يكن يتصل بهم بصله نسب ولكنه كان يعيش بينهم يشعر

فهذا لأن أصحاب الايكه الجزء الاخر من قبيله مدين البدو كانوا يعبدون الشجره فهم اضافه الي امراض فساد التعامل بالتطفيف بالكيل والميزان والبخس والافساد في الأرض التي اتصفت مدين الحضر فقد كانوا فوق ذلك مشركين بعباده الشجره ولهذا لم يقل أخاهم تنزيها له وإلا فهم جزء من قبيله مدين التي شكلت مدين الشق المتحضر بينما الايكه هم البدو

الأمر الثاني

تبين النصوص أن الأساس الذي انطلق منه شعيب في دعوته قومه هي من التوحيد (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم)

اي من أفراد العبوديه لله فهذا الأصل الذي انطلق منه وربط به جميع الأحكام بعدها ...فافكاره التي يريد من الناس أن يأخذوا بها هي فكره التوحيد بحيث تكون كل حركه تتحركها تتجه بها الي الله تعالي العباده بالمعني الشامل

فهو يريد إقناعهم بما يدعوهم اليه انهم يعبدون الله في الالتزام بالمنهج الرباني فالدين لايتجزء فاصلاح الاختلالا ت الاقتصاديه عباده لله مثلها مثل الصلاه فالعبره بالامر التكليفي هو مصدره طالما انه صادر من الله تعالي فهذا ا لامر من اهم الاسس في بناء الامه والحضاره ولهذا فان الايات تهدف الي الاتي

المفهوم الاول

أن المدخل لاي تطور وتقدم ونهضه في حياه الشعوب إنما يكون بالمنهج الذي يحقق تطلعات الشعب وإحداث التغيير والأمل المنشود ه والثقه بالقياده المنهج الذي يخلق التجاوب من الجماهير مع الأهداف التي تسعي القياده لتجسيدها علي الواقع من خلال هذا المنهج والذي لن تبلغ مرحله التطور الا باقتناع وقبول الجماهير للأ فكار والثقه بشخص القائد الذي يقود عمليه التغييرفتفاعل الجماهير أمر مهم في عمليه التطور ولهذا ولوسالت نفسك

ما هو سلاح الانبياء لإقناع الناس بأفكارهم واشخاصهم لأجل الوصول إلي مرحله تفاعل الجماهير ؟

أنها الكلمه فالانبياء يبعثوا مزودين بسلاح يقهر الناس فلم يكونوا أهل قوه ولامال بل جاؤا بالكلمه الطيبه يدعون الناس الي الايمان ينشرون الحق بالكلمه الطيبه هذا هو السلاح الوحيد ولهذا قالوا (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

استعمل لفظ التودد ياقوم الكلمه الحسنه ودعوهم الي التوحيد الكلمه الطيبه

فالله قادر أن يرسل معهم الوحوش والجيوس تقاتل الأعداء لكن هذا يسقط الجزاء لأن ايمان الناس سوف يكون اضطراري وبالتالي فلا معني للادره التي اختص الله بها الإنسان مع العقل

فالحق ينتشر بالكلمه الطيبه ولابد لاهل الحق من الكفاح والنضال في تحمل أعباء الدعوه

وقد اقتضت حكمه الله عند إرسال الانبياء أن يحملوا المنهج للناس الذي فيه نظام الحياه ما يفعلون وما لا يفعلون ..وأنه تعالي يعيطهم من الايات داله علي صدقهم وصحه دعوتهم المعجزات القاطعه ولهذا يقول شعيب لقومه (قد جاءتكم بينه من ربكم)

اي أن الله أقام الحج والبينات علي صدق علي ماجئتكم به واستعمل لفظ (جاءتكم) لفظ القرب علي حصول الآ يات داله علي صدق نبوته

والبينه ما يتبين به الحق فيشمل المعجزات والبراهين العقليه فيصح أن يكون شعيب قد استدل بالايات الكونيه التي عطفت القصص الخمس عليها لأن حمله (الي مدين) معطوفه علي جمله (لقد أرسلنا) الوراده في مقدمه و التي ارتبطت بما ورد في المقطع السابق من عرض الادله الكونيه التي بها تعرف الله فقال اعبدوا الله مالكم من إله غيره.. شرع بعدها بعرض المنهج الذي تعبد الله به فذكر أوامره ونواهيه فأمرهم بالوفاء بالكيل و الميزان ....الخ فتكون البينه هي الكون .ويجوز ان يكون شعيب هو البينه ..والايات لاتذكر ماهي معجزه شعيب لكن الأرجح أنها معجزه خارقه لأن الامم القديمه لم تكن تذعن الا بالخوراق للعادات

المفهوم الثاني

أن الانطلاق نحو التقدم في اي شعب من الشعوب للاستفاده من طاقاتها يتطلب تثبيت النظام في هذه المجتمعات وذلك يحتاج الي جهود نضال وصبر لانه لايكون التأثير علي الجماهير الا بالتدرج والتعاطف ولهذا فإنه للاستفاده من تفاعل الجماهير لابد أن تنتقل بعد حصول التعاطف والقبول الي ضبط هذا التفاعل بالاعتدال بعيدا عن التهور والجمود ولهذا فإن علي القياده أن تبذل جهودا لتحريك الجماهير والتأكد من تفاعلها لأن التحريك للجماهير إنما يتحقق بجعلها تتفاعل تفاعلا إيجابيا وعقليا مع قيادته لاتفاعلا عاطفيا سلبيا ولهذا بعد ان آتي شعيب بالايات المعجزات القاطعه لمعاذير قومه شرع في الانتقال الي اصلاح الأوضاع الاقتصادية والا جتماعية والسياسية في هذه الحضاره فرتب علي البراهين الكونيه او المعجزه التي ولدت الاقتناع فيهم بوجود الله تثبيت النظام فقال تعالي (فاوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

ضروره وجود ميزان تزن به الاشياء حتي يكون تفاعلك ايجابي فاذا كان الكون محكوم بنظام دقيق كل شي خلق فيه بقدر موزن فانت يجب ان يكون لديك ميزان لأن التفاعل الإيجابي يولد بالاقتناع أثناء مشاهدة البدايه الصحيحه للمسيره ثم ينمو بتحمل المسؤولية فكل فرد عليه مسووليه وتوزيعها علي أوسع قاعده فكل واحد يقع علي عاتقه مسؤولية تثبيت نظام العدل والمساواة وحمايه الحقوق وصيانتها من التفريط حتي يبقي التفاعل ويكون أفراده قابلين للتطور متعاونين مع القياده ليشاركوا في صناعه التاريخ ولهذا قال فاوفوا الكيل والميزان

فإن اللازم أن يكون لديك ميزان ومكايل توزن وتكيل بها الحقوق ولهذا استعمل الأمر (فاوفوا الكيل والميزان) و الكيل مصدر من قولك كلت الطعام والمصدر لايمكن ايفاوه لأن النقص والاتمام من خواص الأعيان ولهذا حمله القاضي علي حذف المضاف اي اله الكيل وفسره ابو السعود بالمكيال ويويده قوله الميزان فإن المبادر فيه الاله وإن جاز كونه مصدر كالمعتاد فحمل الكيل مايكتال به كما يطلق العيش علي ما يعاش به حيث كان لهم مكيالان وميزانان اهدهما كبير والآخر صغير فإذا اكتاولوا استوفوا حقوقهم بالميزان الكبير واذا وزنوا للناس نقصوهم فاستعملوا الميزان الصغير

والمعني أدوا حقوق الناس بالمكيال والميزان علي التمام لابد أن يكون لديك ميزان عدل توزن وتكيل بها الحقوق بالوفاء والتمام دون أن تنقص أو تبخس

فالشعب يحتاج الي عارفين بالحقوق شاعرين بالمسووليه ينتشر الوعي بالحقوق والواجبات بين جميع أفراد الشعب كل واحد يشعر بمسؤولياته وتعترف بحقوق الآخرين فهذا هو التفاعل الإيجابي الذي يجعل التنافس في أداء الحقوق وإتقان الأعمال لا الانتقاص من ابداع الآخرين ولهذا قال تعالي (ولاتبخسوا الناس اشياءهم)

فصناعه الحضاره تعني أن يحرص كل واحد من أبناء المجتمع علي تجميع الطاقات والقدرات لبناء الحضاره ولهذا ينهي عن البخس الذي التعيب والتزهيد بالتقليل من أعمال الآخرين فهناك من يهاجم الآخرين وينكر إبداعاتهم واشياءهم سواء كان في السلع التي يسعي المرضي الي الاحتيال بالتقليل من قيمتها وشراءها بأبخس الأثمان أو في الحقوق المعنويه المتعدده والتي منها العلوم الفكريه والفنون والآداب وغيرها حيث نجد أن التنافس بين أرباب العمل يصل الي بخس حقوق ابناء المهنه بدعوي أنهم متفوقون عليهم منكرون عليهم ما خصهم الله به من المزايا والقدرات

والايه تحذر من تبديد الطاقات والامكانيات والقدرات يقول أن التفاعل مع هدف بناء الحضاره وعماره الأرض امر ايجابي لأن الله خلق الانسان ليكون خليفه في الأرض يقوم بالعمران وقد جعل الكون مسخرا للإنسان في هذه المهمه بما يودي الي التحسين والاستقرار وصناعه حضاره متوزانه فيها التقدم المادي مع القيم الروحانية لأ ن فساد الأرض بالكفر والحيف ولهذا يحذر من التفاعل السلبي مع الدعوه التي أطلقها شعيب للقيام بالعمران وبناء الحضاره بالنظر للدعوه باعث المصلحه الحاليه الشخصيه التي يقوم بتغليبها علي المصلحه ذات الأثر الممتد يودي الي اشاعه أجواء التحاسد والتدبر

فإن هذا يحول الموسسه الي كيان هش أو رخوا لا يستطيع الصمود أمام الأزمات

لأن القلوب اذا تداعت الي أهواء الباطل والميل الي الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف وادي ذلك إلي إهدار الطاقات وانتشار الفوضي وفساد نظام الاجتماع بالظلم وأكل أموال الناس بالباطل وانتشار البغضاء والصراع و الخروج عن الفطره التي اصلح الله بها حال البشر ومكنهم في الأرض واتاهم الله العقول

المفهوم الثالث

تبين النصوص اهميه أن بناء حياتنا وحضارتنا علي عقيده التوحيد وان نعيش بحسب القيم الالهيه ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فهذه العقيده هي التي ينطلق منها المسلم وبها يقيم حضاره دوله الموحدين فعندما يعيش الانسان لله فإن ذلك قوه يفجر الطاقات ويستعيد الإنسان ارداته وبالتالي يكون قادرا علي احداث التطور والتقدم قادرا علي اكتشاف البدايه الصحيحه لهذا التطور فيضع كل شي في موضعه لأن غياب الارده والهدف لاي حضاره يعني التخبط ومصيرها الي الزوال والفناء يعني قيام حضاره فاسده ذات فاعليه سلبيه تفسد في الأرض ولهذا ابتدأ ت الايه بقوله تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

فنقطه البدايه لبناء الحضاره وتعديل سلوك الإنسان واستقامه الحياه يكون من خلال الأصل الثابت الذي ينظم الحياه وكل شوون الإنسان (التوحيد)

حيث أن غياب دور العباده عن الحياه لابد أن ينتج سلوك خاطئ ويعيق عمليه التقدم والتطور الذي يحقق السعاده للعبد في الدنيا والآخرة..لأن فاعليه العبد في غياب دور العباده تكون سالبيه فيها إفساد الحياه وإهدار الطاقات يكون اجتماع الناس ليس لصناعه الأحداث بل التقاء صراعات ويضرب لنا الله مثالا لذلك قوم مدين الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام والذين حكت لنا سوره الاعراف عن أهل مدين الذين يعتقد أنهم في الاردن أو بين السعودية وفلسطين حيث كان سمات فساد هولاء القوم متعلق بجانب اقتصادي بصفه اساسيه فقد كانوا أول من ارتكب التطفيف بالكيل والميزان اي الغش ونهب الأموال وبخسوا حقوق الآخرين المعنويه والماديه وذكرت النصوص القرآنية في موضع أخري أن سلوك هولاء اتسم بالاستهزاء بالانبياء والمصلحين فقال تعالي (قالوا ياشعيب اصلاتك تامرك أن نترك مايعبد اباونا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد)

فدعوه شعيب لهم تركزت حول ضروره ان يكونوا عابدين الله في أعمالهم وتجارتهم دعاهم الي التزام الضوابط في كل تصرفاتهم الماليه وأنه يجب أن تحكم احوالهم وتعاملتهم ضوابط ايمانيه وان تكون معايرهم الوفاء بـ الميزان والقسط والعدل وان يلتزموا العدل والأمانة والصدق في التعامل في اداره شؤونهم فالالتزم بتعاليم الا يمان هو عباده الله فلا تتصور أن العباده هي الصلاه والصيام والزكاة والحج فليس الأمر كذلك فأنت في عملك سواء كانت مزراع أو معلم أو مهندس او طبيب أو تاجر او ...غيره تكون في عباده الله تعالي بأن تلتزم اخلاق المهنه والتعامل بالوفاء والعدل بما يودي الي منفعه الإنسان

انتبه أن تتصور أن المسجد هو مكان العباده فقط بل محل تجارتك هو محراب عباده الله وطقوس العباده فيه أن تلتزم العدل في التعامل مع الناس متوجها بذلك الي الله تتجنب الظلم في كل أمر وتتقن عملك قاصدا بذلك ارضاء الله

وانت في مدرستك ايه المعلم عليك أن تشعر أن هذا المكان لايقل شأنا عن المسجد في عباده الله فيكون اداءك عملك بإخلاص ناتجا عن الإحساس والشعور انك في عباده

فالعمل والإنتاج الذي تحققه بنيه عباده الله والتزام قيم الايمان هو الذي يحقق النجاح الحقيقي والتقدم ويولد التقاء المومنين علي التعاون في أعمال الخير

عندها سوف تستقيم الحياه بالاحتكام الي منهج الحق والعدل وليس الي حكم الاغلبيه والقوه الماديه والظلم للناس والاستقواء عليهم واكل أموالهم بالباطل

فاللازم أن نتعلم كيف نعيش حياتنا كلها لله يجب أن نطعم لذه العباده في كل شأن من شؤون لتنموا اروحنا ويحدث التغيير الإيجابي بتعديل السلوك فحتي الشعائر الدينية كالصلاه فإن العبره بدورها في تعديل السلوك الإ نساني الذي يجعله ينتهي عن الفحشاء والمنكر

ولهذا فإن العباده تعني أن نتعلم كيف نتعامل مع الناس بالعدل والمساواة ونحترم حقوق الآخرين بغض النظر عن دينه ومعتقداته

المفهوم الرابع

عليك أن تعلم أن العقيده ليست مجرد معرفه وجود الله والإقرار بالحساب والعقاب فقط بل لابد أن تكو ن لهذه العقيده فاعليتها وقوتها الايجابيه وتأثيرها ودورها في الحياه كلها ولهذا نجد تذيل شعيب دعوه قومه لترك

العادات القبيحه وفسادهم في المال والاقتصاد ونحوه بقوله تعالي (ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

يقول لهم أن الدين سلوك ومعامله وليس مجرد صلاه وصيام...فاستعمل اسم الاشاره (ذلكم) الي العمل بما أمرهم الله ونهاهم بأنه خير وعلق ذلك بمقتضي الايمان (إن كنتم مومنين)

لأن المومن يدرك أن هنالك حساب وعقاب يدرك أن الله مطلع علي أعماله ولهذا فهو يحس بوجود الله ويدرك أن كل سئيه لها عقاب وكل حسنه لها ثواب

ولهذا فإن العبد لايحتاج الي أن يتعلم عقيده يعلمها بل يحتاج الي تحويل هذه العقيده الي واقع حياه يحتاج أن تمارس عقيده الايمان دورها وفاعليتها وقوتها الايجابيه وتأثيرها في توجيه السلوك الإنساني بحيث يتطابق مع دعوي الايمان

ولهذا فإن المومن الحقيقي هو الذي يترجم إيمانه الي اعمال في واقع الحياه

فتكون للعقيده فاعليه ايجابيه فمن لم ينتفع بالعلم بوجود الله فلا قيمه لعلمه وإيمانه

فاستعمل اسم (ذلكم) أن الالتزام بمنهج الله من لوزام الايمان وآثاره ولهذا رتب العمل به علي وجود الايمان فدل هذا أنه إذا لم يكون للعقيده تأثيرها الذي تمنعك من الأفعال المنهي عنها فان الايمان ناقص أو معدوم

وكذلك فإن النص فيه الحث بادراه شوونهم وفق تعاليم الايمان فالذي يغش المسلمين أو غير المسلمين بكل بساطه قد الغي عبادته وصلاته وصيامه وزكاته

فدور العقيده هو تحويل الايمان الي واقع حياه يكون لها فاعليتها لأن عدم الفاعليه وفقدان العقيده دورها وتأثيرها علي الفرد والمجتمع والدوله تعني أن الإيمان والعقيدة التي يعلن هولاء الانتماء إليها ليس حقيقي وانما هي مجرد قلاده يتزين بها هولاء يعني أنها لم تغزو أعماق النفس الداخليه يعني أنه غير متقين من مساله الحساب والعقاب أو أنه لايعظم أمر الله بالتهاون والركون علي القول دون العمل فلو كان موقن أنه لو ارتكب الخطئيه بأن العقاب سوف يحل به بلمح البصر حقيقه ما ارتكابها فالإنسان إذا كان متيقين أنه إذا شرب السم سوف يموت فهل يقدم علي شربه أن العاقل لن يفعل ذلك أما المجنون فلا عقاب عليه لانه لاعقل له

وبالتالي فمن أيقن أنه ارتكب الخطئيه سوف يحرق بالنار فإنه لن يرتكب الفعل لانه سوف يشعر بالألم النار وعندها سوف يهرب من الخطئيه

أما الأمر الثاني فإنه يعود إلي الفهم السطحي لمفهوم العباده حيث ينظر إلي أن العقيده لادخل لها بأمور الاقتصاد والصناعات والسياسيه وأمور الدوله وحضارتها وشوونها وهذا هو فهم قوم مدين عن الدين ودوره في الحياه بأن الدين لاعلاقه له في شؤون السياسه والاقتصاد...ونحوه فيبدو أنهم لم يكونوا ينكرون وجود الله ولاينكرون الصلاه التي يقيمها شعيب فقالوا (اصلاتك تامرك أن نترك مايعبد اباونا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد)

فهم يصلون لكن صلاه لا تدعوهم الي ترك الفحشاء والمنكر لاننا نجد أن شعيب يقول (أن اريد الا الاصلاح ما استطعت...الخ

فتركيز شعيب هو أن يخلق فيهم السلوك الجماعي من خلال غرس الشعور بوجود الله ليكون لهذه العقيده فاعليه تودي الي جمع الناس حول هدف واحد هو عباده الله بالتعظيم لأمر الله والإحسان للناس ويحذرهم من التمادي في محاربه المومنين الذين التزموا بماجاء في منهج الله بأن هذا من عمل الشيطان الذي يقف في الطريق مترصدا للمومنين محاولا صرفهم عن السبيل المستقيم

فالصراع كان بنظرهم لاعلاقه له بالدين بل هو صراع سياسي واقتصادي كما يبدوا من خلال الوقوف علي حال الفريق الأول من قوم مدين وهم الذين كانوا يمثلون الشق المتحضر الذين يسكنون في مدين أما الشق الثاني فهم البدو من قوم مدين الذين كانوا يسكنون منطقه مجاوره لاهل المدينه واسماهم (أصحاب الايكه) فهولاء كانوا مشركين ويعبدون الشجره كما هو مفصل في الحجر والشعراء اضافه الي الاحتكار للسلع والتلاعب بالاسعار واختلاق الأزمات واضطهاد الضعفاء وهضم حقوق الآخرين فقد أضافوا الي امراض قوم مدين الذين كانوا يقطنون المدينه جريمه الشرك ولهذا اختلط الأمر علي الكثيرون بين مدين وأصحاب الايكه فهم اصلهم واحد في النسب والمصالح المشتركة وأعمال التجاره ولهذا بعث إليهم شعيب لكن هنالك اختلاف بينهم أن أصحاب الايكه اتصفوا فوق ما اتصفت به مدين بصفه الشرك وهذه تعود إلي طبيعتهم البدواه ولهذا كان خطاب شعيب لهم مختلفا عن خطابه لمدين فلم يقول إن كنتم مومنين..لانهم مشركون يعبدون الشجر ولم يقول إنه جاء لإصلاح أوضاع تشكل خلل يجب إصلاحه وإعادته الي الوضع الذي ينسجم مع أصلها الاعتقادي كما خاطب قومه في مدين الذين كان فسادهم ناتج عن خلل يعود إلي انقطاع بعض الأجزاء والفروع عن أصلها الاعتقادي ولهذا جاء التركيز علي تبليغ معاني الدين وحث الناس علي التطبيق لأحكامه في حياتهم اليوميه أراد أن ينشا مجمتع يحكمه المنهج الرباني فهذه هي دوله الموحدين التي ينبغي علينا جميعا أن نسعي الي إقامتها

ثانيا

عليك أن تدرك أن عمليه التغيير تحتاج إلي أمرين ...الأول تحريك وتجميع طاقات الجماهير
لتحقيق الهدف ...الثاني تحريك الظروف الموضوعية التي تحقق وتخلق الظاهره الايجابيه التي تحقق التطور و التقدم بدلا عن ظاهره التخلف

لأن بلوغ التطور إنما يكون بخلق سلوك جماعي وهذا يحتاج الي الآتي

الأمر الأول

أن نشعر بالقلق تجاه الظروف التي ورثناها ولانزال نحياها نشعر بأننا مهددين بالضياع والهلاك فالخطوه الاولي أن تخاف من أمراض البعد عن الدين لأن هذا يزيل التبلد ويوقظ الاحساسيس والمشاعر الميته ولهذا نجد أن الا يات النهي عن التطفيف بالكيل والميزان والبخس والافساد في الأرض مقرونا بالنهي عن الشرك ..فيه تعظيم شأن هذه المخالفات وان الذي يرفض الالتزام بالمنهج الرباني الذي ينظم الاقتصاد يكون مشركا فالعباده لاتتجزء ولهذا يأمرهم بالعدل والمساواة وان عليهم احترام حقوق كل واحد منهم وترك هذه العادات القبيحه المستوطنه فهم وا لانتقال من عقليه المصلحه الفرديه التي لاتراعي حقوق الآخرين من الضعفاء الي عقليه الدوله التي تحفظ حقوق جميع المواطنين لإنشاء وطن يقوم علي التعاون والتكامل بين أفراده والثقه فيما بينهم ليكون الهدف بناء حضاره قويه يستفيد منها جميع أبناء المجتمع فالتقدم يحتاج الي تجميع الطاقات وعندها سوف تجدون الأرباح
المضاعفه بواسطه الكسب الحلال وبما يفوق ارباح الغش والتطفيف والافساد فقال تعالي (ذلكم خير لكم إن

كنتم مومنين)

لانه يوجد لكم وطن مستقر تتفجر فيه الطاقات لخدمه الامه كلها لك غرض يخدم الامه كلها بحيث يكون كل واحد يتالم من الم الآخر ويفرح لفرحه كل واحد يتفاني في خدمه هذا الوطن عندها سوف يكون لكم قوه يحميها الجميع بدلا من الواقع السطحي الذي تعيشونه فأنتم غارقون في بحور المشاكل الشخصيه منشغلون فيما يجعلكم مهددين بزوال تجارتكم وفقدان الآخرين التعامل معكم وانتشار سمعتكم القبيحه عن الغش والتطفيف و التقطع للناس يعني فقدانكم مصدر الكسب الذي تعيشون منه تدريجا فإذا صارت القبائل كلها تعلم بما انتم عليه من المفاسد حينها لن تجدوا من يتعامل معكم

فاللازم أن تحافظوا علي مصدر دخلكم لأن الأرباح الحقيقه إنما بالمحافظة على العدل والمساواة والأمانة و الصدق فهذه أهم السمات التي يجب أن يجتمع عليها الناس في انشاء الوطن الذي يعيشون فيه وفي اقامه حضارتهم وتجارتهم ليكون استمرار النشاط وتطوره ولهذا لابد من خلق تقاليد وأساليب جديده يسودها النظام و القانون بغير عجز مالي أو اقتصادي أو مالي لابد من وجود دوله ومنهج قادر علي تحقيق التقدم والتطور للامه ويحفظ القيم والمبادئ في نفس الوقت

وقد قال في موضع آخر (بقيت الله خير لكم ....وما انا عليكم بحفيظ)

يقول لهم أن المنهج الرباني هو الذي يحقق لكم السعاده الحقيقه في الدارين فلابد لحصول التقدم من وجود سلطه تراقب حركه المال لاحداث التقدم والتطور الاقتصادي وتدير شؤونه فالتقدم الاقتصادي لايتحقق الا في ظل وجود انظمه قضائيه وضمانات تكفل تحقيق العدل وتنظم امور التجار بما يودي الي الاطمئنان في التعامل وهذا يحتاج الي انشاء جهاز محاسبه ومراجعه جميع الامور الماليه المتعلقه بأعمال التجاره

وهذا من اعمال الدوله ولهذا يقول لهم شعيب (وما انا عليكم بحفيظ)

فشعيب كان يدعوا الي ايجاد هذا الجهاز الذي يضبط جشع التجار وايضا يخاطب ضمائرهم في ظل غياب دور الدوله في مراقبه الاقتصاد ومنع الاحتكار لاسيما تلك السلع التي تتصل بالاشياء الضروريه للشعب بحيث يكون سعرها مناسبا وقريب من تكلفتها للتخفيف عن كاهل الشعب الأعباء بالذات ذوي الدخل المحدود

الأمر الثاني

(اهميه تقديم الدواء والعلاج والبدائل عن الظاهره السلبيه)

نجد أن شعيب عقب علي ماسبق بقوله (ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله...الخ

دعاهم الي تقديم مصلحه المجتمع عن التطلعات الشخصيه والمصالح الضيقه بترك التطفيف بالكيل والميزان و البخس والافساد في الأرض واستبدال ذلك بالتعامل بالامانه والصدق فإن هذا سوف يودي الي مضاعفه الأرباح لماذا ؟

لانه يشجع الاستثمار فالناس عندما يثقون في عداله النظام وصيانته لحقوق هم وضبط كل من يغش وينهب الأ موال فإن ذلك يعود بالنفع علي المجتمع كله حيث تتدفق الأموال وتزداد حركه التجاره والإنتاج وتتوقف

عمليات الاكتناز وتهريب الأموال ويزداد حجم الثروه القوميه ويتضاعف الدخل القومي فالانتفاح الاقتصادي مهم لجذب اكبر قدر ممكن من رؤوس الأموال فهو يحذرهم من اقامه الأسوار حول اقتصادهم بتلك التصرفات التي تودي الي الانكماش الاقتصادي والانغلاق الاقتصادي وهو ما يفهم منه ضروره تقديم البديل للناس عن كل ظاهره جاهليه ترسخت في المجتمع لعقود وسادت فلابد من تقديم بديلا يشعر الناس بفائدته ومنفعته فلا يكفي تخويف الناس مما أصابهم من الأمراض لبعدهم عن الدين وعلل التدين

دون تقديم العلاج ودون أن تصف لهم الدواء والعلاج فلاتنفع المواعظ والخطب وحدها فنحن نري المجون منتشر والرباء رغم المحاضرات والدروس التي تحرم ذلك ومع ذلك نجد زيادتها كل يوم لأن الغائها لايمكن دون تقديم البدائل النافعه ودون أن يري الناس المصلحة التي تحقق المنفعه فاللازم عند اراده تغيير الظاهره السلبيه من تحريك قوي التفاعل لدي الجماهير وتحريك الظروف الموضوعية القادره علي احداث التغيير لأن الفساد في المجتمعات يعود إلي اقتناع الناس بالواقع السطحي والتعايش مع الفساد وقبول الواقع الذي يرسم اهداف حياته معيار المصلحه الشخصيه ولهذا ينشاء عن ذلك مجتمع يقيم الاشياء والأمور وفقا لمعايير المصلحه الشخصيه فتغلب عليهم مشاعر الانانيه ويطغي سلطان المصلحه فأراد أن يشعروا بالقلق تجاه تلك الظروف فإن حصل هذا فإن هذا سيؤدي إلي رفض الاقتناع بالواقع السطحي الذي يحيونه ويمتنعون عن إغراق قورابهم في بحور مشاكلهم الشخصيه وفلا يهدرون الطاقات بالخصومات العقيمه ولا تليهيهم المشاكل الشخصيه والخرافه بظواهرها الشكليه عن جذورها الحقيقه فينسينا أهدافنا الكليه الشموليه التي من شأنها أن تعالج هذه المشاكل وتمنع استمرارها وتحول دون الضياع والانهيار للحضارات فقال تعالي (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين)

لبيان ان هذه الأعمال تتعارض مع شرف الخلافه التي تزيد المهتدين قوه الي قوتهم يقول لهم انهم يهدرون الطاقات في المشاكل الشخصيه التي تزيد منها في الأصل وتخرجون عن شرف الخلافه الذي يكمن في طاعه الله وبالتالي فإن هذا يعرضكم للزوال فالقوه تكمن في طاعه الله ولهذا يذكرهم كيف انعم الله عليهم بتكثير أعدادهم وأموالهم بعد أن كانوا ضعفاء ويذكرهم بما حل بالامم من قبلهم عندما خرجوا عن طاعه الله فسنه الله واحده وقانون الخلافه واحد لايتغيير فما حل بقوم نوح وعاد وثمود ولوط ليس بعيدا عنكم فقال تعالي في موضع آخر (ولا يجرمنكم شقاقي)

فدل هذا أن قوم شعيب (أهل مدين) لم ينزعجوا من اقامه شعيب ومن معه للشعائر الدينية من صلاه أو صيام ...لكن الذي ازعجهم هو الاثار الناتجه عن الصلاه فقال تعالي (قالوا ياشعيب اصلاتك تامرك أن نترك مايعبد اباونا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد)

فعليك ان تفهم أن العباده ليست محصورة بالشعائر فهم لم ينزعجوا من أداء شعيب الصلاه وانما انزعجوا لأن هذه الصلاه امتدت لتمس مصالحهم فقد جاء شعيب بقوانين تنظم الاقتصاد انزلها منزله الصلاه فهم يعبدون الله بالالتزام بها شاهدوا أنها تمس سلطانهم ولهذا فإن السلطه السياسيه في قوم مدين وقفت ضد مشروع الدعوه الي عباده الله بالالتزام فيما شرعه لهم الله في حياتهم الاقتصادية ولهذا كانت الخطوه الثانيه من قوم مدين هي اعلان الحرب ضد شعيب والذين آمنوا معه فاتهموه بالجنون وقالوا إنه مسحور كما أخبرنا الله تعالي في موضع آخر (قالوا إنما أنت من المسحورين)

فقد كانوا يجلسون في قارعه الطريق يحذرون كل من يدخل المدينه من شعيب يقولون انتبه أن تتأثر بما يقوله

شعيب ولعل ذلك كان ينصب علي الماره من البدو التابعين لقبيله مدين اي أصحاب الايكه الذين كانوا يقصدون المدينه للتجاره وغيرها وحتي الزياره لانهم ابناء قبيله واحده فقال تعالي (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا....الخ

المبحث الثاني

فالايه فيها تعبير بليغ واقعي عن ما كان يقوم به قوم شعيب حزب السلطه ومن يقف معها وهو مايقوم به كل من شاكلهم الي اليوم أنه الوقوف أمام الناس ومنعهم من أن يسلكوا طريق مرضاه الله أنهم يصنعون الحواجز التي تمنع ذلك ويلجاون الي تخويف الناس ومنعهم من الإيمان وصدهم عن كل ما يحقق لهم التقدم والتطور والسعاده والتشكيك بالدعاه والمصلحين والمشروع الذي يحقق لهم التقدم والتطور من خلال الترغيب والترهيب فقال تعالي (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجاواذكروا اذ انتم قليل فكثركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين)

الأمر الأول

فالنصوص تبين للداعيه الصراع الذي يحدث بين أهل الحق والباطل في هذه المرحله فعليك أن تدراك أن أصحاب المصالح والرياسه والسلطه وجنودهم سوف يقفون بوجهك في هذه المرحله لماذا

لانهم يشاهدون مصالحهم تتعرض للمس وقوانينهم تنتهك وسلطانهم يقهر فطبيعه المعركه تتطلب منك أن تتعلم كيف تصبر في وجه هذه التحديات وان تستمر في الدعوه فلا تتوقف يجب عليك مواجهه هذه التحديات بالثبات والصمود لابد أن تعرض للناس نظريه الاسلام في هذه المرحله التي تهدف إلي (تحريك تفاعل الجماهير وتجميع طاقات الطليعه لتحقيق الهدف .....تحريك الظروف الموضوعية الايجابيه التي تحقق التقدم والتطور لتحل محل الظروف الموضوعية التي شكلت ظاهره التخلف)

يتطلب منك أن تمتلك المهاره لمواجهه التحديات والقدره علي تحريك الظروف الموضوعية التي تحقق التقدم و التطور فالظاهره ايان كنت سلبيه أو ايجابيه ترتبط بظروف موضوعيه ذات مستويات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وبالتالي فإن استبدال ظاهره ايجابيه بدلا عن ظاهره سلبيه يتطلب منك ليس مجرد معرفه وتميز الظاهره السلبيه بل يتطلب منك إدراك كيفيه احداث التطور بحيث تستبدل الظاهره الايجابيه محل الظاهره السلبيه وهذا لايكفي معه اراده التغيير فقط والإخلاص في ذلك فلابد من وجود الأمور الفنيه التي تمكنك من احداث التغيير فأنت بحاجه الي معرفه الاسباب التي تحكم الظاهره السلبيه ومفرداتها حيث أن البعض ينظر إلي للظروف المكونه للظاهره بمعزل عن بقيه مفرداتها لان فصل الظروف الموضوعية التي شكلت الظاهره السلبيه عن بعضها لمعالجه المشكله أمر يعيق قدرتك علي احداث التطور فلابد من مراعاه علاقه الا رتباط العضوي بين الظروف الموضوعيه التي شكلت التخلف حتي لايودي العلاج الجزئي الي خلق ظواهر جديده أكثر تخلفا ولهذا فإن اللازم لإحداث التغيير للظروف التي تتكون منها ظاهره التخلف أن تقوم بتفصيل الظروف التي كونتها تفصيلا لايستهدف عزل مفرداتها وعلاج كلا منها علي حده وانما يستهدف تحديد آثارها المتبادلة و المتداخله لترتيب كيفيه البدء في معالجتها وبالقدر الذي يحقق النتيجة دون أي مضاعفات وفقا لقاعده درء المفاسد مقدم علي جلب المصالح ولهذا نجد ضم شعيب الي ماتقدم ذكره من التكاليف التي تستهدف تغيير أساليب التعامل فيما بينهم اشياء تهدف إلي تغيير الظروف الموضوعية ذات الأبعاد السياسية والفكرية والا

اجتماعية وربطها بعمليه تغيير الظروف الاقتصادية السابق ذكرها نظرا الارتباط بين الظروف الموضوعية ذات المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هي مفردات ظاهره التخلف التي شكلت جميعها قوه مانعه من التقدم والتطور فكان هذا الترتيب في عرض اسباب التخلف والعلاج لذلك لاعطاءنا ابجديات الدعوه الي استبدال ظاهره التخلف بالتقدم لبيان ان إدراك أسباب التخلف والقدره علي استبدالها بأسباب أخري تخلق التطور والنهضه يتطلب إدراك كيفيه احداث ذلك إلي جانب الاخلاص واراده أحداثه ولهذا يجب أن يتوجه العلاج الي جميع مفرداتها وحينها تكون قادرا علي احداث التقدم والتطور وخلق السلوك الجماعي الذي يجسد امنيه الشعب وإرادته فقال تعالي

(ولاتقعدوابكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليل فكثركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين)

وهذا فيه

:1

تبين النصوص ان تحريك تفاعل الجماهير الايجابي يتطلب اعاده ترتيب احوالهم واثاره الاحساس من خلال عمليه جراحيه تهدف الي تكوين الرأي العام الفاضل بما يقلل الشرور ويفشي الاحساس بالخير وتدوال احسان المعامله وإحسان الظن بالمسلم واجتناب كل ما يودي الي الشرور والتحاسد والتباغض ولهذا نجد أن القرآن الكريم يعرض لنا هذه الوسيله النافعه لتحريك الجماهير والظروف الموضوعيه لاحداث التقدم والتطور او التقهقر والتخلف من خلال ما ترسمه الآيات لنا من صوره تجسد حرص الاعداء علي توجيه الراي العام لدي شعوبهم واممهم لترسيخ ما يحبون ويبتغون ولصد وتسفيه ما لايبتغون ولايريدون فتوجيه الرأي العام أما أن يكون نحو الرأي السي أو الرأي العام الفاضل ولهذا فإن اللازم عليك العمل علي غرس مشاعر التنفير من الأخلاق الرذيله في المجتمع المسلم ولذلك نجد أن النصوص وردت بعد ربط ترك التطفيف بالكيل والميزان والبخس والا فساد في الأرض بالإيمان لأن المجتمع المومن لايقبل فيهم من يقف بوجه الحق لايقبل من يقف في الطريق الموصل الي الله فقال تعالي (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون)

النهي عن الوقوف بوجه الحق فهم لم يتركوا طريقا يوصل الي الحق الا وقفوا مانعين له والقعود للتثبيط ف الكلمات قادره علي غرس مشاعر التنفير من هذا العمل لماذا ؟

لأن القعود في طريق الخير هو عمل الشيطان الرجيم الذي توعد البشريه بأن يقف في طريقها الي الله بشتي الوسائل لمنعها من الوصول إلي الهدف في رحلتها الي الله والدار الآخرة فقال تعالي في مقدمه السوره بما توعد به ابليس البشريه

(لاقعدن لهم صراطك المستقيم ....الخ

فهدف الشيطان الذي اعلنه يوم تسليم ادم مفاتيح الارض ليكون خليفه الله فيها هو اعاقه قيام الانسان بدوره ومهته الخلافه في الارض والعمران فيها وفقا لمنهج الله

فهدف الشيطان تدمير العمران والقضاء علي الامم من خلال استهداف النظام الذي يضبط اجتماع الناس ولهذا فان دور المصلحين والدعاه في كل زمان اصلاح احوال الناس واعاده ترتيب احوال الناس بحيث يكون اجتماع

الناس وفقا لمنهج ا لله . فالانسان مدني بطبعه ولابد له من الاجتماع وهو بحاجه الي الغذاء ويحتاج الي الا جتماع للدفاع عن انفسهم وحقوقهم ولهذا فان الانسان بحاجه الي وجود دوله تحفظ حقوقهم وتدافع عنها ولابد من وجود قانون يحكم احوال الناس. في جميع جوانب الحياه لانه يستحيل تنظيم احوالهم بدون وجود تشريعاات تضبط احوالهم الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه والشخصيه

2

إن هذا الأسلوب في توجيه الراي العام الي الاحساس باهميه وجود القوانين الاقتصاديه والسياسيه دستورا ينظم احوال الناس ووجود سلطه تقوم بحمايه الحقوق والنهي عن الوقوف بوجه المصلحين ووجوب احترامهم والتزام منهج الله في كل شان جاء مناسبا مع ماورد قبله من ذكر أن العمل بما أمرهم هو شرط الايمان لأن القوم لم يكونوا ينظرون إلي أفعالهم وتصرفاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ان لها علاقه بالدين وتشريعاته ولهذا نجد أن النصوص جاءت تعالج فساد تلك التصورات كما يتضح من خلال الآتي

المفهوم الاول

تبين النصوص أن الذي يرفض الالتزام باقامه حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكل شأن من شؤونه وفقا لمنهج الله فإن هذا فيه اجتراء علي الله وخروج عن نطاق عباده الله وتمرد عن طاعته فاصلاح الخلل الا قتصادي جزء لايتجزء من الدين ومن عباده الله وبالتالي فلا تتصور أن الأحكام المتعلقه بالكليات والاصوال و الفروع والجزئيات منفصله عن بعضها بل هي متصله باصلها الاعتقادي التوحيد فهذا الأصل هو الكفيل نجاح النظام وتميزه فليس دعوه التوحيد إصلاحات جزئيه موضعيه وميزات عارضه سطحيه لاتمس جذور التكوين النفسي والعقلي للامه لاتصوغ روحها ومفاهيمها وموزانيها ومن ثم تختلط السبل علي الناس ولهذا فإن قوله تعالى (بكل صراط توعدون) لايعني أن الحق متعدد فهذا الفهم خاطئ لأن طريق الحق واحد وطريق الباطل هو المتعدد فالطرق طريقان طريق الي الله ..الي الجنه ..والفلاح والسعاده ...وطريق الي الشيطان والي الجحيم و الي الشقاء وسوء المصير

وانما المراد بقوله بكل صراط فروع المنهج والميادين التي يمارس فيها الدين دوره حيث أن هذه الفروع و الجزئيات تتصل مع بعضها البعض وكلها ترتبط باصلها الاعتقادي التوحيد فهو الذي ينظم مجرها ويحكم أوضاعها فسبل الاسلام واحد ومنهج القران الكريم هو الذي يرشدك الي الطريق المستقيم

فهناك منهجان في الحياه منهج الخير والهدايه وهو الذي يرسم الطريق الموصول الي الله يرسم المطلب الرباني من عباده ومنهج الشيطان الذي يعني التمرد والعصيان ورفض القبول بالمنهج الرباني ولهذا فإن المنهج الرباني هو السبيل الوحيد للوصول إلي المراد الذي يحقق السعاده للعبد في الدنيا والآخرة ومن هنا نجد أن المنهج واحد لكن الوصول إلي الله له طرق متعدده جميعها توصلك الي الله ولاتخرج عن إطار هذا المنهج ومرتبطه مع بعضها ارتباطا وثيقا ومتصله باصلها الاعتقادي التوحيد فأنت عندما تنفق المال علي المحتاجين فانك بهذا تسلك طريقا يوصلك الي الله تعالي وكذلك فإنك عندما تقاوم الظلم بالكلمه أو القلم أو السلاح فإنك تسلك طريقا يوصلك الى الله تعالى عندما تطيع والديك فإنك تسلك طريقا يوصلك الى الله عندما تتزوج امراه صالحه من أجل بناء اسره مومنه فإنك تفتح بابا يوصلك الي الله فاللازم عليك أن تربط ذلك بالاصل الاعتقادي التوحيد لابد أن تفتح الا

ابواب المغلقه وتكسر الحواجز الفاصله بينك وبين الوصول إلي الله فأراد بلفظ بكل طريق بيان أن المسلم ينطلق الي الله ينشر الخير ويقيم العدل من مواقعه الذي هو فيه فالمهندس ينطلق من المكان الذي هو فيه والصحافي من قناته الاعلاميه والطبيب من المستوصف يدعو الناس الي عباده الله والمعلم من مدرسته والمحامي من المجال الذي يعمل فيه يشق طريقه الموصل الي الحق والتاجر من متجره والعسكري من ثكنته والاقتصادي من موقعه والخطيب من مسجده والسائق من سيارته والمزراع من مزرعته كلا من ينطلق من موقعه ليكون الالتقاء حول الأصل الذي ينظم مجري كل طريق ويربطها به (عباده الله) ليكون الغوص في أعماق المساله بعيدا عن السطحية

فكلا منهم يكمل الآخر ويشارك في القضاء علي التخلف من موقعه ليكون معالجه اسباب التخلف كلها فهذا هو الطريق المستقيم وهكذا نجد أن دور المصلحين متعدد كلا من موقعه وبالتالي فإن اللازم عليك أن تدرك أن دورك مكملا لدور اخيك الذي ينطلق من موقعه فلا يكون التصادم بين العاملين في حقل الدعوه ولهذا فإن غياب هذا المفهوم عن العاملين في حقل الدعوه اليوم انك تري إهدار الطاقات الخلاقه بالخصومات العقيمه بين أفراد ا لامه الاسلاميه نتيجه الآفاق الضيقه حيث وان كل واحد ينظر إلي ظروف تكوين ظاهره التخلف من الزوايه التي يقف فيها فمن هم من ينظر إلي التخلف أنه ناتج عن خلل اجتماعي ومنهم من يري ان العلاج بممارسه العمل السياسي وهكذا نجد تنوع وجهات النظر وكلها صائبه والأصل أن كلا منها يكمل الآخر فكلا له دور في خلق الظاهره الجديده (الاسلاميه) بدلا عن ظاهره التخلف كلا منهم له دور يساهم في معالجه اسباب التخلف من الموقع الذي هو فيه لكن الواقع المولم نتيجه غياب الإدراك و الفهم السليم لكيفيه احداث التغيير والقدرة علي استبدال أسباب ظاهره التخلف بأسباب أخري تخلق ظواهر التقدم والتطور في المجتمع أدت إلي تشتيت الجهود وإهدار الطاقات فيما بين مكونات العمل الإسلامي للاسف الشديد

المفهوم الثاني

يقول الحق للمخاطبين لاتاخذو ادوار الشيطان في تثبيط الناس عن العمل الصالح (بكل صراط توعدون)

اي بكل طريق من طرق الدين تقعدون مترصدين لأجل فتنه المومنين ومنعهم من الوصول إلي الله فاستعمل الباء (بكل)

الباء للملاصقه أو المصاحبه لأن القعود ملتصق بالمكان وان القاعد ملابسه ويحتمل أن تكون بمعني في لأن القاعد يحل بمكان قعوده أو أن يكون بمعني علي لاستيلاء القاعد علي المكان حيث وان الشيطان قد توعد البشريه بـ الغويه وأنه سوف يترصد لهم في طريقهم الموصول الي الله من الجهات الأربع كما سبق في مقدمه السوره

ومن بلاغه القران الكريم قوله بعدها (توعدون) حال من فاعل لاتقعدوا ولم يذكر الموعد به ليذهب الذهن كل مذهب والمعني لانقعدوا بكل طريق من طرق الدين كلما وجدتم طريق الي الله حاولت تثبيط الناس كما يفعل الشيطان إياكم أن تفعلوا عمله احذروا أساليب الشيطان فالذي يمنع الناس من الإنفاق ويخوفهم بالفقر يعمل عمل الشيطان والذي يخوف الناس من حضور مجالس العلم والعلماء يخدم المشروع الشيطاني .والذي يتوعد الناس بقطع المعاش والفصل من الوظيفه كل من صار ملتزم دينيا يكون خادما للشيطان فكل من وقف في طريق يودي الي طاعه الله وخدمه مشروع الحق وينهي سالكها من بلوغ الهدف بافساد جهود المصلحين في اصلاح الأرض ولهذا فإن هذا من عمل الشيطان وهو يتعارض مع مشروع الايمان

المفهوم الثالث

(وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا)

عليك أن تدرك أنك في المعركه مع الباطل سوف تجد عوائق وحواجز تقطع الطريق امامك فالكثير من الناس لا يكتفون برفض الاستجابة وعدم قبول الحقيقه بل أنهم يسعون الي تحوير الحقيقه وتغيير صورتها من خلال تحريفها وتشويه صورتها عندما لاتناسب مع رغباتهم فهولاء يصدون الناس ويصرفونهم عن طريق الله المستقيم

يسعون الي إبعادهم عن السبيل المستقيم من خلال الوسائل الممكنة سواء بالقوه أو الترغيب والاغراء أو من خلا ل تزين الانحراف وتشجيع الفاسدين والضالين وتمكينهم من الترويج للباطل والقاء الشبهات حول الدعاه والعلماء وحول الدعوه والدعايه الاعلاميه ضد دور العباده والتقليل من مكانتها وإفراغ احكام الدين عن مضمونها وهذا يعود لعدم رغبتهم بتصديق المعلومه ولأجل أنهم يطلبون تطويع الدين لرغباتهم واهوائهم ولهذا فهم يريدون أن ينعطف الناس في طريقهم بعيدا عن الطريق المستقيم خوفا علي مصالحهم التي ينظرون أن الدين يهددها ولهذا يلجأون الي كل الوسائل لأجل أن ينحرف من امن ويترك التصديق بالحق

ولهذا سالت الدماء لأن الفاسدون شعروا أن المنهج الرباني يهدد سلطانهم ويمس مصالحهم ويتعرض لقوانينهم

الامر الثاني

كما ان النهي عن القعود. في قوله تعالي (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا .....الخ

يحذرهم فيه

تتحدث فيها النصوص عن قيام هولاء بالقعود والترصد امام امال الناس وطموحاتهم في تحصيل وكسب ما يرونه فيه لمحاربه الخير ومنع تحويل العقيده الي واقع حياه تتصل جميع شوونه باصلها الاعتقادي التوحيد حيث ذكر ان من ضمن مفاسد قوم مدين هو انهم كانوا يتعرضون للماره وينهبون اموالهم يتعرضون لذوي الحرف ويعتدون علي اموالهم وحقوقهم وكذلك كانوا يخوفون الضعفاء من المومنين من الايمان بالتهديد والوعيد يقفون في سبيل امالهم بنظام العدل والمساواه والحريه فه

ولهذا يحذرهم من ذلك السلوك الذي يهدف الي نشر الفوضي والظلم والعدوان علي الناس بذهاب امالهم مع ذهاب اموالهم وحقوقهم فذلك الامر يودي الي تدمير العمران لان ذلك يعني ذهاب امالهم وطموحاتهم عندما يرون ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم وذهاب الامال والطموحات تعني تدمير الحضاره اي العمران لانه يودي الي توقف السعي في الاكتساب ونشوا الطبقات وتعطيل حركه تقدم الحضاره فالعمران ماهو الا بالاعمال وسعي الناس بالمكاسب ذاهبين وجائيين فاذا توقف الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق العمران وادي الي خراب الحضاره وبقدر ذهاب الامال يكون قتل المواهب والابداع ويكون الخراب والدمار اي يتوقف علي مقدار الظلم والظلم اعم من اخذ المال من الاخرين بلا عوض بل هو يشمل كل تعرض لانسان في م اله او ملكه او عمله او فكره او حريته او حقوقه او فرض عليه شي وحق لم يفرضه الشرع فجبايه الاموال بغير وجه حق والمعتدون ظلمه والمانعون لحقوق الناس ظلمه ويتنافي مع نشاه العمران كضروره اجتماع الناس

وحاجتهم الي التعاون والتضامن والدفاع عن الحقوق والتي كان وجود الدوله والقوانبن لاجل.ذلك

فقال تعالي(واذكروا اذ انتم قليل فاكثركم) ووبال هذا كله يعود علي الدوله بخراب العمران الذي هو مادتها لا ذهابه بامال اهله وهذه هي حكمه تحريم الظلم وما ينشا عنها من فساد العمران وخرابه وذلك موذن بانقطاع البشريه

الأمر الثالث

أن اللازم عليك اذا اردت التقدم والتطور والمساهمة في صناعه الخلاص واسترداد الفاعليه الايجابيه للامه أن تعرف الهدف الذي تسعي إليه وان تكون ارداتك حره لديك تصميم وإصرار علي تحقيق الهدف وهذا يتطلب منك أن تتزود بالمهارات والمعارف اللازمة للقيام بالمهمه يتطلب أن تحرر طاقاتك من القيود والاغلال ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يخاطب العباد فيقول (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين)

فإن عليك الاستفاده من التجارب السابقه لتكون خطواتك مدروسه فانظر الي التجارب السابقه في حال النعمه وفي حال النقمه

فقوم مدين كانوا ضعاف واعدادهم قليل فأراد الله أن يستخلفهم في الأرض فبارك في نسلهم وأموالهم واهلك من كانوا قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود برغم قوتهم وإعدادهم وعتادهم

فالرساله لنا من هذه التوجيهات :_

أن اللازم علينا اذا وصلنا الي منزله العز والتمكين بالمال والجاه والسلطان وغيره أن لاننسي ما كنا فيه قبل ذلك من الضعف والفقر والذل والهون حتي نشعر بما نحن فيه من نعمه فمعرفه النعمه تعني تذكر المنعم وبالتالي إذا استقرت هذه الحقيقه في النفس فلابد انك حينها تتعلم كيف تودي واجب هذه النعمه بشكر الله علي انعامه

فإذا وصل بك العرفان لهذه المرحلة فلابد أن هذا يقضي علي الطمع والجشع بالكسب الغير حلال وسوف تبحث عن مصادر الكسب الحلال معتمدا علي الله ومتوكلا عليه

2

تدعوا الايات المخاطبين الي دراسه نشاه العمران وبواعثه واسبابه المفضيه الي نشوا الحضارات والموديه الي انحلالها واندثارها في اطار بيان اهميه ان تمارس العقيده دورها في بناء الامه وقيامها بدورها ولهذا يقول لك المولي عليك أن تنظر في الأرض لتري نهايه المفسدين في الأرض الذين كانوا أشد منكم قوه لتري سنن الله في الناس ولتنظر الي قانون الخلافه المطبق في الأرض فمن خالف منهج الله وتجبر علي رسله وآياته فإن مصيره الهلاك فاللازم علي العبد أن يعرف هذه السنن فمن أراد التطور والتقدم فعليه الإنتباه من الخروج عن السنن فالتطور محكوم بهذه السنن ومدي قدرتك علي اكتشافها والأخذ بها برفق للارتفاع إلي مستوي العصر يكون انتقالك في مستوياته بالتزامن مع مراجعه الطريق الذي تسلكه فتنظر هل مسيرتك متطابقه مع منهج الله ومع الأسباب التي كانت وراء نجاه المومنين نظره المتأمل بهدوء بعيدا عن التشنج والانفعال والتطرف لأن ذلك يودي الي طمس معالم الهدف ويولد التطرف فاللازم أن تلتزم منهج الوسيطيه والاعتدال

الأمر الرابع

تستمر النصوص في محاوله شعيب اصلاح الاختلالات في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أحاطت بقوم مدين أنه يتوجه إليهم بالدعوه الي التعايش السلمي بعيدا عن لغه التهديد والقوه والسلاح فقال تعالي (وان كان طائفه منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفه لم يومنوا فاصبروا حتي يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)

حيث نجد أنه جاء فيه الدعوه للتعايش وذيل ذلك بأن المطلوب هو الصبر وهذا فيه تهديد ووعيد للمكذبين بان النهايه سوف تكون بزوالهم وعقابهم وفيه أيضا وعد للمومنين بالنصر وبالتالي فإن عليهم الصبر فالحق لابد أن ينتصر علي الباطل

وفي هذا عده رسائل ومفاهيم وتوجيهات لك انت ايه المسلم

١

عليك أن تدرك أن السلاح في مرحله الدعوه الجهريه هو الكلمه وليس القنبله ولا المدافعيه ولا الرشاش فمن تصور أنه يمكن له أن يغير أحوال الناس الي الافضل بالعنف فهذا واهم فالتغيير بالكلمه والعلم والايمان وقد شاهدنا كيف أن اختيار بعض العناصر المحسوبه علي الاسلام لغه العنف كوسيلة تغيير أضر بالإسلام وأساء لسمعته التي اوجدتها ظروف ظلام الرؤيه نتيجه غياب فقه الدعوه والسنن واساءه فهم النصوص وعدم القدره علي تنزيلها لقد ادي ذلك الفهم المحزن للوحي الي زياده مضاعفه معاناه المسلمين اليوم واستفاده الأعداء من هذا النوع من الأفكار التي نقلت صوره مشوه عن الإسلام

٢

ولهذا فعليك أن تدرك أن التجارب التي تنقلها لنا الآيات يراد منها أن تستخلص الدروس وتفهم ماهو منهاج التطور والتقدم والخطوات التي يجب أن تخطوها في سلم التطور والتقدم والرقي للوصول إلي مستوي العصر فلا تتناطح مع العقبات التي يمكن أن تفتك بك فاللازم أن تكون صبورا في هذه المرحله فمنهاج التطور تكمن في مدي إدراك الظروف السائدة في المجتمع المراد تطويره ومدي القدره في احداث التطور برفق للارتفاع إلي مستوي العصر فالانتقال يجب أن يكون برفق بعيدا عن التشنج والتطرف لأن ذلك يودي الي طمس معالم الهدف ويولد التطرف

٣

أن تذيل دعوه شعيب للتعايش السلمي بينه وبين قومه بالصبر فيه تهديد ووعيد للمكذبين بان النهايه سوف تكون بزوالهم وعقابهم وفيه أيضا وعد للمومنين بالنصر والتمكين والعز فعليهم أن يصبروا فلم يأمر المومنين بـ القتال في مرحله الضعف هذه وأمرهم بالصبر ولم يأمرهم بالانقضاض علي السلطه في هذه المرحله وليس معني هذا أن الإسلام والأديان لاعلاقه لهم بالدوله بل العكس ولكن فقه المرحله ودورها في تهيئة الظروف الموضوعية لإحداث التغيير دون مضاعفات هو من أهم أهداف واغراض مرحله الدعوه الجهريه حيث أن الناس عندما يكلفون بالتغيير فإنهم يعلقون الآمال كثيرا علي تغيير السلطه في تحسين ظروفهم وأحوالهم كونها من وجهه نظر الكثيرون هي أساس التخلف في المجتمعات وهو ما ادي الي ظهور حركات الانقلاب الذي تلجأ إليها الشعوب كخطوه اوليه علي طريق احداث التطور وتغيير الظروف الموضوعية ولهذا فإنه من الطبيعي أن تتجه الأنظار الي

التركيز علي السلطه لأحدث التغيير ولكن هذه النظريه خاطئه لماذا ؟

لأن السلطه السياسيه في أي مجتمع من الموكد أنها تمثل أحدي العناصر المكونه للتخلف او التقدم لأنها أحدي مكونات المجتمع لكنها ليست وحدها التي تحدث ظاهره التقدم أو التخلف فالظاهره كما أوضحت سابقا محكومه بظروف موضوعيه ذات مستويات متعددة سياسه واقتصاديه واجتماعية متداخله مع بعضها ولهذا فلا يمكن احداث التطور وتغيير الظروف بمعالجه أسباب الظاهره كلا علي حده لأن فصل مفردات الظاهره عن بعضها يعني ولاده ظوهر جديده اشد تخلفا ولهذا لابد من تهيئه الظروف الموضوعية وإعداد الطليعه القادره علي احداث التطور والتقدم لأن وصول الطليعه إلي السلطه السياسيه قبل تهئيه الظروف والمناخ لإحداث التغيير قد يولد طواغيت وجبابره في الأرض اشد واعتي من ذي قبل باسم الدين والتاريخ ملئ بمثل هذه التجارب ولهذا نجد تركيز الاهتمام بالصبر وإبراز دور الابتلاء والامتحان قبل العز والتمكين في جميع الرسالات التي حملتها الرسل للبشريه فلابد للمخاض من الالالم

—

ثالثا

(قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا علي الله كذبا

المبحث الأول

ابتدأت الآيات باستناف بياني علي سوال ينساق الي الذهن بالتشوق الي نتيجه المعركه الفكريه بين الحق و الباطل في مدين معركه بناء الحضاره والامه التي خاضها شعيب عليه السلام مع قومه حيث والايات السابقه قد تناولت الأسس التي يكون بها بناء الامه وحضارتها فذكرت أنها تخضع لثلاثه اشياء (الأمر التكليفي) (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره).... فمصدر التكليف الذي لامعقب لحكمه هو الله تعالي ولهذا فإن شرع الله واجب التطبيق سواء كان ذلك متعلق بجانب اقتصادي أو مالي أو اجتماعي أو شخصي او في العلاقات الدوليه في أي مجال

هذا هو الأمر التكليفي والايات معطوفه علي الايات الكونيه فقال شعيب (قد جاءتكم بينه من ربكم) رتب عليها اهميه الميزان فالكون منضبط وفق تقدير دقيق فأمر بالوفاء بالكيل والميزان ونهي عن البخس والافساد في الأ رض فالكون مضبوط بنظام دقيق والله أرسل الرسل وانزل معهم الميزان فاخبر الحق أن الفوضي والعشوائية ورفض المنهج الرباني ومحاوله تعطيل دوره في الحياه هو عمل ابليس ..ولهذا فعليكم أن تنظروا الي القواعد التي تقيمون بها افعالكم وحضارتكم هل تنسجم مع الأمر التكليفي (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وهل لديكم ميزان منضبط فشروع الله تعالي ومنهجه هو الميزان الذي تكون فيه الامه بين حالين أما أن تخف موزانيها وبالتالي مصيرها الهلاك وأما أن تثقل موزانيها فينعم الله عليها بالرخاء والسعاده

فالعبره هو وزنها في ميزان الله ولهذا أشار ت الآيات الي سنه الله في نهايه المكذبين والمفسدين الذين يعيشون في الدنيا وفق لاهوائهم وبلا ميزان للاعمال فجاء حث السامعين علي النظر في عاقبه المفسدين في الأرض انظروا الي نهايه المتمردين علي الرسل والأنبياء والجاحدون ايات الله وانعامه

فاللازم مقاومه الظلم والفساد بالحزم والقوه لانه خروج عن ميزان العدل الذي أقام الله الحق عليه والثبات و الصمود علي الحق فالله سوف ينصر أولياءه ويحقق لهم وعده بالعز والتمكين في الأرض فلا يمكن أن يتساوي المومنين مع المجرمين كما قال تعالي في موضع آخر (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأ رض) وحكمه هو الاصدق وهو خير الحاكمين يحكم بالعدل ولايجور في حكمه ولامعقب لحكمه وبعد هذا تأتي النصوص باستناف بياني لسوال ينساق إليه المقال كأنه قيل ماذا كان رده فعل قوم مدين علي دعوه شعيب لهم بـ الاحتكام الي المنهج العقلي وفهم الوجود بشقيه الشهاده والغيب والرابط بين أفعال الإنسان وسلوكه وعاقبته دعوته لهم الي فهم السنن الاجتماعيه والاقتصاديه والسياسية التي تحكم سير الإنسان والتي تعد سببا لسعادته في الدراين يقول لهم انظروا ما حل بالمفاسدين واربطوا المقدمات التي انتم عليها بالنتائج التي انتهت بها الامم السابقه ماذا قالوا بعد أن سمعوا المواعظ من شعيب

فقال تعالي (قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا)

المفهوم الاول

لتعليم المومنين وتربيتهم علي الصبر والتحمل فالمعركه مع الطواغيت سنه معروفه مفروضه لابد منها ف الطواغيت لايطيقون مجرد وجود الحق ويرونه خطرا عليهم لايطيقون رويه الحق فالمعركه ازاليه بين الحق و الباطل ولهذا قال تعالي (قال الملأ)

لقد تولي الوجهاء من قومه الرد علي دعوه شعيب حيث نجد أنهم لم يكتفوا بالامتناع عن الاستجابة لدعوه الحق بل إنهم بالغوا في الاستكبار ولجاوا الي التهديد بالنفي من الأرض لشعيب ومن آمن معه قالوا ذلك بصيغه القسم ليس أمامكم الا العوده الي ملتنا أو ترك الديار ومغادرتها فاختاروا لأنفسكم أحدهما هذا هو ردهم علي دعوه شعيب لهم للاحتكام الي الحق والعدل المعيار الذي تستقيم به الحياه فقد ردوا عليه أن الاحتكام إنما يكون للقوه الماديه والأغلبية

قالوا له أن من يمتلك القوه يمتلك الحق فالقوه هي التي توجد الحق رفضوا اتاحه الحريه للناس في اختيار الطريق لبناء الحضاره هذه هي نظرتهم للحق وهي نظره جميع من يستعلي بالقوه في كل زمان أنه يرفض الا عتراف بحقوق الضعفاء فهذه هي طبيعه المستبدين

فنحن نشاهد اليوم كيف أن النظام العالمي الظالم أفسد في الأرض لأن القوي التي شكلت مجلس الأمن الدولي هي القوي التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية القوي التي امتلكت السلاح النووي والمال فهي تتحكم في قرار مجلس الأمن بموجب حق الفيتو وهو ما جعل العالم يقف كله عاجزا أمام غطرسه العدو الصهيوني الذي يعبث بغزه واهلها بأبشع صور الفساد والاجرام لماذا لايرفع الظلم عن أهل فلسطين لماذا يقف العالم منددا عاجز ا عن وقف هذه المجازر أن عجز العالم يعود إلي البلطجه التي تمارسها دوله الولايات المتحدة الأمريكية نتيجه فساد المنظومه الدوليه التي رسخت فكره أن القوي يمتلك الحق بجعل حق الفيتو للاقوياء لم تجعل بناء حضاره العالم علي ميزان الحق والعدل ولهذا عم الفساد في العالم وأصبح يهدد الاستقرار العالمي

فهذا هو منطق الجاهليه عندما ينظر إلي القوه كمعيار للحق فيقال لديك القوه فانت علي الحق فالقوه بنظرهم هي التي تنشأ الحق وهو منطق لايختلف في مضمونه عن منطق الجاهليه الحاليه التي يعيشها للاسف الشديد كوكب الارض في القرن الواحد والعشرين لننظر الي رد قوم شعيب ماذا قالوا (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك أو لتعودن في ملتنا)

أن الألفاظ والكلمات التي تحكي رد قوم شعيب تعطينا صوره حيه متحركه حيث ابتدأت باللام الموكده اي القسم من قبلهم أنهم سوف يخرجون شعيبا اولا ثم ذكر وا بعده اخراج الذين آمنوا معه ...علي طريقه التوكيد القسمي فدل هذا علي اصالته في الاخراج عليه السلام وان المومنون تابعون له ونسبه الاخراج إليه ثم الي المومنين متعلق بالاخراج لا بالإيمان وما يوكد ذلك قوله تعالى (معك)

وتوسط اسمه العلمي بين المعطوفين لزياده التقرير والتهديد الناشئه عن غايه الوقاحة والطغيان فهذه هي طبيعه الطواغيت في كل زمان كما قال تعالي (واذا اردنا ان نهلك قريه أمرنا مترفيها)

انه استعلاء بالقوه فقالوا (من قريتنا) اي من بلادنا كلها دفعا لفتنتكم أو لترجعون الي ملتنا فاختاروا لأنفسكم فجاء العطف (أو لتعودن في ملتنا) وهذا هو القصد الاصلي العود

وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسم كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كأنهم قالوا لا ندعكم حتي ترجعوا الي ملتنا وادخال شعيب في الخطاب لايعني أنه كان قبل ذلك في ملتهم يمارس الغش و التطفيف والبخس والعياذ بالله فهو معصوم وانما قيل ذلك بطريق تغليب الجماعه علي الواحد واتي بقوله (أو لتعودن في ملتنا) ولم يقول أو لنعيدكم علي طريقه ماقبله مرداهم أن يعودوا إليها بصوره طواعيه

وهذا فيه ان أهل الشر يميلون الي أشكالهم مثلما أن أهل الخير يميلون الي أشكالهم كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجنده ..الخ

الأمر الثاني

تبين النصوص نظره المومنين للقوه بأن الذي يمتلك الحق هو الذي يمتلك القوه هذا هو الميزان الذي يوزن فيه المومن الأشياء ويقيم به حياته فقال تعالي (أولو كنا كارهين)

المفهوم الاول

(من الاسس التي يتم بناء الشخصيه المومنه هو الاستعلاء بالحق)

فالمومن لاتراه خاضعا ذليلا ولامستخدما طامعا لاتذله الاحداث ولاتنحي جبهته امام الازمات لانه يستعلي بالحق يري ان الحق هو الذي يصنع القوه فانت اقوي لانك علي الحق ولهذا كان رد شعيبا جازما بانكار الوقوع ونفيه ف الهمزه (اولو)ليست للانكار الواقع واستقباحه بل لانكاره ونفيه فجاء النفي وقوعه بحال من الاحوال فالمراد انكار رجوعهم الي الكفر وبصيغه المبالغه في الاستبعاد لبيان انه امر مقرر وليس مجرد نفي واستبعاد فالعود مما ينكر عنده فليس المراد بالكراهيه مجرد كراهيه المومنين للعود الي مله الكفر حتي يقال انها معلومه لهم فكيف تكون مستبعده عندهم بل من كراهيتهم له بعد وعيد الاخراج الذي حصل من قومهم جاء انكار العود ونفيه و التقدير :-

لن نعود فيها لا في حال الكراهيه او عدمها فانتم لاتعرفون حقيقه الدين وما يغرسه في النفوس من قوه الاستعلا ء بالحق فالمومن لاتوثر فيه التهديدات لانه لايخاف الا الله تعالي وهو لاينحني امام الازمات حتي لو طرد المومن من وطنه فانه لاينحني لانه ينظر انه مهاجر في سبيل الله بل ان الفرار بالدين والهجره عند خشيه الفتنه من الا مور التي امر بها الدين واوجبها لقوله تعالي عن ابراهيم(وقال اني مهاجر الي ربي)

وقد اوجب الله الهجره لمن يستضعف في الارض وهدد من لم يهاجر ويتعرض للفتنه بالعذاب فقال تعالي(الذبن تتوفاهم الملائكه ظالمي انفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قال الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا ....الي قوله(ماواهم جهنم وساءت مصيرا)

المفهوم الثاني

اهميه معرفه الحق والعلم به ومحبته ومعرفه الباطل والعلم به وبغضه فليس معيار الحق القوه كما يتصور البعض بان من يمتلك القوه فهو علي الحق ...وليس معيار الحق راي الاغلبيه من الناس كما هو مشروع الديمقراطيه فتري ان راي الاغلييه هو الذي يعبر عن من يملك الحق والحقيقه حيث نجد ان قوم شعيب لما دعاهم شعيب الي التزام الطرفين حريه المعتقد واتاحه المجال لعرض فكرته علي الناس دون ممارسه احد للفريق

الاخر اي ضغوط فقال. تعالي (وان كانت طائفه منكم امنت بالذي ارسلت به ....الخ

لقد طلب منهم شعيب ان يسمحوا له واتباعه بحريه المعتقد وحريه الدعوه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد رد المستكبرون بانه لايمكن ان يسمح للاقليه المومنه بحريه المعتقد ولن يسمح لهم بان يتعامل بالعدل لن يسمحوا خارج عن راي الاغلبيه فقالوا امامكم خيارين اما الخروج من المدينه او العوده الي معتقد الاغلبيه لا يمكن ان نسمح لكم باختراق نظام الجماعه ومعتقدها لن نسمح ان يكون هناك لونا اخر يصبغ به المجتمع غير لون الاغلبيه فقال تعالي (لنخرجنك ياشعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودون في ملتنا)

وتوجهوا بالخطاب لشعيب كما قال تعالي (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من قريتنا او لتعودون في ملتنا فاوحي البهم ربهم لنهلكن الظالمين) ولهذا ادخل شعيب نفسه في الرد الذي انكر فيه العوده ونفي حصول الا حتكام لراي الاغلبيه فقال (او لو كنا كارهين)

لقد اردوا ان يقروهم علي ما هم فيه من الكفر ان يتوقفوا عن القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فالحق يريد منكم ان تتعلم الصبر والثبات علي وان تستمر بالدعوه فلا تنسحب نزولا عند راي الاغلبيه فالله قد جعل للكفر والباطل والشر اهلا وانصارا مثلما جعل للحق والايمان والخير اهلا وانصارا ولهذا فانت بحاجه الي التزود بالعلم والارده الجازمه لان اهل المعاصي كثيرون في العالم والله يقول (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله)

وهم يدعون الناس الي الباطل ويزينون لهم القبائح ويحاولون قهرهم علي ذلك ويستغلون مافي النفوس من شبهات واهواء

ولهذا نجد ان شعيب يعلل نفي العوده وانكاره بقوله

(قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ انجانا الله منها)

يعني يستحيل ان نعود الي الشرك لا في الاقوال وعباده الاصنام التي تعبدونها ولا في مخالفه منهج الله بالغش و التطفيف ولا اي امر من امور الجاهليه بعد ان عرفنا دين الله

لاننا نعلم عظم جريمه الافتراءلانه اختلاق قول علي الله لاعلم لنا به بوحي ولابرهان من عقل فكيف نحيد عن صراط الله المستقيم عن علم ان ماانتم عليه مخالف لمنهج الله

فالكفر هو رفض قبول الحق وغمطه بعد العلم به وهو شر انواع الكفر واقراركم علي ماانتم عليه هو افظع ضروب الافتراء التي لاتقبل معها الاعذار

فدل هذا علي اهميه معرفه الحق والعلم به ومعرفه الباطل وطرقه حتي لاتختلط السبل فانت عندما تامر بـ المعروف لابد ان تكون عالم به وكذلك اذا اردت ان تنهي عن المنكر لابد ان تكون عارفا به فمن لايعرف المعروف لايمكن ان يامر به ومن لايعرف المنكر لايمكن ان ينهي عنه

فالعبد بحاجه الي معرفه سبيل المومنين معرفه تفصليه معرفه الاسباب التي ادت الي التوفيق والهدايه والعاقبه وكذلك بحاجه الي معرفه سبيل الكافرين واسباب الخذلان والهلاك فاذا استبان له السبيلان وعرف الطريق

الموصل الي النجاه والسبيل الموصل الي الهلاك كان هذا اعلم الخلق وانفعهم للناس وانصحهم لهم

لانه يعرف الفرق بين ما كان فيه من الضلال والعمي والحيره فاخرجه الله الي النور والاطمئنان والعدل والامن. فعرفوا مقدار ما نالوا وظفروا به ومقدار ماكانوا فيه فان الضد يظهر حسنه الضد فالايه ترسم لنا مشاعر الاعتزاز بعقيده التوحيد لدي المومنين الذي وافقهم الله اليهم فقد وجدوا فيها الاطمئنان الامن والسعاده بعد الحيره و التخبط ولهذا قال تعالي علي لسانهم(بعد اذ انجانا الله منها)

فالاشياء تتبين باضدادها وهو مهم لدفع الاهواء والاراء لان النفوس فيها مالايعلم الا الله من الشبهات والشهوات وهو سلاح يحاول دعاه الكفر استغلاله في المعركه فهم دعاه الي المنكر وينهون عن المعروف ولهذا فان المومن بحاحه الي ارده جازمه وقدره علي دفع الاهواء وذلك يتطلب زياده الرغبه والمحبه فيما انتقلوا اليه ونفره وبغض لما انتقلوا عنه يبغضون العوده الي الكفر ولهذا كان ردهم (قد افترينا علي الله الكذب ان عدنا فيها بعد اذ انجاءنا. الله منها)

وهذا فيه الاتي

1

ان علي العبد ان يوزن الامور بميزان الحق وبالتالي يوثر الاخره علي الدنيا يوثر العلم علي الجهل والطاعه علي المعصيه

فالجاهل هو الذي يتشبث بالدنيا والعالم السفلي وهذا ما يفسد عليه قدرته علي الالتحاق باهل الخير لانه يشعر ان انقطاعه عن الملذات خساره وهذا يعود الي تعلقه بالمطلب السفلي ولهذا لايقدر علي حسم مواد الفساد التي تدفعه الي الهلاك

فتكون نفسه فارغه من الارده والطلب لما فيه سعادتها

اما المومن فان نفسه عاليه وشريفه متعلقه بالمطلب العلوي الذي يري انه فيه السعاده ويشعر بنعمه الايمان و التوفيق للهدايه ولهذا يجزم المومنون باستحاله العوده الي الكفر بعد الايمان فقال تعالي

(وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا شي وسع ربنا كل شي علما)

لان همه المومنون متعلقه بالمطلب الاعلي ارضاء الله ولهذا نجد ان المومنون يخاطبون قومهم بانهم لن يتوقفوا عن امتثال امر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لماذا لانهم ينظرون الي الغايات المحموده والمذمومه ينظرون الي المعاصي انها بمنزله وحش مفترس او سم قاتل فهل يشرب العاقل السم ينظرون الي لذه الطاعه للغايه التي تنتهي اليها وهم يوطنون انفسهم علي الصبر لتحمل مشقه الطريق لما يومل عندهم من الغايه فالصبر واليقين بهما يتحمل العبد مشقه طلب االخير واللذه الدائمه

2

ان اساس ذلك الصدق والاخلاص فقلوب المومنون طاهره لايسكن داخلها الا الله تعالي ولهذا يخافون من الافتراء علي الله لان كل عمل صالح ظاهرا وباطنا فمنشوه الصدق فالصدق هو اصل عمل القلوب واضداده الكذب الذي

هو منشوا كل عمل فاسد من الرياء والعجب والكبر والفخر والبطر ....واعلي مراتب الكذاب الافتراء

يقول ابن القيم في كتاب الفوائد

والله يعاقب الكاذب بان يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه ويثبت الصادق بان يوافقه للقيام بمصالح دنياه واخرته فما استجلب مصالح الدنيا والاخره بمثل الصدق ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب

ولهذا يحرص المومن علي الصدق طالبا من الله السعاده والتوفيق من الله فهو يفوض امره الي من يعلم عواقب الامور والرضي بما يختاره الله له ويقضيه لما يرجوا من حسن العاقبه

فدل هذا انه لتحريك التفاعل الايجابي لدي الجماهير لابد من الوصول اعماق النفس البشريه الداخليه ليستقر فيها مشاعر الاتصال بالله فالمومن يانس بجوار ربه والامن بحماه ولهذا يجد الطمئنانه والسعاده والامن بالا يمان فهذه المشاعر ولدت قوه تمسك بالعقيده رغم التهديد قوه ترددت صدها عاليا ومدويه قاطلين يستحيل ان نعود الي الشرك والجاهليه في اي حال من الاحوال واي وقت من الاوقات وهذا هو الفرق بين المومن الصادق في ايمانه باليقين الجازم وبين الكافر هو ان المومن يري المناهي كالاطعمه اللذيذه بانها قد خلطت بسم قاتل ولهذا كلما دعته لذته هرب منها خوفا من ان تقتله وكذلك ينظر الي الطاعه انها مثل الدواء للمريض فمذاقه الكريهه مفض الي الشفاء ولهذا يتحمل الالم اليسير لما يعقبه من اللذه العظيمه والخير بينما الكافر لايتجاوز نظره الي اللذه الظاهره امامه ولهذا لايدرك الغايات التي تنتهي اليها الامور

3

ان من ذاق الايمان وحلاوته يعرف مقدار نعمه التوفيق التي انعم الله بها عليه ولهذا يحرص علي العمل بالاسباب التي تمده بالعون الالهي والهدايه التي يحتاجها للثبات علي دينه بدوام تزكيه النفس وتطهيرها والالتجاء الي الله في كل الاحوال طالبا العون ولهذا نجد التعرض لعنوان الربوبيه الا ان يشاء الله ربنا ...

لنفي الخذلان طالما نحن في رعايه الله لان من صدق الله في جميع اموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره.
حيث يطمن بالشعور من كل ضر ومن كل شر الا بما يشاا ء ا لله يطمن برحمته تعالي للهدايه والرزاق والستر في الدنيا والاخره فالمومن مستند الي اقوي الاقويا ملك الملوك فلا يبالي بقوي الدنيا باسرها فقال تعالي علي لسانهم (وسع ربنا كل شي علما)

من جهه فيه اشاره الي مدوامه تزكيه نفوسهم ومحاسبتها علي تقصيرها نتيجه الشعور برقابه الله وانه محيط بكل شي علما ماكان ومايكون وماسوف يكون والتي من جملتها احوال العباد وافعالهم وتصرفاتهم ونواياهم.
ومن ناحيه اخري فيها اعلان الفبول والرضا بقدر الله تعالي وبالتالي فلا ضعف ولاذل ولاهون في سلوك المومن ف لاتطمعوا في عودتنا الي الكفر

فالذنوب من خذلانه تعالي. وتخليه عن عبده وتخليته بينه وبين نفسه لان العبد اذا تخلي عنه ربه لايعرف عيوب نفسه ولهذا يتضرع المومن الي ربه ويبتهل اليه ان يدفع عنه اسبابها حتي لاتصدر منه ولهذا جاء التعرض لعنوان الربوبيه(الا ان يشاء الله ربنا شي وسع ربنا كل شي علما)

فالتوفيق والخذلان لهما اسباب فمشيه الله مرتبطه باهليه المحل وعدمها فمن كان قابلا للنعمه شاكرا الله علي ما

انعم ويعظمه عليها ويعلم انها من محض الجود وعين المنه من غير ان يكون هو مستحقا لها ولا هي له ولابه انما هي لله وحده وبه وحده فاخلص في توحيده وصرفها في محبته شكرا وعرف تقصيره في شكرها فزاد ذلك بانكساره وخضوعه لله تعالي واستمر في التضرع والابتهال لله ان يرزقه التوفيق فانه تعالي يمده بالعون و التوفيق اما من جحد النعمه ولم يوقر المنعم ويشكره فانه يخذله تعالي ويسلبه النعمه

ولهذا نجد ان شعيب ياتي بعدها ببيان اهميه الاسستعانه بالله والانس به والتوكل عليه في جميع الامور فقال تعالي (علي الله توكلنا)

فاظهار اسم الجلاله في موضع الاظمار للمبالغه في التضرع لله بالاعتماد علي الله بعد الاخذ بالاسباب فالتوكل الصحيح يشترط فيه القيام باحكام الشرع ومراعاه السنن الكونيه والاجتماعيه اللازم الاخذ بهن في هذه المواقف

لان ترك العمل بالاسباب لايعني التوكل بل هو التواكل المنهي عنه فالعزم يكون بعد الاخذ بالاسباب لحديث ان رجل جاا ء الي النبي فقال انه يترك ناقته سابه بحجه انه متوكلا علي الله فقال له الرسول (ص) اعقلها وتوكل

المفهوم الثالث

علي العبد ان يفهم ان هجران السئيات وحدها لاتكفي ولاتنفع

فلابد ان يكون من المجاهدين لازالتها حتي لاتكون فتنه

فاللازم ان تتحرك ضد المنكرات

بعد هذا يتوجه شعيب بالدعاء الي الله طالبا العون الالهي بان يمده بالنصر علي الاعداء فقال تعالي

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا وانت خير الفاتحين)

توحي الايه ان شعيب فقد الامل في عوده قومه لجاده الصواب بعد ان شاهد العتو منهم والكبر اخذ بالاسباب لمواجهه الباطل وتوجه الي الله بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا

والفتح تعني باللغه ازاله المغالق التي صعب عليه ان يفتحها والمغالق قد تكون ماديه وقد تكون معنويه

ولهذا فان المفاتيح منها مايدرك بالبصر ومنها ما يدرك بالبصيره والمغالق في قضايا الحكم تعني الفصل وفتح الا قفال التي احدثت المشكله والعقد ولهذا يقال فتح الحاكم بينهم ويقال فتاحات الخصومات وقد ورد عن ابن عباس قوله ماكنت ادري قوله تعالي (ربنا افتح بيننا ...الخ

حتي سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها اتعالي افاتحك وقالت عربيه لزوحها بيني وبينك الفناح ولهذا جاء تذيل ا لايه (وانت خير الفاتحين)

والمعني ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق الذي تقضي به سنتك في التنازع بين المرسلين والكفار وانت خير الحاكمين لاحاطه علمك بما يقع بين المتخاصمين وتنزهك عن الحيف والجور

رابعا

لما بينت الايه السابقه الخطوات التي يجب علي المومن القيام بها اتجاه واجب نعمه الايمان وذكرت النصوص ان الخطوه الاولي تكون بهجران السئيات واعلان القطعيه معها والنظر اليها انها مثل الوحش المفترس الذي يجب ان تحذر الاقتراب منه

لانك ان اقتربت منه فانه سوف يلتهمك فقال تعالي (وما يكون لنا ان نعود فيها ....الخ

وهذا يدل علي وجود العلم وكذلك فان الهجران للسئيات يتطلب العمل بما امر الله ابتغاء مرضات الله ومحبته فهذه هي القوه التي تدفعك الي امتثال امر الله

والحب لله له علامات هي اتباع الرسول فذلك هو وسيله التعبير عن حب الله لقوله تعالي (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

فنظره المومنين موضوعيه ينظرون للشي من حيث مصدر هذا التكليف فهم يحبون ما احبه الله ويبغضون ما ابغضه الله

بينما معيار الكفار شخصي فقال تعالي في موضع اخر علي لسان شعيب (ويا قوم لايجرمنكم شقاقي ان تصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد)

ولهذا نجد انه تعالي يخبرنا عن محاوله قوم شعيب صرف المومنين عن اتباع نبي الله شعيب انطلاقا من تلك النظره الشخصيه للموضوع فقال تعالي

(وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون)

كانت المواجهه ابتدا مع نبي الله شعيب وهنا انتقل الحوار بين الوجهاء من قوم شعيب وبين المومنين

حيث يفهم منه انهم اتبعوا شعيب بامتثال امر الله وكذلك قاموا بحمل دعوه الاصلاح لاختلالات المجتمع الا قتصاديه وما دعاهم اليه شعيب وهو ماغضب القوم فلجاوا الي تهديد اتباع شعيب بالخساره اي تهديدهم بفقدان المصالح كما هو حال المتكبرون في كل زمان يهددك بالفصل من الوظيفه بلقمه عيشك وغيرها من الوسائل

المهم هنا ان اللازم عليك ان تفهم ان هجران السئيات وحدها لاتنفع فلابد من المجاهدين لازالتها حتي لاتكون فتنه

فكراهيه المعاصي واهله من الكفار الفجار مع بغض النهي وجهادهم لاينفع وكذلك فان حب المعروف واهله ولا تحب ان تامر به ولاتجاهد بالنفس والمال لاينفع

فكراهيه النفس لجهاد المنكرات اعظم من كراهيتهم للمنكرات لاسيما اذا كثر ت المنكرات وقويت بها الشبهات و الشهوات فاللازم ان تقف ضد المنكرات وتزيلها فلا تقف في دائره السيطره ولابد ان تنتقل الي دائره التاثير لتغيير المنكر

ولهذا جعل التغيير قائما علي ثلاث بالقلب واللسان واليد

فعليك ان تدرك ان دورك يتعدي كراهيه المنكرات الي العمل علي ازاله المنكر ولهذا فان ذلك يعني ان تجد مصاعب وعوائق يصنعها الاعداء فلا تضعف فاللازم عليك ان تصبر بالنظر الي ما عند الله من نعيم فيكون الشوق قوه دافعه لتحمل المشقه

فالميزان الذي توزن به الاشياء يختلف عن ميزان الكفار الذي ينظرون للربح والخساره من منطق الشهوات و الملذات يعلمون ظاهرا من الحياه الدنيا ولايدركون الغايات والمالات التي تنتهي اليها الامور ولهذا نجد الايات ترسم نهايه الكفار (فاخذتهم الرجفه فاصبحوا في دارهم جاثمين)

انهاالنهايه لكل من يرفض الحق ويتمرد علي الحق فهذه سنه الله والرجفه الصيحه ازهقت اروحهم ودمرت الحضاره وقضت عليها

وعذاب الصيحه

بتاثير الرنين الناتج عن الموجات تحت الصوتيه باعضاءالجسم والتي تتسبب بارتجاف بعض الاعضاءالداخليه للا نسان

بدليل انها لم توثر علي المباني وانما علي الانسان فقط وبقيت المباني كما هي وهذا لانهم كانوا ينظرون الي المباني في الجبال انها تحميهم من الهلاك

ولهذا قال تعالي بعدها (الذين كذبوا شعيبا كا ن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون)

اي لم تغني عنهم القصور وكثره الانصار والقوه والعتاد فقد خل العذاب بهم

ولهذا فان المومن يزن الامور بميزان الحق فهو ينظر الي ما يعقب المعصيه والملذات من الالم والعذاب فلا يقربها وينظر الي ما يعقب الطاعه من نعيم فيتحمل مشقه ذلك ولهذا فهنالك فرق بين نظره المومن ونظره الكافر ف النظر الي متاع الدنيا بالنسبه للكافر نظره تعظيم ومحبه لها ولاهلها ولهذا قالوا للمومنين لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون

ببنما نظره المومن للدنيا وما فيها انها متاع قليل زائل لقوله تعالي (ولاتمدن عيناك الي ما متعنا به ازوجا منهم زهره الحياه الدنيا لنفتهم فيه ورزق ربك خير وابقي)

فمنطق الربح والخساره يعود الي الميزان الذي توزن به الاشياءوالمومن ينطلق في نظرته للموت بانه بدايه لحياه جديده وابدايه و بمجرد موته تقوم قيامته فهو ينتهي به الحال اما الي الجنه ونعيمها واما الي النار وجحيمها

وقد ورد عن الرسول (ص) في معني الحديث انه يوتي بانعم اهل الدنيا من اهل النار يوم القيامه فليقي به في النار ثم يقال يابن ادم هل رايت خير قط هل رايت نعيم قط فيقول لا والله مارايت ويوتي باشد الناس تعاسه في الدنيا من اهل الجنه فيقال يابن ادم هل رايت شقاء قط فيقول لا والله

فمن مات قامت قيامته فالموت بدايه لحياه جديده اما سعاده او شقاء حياه ابدايه ولهذا تاتي النصوص مبينه ح ال شعيب بعد هلاك قومه فقال تعالي (فتولي عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف

اسي علي قوم كافرين)

تركهم وتوجه لهم بالخطاب الذي فيه القطعيه لقد صاروا يعذبون لانهم لم ينتفعوا بالنصائح ولم يستفيدوا من التحذير فكيف يحزن عليهم والمراد بهذا ان الاهتمام بدعوه الناس للايمان لايعني ان ترهق نفسك بتحمل الا حزان لعدم الاستجابه

المقطع السابع

الاعراف

بعد ان تناولت ايات المقطع السابق قصص انبياءالله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب مع اقوامهم وماكان من هلا ك تلك الامم بعدما كذبوا الرسل تاتي ايات هذا المقطع تكمله لما سبق فقال تعالي (وما ارسلنا في قريه من نبي الا اخذنا اهلها بالباساءوالضراءلعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السئيه الحسنه حتي عفواوقالوا قد مس اباءنا الضراءوالسراءفاخذناهم بغته وهم لايشعرون ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم باركات من السماءوالا رض ولكن كذبوا فاخذنهم بما كانوا يكسبون)

اولا

الايات معطوفه علي ما سبق ذكره من احوال الامم التي حكي الله تعالي لنا احوالهم ومواقفهم مع رسلهم وما اصابهم من الهلاك ولهذا فان مجي العطف في سياق التعقيب علي قصص الانبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب يعني ان الحق سبحانه وتعالي يريد منك ان تقف علي التعقيب بعنايه وتدبر وتامل فدمار الحضارات واندثارها ليس مصادفه بل له قانون وسنه ثابته يعيطنا الحق الاسلوب الامثل لقراءه وتفسير الدليل التاريخي يعيطك ابجدبات القراءه وادابها

المفهوم الاول

يقول لك الحق عليك ان تعلم ان الرب رحيم بعباده كلهم ولهذا ارسل الرسل لهدايه الناس فلم يترك امه بلا رسول ف‌الله اقتضت رحمته ان لايعذب احد حتي يبعث اليهم رسول فقال تعالي في موضع اخر (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا)

ولهذا ابتدات الايات باسلوب القصر (وما ارسلنا في قريه من نبي)

اي ما من قريه الا ارسلنا لها رسولا يدعوهم الي مافيه سعادتهم في الدنيا والاخره وينهاهم عن الشرك والكفر و العصيان

يدعوهم الي مافيه هدايتهم وسلامتهم في امور دينهم ودنياهم

لان الانسان يحتاج الي الاهتداء لكيفيه التعامل مع ربه ومع نفسه ومع اسرته ومع الاخرين المحيطبن به وبني جنسه ومع الكون من حوله ولهذا جاء وردت(من) تبعيض يفيد العموم لانه ورد فيه نكريه (قريه) في سياق النفي و تخصيص القري بارسال الرسل دون البوادي لايعني اهمال حال اهل البوادي وانما لان البوادي يتبعون المدن كما هو حال اصحاب الايكه التي كان اهلها بدو تابعون لمدين الحضر

ولان النصوص تتحدث عن نشاءت الحضارات واندثارها فاخبرنا الله انه ارسل الرسل لاجل اصلاح الحضارات واهلها التي يتطرق اليها الخلل بسبب الاجتماع الذي يتطلب وجود دوله تحمي حقوق الناس ووجود قانون يحكم احوالهم ويودي الي الاستقرار والاعمار والتحسين في الارض

ولهذا فان اول خطوه لاصلاح الناس تكون بارسال الرسول الذي يدعوهم الي مافيه سعادتهم فهدف الاديان و الرسل من دعوه الناس الي عباده الله واتباع منهجه هو اسعاد البشريه واخراجها من الظلمات الي النور

وبالتالي فان ارسال الرسل رحمه من الله بالناس واللازم عليك ان تعي ان السلامه والنجاح والفوز والفلاح يكمن في اتباع الرسل والاستجابه لدعوتهم لان ذلك يعني الحياه قال تعالي

يايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيكم)

فانت حينما تلتزم منهج الله وتطيع الله تعالي تنفع نفسك لان هذا فيه ضمان سلامتك وسلامه حضارتك

فالذي يريد النجاح والتفوق وبقاء حضارته فان ذلك يكمن في طاعه الله والتزام منهج الله تعالي الذي ارسل رسوله رحمه للعالمين فقال تعالي في موضع اخر (وما ارسلناك الا رحمه للعالمين)

المفهوم الثاني

يطلعنا الحق علي سنته الثابته التي تسبق اهلاك المجرمين والقضاء علي الحضارات من خلال اطلاعنا علي الخطوات التي التاديبيه التي تسبق ذلك فاخبرنا انه تعالي عندما يجد الرسل التكذيب والعصيان من الناس وعدم القبول بمنهج الله فانه تعالي رحمه منه بعباده لايتركهم شاردين في غفلتهم لان اساس الكفر هو الغفله والغني ولهذا قال تعالي (الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء)

والاخذ هنا مجاز بمعني التناول والاصابه بالمكروه الذي لايستطيعون دفعه وهو مرتب علي التكذيب والعصيان لا علي الارسال

فالدعوه فيها البيان والحجج الكافي لاقامه الحجه عليهم في حال عدم الاستجابه ومع ذلك جعل الله التاديب التربوي بالباساء والضراءلاجل ان يعود الناس لله تعالي بالتوبه والاستغفار ...لاجل ان تعود الي الصواب والمبادره لاصلاح الواقع فالتوبه تعني الاعتراف بالخطا وبالتالي رووبه الخلل وبالتالي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر السلبيه للحيلوله دون امتداد الازمه وبالتالي التضرع يعني ان نبادر لاصلاح الواقع بالعوده الي منهج الله ومعالجه الخلل للحيلوله دونها او دون اثارها او السقوط فيها فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول بادروا بالا عمال الصالحه (اي السرعه في المواجهه ابتداءمن تمنيه الجوانب الايجابيه واصلاح الخلل) فتنا كقطع الليل يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا او يمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا)

ولهذا فان التضرع تعني فهم ما تحمله الشده من رسائل يخاطبك بها الله تحمل اشارات انذار لك قبل حلول الكارثه فعليك اصلاح الخلل بالعوده الي الله تعالي

المبحث الثاني

ان التضرع هو اساس ارسال الرسل حيث وان غايه وجود الانسان هو ان يعرف الانسان ربه ويحبه ويعبده وحده لاشريك له

فالتضرع هو العباده التي هي غايه وجود الانسان اي الخضوع والخشوع لله تعالي خضوع ذل ومحبه له تعالي وهذا يتطلب ان تعرف الله وصفاته وكماله وغناءه عن عباده وتعرف نفسك بضعفها وافتقارها وحاجتها الي الله تعالي ولذلك ارسل الله الرسل يدعون الناس الي عباده الله تعالي فاذا لم يستجيبوا للرسل انتقل الانسان الي مرحله ثانيه من مراحل الاصلاح

وهو الاخذ بالباساء والتي تعني المصائب في الاموال والممتلكات مثل الزلزل ودمار المنازل وموت الاحبه او الا عاصير وتلف المحاصيل والضراء المرض في الابدان وهذا فيه الاتي

الامر الاول

عليك ان تعلم ان ذلك تاديب من الله لان الشده تعني ان يشعر الانسان بضعفه وافتقاره وحاجته لربه لان الكفر يعود الي الجهل والغني فالغفله تعني ان الانسان ينسي نفسه ويتصور نفسه انه عظيم ولهذا يتكبر او الغني يعود

الي الرخاءوالرفاهيه

وهو ماينتج عنه قساواه القلوب والشرود ولذلك فان الشده توقظ الفطره وتزيل الغبار الذي غطي عليها الرؤؤيه و الشده تعني ترقيق القلوب وتلينها وعندها يتوجه الناس الي ربهم طالبين من الواحد القهار ان يرحمهم ويزيل عنهم الكروبات

وبذلك يتخلص الانسان من الغرور والكبر والهوي ومن عباده الشيطان

فانت تشاهد ان الانسان وقت الشده يقول يارب فهذا لان الفطره تعرف ربها ولان النصوص تتحدث عن الحضاره و التزام منهج الله فاراد بهذا بيان ان الشده توقظ من مازال فيه خير وبالتالي فان الربوبيه توجب عليهم ان يخضعوا لمنهج الله

الامر الثاني

عليك ان تفهم ان معامله الله لك رسائل ولهذا فاللازم عليك مراجعه حسابك فالله يقول لك انه يسبق الازمه اشارات تحذيريه هي من النذر الالهيه التي يخوف بها عباده لعلهم يراجعون ماهم عليه من سلوك يودي للازمه فالا لازم عليك التقاط الاشارات واصلاح الخلل قبل ان تحل الكارثه

فعندما تمرض او يهلك مالك او نحوها من المصائب فان اللازم عليك ان تحاسب نفسك وتبحث عن الخطاءالذي ارتكبته فالمصيبه التي انت فيها رساله من الله لك يقول لك فيها الحق استيقظ لقد ارتكبت خطا خطير يتوجب عليك اصلاح حالك قبل. حلول الكارثه عندما تفشل في علاقتك الزوجيه وتجد المشاكل داخل البيت مثلا مع زوجتك لاتتوقف فعليك ان تراجع حساباتك هل كان اختيارك لزوجتك لاجل ان تبني اسره. مومنه ام انه كان لاجل مالها او جمالها وبالتالي فعليك ان تصحح نوياك

من جهه اخري عليك ان تنظر الي اخطاك وعلاقتك بربك فربما كان السبب عائد لامر اخر لم تلتزم فيها بناء علا قتك مع ربك علي امره ونهيه

اذا شاهدت عصيان من اولادك لك مثلا فعليك ان تنظر ان في ذلك رساله من الله لك لمعصيه ارتكبتها فراجع حساباتك اذا اصبت بنكبه حادث سياره في مالك او نفسك او ولدك او احد اقاربك فعليك ان تنظر ان هذه رساله من الله لك فثمه ذنب او تقصير ارتكبته بحق الله او احد من خلقه يتطلب منك ان تفتش عنه وتبحث وتنقب عن هذا الذنب وتستغفر الله وتتوب من هذا الفعل اذا مرضت فعليك ان تتعامل مع الامر انه رساله من الله لك تقتضي منك ان تبحث عن التقصير الذي فعلته وهكذا ينبغي ان تتعامل مع كل ما يحل بك في كل شان علي انه رساله من الله اليك

الامر الثالث

عليك ان تشعر عندما تحل بك المصائب برحمه الله تعالي بك لانه يعيطك فرصه لتصويب الخلل بهذه الاشارات التحذيريه التي تسبق الهلاك فمن رحمته سبحانه وتعالي بك ان تحل بك الشده لاجل ان يردك اليه ولهذا فاحذر من التبرير لنفسك نتيجه الخلط الذي يقع فيه الكثيرون بين الاشاره والابتلاء صحيح ان المومن مبتلي لكن الواجب عليك ان تحاسب نفسك بحملها علي ماهو خير بالتفتيش عن جوانب التقصير لديك حتي تتمكن من تصويب الخطا فاللازم ان نروض انفسنا ونمرن عقولنا ونربي انفسنا وابناءنا علي شجاعه الاعتراف بالخلل شجاعه الاعتراف بالفشل والاخفاق بعيدا عن المكابره بغير الحق

فاول خطوه للخروج من الازمات يكون بالاعتراف بالمسؤوليه وعدم القاءالتبعيه علي الاخرين

الامر الرابع

عليك ان تعلم ان ما نعانيه من ازمات يعود الي اننا لانتضرع كما يجب فلو تضرعنا كما يجب لازيحت الكثير من الا زمات لان الله يقول (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما)

فالازمه فرصه تلتقط للمراجعه علي مختلف الاصعده تجعلك تعيد ترتيب اوضاعك وتكتشف الخلل واسبابها و العمل علي امتلاك القدره علي توظيفها في استرداد الفاعليه الايجابيه يعني تجديد شباب الامه لان الامم مثل الا نسان لها عمر يقول عمر عبيد حسنه في كتابه الازمه (ان المصائب جرس انذار تدق بصوتها الاذان كي تفيق الامه من السبات لتحقق المراجعه والتوبه الفكريه والعمليه واكتشاف اسباب الخلل ومواطنه والعوده الي مراجعه المعاصي التي اهلت لحصول الازمه والمبادره لاصلاح الحال واللجو الي الدعاء الذي يشحذ الفاعليه ويبني الهمم ويجلي الحقيقه ويوصل بمصدر القوه فالدعاء فعل وفاعليه وليس سلاح العاجز وتكريسا للعجز ذلك ان الاستعانه بالله معقد الرجاءوسبيل الصمود والثبات علي القيم وعدم الانكسار امام الازمات)

ولهذا فعليك ان تدرك اهميه اللجو الي الله وقت الشده واهميه ان تفهم الرسائل التي يخاطبك الله بها في مثل هذه المواقف

ثانيا

تنتقل سياق النصوص الي بيان المرحله الثالثه التي تسبق سقوط الحضارات وانهيارها فقال تعالي

(ثم بدلنا مكان السيئه الحسنه حتي عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراءوالسراءفاخذنهم بغته وهم لايشعرون)

ان من الاخطاء الشائعه التي وقع فيها المفسرون في تاويل هاتان الايتان هذه الايه والتي قبلها هو انهم خلطوا بين. الابتلاء بالشده والمرض ...والابتلاء بالرخاء والرفاهيه ..وبين انزال الشده والمرض بالناس كتاديب رباني لمن رفضوا الاستجابه لدعوه الرسل و

الامر الاول

تبين النصوص انه تعالي جعل لسقوط الحضارات سنن وقانونين وموشرات انذار تدل علي قرب حلول موعد سقوطها اذا لم يتلافي اهلها اوجه الخلل بتصويب احوالهم ولهذا جاءت الايه معطوفه بحرف العطف(ثم) : الذي يفيد التراخي اي انه بعد اخذهم بالشده لاجل ان يعودوا تائبين الي الله لكنهم لم ينتفعوا ولم يستفيدوا من درس الشده حيث استمروا في استكبارهم وطغيانهم فكان الانتقال الي الخطوه الثالثه (بدلنا مكان السيئه الحسنه) اي لونا اخر من الوان العقاب للناس فهي معطوفه علي جمله (اخذنا اهلها) وداخله في حكمها والمعني اعطيناهم الحسنه محل السيئه اي بدلا عنها فقال تعالي (حتي عفو) اي كثروا في اعدادهم واموالهم وسلطانهم وقوتهم

فاراد الحق بهذا ان يزودك بخطوات سقوط الحضارات لتكون قادرا علي قراءه وتفسير الاحداث في مجالي الخير والشر يعيطك الدليل والمفتاح لقراءه العواقب من خلال الوقوف علي الموشرات والمقدمات فالحياه محكومه بـ السنن وهي لاتحابي احد حتي نحن المسلمون ومعرفه هذه السنن هو مفتاح الهدايه واداه مهمه الاستخلاف والا ضطلاع بالمهمه ولهذا فان علي المسلم ان يحرص علي فهم السنن التي تحكم الحياه ليحذر الوقوع فيما وقع فيه ا لاولين

الامر الثاني

يقول لك الحق انه اذا لم تستقيظ القلوب بالشده والمرض فانه تعالي الله يستدرجهم بالرخاء والرفاهيه مكان الشده والقحط يستدرجهم بكثره الاموال والاعداد والمتاع مكان العسر يستدرجهم بالكثره بدل القله فقال تعالي

(ثم بدلنا مكان السيئه الحسنه)

والسيئه ماتسوا حال صاحبها فهي من الشقاء اما الحسنه فهو من الحال الحسن فهي من السعاده والنعمه ولهذا استخدام كلمه بدلنا اي مكان الشده الرخاء ومكان الضيق السعه ومكان الضعف القوه ولهذا فمن الاخطاء التي وقع فيها البعض ويري بعض العلماء ان لفظ مكان مفعول به وليس ظرفا والمعني بدلنا مكان الحال السيئه الحال الحسنه فالحسنه

هي الماخوذه الحاصله في مكان السيئه المتروكه والمعني هنا لايختلف بحصول التحول من حال الي حال لكن الملاحظ وجود خلط بين مفهوم الشده والمرض الذي يبتلي الله المومنون لمعرفه الصادق من الكاذب والصابر الثابت علي الحق من المتخاذل الرخاء والتمكين والعز والقوه والمال كوعد الهي يناله المومنون ابتلاء من الله لعباده لينظر كيف يفعلون هل يشكرون الله علي انعامه ام يجحدون وبين مفهوم الرخاء والرفاهيه واليسر و العافيه كعقوبه استدراج من الله تعالي وهذا الخطا الذي وقع فيه المفسرون ناتج عن الخلط بين الابتلاء بالشده و المرض الذي يبتلي الله به المومنون لمعرفه المومن من الكاذب وبين انزال الشده والمرض بالمكذبين للرسل كتاديب لهم لاجل ان يستفقوا من غفلتهم وعنادهم ومكابرتهم فالاول ابتلاءوامتحان لمعرفه مدي صدق ايمان العبد وقدرته علي التحمل وهذا يتوقف علي قوه الصبر الذي من دعائم الايمان ...فالمومن يصبر عند الشدئد ...اما الثاني فهو تاديب للذين لم يستجيبوا لما دعاهم اليه الرسول فالمولي يريد بالشده ان يخرج من قلوبهم الشوائب واخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم ليجعل الشده ابواب مفتوحه واسعه للوصول الي فضل الله واسبابا لعفوه تعالي فهذه المرحله يكون بعدها انتقال العبد الي مرحله اخري مرتبطه بنتيجه الامتحان بالمرحله ا لاولي ارتباطا لايقبل التجزئه فالبنسبه للمومن والذي يختبره الله تعالي بعدها بنعمه الغني والصحه والاقتدار لينظر اتشكر ام تكفر هذا اذا نجحت في الامتحان الاول اما اذا اذا لم تستيقظ القلوب بالابتلاءبالشده والمرض فانه تعالي يستدرجهم بالرخاء والسعه مكان الشده.

يعني مكان الباساءوالضراء النعمه والراحه والسعه وهذا ما يفصح عنه الحرف (حتي) اي لغايه ما يصلوا الي مرحله (عفو) كثروت الاموال والعتاد والقوه فيقال عفو الشي اذا كثر من قول الرسول صلي الله عليه عفوا اللحي) اي كثروها

فاراد الحق بهذا

المفهوم الاول

ان يحذرك من هذا التغيير في الحال(الاستدراج) بانه نتيجه طبيعيه لموقفك من الشده فانت اذا لم تنتفع من التاديب الرباني ولم يخرج الكبر من قلبك ولم تخشع وتستسلم لامره تعالي فانه تعالي يتركك في شرودك ويسهل لك ابواب المعاصي كما قال تعالي في موضع اخر (ونيسيره للعسري) ولهذا فان التوسعه عقوبه من الله تعالي ولهذا فاللازم عليك الانتباه اذا اعطاك الله النعم وانت تعصيه فان هذا استدراج لك فكن حذرا فان هذه اشاره لعقوبه قريبه قاسيه سوف تحل بك

المفهوم الثاني

عليك ان تدرك ان الترف يقضي علي العمران لماذا؟

لانه يودي الي بلاده الاحساس وعدم المبالاه ولهذا توحي الايه بالحاله النفسه المصاحبه لحاله الترف (حتي عفو)

لان الترف والنعمه اذا حصلا لاهل العمران دعاهم بطبعه الي مذاهب الحضاره والتخلق بعوائدها لان الحضاره تعني التفنن في الترف واستجاده احواله وتزداد لديه الرغبه في التفنن والتانق ويتبعه طاعه الشهوات فتتلون النفس

من تلك العوائد بالوان كثيره لايستقيم حالها لا في الدنيا ولا الدين فالتطور المادي لاي حضاره يصاحبه انحطاط في القيم الروحانيه ويولد الاستهتار والاستخفاف بالحقوق ولايبالون بالاخرين ولايحسبون لاحد حساب ولا يشعرون في نفوسهم تحرجا من فعل القبائح حيث ان المجتمعات التي تعيش حاله الترف البذخ تخرج عن القصد الي الاسراف يكثر فيهم الفسق والشر والسفه فتجدهم اجرياء علي الكذب والسرقه والغش والربا والسرقه وابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمكر والخديعه نتيجه الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثره الترف فيقع التفنن منهم في الشهوات فقال تعالي (وقالوا قد مس اباءنا الضراءوالسراء)

تجدهم ابصر بالمكر والخديعه يدفعون بذلك ماعساه ان ينالهم من القهر وما يتوقعونه علي تلك القبائح حتي يصير ذلك ثقافه المجتمع وتموج المدينه بالسفله والمنحطين من اهل الاخلاق الذميمه وبجاريهم فيها كثير ممن يمتلك القرار في الدوله وخاصه الناشئه الذين لم يعيشوا الشده ولايستشعرون بان هده النعم من الله لايفقهون انها استدراج يتبعه الهلاك مثلما لم يفهموا الحكمه من التاديب بالضراء ينظرون ان ذلك مجرد حظ وعاده جاريه وليست موعظه يقولون الزمن يومان يوم لك ويوم عليك فيقولون لقد جاء دورنا كي نتلذذ بالشهوات بعد العناء الذي عناءها اسلافنا وايضا ينطرون ان ماهم فيه يعود الي ذكائهم وذكاء اسلافهم في جمع الاموال والمناصب يقولون عندما توجه اليهم المواعظ والنصح بالتعامل مع الناس بالرحمه فالمال مال الله وكذلك فان القوه التي يتمعتون بها والمناصب والنفوذ يوجب عليهم التواضع والتعظيم لامر الله والرحمه بالناس فهم لاينظرون الي المشئيه الالهيه واراده الله بانها هي القوه التي تقف وراء المنع والعطاء لايعترفون بان الفاعليه هي لله ولايعترفون بذلك فلا يشعرون بالاستدراج يقولون ان مانحن فيه هو نتاج نضال اسلافنا فقد تحملوا المشقه والتعب والكد وجاء دورنا لنحصد الثمار ولهذا فان الفاسدون يكثرون حتي يصبح الفساد والفاسدون هو سمه البلاد واعيانها ووجهاءها فاذا كثر ذلك في امه فاذن بخربها وانقراضها فقد قال تعالي (واذ اردنا ان نهلك قريه امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

فالنهايه ثمره الغفله والطغيان وسوء التقدير فقد جخدوا النعمه وظنوا انها خصنا يتحصنون بها من المصائب حتي يتفاجاوا بالهلاك من حيث لايتوقعون فقال تعالي (فاخدناهم بغته وهم لايشعرون)

فعليك الانتباه فاللازم ان تنظر للتحولات في حياتك نظره تدبر وتامل في السراء والضراء والعسر واليسر وان تاخذ الموعظه من كل تحربه وتستلهم الدروس وتفهم الرسائل الربانيه المواجهه اليك وان تعود نفسك علي الصبر عند الابتلاء ومحاسبه النفس عند التقصير والشجاعه علي الاعتراف بالخطاءوان تكون شاكرا الله عند الرخاء ف الله يبين لنا احوال الاولين لنتعظ بها فالمومن من يتفطن لما ابتلاه الله في السراء والضراء فقد جاء في الحديث (لايزال البلاءبالمومن حتي يخرج نقيا من ذنوبه والمنافق مثله كمثل الحمار لايدري فيم ربطه اهله ولا فيم ارسلوه)

ثالثا

(ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماءوالارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)

الامر الاول

العلاقه بين القيم الايمانيه وبين سنن وقوانين اندثار الحضارات وسقوطها وانهيارها)

الايه وردت تعقيب علي بيان سقوط الحضارات واندثارها بان ذلك يعود الي طبيعه نظره الامم للانسان وتقدمه فحضارت الكفر انطلقت من الاهواء والشهوات لامكابح ولاضوبط لحركتها في الحياه حركتهم فوضوئيه وغوائيه

اما المسلم فان مفهوم الحضاره لديه لها اسس تنطلق من طبيعه نظرته للانسان والغايه من وجوده ولهذا ف الحضاره وفقا لمفهوم الاسلام تعني احترام كرامه الانسان ينظر الي وجوده في الارض انه لم يكن عشوائي وانما

هو امر مقصود من الخالق سبحانه وتعالي الذي اختاره ليكون خليفه في الارض وبالتالي فان ايمانه انه مكلف من الله بان يكون مستخلفا في الارض يشكل باعثا للانتاج والعمل الجاد والنافع يتحرر فيه الانسان من كل الاغ لال والضغوط فيخرج من قلبه الانانيه وحب الذات ويشعر بمسووليته عن تعاسه البشريه ويسعي جاهدا لرفع الظلم والالالم عنها فهو يتفاني في خدمه البشريه فالايمان يخلق المناخ الملائم الذي لايتوقف عند معرفه الحقيقه والتصديق بها الي الحرص علي تجسيدها في ارض الواقع وعدم التقاعس عن القيام

2

فالعقيده لها دور ايضا في نشاط المرء وفاعليته بتوجيه الحركه والجهد البشري نحو الفاعليه الايجابيه وان يكون نشاطه في الارض منسجما مع حركه الكون لانه يومن ان سيادته علي الكون انما هو تسخير الهي لاجل ان يقوم ببذل جهده في الاستفاده مما سخره الله له وتعميره وتطويره وتحسينه وانه لايجوز للانسان تخريب اي جز من الكون باي نوع من انواع التخريب اي ان من اسس الحضاره الاسلاميه هو التحسين والاعمار وهو ما يجعل عمله ونشاطه يتجه الي ما فيه تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الفساد يتحرك حركه منتظمه وفق ضوابط هنالك كوابح للشهوات وكل ما يضر بمصلحه الجماعه والفرد

3

ان الايمان والتقوي يخلق المناخ الذي الملائم لعمليه التقدم والتطور والذي لايمكن حدوثه في الاضطرابات و المراهقه الفكريه والجمود العقلي حيث انه يحرر الطاقات الخلاقه للشعب فالتقدم يحتاج الي التعاون للوصول الي الاستقرار

لان العمران لايتحقق الابالاستقرار للكيان وقيام كل فرد بدوره في صناعه الاستقرار والشعور بالمسؤوليه ولهذا فان الايمان والتقوي يخلق المناخ الملائم لتحقيق هذه الهدف لانه من جهه يحرر الطاقات الخلاقه للشعب من قيود المراهقه الفكريه والجمود العقلي الذي يحول دون الكفاح الذي تحتاجه الامه في عمليه التقدم يقضي علي التردد وتجعل تفكيرهم ينطلق من الايمان بالله وخوف الله وتقديم مصلحه الجماعه علي المصلحه الشخصيه وبهذا يمتلك القدره علي التفكير الخلاق المنبعث من عقيده الايمان ومراقبه الله ومن البحث العلمي بالاستفاده مما سخره الله له بهذا الكون بعيدا عن الخرافات لانه يتصل بالواحد القهار وحده لاشريك له فهو لايهمل الامكانيات الموجوده ولايقفز علي الواقع بل يتحرك خطوه خطوه ويمتلك المهارات والخبرات لمواجهه التحديات من خلال ا لالتزام بالقيم والمبادي وعدم التفريط بها مع البحث العلمي ودراسه التاريخ والطبيعه والواقع وربط ذلك بالمنهج ومعرفه التزاماتك الواجب القيام بها اي دراسه الهدف والتكلفه والموزانه بين المصالح والخسائر بالنظر الي الكلفه الماديه والقيميه فلا يجوز التفريط بالعدل والوفاء فاذا عرف الحقيقه فانه ياخذبه ولايتقاعس عنه لانه قد تحررت طاقاته فقد امتلاك القدراه علي الحركه لان الفكر يسبق الارده وحتما يوجد قوه العمل المشترك فالمجتمع حينها يكون قويا لان ضعف المجتمع وقوته يقاس بمدي قدرتهم علي التفكير الخلاق المنبعث ومن الواقع الموافق لعقيده الايمان والمنهج الرباني (الوسطيه والاعتدال) بعيدا عن المراهقه الفكريه التي تخلق نوعا من الارهاب المعنوي الذي يعرقل التقدم فهذا التدين المغشوش كان من اهم اسباب التخلف اليوم في امه الاسلام

3

ان الحضاره والتطور لايتحقق دون وجود قياده تقود عمليه التقدم (السلطه السياسيه) ووجود السلطه امر مهم وضروري فهي التي تقود عمليه التطور وهي في جوهرها جهد سياسي منظم ومتضبط ينطلق من امال الشعب ويحقق اهدافه وفي مقدمتها عقيدته ولهذا فان الايات تتحدث عن اهميه ان تكون السلطه خاضعه لمنهج الله وان يكون وصول الحاكم الي المنصب وفقا لقيم الاسلام ومبادئه من الشوري وسياده القانون

فالقياده ينبغي ان تكون مومنه بما جاء به الاسلام وتخدم الشعب وتراقب الله علي الدوام ولاتخالف الدستور الوثيقه التي تضبط العلاقه بينه وبين الشعب وترسم حدود سلطته ومهامه

وهو ما يقضي علي التخلف واسبابه والذي يعود الي تغليب المصالح الشخصيه علي المصالح العامه يقضي علي الحضاره ويمنع التقدم ويسقط الحضاره واندثارها فنحن نري اليوم كيف ان العالم الاسلامي نتيجه الموثرات الغير منتجه التي خلقتها الانانيه وحب الرئاسه جعلت الامه ومقدراتها وامكانياته اسيره الاستعمار الجديد فاصبح يتحكم في مقدرات الامه الاعداء ضد الاسلام وصارت البلاد العربيه مسرحا للصراعات الامريكيه واذنابها في المنطقه من جهه والروس والايرانين من جهه اخري دمرت سوريا واليمن وليبيا هدمت حضارتنا لان الحكام لا يمثلون ارداه المجتمع ولانهم لايمثلون امالها فهم لم يصلوا الي السلطه وفقا لمبدا الشوري ولانهم واقعون تحت الا ستعمار الذي اوصلهم الي سده الحكم لانهم لم ينظروا ان مهمه الحاكم هي

تولي تنظيم المجتمع والدوله و العمل علي تحقيق اهداف الامه وحمايه حقوقها وحمايه القيم التي تقوم عليها الحضاره العدل والمساواه وكل القيم العليا لكنهم نظروا للسلطه وسيله لاشباع رغباتهم بحب الرئاسه يريد ان يصنع في الناس ما يريد ينظر للناس كانهم ثياب يريد ان يفصلهم مثل قطعه القماش ليصيروا ملابس جاهزه لهم ولابناءهم علي مقاسهم في الحاضر والمستقبل اما المسلم فانه ينظر للسلطه تكليف لاتشريف وانها ليست مطلقه اليدين فلا يجوز التسلط علي رقاب الناس وهو يلتزم الدستور المكتوب الذي حمله الرسل من ربهم والذي يحتاجه الناس وبما يودي الي تلبيه الاحتياجات الماديه والروحيه للانسان وحضارته

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

(معني تجديد الحضاره)

مما سبق يتضح الايمان اي التصديق بما جاء به الرسل والعمل باحكامه يعني التقدم والرقي والتطور فالايمان قوه دافعه تودي الي انسجام المجتمع في حركتهم وتحمل المسووليه وهذا من دواعي بقاء الحضارات ونموها لانه ينمي بواعث اليقظه واتقاء

العاقبه ودليل علي سلامه اجهزه النظام ومن موهلات النجاح لان الحضارات مثل الانسان لها عمر ونهايه تموت فيها فاذا كان الانسان بعد الاربعين سن الكمال يبدا في الانتكاسه فان الحضاره كلما تقدمت حتي تصل الي الكمال فانها تنذر ببدايه حلول موعد موتها فالله يقول في موضع اخر(والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سفلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين)

ولهذا فان الحضاره بحاجه الي ان يتداركها ابناءه بالايمان والتقوي لاجل ان تجديد روحها وتمديد عمرها صيانتها من الهلاك والموت وقد اخبرنا الله ان الايمان والعمل الصالح هو الوسيله لتجديد روح الحضاره (الا الدين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجرغير ممنون ...الخ

الايمان والتقوي اساس النجاح والفلاح لماذا ?

لانك تتصل بمصدر القوه الحقيقه ولهذا فانك تطمئن بالانس بالله والقرب منه ولهذا فان المسلم لايضعف امام ا لازمات لانه يركن الي القوي والرزاق

ولهذا فالمومن لايتاثر بالازمات لانها متوقعه عنده من قبل وقوعها من جهه ومن جهه اخري لان يعتمد علي الله جازما ان مصادرها من قضاءه وامورها بيده ولهذا فان المومن يحول المحنه الي منحه فيحسن اداره الازمات

واحتواءها والحد من اثارها لانه علي يقظه من امره وهذا هو مفهوم تجديد الحضاره وليس كالكافر الذي يغرق نفسه في الشهوات والملذات ولهذا يتفاجا بالازمه نتيجه غفلته

المفهوم الثاني

بالوقوف علي الايه في سوره المائده نجد انه ورد فيها (ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئتهم ولا دخالنهم جنات النعيم) بينما هنا قال تعالي (ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا ....الخ

فالخطاب بشان اهل الكتاب جاء جواب الشرط بمحوا عنهم الذنوب مهما كانت وانه لن يفضحهم لان الحديث في ا لايه فيه دعوه الي التحول في قراءه المطلب الرباني من التواره والانجيل الي القران بينما الحديث عن اهل القري في سوره الاعراف جاء في سياق الاخبار عن سنن بقاء الحضارات وزوالها وعن طلب الناس الرزق والبركه مكان الوعيد ولهذا

نجد ان النصوص تبين (اسس بناء وتجديدالحضارات وبقاءها)

حيث نجد ان الايه تتحدث عن المنهج الرباني واهميه الدين لقيام الحضاره وبقاوها واستمرارها تبين النصوص ان مصير الحضاره وبقاوها وسقوطها واندثارها مرهون بالالتزام بالدين

فقال تعالي (ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)

فالايه تتحدث عن ضروره وجود الاذن الحضاري لنمو الحضاره وبقاوها

فالدين هو اساس قيام الحضاره وبقاوها او سقوطها واندثارها

وهذا شرط اساسي لقوه الحضاره انه قانون الخلافه وشرطها فالامان والسلامه والرخاء والسعاده في الدنيا والا خره هي لمن يلتزم منهج الله تعالي ومن يقيم حضارته ودولته وفقا لمنهج الله فهذا هو شرط الخلافه الماخوذ من ادم حينما سلمه الله مفتاح الارض هو التوحيد فقال تعالي(فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ومن اعرض عن ذكري فان له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي)

ولهذا فانه من الموكد ان كافه الحضارات الانسانيه كانت قد ادت الي قيام حضارات ماديه كبيره ساهمت في تحريك الطاقات وظهور الابداع ووالتكنولوجيا والصناعات لكن تدشين هذه الحضارات وتوجيهها اي الفكر المعرفي الذي انطلقت منها في قراءتها لما وصلت اليها من علوم لم تاخذ بالاذن الحضاري الذي يعني ان تكون القراءه باسم الرب وحده لاشريك له كما قال تعالي (اقرا باسم ربك الذي خلق) بل ان هذه الحضارات انطلقت في قراءتها من خلال لغه غير اللغه التي فيها الاذن الحضاري فقد تجاوزوا في قراءتهم للحضاره اسم الرب الي اسماء مختلفه من عقيده االشرك والالحاد والنجوم والعقل والماده ولهذا نجد انه تعالي عندما خاطب اهل الكتاب في سوره المائده فقال (ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ...الخ

اي لمحونا عنهم ذنوبهم ولن نفضحهم فاراد بهذا منهم ان يعيدوا النظر في ثوابت قراءتهم لتنطوي ضمن التجديد الرباني في العالم بلغه القران فدل هذا انه توقف العمل بالتوراه والانجيل وانه لم يعد هنالك اذن للعمل بهما وعليهم التحول الي القران لقراءه مراد الله ولذلك وصف اليهود والنصاري بالكفار والمغضوب عليهم والضالين لا نهم رفضوا التحول الي الاسلام

وتمسكوا بحضارتهم التي توقف العمل بها اي لم يعد لهم اذن حضاري بمجي الاسلام ولذلك دعاهم الي الايمان و التقوي

ووعدهم بمحو الذنوب مهما كانت

في هنا في الاعراف فالحديث عن اهل القري الذين يطلبون الرزق والبركه فجاء الوعيد انهم لو امنوا واتقوا لفتح الله لهم ابواب البركات لنفهم ان الحضاره مقيده بالاذن الرباني في العالم وهذا الاذن هو المنهج الذي انزل الي امه الاسلام واختار الله امه العرب لتعمل علي تجسيد مراد الله في كونه الفسيح ولهذا يقول الله لهم انتبهوا من التعسف في قراءه مراد الله او قراءه الاذن الحضاري لقياده العالم عليكم ان تدركوا حجم المسووليه التاريخيه فاعلموا ان ماحل بالامم السابقه من دمار الحضارات يعود الي الفشل والاخفاق في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح وعملت علي تجسيد مراد الشيطان

ولهذا فان الدين هو اساس قيام الحضارات ونشاءتها وانتهاءها

وبدونه تكون هذه الحضاره بلا شرف لانها لم تحظي بالاذن الرباني

الامر الثاني

كما ان قوله تعالي (ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا...الخ وردت هذه الصيغه في سبعه مواضع في الانعام الايه 129وفي التوبه الايه 82...95وفي يونس وفي ص وفصلت و الجاثيه

يريد ان يستجلب منهم الاستجابه فتجسيد مراد الله وبناء الحضاره واستمرارها مرهون بالتزام منهج الله ولما كانت امه العرب عباره عن قبائل متناحره لاتعرف الدوله ولا الانظمه ولا القانونين فكان لابد من تهذيب العربي المتوحش وترويض هذا المتمرد ليكون اهلا لقياده العالم ولهذا نجد ان النصوص تتخذ من قصص اهل القري ومافيها من سلبيات وسيله لتربيه المجتمع المسلم من خلال هذا التبسيط في ايضاح الاسلام وايجابياته كنظريه انقاذ للحضارات وتلافي ماحدث لاهل القري من هذا العرض الذي يلبي تطلعات الشباب المومن للوصول الي الوعد الالهي بالعز والتمكين يدلهم علي بدايه الطريق لتحقق الوعد الالهي ولهذا نجد ان الايه تبين الاتي

المفهوم الاول

بان القاعده الاساسيه التي تقوم عليها الحضاره هي الاخوه

فالمحبه بينهم فانها سوف تنمو روابطها وتسموا مقاصدها وتتحول من محبه غايتها المصالح الدنيونيه الي محبه خالصه لله تعالي ينال بها سعاده الدنيا والاخره فالتاخي والتالف بين القلوب هو الاساس في بناء المجتمع الفاضل وتقويته وهذا يودي الي البذل والعطاء والايثار بين المتحببين علي النفس مع شده حاجته

فالمتامل لما كان عليه المجتمع العربي قبل مجي الاسلام يري انهم قبائل متناحره وقد استطاع الاسلام اجتثاث نار العدواه وتطهرت التفوس من اوساخ النظره الجاهليه وعصبياتها البغيضه وغرس فيها الحب والاخاء فلا فضل لاعربي ولا اعجمي الا بالتقوي ولهذا فان الايمان والتقوي هنا يعني ترسيخ قاعده بناء الحضاره علي العدل و المساواه فلا يوجد طبقات داخل كيان النظام الاسلامي وبالتالي عدم وجود الصراعات الداخليه التي تمزق الامم يعني الخلاص من التعصب الشخصي التي تعوق التقدم تعني ان التسابق في المجتمع هو لاجل احتمال الاعباء و التعاون علي البر والتقوي يعني قيام مجتمع يسود اجواه التكافل والتراحم

وهذا يعني ان وحده التفكير للمجتمع المسلم فالجميع لهم تفكير واحد ينطلق من قاعده الايمان التي تسد القلق الناتج عن الفراغ الروحي لان الايمان بالله الواحد يعني ان تومن انه منحك بكل قواك وطاقتك ونوزاعك عقيده شامله تجعلك تراقب الله في اتصالك بالناس وتلتمس الاخره في طلب الدنيا

ولهذا فان هذا يعني تعظيم التقوي ومعني هذا انها تحفظ الفطره وتمنع فسادهالان فساد الفطره يعني القلق لان الفطره تعرف ربها وتجد عند غياب الايمان فراغ يفتح الباب للشياطين ان يتسللوا الي الحضاره ويتسببوا في هدمها حيث بالنظر الي انهيار الحضارات المعاصره نجد ان العقائد الباطله من القوميات والعصبيات والمذهبيه هي السبب وراء انقضاء اجل العديد من الدول في العصر الحديث ولهذا نجد ان الاستعمار برغم مغادرته الوطن العربي الا انه مازال يغذي العصبيه والمذهبيه والطائفيه والمنا طقيه لانه يسيطر علي مقدرات الشعوب من خلال اختلاق الصراعات فالتقارب اداه صناعه الحضاره والمستقبل والابداع بينماالتباعد اداه هدمها ولهذا فان العالم ا لاسلامي بحاجه الي وحده التفكير من خلال عقيده الايمان فاذا صار لها الايمان صبغه يصبغها اي لايوجد من يخرج عن قاعده الايمان في تفكيره ينظر للمصلحه العامه اولويه يجب الالتزام بها قبل المصلحه الشخصيه فان هذا يولد وحده الاراده لان المومنون يصبحون كالجسد الواحد ينظر الي الخطر الذي يهدد النظام والمجتمع المسلم انه يهدده هو يحس بالالالم الذي يصيب اي مسلم في العالم فالرسول لما وصل المدينه شرع في توخيد الصف المسلم بالموخاه بين المهاجرين والانصار فقال تعالي (وكنتم اعداء فالف بين قلوبكم)

وبالتالي فان هذا يعني ان الناس اتحدوا في تفكيرهم من خيث ماهو الشي الحسن والقبيح لهم معيار واحد هو حكم القران علي هذا الشي وبالتالي فان هذا الاتحاد يودي الي تكوبن ارداه واحده للمجتمع المسلم لان الالتزام ب المنهج يعني تحديد مسار اراده المتجمع وصياغه شكلها فهذا المنهج هو الذي يتابع مسارهامن خلال الشعور بوجود الله والاهتمام بشوون المسلمين واجب علي كل مسلم وهو ما يودي الي اتحاد المشاعر بين المسلمين اي يصير الخطر الذي يهدد اي مسلم هو تهديد للامه كلها (قوميه الخطر)فعندما يكون الاحساس بالخطر من جميع مكونات المجتمع. فان هذا يعني التحرك من جميع ابناء المجتمع المسلم للعمل المشترك لمواجهه الخطر المشترك

مما سبق يتضح تجديد روح الامه وحضارتها مرهون بتكوين فريق عمل مشترك يشمل الحكام والمحكومين يتحد فيه تفكيرهم وارداتهم وعملهم بحيث يشعر الشعب انه جزء من السلطه ومساهم في صناعه القرار و الحضاره فالشعب هو صاحب المصلحه في التقدم ولاغني عن طاقاتها فاذا انفصلت السلطه عن الشعب ولم يشعر الشعب انها تمثل اهدافه واماله فانها لاتعطي طاقاتها الخلاقه التي تصنع التقدم لانها تدرك ان السلطه الحاكمه لا تعمل لصالحها ولهذا جاء القران بمنهج كامل يحدد التزامات الحكام والشعب ويربط اداء كلا منهما للالتزمات الواجبه عليه بالايمان بالله والتقوي وبهذا تحقق الفاعليه الايجابيه ويكون انشاء مجتمع يحكمه القران وبالتالي يفتح الله عليه الارزاق والبركات ولهذا نجد ان الاخبار في هذه الايه عن الوعد الالهي بسعه الرزق والرخاء لو التزام منهج االله اي يلتزم الناس كلهم فالايه وردت بعد ذكر انقسام الناس الي فريقين مومن وكافر وبيان مصير كل فريق وما ينتظر كل فريق في الاخره والدنيا فهي مثل قوله تعالي في سوره الجن(والو استقاموا علي الطريقه لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم ...الخ

بعد ذكر قول الجن (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا)الي قوله...واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)

وهنا ذكر ان الاغلبيه لم يستجيبوا لدعوه الله ولم ينتفعوا بالشده ولذلك حلت بحضارتهم الدمار والموت ثم ذكر هذه الايه لتعود بالقاري الي فائده الايمان بدل التكذيب. والتقوي بدل الاستهتار في الدنيا والاخرهزومساوي الكفر والكذب لتقويه وشد انتباه السامع لاستجلاب استجابتهم بان يسلكوا طريق الصواب والرشد والصلاح فالايمان و التقوي هنا مثل الاستقامه في سوره الجن متعلق بالشان الجماعي للامه كلها بانهم لو التزموا منهج الله كلهم وحصل الاستجابه منهم لما يدعوهم اليه الله ورسوله لحصلت لهم الحياه الطيبه قال تعالي (يا الذين امنوا

استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)

فلوا اخذ الناس كلهم بالقران فان هذا فيه التجديد للخياه فلو امنوا والتزموا منهج الله كلهم استقامه جماعيه بان صاروا كلهم متلزمون بالسير في حياتهم كلها وفقا نظام ومنهج الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والاحتكام لمنهج الله فانه تعالي يعدهم بالرخاء وسعه الرزق

المفهوم الثاني

تتحدث الايه عن تطلعات الناس الي التطور والتقدم وكانهم في حيره لايدرون من اين تبدا الطريق مع وجود موجه تستهدف تجريد الامه من مقوماتها المعنويه (الايمان والتقوي) وما. يتفرع عنها من اخلاق كريمه كالتعاون والمحبه والاخاءوالتسامح والاتحاد والي ما الي ذلك من علاقات وصفات ايجابيه بشريه تسعي الافكار الهادمه الي استبدالها بعلاقات ماديه مجرده تتسع للغدر والخيانه والعنف والقسوه والخداع وهذا ما نراه في واقعنا المعاصر حيث نشاهد الاعداء يستهدفون الاسلام وحضارته بموجات شديده محاولين تشويه صورته ولهذا فان الناس بحاجه الي مناعه قويه تصد هذه الهجمات يحتاج الي التمسك بدينه فاذا حصل ذلك فانه لايخيفنا معها موجات الاعداء ولهذا نجد تركيز الحديث عن النظام الاسلامي واظهار ايجابياته مع اظهار سلبيات المناهج الا رضيه ومفاسدها وانها من اسباب هلاك الناس ودمار الحضارات واندثارها وهذا لاجل ازاحه الشبهات علي الناس وحتي لايضل الناس الطريق كان لابد من ايضاح الامور وتبسيطها ولهذا قال تعالي (ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما.. الخ

فالدين هو اساس بنا ء الحضارات وبقاءها واستمرار فاعلبتها وفوق ذلك كله فهو قيمه روحيه ونفسيه وضروره اخ لاقيه تسد الثغرات التي لاتصل اليها القوانين الوضعيه فالمومن يشعر انه هو المخاطب في الايه التي فيها الوعد من الله لكل من امن به وكتبه ورسله ....الخ قولا وعملا واتقي الله بمراقبه الله ايمان حقيقي شعور يجعلك تشعر بوجود الله يجعلك تقف عند كل حركه او قول اوفعل لتنظر هل ذلك الفعل مما يحبه الله ويرضاه ام مما يبغضه الله?

ليكون تصرفك تابعا لمنهج الله وليس لاهوائك ولا لارضاء الناس

هذه هي قاعده التعامل التي ينطلق منها الفرد في حياته كلها مع نفسه ومع اهله ومع جيرانه وفي تعامله مع الا خرين في تجارته ومهنته وفي علاقته مع الموظفين الذين هم تحت امرته والحاكم مع المحكوم وفي العلاقات الدوليه بين الدول

وبالتالي فانه عندما تستقيم النفوس علي طاعه الله ويعرف كل انسان ماهي حقوقه وماهي واجباته ويعمر قلبه الا يمان والمحبه لله ولرسوله وللمومنين فان هذه النفوس لاتحتاج الي رقابه السلطه لكي تردعه عن الجرائم لان رقابه الايمان اقوي والوزاع الايماني لايفارقه فهو يسكن قلب المومن وهذا الايمان يحقق الحمايه للمجتمع والامن ويحميه من الاخطار

المفهوم الثالث

ولما كانت المصلحه هي عنصر الذي يجتمع عليها الناس ودافعا للمساهمه كل فرد بناء الحضارات فهي من اهم عناصر بناء الحضارات وبقاءها لانها تحدد حجم الكيان وتاثيره وفاعليته

نظرا لسعه الافق وضيقها لذلك تبين الايه ماهي المصلحه التي يجتمع عليها المومنون انها مصلحه الحب في الله والبغض في الله وهذا فيه اسس بقاء الحضارات(وحده التفكير ...وحده الاراده ...وحده العمل)

فعليك ان تنظر للمصلحه من حيث موقف حكم الشرع منها هل هي حلال او حرام ثم هل تجلب المصالح فقط ام

انها تجلب معها المفاسد ولهذا فعليك تغليب المصلحه التي تكون لك رصيدا في اخرتك فالايه تناقش مفهوم المصلحه كقوه تحدد حجم الكيان وتاثيره وفاعليته عليك تغليب المصلحه العامه وايضا فان المصلحه العامه ليست بلا ضوابط بل لها قواعد ترتبط بالعقيده فالدوله تخضع للعقيده فالايه تتناول استقامه الدول والحكومات باقامه نظام الحكم علي منهج الله وبالتالي لاتضعف الحكومات المسلمه امام الابتزاز والضغوط التي سوف يلجا اليها الاعداء لتفكيك اتحاد الامه وتماسكها سوف يلجاون الي سلاح الحصار الاقتصادي وحرب اقتصاديه سياسيه التجويع عندما يحصل الياس من احداث الانشقاق الداخلي للكيان المسلم ولهذه تبين النصوق ان المصلحه وان كانت مهمه لكن ليست مبررا للتفريط بالقيم والمبادي العليا كما هو حال العرب والعالم اليوم فقد شاهدنا كيف ان دول العالم المسلم اليوم تقف مواقف مخزيه من جرائم ذبح اهلنا في فلسطين غزه ...وعندما تنهض الشعوب تتطالب الحكام بالقيام بواجبهم تجد المبرارت القبيحه منهم تردد بقولهم القبيح: اننا نحافظ علي مصالح شعوبنا لا ننا لو وقفنا مع اهل غزه سوف تقطع امريكا علينا المعونات فنحن نستلم مليارات الدولارات معونه من امريكا وانقطاعها يعني المجاعه

الم يقرا هولاء قوله تعالي (ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض)

ربط الحق سبحانه وتعالي الرخاء والعز والتمكين بالاستقامه علي منهج دون انقطاع وصبر علي المشقه فالايه تبين تحقق الوعد بالعز والتمكين يسبقه اختبار لمعرفه الثبات علي منهج

الله بحيث يكون قلب المومن متصلا بالله

فالايمان هنا يعني ان تومن بما اوجب الله عليك من حق النصره لاخيك المسلم في كتابه العزيز كيف لك ان تقعد جالس تشاهد اهلنا في غزه يذبحون وبينك وبينهم خمسه امتار هي الحدود الفاصله يقف الجندي العربي يشاهد اخاه الفلسطيني يذبح

وهو يموت حزنا لان يداه مكبتلان باوامر الحكام

فالايه تهدف الي تربيه المومنين علي اعداد انفسهم بالابتلاء والتمحيص ليكون اهلا لتحقيق وعد الله بالرخاء وسعه الرزق

ولهذا قرن التقوي بالايمان لان قوه الحب والغضب تحتاج الي التقوي التي تبعث علي ان تحب ما احب الله وما امرك بفعله في كتابه وهي تقوي قوه الغضب فتغضب لما يغضب الله وتنفر مما يبغضه الله

لان امتثال امر الله يتطلب قوه الحب لما يحب وترك ما يكرهه

لان ذلك يوجب ان يكون الضمير حيا يراقب الله في كل افعاله ويحاسب نفسه قبل ان يحاسب فاراد الحق ان يغرس في القلوب الرجاء والخوف بالله وحده يقول لهم ان الخوف والرجاء بغير الله باطل لان مادون الله عاجز لاحول له ولاقوه بل ان خوف المخلوقات ورجااء غير الله احد اسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجو وبخاف غير الله فانه علي قدر خوفك من غير الله يتسلط عليك الشيطان وعلي قدر رجاءك لغير الله يكون الحرمان ولهذا تسلط الكفار علي رقاب المسلمين اليوم عندما ابتعدت الحكومات عن منهج الله فتسلط عليهم الظالمين من المغضوب عليهم فهذا التسلط عقاب الابتعاد عن منهج الله

والعجيب انك تري بلدان عربيه تمد العدو الصهيوني بالغذاء والغاز والنفط وكل ما يحتاج واهلنا في فلسطين محاصرون

بدعوي المصلحه الوطنيه بدل استخدام هذه المقدرات لخدمه الامه ومصالحها صارت سلاحا يوجهه الي خاصره ا لامه سلاحا للعدو لتهددينا به فلا الفقر نفع ...ولا الغني نافع كلاهما صار سلاحا يستخدم لمصادره سلطه القرار من

الامه

والعجيب. انك تري اكثر العوام اليوم من يقتنع بفكره ان الحكام العرب حكماء في مواقفهم ويقولون انهم يحافظون علي المصلحه الوطنيه هكذا ينظرون الي التفريط بالقيم المتعلقه بالولاء والبراء وواجب النصره يقولون ان امتثال امر الله تهور غير محسوب يقولون لو فعل الملك او الرئيس ذلك لحصل لنا الجوع والمجاعه ونحن اعدادنا تفوق مائتين مليون اما اهل غزه فعددهم لايتجاوز اثنين مليون ان هولاء لم يفهموا وحي الله حقيقه ولم يقروا القران كما يجب لم يومنوا. حقيقه ان الله هو الرزاق ان حالهم لاتختلف عن حال المشركين كما وصفهم الله تعالي فقال(قالوا ان نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا) ان مشركي مكه لم ينكروا ان القران كتاب هدايه كما يتضح من الايه لكنهم كانوا يبررون رفضهم القبول به خوفا علي ما يرونه مصلحه عامه سوف تتعرض للزوال فقد كانوا يحظون بالامان وكانوا لهم سلطان علي القبائل العربيه ولهم مصالح اقتصاديه فخافوا ان يفقدونها وان يصبحوا عرضه للاحتلال والرق والخطف الذي كان غيرهم يتعرض له وبالتالي فان مبررات حكامنا اليوم ومن يدور في فلكهم تشبه مبررات كفار قريش لاتختلف عنها ان حال المفكرين والمثقفين العرب الذين يروجون لتلك التبرارت هو مثل حال مشركي مكه من اتباع الهدي ان ايمانهم محل شك فلم يومنوا باليقين فهم محسوبون علي اهل الايمان ارقام بلا قيمه لان الايمان يعني الثقه ب‌الله والثقه بانه محقق وعده فاذا كان الله قد وعد المتقون والمومنون الصادقون بالرغد في العيش وجعل الايمان والتقوي مفتاح بركات السماء والارض فكيف يكون هولاء مومنون ...

وهم لم يصدقوا الله فيما وعدهم وهو القائل(افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياه الدنيا ..الخ

واذا كان الله قد وعدنا بالعز والتمكين والخيرات التي لم يحدد ماهي هذه البركات ولا تفصليها وانما جاء بصيغه الجمع التي تصور البركات الفيض تهبط من كل مكان وتنبع من كل مكان من كل الاماكن ومن كل الانواع والاشكال واستعمل كلمه الفتح لتشبيه البركات بالبيوت التي تفتح ابوابها للتعبير عن اعطائه الخيرات لاهل الايمان والتقوي فقال (لفتحنا) فتعديه فعل فتح الي البركات هنا استعاره مكنيه للانتفاع من بيوت البركه المحتجزه من السماء وا لارض ان التزمنا منهج الله وكان الايمان صحيحا باليقين الجازم وهو يقتضي الثقه ب‌الله

ولهذا فان الانهزام امام الاعداء والتفريط بالقيم وعدم التزام منهج الله من قبل الدوله يعني ان الايمان غير صادق يعني عدم الثقه بوعد الله لمن التزم منهجه وثبت علي الحق وهذا من اسباب زوال الحضارات

وهنا يظهر لنا عله مانحن فيه اليوم من ذل وهوان ومحق فاعدادنا بالملايين ولكننا ارقام بلا فعل بينما اهل غزه صامدون لانهم واثقون بما وعدهم الله لانهم لايخافون في الله لومه لائم

علينا ان نعود الي القران بالفهم الصحيح لندرك المخرج لما نحن فيه فاول خطوه هو الثقه ب‌الله كما وثق المسلمون الاوائل عندما امرهم الله ان يمنعوا المشركين من دخول الكعبه فقال تعالي (فان خفتم عيله فسوف يغنيكم الله من فضله)

المفهوم الرابع

ان الايه تبين اهميه اتحاد التفكير والارداه والعمل كما اوضحنا في نهايه الفقره الماضيه من هذه الايه بالابتعاد عن الانقسام والصراع والاختلاف فالايه وردت كمقدمه لدعوه المومنين لاقامه الخلافه علي منهج الله وعدم التفرقه كما قال تعالي

(ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)

فاشارت الايه الي اهميه وحده التفكير ووحده القلوب ووحده الاعمال والاجتماع علي محبه الله وخشيته وابتغاء مرضاته والاخلاص فان ذلك وسيله تحقيق الوعد بسعه الارزاق والرخاء

والتمكين كما فصل الله ذلك في سوره النور في قوله (وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ....الخ

فتحقيق الوعد مرتبط بالاستقامه الجماعيه علي منهج الله بالشروط الوراده في سوره النور ليغرس في القلوب وا لاذهان مفهوم العباده التي هي دعوه الرسل كلهم بانها ليست محصوره في الصلاه والصيام ...بل هي في جميع شوون الحياه فنظام الحكم والسياسه والاقتصاد يندرج ضمن مفهوم العباده واختيار الشعب للحاكم واقامه الحكم علي مبدا الشوري وسياده الشرع يندرج ضمن مفهوم العباده التي شملتها دعوه الانبياءولذلك نجد ان دعوه الجن لاقوامهم بالسعي لاقامه نظام الحاكميه لله في جميع شوونهم شرط لتحقق الوعد الرباني بسعه الارزاق والرخاء

واقتران الايمان بالتقوي اشاره الي المدوامه علي الاستقامه ومحاسبه النفس لبيان انه قبل تحقق الوعد سوف يحصل ابتلاءوامتحان لاجل التمحيص والاختبار فالاستقامه توجب اتحاد القلوب بالمحبه والابتعاد عن الضغينه و التخاذل الاجتماع يعني تكوين ارداه واحده في جميع الاحوال في الشده والرخااء

ولهذا لابد قبل تحقق الوعد ان يختبرهم في الشده والرخاءوالعسر واليسر ينظر هل يصبروا ويتحملوا المشقه في سبيل الله حتي اذا راي الحق منهم الجد والصبر علي الاذي في محبه الله والاحتمال للمكروه من خوف الله جعل لهم بعد الضيق فرج وبعد الخوف امن وبدل الذل عز

فالاستقامه الجماعيه تعني التقاء علي فكره الايمان يعني ان منهج الله هو مصدر الفكر للمجتمع كله يعني التقاء الا مه واجتماعها وترابطها علي محبه الله وطاعته لا اهواء مختلفه

وبالتالي فان هذا الاجتماع يفتح المجال لتحريك الطاقات المهمله واستثمار المواراد المعطله

ومن جهه ثانيه فان هذا من اسباب قوه الامه لان المصلحه هي التي تحدد حجم الكيان وفعاليته وتاثيره فاذا نظرنا للمصلحه وفق الشريعه الاسلاميه نجد ان اجتماع الامه وترابطها علي محبه الله يعني تغليب المصلحه العامه علي المصالح الشخصيه الضيقيه وهذا يعني اجتماع القوه وتماسكها لاجل تحقيق الهدف والفاعليه ايجابيه لاننا نراقب الله ونلتمس في تعاملنا ارضاء الله والدار الاخره وبالتالي يحصل تحريك الطاقات و التعاون و التماسك للايدي في العمل والعزائم موحده وهذا فيه قوه الدوله المسلمه لان حجم الكيان هو الذي يحدد الفعاليه الدوليه و هو الذي يتوقف عليه التاثير النهائي لان العالم لابد له من الصراع لاجل المصالح فما دام هنالك مصالح في الكون فلابد من صراع وبالتالي كيف للامه ان توجه التحديات وهي ممزقه فالصراع الراسمالي في العالم اليوم بنظرياته المختلفه امتدت اثاره الي وطننا الاسلامي بل صارت ارضنا مسرحا للصراعات في غياب اي دور لا مه الاسلام والنظريه الاسلاميه في هذا المجال نتيجه تفرقنا وتمزق امتنا وتباعد القلوب فقد صارت الامه متحاربه ولهذا سلبها الله النعمه

الامر الثالث

اذا افتقدت البركه في وقتك او مالك او اي شي فعليك ان تراجع حساباتك عليك ان تقرا الرساله من ربك كما هي بان ثمه ذنوب ارتكبتها ادت الي حرمانك نعمه البركه

فلا تتشائم من الاخرين وانما عليك ان تفهم ان ثمه ذنب ارتكبته

وكذلك اذا حرمت التوفيق من امر فعليك ان تدرك ان هنالك ثمه رساله من ربك موجهه اليك لتقراها مفاداها انك اذنبت واخطات وخالفت منهج الله فعليك ان تعيد حساباتك فاذا تاخرت عن الصلاه في وقتها فاعلم ان هذا من

اسباب الحرمان نتيجه تقصيرك

القسم الثاني

ولما كان اي تطور وتقدم مرهون بالاستفاده من التجارب التاريخيه وتلافي. الاخطاء التي وقع فيها السابقون ف التاريخ والطبيعه والواقع من اهم خصائص تطور الامم وتقدمها اذا احسنت التعامل مع تلك الامور وربط قراءه ذلك بالدين لان لكل شي سنن ونواميس تحكمها فالانسان والحياه والكون محكومين بسنن ونواميس توصل الي النتائج ولهذا فان التعامل مع السنن يستوجب استعيابها ومعرفه اسبابها ومسبباتها فلا يمكن القفز فوق هذه السنن التي تحكم الاحداث ولهذا نجد انه بعد تقرير سنه الله الجاريه في بقاء الحضارات واندثارها وفي اللحظه التي تنتفض فيها المشاعر يتوجه الخطاب الي الغافلين فقال تعالي

(افامن اهل القري ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القري ان ياتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لونشا اصبناهم بدنوبهم ونطبع علي قلوبهم فهم لايسمعون)

اولا

ابتدات الايات بالاستفهام فقال تعالي (افامن اهل القري ...الخ

بعد تقرير سنه الله في اهلاك الحضارات وبيان علاقه القيم الايمانيه بتلك السنن ولهذا جاء بالاستفهام في هذه اللحظه تحديدا مناسبا لخدمه الهدف من ذكر القصص(العظه والعبره) والتي تتطلب المشاركه الشعوريه من خلال النظر الي افعال وسلوك المكذبين والعاقبه القبيحه كي يتجنبوا ما وقعوا فيه ولهذا نجد انه بعد ان انتفضت المشاعر وارتعشت القلوب مما حل بالامم السابقه يتوجه سياق النصوص الي محاوره الغافلين من خلال هذا الا سلوب البديع بالاستفهام يشاركهم فيه في صناعه الاجابه في هذه اللحظه والتي لاتحتمل الا اجابه واحده هي التي تقررها الايات وبالتالي فان الاستفهام ينشط العقل والفكر للتفكير. ويوقظ الغافل فهو يريد ان يحسنوا استعمال السمع والبصر لاثار الامم السابقه حتي يكون ذكر القصه منتج لاثاره فالناس كلهم يسمعون ماجري للامم السابقه لكنهم لايحسنون قراءه الاحداث ولاينطرون لانفسهم انه يمكن ان يحل بهم ما حل بالامم السابقه وهذا يعود الي عده اسباب منها عدم الفهم للمعلومه. نتيجه عدم القراءه الصحيحيه وسوء الادراك وعدم التقدير السليم للامور ولهذا جاء بالاستفهام والذي ذهب البعض انه للانكار وقيل انه للتذكير والتعجب للعطف وقيل انه للتذكير والتعجب من امر ليس من شانه ان يقع فيه العاقل

والفاء عطف علي محذوف تقديره اغر اهل القري ما كانوا فيه من نعمه فكذبوا الرسل اطمنئانا منهم بالامن بـ الركون الي ماهم فيه من قوه ماديه ...والسلامه وانه لاتوجد مخاطر

انه شعور ناتج عن عدم الشعور بالمسووليه شعور عن عدم المبالاه والاستهتار ....يقول ما الذي جعلهم لايصلحون الخلل قبل حدوث الكارثه؟ لماذا تفاجاو

لم يشعروا بالمسووليه لانه يستحيل ان تاتي مصيبه بدون اسباب فكل مصيبه تعود لكسب الانسان فالله عادل لا يظلم احد

وان كان لها اسباب علميه فان هذه الاسباب تنتهي الي الله تعالي فاللازم ان تنظر الي سير الاحداث ونتائجها انها بيد الله تعالي انه سبحانه وتعالي هو المتحكم في هذا الكون ..وانه سبحانه وتعالي قد جعل للكون والحياه سنن ونواميس ولهذا فان اللازم عليك ان تقرا القصه من حيث موقف الدين لتري ماهي نهايه كلا من المومنين والكفار بناء علي مواقفهم من الدين لا من وجهه نظرنا الخاضعه للاهواء والملذات فاللازم ان يكون تفاعلك مع القصه من

خلال مشاعر حب المومنين وافعالهم وكراهيه الكفار وافعالهم فنظرتنا تنطلق من مواقف الدين من كل فريق ليكون الانتفاع بالقصه بعكس القراءه الوضعيه للقصه والتي تنطلق من الاهواء والرغبات وبالتالي يحجب علي القاري الرويه لما تحمله من دروس ومفاهيم

الدرس الاول

يريد الحق منك ان تحذر من الوقوع في اللحظه الحرجه التي تفقدك القدره من مقاومه الهلاك الذي لم تستعد له فقال تعالي

افامن اهل القري ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القري ان ياتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون

حيث يصف الحق وقت حلول العذاب علي الغافلين بانه يشكل لحظه حرجه غير متوقعه بالنسبه لهولاء الغافلين في ملذاتهم

فقال (بياتا) اي مفاجاه غير متوقعه الحدوث وهي لحظه حرجه لما يترتب عليها من تحول مصيري في حياه الا مم والافراد

فالايه ترسم لنا صوره لقوه خطر يتعذر تدراكه يعصف بالموسسه ويختل نظام المجتمع وانه تزوال قدرتهم علي الضبط والسيطره فهم في غفله وغره في الوقت الاول فاراد بهذا فالنوم يعني انه مسلوب الاراده والقوه فالنوم ك الموت وفي وقت الضحي وانبساط الشمس كانوا يلعبون فاراد بهذا الاشاره الي ضخامه العذاب وما صاحبه من مفاجاه غير متوقعه الحدوث بالنسبه لهولاء المكذبين وهو مايشوش الذهن ولايملك من حلت بهم دفعها والتصدي لها ولهذا وصفهم في الاولي (وهم نائمون) لان النوم يعني ان صاحبه مسلوب الارداه والقوه فالنوم كالموت وفي الثانيه (وهم يلعبون) لان اللعب يعني ان حركته مثل الطفل الذي يتحرك ولايقصد من حركته جلب منفعه ولادفع مضره بل عملهم اسوء من ذلك لانهم يعملون الاعمال الفاسده التي تضرهم

الدرس الثاني

اهميه استشعار المسووليه الملقاه علي عاتق المسلم حتي لايقع -في الهلاك فالمسلم يجب عليه ان يكون في يقظه دائمه عليه ان يدرك ابعاد مهمته ورسالته التي كلف بها وبالتالي لان عدم الشعور بالمسووليه يفقد الباعث لمعرفه الحقيقه و السكون والركون الي ماهو فيه من حال وبالتالي لايكتشف الخلل الذي يهدد الكيان والموسسه من داخلها حتي تتجمع العناصر التي تشكل عاصفه تعصف بالموسسه فجاءه ومبغته ولهذا قال تعالي (بياتا وهم نائمون او امن اهل القري ان ياتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون)

يصف وقت حلول العذاب علي الغافلين بانه يشكل لحظه حرجه

واذا كان عنصر المفاجاه من اهم عناصر الهزيمه في الحروب حيث ان العدو يلجا الي مفاجاه عدوه ليضاعف من قوته

ولهذا نشاهد كيف ان اثر الكمائن في الحروب ترهق الدول وتوقع بها الهزائم ولذلك تجد الجيوش علي اهبه الا ستعداد تاخذ احتياطها اللازمه لجميع الاحتمالات وتسد الثغرات وتبقي العيون ساهره لمنع اي هجوم مفاجي. .من خلال معرفه نقاط الضعف وتلافي اي خلل لان الازمات تنشا من خلل في النظام

حيث تبدا بالتكوين ثم تنمو الي ان تصل الي مستوي الاتساع وعندها يتفاجا بها عديمي المسووليه والاستهتار الذين لايعالجون الداء قبل انتشاره وقبل ان يصل الي وقت لايتسع لتلافيه وتدراكه وهذا يتطلب ان يكون الا نسان في يقظه شاعرا بالمسووليه الملقاه علي عاتقاه ولهذا قال تعالي(افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله. الا

القوم الخاسرون)

ثانيا

الايات تحذر المسلمين من الغفله عن طاعه الله وتحثهم علي اليقظه ولهذا جاء الانكار بعد الانكار للمبالغه في التوبيخ والتشديد من الغفله والركون الي الماده وليس المراد بالتخويف تعطيل الحياه كما تصور البعض ان يحذر العبد الركون الي مااعطاه الله من نعم حيث ان البعض يري ان ذلك من علامات حب الله وايضا ينظر اليها انها قوه تحميه وهذا يعود الي اساءه التقدير للامور وعواقبها نتيجه الغرور ولهذا نجد ان الايات وردت بعد عرض لحظات الضعف الانساني يريد ان يمس الواجدان البشري بقصد شد انتباه ليجعله يعيد ترتيب احواله يقول له استفيق قبل ان يفجاءك العذاب وزوال. ماانت فيه من نعيم ولهذا قال تعالي (الم يهد للذين يرثون الارض. من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم)

الامر الاول

فالتحذير دعوه لامه الاسلام لانه الوراثث لجميع صور الاديان والتدين ولهذا فان الايات الاربع الخطاب فيها موجه الي امه الدعوه المحمديه في زمن الرساله وفي كل زمن الي ان يرث الله الارض ومن عليها فالتعبير جاء في سياق النفي والاستفهام داخل علي فعل محذوف ومعطوف علي ماقبله وللتقدير وجوه كلها تفيد الغره وهو ما تذهب النفس فيه كل مذاهب في تفكيرها بما ذكر من حال اهل القري وسنته في اخذهم فكلمه الم يهد تعني الم يتبين للذين يرثون الارض ان شانهم كشان من سبقهم لانهم خاضعون لسنه الله التي لاتحابي احد حتي نحن المسلمون لانك تقول هداه السبيل وهداه الله اي دله عليه وبينه

فليس المراد بالتحذير تعطيل الحياه بالتخويف المستمر لان ذلك يعني شل الطاقه ويتوقف الناس عن العمل والا نتاج وانما يريد تخليصها من الاستهتار والاستهزاء واساءه التقدير للاشياء والحقائق حيث ان اغلب الناس يقرا التاريخ ويجد ان ظروفه تتشابه مع اعمال وظروف الكفار من قبل ولكن لاينظر ان نهايته سوف تكون مثل نهايه اولئك المكذبون

الامر الثاني

ان الغرض من التحذير تفجير الطاقات الخلاقه وليس شل الطاقه وتعطيل الحياه بل بنا ء الحضاره وحمايتها من التهديد المستمر والذي يتخذ علي مسار التاريخ صورا متعدده ومختلفه

ولهذا يقول الحق ان هذه الحمايه مستحيله بدون الايمان الذي يحقق به وحده القلوب والافكار والاجتماع علي طاعه الله ومحبته لان الاخطار التي تهدد الوجود للامه لن يتوقف مادامت الحياه مستمره فالصراع بين الحق و الباطل لن يتوقف لان امهال الشيطان الي الموعد المحدد هو لانه له مهمه في هذا الصراع فاراد تقويه مشاعر اليقظه بحيث يكون كل فرد مساهما في بناء حضاره الاسلام وشاعرا بالمسووليه لان. الحياه ماهي الا صراع في ا لاول والاخير فالانسان في معركه مع الباطل ومعركه مع الطبيعه صراع بين البقاء والفناء ولهذا فان الانسان الي اليقظه حتي لاتقعوا في دوامه المفاجات التي تداهم كل من لم يحذر العاقبه التي يصير اليها ولم يعمل عملا لنفسه يحفظها من سو المصير فيقول انظروا الي الامم السابقه لماذا لم تنتفع بدليل الحدث حتي حلت الكارثه ما السبب انه لم ينتفع بالتاريخ :-

لانه نظر الي ان السلطه والمال والجاه هو معيار القوه وراي انه في مامن من العقاب ولذلك هو يتصرف كيفما يشاء بالركون الي نفوذه وقوته هذا ما نراه في واقعنا ان اصحاب النفوذ وابناءهم من المشايخ وغيرهم الذين يمتلكون قوه تاثير علي السلطه والانظمه يعبثون باحوال الناس لماذا لانهم ينظرون الي انهم لن يحاسبوا من قبل السلطه

والايات تتحدث عن سنن سقوط الحضارات واندثارها فاراد الحق بهذا التحذير ان يستفيق امثال هولاء من غفلتهم وان يفهموا السنن الالهيه في زوال الحضارات والنعم فقد شاهدنا انظمه تتساقط وقاده تذل وتهان هل كان القذافي واولاده يتوقعون النهايه المولمه بنظرك قبل فبرير؟

من الموكد انهم لم يكونوا يتوقعوا لذلك ولهذا فان الحق يريد منك ان تستفيق قبل حلول العذاب عليك ان تلتقط اشارات الانذار لتصويب الخلل قبل وقوع الكارثه فلا تغفل عن تدابير الله الخفيه فمكر الله تدبره الذي يخفي علي الناس والتي تكون باقامه سنته واتمام حكمته وكلها خير فعدم الاستفاده منها من قبل الكثيرون يعود الي جهلهم وسوء اختيارهم جهلهم بصفات الخالق الجبار ووحده لاشريك وانه فعال لما يريد

وجهلهم بسنه الله اغترار بالظواهر الغني يغتر بغناه والعابد بعبادته فيخطي تقدير ما قدره الله تعالي فيظن ان ماعنده يبقي ولهذا فان الايه تحذر من ذلك الفهم الخاطي وتدعوا الي الابتعاد عن سلوك الكفار من الاستهتار وعدم المبالاه والغرور

فقال تعالي (الم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لونشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع علي قلوبهم فهم لا يسمعون)

فاراد تهذيب النفوس بان تظل مشاهد الدمار والهلاك حاضرا ماثلا منصوبا امام اعيوننا لنعرف انه اذا ارتكبنا جريمه فسوف يحل بنا العقاب الذي حل بالامم السابقه

الدرس الثاني

مما سبق يتضح ان التحذير ليس لشل الطاقات وتعطيل الحياه بالتخويف بل العكس من ذلك اراد تفجير الطاقات الخلاقه وحمايه الحضاره من التهديد المستمر والذي يتخذ علي مسار التاريخ صورا مختلفه فالصراع في الحياه لا يتوقف مادامت الحياه مستمره ولابد من مواجهه الاخطار والاعداء ولهذا نجد ان الايات تحدد لنا اسس تفجير الطاقات الخلاقه التي نحتاجها لمواجهه التحديات واهم هذه الاسس

التاريخ ودوره في تكوين الرؤيه الحقيقه للاشياء:-

لان التاريخ هو الماضي الذي يبني عليه الحاضر من خلال معرفه تجارب السابقين ودراسه احوالهم. وظروفهم و النهايه التي انتهوا اليها بقصد العظه والعبره والاستفاده من ذلك

فدراسه احوال الامم والماضي ينبغي ان يكون بقصد معرفه اسباب هلاك الامم ونجاتها معرفه كيف كان وضعهم قبل الهلاك في الترف والقصور

فماذا كان سبب الهلاك انه ظلم الحق وعدم تنفيذ منهج الله انه الخروج عن طاعه الله

ولهذا فعليك ان تفهم ان البحث في الارض ودراسه التاريخ لاينتج اثاره مالم توجد الرغبه والاراده الصادقه في الا ستفاده. من دليل الحدث بحيث تكون نظرتك الي النتائج انها موكده الحصول لكل مقدمات تسلك ذات الطريق الذي سلكه الهالكين من الامم الغابره تنظر الي النتيجه انها حتميه فالله تعالي يقول

(وكاين من قريه اهلكنها وهي ظالمه فهي خاويه علي عروشها وبئر معطله وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها واذان يسمعون بها فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

ولهذا فان الفارق بين سماع المومن لاخبار الامم السابقه تختلف عن سماع الكافر لان دراسه المومن لتاريخ الامم تزرع في قلبه الخوف من ان ينتهي به الحال الي المصير الذي انتهت اليه تلك الامم وبالتالي فان القلب يكون اداه

تعقل صاحبه فتمنعه من الوقوع فيما وقعوا فيه فالعقل ماخوذ من العقال الذي يربط به الخيل فيمنعه من الحركه السريعه المتهوره لان نهايتها حتما سوف تكون الهلاك والدمار عند كبوح الخيل

وبالتالي فان دراسه التاريخ لايقصد بها مجرد قصه ورؤيه تتناقلها الاجيال وتجاهل اسبابها التي كانت وراء الهلاك الذي حلل بالامم السابقه والتي تعود الي الانحراف والخروج عن منهج الله

2

اهميه فهم السنن التي تحكم الحياه واستعيابها والقدره علي تسخيرها والتعامل معها :

ولهذا يقول الحق كيف تشاهدون اثار الامم السابقه وتسمعون اخبارهم بان الهلاك والدمار كان بسبب خروجهم عن منهج الله وبالتالي فاذا كانت النتيجه (الهلاك والفناء) حتميه وهي سنه الله المتكرره في معاقبه المخالفين عبر الا زمان كيف تفضلون ايثار الجهل علي العلم كيف تفضلون ايثار المعاصي علي الطاعات كيف تفضلون المصلحه العاجله ذات الامتدادالزماني والمكاني ان هذا يعود الي سوء الفهم والادراك الناتج عن خداع العقل صاحبه لان من كان عقله مكار بصاحبه فانه يتبخط لانه لايوجد لجام يمسك بتصرفاته كي يعود الي الصواب لانه يستبعد عن نفسه ان تكون نهايته مثل نهايه الامم السابقه حتي لو تشابهت ظروفهم واحوالهم وافعالهم مع ظروف السابقين

حيث ان عدم الانتفاع من التجارب التاريخيه يعود الي العمي القلبي الناتج عن ارتكاب الذنوب فهو نوع من الا ستدراج لانه ينظر الي التاريخ وما حل بالامم نظره استهزاء واستخفاف نتيجه الغرور حيث ينظر لنفسه انه اكثر ذكاء من الامم السابقه

ينظرون لانفسهم انهم اكثر تقدما وتطورا من الاولين بحكم انهم يمتلكون اخر ما انتجت البشريه من علوم وقوه وان حياتهم اكثر رفاهيه وعقولهم اكثر قدره علي تجاوز اسباب الهلاك الذي حل بالامم البدائيه بنظرهم وان حياتهم وزمانهم يختلف عن حياه الامم السابقه وزمانها وبالتالي لاياخذون العبره ولاينتفعون من دورس التاريخ وتعمي ابصارهم ولايرتدعون من الاستمرار في ارتكاب المعاصي

ولهذا يقول الحق اذا كانت السنن تقرر ان ارتكاب المعاصي توجب زوال النعم وهلاك الامم واستبدالها بقوم اخرين ولهذا فان اللازم عليك ان تاخذ من هذه السنن دليل تضعه في ذهنك ان سنه الله لاتحابي احد حتي نحن المسلمون فهي لها قوانين ثابته عليك ان تفهم ان تلك الامم منحهم الله كل اسباب العز والتمكين في الارض اكثر منكم تمثل في عالم زمانهم قوه تفوق قوه البشر في هذا الزمان فما انعم الله عليهم من الانهار والامطار والخيرات تعد كثيره مقارنه بعالم زمانهم وتاريخهم واماكنهم واعداد الناس وما يمارسونه من سلطه هي اكبر مما لكم في هذا الزمان اما الجاهل فهو ينظر الي التطور ووسائل الحياه المتاخره في الزمن المتاخر ومافيه من تطور فيغتر ان له سلطه وقوه اكبر من الامم السابقه متجاهلا ان عامل الزمان والمكان متغير من حيث فهم الناس لوسائل الترف والقوه والسلطه ولهذا يغرس في حياه كل امه اثرا معينا بقدر المتاح له في زمانه

وفوق هذا وذاك فعليك ان تنظر ان للقصه نظره المومن المتامل الذي يدرك ان كل شي يتم وفق تدبير الله تعالي وقدرته فالكفار السابقين لايختلفون عن الكفار المتاخرين فالله يقول في موضع اخر (اكفاركم خير من اولئلكم ام لكم براءه في الزبر ام يقولون نحن جمع منتصر)

3

يريد الحق منك ان تفهم ان فاعليه الامه والقيام بدورها في حمل الامانه يكون بادارك السنن واستعيابها وحسن تنزيلها فهو يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الارض والاضطلاع بحمل الامانه او هي مفتاح المعرفه لقصه الانسان علي الارض منذ بدء الخلق حتي ينشا الله النشاه الاخره فمن خلال هذه السيروره تتضح المعالم وتكتشف الفوانين

والسنن ويتولد فقه التعامل معها

ولهذا يقول الحق لامه الدعوه المحمديه عليكم ان تدركوا ان فقه السنن لايحابي احد حتي انتم المسلمون فكيف تستبعدون ان يستدرجكم الله نتيجه مخالفتكم لمنهج الله وارتكابكم المعاصي فقال تعالي (ان لو نشاءاصبناهم بذنوبهم ونطبع علي قلوبهم فهم لايسمعون)

والطابع والخاتم ماخوذ من الطبع بالتحريك وهو الصدا الشديد فيقال طبع السيف والدرهم اي ظربه وطبع الكتاب وعلي الكتاب ختمه اذا ضرب عليه الطابع والخاتم بعد اتمامه ووضعه في ظرفه حتي لايدخل فيه شي اخر

ومنه الطبع والسجيه ولايستعمل الطبع علي القلوب اشاره الي فسادها فهي لاتقبل معها خيرا كالهدي والايمان و العلم النافع الذي هو فقه الامور وهذا انما يحصل بالاصرار علي الشرور والمعاصي واستحاسنها حتي لايعود للخير ولايرجي منه فائده ولهذا قال (فهم لايسمعون) سماع تاويل واتعاظ وليس مجرد سماع فقط وهذا ماحل بـ المسلمين عندما ارتكبوا المعاصي وخرجوا عن طاعه الله فكان ذلك سببا لزوال ملكهم

القسم الثالث

(تلك القري نقص عليك من انبائها وولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين)

اولا

ابتدات ايات هذا القسم باسم الاشاره (تلك) بعد ان انتهت ايات السوره من الحديث عما جري في في الامم السابقه من احداث وكيف كان موقفهم من الدين ومن دعوه الانبياء لهم و

سنن الله الجاريه في اهلاك المكذبين تتوجه الايات بالخطاب الي النبي صلي الله عليه وسلم ليطلعه علي النتيجه ا لاخيره لما ابتلاء الله به الامم السابقه وما تكشف عنها من حقائق عن طبيعه الكفار والفرق بين سماع الكافر و المومن ونظره كلا منهما

فاستخدم المولي (تلك القري نقص عليك من انبائها) فيها الاتي

الامر الاول

تلك اسم اشاره القري التي تقدم ذكرها من قوم نوح وثمود وعاد وقوم لوط وقوم مدين التي (نقص) نتلو عليك من اخبارها اي ما كان من امرها مع الرسل بما يحصل بها عبره للمعتبرين

فالحق يريد منك ان تفهم ان الاخبار التي ذكرها الله علي نبيه هي من عند الله لم يكن الرسول(ص) يعلم بها ولا قومه فهي وحي من عند الله تعالي فهي تايد صدق دعوه الرسول صلي الله عليه وسلم وتسليه وتثبيت لقلبه

الامر الثاني

ان استخدام اسم الاشاره يوكد اهميه الحفاظ علي الطاقات ولهذا يقول الحق ان المعركه ازاليه بين الحق والباطل فالصراع لايتوقف مادامت الحياه فلست وحدك الذي يوجه الكفار في هذه المعركه فقد سبقك العديد من الانبياء فقال تعالي (من انبائها)

فلفظ التبعيض (من) اشاره الي ان هناك اخبار لم نقصها عليك وانما ماذكر نماذج للاقتداء والتدريب لان الابتلاء سنه ثابته

فاحذر من الاحباط لما يفعله الكفار فطبيعه الكفار واحده في كل زمان فذكر القصص هي للتثبيت كما قال تعالي (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك)

2

وايضا ليحترس المسلمون من ان يعملوا تلك الاعمال فعليهم ان يعتبروا بما حل بالامم السابقه ولهذا فان. هنالك فرق بين سماع المومن والكافر للقصص

3

الفرق بين سماع المومن للقصص وسماع الكافر

ان قراءه المومن للقصص وسماع الاخبار المتعلقه بها تختلف عن سماع الكافر فسماع الكافر هو للتسليه والا ستخفاف وعدم المبالاه

اما سماع المومن لها يعني اعتقاده باليقين الجازم انها وحي من عند الله تعالي وبالتالي فلابد ان يكون له موقف منها

4

لماذا لابد للعبد ان يكون منها له منها موقف

لانها كلام الله الخالق الخبير والله لايمكن ان يقول كلاما ليس لك منه. موقف مطلوب منك ان تقف فيه فانت عندما تسمع كلام الله لابد ان تحمل الامر علي الامر اوالنهي عليك ان تعود نفسك ان يكون لك منها موقف (اقتباس من تفسير النابلسي)

فعندما تسمع ايات وصف الجنه ومافيها من نعيم فان المطلوب منك ان تسعي الي طلب ارضاا ء الله تعالي اي تتكون لديك قوه جذب لطاعه الله وعندما تسمع ايات وصف النار ومافيها من عذاب فان المطلوب منك ان تسعي الي اجتناب غضب الله اي ان وصف الجنه يدافعك الي عمل الاعمال التي تقربك الي الله ووصف النار يعني تقويه قوه الغضب فتنفر عن كل عمل يغضب الله ثم بعد ذلك فان المطلوب منك ان تتخذ موقفا اخر بان تجاهد لازاله المنكرات في المجتمع وتنشر الخير اي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر .....

5

والسوال ما الحاجه الي الموقف طالما ان العبد يحب المعروف ويكره المنكرات :-

انه لايكفي ان يحب الانسان المعروف ويبغض المنكر في المعركه مع الباطل والصمود امام الابتلاء والاعداء سؤاء النفس او الهوي او الشيطان او الكفار والمنافقين فلابد للمسلم ان يقف بثبات امام الابتلاء الذي هو سنه الله التي تسبق التمكين فحب الله يعني انك سوف تتعرض لامتحان يظهر فيه العبد الصبر علي الاذي في طاعه و القدره علي التحميل ابتغاء مرضات الله

فلا يضعف المسلم امام الابتلاء ولايستسلم عليك ان تستلهم من القصص الدروس والعبر للتدرب علي الثبات علي الحق

فالايات كما اوضحنا تهدف الي التثبيت وعدم الاحباط لان المسلم مكلف بالاستمرار بالدعوه وعدم و التوقف ولهذا :

فالموقف الاول علي المسلم يمثل مرحله السيطره التي تعني ان يلزم نفسه ان يحب فعل الطاعات ثم ينتقل الي مرحله والامر بالمعروف واللازم ان يجتنب المعاصي وينهي عنها فلايكفي ان تعمل الطاعات وتترك المعاصي دون ان تعمل علي ازاله المنكرات من الارض اي عليك ان تسعي جاهدا في تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر وهدا يعني ان توسع دائره الدعوه الي من من تقدر ان تاثر فيهم

ولهذا فان هذا يقتضي عليك ان تشعر انك في معركه مع الباطل انت في صراع دائم ومستمر مادامت الحياه

ولهذا فان الملاحظ في حكايه القران الكريم لاحوال الكفار واوصافهم وافعالهم وظروفهم نجد انها تذكر علي سبيل الذم لهم ولاحوالهم وافعالهم ويذكر ما فيها من مفاسد وترسم النهايه القبيحه التي انتهت اليها تلك الامم ف الحق يريد منك ان تشاهد ذلك علي وجه البغض والكراهيه لهم ولافعالهم فتحذر ان تسلك الطريق الذي سلوكه يغرس فيك قوه النفور منهم ومن افعالهم فتحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه

وعندما يحكي القران عن احوال المومنين يذكر ذلك علي سبيل المدح لهم ولافعالهم واقوالهم وبيان منافع اعمالهم ويرسم النهايه الجميله لمصيرهم ليشهد المومن رؤيتهم علي وجه العلم والمعرفه والمحبه والتعظيم لهم ولا خبارهم واثارهم فيحصل الاقتداء بهم .

ثانيا

مما سبق يتضح لنا ان الحق سبحانه وتعالي رحيم بنا فعندما امر النبي صلي الله عليه وسلم بالجهر بالدعوه و القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جعل الوحي هو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ولهذا

قال تعالي (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين)

الامر الاول

-

فاراد بهذه القصص اعطاءنا النماذج للاقتداء في معركه نشر الخير وتنميه جوانبه ومحاصره جوانب الشر ولمواجهه الاعداء في المعركه علي الباطل

ولهذا نجد ان الايه ورد فيها قوله تعالي (ولقد جاءتهم رسلهم)

ولم يقل كما في هو في موضع اخري (وجاءتهم رسلنا بالبينات)

حيث والملاحظ انه عندما يذكر الاحكام التي تاتي عن الله ينسب الرسل اليه سبحانه وتعالي ويقول رسلنا كما ورد في سوره المائده (من اجل ذلك كتبنا علي بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفسادا في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون)

اما عندما يتكلم بما يتعلق بموقف القري من الرسل وما اصابهم من سؤء ينسبهم اليهم ويقول رسلهم وايه الاعراف تتحدث عن موقف القوم من الرسل وكان عليهم ان ينتفعوا بما جاء به الرسل فاراد الحق بهذه القصص ان يثبت المومنين علي الحق ويرشدهم الي دليل التعامل مع الحياه من خلال فهم السنن التي تحكم الحياه بكل تحولاتها ومن جهه ثانيه يغرس في مشاعر كل داعيه فعليك الاهتمام بامر الدعوه واستنقاذ الاخرين باخراجهم من الظلمات والاحساس بضخامه المعركه مع الباطل وان هذا الصراع بين الحق والباطل سنه الله فالصراع دائم مع

الباطل ما دامت الحياه مستمره

لكن الاهتمام بالدعوه واستنقاذ الاخرين لايعني ان ترهق نفسك بما يفقد المرء طاقاته فلا تصل الي الاحباط كما ق ال تعالي (فلا يكن في صدرك حرج منه) ولهذا يكشف الحق للنبي صلي الله عليه وسلم عن طبيعه الكفار في كل زمان (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك

يقول لك الحق ان المعجزات لاتخلق الايمان فان الكفار في الامم السابقه لم يكن ينقصهم المعجزات ليومنوا فقد ارسل الله اليهم الرسل واقام الحجه علي المكذبين وانزل مع الرسل المعجزات الداله علي صدق الرسل فهل حصل الايمان منهم.

لم يستجيبوا ولم يتفاعلوا مع الحق فلم يكونوا يطلبونه ولهذا لم يستجيبوا فلم يوجهوا انفسهم وقلوبهم لاستقبال موجبات الهدي ودلائل الايمان فالذي ينقصهم الاستعداد لقبول الحق كانوا يحتاجون فتح نوافد الايمان فقد حجروا علي عقولهم بالجحود والعناد والكفر وعدم الرغبه وبالتالي فلا ترهق نفسك في بذل الجهد الزائد عن طاقتك فليس كفرهم عائد الي التقصير في البيان وانما هذا عائد الي طبيعه الكفار فقد تحجرت قلوبهم واستوت عندهم المعجزات قبل مجي الرسل بها وبعد المجي بها لان الله طبع تلك القلوب عقوبه لها علي ما ارتكبوا من ظلمهم الخير فهي لاتنتفع بالايمان ولاتستجيب ولاتتفاعل مع الايمان

الامر الثاني

ان التفاعل مع دعوه الايمان يتطلب ان يكون لدي الطرف الاخر رغبه في معرفه معرفه الحقيقه رغبه صادقه في اكتشافها والاقتناع بها وهذا هو شرط الاستجابه ولهذا فان مهمه الرسل والانبياء والدعاه هو تحريك عناصر التفاعل القابله للتفاعل ولديها الاستجابه الصادقه وبدون ذلك لاتنفع البينات

ولهذا فعندما تشاهد من يتخذ قرارت قبل ان يتبين حقيقه الحكم وقبل ان يحيط بها علما وقبل ان يتمكن من المساله فان مثل هذا الشخص احمق وجاهل ومن الطبيعي ان تكون قرارته خاطئه ولهذا فان مثل هذا الشخص قد اجتمعت فيه (نقص المعلومه...وسوء الفهم) كما قال تعالي في ذم الكفار فقال تعالي (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتيهم تاويله)

فالشعور بكمال المعرفه جعلت هولاء يرفضون سماع ما جاءهم به الانبياء وحتي لو وصلت المعلومه فان سوء الا دراك والفهم والتحليل للمعلومه تجعلهم يفهمونها بشكل خاطي ولهذا قال تعالي (فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل)

اي استوت عندهم المعجزات قبل مجي الرسل بها وبعد المجي بها فاذا كان البيان يهدف الي ايصال المعلومه صحيحه فان البعض يفهمها بشكل خاطي لانه ليس مستعد للاحاطه بها علما والتمكن منها لان القلوب التي هي مركز الفهم قد طبعها الله عقوبه لها فهي لاتتفاعل مع الحقيقه ولاتقبل بها

الامر الثالث

تبين النصوص ان منشاء سؤء الادراك للمعلومه التي جاء بها الانبياء والرسل لاقومهم برغم انها واضحه لاغموض فيها هو التكذيب بها اول مره دون ان يتفحصوا حقيقه ما دعاهم اليه الرسل ولهذا استوت عندهم دعوه الرسل قبل مجي المعجزات وبعدها فلم تغيير من حالهم شي ولهذا جاء اطلاق السبب التكذيب فقال تعالي (فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل) بينما في سوره يونس جاء فيها (فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل) فيها التخصيص لان الايه قبلها قال تعالي فيها(واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبه ...الخ فقد حدد التكذيب بالايات هنا

اما في الاعراف فقد اطلق التكذيب في الايه قبلها بالنظر لقوله

(ولكن كذبوا فاخذناهم) ولهذا جاء اطلاق التكذيب بانه ورء سوء الادراك لان الفهم الخاطي يعودلخلل فكري او نفسي او غياب الرؤيه الكليه فجاء الاطلاق مناسبا لاحوال القري المتعدده فالكذب سببا لكل ذلك للاتي

1

(من حيث الخلل الفكري)

وهذا يعود لان الكذب يودي الي افساد قوه التصور للمعلومات فيصور المعدوم موجودا والموجود معلوما فلا يدرك قيمه الدليل ولهذا استوت لديهم الدعوه قبل المعجزه التي كانوا يطلبونها وبعد مجي الرسل بها فلم يحدث اي تغيير فالكذب قد افسد عليهم تصورهم وعلمهم عقوبه لهم

2

من حيث الخلل النفسي

ان فساد قوه التصور والعلم يعني فساد قوه الارداه لان التصور هو اساس كل فعل ارداي ولهذا فان الحاله النفسيه تجعله يري الامور بصوره مغايره لحقيقتهايقول ابن القيم (ان نفس الكاذب معرضه عن الحقيقه الموجوده نزاعه الي العدم موثره الباطل)

3

من حيث غياب الرويه والثقافه

لان الكذب يسري من النفس الي اللسان والجوراج و ويفسد اعماله واحواله واقواله فقال تعالي (فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل) ويقول في موضع اخر (ولو ردوا لعادوا لمانهوا عنه وانهم لكاذبون)

الامر الرابع

يقول الله لعباده احذر الكذب لانه يكون سببا لعقوبه الله بان يقعد الكاذب ويحبطه عن مصالحه ومنافعه فقال تعالي (كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين)

لان القلب هو مركز الفهم للمعلومات فيطبعه الله بحيث لايكون صالحا لاستقبال الحق فهو محكم الطبع علي قلوب الكفار ولهذا يحذر الله امه الاسلام من هذا العقاب الذي حل بالامم السابقه

فالكفر سبب تفويت الفرصه للنجاه لعدم الرغبه في تصديق المعلومه والسعي لاخفاءالحقيقه وتشويها لانها لا تناسب رغباتهم ولهذا تشكل الذنوب ران القلب حتي يتكون غشاء وختم وطابع يجعل القلب مقفلا بقفل محكم لا ينفذ اليه الانوار الربانيه

ثالثا

تنتقل النصوص الي كشف طبيعه الكفار من خلال الوقوف علي التجارب السابقه بانها طبيعه واحده فهم اتصفوا

(وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين)

فالاغلبيه اتصفوا بنقض العهود ..اي عديمي الوفاء ..وخارحون عن الطاعه

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

علي المسلم ان يقف مع نفسه ويسالها عن تعامله مع الله ....

هل حافظت علي عهدك مع الله ..اسال نفسك قبل ان تنام ماذا فعلت في يومك هل كان السلوك الفلاني موافقا للعهد مع الله

هل التزمت في حديثك مع فلان اداب الاسلام هل اقمت الصلاه علي اكمل وجه ...كذلك فان الطبيب يسال نفسه هل حافظت علي العهد الذي اقسمت به بان تبذل جهدك في الحفاظ علي ارواح الناس ام انك خالفت القسم والعهد ونظرت للماده ...

والمحامي عليه ان يقف مع نفسه هل كان عمله موافقا لمبدا تحقيق العدل ونصره المظلوم ام ان الماده هي التي تحكم عمله والمهندس والمعلم والمحافظ والرئيس وهكذا

فهذه كلها عهود منبثقه عن عهد الايمان

الامر الثاني

تبين النصوص اهميه الحفاظ والالتزام بالقيم والمثل العليا فلا يجوز التفريط بها مهما كانت المصلحه فقد جعل الا سلام لكل هدف معيار للموزانه بين المصالح والخسائر تتناول التكلفه الماديه والقيميه معا فلا يجوز التفريط بقيم مثل الوفاء فهذا الالتزام القيمي يعود بالنفع علي المكاسب الماديه لوجود ارتباط بين المصالح جميعها بحسب الرؤيه التكامليه الاسلاميه فالمصالح لاتبرر التفريط بالقيم

ولهذا يذم الله الكفار بان طبيعه الاغلبيه منهم انهم لايلتزمون بالعهود ولاتجد لهم انقياد لاوامر ونواهيه

فطبيعه الكفار تميل للفوضي والعشوائيه ولاتقبل الانضباط نتيجه الكبر والعناد فهم تابعون لمدرسه الشر الشيطانيه وزعيمهم ابليس اللعين

الامر الثالث

تهدف الايات الي تربيه المومنين علي سلوك الامانه في نقل المعلومات حتي عن الاعداء ولهذا استخدام الحق كلمه (لاكثرهم) فهذا الاحتراس في القران بعرض الحقائق يعني ان اللازم علي المومن الانتباه من القي التهم جزافا وانما يعطي كل ذي. حق حقه فاالله يخبرنا ان الاغلبيه استحقوا الذم لكفرهم ونقضهم العهود وان هنالك اقليه تستحق المدح للوفاء بالعهد ولهذا جاء(من عهد) للتبعيض تاكيد ان هنالك اقليه امنوا واتقوا

المقطع الثامن

الاعراف

ايات هذا المقطع تتناول قصه سيدنا موسي عليه في سبعين ايه تتناول في الشطر الاول منها مادار بين موسي وفرعون وملئه وما انتهت اليه من. اغراق فرعون وملئه ونجاه موسي ومن معه ثم تتناول في الشطرالثاني مادار بين موسي وبني اسرائيل من محاورات تدل علي اصرارهم علي الكذب والافساد والفسوق ...وبالوقوف علي الشطر الاول المتعلق بمادار بين موسي وفرعون وملئه والحوار الذي دار بين موسي وفرعون الي نهايه القصه نجد انها ابتدات بقوله تعالي (ثم بعثنا موسي من بعدهم باياتنا الي فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبه المفسدين) وقد ابتدات القصه باداه العطف (ثم) بعد ان تحدثت النصوص قبلها عن اخبار خمس رسالات سابقه هي رساله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب والاصل ان وضع ثم اللغوي هو الترتيب بمهله اي الترتيب مع التراخي والايذان بان الثاني انما يجي بعد الاول بمهله ومما لاشك فيه ان مجي موسي عليه السلام هو بعد جميع الانبياء المذكورين لكن تخلل ذلك ارسال العديد من الرسل امثال اسحاق ويعقوب ويوسف والاسباط ولهذا فليس المراد بالتراخي الزماني هنا فموسي لم ياتي بعد الرسل المذكوره مباشره

وانما المراد (ثم) التراخي الرتبي لا الزماني وهو ما يتناسب مع اغراض القصه للاتي

الدرس الاول

تهدف النصوص الي تقويه عزائم المسلمين والهمم في مواجهه الاعداء الذين كانوا يسعون الي اجتثاث الهمم و المدركات من خلال الحاق الهزيمه النفسيه بالمسلمين الذين كانوا قله في مكه وضعفاء ينكل بهم المشركون اشد التنكيل مع بدء الدعوه الجهريه ولهذا فان العطف لقصه موسي علي ماسبق يهدف الي اخبار المسلمين ان طبيعه الكفار واحده في كل زمان فقد بعث الله العديد من الرسل الي الامم المختلفه تركز علي اظهار رده فعل الناس علي الرسل الذين بعثهم الله الي الامم بان طبيعه الكفار واحده في تلقي ما ياتيهم به الرسل من ربهم فطريقتهم واحده يتلقون ذلك بالتكذيب والاذي ولهذا فان ذكر قصه ارسال موسي عليه السلام باسلوب العطف (ثم بعثنا من بعدهم موسي باياتنا الي فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبه المفسدين) بعد ذكر اخبار قصص انبياء الله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب مع اقوامهم لاتعني التراخي الزماني فالمهله هنا في العطف باعتبار مجموع الامم المحكي عنها قبل لان ما بين موسي والانبياء الخمسه نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ازمنه طويله وتخلل ذلك ارسال العديد من الرسل امثال يوسف واسحاق. ويعقوب واسماعيل ومما لاشك فيه ان هولاء الرسل قد شملتهم النصوص في الايات السابقه التي اختتم بها المقطع السابق عن ذكر احوال اهل القري بشكل اجمالي في معرض الحديث عن مقابله الناس لانبياءهم والايات التي جاوا بها والتي توكد صدق نبوتهم فاخبرنا الله انهم قابلوا ذلك بالتكذيب ونقض العهود والفسق اشاره الي انهم تابعين لمدرسه الشيطان فقال تعالي (تلك القري نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدن اكثرهم لفاسقين) ولهذا فان الانتقال الي قصه موسي هي من باب عطف قصه علي قصه عطف خاص علي العام للاشاره الي ان المعركه بين الحق والباطل مستمره وانه لم ينقطع ارسال الرسل وان المعجزات الموضوعيه ليست هي التي تخلق الايمان بل التواضع والاستعداد لقبول الحق هو الذي يودي الي قبول الحق وهذه الصفات توجد عند القله من الناس الذين يحافظون علي فطرتهم وانسانيتهم فلا يتاثرون بالماده والمصالح العاجله فمن بقي فيه بقايا من اثار الفطره يكون قابلا للتفاعل مع دعوه الحق وهو يحتاج الي محرك يثير الانفعالات الخلاقه لكن حال الامم التي ارسل الله اليها الرسل ان اغلبيه الناس قد اصيبوا بعدوي الشيطان من الكبر والتكذيب والعناد فاغلب الناس لاينجون من الوقوع في مصيده ابليس ولهذا نجد ان الايه تصرح بالغرض الذي تتحدث عنه السوره هو التخويف من عواقب التكذيب ومن الاستكبار و التعالي والبغي والظلم لان تلك الامور هي الات ابليس واسلحته المهلكه التي لاينجو منها العالم فضلا عن الجاهل

ولا الفقير فضلا عن الغني فاغلب الناس تابعين لمدرسه الشر الابليسه التي تتصف بالفسق والعصيان والكبر والبغي والظلم

فالناس منقسمون الي فريقين فريق الخير وهم الذين يتبعون مدرسه الخير التي يمثلها الانبياء والرسل ومن اهتدي بهديتهم ومدرسه الشر والتي يمثلها المتكبرون والفاسقون وان الصراع ممتد من بدايه ولاده ادم عليه السلا م حيث اعلن ابلبيس العدواه معه تعصبا لاصله

ولهذا نجد ان السوره لاتحدثنا عن قصه موسي من اولها كما في القصص وغيرها وانما تصرح بالهدف الذي سيقت من اجله وهو النظر والتدبر في نهايه المعركه بين الحق والباطل بين الخير والشر بين الفاسقون والمطيعون بين المصلحون والمفسدون ثم تحدثنا السوره حديث مستفيضا عما دار بين موسي وفرعون وملئه والسحره وكيف انتهت المعركه لاجل تسليه المومنون وتقويه الطاقات فلا يضعفون امام الهجمه الشرسه التي تعرضوا لها من المشركين بمجرد الجهر بالدعوي فقد كانوا ياخذون بعض الصحابه ويضعونهم علي الرمال في الرمضاء ويضعون ا لاحجار الثقيله علي صدور الصحابه ويقولون لهم لن نرفع الصخر حتي تكفر بمحمدفلم يثنيهم ذلك لقد اكلوا اوراق الشجر في شعب ابي طالب نتيجه الحصار الذي فرضه المشركون عليهم ولهذا كانت القصص تسليه لهم وتثبيتا لقلوبهم فكانت الاظطهادات المتواليه والتكذيب والاصرار علي العناد من الاسباب التي تحدث في نفس الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم حرجا وحزنا من حال اقوامهم الذين كان الاجدار بهم ان يبادروا قبل الاخرين للايمان ولهذا كان التثبيت بانزال الايات التي تتحدث عن الانبياء والمرسلين ليبين الله لهم فيها سنته في جعل العاقبه للمتقين رغم ما يصيبهم في تبليغ الدعوه من المحن والخطوب وسنته في اهلاك المكذبين المستهزئين مع مالهم من قوه من الحول والقوه والملك والسلطان ليزداد علي ثباته واقداما فوق اقدامه وجراه علي المضي قدما في سبيل هدايه الناس وانقاذهم من عمايه الضلال

ولهذا كان مناسبا الانتقال من اخبار الرسالات السابقه الي رساله موسي عليه السلام لانها كانت مازالت قائمه وقت النزول ولانها تحتوي علي حوداث عديده تعطي المسلم الطاقه يقول لك لاتقلق ولاتحزن لان الله معك فهو قادر ان يعز المستضعفين ويورثهم الارض من بعد المستكبرين فما الذي يحزنك ان كان معك الله فكن مع الله يكن معك والله لايعجزه شي فاعرض له مشكلتك مهما كانت فالحياه ابتلاء وامتحان

الدرس الثاني

(حاجه الناس للقدوه الحسنه)

ان الانبياء والرسل قدوه للبشر ولنا نحن المسلمون كتجارب نحتاجها لانه لانبي بعد الرسول صلي الله عليه وسلم واذا كانت البشريه تمر بطفرات تطمس الفطره وتطفي نار الانفعال الخلاق واخلاق الحركه التي يحتاجها الانسان ليتحرر من قيود الشهوات والكبر والتعالي والفخر وجميع بواعث الفسوق والعصيان نتيجه تعاقب الاجيال ومايصاحبها من سدود وحواجز تعترض طريق النور حيث تصاب البشريه بموت الانفعال الخلاق وانحطاط جانب القيم الروحانيه فيهم ويعيشون في دائره مغلقه من الشهوات يتحركون بين اقطارها بحثا عن الملذات وبذلك تفقد الامه حيوتها وتنفصل انفعالتها عن الحيويه لان غياب القدوه الحيه يعني انك امام رماد انفعال قد انطفا ولهذا فان اراده الناس تحتاج من يهزها ويحركها لان هنالك اجزاء بسيطه منها ماتزال حاره ولكنهاتحتاج الي محرك يحركها فالنار يمكن ان تشتعل ولكن بالتدريج والمحرك الذي يثير نار الانفعال خلال الرماد حتي يستعيد الحياه و التوهج هم الانبياءوالمصلحون فقد كان الله يرسل الانبياء الذين تخلقوا بالكمال البشري عرفوا الحقيقه وعرفوا ربهم واستناروا بنور ربهم وحملوا هموم البشر فنقلوا رساله ربهم للناس فهم القدوه الحسنه الذين يشيعون الحيويه في المحيط الذي يعيشون فيه وهم التجربه الشخصيه الواقعيه للانفعال الخلاق واخلاق الحركه وعن طريقهم تنبعث الحياه في المجتمع فيتحرر ويتفتح وينطلق ولهذا قال تعالي (ثم بعثنا موسي من بعدهم) فارسال الرسل لم ينقطع كلما طرا في حياه البشر ما يستلزم وجود محرك يثير نار الانفعال خلال الرماد واستعاده الحياه و

التوهج فاستعمل البعث اشاره الاثاره والتهيج وكان العطف بذكر بعثه موسي بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب برغم تخلل ذلك العديد من الرسل لبيان انه لم ينقطع ارسال الرسل حتي ارسال الرسول صلي الله عليه وسلم والبعث يعني ان تخرج الشي من داخل الارض متي كان ميتا فاخرج وبث فيهم الحياه فهذا التصوير يهدف الي بيان ان الحق قديم وان تعاقب الاجيال يودي الي طمس الفطره والتباس صوره الحق ثم ياتي نبي فيظهره وهكذا يحدث بعد ذلك طمس الحق فيرسل الله نبي لاظهار الحق فكلما تاه البشر في ملذات الشهوات وغلبهم المصالح الماديه وانحرفوا عن القيم وانحدروا الي اسفل السافلين فان عنايه السماء لاتتركهم فيرسل الله الرسل ليرشدوهم الي طريق الحق ولهذا فقد تعاقبت الاجيال علي حمل امانه الاسلام منذو بعثه النبي صلي الله عليه وسلم الي يومنا هذا له حيويه دافقه دافعه مستمده من القران الكريم الدستور الخالد حيث انه كلما اعتراضت انوار الحق ظلمات قيض الله للامه من يجدد لها امر دينها ويخرجها من الظلمات الي النور ولهذا ظهرت حركه التجديد المتعدده والعلماء الذين يجددون امر الامه تهدف الي اثاره الانفعال الخلاق من خلال ازاله العوائق وتحطيم السدود امام دين الله فاعمال المجددين هي اعمال صيانه فالعصور التاليه لعصر البعثه عصر صيانه تستهدف ازاله الاذي عن طريق الاسلام ليعود كما كان ايام البعثه النبويه والخلفاء الراشدين يعني العوده بالناس الي منابع اصوال الاسلام فازمه الامه هي ازمه ذكر والتباس مفاهيم لان الاعداء يستهدفون الفكر المسلم والواقع المسلم من خلال تزيف الحقائق والخلط بين المفاهيم فنحن اليوم نعيش في دوامه حكم الضروره في الانظمه السياسيه منذو صفين فقد كان التنازال عن حق الامه في اختيار الحاكم لاجل الحفاظ علي الوحده الوطنيه باعتباره حكم وقتي يزوال بزوال الضروره كما اوضحنا في تفسير قوله تعالي (اليوم اكملت لكم دينكم ....الي قوله تعالي فمن اضطر في مخمصه...الخ من سوره المائده

لقد اصبح الفقه يكرس مفاهيم خاطئه اراد العلماء من خلالها في ذلك الوقت تجاوز ضروره تشكل خطرا يهدد تمزيق الكيان فوصلت الينا علي انها قواعد لاتقبل النقاش واصبح الناس ينظرون اليها انها بمنزله القران والسنه النبويه فشكلت حواجز امام استعاده دوله الموحدين وقيامها بدورها لاننكر ان اولئك العلماء العظماء هم مرجعيه يجب عدم تجاوزهم لكن ينبغي ان ننظر الي الاحوال والظروف التي احاطت بالفقه السياسي تحديدا لانه يمس الا سلام فكريا في فقه وتعاليمه ويمثل ازمه المسلمين التاريخيه علي ممر العصور ذلك ان المجتهدون والمجددون في العصور السابقه حتي بدايه القرن العشرين قد ركزوا علي صيانه الفقه الاسلامي من الدجل والشعوذه و الثقافات الفاسده من ان تسلل الي الفقه الاسلامي والبعض حاول اعاده واقع الحياه ليكون موافقا لما كان عليه السلف الصالح لكن لم يتعرضون لمساله الدوله حصل الخلط بين ايام كان الاسلام دينا ولم يعد له دوله يحكمها وبين ايام ما كان الاسلام دينا ودوله فصار هذا الخلط من اهم الازمات التي عصفت باغلب الحركات الاسلاميه التي حملت المشروع الاسلامي لم ينظر الي ان ظهور الفساد السياسي في دوله الاسلام بعد صفين امر واقعي قد حصل واللازم اعاده قراءه الاحداث وحركات اصلاح الحكم السياسي في تلك الفتره تحديدا مثل حركات ابن الزبير وابي ذر ثم الشيعه والخوراج فهي حركات تحتاج الي الدراسه والتحليل لكشف الحق من الباطل.

حيث والمتامل للحركات الاسلاميه كلها يجد انها حاولت اصلاح احوال المسلمين وركزت علي مفهوم الانسان الخليفه لا خلافه الدوله فالصوفيه ظهرت في عصر الترف الاجتماعي والسلفيه حاولت اصلاح الفساد الذي نشا في المغالاه بحب الصالحين وهكذا لم نجد من ناقش النظام السياسي ودوله الموحدين غير مالك بن نبي وجمال الدين ومحمد عبده ومحمد رشيد رضاء والسيد قطب فهولاء هم المفكرون الذين امتلكوا الشجاعه لمناقشه الازمه السياسيه للامه الاسلاميه فكانوا رواد الفكر السياسي الاسلامي كانوا هم حركه التجديد في هذا الجانب وهو ما شكل الامل لاستعاده دوله التوحيد لدورها وتاثيرها وفاعليتها

ولهذا فان القصص تهدف الي اعطانا النماذج التي نستلهم منها الدروس حيث نجد ان قصه نوح تناولت موضوع معالجه الشرك ومواجهه المشركين وقصه قوم عاد تناولت معالجه طغيان مظاهر القوه العسكريه والصناعات وتناولت قصه قوم ثمود الفسادمظاهر الفساد الاجتماعي بينما تناولت قصه لوط فساد من نوع اخلاقي بينما تناولت قصه قوم مدين معالجه الفساد الاقتصادي وهنا تناولت دعوه موسي عليه السلام فرعون الي اصلاح الا

اوضاع السياسيه والي اخراج بني اسرائيل من عبوديه فرعون وتعذيبه وان ذلك جزء من نظام العبوديه لله تعالي

ولهذا فان المطلوب منك ايه المسلم ان تنظر الي القصص انها درس يحمل توجيه لك انت من الله تعالي انها منهج لك من الله فانت المخاطب بها انها فيها الطريق الذي يوصلك الي الله تعالي انتبه ان تنظر لها علي انها اخبار عن ا لامم السابقه فقط۔ او لاخذ العلم النظري والترف الفكري بل انظر الي قصص الانبياء انها للاقتداء

ثانيا

تبين النصوص ان الله بعث موسي بايات الله الباهره التي توكد صدق نبوته فقال تعالي (ثم بعثنا موسي من بعدهم بایاتنا الي فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبه المفسدين)

بالوقوف علي الايه نجد انها تناولت

انه بعد القضاء علي الحضارات الفاسده التي خالفت قاعده السعاده والنجاح في الدرين بنقضها العهد الماخوذ من ادم حينما سلم له مفتاح الخلافه علي الارض فقال تعالي (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ....الخ

ف‌الله قد حدد سنته الخلافه ودوام الحضارات وبقاءها بان ذلك يكون باتباع الرسل الذين يحملون المنهج الرباني الذي يتم به التقدم والنهوض والبناء۔والتنميه في عمران الارض بما يحقق التحسين والاستقرار وفقا لمنهج الله

ولهذا فان الخروج عن المنهج يعني ان الحضاره اداه افساد في الارض وليس اصلاح وتحسين واستقرار ولهذا فان هذه الحضاره بلا شرف لانها خرجت عن طاعه الله وهي حضاره سلبيه لانها تابعه لمدرسه الفسق وموسسها ابليس اللعين ولهذا تنتقل النصوص الي موضوع ارسال موسي عليه السلام بالمنهج الرباني الكفيل باصلاح الحضاره الفرعونيه الفاسده فقال تعالي (ثم بعثنا موسي من بعدهم بایاتنا الي فرعون وملئه)

حيث ترسم لنا الايات ملامح هذه الحضاره والنظام الذي كان يحكم مصر كما يتضح من الاتي

/1

ان النظام السياسي الذي كان يحكم مصر عباره عن منظومه استبداديه هرميه شكلت نظاما وكيان حاكما استبدادي منظم له اركان وسلم وقواعد وبناء وجوانب واضلاع وقمه تمثل راس هذا الهرم هو الملك الذي كان يسمي فرعون وله اضلاع سماهم (ملئه) اي اشراف قومه الذين يملوون العيون منزله ومكانه وقد ذكرت النصوص في مواضع اخري هامان الوزير الذي كان يقف لجانب فرعون فهم امثال قاده الاحزاب في هذا الزمان الذين يشاركون الانظمه الاستبداديه العسكريه والملكيه في توطيد الاستبداد وهم امثال كبار المشايخ وممثلي القبائل عندنا ورجال الدين المحسوبين علي الانظمه الاستبداديه الذين يساهمون في تكريس الانظمه الاستبداديه والقمع للحريات وانتهاك الحقوق باسم الدين

ويندرج ضمن هولاء قاده الجيوش واصحاب رؤؤس الاموال الذين يحصل تزواج بينهم وبين الانظمه فيصيرون جزء من النظام وان لم يكونوا من ذات الطبقه الحاكمه فقارون لم يكن ينتسب للاقباط وانما كان من قوم موسي ومع ذلك صار من ضمن المنظومه الاستبداديه التي استبدات بني اسرائيل

2

تبين الايه ان الحضاره الفرعونيه كانت قائمه علي ابداعات متنوعه منها الزراعه والصناعه وفن البناء واستخراج

المعادن ونظام الري والسدود والنظام الاداري وقد بعث الله موسي فكذبوه واظهروا مهارتهم في السحر امامه فعقابهم الله باصناف العذاب كالجرد والقمل والضفادع والدم والطوفان ونقص الثمرات والسنون فقال تعالي بایاتنا اشاره الي التسع الايات ماذكر مضافا لهن العصا واليد ولهذا فان الباء للملابسه وهي في موضع الحال من موسي اي ارسلناه بالايات والدلائل الواضحه علي صدق انه مرسل من الله تعالي علامات داله علي صدقه ولكنهم كذبوا بها حتي اغراقهم الله في البحر الاحمر هو وجنوده

3

تبين النصوص ان الانظمه الاستبداديه لها نظام متماسك الحلقات يرتبط بحلقات يصعب فكها لها سياسات وافكار واهداف وغايات لها منظرون وبرامج وخطط تزيد من تماسك منظومه الاستبداد ففرعون لم يكن يتمكن من الظلم والسيطره لولا تلك المنظومه ولهذا قال تعالي (فظلموا بها) نسب الظلم لهم جميعا لانهم كذبوا بالايات وجحدوها ولم ينقادوا لها جميعا

فهذه المنظومه نموذج لكل استبداد فهي التي تصنع الفراعنه ولهذا اخبرنا الله انه ارسل موسي الي فرعون وملئه يدعوهم لاصلاح الاوضاع السياسيه وترك الظلم واقامه العدل وان يرسل معه بني اسرائيل الذين استعبدهم فرعون وملئه فلم يقل الي فرعون وقومه لان هولاء الوجهاء جزء من المنظومه الاستبداديه المستفيده من استعباد بني اسرائيل وليس لسائر المصرين من الامر شي ولهذا جاء الهاء الضمير في (ملئه) عائدا الي فرعون فقد اخبرنا الله في سوره القصص كيف ان فرعون قسم شعب مصر الي شيع وانه استضعف طائفه بني اسرائيل فقال تعالي (ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفه منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن علي الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمه ونجعلهم الورثين)

حيث ان المنظومه الاستبداديه قامت علي تقسيم الناس الي طبقات وجعلت بني اسرائيل طبقه مستعبده لاحقوق لها ولا كرامه وروجت ذلك بين الناس بانهم اجانب اقاموا في مصر وليسوا بمنزله الاقباط اصحاب الارض والذين مباركون من الالهه وذهبت هذه المنظومه الي الترويج لفكره ان فرعون من سلاله الالهه نظرا لاهميه البعد الديني في قبول الناس للفكره حتي تغللت هذه النظريه في نفوسهم واحدثت خلالا في المدركات والوعي وصار الناس يمارسون الظلم تحت شعار الدين وصار القبول بالاستبداد واجب ديني ولاجل قطع بواعث التفكير في الحريه لدي بني اسرائيل فقد اشغلوهم بالهموم والحقوا بهم الانهزام النفسي وجعلوهم يتجرعون مراره الاستعباد والذل و الهون واستحلوا نساءهم وجعلوهم خدم بلا عائدات ولم يسمحوا لهم بممارسه اي نوع من انواع الاعمال المنتجه

ولهذا فعندما جاءهم موسي يدعوهم الي اصلاح الخلل في المنظومه السياسيه وترك الظلم والخضوع لمنهج الله والتوحيد وارسال بني اسرائيل معه رفضوا القبول بالحق ورفضوا التصديق به فكابروا ولم يومنوا حتي اغرقهم الله

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الاسلام يحترم العقل البشري وقوه الادراك ولهذا ارسل الرسل ومعهم المعجزات والايات داله علي صدق الرسل يدعوهم الي التفكير والاستجابه لنداء العقل والفطره والايمان وترك العناد والكفر والفسوق والكبر و العصيان ولهذا ذكر تعالي انه ارسل موسي باياته تعالي فقال تعالي (باياتنا)

والايات منها ما تكون كونيه الايات الموجوده في هذا الكون ومنها ما تكون تكوينه ومنها ايات خارقه للعاده

فذكرت النصوص عموم الايات حيث اننا نفهم ان رفع الطوفان والضفادع والدم ...انها ايات تكوينه من افعال الله

التي اراد ان تودي دورها في اثاره الفطره تدعوا الانسان الي استعمال قوه الادراك والتفكر قدره الله وكماله وعظمته ليعرف الانسان ضعفه وافتقاره لربه وانه محتاج لرعايه الله ولهذا فان كفر الايات اشد وابشع انواع الظلم لانه اعتداء علي الحق فمن كفر بالدلائل الواضحه فقد اعتدي علي حق العقل والنظر

الامر الثاني

ان علي المسلم عندما يقرا قصه موسي ان يدرك ان الحياه امتحان وابتلاءولهذا فان اللازم عليك اخي المسلم ان تتلقي القصص علي انها ايات الله الموجه لك لتسنبط الدروس منها

عليك وانت تقراها ان تحس انك من ينزل عليه القران انها رساله من الله لك عليك ان تعيش مع القران اذا اردت ان تسري فيك روح الحياه الطيبه فهو للقلب كالروح للابدان فلا ينشغل المسلم عنه فمن قام بتلاوته وتدبر احكامه فقد زالت شقاوته ولهذا اخبرنا الله كيف تلقي فرعون وقومه ايات الله بانهم جحدوها ولم ينقادوا لما فيها من دروس رغم تعدد ايات العذاب من نقص الثمرات والسنون ...الخ

عليك ان تتذكر الايام التي مرت بحياتك والمعاناه التي عانيتها ليس لغرض الحقد علي المجتمع والاخرين بل تتذكر كيف ان الله تعالي من عليك بالعنايه وانقذك من الالالم وبالتالي لاتغيب عن ذهنك هذه الذكريات فهي من ايات الله التي توجب عليك الشكر لقوله تعالي (ولقد ارسلنا موسي باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الي النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور)

الامر الثالث

عليك عندما تسمع ايات الله ان تصغي اليه فحسن التلقي من اسباب السعاده التي من رزق التلاوه والتدبر زالت عنه الشقاواه والذي ينشغل عن ايات الله ولايصغي اليها فان هذا الشخص يظلم نفسه ويوردها موراد الشقاء و التعاسه فاخبرنا الله في هذه القصه كيف تلقي فرعون وملئه دعوه موسي وايات الله فقال تعالي (فظلموا بها)

اي كفروا بها بالعناد والمكابره والكبر فهم من جهه ظلموا انفسهم بان عرضوها للعقاب المهين وظلموا الناس بصدهم عن الايمان واستمروا علي ذلك حتي اهلاكهم الله

ومن الظلم للايات عدم اعطائها حقها في التامل واستنباط الدروس والعبر

فاللازم عليك عندما تسمع حديث عن الله ان تصغي فالموضوع يخصك انتبه من الانشغال عن ايات الله لان ذلك يعني ظلم حق الايه وتلحق بنفسك العقاب فعندما تسمع الحديث المتعلق بكلام الله ينبغي ان يهز الحق كيانك بحيث يقشعر له جلدك

ولهذا فان علي المسلم عندما يقرا القران ان يستشعر الموقف وانه يقف بين يدي الله يشعر انه يوحي اليه هو وان في القصه التي يقراها او اي حادثه بحياته رساله من الله له عليك ان تعيش مع القران وان تتدبره بكل جوراحك

تنظر انك المخاطب بكل حرف منه ولهذا نجد ان الخطاب موجه للرسول صلي الله عليه وسلم ولكل من ياتي منه النظر والاعتبار عند سماع الايات (فانظر كيف كان عاقبه المفسدين) والتقدير انظر اليها اي الناظر نظر تدبر وتامل لتري نهايه المفسدين فمن عاش مع القران ولزمه فانه يجد في نفسه سرور وسعاده لايدري كيف حلت به ولهذا حذر الحق من سلوك الكفار الذين لم يتلقوا الايات بالاصغاء والقبول فوصفهم بانهم ظلموا انفسهم لانهم فرطوا بالا يات التي كانت مهياه ان تاخذ بايدهم الي طريق النجاه لكنهم لم يعباوا لها ولهذا فان من لم يعبا بايات الله ظالم فانتبه فعليك ان تدوام علي تدراس القران فهو علاج لفتور العباده يعالج الكسل وادران ضعف الهمه فمن ثمرات من رزق بركات القران ازاله كل تلك الامراض ان درسته تصديقا بايمان حقيقي وتدبرته بعقل وقلب حاضر وجدت السعاده

المبحث الثاني

يتوجه الخطاب الي كل من يتاتي منه النظر والاعتبار عند سماع الايات فقال تعالي (فانظر كيف كان عاقبه المفسدين)

يقول الحق احذروا من الكبر والغرور والاعراض عن ايات احذرو من العصيان فهذه هي نهايه المفسدين فالظلم مستلزم للافساد اختتم الايه بالامر بالتدبر في احوال فرعون وملئه وفي احوال المومنين المستصعفين فقد كانوا اضيق اهل الدنيا حالا فقد استعبدهم الفراعنه واستحلوا نساءهم وتجرعوا مرراه الذل والهون والضعف والقتل وا لاهانه والعجز وعدم الحيله حتي اذا راي الله منهم الصبر علي الاذي في محبته وقوه التحمل خوفا منه ابدالهم بدل الذل عزا وبدل الخوف امنا التمكين وصاروا ملوكا وهذا فيه تقويه للطاقات للمومنين الذين كانوا يواجهون البطش من المشركين في مكه ومن جهه ثانيه التخويف من عواقب التكذيب بايات الله والخروج عن منهج الله ينهي الناس عن السير علي منولهم محذرا من الظلم وعواقبه فكان التعبير بالاستفهام. ب(كيف الموضوعه للسوال عن الحال والاستفهام بكيف يقتضي تقدير شي اي انظر الي عاقبه المفسدين التي تسال عنها بكيف لانها حاله عجيبه تفوق التصور ولهذا علق فعل النظر عن العمل لمجي الاستفهام بعده فصار التقدير فانظر كيف كانت النهايه فترك لهم ان يقدروا النهايه القبيحه التي لحقت بالمفسدين فرعون وملائه فهذه النهايه في الدنيا الغرق وفي الا خره الحريق لماذا?

لانهم تركوا منهج الله ولم يقبلوا الانقياد لايات الله ولم يستمعوا لها كما ينبغي فانظر كيف فعلنا بهم فمهما كانت قوه الكفار فعليك ان تجهر بالدعوه ولاتخاف مما يملكون من قوه انتبه ان تنهزم نفسيا امام الاعداااء فتنسحب من المعركه مع الباطل فانت معك الله وماهي قوه الباطل واهله اذا كان الله معك فالظالمون مهما بلغوا لن يعجزوا الله من نصره اولياءه مثلما نصر موسي والقله المستضعفين علي فرعون وملئه فهذه هي سنه الله انه يمتحن اولياءه ثم ينصرهم عندما يري انهم اهلا للتمكين

القسم الثاني

تنتقل الايات الي مشهد تفصيل دعوه موسي لفرعون وملئه والحوار الذي دار بينهم وموقف السحره وكيف واجهه فرعون ايمان السحره بدعوه موسي والصراع الذي- دار بين المومنين وفرعون وملئه حتي اغرقه الله تعالي

وقد ابتدات ايات هذا القسم بمشهد دخول موسي قصر فرعون ودعوته لفرعون حيث دخل موسي وهارون الي القصر يلبسان ثياب الصوف وبيد موسي العصا وعند دخوله علي فرعون ما الذي حصل تحكي لنا الايات المشهد بصوره متحركه حيه ترسم الطريق لكل داعيه لاسلوب العمل وطريقه الدعوه فقال تعالي (وقال موسي يافرعون اني رسول من رب العالمين حقيق علي ان لا اقول علي الله الا الحق قد جئتكم ببينه من ربكم فارسل معي بني اسرائيل)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان اضمن طريق لمواجهه الظلم بكافه صوره هو عقيده التوحيد لانها تنمي في القلوب حب العدل ولهذا لما بينت النصوص ان النظام الذي كان يحكم مصر استبدادي مارس الظلم الاعتقادي .. والاجتماعي كان التركيز علي دور عقيده التوحيد واثرها وفاعليتها في مواجهه الديكتاتوريه والانظمه الاستبداديه من خلال المشهد الذي فيه توجيه

بان علي المسلم الاستعلاء بالحق والثقه بالله تعالي والاعتزاز بمقام العبوديه لله تعالي وان لاينظر الي المال و

الجاه والسلطان فموسي دخل الي قصر فرعون بتلك الملابس ولايمتلك سوي عصاه يتكا عليها ومن الموكد انه شاهد فرعون يجلس علي كراسي الملك المطرز بالذهب وحوله الاشراف الذين يملوون العيون مهابه والناس ينتظرون ماذا سوف يقولون

فهل انبهر موسي الذي كان يرعي الغنم بهذا المشهد الذي فارقه قبل عشر سنوات وقد ازداد زينه ؟

لا لم ينهبر لماذا لانه يحمل رساله من ربه تجعله ينظر الي الدنيا ومافيها من ذهب ومجوهرات والكنوز انها لا تساوي شي امام وعد الله انها قناعه تملي قلبه عن الدنيا ومافيها قناعه تملي العيون غني عن كل مافي الدنيا

وايضا كان قوي في عزيمته لم ينظر الي ماعند فرعون من قوه فلم يتردد من الدخول عليه ويشرط عليه لبقاء ملكه ودوام عزه ان يسلم ويخضع لله رب العالمين

يدعوه الي ترك العنصريه والعصبيه التي صنعها هو والمنظومه الاستبداديه في النظام الفرعوني وان يتعامل بـ العدل والمساواه وقيم الايمان فهو ومنظومته واشراف مصر ووجهاء سواء مع اصغر فرد في مصر فلا فرق بينهم فالجميع عبيد لله فهو ربهم الخالق لهم فاعلان الربوبيه هنا هو اعلان العدل المساواه التي هي اساس بقاء الحضارات فاذا انتهك هذا المبدافان ذلك يعجل بزوال الامم وحضارتها فلا فرق لحاكم علي محكوم فالجميع سواء امام الشريعه الالهيه ومنهج الله فاختار صفه رب العالمين ابطال لاعتقاد الفراعنه ان فرعون يتمتع بقدرات الالهه وانه من سلاله الالهه وانه له مطلق الامر عليهم وما اشرنا اليه من منظومه الاستبداد وقد استعمل اسلوب اللين فناداه بلقبه (يافرعون) وهو الاسم الدال علي الملك والسلطان بحسب المتعارف عليه في ذلك الزمن وهو اسم فيه الاحترام تنفيذا لقوله تعالي (فقولا له قولا لينا)

فحقيقه الربوبيه التي اعلنها موسي والالوهيه لله تعالي وحده لاشريك له التي وجهه بها فرعون وطلبوا منه ان يلتزم عقيده التوحيد ويخضع لمنهج الله تعالي في كل شان من شوونه وان يقوم باصلاحات سياسيه واقتصاديه وفكريه واعاده ترتيب اوضاع المنظومه التي تحكم البلاد لتكون موافقه لمنهج الله فانه ان فعل ذلك كان له بقاء ملكه ودوام عزه وان هو رفض كان زوال ملكه لانهما مرسلان من رب العالمين الذي بيده مقاليد الامور وهو فعال لما يريد فانت يافرعون محتاج الي الرب لانه المدبر للامور كلها وكل شي بيده فهو رب العالم السفلي والعلوي فدوام ملكك ليس بقتل اطفال بني اسرائيل واستعبادهم بل بالتزام منهج الله وشريعته فعليك ان تحرر بني اسرائيل من الرق اذا اردت بقاء عزك انت ومن معك فهذه فيها ايضا شجاعه وجراه وهو مادافع فرعون الي التعجب من مما اشترطه موسي وهارون علي فرعون لبقاء ملكه ودوام عزه فقد التفت الي من حوله وقال الا تعجبون من هذا يشترط عليا لبقاء ملكي ان اتبعه وهما بما ترون من حال رثه الملابس والفقر فهلا القي عليهما اساور من ذهب اعظاما للمال واحتقار لما يلبسه موسي وهارون هكذا قابل فرعون دعوه موسي له فقال (انا ربكم الاعلي)

لانه راي حال موسي وهارون فيها ضعف من حيث النظره الماديه فقال لماذا لايمنحك ربك المال والقوه اذا كنت تقول انه مالك كل شي فانت بحاجه الي ملابس فما تلبسه من الصوف ممزقه يجعلك بحاجه الي ثياب تلبسها فكيف لك ان تهدد ملكي فخذ اساوره من ذهب كي تشتري بها ثياب تلبسها ودعك من الهذيان والجنون فانا ربك وسيدك فخذ هذه الاساورمن الذهب فقال في موضع اخر (ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون)

فقد تسال فرعون في نفسه مامصدر هذه الشجاعه والجراه فلم يتجرا احد ان يقول له ان دوام ملكه وبقاء عزه باتباع منهج الله فمن اين جاءت هذه الجراءه

ان الله اعدهما لهذا الموقف العظيم فقال تعالي في موضع اخر(قال ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغي قال لاتخافا اني معكما اسمع واري)

ولهذا كان واثقين بالله فلم يخافا وانه حاضر معهما في الموقف ولهذا قال (اني رسول من رب العالمين) ولم يقل اني رسول رب العالمين وهدا ناتج عن الشعور بوجود قوه رب العالمين معه فما هي قوه فرعون فانت عندما تقول اتيت من عند فلان تعني انك تشعر ان قوه فلان كلها معك

تعني ايضا اظهار ان ارساله هو من عنايه الله ورعايته بالناس ان يرسل اليهم الرسل يشعر ان الله يبتلي رسله والا فانه تعالي قادر ان يرسل الوحوش تقاتل مع انبياءه وقادر ان يمدهم بالكنوز ولكن الله يبتلي عباده ولهذا جعل قوتهم في عزائمهم وثباتهم علي الحق وقناعاتهم عن الدنيا ومتاعها ليكون لعقيده الجزاء دورها لان عدم الابتلاء يجعل من الجزاء منعدم ولايكون لاسم المومن والمحسن لازمه

الامر الثاني

اهميه اظهار الموده واقناع الاخرين بشخصتك وانك لاتقصد اي مصلحه من الدعوه و انتقاء اللالفاظ القادره علي الوصول الي اعماق النفس الداخليه للمخاطبين ولهذا نجد ان موسي يوكد في سياق الحديث حرصه علي سلامه الحضاره من الزوال مبينا ان الرسل لاتقول الا الحق فلا يليق بالرسول الافتراء علي الله بالادعاءت الكاذبه لانه يعلم عقوبه الافتراء علي الله الكذب فالرسول لايتجرا علي ارتكاب جريمه كهذه

فمن يدعو الناس الي الهدايه لايتكلم الا بالحق ولهذا فعلي الداعيه ان ينتبه من الاختبار الذي يضعك الله فيه انتبه من التحول فتعمد الي ابراز شخصيتك واخفاء الدين فانتبه ان تتحول دعوتك من الفكره الي الذات فهذه اصنام ينبغي الانتباه منها ولهذا عندما انكسفت الشمس وقت موت ابراهيم ابن النبي صلي الله عليه وسلم قال الناس لقد انكسفت لموت ابراهيم فقال الرسول صلي الله عليه وسلم ان الشمس والقمر اياتان من ايات الله لا تنكسفان لموت احد اولحياته ...الخ

فاي انسان في هذا الموقف يري ان الحدث يدعم مركزه فهل استغله الرسول صلي الله عليه وسلم

لا وانما وظف الحدث لتربيه الامه علي حقيقه ضروره الاهتمام بالعلم والابتعاد عن الخرفات

اراد اخراج المومن من الوهم ويربيه علي ان يحمل هم الدعوه دون ان يبالغ ولايبرز شخصيته بل يبرز حقيقه الدين ولايقول كلاما لمصلحته فالتزام الحقيقه وتحري الصدق هو اساس نجاح الدعوه وثبات الداعيه

انتبهوامن تسيس القضايا والمواقف لخدمه اجنده حزبيه ضيقه هذه هي اسس الدعوه في معركه الحق والباطل وبعد هذه المقدمه يضيف موسي الي ذلك انه قد جاء من عند الله بدليل علي صدق كلامه وصدق دعوته مع استعداده لتبين ذلك بان لديه معجزه من ربه ثم جاء طلب الارسال (فارسل معي بني اسرائيل)

الامر الثالث

لماذا ابتدات الايات بدعوه فرعون الي التوحيد رغم ان موسي لم يكن من قومه ولانه اوضح انه يطلب ان يرسل معه بني اسرائيل؟

الجواب

عليك ان تفهم ان مهمه كل رسول وداعيه في الحياه هو تجسيد العدل ونشره وحمايته فلابد من مقاومه الظلم واجتثاث بواعثه واسبابه بكافه الوسائل الممكنه من الموقع الذي انت فيه فالمسلم يشعر بانه مسؤولا عن رفع معاناه الناس حتي ولو كان هولاء الناس غير مسلمين

فالقياده وامانه الخلافه توجب عليك تحمل المسوليه فالاسلام لايلتقي مع الظلم فالصراع لايتوقف حتي تقوم

الساعه ولما كانت النصوص القرانيه قد بينت ان الفرعون وملئه قد مارسوا الظلم بكافه اشكاله ابتدا من الظلم الا عتقادي والظلم الاجتماعي بهضم حقوق الضعفاء واكل اموال الناس بالباطل وان التكوين الاجتماعي كان طبقي ثم ان هنالك ظلم سياسي استبدادي يمثل اشد انواع الظلم ففرعون نموذج للظلم السياسي ولهذا تكرر في القران في اكثر من موضع فاراد الحق تنبيه الحكام من الظلم والاستبداد ولهذا فان اضمن طريق لمواجهه الظلم بكافه صوره واشكاله هو عقيده التوحيد لانها تنمي في القلوب حب العدل واردته وهو ماينشي في القلب نورا يزيل ظلمات الظلم يقول ابن الجوزي انما ينشا الظلم من ظلمه القلب لانه لو استنار بنور الهدي لاعتبر

ولهذا دعا موسي فرعون وملئه الي التوحيد لاجل ان يزيل الظلم باشكاله وصوره والتي منها تحرير بني اسرائيل من الاستعباد ليغرس في النفوس الشعور برقابه الله فيخاف الناس عذاب الله ان ارتكبوا الظلم فقال (ان ارسل معي بني اسرائيل

وتقيده بكلمه معي لان المقصود من اخراجهم من الظلمات الي النور و ان يكون الرسول قدوه يرشدهم الي طريق الهدايه

الفقره الثانيه من المشهد الاول

رده فعل فرعون علي دعوه موسي

(قال ان كنت جئت بايه فات بها ان كنت من الصادقين)

الملاحظ:

ان فرعون بجبروته وطغيانه لم يقتل موسي وانما قال له ان كان معك معجزه علي ما تدعي فاظهرها لنا حتي نراها ان كنت صادقا انك مرسل من ربك لماذا لم يقتله

لان اعتزاز موسي بدينه اذهل فرعون وجعله يتسال في نفسه ما سر قوه موسي في هذه المواجهه فاراد ان يعرف ذلكوهذا يعود الي حقيقه ان فرعون بيد الله وقبضته وبالتالي فعلي المومن ان لايخاف احد في موقف الحق فكلمه الحق لن تقطع راس او رزق او معاش فاذا كنت مومنا حقا فلا تخاف لان الله معك فما الذي يجعلك تخاف

ان قوه موسي تعود الي عقيده التوحيد والثقه بالله فلا تخاف من قول الحق فموسي لم يكن له قوه ماديه الا الا يمان والثقه بالله والعزيمه والهمه العاليه

2

في هذا الموقف يطرح موسي العصا التي دخل يتكا عليها فهذا هي تنقلب الي ثعبان مخيف كبير فقال تعالي (ف القي عصاه فاذا هي ثعبان مبين)

وهو ما اذهل فرعون والسوال لماذا قال تعالي في موضع اخر (فاذا هي حيه تسعي)وهنا قال ثعبان مبين ?

الاولي حيه صغيره وهذا في اول مره عندما نادي الله موسي وساله ما تلك بيمنك ياموسي ....فقال هي عصاي اتكي عليها...الخ فامره ان يلقيها فصارت حيه تسعي

فقد كانت هذه تجربه لتمرين موسي علي القيام بذلك حتي لايتفاجا بها في قصر فرعون فيخاف ويهرب فزعا فكانت حيه صغيره ولهذا قال له خذها سنعيدها سيرتها الاولي

اما لما دخل علي فرعون فقد كان واثقا من نفسه بعد التجربه الاولي ولهذا كانت ثعبان كبير فناسب هذا الموقفين

/3

اما الايه الثانيه فقال تعالي (ونزع يده فاذا هي بيضاء تسر الناظرين)

اخرج يده فاذا هي بيضاء من غير برص ولامرض بيضاء تلمع بها نور ساطع تسر من نظر اليها

(الفقره الثالثه من المشهد الاول)

تنقل لنا الايات موقف المنافقون والبطانه السؤ ءالتي تتكرر في كل زمان بمثل هذه المواقف حيث ان فرعون صغر حجمه من مشاهدته للايات العظميه التي جاء بها موسي من ربه وهو ما دفع الملاء الوجهاء الي مواجهه الحق فقال تعالي (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره)

اي الاشراف اصحاب الكلمه المسموعه عند الناس اتهموا موسي بانه ساحر ماهر بفنون السحر خبير بمسالكه

وهو ما يفهم منه الاتي

*

ان دخول موسي وهارون ومحاورتهما لفرعون في البدايه كان بينهما وبينه فقالا لفرعون ماقالا اذا اردت دوام ملكك وبقاء عزك فاسلم وامن بالله وارسل معنا بني اسرائيل كما قال تعالي (اذهبا الي فرعون انه طغي ...الخ

*

عندما نظر فرعون اليهما وما عليهما من ثياب ولايملكان الا العصا سخر منهما ودعا قومه لسماع مايقول موسي وهارون بقصد السخريه منهما ومن شرطهما وهم بتلك الحاله من الفقر وهنا كان اجتماع القوم فاخبره موسي انه لايكذب علي ربه فهو مرسل منه وجدير به الايكذب وانه جاء بايه من ربه تدل علي صدق نبوته فطلب فرعون اظهار الايه وقد كانت المفاجاه التي شاهدها الجميع

*

تبين الايه ان قوم فرعون اندهشوا واصيبوا بازمه عاصفه شعروا بخطر محدق بهم وبمصالحهم خطر يهدد سلطانهم وقوانينهم وامتيازاتهم من دعوه التوحيد ومن دعوه تحرير بني اسرائيل من الاستعباد شعروا ان دولتهم سوف يقضي عليها ان لم يتدركوها وهذا واضح برده فعلهم علي المعجزات فقال تعالي (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ...الخ

فاراد الحق ان يخبرنا الاتي

الامر الاول

ان طبيعه الانظمه الاستبداديه انها متماسكه بحلقات مصالح لاتنفك في كل زمان. ولهذاترسم لنا الايه رده فعل فرعون وملئه بانهم لم يستسلموا للايات الواضحه ولم

يومنوا ولجاوا الي التاويلات الفاسده فلم ينتفعوا بالايات البينه التي تدعوهم الي الايمان فذهبوا الي اختلاق الا عذار لانفسهم بان موسي ساحر لديه مهاره عاليه وخبره في السحر فهم خائفون علي مصالحهم التي ترتبط بوجود النظام الاستبدادي ولك ان تقيس ذلك علي احوال العديد من الانظمه واذراعها في العصر الحديث ولهذا

بادروا بالحديث هم نيابه عن فرعون بان موسي فاسد يحاول قلب نظام الحكم ويسعي للاستيلا ء علي ارض مصر وخيراتها بسحره الذي يخدع الناس فجاءت الجمله بدون حرف العطف لترسم التماسك بين حلقات الانظمه الاستبداديه لان الدعوه الي العدل والمساواه والحريه امر يكرهه الطغاه ينظرون اليه انه يهدد مصالحهم ولهذا رفض الكفار في مكه الاسلام لانهم فهموا معني كلمه لا اله الاالله بان هذه الكلمه تعني الثوره علي مصالحهم وسلطانهم تعني الحريه وحفظ الحقوق

الامر الثاني

تبين النصوص ان الهرميه الاستبداديه للانظمه الديكتاتوريه تعمل بشكل متجانس للحفاظ علي المصالح المشتركه من القمه للقاعده وانها تحاول استغلال الاحداث لتقويه النظام الاستبدادي فهي تري ان اي دعوه اصلاح النظام واسترداد حقوق الضعفاء خطر يهدد كيانهم ونحن نري في واقعنا صوره هذا التماسك العجيب لدرجه انك تري المعلم في مدرسته هذا الموظف البسيط تجده يدافع عن النظام الديكتاتوري كان الثوره تسهدفه هو ومصالحه

ولهذا جرت جمله (قال الملاء من قوم فرعون) علي طريقه المحاوره للتحذير من تسيس القضايا لاجل اختلاق الا عذار لان من مدلولات هذه الطريقه التي جرت بها الايه

بيان ان هذه الاعذار انتحلوها لاقناع انفسهم لقبول جحود الايات الواضحه كما قال تعالي (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا)

او ان كل واحد راح يقنع الاخر بهذا القول فالخطاب حاصل من بعصهم البعض اي كلا فريق كان يردد هذا القول علي الفريق الاخر فقال تعالي (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره)

وهم يستغلون كل مايمكن استغلاله لوقف تحرير الانسان واقامه دوله العدل والمساواه

الم نشاهد هذا الواقع في الوقت المعاصر كيف ان الطغاه تجمعوا لقتل وذبح كل ثوره تنادي بالحريه والعدل و المساواه ليس داخل النظام لدوله ما بل تنادي الطغاه من كل الارجاء لمنع سقوط الانظمه الفاسده ومحاوله تخويف الناس من دعاه التحرر من خلال تسخير الاموال للثورات المضاده في ليبيا وتونس وغيرها ان الفراعنه اليوم لها نظام عالمي تجاوز الاقطار هي اشد وقعا من فراعنه الماضي ان وجه التشابه واضح في مواجهه الثوره ورجالها فاذا كانت اضلاع الاستبداد الفرعوني قد استهدفت موسي بحمله تشويه واسعه النطاق بانه ساحر لتخويف الناس فان اضلاع الفراعنه الحديثه قد وصفت قاده التغيير باوصاف عديده كلها افتراء

ان الانظمه الاستبداديه ذات طبيعه واحده تحاول دغدغه مشاعر الناس باظهار حب الوطن وانهم حريصون علي انقاذ الوطن والموطن من المغرضين حسب تعبيرهم بقصد تخويف الناس من دعاه التغيير الايجابي لاجل زياده الا نصار والمويدين والاعوان في معركتهم الباطله مع الحق

ويلعب الاعلام الدور الاكبر في هذا الجانب ولهذا نجد النظام الفرعوني يذكر الموطنين الذين سمعوا بحجه موسي ...يذكرونهم بحب الوطن ويزعمون ان موسي يسعي لاخراجهم من ارضهم يستعملون هذه العباره لتهديد الاقباط- بان موسي يريد من اخراج بني اسرائيل الاستيلاء علي ارض مصر وخيراتها وان حجه اخراج بني اسرائيل مجرد ذريعه للاستيلاء علي ارض مصر

ومن جهه اخري يحاولون استماله بني اسرائيل من خلال تشويه دعوه موسي بانه يريد ان يخرجكم من ارضكم التي تعيشون فيها منذو مئات السنين

المبحث الثاني

تظهر الايات توجه فرعون الي تفعيل مبدا الشوري وتبني

اسلوب فريق العمل الواحد في مواجهه الدعوه التي جاء بها موسي فقد استدعاء الوجهاء والساده واصحاب المصالح وتشاور معهم عن الوسيله المناسبه لمواجهه موسي الذي بنظرهم يهدد مصالحهم فاجتمعوا لاجل اخماد كلمته ودراسه الحلول التي توقف الثوره اردوا ان يتوصلوا لحيله يظهرون للعوام انه كاذب فهذا هو الفريق الذي يشكل عناصر صناعه الازمات فقال لهم فرعون دعوني اقتله اني اخاف ان يبدل دينكم كما قال تعالي في سوره غافر (ذروني اقتل موسي وليدعو ربه اني اخاف ان يبدل دينكم ....الخ

ففرعون شرع يطلعهم علي الخطر الذي يشكله موسي علي النظام ومصالحهم وانه يمثل خطرا علي الدوله والملك والسلطان يريد ان يشجع العبيد علي الاكابر فهو طامع في حكم مصر وقد وافقوه الراي انه يشكل خطر لكنهم لم يوافقوه في القتل لانهم خافوا من يفتتن الناس به وبدعوته وهنا قال تعالي (فماذا تامرون)

وهذا فيه احد معنين اما ان يكون القول من الوجهاء لبعضهم اي يطلبون الذي يجب امتثاله او انه من فرعون وهو الارجح فيكون الامر بصيغه الطلب علي وجه التلطف مع المخاطبين او هو علي وجه طلب نتيحه الافتاء والتشور ولهذا فاللازم :-

ان تدرك اهميه الشوري وتفعيل مبدا العمل كفريق واحد في مواجهه الازمات والتحديات فهذا هو الطريق العلمي لمواجهه التحديات ولهذا فان هذا المبدا هو طوق النجاه الذي يلجا اليه حتي المستبدون في وقت التحديات ففرعون اراد بهذا ان يضمن عدم استغلال موسي لاي خلاف بين قوي الاستبداد واقناعهم بان استمرار المكاسب يقتضي العمل كفريق واحد فهذا اهم عنصر لمواجهه التحديات ولذلك قال لهم (فماذا تامرون)

علي وجه التلطف لاشعال روح الابداع بينهم لتقديم حلول واراء غير مسبوقه يريد منهم تشخيص الازمه بشكل فوري وسريع واعداد خطه للتعامل مع الخطر الذي يشكله موسي بنظرهم ولهذا جاء الرد من قوم فرعون عن مضمون التشخيص في البدايه بان موسي ساحر متمكن من علوم السحر وفنونه فقالوا لفرعون... فالقضيه ليست مجرد سحر بسيط انها اكبر من ذلك فهي تحتاج الي اعداد وتخطيط لان دعوه موسي لاتكاد تخفي وانه ان قتلته او سجنته فسوف يتحقق للناس ان موسي غلب وبذلك سوف يتعرض سلطان فرعون للتزعزع في قلوب الناس .. قالوا لفرعون (ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم)

الخطه التي عرضها الوجهاء والاشراف من قوم فرعون1

/1

ان يرجي الحكم في امر موسي وهارون وياخر امرهم الي موعد اخر وهذا يعود الي تحليل الموقف وتقدير ماقد ينتج عن قتل موسي او حبسه لان ذلك سيودي الي اقتناع الناس بحجته فدعوته سوف تنتشر لامحاله ولهذا قالوا (ارجه واخاه) فالامر بالتاخير دل انه تقدم منه امر اخر فقد اراد فرعون قتله او حبسه فقالوا له اخر امره هو واخيه

/2

اردوا من التاخير ابطال دعوي موسي حيث تصوروا ان ماجاء به موسي هو سحر وانه بمقدورهم ابطال ما جاء من خلال التدخل العملي للسحره المتمكنون في ارجاء المملكه فقد اردوا التصعيد للازمه مواجهه التحدي بالتحدي وهذه وسيله مهمه لمواجهه الازمات لكن تحتاج الي العلم والمعرفه وهولاء جهلوا حقيقه ان ماجاء به موسي معجزه من عند الله تعالي

/3

يلاحظ ان قوم فرعون كانوا ذو مهاره فنيه للتعامل مع التحديات وحاولوا ادارتها بما يتفق مع مصالحهم ومن هذا الحشد والاعداد بكل ما يملكون من قوه ومن هذا العنصر البشري واستغلال الموارد المتاحه فقد كانت مصر تموج بالسحره فالكهنه يزوالون السحر في المعابد لاجل تزيف وعي الناس وتزيف الحقائق لخدمه السلطان ف السحره هم من اهم عناصر المنظومه الاستبداديه مثل الاعلام اليوم ومراكز الافتاء ورجال الدين التابعين للسلطه الذين يبررون افعال الطغاه

وهذا الفساد من اعظم انواع الشر الذي يهدد الامم لانه يغيب عنهم الوعي باسم الدين لقد شاهدنا امثال هولاء في مناطق عديده يتم انتهاك حقوق المسلمين باسم الدين وفتاوي ائمه الضلال والناس يتلقون ذلك بانه قران منزل فقد سفكت الدماء وقتل الخطباء في عدن بفتاوي من ائمه الضلال خدمه للطغاه هولاء مثلهم مثل سحره فرعون

المهم هنا ان اشراف قوم فرعون اعلنوا استنفار الطاقات التابعه للدوله واشاروا علي فرعون ان يستثمر كل العلا قات بما يودي الي النجاح في المعركه التي تصوروا انهم من خلال الاخذ بهذه الاسباب يمكن ان يطفوا نور الله ويبطلوا ما راه انه سحرا من موسي وحددوا لذلك المكان والزمن يوم الزينه وان يحشر الناس ضحي

فقد كان الذعر الذي اصاب المنظومه الاستبداديه باعثا لذلك الحشد بكل قواها ولهذا قالوا (وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم)

ان يرسل الجنود الي الامصار ليجمعوا له كل السحره البارعون في هذا العلم وقد ذكر في الشعراء (وابعث في المدائن حاشرين) وهذا فيه التهيج والاثاره فالبعث يعني فوق الارسال التهيج والاثاره ولان سوره الشعراء كان فيها مبالغه (ياتوك بكل سحار عليم) فاستعمل لفظ وابعث

بما ينسجم مع الجو العام للسوره

فدل ماسبق حب الرياسه داء خطير ومن دواعي ترك الدين وايثار المعاصي علي الطاعه ومعارضه الحق

المشهد الثاني

ابتداء هذا المشهد بمجي السحره لمقر اقامه فرعون فقال تعالي (وجاء السحره فرعون قالوا ان لنا لاجر ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين)

انتقلت سياق النصوص الي مشهد المشارطه بين فرعون والسحره فدل هذا علي حصول ارسال الرسل الي الامصار التابعه لمملكه فرعون وطلب ارسال وجمع السحره الماهرون فقد حصل كل هذا وقد حضروا وقيل ان اعدادهم سبعين الف ساحر وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

/1

تشير الايات الي انهم اهل خبره في السحر ومحترفون ولهذا جاء الخبر بجمع السحره الذين وصلوا الي قصر فرعون واجتمعوا به لاجل معارضه ما دعاهم اليه موسي عليه السلام

/2

تبين الايه كيف هو حال الناس اذا انحرفوا عن العقيده وعندمايصبح المال هو هدف حياتهم والابداع والاحتراف فان هذا الانحراف يجعل المبدع اداه تكريس الظلم والاستبداد وخدمه الطغاه وهدم القيم واداه الانحطاط ولهذا يستخدم الطغاه هولاء في تزيف الوعي والحقائق عن الناس ولهذا كانت المشارطه بينهم وبين فرعون فطلبوا الا

اجر

3

وصيغه المشارطه (ان لنا لاجر) وفي قراءه (ء ان لنا لاجر) همزتين وهذه علي سبيل الاخبار والاولي همزه واحده جاءت علي سبيل الاستفهام وهذا وجه من وجوه الاعجازفقراءه لان مجي التعبير علي صوره الخبر يوحي بظلا ل معناه فهو يعكس ثقه السحر في النصر وكانهم قد حكموا انهم سوف يغلبون موسي ومابقي لديهم الا الاجر فطلبوا تحديده علي سبيل التوكيد مثال ذلك مايقوله المحامي لصاحب القضيه الشائكه اذا تم تبرائتك من التهمه هل ستعطينا كذا مال ...الخ اذا وجد ثغره في الاجراءت تمكنه من تبراءه من يرغب بتوكيله

ولهذا فان القراءه تودي معني جميل يدل علي غرور هولاء وعلي ثقتهم بانهم غالبون وبانهم ماهرون وانهم قادرون علي غلبه موسي ولهذا قالوا لموسي اما ان تلقي ...وقالوا بعزه فرعون انا لنحن الغالبون ...الي غير ذلك من الامور الداله علي ثقتهم ولكن الله ابي الا ان يتم نوره فغلبهم وانقلبوا صاغرين واتباع السحره دعوه التوحيد التي دعاهم اليها موسي

4

تبين النصوص استخدام فرعون للتحفيز فقال تعالي (قال نعم وانكم لمن المقربين)

وهذا فيه ان فرعون كان مرعوب من دعوه موسي فهو يوكد لهم باعطائهم الاجر وفوقه انهم سوف يكونون مقربين منه وهذا من اكبر الحوافز الذي جعل السحره يحرصون علي ابطال دعوه موسي

فقد ادراك فرعون اهميه شعور السحره بان عملهم سيكون محل تقدير لان وجود ذلك يدفعهم لانجاز العمل فاراد بهذا العرض والاغراء بالمكافات جذب اهتمام السحره

لان غياب الحوافز والمكافاءت يعني ان يتهاون العاملون لكن الحافز يبعث علي الجد وراء المجد فنظام المكافاءت والحوافز من اهم عناصر مواجهه الازمات

(الفقره الثانيه)

تنتقل النصوص الي بدايه المبارازه بين موسي والسحره الذين احضرهم فرعون لابطال دعوه موسي فقال تعالي

(قالوا ياموسي: اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم)

اولا

تنقل لنا الايه مبادره السحره الي البدء بالتحدي فقالوا لموسي (اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين)

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

(التحذير من الشعور بكمال المعرفه)

يريد الحق منك وانت تخوض اي معركه ان تحيط بعناصر الصراع وقوتهم من جميع جوانبها وان تعد الخطه المناسبه لذلك وفق تقدير دقيق فالمعلومه والاحاطه بالشي من جميع جوانبه هي اساس مواجهه الازمات وانه من الحماقه اتخاذ قرارت مصيريه في حاله نقص المعلومات وعدم الاحاطه بالشي فالسحره كانوا غافلون لايعلمون ان الموقف ليس موقف احتراف وبراعه وتضليل انما هو موقف مواجهه بين المعجزه الربانيه وبين سحر بشري

وهو ما دفعهم الي البدء بالتحدي تحت تاثير النخوه والسكر في حب الجائزه الماليه التي وعدهم بها فرعون وانه سيجعلهم من المقربين قد اخراجهم عن الاتزان فقوه الفرح والرغبه في القرب من فرعون دفعهم للغرور فدفعهم ذلك الي البدء في التحدي

المفهوم الثاني

(التحذير من سوء التقدير والاعجاب والاغترار بالقوه)

ترسم الايه لنا صوره حيه عن مشاعر السحره فتظهر شعورهم بامتلاك قوه متفوقه وينظرون لموسي انه طرف ضعيف ولهذا يظهرون استخفافهم به لاجراء اختبار ميداني لقوتهم وابطال دعوه موسي ولهذا قال تعالي (قالوا ياموسي اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين)

حيث يفهم من هذا ان تاخير قولهم (واما ان نكون نحن الملقين) ولم يقل واما ان نكون الملقين ..اظهار وابراز المشاعر الناتجه عن داء الاعجاب والاغترار بالقوه والمغالاه في تقدير القوه الذاتيه فجاء بضمير (نحن)لتاكيد الرغبه للبدا اي كان رغبتهم في ان يبدوا هم هي التي دفعتهم الي طلب هذا الامر من موسي مع ان العقل يقتضي التاخير لانك في حاله التاخير تتلافي القصور الذي وقع فيه غيرك وهم كانوا في صراع ولذلك فان من الحكمه ان يتاخروا فاراد الحق بهذا التحذير من الثقه الزائده في النفس الي حد غير منطقي لان من شان هذا السلوك ان يودي الي عدم التخطيط بما يقود الي ازمات فالاغترار بالقوه يقود الي عدم الفقه الاداري وهو عله الهزيمه فقد كان من الحكمه ومقتضي العقل ان يتاخروا فهم في صراع

لكن حملهم الغرور بقوتهم علي الاستخفاف بقوه الطرف الاخر فكان ذلك سببا للخطا في تحليل المعلومات

ثانيا

(قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم)

المبحث الاول

تبين الايه رد موسي عليهم فقال تعالي (قال القوا)

فضل موسي ان يتاخر وهذا فيه :-

تحصين الامه من خلال استنباط هذه المفاهيم من هذه القصص التي تدلنا علي اسس اداره الازمات والمهارات الفنيه التي تحتاجها للفوز في المعركه فموسي لم يتسرع ولم يستفزه استعراض السحره للقوه برغم انه يعلم ان ماجاء به معجزه وهو موييد من عند الله فلم يقول لهم انا سوف ابدا لماذا?

لان من اغراض القصص تقديم حلولا قرانيه لمواجهه التحديات ومتطلبات اداره الازمات فنيا وادرايا فمن اهم هذه المهارات التي يجب ان ينبغي علي المسلم ان يستخدم توظيف مهاراته وقدرته العقليه والنفسيه والجسديه من اجل (التفوق في السيطره علي الاحداث)

فقد اراد موسي من بدء السحره بالمواجهه ان يري الناس ما يصنعه السحره ويتاملوا فاذا فزعوا من بهرههم

وماشاهدوا جاء الحق الواضح فاراد بهذا ان يحدث اختراق امني في القوي الصانعه للازمه (فرعون واشراف قومه والسحره) والمواجهه لها (وهم العوام الذين اراد الفراعنه تزيف الوعي لديهم) والمهتمه بها بني اسرائيل ....

ولهذا فان موافقه موسي لطلبهم لاجل التفوق في السيطره علي الاحداث لانه كلما طال الانتظار منهم لمجيئه كان اوقع في النفوس

والتفوق في السيطره علي الاحداث وامكانيه احداث اختراق امني يتطلب الاتي

معرفه ماهو هدف العدو و سلاحه وتقدير امكانياته وقدراته تقديرا علميا صحيحا تنظر الي مابيد العدو من سلاح والاهداف التي يسعي لتحقيقها ومدي تاثيرهم علي القوي المواجهه لها والمهتمه بها والصانعه لها وكيف يمكن احتواء اثارها والحد من اضرارها وكيف يكون تحويل المحنه الي منحه

ولهذا يقول الحق (وسحر وا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم)

فما هو السحر

السحر لغه كل ما لطف ماخذه ودق

وقال الازهري واصل السحر صرف الشي عن حقيقته الي غيره فكان الساحر لما اري للناس الباطل في صوره الحق وخيل للناس الشي علي غير حقيقته وقد سحر الشي عن وجهه اي صرفه)

وقال القرطبي : السحر اصله التمويه بالحيل وهو ان يفعل الساحر اشياء ومعاني فتخيل للمسحور انها بخلاف ماهي به كالذي يري السراب من بعيد فيتخيل انه ما ء وهو مشتق من قولك سحرت الصبي اي خدعته

وتستعمل كلمه سحر مقيدا فيما يمدح ويحمد في قولك (ان من البيان لسحر) فسمي بعض البيان سحرا

لان صاحبه يوضح الشي المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر علي تحسين الشي فدل هذاان المعركه هي معركه تبديل مفاهيم وتغيير مصطلحات هذه هي المعركه مع الباطل منذو القدم تهدف الي تزيف الوعي من خلال التلبيس علي الفطره واستهداف الذكر المغروس في الفطره

(هل للسحر حقيقه وتاثير في الواقع)

ذهب الجمهور الي القول ان السحر حقيقه وله تاثير واستدلوا بالاتي

بقوله تعالي (سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم) فدل هذا علي انه حقيقه والثانيه (فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه) علي ان السحر له تاثير بقوه التفريق بين الرجل وزوجته

والثالثه بقوله تعالي (من شر النفاثات في العقد)

فالاستعاذه من شر السواحر هنا يدل انه له تاثير

وهذا هو الاراجح وما تعلل به المعتزله من التباس المعجزه بالسحر فان الفرق واضح لان المعجزه حقيقه ظاهرها وباطنها اما السحر فظاهرها غير باطنه وصورته غير حقيقه يعرف ذلك بالتامل والبحث ولهذا اثبت القران الكريم انهم استرهبوهم مع اثبات ان ماجاءو به انما هو من طريق التخيل والتمويه فاراد المولي سبحانه وتعالي بهذا الاثبات ان يغرس في نفس المومن ضروره البحث والتامل في مختلف فروع الحياه حتي يواصل المسلم مسيرته بمهاراه ودرايه وعلم ولهذا فان القصه تهدف الي

تدريب وتربيه المسلم من خلال غرس ثقافه القران في النفوس لاجل ان تساعد المسلم في مواجهه التحديات من خلال استقراء الحوداث التاريخيه والاستفاده من التجارب واستنباط الدروس والعبر فقصص الانبياء يعطي المفهوم قوه حركيه لتجسيد الافكار علي صعيد الواقع والعمل بالاقتداء بهم في اداره الصراع مع اهل الباطل فعندما تسمع القصه فاعلم انها وحي من الله وليست احداث يروي الرسول مادار فيها من عنده هي ليست معارف يحصل بها الترف الفكري بل خطوط عريضه تمكن المسلم من استعياب السنن والنواميس وقراءه الاحداث في مجال الخير والشر ومعرفه كيفيه السير في الطريق المستقيم الذي هو طريق الانبياء والصديقين والشهداء و الصالحين ومن سار علي دربهم ولهذ ا فان القصه ترسم لك الطريق ومعالمها ولهذا نجد ان القصه ترسم لنا الا حداث بدقه

ماجاء به السحره فقال تعالي (سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاء بسحر عظيم)

ولهذا عليك ان تدرك ان السحر انواع فالسحر الوراد في سوره البقره متعلق بسحر الافكار باستخدام نوع من السحر الروحي الذي صرحت الايات ان له تاثير يصل لحد التفريق بين الرجل وزوجته وكل ذلك يتم باذان الله ..

ولذلك حذرت النصوص بعدها من تلك الثقافه وامرت بمقاطعتها فقال تعالي (واتبعوا ما تتلو ا الشياطين علي ملك سليمان .....الي قوله لاتقولوا رعنا ...الخ

اما هنا فموضوع هذا النوع من السحر ومجاله ليس في الوجود الموضوع خارج الذهن وانما محله الاعين و المخيله ومن المعلوم ان قدره العين علي الرويه محدوده فاذا تجاوز شي في الصغر مدي ومجال قدره العين فانها لاتراه لانها لاتراه فهو يختفي عن الرؤويه ولايعني عدم وجوده وكذلك اذا تعاظم وتجاوز مدي قدره العين ومجال الادراك فان العين تري السراب ماءوالعين تري الحركه ضمن سرعه معينه ولهذا فان الساحر يقوم باستخدام هذه العلوم امام اعين الناس لاجل السيطره عليهم بخفه تجعل المشاهد يري اشياء لاوجود لها فالسحر مرتبط بالعين فاذا حصل اغماض العين فانه لن يستطيع التاثير عليك لانتفاء الرؤويه ولهذا تذكر الرؤويات ان السحره جاوا بعصا وحبال ووضعوا فيها الزئبق بعد تشكليها علي هئيه ثعابين ووضعوها فوق سطح. ساخن ومعلوم ان الزئبق يتمدد بالحراره وعندها يتوهم لك انه يتحرك فهذه الخدعه هي التي لجاء اليها السحره فهذا هو سحر الخيال اي يتوهم رؤويه اشياء لا اصل ولا وجود لها فقال تعالي (فلما القوا سحروا اعين الناس)... اي جعلوهم يتخيلوا اشياء مخالفه للحقيقه ...واثاروا الخوف والهلع في قلوبهم لان السحر يتطلب توفر مشاعر الخوف في النفوس ليكون له تاثير

ووصفه الحق بانه سحر عظيم فقال تعالي (واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم) اي انه لم يكن سهلا والسحر يعني الخداع والتاثير بحواس الانسان وجسمه وسحر الخيال يصيب الناس كلهم لان مقدرتهم الابصاريه ضعيفه ومحدوده وانما التفاوت بين الناس تكمن في عمليه التصديق فمن كان ذا علم بقواعد اللعبه فانه يعرف الموضوع علي حقيقته في الواقع برغم رؤيته للحدث كما راه الناس فقال تعالي عن موسي (يخيل اليه من سحرهم انها تسعي) فما الذي اختلفت فيه رؤيه موسي عن الاخرين انها عمليه التصديق فهو يدرك باليقين الجازم ان ما جاء به السحره ليس له حقيقه ولهذا فان التفوق والسيطره علي الاحداث تتطلب ان يتسلح المومن بالعلم والمعرفه الذي يجعله قادرا علي مواجهه التحديات وحتي يستطيع ان يحدث اختراق امني ثلاثي الابعاد فالمعركه بين الحق والباطل هي معركه تبديل مفاهيم وتغيير مصطلحات الذكر فالطغاه عبر التاريخ قديما وحديثا يبذلون جهودهم لتبديل المصطلحات وتغيير المفاهيم التي تقوم عليها الحياه لديهم مهندسون ومفكرون ومخططون يضعون البرامج والخطط لتزيف الحقائق وتغيير المفاهيم لينظر للحق بانه باطل والي الشر انه خير والي الظلم انه عدل ولهذا تتعرض المفاهيم الي هجمات شراسه منهم ويحاولون تزيف الحقائق ففرعون رفع شعار الصلاح وزعم ان موسي يريد الافساد في الارض فقال تعالي في سوره غافر (اني اخاف ان يبدل دينكم .....الخ

ولهذا فان العلم مهم في المعركه حتي لايكون انتصار العدو في الصراع نتيجه ضعف العلم لدي المسلم سببا في

تبديل المفاهيم وانتشار الكفر في الارض

ولهذا فان اللازم عليك ان تتسلح بالعلم والمعرفه لتكون علي قدر التحدي وقادرا علي ازاله الشبهات فهذه هي مهمه الداعيه في مرحله الدعوه الجهريه عليك ان تفهم الرسائل والتوجيهات الربانيه التي تحملها اياته فانتبه من ا لايمان التقليدي لان صاحبه لايصمد امام التحديات ولهذا فاللازم علي المسلم ان يتزود بالعلم اللازم نظريا وعمليا وان يكون صاحب مهاراه في اداره الازمات فالفشل الذريع الذي تعيشه الامه اليوم يعود الابتعاد عن القران وعدم التفاعل مع مفاهيم القران وما تحمله من رسائل وتوجيهات نتيجه التقليد وتردد اقوال الفقهاء دون الوعي بما فيها فكان من السهوله ان يسيطر الغرب علي العقول الاسلاميه

(الفقره الثالثه من المشهد الثاني)

تبدا هذه الفقره بقوله تعالي (واوحينا الي موسي ان القي عصاك فاذا هي تلقف ما يوفكون)

المبحث الاول

الجمله معطوفه علي ماقبلها (سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم) حيث اخبرنا الله في موضع اخر ان موسي لما شاهد سحرهم خاف ان يفتتن الناس بالسحر فقال تعالي (فاوجس في نفسه خيفه موسي قلنا لاتخاف انك انت الاعلي والقي ما في يمنيك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر ولايفلح الساحر حيث اتي)

فموسي لم يخاف من سحر السحره لانه يعلم انه لاحقيقه له وانما هو مجرد خيالات وانما خوفه من نتيجه المعركه فخاف ان لايستطيع الناس التميز بين السحر والمعجزه وبالتالي لاتحسم المعركه لصالح احد فتثبت تهمه فرعون بانه ساحر فدل هذا علي اهتمام موسي بتطورات الصراع ومتابعه سيره وهذا من اهم التفاصيل للتفوق في السيطره علي الاحداث ولهذا ترسم الايات لنا القصه كانك تري صوره مجسمه متحركه لاشخاص وابطال القصه تبرز مشاعر موسي وخوفه كي تعيش القصه وفصولها واحداثها ولهذا تاتي الايات هنا بقوله تعالي (واوحينا الي موسي ان القي عصاك ...الخ يعني القي عصاك حينها سوف تحسم المعركه فسوف تتبلع ما صنع السحره وسوف يبطل تاثير سحرهم علي الناس وترجع الحبال والعصي الي طبيعتها ويشاهد الناس حبال السحره وعصيهم مازالت حبالا عندها يحدث الاختراق الامني الذي يقنع الناس بالحق ويقنع السحره الذين هم من اهم اض لاع المنظومه الاستبداديه

فاراد بهذا الاتي:-

/1

التحذير من الاحباط فمهما كانت قوه الاعداء فلا تصاب بالياس ولاتسمح للاحباط ان يتسلل الي نفسك مهما كانت اعداد الاعداء وعدتهم وقوتهم لان الله يقف معك فما عليك الا ان تاخذ بالاسباب وان تسعي لرفع الظلم

فالانسان عزيز بالانس بالله لانه مع الله يعلم انه مع خالق السموات والارض وباالتالي فان المومن يثق بالله وبنصره وانه تعالي لن يضيعه فلا تخاف من تهديد الاعداء فاذا كان الباطل يسحر اعين الناس ويتصور اصحابه انه قادرون علي مواجهه الحق فانهم واهمون لانه عند المواجهه ينكمش الباطل ويضمحل ويزول والحق هو الغالب فالله تعالي هو الذي يهي الاسباب وكل شي بقدره تعالي

2

عليك ايه المومن ان تجعل القران الكريم جزء من حياتك تستمسك به وتتدبره وتعمل به خشوعا وتدبرا وفهما قولا وعملا وسلوكا فهو من اسباب المجد في الدنيا والاخره فعندما تتحدث النصوص عن قصه اي نبي فاعلم ان لك

منها نصيب تستفيد منها في حياتك ولهذا فان الايمان يولد فيك راحه النفس ويذهب عنك القلق فلا تخاف من تهديدات الاعداء مهما كانت فعليك ان تتوجه الي الله تطلب العون فهو تعالي اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالي انه في ذلك الموقف الذي خاف فيه موسي ان يفتتن الناس بما جاء به السحره زواده الله بالثقه والاطمئنان لاكمال التحدي فامره الحق ان يطرح عصاه ارضا فاذا هي تبتلع ما القوا وظهر الحق جليا بان موسي هو الصادق وماعداه ذاهب ولم يعد له وجود ليكون هذا درسا لك ايه المومن بانه اذا كنت علي الحق فعليك ان تحسن توكلك علي الله في مواجهه الباطل بالثقه بانك لن تنتصر الا بتاييد الله تعالي يقول احد العلماء فسبحان من اظهر حجه نبيه بعصا وابطل سحر فرعون بعصا وسقي موسي قومه بضربه عصا ونجي موسي والمومنون معه بعصا فهو يفعل مايريد

ويجعل من اسباب نصره اولياءه مايشاء ويهيا له الاسباب

المبحث الثاني

تعبر الايه عن مجموعه اعمال بمفهوم واحد بكلمات موجزه تحمل معاني شامله قادره علي الوصول الي اعماق النفس الداخليه للانسان بما ترسم له من صوره عن طريقه حسم المعركه واحداثها المتسارعه فقال تعالي (ان القي عصاك فاذا هي تلقف ما يوفكون فوقع الحق وبطل ماكانوا يعلمون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحره ساجدين ...الخ

وهو ما يجب ان نتعلم منه طرح المفاهيم الشامله بعيد عن التطويل الممل او الايجاز المخل حيث نجد الايات تبين الاتي

1

ان كلمه (ان القي) تفسيريه لفعل اوحينا والفاء في قوله (فاذا هي تلقف ..الخ للتعقيب الداله علي سرعه مفاجاه شروعها في التلقف بمجرد القائها علي الارض

فدل السياق علي جمله محذوفه تقديرها ان موسي القاء عصاه وان العصا دبت بها الحياه وصارت ثعبان تلقف ما صنع السحره فكلمه (فاذا) في معجم اللغه حرف للمفاجاه يختص بالدخول علي الجمله الاسميه ولايجي في اول الكلام ومعناه الحال لا الاستقبال

/2

ترسم الايه حركات الثعبان بعد ان دبت فيه الحياه في صوره تعبر عما يتشوق السامع المومن لرؤيته تعبر عما في خلجات صدره واحاسيسه من رغبه في رؤيه هزيمه السحره فبناء كلمه (تلقف)وتركيبها مع ما بعدها (ما يوفكون) تعبر عن مضمون تصوير نصره الله الحق وذم الباطل واهله قادره علي ان تغرس في اعماق النفس كراهيه الباطل واهله وتصوير ضعف الباطل وسلاحه

فكلمه تلقف مبالغه في اللقف وهو الابتلاع والازدرار فيقال لقف الطعام اي تناوله بسرعه شديده ويلقف اللاعب الكره اي اخذها بسرعه

و(ما) موصوله بمعني الذي والعائد محذوف اي ما يوفكون و الافك الصرف عن الشي وقلب الحقائق وسمي الزور افكا والكذب المصنوع افكا لان فيه صرفه عن الحق واخفاء الواقع فلا يسمي افكا الا الكذب المصطنع فما صنعه السحره مخالف للواقع وفيه الخبر الكذب

والتعبير بالماضي تلقف للدلاله علي التجديد والتكرار مع استحضار الصوره العجيبه فاذا هي تجدد تبتلعها من

امكانها

3

فالايه تصور الموقف بانه موقف حسم المعركه فتوضح مفهوم الثقه بالله والاعتماد علي الله من خلال شي ظاهر محسوس تنقله لنا القصه يقول لك الحق ثق بالله وقف مع الحق ولاتخاف ولاتضعف فالايه تهدف الي تثبيت المومنين وتهديد المشركين يقول الحق ان الحق لابد ان ينتصر فاذا كنت مع الحق فلا تخاف لانك تنتمي الي اهل الحق فقله الانصار ليس سببا للاحباط فعليك ان تنظر الي من تنتمي انك تنتمي الي من خلق السموات وا لارض عندما تقف في صف الحق يقول النابلسي (كم من شخص عادي يعمل مستخدما لوزير ما يمشي بكبرياء ولسانه طويل يتوعد هذا واذا تحدث عن امر يخص الوزاره يقول لقد فعلنا كذا وقمنا بكذا مع انه مستخدم لادخل له)

والمراد من هذا ان عليك انت ايه المسلم ان تعتز لانك تنتمي الي الحق انت مع الله تعالي حين تكون مع الحق فلماذا تقف موقف الضعف ولهذا نجد ان الايه تذكر نتيجه المعركه (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون)

فليس المراد بالقصه التسليه والمتعه بل المراد ان تتذكر دائما ان الحق لابد ان ينتصر في المعركه مع الباطل لان الحق من اسماء الله تعالي ولهذا لابد ان يظهر الحق ويضمحل الباطل ويزوال ولهذا (فوقع) تفريع علي تلقف و الوقوع حقيقه تعني سقوط شي من اعلي الي الارض فيقال وقع الطائر اذا نزل الي الارض واستعير الوقوع هنا لظهور امر رفيع لان ظهوره كان بتاييد الهي فشبه بشي ينزل من علو وقد يطلق الوقوع علي الحصول لان الشي الحاصل يشبه النازل كقوله تعالي (ان الدين لواقع)

والحق هو الامر الثابت الموافق للبرهان وضده الباطل الذي لابد ان ينهزم مهما كانت قوته الماديه

فانظروا لحال موسي امام فرعون وقوته وجبروته فقد نصر الله موسي علي السحره وفرعون فاختار كلمه وقع مرعاه لفعل الالقاء لان الشي الملقي يقع علي الارض فكان وقوع العصا علي الارض وظهور الحق مقترنين فاراد

تربيه الانسان المسلم وتنميه جانب الخير فيه وحذف مظاهر السلبيه والفساد والانحراف اراد توجيه الطاقات نحو الخير فالحق لابد ان ينتصر وانت مسولا عن حمل الدعوه فلا تخاف من الباطل فلا بدا ان يضمحل ويزوال فقال تعالي (وبطل ما كانوا يعملون) اي ذهب عملهم بلا فائده

3

ان التذكير المراد من القصه ليس تذكيرا عارضا ولاتشوق سطحي بل المراد ان تقوم القصه بمهمه عظيمه في التذكير الواقعي الحي فالله يقول للمومنين الذين كانوا يطاردون في مكه وهم قله لاتخافوا فالحق لابد ان ينتصر ويقول للمشركين ان الباطل مخذول فالظالم لابد له من نهايه ..فاراد ان تستقر هذه الحقيقه في اعماق النفس الداخليه للمسلم فانه يستحيل ان يوجد ضعف فيهم يريد ان يغرس فيهم الثقه بانفسهم من خلال العيش في هذه التجربه للتخلص من الافكار السلبيه التي كانت تقف عائقا امام حسم مواقف الكثيرون فالسوره تعالج حـ اله التردد وعدم حسم المواقف لان فقدان الثقه بالنفس يولد الشعور بعدم المبالاه وعدم الرضا عن النفس وعدم القدره علي التعبير عن افكاره بطريقه متوزانه ولهذا تاتي الايات موضحه ان الحق لابد ان ينتصر فهذه هي سنه الله الي يوم القيامه فانتصار الحق لابد ان يحصل فعرض القصه لمشهد هزيمه فرعون وجنوده من اعجب القصص التي تستدعي الوقوف علي فصولها والمقارنه بين ضعف موسي من حيث القوه الماديه وقوه فرعون لكن من الذي انتصر لقد كان السحره يقفون في صف فرعون الطاغيه ويدعمونه فرعون الذي قال انا ربكم الاعلي ..وفي المقابل كان موسي يمتلك عزيمه قويه لانه علي الحق فمن الذي انتصر في النهايه انها قوه الحق فقال تعالي(فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)

يعيطك المعلومات عن نهايه الصراع بين الحق والباطل لان من اسباب عدم الحسم والتردد عدم الثقه بالقدرات نتيجه نقص المعلومات يقول لك اذا. كنت علي الحق فلا تخاف من قوه العدو مهما كانت قوته لان الحق منصور و الباطل مخذول فالباطل لايقف امام الحق فلايكون الاغترار بمظاهر الباطل فلا تسمح لضجيج اهل الباطل ان يتسلل الي بيت افكارك وقلبك ويحدث الترددوعدم قدرتك علي حسم موقفك فهذا الضجيج لابد ان يسقط بمجي الحق فطبيعه الباطل ان ينتفخ بما يصنعه اصحابه فنحن نشاهد اليوم كيف ان اهل الباطل يحاولون تشويه صوره الحق يتطاولون في الاعلام يتكلمون علي العلماء وعلي ديننا نري انهم يسجنون اهل الخير ويوصفونهم بالارهاب ويمارسون ابشع الجرائم وبنفس الوقت يدعون انهم يحترمون حقوق الانسان بل ذهب الي الزعم بانهم دعاه حفظ حقوق الحيوان ....فان هذه المظاهر التي تراها لاينبغي ان تولد فيك الاحباط فانت علي الحق فكن واثقا ان الحق لابد ان ينتصر فعليك ان تحسم موقفك وتثق بنفسك ولاتسمح ان يوثر فيك الضجيج لاتسمح له ان يهز ثقتك بنفسك ويمنعك عن التطورففرعون الذي قال انا ربكم الاعلي صغر امام الحق وانهزم فصوله الباطل لابد ان تضمحل وتزوال فعليك ان تحدد هدفك فاذا كان هدفك مع الحق فعليك ان تثق باالجهه التي تقف في صفها فهذه الخطوه هي اول خطوه تخطوها للتخلص من التردد لان معرفتك للاهداف يعني معرفتك للطريق الموصل اليه معرفتك للنهايه ولهذا نجد ان الايات جاءت معطوفه بالفاء (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) فدلت اداه العطف و المعطوف عليه بحصول المغلوبيه اثر تلقف العصا لما صنع السحره واشارت الي المكان (هنالك) اي انهزم الباطل وظهر الحق والايماء فيه ان حصول انهزام السحره كان نصر للحق واهله وهزيمه لفرعون وجنوده واعوانه ومن يسلكون طريقه الي يوم القيامه فقال تعالي (وانقلبوا صاغرين)

التوجيهات لك ايه المومن ان تعتز بدينك وتعلم ابناءك هذه العقيده فالاسلام ليس فيه ضعف ولاذل بل عزه وكرمه وقوه عزيمه وارداه وهمه عاليه فاالمسلمون اعزه علي الكافرين اذله علي المومنين

انتبهوا من الغرور والكبر بالباطل فان النهايه هي الذل والهون فقال تعالي (وانقلبوا صاغرين)

والانقلاب مطاوع قلب وهي تعني التبديل للحال وتغيره ويستعمل للرجوع الي المكان الذي خرج منه الشخص لان الراجع قد عكس حال خروجه

وانقلب من الافعال التي تجي بمعني صار وهذا هو المراد هنا انهم صاروا صاغرين فجاءت مناسبه لكلمه غلبوا و الصغار المذله وهي مذله ظهور عجزهم ومذله خيبيه رجائهم فيما املؤه من ان يبطل السحره معجزه موسي فقد سقط الباطل وانهار امام الحق

ولهذا فان التفكير بنهايه المشهد يولد الثقه في النفس. طالما انك علي الحق وبذلك يتحقق الحسم في اتخاذ القرار لمن كان متردد من ان يقف مع الحق

الفقره الثالثه

تبين النصوص اهميه ان تكون اكثر حسما عند اتخاذ القرارت والمواقف وان تبتعد عن التردد خاصه تلك القرارات والمواقف المصيريه والموثره علي مستقبلك في جميع المستويات ولهذه تنقل لك الايات موقف السحره بعدما شاهدوا صدق نبوه موسي عليه السلام فقال تعالي (والقي السحره ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسي وهارون)

فالايه تنقل لنا هذا المشهد لحال السحره بعدما شاهدوا المعجزه الداله علي صدق نبوه موسي فقد خضعوا وقبلوا الحق واعلنوا ايمانهم باللّٰه تعالي في حين استمر فرعون في كفره وعناده هو ومن معه

وفي هذا المشهد نجد الاتي

الامر الاول

جاءت الايه معطوفه علي قوله تعالي (فغلبوا ..وانقلبوا)

فهي في حيز ذكر ما قبلها من القاء العصا وابتلاعها لما القوا وانه انكشف لهم صدق موسي عليه السلام انهم خضعوا لما روا الايات واعلنوا ايمانهم فاستعمل كلمه (والقي)

والالقاء كلمه تستعمل للتعبير في سرعه الهوي الي الارض

فلماذا استعملت هذه الكلمه وما دلالتها وما المراد من تصوير مشهد سرعه الهوي الي الارض والسجود من قبل السحره حيث ان المفسرون ذهبوا الي القول ان انبهار السحره ودهشتهم دفعهم للسجود كان هنالك قوه دفعتهم دفعافلم يتمالكوا انفسهم والحقيقه ان المراد من تصوير المشهد هو الاتي

المفهوم الاول

(تعليم المسلم كيف يتخذ القرارت الافضل في المواقف الحاسمه)

ان الحياه مليئه بالقرارات المهمه والمصيريه فهناك قرارات تحتاج الي التاني والتفكير وهناك قرارات يمثل عنصر الوقت مهما فلا ينبغي تضيع الكثير من الوقت واستهلاك الطاقات الذهنيه في المفاضله خاصه اذا كانت النتائج للمفاضله واضحه امامك لان التاخير هنا يعني التردد الغير مبرر فليس هذا من قبيل التاني في التفكير بل عجز يشل الحركه فانت اذا كنت امامك خيارين اما ان تدخل كهف بداخله وحش مفترس واما ان تصعد جبل فيه الامان لك فايهما تختار ثم هل تاخير صعودك الجبل بدعوي ان المساله تحتاج الي تاني وتفكير مع هذا الوضوح يعد من اعمال العقلاء ام انه من اعمال المجانين لانك تفوت علي نفسك فرصه النجاه وتعرقل مافيه تطورك

ولهذا فالسرعه في الهوي الي الارض التي عبرت عنها الايه يراد منها تعليم المسلم كيف يتخذ القرارت الافضل ومنها تلك المواقف الواضحه التي تتطلب السرعه لواضحها

المفهوم الثاني

(اهميه تحقيق التوزان بين عقلك وقلبك)

فالانسان يقف امام خيارات متعدده متعلقه بحياته ومستقبله وهنا يجد نفسه حيران في تحديد الخيار الافضل من بين هذه الخيارات المتاحه فينشا عن ذلك التردد وهذا اما انه يعود الي الافراط في التفكير الذي يتصف به البعض وهو ما يجعله حبيس الخوف ويشكل عائقا امام تطوره خاصه في المسائل التي يمثل عنصر الوقت موثر في تحديد مستقبلك مع عدم الحاجه الي التاخير لوضوح المساله وكذلك فان البعض يعتمد في تفكيره علي التحليلات الماديه دون ان يعرف ماهي اولوياته والبعض يواجه الامور بالعاطفه والانفعال الذي يقع تحت تاثيره وهو ما يوثر سلبا علي الاختيار نتيجه الاندفاع لانك توجه المساله بمشاعر سلبيه فالحماسه الزائده تدفعك لاتخاذ قرارت ارتجاليه عفويه ولهذا نجد ان الايه جاءت معطوفه علي ماقبلها (فغلبوا.. وانقلبوا) فهي في حيز ماقبلها من القاء العصا وابتلاع ماصنع السحره

فقد انكشف لهم صدق نبوه موسي عليه السلام لانهم اهل علم ودرايه فكان منهم اعاده ترتيب الالوويات والاهداف والافكار والعواطف بالنظر الي الجانب الايجابي للموقف بالاعتمادعلي التوزان بين افكارهم وتحليلات عقولهم تجاه دعوه موسي ومن عواطفهم ومشاعرهم تجاه هذا الامر الذي انكشف لهم فقد ادهشهم الموقف واتضح لهم صدق موسي ولهذا كان استخدام كلمه الالقاء لبيان ان موقف السحره ناتج عن هذا التوزان بين العقل والقلب بالنظر الي الحقيقه فكان السجودفيه اعلان كف الاذي و قطع الرغبه في الجائزه التي وعدهم بها فرعون

فلم يعدالمال يشكل هدفا لهم فالتوزان شكل قوه دفعتهم الي اعاده ترتيب الالويات والاهداف سعيا منهم الي تغيير الظروف السببيه للضغط من خلال النظر للجانب الايجابي للموقف مع العمل علي تغيرها فكانت النتيجه المسارعه الي التسليم و السجود لله تعالي للتعبير عن قطع الرغبه في المال بكف الاذي واعلان الوقوف ضد الطاغوت نتيجه الخشيه من الله فقالوا (امنا برب العالمين رب موسي وهارون) فقد حسموا اختيارهم فليس لديهم وقت يضيعوه بعد اكتشاف الحق ومعرفته فالفطره تحب الحق

الامر الثاني

تصوير مسارعه السحره للسجود مع ان فرعون احضارهم لابطال دعوه موسي وقد بينت النصوص تفاعلهم مع. طلب فرعون وبدوا بتحدي موسي فقالوا (اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين) فلماذا تحول التحدي الي التسليم المطلق واعلان التعظيم لله في الموقف؟

المفهوم الاول

(اهميه الصدق مع النفس في حسم المواقف)

يريد الحق ان تفهم ان القدره علي اتخاذ القرارت وحسم المواقف يعتمد بدرجه اولي علي المصداقيه مع النفس في تحديد الاهداف التي تسعي الي تحقيقها في الحياه وتريد ان تعيش من اجلها وترتيب الاولويات. ولهذا استفاد السحره من رويتهم للايه التي جاء بها موسي لانهم كانوا صادقين مع انفسهم في تحديد الهدف الذي يسعون لتحقيقه اما فرعون ومن معه فقد خانوا انفسهم فقال تعالي في موضع اخر (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا)

فلم يكن ينقص فرعون وقومه الدليل فهم كانوا مستيقنون من صدق موسي فقد وصف الحق الحاله النفسيه لفرعون وقومه امام الايات التي جاءهم بها موسي من ربه بانها بلغت مستوي اليقين في الادراك لكنهم خانوا انفسهم وظلموها برفض الحق فليس الحسم عائدا لنقص الدليل

المفهوم الثاني

يريد الحق ان تعلم ان القدره علي اتخاذ القرارت وحسم المواقف مساله ثقه بالنفس وهي مهارات شخصيه مثل اي مهارات اخري بامكانك اكتسابها وتنميتها من خلال الاتي

المساله الاولي

ان يكون لديك ارداه في التطور والارداه تختلف عن الرغبه لانه قد يوجد رغبه في التطور ولاتوجود اراده التطور عندها تبقي ما لديك مجرد اماني وهي لاتعني اراده التطور

لان الاراده تعني الرغبه المشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع ولهذا عبر السحره عن ارادتهم بالمسارعه بالتسليم و السجود ودعموا ذلك العمل بالاصرار المتواصل والمقصود وتصميم متطلع الي هدف معروف ومطلوب فقالوا (امنا برب العالمين رب موسي وهارون) فقد وضعوا اردتهم في قالب تنفيذي يعبر عن المسار الذي اختاروا ان يتحركوا في اتجاهه وهو الخضوع والتسليم لله رب العالمين

المساله الثانيه

التفاعل مع المفاهيم القرانيه بحيث تعيد تشكيل واقعك وترتيب حياتك واحاسيسك وسلوكك وحياتك علي الا رض وفقا لما جاء به القران ولهذا نجد ان السحره اعلنوا ان سجودهم هو ايمان بالله رب العالمين الذي عرفوه

حينئذ بظهور معجزه موسي والداعي اليه بعنوان كونه رب العالمين لانه قال علي لسان موسي لفرعون (وقال موسي يافرعون اني رسول من رب العالمين)

بهذه السرعه اعادوا تشكيل واقعهم تفاعلا مع المفاهيم التي استنباطوها من خلال قراءه نتائج الايه التي جاءهم بها موسي من ربه

المساله الثالثه

جمع المعلومات المتعلقه باي مساله والفهم الصحيح لها من اهم الاشياء التي تحتاجها لتنميه الثقه بالنفس وحسن الاختيار فالفهم الصحيح للنصوص والوحي يعين الانسان علي الاختيار السليم فهو يختصر الوقت والجهد فلاتقع في الاضطربات والتخبط ولهذا لما كان السحره اعلم الناس بالسحر والاعمال السحريه فان تلك الخبره جعلتهم يسرعون بالسجود لله والخضوع فتحول التحدي الي التسليم المطلق والافراط بالتعظيم لله تعالي لماذا كان هذا منهم مع ان فرعون احضرهم لابطال دعوه موسي لانهم اهل علم ولهذا ادركوا صدق موسي فلم يترددوا ومن هنا ندرك ان مفتاح التخلص من التردد ان تكون في حاله ذهنيه جيده وان تكون قادرا علي تقيم الخيارات المتاحه امامك بموضوعيه عن علم ودرايه وان تتخذ قرارتك بعقلانيه واستقلاليه بناء علي علم ومعرفه فقال تعالي (و القي السحره ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسي وهارون)

فقد القوا انفسهم علي الارض ساجدين لمن سجدوا?

لله تعالي الذي عرفوه حينئذ بظهور معجزه موسي ولهذا فان المعلومات التي لديهم كانت من اهم عناصر القدره علي الاختيار فلم يجدوا صعوبات في اتخاذ القرارت في تحديد مسارتهم لانهم اعلم الناس بالسحر ولهذا اعلنوا ايمانهم بوضوح

المفهوم الثالث

اهميه انتقاء الالفاظ وان يكون الخطاب له اهداف وذو مضامين حيه حتي يتلقاه الناس بوضوح اي تختار الكلمات التي تعبر عما في نفسك من مشاعر واحاسيس حتي تصبح الكلمات لها قوه موثره ومنتجه تعبر عن المسار الذي اتخذته طريقا لحياتك ولهذا فقولهم (امنا برب العالمين رب موسي وهارون)

فيها التعبير عن قبول ان يكونوا اتباع لموسي وهارون لماذا لانهما مرسلان من الله

فيه اظهار مافي قلوبهم من مشاعر حب الخير الذي جاء به موسي وهارون فيه اعلان مبدا المساواه بين الناس لا ن المنظومه الاستيداديه كانت تقوم علي الطبقات فينظر الي بني اسرائيل انهم طبقه ادني وان الاقباط الذين ينتمي لهم السحره طبقه ارقي ولهذا فقد اخرج السحره من قلوبهم هذا الصنم باعلان ان الناس سواسيه كلهم عبيد لله وحده لاشريك له فلا عصبيه ولاطبقيه

المفهوم الرابع

ان قولهم (امنا برب العالمين رب موسي وهارون)

فيه توجيه لك اخي المسلم مضمون هذا التوجيه ان تكون مفاهيمك التي تستخدمها في حياتك واضحه المعني وتوضحيها يكون باستخدام الاسلوب القراني في توضيح المفاهيم فلابد ان تربط المفاهيم بما يوضحها حتي لا يحدث الالتباس خاصه في المواقف الحاسمه فعليك ان تبين حقيقته بوضوح لا لبس فيه ولهذا نجد جاء اعلان ايمان السحره انه ايمان برب العالمين رب موسي وهارون لئلا يظن الناس انهم يقصدون بذلك فرعون فاردوا ان يفهم من قولهم انهم امنوا بالاله الحق الذي يدعوهم اليه موسي وهارون فتحديد المسار بوضوح من اهم الامور

للتخلص من التردد

المشهد الثالث

يتناول هذا المشهد مادار من حوار بين السحره وفرعون وتهديدفرعون لهم بالقتل والتنكيل وردهم علي ذلك الدال علي الثبات وحسم الموقف فقال تعالي (قال فرعون امنتم به قبل ان ءاذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينه لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الي ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

اولا

بعد ان سمع فرعون ايمان السحره وقبولهم بدعوه موسي قال تعالي عن رده فعل فرعون(قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينه لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ترسم لنا الايه صوره تظهر فرعون مهزوز فاقد لتوزانه عندما شاهد موقف السحره الذين هم جز ء اساسي من المنظومه الاستبداديه فقد مثل استجابه السحره لدعوه موسي اختراق امني كبير لمنظومه الديكتاتوريه الفرعونيه

فهذا التخبط والاهتزاز من فرعون لانه شعر بان القاعده التي اقام عليها نظامه الاستبدادي تنهدم فهذه القاعده تقوم علي عنصر الخوف من شخصه وبطشه فشعوره انه لم يعد يخيف الناس يعني فقدانه اهم الامور التي يستمد منها قوته وتسلطه علي الناس الناتج عن الاستخفاف بهم فاعلان السحره ايمانهم بالله رب العالمين بمثابه تحرر من الافكار التي تسلطت علي المصرين فهم كانوا يدركون سخافتها ومع ذلك صعب عليهم الخلاص منها سابقا لماذا لانهم كانوا يحرصون علي الدنيا ولذلك قالوا (ان لنا لاجر)

اما بعد رؤويه الحق فقد تخلصوا من الخوف واعلنوا الربوبيه لله وحده لاشريك له وهنا شعر فرعون بالخطر من يقظه الناس من غفلتهم لك ان تتخيل نفسك واقفا في هذا الموقف تشاهد ماحدث لفرعون وهو يصرخ بالتهديد للسحره تشاهد الارتباك والذعر في الفاظه وملامح وجهه فالايه تنقل لنا تلك الصوره كامله لو عشت مع القصه واحداثها فقال تعالي (قال امنتم له قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينه لتخرجوا اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبانكم اجمعين)

لماذا هذا الذعر لان الخوف الذي كان مصدر اذلال الناس وعجزهم عن مقاومه فرعون وبطشه انهدم اليوم في هذا الموقف الذي اظهر فيه السحره عدم الاكتراث لفرعون وبطشه فالخوف هو سلاح الانظمه الديكتاتوريه اذا انكسر زالت قوتهم

الامر الثاني

تبين النصوص لنا كيف ان الانظمه الديكتاتوريه تري تطلعات الجماهير الي الحريه خطر ا علي نظامها تخاف من مخاطبه العقل تخاف من سعي الجماهير الي جعل السياسه قائمه علي افتراض الخير العام تخاف من قبول الجماهير لمفهوم الخير العام تخاف من ان استقلال الجماهير في التعبير عن اراءها وقناعتها واختيارها للنظام الذي يحكمها يريد المستبد ان تبقي تحت وصايته فالفراعنه صفه موجوده في كل زمان وهو يركز علي مصادره الاراده لدي الشعوب يخاف من تحرر الاراده ولهذا نجد ان الاستعمار الفرعوني الجديد الذي يهيمن علي الشعوب

اليوم لايقل شانا في سياسته عن فرعون زمان فالانظمه السياسيه التي تحكم العالم الاسلامي اليوم كلها تابعه لا مريكا الحكام يخافون بطش امريكا لانها هي من اوصلتهم الي سده الحكم فقد اذابه الدول الاسلاميه في بوتقه اسلاميه وفق مزاجها بما يمنع تحرر الشعوب بما يمنع انطلاق اراده الامه نحو. حريتها ولهذا فقد شاهدنا تلك الحشود تصل الي العراق عندما لم يعد حاكمها خاضعا لها وان لم. يكن اسلاميا

شاهدنا تزاحم الاوصياء من امريكا وفرنسا وبريطانيا يفرضون وصايتهم علي امتنا يحمون امراضهم التي عملوا علي نشرها في العالم الاسلامي بالهاء الشعوب بافكار قوميه وتقدم وتابعين لامريكا اروسيا او بريطانيا يصنعون لشعوبنا امال زائفه لاجل تجريد شعوبنا من مبادئه ومن كل مقومات الانسانيه ينزعون من اراده المسلمين كل فعاليه من خلال الجمود الفكري والغزو الفكري منعنا من الرجوع للماضي علي سبيل معالجات مشاكلنا وانما علي سبيل التفاخر والتباهي مثل البائس الفقير الذي يحكي ماضي اسلافه الاغنياء

لقد انتقلت عدوي الخوف من الحكام الي الشعوب للاسف الشديد من قوه امريكا وبطشها ولهذالم تعد مشاعر الشعوب حيه بما يناسب الحدث الذي نراه في غزه لماذا لان ثقافه الفرعونيه تغللت في اعماق النفوس الداخليه للحكام واغلبيه الشعوب للاسف الشديد فالحكام يخافون من بطش امريكا والشعوب تخاف من بطش الحكام فامريكا والغرب فرعون علي الحكام تخاف من وصول اي حاكم حر شجاع الي سده الحكم ولهذا تحارب وتشجع ا لانقلابات التي تسقط الانظمه التي تمارس قدرا من الحريه في اختيار حكمها كما حدث في مصر وغيرها

وسبيل الطغاه عند الشعور بالخطر واحد هو التهديد بالقتل

الامر الثالث

تبين النصوص انهيار حسابات فرعون واستراتجيته التي كانت هنداستها الاساسيه تعتمد علي تخويف الناس وتمزيق المجتمع وقهر اراده الناس فاخبرنا الله ان فرعون مزق شعب مصر الي فئات وطبقات وهو ماجعله يقتل وينهب ويسلب ويدوس علي الضعفاء لقد اعتمد فرعون علي امرين :-

اخضاع الناس بالقوه وتخويفهم من بطشه وجبروته بما يمتلك من جيش وسلاح ونظام متماسك ظالم ومال فقال تعالي في سوره القصص (ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا....الي قوله (نري فرعون وهامان وجنودهما ماكانوا. يحذرون)

فالامر الثاني هو تمزيق الشعب. الي طبقات وكنتونات

وهذه هي الخطه التي تعتمد عليها الانظمه الديكتاتوريه في كل زمان

ولهذا نشاهد ان الغرب والقوي الامبرياليه اليوم تعمل جاهده علي خلق هذه الظروف في الامه الاسلاميه كي تضمن هيمنتها علي العالم الاسلامي فنري اسرائيل تعتمد في غرورها علي ثقتها المطلقه في تفوقها المطلق علي المسلمين وتبني ذلك. التفوق علي مزيدا من السلاح والتدريب والتي تشكل قوه ردع ترهب العرب ...وعلي مزيدا من الصراعات في البلدان العربيه والخلافات وخلق صراع المذاهب والاحزاب والطوائف والقوميات في المناطق العربيه وتشجيعها وتحريك الاحداث والصراعات داخل الدول العربيه بين الحينه والاخري من خلال ادواتها داخل اوطننا الذي صنعه الاستعمار الغربي والامريكي وعن طريق خلق وتجسيم التناقضات عبر مصالح هذه الفئات لا حداث الصراع فيها فقد شاهدنا ان اول عمل قامت به امريكا في العراق وافغانستان هو صناعه الاحزاب القوميجه والطائفيه ...كل هذا يهدف الي الحلوليه دون ظهور اراده اسلاميه تستطيع ان تحمي الحق الاسلامي لتضمن التفوق

ولهذا نجد ان فرعون اصابه الفزع والهلع عندما اعلن السحره ايمانهم بالله رب العالمين والذي يعني انهم تخلوا

عن القوميات والعصبيات وقبلوا ان يتحركوا تحت قياده موسي وهارون وهو مايعني التجاوب مع القياده الربانيه وعدم الخوف من فرعون وبطشه وهو مانظر اليه فرعون انه اختراق امني كبير يهدد الاستراتجيه التي يستمد نظامه منها الوجود فطبيعه الانظمه الاستبداديه انها تستعمل البطش والقوه اداه لاخضاع الناس لنظامها ولهذا تحاول ان تخلق في النفوس والافكار صوره لنظامها يتصف بالرعب والخوف والقساواه وعدم الرحمه وتسمي ذلك قوه الردع المانعه للناس من التحرر فتكون هذه الافكار اداه تسلط عليهم يقفون عاجزون عن اتخاد اي قرار يتعارض مع شكل المنظومه ويجعل الناس يتعايشون مع الظلم ويقبلونه

ولهذا فان هذه الانظمه تصاب بالجنون اذا حدث اختراق امني لمنظومتها الاستبداديه ولهذا تلجا الي استعمال لغه التهديد والوعيد وارتكاب ابشع الجرائم لاجل استعاده قوه الردع ولك ان تشاهد ماجري للنظام الاسرائيلي بعد الا ختراق الامني لقوتها في7اكتوبر من قبل المقاومه الفلسطنيه لقد ارتكبت ابشع الجرائم قتلت مائه الف فلسطيني في غزه هدمت المدينه الصغيره ومباينها المتواضعه والبنيه التحتيه لم تترك شي جميل فيها الا ودمرته بمساعده من امريكا وفرنسا والمانيا وبريطانيا واالعالم كله شاركوا في هذه الجريمه التي لم ترحم حتي الاطفال الخدج لقد ذبحتهم بدم بارد لماذا

لاجل استعاده قوه الردع لقد انهارت حساباتها وسقطت اسطوره القوه التي لاتقهر هذه الاسطوره الخياليه التي اخضعت جيوش العرب في سته ايام تحركت لاجل الحيلوله دون ظهور اراده اسلاميه لحمايه الحق الاسلامي في فلسطين تخاف من يقظه النائم فقوه الردع هذه جعلت الحكام المسلمون وجيوشهم ودباباتهم وطائراتهم واموالهم ومقدرات الامه كلهم ترتعش خوفا من الوقوف بوجه اسرائيل ووصل الخوف بهم الي الاندماج في الصهونيه لدرجه الذوبان تحت امواجه فصار بعض الحكام العرب صهاينه اكثر من بني صهيون للاسف الشديد يدافعون عن امن اسرائيل التي تنتهك مقدساتنا وتحتل ارضنا وتذبح اهلنا او في انكماش الذات والانعزال عن القيام بما يجب لنصره اهلنا في غزه ماالذي اوصل الناس الي هذا المستوي فاصبحت حتي الشعوب غير مباليه بما يدور كان الامر لايعنيها لماذا لاتحرك ساكنا ولو بالمظاهرات ان الخوف قتل احاسيسهم وتمسك الحكام بالكراسي ونشر ثقافه الا ختلاف وعدم الشعور بما يجمعنا من هويه ودين وقواسم مشتركه نحتاج الي الاهتمام بتقويه هذه المشاعر التي نتفق عليها فلو حصل هذا لادي الي مزيد من الاتفاق ولقضي علي الاختلاف ولتم تنشيط الطاقات وتوجيها بما يودي الي تكوين الاراده المشتركه لكن سيطره الغرب علي مركز القرار في الامه ونشر ثقافه الذل والهون والخوف من قوه الاعداء والخوف من المجهول والتعصب والمصالح الشخصيه حولت الدول العربيه الي مجرد بيادق بيد الغرب

وحولتهم الي جماعات متحاربه فيما بينها البين لكن المقاومه الفلسطنيه استطاعت باردتها القويه والاعتماد علي الله ان تسقط اسطوره الردع التي يتغني بها اليهود ويهددون بها الدول العربيه لقد انتصرت المقاومه بامكانياتها المتواضعه في 7اكتوبر واسقطت فكره الجيش الذي لايقهر رغم قله السلاح والتفوق النوعي لاسرائيل لكن الحق انتصر بالايمان والعزيمه القويه واراده المومنين ولقد صمدت المقاومه عاما كاملا ولم تستطيع اسرائيل ان تسترد قوه الردع المزعومه

ثانيا

تعقيبا علي ماسبق تاتي النصوص مبينه رد السحره علي تهديد فرعون فقال تعالي (قالوا انا الي ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

المفهوم الاول

 ان الخروج من حاله التردد والضعف والهون والحسم يتطلب التحرر من الخوف فاذا كان المستقبل بيد الله فلماذا تخاف ما عليك الا ان تتوكل علي الله وان تكون شجاعا لان الخوف لوسيطر عليك فمعني هذا انك لن تقدم

حتي خطوه واحده الي الامام بل ان الخوف سوف يجعلك تتراجع الي الوراء الخلف وبالتالي فانك تقف ضد اسباب التطور ولهذا فعليك ان تطرد شبح الخوف لانه ضد تطورك

فاول خطوه للتغيير تبدا من داخل الانسان باخراج الخوف من غير الله فان هذا يعيطك القوه في اتخاذ القرار وحسم الموقف

المفهوم الثاني

ان التخلص من مشاعر الخوف هنا يراد منها استعمال هذه القوه في محلها لان الخوف من الغرائز التي اودعها الله في نفس الانسان كقوه يدافع بها الانسان عن نفسه من اجل البقاء ولهذا فعليك ان تفهم ان هذه القوه هي لحمايتك وليست لتدمير حياتك فهي لتذكيرك بما يضرك وما ينفعك وتساعدك علي اتخاذ القرارت التي توصلك الي مافيه سعادتك ولهذا عليك ان تضبط هذه القوه لتكون قوه ايجابيه في حياتك لاقوه سلبيه تمنعك من اتخاذ القرارت المهمه في حياتك فانت تجد نفسك في اغلب المواقف متردد حتي في حياتك العاديه من اتخاذ القرارت لما ينتبك من مشاعر الخوف ولهذا فعليك ان تقف مع نفسك وتعرض عليها الامر وتسال نفسك لماذا لاتريد اتخاذ القرار هل القرار يتعارض مع اهدافك ام انه ينسجم مع الهدف ويخدمه تربط بين نقطه الانطلاق والغايه التي يهدف الوصول اليها فالقرار هو الذي يتوسط بين نقطه الانطلاق والنتيجه ولهذا فان التامل ينبغي ان يكون منبثقا من ادراك قادر علي ربط نقطه الانطلاق بهدف الوصول فانت حينها لابد ان تنظر الي المستقبل الذي تتطلع اليه وهل القرار سيوثر علي مستقبلك سلبا او ايجابا وهل يمثل ذلك الخيار طموحاتك وامالك وهل انت قادر علي تحمل نتائج اختيارك وهل يتناسب مع قدرتك وامكانياتك فخلال هذا التامل تظهر لك مفاهيم ضروريه تحتاجها لتغيير الظروف التي تقف امام التطور تقتنع بان هذه المفاهيم ضروريه جدا. للخروج من حاله التخلف التي تعيشها فهنالك علاقه سببيه بين التخلف وبين الظروف التي انشات تلك الظاهره وتتاثر بها وان حسم المساله يتطلب العمل علي تغيير هذه الظروف واستبدلها بظروف ايجابيه تتفق واهدافك التي تريد الوصول اليها ولهذا كان رد السحره (انا الي ربنا منقلبون) لماذا نخاف اذا كانت النتيجه من القتل والتهديد هو الموت الذي يعني الرجوع الي الله تعالي اي بدايه الحياه الابدايه التي فيها السعاده الحقيقه فلو علمتم مافي الاخره من نعم لما اثرتم دار الفناء علي دار البقاء وهذا فيه رساله للمتهاونين الذين غلب عليهم الهوي وباتوا ينسجون الاعذار في ذلك يقولون يجب مهادانه اهل الباطل اتركوا التشدد فهولاء لم يفهموا انه قوه الخوف يجب ان تستعمل بالخوف من الله تعالي فهي قوه تمنحك الشجاعه للاعتزاز بدينك وعقيدتك فلا تخاف من الاعداء فالله اكبر من كل شي

المفهوم الثالث

اهميه المواجهه للمخاوف:

يفهم من القصه التي تعرض موقف السحره اهميه مواجهه المخاوف والعمل علي ان لاتتحول الي قيود وسلاسل تقيد الانسان وتحول بينه.وبين تحقيق اهدافه في الحياه ولهذا عرضت القصه اطلاق فرعون التهديد (فسوف تعلمون)

بهذا الاجمال لادخال الرعب في نفوسهم ومن ثم قام بالتفصيل لاقطعن ايديكم ....الخ

فاراد بذلك ان يتركوا الحق ويعودوا الي الباطل واذا نظرنا الي من اطلق التهديد انه فرعون نحن نعلم كيف ان الكثيرون عندنا في الريف اليمني بالذات في المناطق الفقيره مثل تهامه ان المرء لايجروا ان يرفع راسه اثناء الحديث بوجود الشيخ فعندما يتحدث الفرد باذن الشيخ ينكس راسه في التراب تراه يتصبب عراقا في مواقف الحديث مع الشيخ تتسرع انفاسه يتعرق يظهر عليه جفاف الحلق وعدم القدره علي التركيز وهذا طبيعي لان جسمه احس بالخطر فيندفع الدم ويرتفع نسبه السكر في الدم فمابالك بان السحره وقفوا امام فرعون فلم

يخافوا من جبروته فماذا اراد الله بهذا المثال

اراد ان يعلمنا مبدا المواجهه فلا تخاف من الطاغيه فعندما تواجه تهدايدته بثبات تسقط قوته فالمتكبر اقصي مايمكن ان يفعله هو التهديد بالقتل بينما المومنون يرون ان الموت اسعد لحظات حياتهم لانهم يرجعون الي ربهم

فالمومن يقف مع نفسه عند اي تهديد فيسالها ماذا ساترك ان نفذ الطاغيه تهديده وماذا ساخذ ماذا ساقبض انها الجنه والعوده الي الله فالجميع سوف يعود الي الله

ولهذا فعندما تعرف انك عائدا الي ربك فما الذي يخيفك من الموت فعليك ان تتذكر دائما ان المخاوف ماهي الا مشاعر وافكار استحدثها عقلك من داخلك وبالتالي عليك مواجهه هذه الافكار والمشاعر لانها ان تسللت الي داخلك واستسلمت لها كانت من اسباب عرقله تطورك وتشتت الطاقات ويمنعك من الوصول الي هدفك الذي تسعي اليه فانت بحاجه الي الشجاعه في مواجهه المخاوف واسبابها والعمل علي ازاحتها وان تمضي قدما نحو تحقيق اهدافك وتحقيقها يتطلب ان تتقدم الي الامام ولهذا عليك مواجهه المخاوف حتي لاترجع الي الخلف ولاتعود الي الوراء مهما كانت تهديدات الاعداء فهذا اول سلاح يلجا اليه العدو بل تقدم الي الامام وانظر الي المستقبل الحقيقي فالحياه تقدم لك تجارب ولهذا عليك ان تستخلص الحقيقه من نتائج التجربه فلا تكون ممن تشبث ببدايه التجربه ولم يستفيد من نهايتها ولهذا تذكر لنا النصوص ثبات السحره بعدما امنوا ولم تنقل لنا النصوص في هذه السوره ولا في اي موضع في القران هل نفذ فرعون تهدايدته بقتل السحره او صلبهم ام لا. لان الغرض من القصص هو الاعتبار بمحل العبره وهو تاييد الله موسي وهدايه السحره وتصلبهم علي الايمان بعد تعرضهم للتهديد بنفوس مطمئنه

ثالثا

عليك ان تدرك ان الانظمه الديكتاتوريه تقوم علي اجرءت امن لحمايه الاقليه الظالمه من يقظه الاغلبيه المظلومه

ولهذا يشعرون بالفزع من يقظه النائم واذا وجدوا امارات تشير الي قرب ذلك فانهم يلجاون الي اتخاذ اجراءت تمنع نشاه الثوره بل يبدوان بالتحرك بما يشبه الثوره المضاده بالتشهير بدعاه الحريه وافكارها وتلفيق التهم ونشر الاشاعات وتلفيق التهم ودفع الجماهير لصالحها ولهذا نجد ان فرعون لجا الي اتهام السحره بانهم حاكوا موامره هم وموسي قبل ان ياتوا وزعم انهم تامروا لقلب نظام الحكم مع انه يعلم كذب ذلك لان موسي لم يلتقي بهم ولا يعرفهم فهو وصل الي قصر فرعون وبعدها دعا فرعون اشراف قومه وجمعهم وتشاور بشان دعوه موسي كيف يتصدوا لها فكان منهم المشاوره بحجز موسي وارسال الجنود لجمع السحره من المدن المختلفه وحضر السحره ولم يلتقوا بموسي اطلاقا ولهذا فالحق يريد منك ان تعرف ماهي الاجراءت التي يتخذها الظالمون في هذه المعركه وانها محض كذب وافتراء تهدف لوقف يقظه الشعوب وحمايه اضلاع المنظومه ولهذا فالنصوص تهدف الي الاتي

الامر الاول

تربيه المسلم علي الاستقلاليه في اتخاذ القرارمنذو الصغر وعلينا ان نزود اطفالنا بالمهارات الكافيه التي تمكنه من مواجهه الانظمه الاستبداديه لان الحريه لاتخلق خلقامفاجئا فلا بد من تهئيه الظروف لنموها فقياس تقدم الامم انما يكون فهمه من خلال النظر للظروف والسلوكيات في المجتمع ونموها ومدها بالوسائل والاجراءت التي تصوغها لتعويد الجماهير علي ممارسه النقد البناء وعدم التنازل عن حريته والاستعداد لتحمل مسوليه اختيارته وبالقوانين التي تضمن حمايه هذه الحريه والاستقلاليه وهذا يتطلب ان نمح اطفالنا قدرا من الاستقلاليه في التفكير واتخاذ الحلول لمعالجه المشاكل بعيدا عن الاتكاليه علي الابوين حيث ان ذلك يعني خلق انسان عاجز يعتمدعلي غيره ولايستطيع الوقوف امام التحديات فعله تقديم الحلول ليست في سهوله طرحها عن طريق النقل.

وانما في التعمق باستخلاصها عن طريق البحث والدراسه من عده جهات وليست نقل لوصفات جاهزه في قوالب جامده فمهمه الاسره والدوله تعويد الموطنين علي استخلاص الحلول للمشاكل واتخاذ القرارات في حياتهم بشكل مستقل ولكن ينبغي تزويد الافراد بالمعلومات والخبرات والمهارات التي تمكنهم من اتخاذ القرارت فالفهم السليم مهم لتكون هذه القرارت مبينه عن علم ودرايه وليست عن حماقه وجهل ولا مبنيه علي القسر والاكراه والقوه ف الطبيب لابد ان يكون طبيا لديه علم وخبره ومهاراه قبل ان يتعرض لعلاج المريض فالمساله ليست شعارات وتلقين المساله مساله واقع نعيشه ونحتاج ان ندرك ابعاده ونشارك نحن في صناعته ولهذا فان المجتمعات الحره لابد ان تتوفر فيها قدرا كبيرا من العلم ويقاس مدي استقلال الناس في اتخاذ القرارت والاختيار بمدي الوسائل وا لاساليب والقانونين التي تضمن سلامه الاراده واستقلالها اما الانظمه الاستبداديه فانها تنظر الي الاستقلاليه في اتخاذ القرار خطرا يهدد كيانها ولهذا قال فرعون (امنتم به قبل ان اذن لكم) فهي انظمه تقوم علي مصادره الارده وتقتل المواهب ولاتحترم الابداع

الامر الثاني

ان الانظمه الاستبداديه تلجا الي صياغه قوانين لحمايه الاقليه المستبده لتجريم كل من يحاول ان يقف ضد الظلم والباطل تضع قيودا علي كل من يسعي الي التحرر او المساهمه في صناعه الخلاص من الاستبداد ولهذا

فان عليك ان تدرك ان احترام سياده القانون لايعني تكريس الظلم فالقانون الذي يتطلب من الجميع احترامه هو الذي مخالفته يضر باجتماع الامه و

هو المستمد من الشريعه الغراء والذي يلتزم به الحاكم والمحكوم اما القوانين التي تكون اهدافها تكريس الظلم وحمايه الجمود الطبقي ومنع الحركه الاجتماعيه وحصر الحقوق السياسيه في فئات معينه او سلاله او عنصريه او طبقيه فان هذه القوانين لايكون مخالفتها جريمه لان المعركه مع الباطل حول هذه الامور ففرعون اعتبر ايمان السحره موامره علي الدوله والاكابر من قبل من يراهم بنظره عبيد وموسي والسحره ولهذا كان رد السحره (ق الوا انا الي ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا)

ذكر فيه السحره ان تهديد فرعون بقتلهم لانهم اتبعو الحق وخالفوا قانونين فرعون ونظامه الاستبدادي ليس لامر يذم فهو ان قتلهم لن يلحق بهم شي لانهم سوف يرجعون الي الله وواجهوا فرعون بانهم لم يرتكبوا جريمه عندما امنوا بالحق بعدما كشف لهم زيف فرعون ومنظومته الاستبداديه الظالمه واتضح لهم الحق بالايات التي جاء بها موسي من ربه فاذا نفذت تهديدك يافرعون بقتلنا فان هذا ليس لذنب مذموم ارتكبناه بل هو انتقام لامبرر له ولهذا فاننا لانبالي ان خالفنا قوانينك وان كانت تمنحنا بعض الامتيازات علي الاخرين فان هذه القوانين ليست. عادله ولهذا فان قتلك لنا شرف لاننا علي الحق ومبادي الايمان وبهذا لم يتاثروا بالتهديد الذي لجا اليه فرعون

الامر الثالث

اهميه تحويل الاشكاليه السلبيه الي نقطه ايجابيه للدفاع عن النفس وحمايه الامل الذي يجسد الاهداف التي تسعي الي تحقيقها فالحب للحياه والخوف من الموت اشكاليه سلبيه لمن تعلق بالدنيا وملذاتها لكن اذا تعلقت هذه النقطه بالنظر والتطلع الي ما عند الله والشوق فان هذا يتحول الي قوه صبر وتحمل وزهد عن الدنيا فمصعب بن عمير كان في مكه يلبس اجمل الثياب والعطور وعندما يمشي في الطريق تتجه الانظار اليه بالحب والاهتمام وعندما استشهد لم يكن معه ثوب يغطي جسده فهو رمز البطوله والتضحيه والاصرار والثبات علي الحق مهما كانت المغريات ومهما كانت العقبات فمن العوائق التي تمنع التقدم هو عدم الرغبه في من منطقه الراحه والتي توجد فيها الامور المالوفه فمن لم يتجاوز هذه العوائق فانه يشعر بالخوف من ان يخطو خطوه للامام يخاف ترك منطقه الراحه فيشعر ان التقدم يمثل خطر وهو ما يجعله يتردد ويتراجع ولهذا فان ذلك يصبح عدوا لدود لتطور ا لانسان ولهذا يجب عليك ان تتخلص من هذه العقبات فمصعب بن عمير ترك المال والجاه وكل شي في سبيل

الله وعندما استشهد لم يجد ما يغطي جسده وهو من اغني الاغنياء قبل الاسلام فقد كان يغطي راسه وتظهر قدماه فما الذي جعله يزهد عن الدنيا انها قوه الحب لارضاء الله والشوق لما عند الله فهذه القوه هي التي جعلت السحره يقولون (انا الي ربنا منقلبون) بعد ان خطفوا الانظار والابصار وهم يتباهون ان فرعون اختارهم لمهمه ابطال دعوه موسي وبعد ان كان كل ما يطلبون هو المال والجاه (ان لنا لاجر ان كنا نحن الغالبين) فما الذي جعلهم يزهدون عن ذلك انه التطلع والشوق لما عند الله والطموح الي المستقبل الحقيقي الذي فيه السعاده الا بدايه فان هذا الطموح جعل الفكر لديهم يتجه نحو العمل الفوري فقال تعالي (والقي السحره ساجدين) ولهذا لم يبالوا بتهديد فرعون فقالوا (انا الي ربنا منقلبون) انهم يعرفون النتيجه في المعركه مع الباطل اين تتجه وكيف تنتهي فكيف يضعفون امام التهدايدت اذا كانت النتيجه الرجوع الي الله فهم لايبالون بالطغاه وانما يطلبون النصر من الله يطلبون الصبر والعون من الله تعالي وكذلك فان الخوف الذي يشكل عائقا امام التقدم ينبغي ان يكون نقطه ايجابيه عندما لاتخشي الا الله فان الخوف يمثل قوه دفاع عن النفس وحمايه الامل فقوه الاشفاق من عذاب النار يعني قوه صبر علي التحمل لالم مشقه الطاعه ومايلقاه العبد من معاناه في حمل الدعوه وكذلك فان قوه الخوف من الموت تتحول الي قوه ترقب حلوله فيدفع هذا علي الاعمال الصالحه والاستعداد للقاء الله والا كثار من الاعمال التي تشكل رصيدا بعد الموت بالحرص ان يكون في موقف طاعه فلا يفاجاه الموت الا وهو. خاضعا مستسلما لله يخاف ان يفاجاه الموت وهو في معصيه فالمعركه معركه حق وباطل معركه ايمان وكفر معركه يستهدف فيها الاعداء اردتك يريدون اضعفاف الهمه واجتثاث العزيمه وبالتالي فلا مهادانه ولا مساوامه مع اهل الباطل ولهذا قال تعالي علي لسان السحره (ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

فهم قد ادراكوا حقيقه المعركه بانها معركه الاراده معركه انتصار الحق علي الباطل معركه انتصار الخير علي الشر معركه انتصار الايمان علي الفسق فهم حملوا هم الدعوه والعقيده ولهذا يطلبون من الله العون بان يجعل لهم طاقه تحمل لما توعد به فرعون اياهم وان يجعل لنفوسهم صبرا قويا يفوق المتعارف عليه لان فرعون توعدهم بعذاب شديد ولهذا شبهوا الصبر بالماء تشبيه المعقول بالمحسوس علي طريق الاستعاره المكنيه وتشبيه خلقه في نفوسهم بافراغ الماء في الاناء علي طريقه التمثيل به فان الافراغ صب جميع مافي الاناء والمقصود من ذلك الكتايه من قوه الصبر لان افراغ الاناء يستلزم انه لم يتبقي فيه شي مماحواه ودعوا لانفسهم بالوفاه علي الاسلام ايذانا بانهم غير راغبين بالحياه الدنيا وزينتها اذا كانت فتنه تعيدهم الي الكفر ايذانا بقطع الرغبه بالمال الذي كانوا قد طلبوه من فرعون وكانت تلك المطامع نقطه ضعف سلبيه عندما كان همهم الدنيا لكن اليوم همهم كيف يرضون الله همهم النجاه من عذاب النار والشوق لما عند الله فهم لايبالون بتهديد فرعون فالايه عرضت لنا الاسلوب و الطريق الذي وجهه فيه المومنون الازمه والمشكله التي حاول فرعون الضغط بها علي السحره فقد تحملوا المسووليه بجداره وحسموا موقفهم ولجاوا الي الله طالبين العون والنجاه قبلوا التحدي قالوا نحن نخوض معركه الحق ضد الباطل فلن نهرب من مواجهه الباطل

فاراد الحق بهذا نتعلم مواجهه المشاكل بقتل مشاعر الانزعاج والمعاناه لان الوصول للنجاح لابد ان يمر بالمتاعب و التعرض للالم الحقيقه لابد ان تقف في طريقك المصاعب فعليك التاقلم مع مشاعر الانزعاج والتحديات الناتجه عنها لاجل التغلب عنها بالاستعانه بالله والثقه بنصر الله واختياره لك فمعظم الاشياءالجيده في الحياه

تسبب لنا المعاناه ولايعني التاقلم التعايش مع الظلم فليس هذا المقصود وانما يعني ان تبذل جهدك للتغلب علي المشكله واثارها فاذا لم تستطيع فعليك بالصبر والدعاء وبذل المستطاع من الجهود فلا تسمح لمشاعر الانزعاج ان تقتل الطاقات لديك فمن كان مع الله فلا يخاف

فانت مطلوب منك ان تقوي صلتك بالله وان تدعوه فلا وساطه بينك وبين الله فهذه الحقيقه اذا استقرت في الذهن تحقق نصر الانسان علي عدواه الداخلي والخارجي واستطاع تحويل الاشكاليه السلبيه الي نقطه انطلاق ايجابيه اذا استطاع ان يفهم ما تحمله الايات من مفاهيم فالمفهوم القراني بمثابه الكائن الحي يحتاج الي رعايه واهتمام وعنايه ومحافظه وتكوين انه منهج متكامل يتضمن مجموعه من الاجراءت والسلوكيات التطبيقيه

فليست كلمه لا اله الا الله مجرد كلمه تنقال بل هي منهج حياه فالسحره كانوا قريبي عهد بالايمان لم يكونوا يعرفون التوحيد الا في هذا الموقف الذي اتضح لهم الحق من الباطل فكان هذا الفهم الذي ارتبط بهذه التجربه له داعيا الي العمل والبذل والجهد لقد استشعروا ما وراء حقيقه لا اله الا الله من معاني فكانت هذه المفاهيم داعيه الي تذكر الله وخشيته والارتقاءبه فكانت قوه موثره حملتهم علي الصمود والثبات وحملهم علي طلب قوه التحمل والصبر من الله للوصول الي مايريدونه كانت هذه المفاهيم قوه مناعه تحصنيه من الانحراف مع الاهواء وزخرف الدنيا التي كانوا يطلبونه قبل ان يروا الايات فقد فهموا ماذا يقصد برب العالمين فهموا ماينبغي ان يقوم به المومن فتعلموا من هذه الصفه ان يناجوا الله ان يحاكوا ربهم ويستعينوا به فما احوجنا اليوم الي مفاهيم موثره تمدنا بالقوه علي الصبر والتحمل في سبيل الله اننا اليوم نفتقد الي هذه المفاهيم التي شكلت ميلاد حياه للسحره وغيرت اسلوب حياتهم تغيير ايجابي فهكذا ينبغي ان تكون مفاهيمنا داعيه للعمل والبذل والجهد والتغيير الكامل والشامل

المشهد الرابع

بعد ان ذكرت الايات مشهد انتصار الحق وهزيمه الباطل في معركه الايمان والطغيان معركه الخير والشر ومشاهده الناس ايمان السحره تنقل. النصوص لنا مشهد اجتماع الملا من قوم فرعون وتحريضهم فرعون ضد موسي

فقال تعالي (قال الملا من قوم فرعون اتذروا موسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون)

وهذا فيه بيان الاتي

الامر الاول

الايه معطوفه علي جمله (قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينه لتخرجوا منها اهلها ...الخ حيث ان فرعون رفع شعار التميز بين اهل الثقه واهل الخبره فااراداستنفار اصحاب المصالح واركان نظامه ومنظومه الدوله العميقه باتهام السحره انهم وموسي يسعون لقلب نظام الحكم ليقفوا في صفه باعتبارهم اهل الثقه ولاشك ان تشكيك فرعون في الكفاءت (السحره) فيه اختراق امني لمنظومته لان ايمان السحره شكل ضربه قاصمه للنظام لان ذلك فيه تجميد لفعاليه السحره في خدمه النظام وايضا شكل هذا التميز الذي اعلنه فرعون بين اهل الخبره السحره وبين اهل الثقه الذين سماهم فرعون اهل المدينه عامل اضعاف المنظومه ومضاعفه عدم الاستقرار وتعميق جذور الصراع بين اهل الخبره (السحره) الذين صاروا في صف موسي و المومنون وبين من اعتبارهم فرعون اهل الثقه فسماهم انهم اهل المدينه بقصد استنفارهم لتشكل قوه تجتمع حول مصلحه وغايه مشتركه ولهذا كان عطف الايه علي جمله(قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينه لتخرجوا ..الخ

فذكر ان من اعتبرهم فرعون اهل الثقه استجابوا لما استنفرهم اليه فرعون وتشاورا حول كيفيه استعاده الا ستقرار المفقود بعد ايمان السحره الذين يمثلون ضلع اساسي من اضلاع المنظومه وقد شاهدوا عدم الاكتراث منهم لتهديد فرعون لهم بالقتل وربما انه قتلهم فعلا فالنصوص القرانيه لم تتناول هذه المساله هل نفذ فرعون وعيده ام لا ..ولهذا فان قوله تعالي (قال الملا من قوم فرعون)

فيه بيان رده فعل اهل الثقه بنظر فرعون علي طلب استنفارهم للاصطفاف معه في مقاومه دعوه موسي بعد ان اصبح الناس يتدولون المعجزه التي جاء بها موسي وماتعقب ذلك من ايمان السحره ولهذا فقد جاء هذا الكلام علي وجه الشوري وليس علي وجه التوبيخ كما ذهب بعض المفسرون فهذا القول لاينسجم والكرزما الفرعونيه ولا

ايوثر في ذلك استخدام اسلوب الاستفهام فهو بالاضافه الي ما سوف نبينه لاحقا يدل ان استنفار فرعون لهم و التفريق بينهم وبين اهل الخبره السحره باسقاط المواطنه عن السحره واقتصر هذه الصفه علي اهل الثقه الاكابر و الساده او فريقه الخاص منهم فان رفع فرعون لمنزلتهم ادي لشعورهم بالاعجاب بانفسهم فكان منهم استعمال اسلوب الاستفهام نتيجه تلك الانفعالات

الامر الثاني

تبين النصوص ان الانظمه الاستبداديه حتي لو منيت بالهزيمه فان اركان المنظومه في الدوله العميقه تلجا الي خطوات الثوره المضاده لازاله ومسح اثار الهزيمه من عقول الناس ولهذا تبين النصوص انه بعد انتصار الحق كان من الدوله العميقه الانتقال بالصراع الي مرحله جديده من مراحل الطغيان والاستبداد للسيطره علي الاحداث واستعاده الانفاس ومحاوله احتواء الثوره من خلال الثوره المضاده ولهذا تبين النصوص لنا الاتي

المفهوم الاول

(من هم ادوات الثوره المضاده)

فقال تعالي (قال الملا من قوم فرعون)

الاكابر واصحاب المصالح والمنتفعون من النظام ولهذا فان الاجتماع علي مصالح مشتركه تجعل كل واحد منتفع بفكره فرعون لابد ان يحسب حسابه وبالتالي يسعي جاهدا للحفاظ علي النظام الفرعوني ويدافع عن الفكره التي يستمد منها النظام قوته ولهذا قال تعالي (فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)

وبالتالي فان هولاء المنتفعون بقربهم من فرعون والمرتبطون بمكاسب تعود عليهم من النظام يخافون من قوه ظهور الحق لان معرفه الناس ان فرعون ليس الها وليس ابن الاله يعني ان مكاسبهم ضاعت وهذا هو حال المنتفعون من الانظمه الاستبداديه في كل زمان فنحن نشاهد امثله حيه في واقعنا الاسلامي اليوم تجسد صوره المنتفعون من الانظمه الاستبداديه كيف انهم يدافعون عن تلك الانظمه بكل طاقاتهم يبررون لجرائم الطواغيت يبررون لافكار الطواغيت التي تتعارض مع منهج الله يبررون للقتل وسفك الدماء فهم لايختلفون عن المنتفعون من صنم الفراعنه الذين قالوا لفرعون (اتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك)

فهم يحاسبون حسابهم بان سقوط النظام وفكره الوهيه فرعون سوف يسقط معه مكاسبهم هم يخافون من سقوط النظام ولهذا جاء التطمئن من فرعون لهم فقال (سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) لا تخافوا لن نسمح لهم ان ينتصروا علينا فسوف نقتل الرجال ونجعل النساء خدما ونجعلهم مغلوبين محكومين

هذا هو منطق الفرعون واتباعه في كل زمان فمن تدبر الايه ونظر الي حال الطغاه في هذا الزمان يري الشبه بينهم وبين فرعون سوا بسوا

المفهوم الثاني

تبين النصوص خطوات الثوره المضاده في الانظمه الاستبداديه

1

المرحله الاولي لهذه المرحله هي مرحله التامر وتبدا هذه المرحله بتجميع المستفيدين من النظام الذين يضعون مصالحهم الشخصيه فوق كل اعتبار خوفا علي امتيازاتهم الذاتيه

رفع شعار التطرف وجعله وسيله للتميز ولهذا تشاهد اناس يتسمون بالتشنج والتطرف في قساواه القلوب وعدم قبول الاخر واظهار القوه بلا رحمه ضد كل من يخالف يتعاملون مع كل من خالف النظام بالراي بالشده والبطش ويظهرون الغلظه ولهذا تبين النصوص لنا صوره هذا التطرف الذي يتسابق الملا في اظهاره امام فرعون كوسيله تميز يتميزون بها فترسم لنا الايه صوره التطرف من خلال استعمالهم الاستفهام في مخاطبه فرعون فقال تعالي (قال الملا من قوم فرعون اتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك)

جاء فيه الاستفهام للاغراء وتهيج فرعون علي موسي والمومنون فالملا اجتمعوا للتامر والتحريض وتناجوا علي الشر والاجرام اردوا اظهار التشنج واظهار التطرف منهم بالتمسك بربوبيه فرعون فهم ينكرون علي فرعون الابطا في القضاء علي موسي ومن امن معه فهم يخاطبون فرعون ان المرحله مرحله انقاذ اساسيه للنظام تقتضي السرعه في المواجهه فالابطاء يعني تحقق النبوه التي كنت تخشاها بان طفلا من بني اسرائيل سوف يقضي علي دولتك فعليك ان تمنع حصول هذا ـ

وهذا هو سلوك الطغاه في كل زمان يخافون من اطفال المستقبل فلا تستغرب من اعمال اليهود في غزه وهم يقتلون الاطفال الخدج لان طبيعه الفراعنه في كل زمان واحده ذوي قلوب قاسيه لارحمه في. قلوبهم ان اي انسانيه فاي مجتمع يقوم علي اساس التفوق في الجنس او اللون او الطبقه فان هذا النظام هو فرعون يتخذ من التطرف والتوحش وسيله للتميز فلا تستغرب ان تسمع وزير دفاع الكيان الصهيوني يصف اطفال غزه بانهم حيوانات لاتستغرب ان تسمع قاده الكيان الصهيوني يتباهون بقتل الاطفال والنساء فهذه هي صفات كل الطواغيت والانظمه الاستبداديه يتخذون من التطرف وسيله للتميز والظهور يعتبرون ذلك مكاسب يتقربون بها حتي يكونوا من اهل الثقه التي توهلهم للمناصب والمكاسب العاليه

لان اي نظام طبقي سلالي عنصري انما يستمد وجوده من خلال ما يزرعه في قلوب الناس من خوف فهذه هي فلسفه فرعون واركان نظامه التي نراها اليوم في غزه. يتشاركون مع فرعون بالقتل للاطفال والتوحش في قتل العزل فالمجرمون جبناا ء يخافون من سماع الحق والعدل يخافون من الاطفال فهذه من الصفات التي يتشارك فيها كل الطغاه مع فرعون ونظامه فهم بلا انسانيه ففرعون كان يقتل الاطفال خوفا علي ملكه وسلطانه بعد النبوه التي اخبره بها احد الكهنه واليهود يقتلون الاطفال في غزه خوفا من نبؤه القرن الغامن الذي يعني ان دولتهم سوف تزوال عندما تبلغ 80سنه

كما ان الايه تظهر حاله التشنج من الملاء الذين اتخذوا من التطرف وسيله للتميز فقال تعالي علي لسانهم (اتذرموسي وقومه ليفسدوا في الارض)

فاللام في لتفسدوا لام التعليل وهي مبالغه في الانكار لانهم جعلوا ترك موسي وقومه معللا بالفساد وهذه اللام تسمي لام العاقبه وهي ليست معني من معاني اللام حقيقه ولكن استعملت مجازا فشبه الحاصل عقب الفعل لا محاله بالغرض الذي يفعل الفعل ليحصله واستعير لذلك المعني حرف اللام بمعني فاء التعقيب كما في قوله تعالي (فالتقطه ال فرعون ليكون) فهم اعتبروا ان الدعوه الي الحريه والعدل والمساواه ومقاومه الظلم بانه فساد في ا لارض وهكذا تسمي اسرائيل الفلسطنين الذين يطالبون بحريتهم ويقاومون الاحتلال وبالمناسبه هل تعرف لماذا كان فرعون يحقد علي بني اسرائيل لان الفراعنه قاموا باحتلال مصر وازاحه من كان يحكم مصر الوراد ذكرهم في سوره يوسف حيث كان بني اسرائيل جزء من منظومه الحكم قبل وصول الفراعنه للحكم حيث كانت مصر قد صارت علي التوحيد بعد يوسف فجاء الفراعنه واعادوها الي الوثنيه واعتبروا ان فرعون من سلاله الالهه حيث صنعوا الهه ترمز لاله الشمس والقمر والنجوم والمطر .ورمز لكبير الالهه جد فرعون ولهذا فقد كانت هذه الثقافه هي الاساس التي اقام عليها فرعون نظريته في الحكم بانه من سلاله الالهه واليهود اليوم يدعون انهم ابناء الله واحباواه ولهذا لاتستغرب ان تسمع من الصهيانه التعالي وعنصريتهم ضد الفلسطنين-ه فطبيعه الاحتلال واحده

فكلمه فرعون لقب من جمله القاب ملوك مصر القديمه واكثرهم شهره وكذلك كان يمنحه الكهنه المصريون لحكام مصر الاجانب من الفرس والرومان وحتي الهكسوس الذين احتلوا مصر ولهذا نجد تكرر كلمه اخراج اهلها منها فمعرفته لنفسه انه محتل جعله يستغل ذلك لتهديد اركان نظامه من يقظه اهل مصر وشعبها من الاقباط وبني اسرائيل انذاك الذين كانوا جزء من مكونات الشعب فقال تعالي (وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفه منهم)

المهم هنا ان طبيعه المحتل واحده وهو البطش والادعاء انهم اهل الارض

3

اعداد الخطط الاجراميه لاستئصال اهل الخير ومن يقاوم الظلم وتغيير المفاهيم

المبحث الثاني

نري في خطاب الملاء من قوم فرعون انهم قالوا (ويذرك والهتك)

والسوال هنا هل كان فرعون معبود ام كان يعبد الهه اخري

ثم ماهي الربوبيه والالوهيه التي ادعي بها فرعون علي ضوء ماورد في موضع اخري في القران بقوله تعالي حكايه عن فرعون انه قال (انا ربكم الاعلي) وقال تعالي عن فرعون انه قال (ما علمت لكم من اله غيري)

الجواب

فرعون كان له الهه يعبدها هو وقومه وكان يدعي انه ابن الالهه وانه الوسيط بين الشعب والالهه ونظامه ولم يكن يعبد بطقوس وشعائر دينيه وانما كان له سلطه التشريع وهذا اعتداء علي حق الالوهيه والربوبيه فالله يقول (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

ترسم الايه لنا حال الامم والدول عندما تكون قيادتها تحكم من قبل شله مسلحه استولت علي الدوله فان هذه الشله تعرقل التطور لانها تنظر الي الوطن كانه ملكيه لهم دون غيرهم ولهذا لايتقبلون ان يشاهدوا من يعيش في الوطن ولايخدم مصالحهم او يتعارض مع رغباتهم ولهذا تاتي مفاهيم الايه موضحه ان مشكله الملا من قوم فرعون هي انهم كبر عليهم رويه موسي واصحابه يتحركون دون ان يلقوا الوان العذاب الذي طالما اعتادوا عليه اي انها مساله مزاج هولاء للتفرج علي موسي واصحابه وهم يعانون الالالم ولهذا اردوا تهيج فرعون علي موسي ومن امن معه من قومه خاصه بعدما شاهدوا معجزه موسي وتاييد الله لموسي وبعد هزيمه السحره اردوا استفزاز فرعون وتهيج مشاعره كي يرتكب ابشع الجرائم ضد موسي ومن امن معه ولهذا قالوا (اتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك)

فقد اعتبروا اسلام السحره واتباعهم موسي وعدم الاكتراث بتهديدات فرعون وتصلبهم واصرارهم علي الايمان موشرات علي تحقيق النبوه بزوال ملك فرعون علي يد فتي من بني اسرائيل فقالوا ان هذا الاختراق الامني

فهم يحذرونه من الابطاء في القضاء علي موسي ومن امن معهم يقولون له ان اسلام السحره وعدم الاكتراث منهم لتهديدك لهم بالقتل واتباعهم موسي موشرات علي تحقق النبوه بان زوال ملكك سوف يكون علي يد فتي

من بني اسرائيل فاعتبروا ايمان السحره وتصلبهم علي الحق موشرات علي تحقق النبوه فهذا الاختراق الامني لمنظومه الاستبداد ينبى بالتفكيك والانقسام من الداخل وعدم الاستقرار فلابد من مواجهه المساله بحزم وبسرعه فالخطر يداهمك فاذا لم تنتبه فسوف تتحقق النبوه بزوال ملكك

فقالوا (ويذرك والهتك)

اردوا ان يعود فرعون الي البطش والقتل والتعذيب لحمايه ملكه وسلطانه من الزوال وهي جمله معطوفه بمعني انه قد ترك نظامك وقانونيك وعباده الهتك فعزك ودولتك مهدده بالزوال يريدون من فرعون ان لايتساهل بشان موسي واتباعه لان فرعون لما دخل عليه موسي اول مره

قال له بقاء ملكك ودوام عزك مرهون بكلمه التوحيد لا اله الا الله بان تذعن لله وتسلم له ....

وهنا كان استعلاء فرعون بالمال والجاه والسلطان كما اخبرنا الله في سوره الزخرف

(ونادي فرعون في قومه قال ياقوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولايكاد يبين فلولا القي عليه اسوره من ذهب او جاء معه الملائكه مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه)

فقد استبعد ان يكون موسي هو ذاك الطفل الذي ذكرته نبوه الكهنه فموسي بنظره فقير لايملك شي من مصادر القوه فقد شرع في المقارنه بين ما يملك من مصادر قوه يستحيل معها ان يكون موسي سببا في زوال ملكه فاتخذ من تلك الفلسفه وسيله نقض دعوه التوحيد قائلا لمن حوله (ما علمت لكم من اله غيري) فانا املك مصر وما فيها من خيرات بينما موسي فقير لايملك شي فلو كان الاله الذي ارسله يمتلك القوه لاعطي موسي المال ولا مده بالسلاح فاراد بتلك المقارنه السخريه من موسي ومن دعوته وليس المراد بها انه ادعي الالوهيه بالمعني اللفظي للكمه ولهذا فان الملا اردوا اتخاذ من موقف السحره سببا لدفع فرعون الي القتل والتعذيب لموسي ومن معه

الامر الثاني

ترسم الايه لنا الوثنيه السياسيه ومخاوفها من ان يفتح الاحرار ثغره في جدار الظلمات التي يصنعها الطغاه وهم يتناجون للوقف ضد العدل والحق يخافون من يقظه النائم

ولهذا تبين الايات مناجاه الملا فرعون ان ينتبه من حركه موسي وقومه بين الناس فما الذي اخافهم من موسي

انه الدعوه الي الله لقد كان موسي يدعو الي الغاء شريعه الغاب التي شكلت فلسفه الاستبداد والطغيان فقد صنعوا لنزع اللقمه من الافواه لياكلها فرعون وملئه وتشريد الناس من مسكنهم ليدخلوا بدلا عنهم ويجعلونهم يعيشون في العراء صنعوا قوانين فقد رسموا في اذهان الناس صوره عن الصلاح والخير مشوه مفادها ان اصلاح الارض انما يكون باتباع القوانين التي يامرهم بها فرعون لانه ابن الالهه وهو الوسيط بين الالهه والشعب فاصبح فرعون هو الذي يمتلك امر الدين والدنيا ويمتلك ارض مصر كلها فهو يشرع القوانين ولها قوه الالزام الدينيه ويجمع الضرائب ويشغل منصب القائد العام للجيش ويتولي اداره المعابد ويختار مواقعها وكان مسوولا علي الحفاظ لكل ما تحبه الالهه والناس خاضعون له بموجب هذا المعتقد ولهذا كان موسي يدعوا الي الله وفي ذلك الغاء قانون وشريعه الغاب ووقف عمليات مصادره الحقوق و اطلاق حريه كل موطن بالعوده الي اي مكان يريد ان يحيا فوق تربه

ولهذا نظروا لتلك الدعوه بانها افساد في الارض وتهدد السلطه التي يستمدون منها مصالحهم وامتيازتهم فهم يخشون ان يتحرر الناس من الظلم يخافون من فقدان هيبه الوثنيه السياسيه التي زرعوها في النفوس ولهذا فان

عليك ان تحذر من اعداء المفهوم فينبغي ان تحرص علي ان تزيل الاغطيه التي يحاول الاعداء اخفاء جوهر المفهوم واستبداله بما يخالف حقيقه المفهوم فالحريه والعداله مفاهيم ينبغي ان ترتبط بمعني التوحيد فكلمه لا اله الا الله ترمز لكل معاني الخير والعدل والصلاح ولهذا فمهتك هو ابراز المفهوم للواقع وتعريف الناس بمدلولاته وتنميته والعمل علي ازاله كل رموز الشر والفساد التي تستهدف المفهوم الرباني وتريد قلب الحقائق فالمتامل للا ثار المتعلقه بالفراعنه يجد انهم استخدموا رموزا لها معتقد تساعد علي اخضاع الناس لها علي اساس معتقد ديني منها الصولجانات والعصي رمزا للسلطه العامه فالفرعون لابد ان يبطش بالناس وكذلك اللحيه المزيفه التي جعلوها للفراعنه دون غيرهم من الناس وهي ترمز الي اشتركهم مع الالهه في هذه الصفه تميزهم عن بقيه البشر وكانت تاخد شكل لحيه طويله مصغره مستقيمه او منحنيه عند طرفها تلبس علي الدقن وتصل الي الاذن بخيط ذهبي ولهذا نظروا لدعوه موسي انها تشكل خطرا لان ماتستند عليه الوثنيه السياسيه هي اوهام وخرافات فاذا جاء العلم الحقيقي فقدت الوثنيه قيمتها ولم يبقي لدعاه الوثنيه الا اللجو الي القوه فيسلكوا طريق الوحوش لمنع فتح ثغره في جدار الظلام الذي صنعوه لانه لو تم فتح تلك الثغره فان النور سوف يدخل ويبدد الظلمات ولهذا ق الوا (اتذر موسي وقومه ليفسد في الارض ويذرك والهتك)

يخافون من سقوط اصنامهم التي يستمدون منها مصالحهم ولهذا لاتستغرب ان تسمع شخصيه بارزه مصريه ينادي امريكا وبريطانيا عشيه انتخابات محمد مرسي ليطالب بوقف الانتخابات قائلا ان محمد مرسي لايومن بـ الهلوكست يقول لاتذروه يصل الي الرئاسه يجب اتخاذ اجراءت وقف الانتخابات فهو لايومن بالهلوكست مع ان هذا القائل عربي ويحمل اسم النبي صلي الله عليه وسلم فاسمه محمد لكنه يعتبر الهلوكست عقيده ودين واله يعبد يجب ان يومن به من يصل لرئاسه مصر للاسف الشديدفهذا لايختلف عن الملاء من قوم فرعون وتهيجه مشاعر امريكا ضد حريه المصريين يشبه تماما خطاب الملاء من قوم فرعون مع فرعون وفعلا استجابت قوي الا ستكبار العالمي لتهيج هولاء وطمانوه بانهم سوف يقتلون ويقومون باذلال الاحرار مثلما كان رد فرعون علي الملا من قومه كما قال تعالي (قال سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون)

كلمه سنقتل قرا ابوجعفر وابن كثير بفتح النون وضم التاء وقرا البقيه بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء للمبالغه في القتل مبالغه كثره واستعياب وكلمه (ونستحي نساءهم) للمبالغه في باستحياء النساء في مقابله قتل الرجال تلبيه لمقترحاتهم التي طلبوا فيها ان ينكل بموسي وقومه فاجابهم علي عزمه القيام بذلك فمزاجهم للتفرج علي معاناه موسي ومن امن معه يرسم انعدام المشاعر الانسانيه لديهم وانه لاتتحرك وجدانهم للماساه فهم بلا مشاعر يتلذذون بالاساءه والعدوان فهذه هي طبيعه الطغاه في كل زمان ولهذا فلا تستغرب ان تشاهد الصهاينه يتلذذون بقتل الاطفال ويرفضون التوقف عن جرائمهم في غزه وقبل ذلك جرائم الامريكان في العراق وافغانستان وحاليا في غزه فهم جزء اصيل من منظومه الاجرام مثلهم مثل الصهاينه فهذا البرود في وجدنهم هي طبيعه الفراعنه فلا تقشعر ابدانهم للكارثه فهم يتلذذون بالم الاخرين ومعاناتهم هم وحوش بمعني الكلمه في سبيل استعباد الناس واذلالهم يتفنون في اختراع وسائل التعذيب للضعفاء والعزل فلا تستغرب ان يتباهي المجرمون الصهاينه من قتل الاطفال ونسف الاحياء وقاطنها من النسا ء والاطفال والعجزه ففرعون سبقهم لذلك وقال (وانا فوقهم قاهرون) استعمل مجازي للتعبير عن استطاعته قهرهم فكلمه فوقهم تستعمل مجازا في التمكين من الشي لاستطاعته التغلب عليهم فهم عزل لايملكون اي سلاح اوقوه بنظره ولهذا يتنمر عليهم وهذه هي طبيعه الوثنيه السياسيه في كل زمان

المشهد الخامس

اولا

لما بلغ موسي خطه فرعون وملئه ضد ه ومن امن به من القتل للرجال وتسخير النساء لخدمتهم قال موصيا قومه

(قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبرواان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

يريد الحق ان ندرك اهميه تحديد كيفيه مواجهه المشاكل

ولهذا جاءت الايه بعد ذكر الخطه التي وضعها فرعون وملئه للتنكيل بموسي ومن امن معه والتضيق عليهم من القتل واستخدام النساء والاذلال مع قدرتهم وتمكنهم من ذلك ولهذا ابتدات الايه بتوجه موسي بالخطاب لقومه يعرفهم كيف يكون مواجهه المشكله فقال تعالي (قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين)

فدل هذا ان موسي وقف امام ذلك التعسف والتعذيب الذي بلغه من تهديد فرعون وملئه وقام بتحديد اسباب المشكله الظاهره والباطنه جلس مع نفسه بهدو واسترخاء يفكر جيد ويتمعن لايجاد الحلول المناسبه فهذه هي اول خطوه لمواجهه المشاكل وبعدها وضع خطه لمعالجه المشكله ومن ثم توجه بالخطاب الي قومه يعرفهم كيف يكون مواجهه هذه المشكله ولهذا فان اول درس نتعلمه من هذا الموقف انه لابد ان تقف مع نفسك عند ما تواجهك مشكله وتسال نفسك كيف تواجهه المشاكل فعليك ان تقضي وقتا كافيا للتعرف علي المشكله وكيف يمكن مواجهتها وتضع الخطه وتنظر هل فكرت بطريقه سليمه ام لا وهل لديك خطه لمواجهه المشكله ام لا لان الهروب من المشكله يعود الي عدم وجود طريقه لحلها او لوجود الارتباك

الامر الثاني

اهميه ايجاد الحلول للمشاكل بعد الدراسه والتحليل للمشكله ومعرفه اسبابها وعواملها ولهذا نجد ان الايات تفصح لنا عن الحلول التي توصل اليها موسي لمواجهه المشكله بعد ان تدبر وتامل وفكر في المشكله فذكرت انه

/1

امر قومه بالاستعانه بالله وطلب العون منه تعالي فليس لاصحاب الدعوه ملاذا الا الله تعالي

2

الصبر علي المكاره حتي يحين الوقت الذي قدره الله تعالي..

3

ويعرفهم بسنه الله في تدول الايام والدول في الارض ليست بقدره الملوك وانما هي سنه الله ...

4

ذكر ان العاقبه المحموده هي للمتقين الذين يتقون اسباب الضعف والخذلان والهلاك بترك الظلم والفساد و الطغيان والفسق والاخذ بالسنن والنواميس فلابد للظالم من نهايه مذمومه

الامر الثالث

تبين الايات ان اللازم عليك مواجهه المشاكل اولا باول وعليك ان تعتمد علي الله تعالي وحده بان يدفع عنك الضرر فهو الذي بيده كل شي وان تاخذ بالاسباب فاراد موسي بهذا ان يصلح الخلل في التصور الخلل في العقيده والخلل في السلوك لان بني اسرائيل كما يتضح من الايه بعدها كانوا يعانون من الفزع والهلع هناك نقص من جانب

الاستعانه والتوكل ومن اتصف بهذا فانه يكون اما عاجزا او مفرطا وهو مغلوب اما مع عدوه الباطن واما مع عدوه الظاهر وروبما يكثر منه الجزع مما يصيبه والحزن لما يفوته وهذا الحال اصاب الكثير من يعرف شريعه الله وامره ومن يري انه متبع شرعه تعالي حيث ان هذا النوع يغلب عليه قصد التاله لله ومتابعه الامر والنهي ..ولكنه لايعرف قضاءه وقدره وان كان حسن القصد طالب للحق فهو غير عارف بالسبيل الموصله والطريق المفضيه الي الله ولهذا نجد ان موسي يعالج هذا الخلل الذي اتسم به بنو اسرائيل فهو يقول لهم اطلبو العون من الله تعالي فهو الذي بيده كل شي فهو الناصر والمعطي والمانع والنافع والضار والاسباب كلها بيد الله واليه ترجع الامور واليه المنتهي

فموسي عليه السلام يضع قاعده التصور الايماني وفلسفه الحياه التي جاء بها الرسل من ربهم بربط كل شي بعقيده التوحيد ويعرفهم بسنن الله في الكون فالله فعال لمايريد

المفهوم الاول

فهذه هي العقيده التي يجب ان يعتقدها المسلم فالمسلم يانس بالله ويتوكل عليه مهما كانت الاحوال والمصائب فهو تعالي اشد حضورا لنصره المعتمدين عليه

ولهذا فان اهم عناصر مواجهه المشاكل هو الاستغفار والدعاء والذهاب للصلاه فقد ذكر عن الامام احمد ابن حنبل انه كان في سفر ولم يجد مكانا ينام فيه فذهب الي المسجد فجاء العامل فيه وامره بترك المسجد فاراد ان ينام بجوار المسجد فجاا ءعامل المسجد وامره بالرحيل قال فذهبت حتي وجدت صاحب مخبز وطلبت منه ان امكث عنده تلك الليله فوافق قال الامام احمد واثناء ذلك كنت اشاهد صاحب الفرم كلما وضع الرغيف في الفرن قال استغفر الله حتي الصباح فسالته لماذا تعمل ذلك وما الذي عاد عليك من هذا العمل قال لم اطلب من الله شي الا اعطانا ماعدا شي واحد قال قلت له ماهو قال ان اري احمد ابن جنبل فقال له هاهو الله عز وجل قد جرني اليك قهرا والمقصود من هذا اذا كنت تريد شي فعليك ان تطلب ذلك من الله فهو يسمع الدعاا ء انه قريب. مجيب فاذا واجهتك مشاكل فعليك ان تلجا الي الله ليدلك علي الحلول مهما كانت فهو حسبك ونعم الوكيل ولن يخيبك الله

المفهوم الثاني

عليك ان تشعر انك لست وحيدا مهما كانت حجم المشاكل فانت تحظي بدعم الخالق سبحانه وتعالي وبالتالي فما الذي يخيفك فعليك ان تقف امام التحديات انتبه من الشعور بالوحده في مواجهه التحديات لان ذلك يقود الي الشعور بالارهاق وبالتالي الهروب منها ولهذا عليك ان تعتمد علي الله فانتبه من الشعور بالوحده وانه لايوجد احد يهتم بك ويحاول مساعدتك لان ذلك من اسباب تفاقم المشكله او تلجا الي طلب المساعده من اشخاص لايريدون لك التفوق وانما يريدون لك الفشل فانت عندما تشاركهم مشكلتك تقدم لهم فرصه الاضرار بك ولهذا عليك ان تلجا الي الله بدرجه اساسيه تطلب الدعم والعون منه تعالي وهو تعالي سوف يهديك الي سوا السبيل ثم عليك الا ستفاده من دعم اخوانك الذين يشاركونك الهدف ويساعدونك علي الثبات علي الحق قال تعالي (والعصر ان الا نسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

المفهوم الثالث

اهميه تهيئه النفس لمواجهه المشكله

فلابد ان تصل الشعوب الي قناعه عامه بتشخيص الخطر والبعد الذي يهدد مستقبلها ينبغي ان تتهيا للمواجهه مواجهه علم وواقعيه بعيدا عن المزيدات انها معركه حضاره فعندما تجري تغييرا جذريا في حياتك فعليك ان تدرك حاجتك الي الاستعداد بشكل ملائم كي تتغلب علي مشكلاتك يجب عليك ان تلتزم باالتغلب علي التحدي ويجب ان تقرر ذلك بنفسك فمن لم يستطيع الوقوف امام التحديات لن يكون موهلا للقياده في مرحله الرخاء

فعليك ان تتعدي مرحله المشاكل وتكسب الثقه بنفسك لتكون اهلا للتمكين والعز عليك ان تتحمل المسوليه فلا تتهرب من حل مشاكلك فاللازم ان نتحمل مشاكلنا نحن ونقف امام التحديات فلا نختلق الاعذار للهروب من المشاكل كما فعل بني اسرائيل عندما قالوا (اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا) اخبرهم موسي هذه سنه الله لتكونوا اهلا للعز والتمكين عليكم ان تواجهه التحديات لاتهربوا من المشاكل فمن لم يمتلك الاراده القويه ولم يكن مستعدا للالتزام بمواجهه المشاكل كيف له ان يقوم بادراه امه وقيادتها فالوصول الي التمكين يتطلب استعداد للالتزام بمواجهه المشاكل والتغلب عليها حتي النهايه فالهروب ليس هو الحل ولهذا فلايكفي الانفعال لتحريك الجماهير فلا بد ان تكون الرويه واضحه لابد ان يحدث التحام الجماهير مع القياده في مواجهه التحديات فقد شاهدنا كيف ان هروب بعض المقاومين للظلم في البلدان العربيه وهروبهم من مشاكلهم والاعتماد علي دول اخري عربيه للمواجهه نيابه عنهم اوصلت البلاد في النهايه الي التمزق لان غيرك لاتعني لهم مشكلتك شي فهم لهم مصالح ولهذا عندما تنتهي مصالحهم او تصبح هذه المصالح بيد من هم اعدائك عندها تصبح انت ورقه مساوامه وتذهب تضحياتك ادراج الرياح ولهذا فان تهيئه النفس لتحمل المسوليه واعباء التحرر هو بدايه الطريق السليم والعلمي الذي يقود الي الرخاء والتقدم بالاعتماد علي النفس والثقه بها وبذل الجهد والاخذ باسباب التقدم فالايام دول ولهذا لابد ان نفتح لانفسنا بايدنا ثغره في جدار الظلام بالصبر والتوكل علي الله والامكانيات المتاحه فلا تقطعوا الامال في النجاح في فتح هذه الثغره ولهذا يقول الحق (واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين)

فاللازم ان نكافح ننظر الي المستقبل نظره فيها الامال بعيدا عن الياس والتشاوم ننطر الي الغد انه افضل من اليوم وبعد الغد افضل من الغد نتحمل مسوليتنا بالثقه بالله وان اختياره لنا هو الافضل فلا نخاف من قوه الظلم فهم لايملكون الارض فالله هو المالك لها فظلم الظالم لن يدوم ولهذا قال تعالي (ان الارض لله)

لتشعر ان كل الارض هي ملك الله وليست ملك فرعون ولا الملك الفلاني ولا الاسره الفلانيه ولا الرئيس الفلاني انها لله تعالي وهو يعطي الملك لمن يشاء فلا تفقد الامل بالله فعليك بالاستعانه بالله والصبر فان فعلت ذلك فان حكم الظالم لابد ان يزول فالارض ليست لفرعون ولالغيره مهما بلغت قوتهم وانما تلك سنه الله ان جعل الايام دول فمهتك تنحصر في فتح ثغره في جدار الظلام علي امل ان تري شعاعا من نور لبناء مستقبل افضل فقال تعالي (عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) في رده علي استعجال قوم موسي النصر الالهي فجاء الرد يحذرهم ان يستطلوا طريقهم مع ايات الله وان تعثرتم اليوم او تاخرتم المهم ان تبقوا علي الدرب ان تشدوا الهمه وتكملوا المسير ولو بخطي عرجي ولو بتعتعه. ولو بمشقه الذهاب وعناء السير و التكرار فعليكم الثبات حتي يبلغكم الله مطلوبكم فالعاقبه الحميده هي للمتقين ووظيفه العبد الصبر عند الامتحان ان لم يكن قادرا بعد ان يبذل جهده وياخذ بالاسباب

ثانيا

اهميه الاستفاده من التجارب لتجاوز الاخطار وبذل الجهد

وخوض معركتنا مع الباطل بارداه قويه وهمه عاليه وان ننظم انفسنا في اطار فريق عمل متماسك فعلينا اقتفاء اثر موسي ورسولنا الكريم محمد صلي الله عليه وسلم في تربيه انفسنا فموسي ابتدا بعرض الدعوه علي الناس ثم انتقل الي اعداد التنظيم الذي قبل بالدعوه والمستعدين للالتزام بها والدفاع عنها يترجم الاهداف في الواقع وهو ما يتطلب اعاده تشكيل عقولهم وافكارهم وغرائزهم فالظروف لاتتطور الي الافضل تلقائيا انما لابد ان توجد اراده واعيه تستند في خلق قدرتها علي خبره يحتاج الي مناخ مناسب ولهذا لابد من وجود قياده قادره علي اعاده ترتيب اوضاع احوال المجتمع فتطوير المجتمعات واثاره الغرائز الي التطلع والرقي مع تنظيم هذا التطلع بما يتفق مع الاهداف امر يحتاج الي مهاراه لان تطوير المجتمعات علاج والعلاج الاجتماعي له قواعد واصوال مثل العلاج البشري فالطبيب لابد ان يتابع حاله مريضه فلا يستطيع ان يصف دواء ثم ينصرف وينقطع عن مواصله

التعرف علي النتائج ولهذا نجد ان موسي ظل يتابع قومه بعد ان وصف لهم سبيل الخروج من الازمه بامرهم بالا ستعانه بالله والصبر و التوكل علي الله والثقه بنصر ه فماذا اجاب قومه (قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا)

وهذا فيه انهم لم يفهموا السنن والحوداث فهما صحيحا يتفق مع ما وصف لهم موسي لم يصلوا الي مرحله الاستع لاء بالحق فلم ينظروا الي ان عوامل النجاح والفشل في الارض مرتبطه بقدر الله تعالي ومشئيته

تبين النصوص ان الفهم السطحي لدي بني اسرائيل للحوداث افقدهم القدره علي استغلال المحنه وتحويلها الي منحه فلم يفهموا الحوداث فهما توحيديا

فالحادثه تقع وكل الناس يشاهدها ويعلم بها والعلم بها لها قواعد واصوال واسس للوصول الي ادراك ما تحمله من معاني وهذا مرتبط بالفهم الذي يختلف الناس فيه من شخص لاخر فلا يختلفون في تصديق وقوع الحدث ولكن ا لاختلاف في فهم ماوقع فهنالك فهم سطحي لايصل الي اغوار الشي وهنالك فهم يصل الي اعماق الشي واسراره فتحليل كلا منهما للحدث يختلف عن الاخر لان للحدث

اسباب ومسببات يجب استعيابها وفهم هذه الاسباب لكن عليك ان تدرك ان الاسباب كلها تنتهي الي الله تعالي فهو الفعال لما يريد فتحقيق النتيجه يعود لتوفيق الله تعالي

ولهذا فالناس يتفاوتون في فهم الاحداث وتفسير الظواهر من حيث الفهم الذي ينطلقون منه في تفسير الاحداث وهم بين الفهم السطحي ..والفهم الناضج ..بمعني اخر اكثر واضحا الفهم التوحيدي ..الفهم الشركي

حيث ان البعض ينظر الي التفوق بانه يعود الي الاسباب الارضيه وانها لاعلاقه لها بالدين اطلاقا وهذا وان كان قد اخذ بالمنهج السنني الا انه فاقد للبوصله التي تدله علي الطريق الصحيح لفهم السنن بشقيه المادي والروحي اي العلم بالماده وخالق الماده

ولهذا فان التفسير المادي البحت الناتج عن الفهم السطحي يجعل المرء عاجزا فاقد للرشد ويقبل التعايش مع الظلم ويهربون من مواجهه المشاكل يعني الضعف والهون من الضعفاء وبالنسبه للاقوياء فانه ينظر الي عناصر القوه الماديه انها وسيله الاستعلاء فيغتر ويسعي الي تدمير من حوله نتيجه ذلك الغرور فالفهم الخاطي يولد الشر والحقد والياس يولد الافكار المتحجره التي لاتقبل بالحق ان لم يكن قوياي ان الفاعليه سلبيه اما الفهم التوحيدي فانه يولد قوه الامل بالله فهو عندما يحبط او يخيب امله يطلب العون من الله ينظر الي الله انه اكبر من كل شي وانه القوي فهو يراقب الله في اعماله ولهذا فان فعاليته ايجابيه فلا ياس ولاحقد انه متفائل يبحث عن حل يوافقه الله للاهتداء اليه اما صاحب الفهم السطحي فانه يبحث عن شخص ليلومه ولهذا قالوا لموسي (اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا)

فالايه توحي بحاله تذمر وانهم متضجرين فقالوا لم يتغير حالنا بمجيئك فالعذاب هو العذاب فلم نستفيد من رسالتك شيئا فما كنا نلقاه من عذاب قبل ان نسمع منك هو نفس العذاب واشد فدل هذا علي الفهم السطحي لديهم للاحداث

لم يفهموا ان الوصول الي التمكين يتطلب ان تجتاز مرحله الابتلاء لم يفهموا ان التغيير يتطلب ان تحدثه اولا في داخل نفسك فالله يقول (ان الله لايغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم)

فعليك ان تطع الله وتعمل كل ما تملك ان تقدر عليه عليك ان تكون متفائلا ومطمئن بالاستناس بالله والتوكل عليه وان ترضي بما يقسمه الله لك فالفهم التوحيدي للاحداث يجعلك متوزان ويرفع عنك القلق والتوتر والضجر ويجعلك مطمئن بذكر الله فتنطلق من الفهم التوحيدي فتراجع الي الله وقت الشده وترجع حساباتك فتحصل

الفائده من الازمات فتكون التجربه موعظه لك فكلما اشتدت صار الفرج قريب فقال تعالي (قال عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون)

التعبير بعسي فيه حثهم علي التخلص من القنوط فهو يفتك بالطاقات وعليكم بالرجاء فاللازم ان يكون تعاملكم مع الله قائما علي الخوف والرجاء والتادب مع الله ولهذا استعمل عسي لتعليم الناس من بعده ان يلتزموا الاداب مع الله

وان الرجاء لايعني الاتكال وترك العمل والاخذ بالاسباب ولهذا جاء بعسي لانه لو جزم لهم في الوعد فانه سوف يحصل الركون وترك العمل والسعي والجهاد اعتمادا علي ذلك ولهذا جاء بهذه الصيغه ليحثهم علي العزم ولهذا يخبرهم ان والمرء بين امرين حاله ابتلاء بالشده والمطلوب منك الصبر فهذا الشطر الاول من الايمان واما الثاني فهو ابتلاء بالرخاا ء والتمكين والمطلوب منك الشكر وهذا الشطر الثاني فالمراد بهذا الحث علي الاستعانه بالله وتوطين النفس علي لزوم الحق والصبر عليه فيما خف منه او ثقل ولهذا يقول لهم ان الله سوف يحقق وعده وهو ابتلاء لينظر كيف تتصرفون هل تعاملون الناس بالعدل اما تمارسون الظلم والاستبداد الذي مارسه فرعون

والمعلوم ان الله يعلم كل شي قطعا قبل ان يكون ولكنه سبحانه وتعالي لايعاقب حتي يظهر فساد المفسدين

المشهد الخامس

(ولقد اخذنا ءال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنه قالوا لنا هذه وان تصيبهم سيئه يطيروا بموسي ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لايعلمون وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

اولا

ابتدات ايات هذا المشهد بقوله تعالي (ولقد اخذنا ءال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي :-

صدرت الجمله بالقسم الدال عليه لامه لتاكيد مضمونها وتعظيم شانه وهذا لانها فيها اظهار اياته سبحانه وتعالي علي تاييد رسله وقدرته علي نصره المظلومين المستضعفين في الارض علي الاقوياء المستبدين والاخذ استعملت في القران بمعني العذاب فقال تعالي (وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القري وهي ظالمه ان اخذه اليم شديد)

وقال تعالي (فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر) وقال تعالي (فاخذناهم اخذه ...الخ والايه تشير الي:-

العقوبات التنبهيه :-

فهذا هو القانون الالهي المطبق للامم قبل ان يوقع بهم العذاب حيث انه تعالي لايهلك الامم بذنوبها وهم غافلون ولهذا قبل ان يحل عذاب الاستئصال للامم المعارضه للرسل كان الحق يسوق الشدائد التي فيها رسائل تحذيريه تتجه الي ضمائرهم ونفوسهم وفطرتهم التي تعرف ربها فلديهم العلم الفطري والحب الفطري مغروس في نفوسهم

هذه العقوبات تهدف الي اثاره الاحاسيس وايقاظ المشاعر والعقول من سباتها وغفلتها لعلهم يعودون الي الحق و الي عقيده التوحيد ليعرفوا الله تعالي

والسنين كلمه تطلق علي جمع الاعوام والسنه ولكن اقترانها بكلمه اخذنا تدل علي العذاب فهي هنا اطلقت علي سنين الجدب والقحط والشده خاصه انه اضيف اليها عباره (ونقص من الثمرات) فاراد بهذا ان تدرك حجم الشده التي حلت بارض مصر الخصبه المعطاه المثمره فهذه الظاهره تلفت النظر وتهز القلب وتدعوا الي الفكر واليقظه

فقد استمر الجدب لسنوات عديده متتاليه وليس لمده بسيطه فاثاره واضحه في الاشجار فقد سقطت اورقها لطول مده القحط فاصابت الثمار والفواكه بالهلاك

في ارض مصر المعطاه وهو ما يدعوا الي التفكر والتامل خاصه وان الايه توحي ان العذاب حل بمن (ال فرعون)

وهذه العباره تطلق علي اقارب الشخص وخاصته اوزملاءه ونظرائه في الملك والتفكير واعوانه وكذلك علي اتباعه ومن يتبع شريعته فقد قيل لجعفر الصادق زعم البعض ان جميع المسلمين هم ال الرسول صلي الله عليه وسلم فقال جعفر لقد صدقوا وكذبوا قيل كيف يكون هذا قال لقد صدقوا في انهم اذا اقاموا بشرائط شريعته انهم ال الرسول فالله يقول (قال رجل مومن من ال فرعون)

اي من المختصين به وبشريعته وجعله منهم من حيث النسب والمسكن او من حيث تقدير القوم انه علي شريعتهم وقال تعالي (ادخلوا ال فرعون (واغرقنا ال فرعون) ومن هنا نفهم ان البلاء عم البلاد كلها واصاب عامه الاقباط وكل من كان علي شريعه فرعون قد نالهم العذاب بالتسع الايات فالايه تبين لنا

الامر الاول

منهم الذين يصنعون الازمات ويقفون في صف الظالم فالخطاب يشمل المقربين من فرعون والعوام الخاضعين لشريعته فاراد بهذا الاتي

/1

الفريق الاول هم المستفدين من الماضي المشدودين له والغير مستفيدين من دروسه وهولاء هم اصحاب المصالح فهولاء عنصر اساسي في الازمه ولهذا فان الايه فيها توجيه لنا بكيفيه التعامل مع الازمات وتفتت مكوناتها من خ لال معرفه صانعي الازمات ولهذا جاء النص بهذا التوجيه الذي يوحي ان المراد الخاصه والمقربين من فرعون وان عم الخطاب الجميع اشاره الي ان المهم ان يستيقظ هولاء الخاصه لان بيدهم ازمه الناس فهم ان اهتدوا اهتدي الناس وانتهت الازمه وهذا الامر مهم في تعليم الدعاه فن تفتت الازمات من خلال معرفه صانعي الازمات ومعرفه مصالحهم لان المصالح هي التي تشكل الاطار المشترك بينهم وبين الانظمه الاستبداديه فاذا صار النظام يشكل خطرا عليها سرعان ما يحصل تفتت النظام واركانه

حيث ان صانعي الازمه عندما يشاهدون ان الاستمرار في التحالف يشكل خطرا علي مصالحهم فانهم سرعان ما يبادرون الي حمايه مصالحهم

2

الفريق الثاني هم الغير مستفدين من الماضي ونظامه ولكنهم سلبيون لا جراءه لديهم لان يقفوا مع الحق وهم غير مستفدين من الدروس ولهذا شمل الخطاب عوام الاقباط بانهم تعرضوا للخساره والقحط وهذا فيه التحذير من السلبيه في المواقف من ان تصيبك الفتنه بسبب ظلم الخاصه فاراد بهذا ان تفهم ان الازمات انما تنشا عن خلل في النظام فالايه فيها التحذير من اثار الفتنه التي يحدثها من يملك سلطه القرار وان اثارها تمتد لتعصف بـ الموسسه كلها كما قال تعالي (واتقوا فتنه لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا ان الله شديد العقاب)

فانت ملزم ان يكون لك موقف ايجابي تبرا فيه من اعمال الظالمين انتبه من السلبيه فتقول ليس لي دخل فانا ليس بيدي القرار فاعلم ان العقاب سوف يطالك

الامر الثاني

ماذا تهدف الرسائل التحذريه والعقوبات التنبهيه؟

تهدف الي

/1

ايقاظ الحب الفطري ..والعلم الفطري ..والفكر الفطري

فالانسان يعرف ربه وخالقه ويحب الحق ويكره الباطل

فذلك مغروس في فطرته فهذه هي الحقيقه التوحيده الموجوده في الروح الادميه لكن التلوث الناتج عن البئيه و الثقافه الفاسده والتربيه الغير صحيحه من الوالدين وغيرها من العوامل الموثره في تغير فطره الانسان وطمس معالمها كلها تودي الي نسيان الانسان لخالقه ويتعلق بالشهوات والجاه والسلطان فتكون لديه غفله وغني يبعده عن ربه

ولهذا فان الابتلاء بالشده يهدف الي ايقاظهم من الغفله

ومن الغني لان اصل السئيات منه عدم العلم والغني لانه لو كان عالما بمضرتها وهو غني عنها فانه سوف يمتنع عن ان يفعلها ولهذا قال تعالي (لعلهم يذكرون)

/2

ان عدم العلم والتكذيب للحق سببه عدم معرفه الحق والاقرار به نتيجه نسيان الانسان ماهو مغروس في فطرته من الاقرار الفطري. والعلم الفطري. والحب الفطري

وعند حلول البلايا يتذكر ذلك مجددا فماده ذكر يتناسب مع المعني ولهذا كانت الرساله التحذيريه الاولي بالقحط والجدب والمجاعه في ارض مصر الخصبه فيها امر يدعوا الي التفكير في هذه المساله ليعرفوا العلاقه الوثيقه بين هذه العقوبه التنبيهيه وبين القيم والمبادي الايمانيه

فهذه الرساله فرصه للخلاص من اسباب عدم العلم والتي تمثلت في الامتناع عن النظر والاستماع التام لايات الحق واعلامه لانهم اعتقدوا بامتلاك فرعون سلطه الالهه وانه يحظي بعنايه الالهه فهذا التصور الباطل بحلول المصائب بارض مصر الخصبه اسقطت فكره ان فرعون اله او رب وبالتالي فان هذا يسقط صنم فرعون فلابد ان الشده ايضا ولدت فيهم الشعور بالعجز والفقر والحاجه الي الله

لكن هذا يحتاج الي ان تربط الاحداث بالقيم الايمانيه لتري جمال الله وقدرته وجلاله وعظمته سبحانه وتعالي

وعدم هذا الربط يعني استمرار الغفله فالفائده انما تكون في الربط بين القيم وواقع الحياه والاحداث بالايمان المطلق ان وراءها اراده فعاله وموثره هي التي تقوم بتدبير الامور والاشياء فهو تعالي يسوق المصائب كي تعرف الله وتحبه وتعبده لاجل ان تزوال الغبار من علي الفطره فتقر له تعالي بالالوهيه والربوبيه والعبوديه وحده لا شريك له

3

ان المصائب لها معاني وتحمل رسائل اليك عليك ان تقف مع نفسك لتعرف اسبابها فهي تريد منك ان تخرج من غفلتك عليك مراجعه حساباتك قبل ان يحل الهلاك

عليك ان تبحث عن جوانب التقصير الذي وقعت فيه فهنالك رسائل تحذيريه تدل علي وجود انحراف في المسار يستوجب تصحيحه فالمسلم له مواقفان من المصائب

الاول انها رسائل تحذيريه عن انحراف وبطر للنعم واهمال للاعمال الصالحه فيراد بمجي المصيبه ان تدفعك الي باب الله دفعا لتعود الي الله تائبا تسال نفسك هل ارتكبت خطئيه هل اقمت العدل في حياتي مع من حولي

والثانيه ان تعمل قليل مع امكانياتك ان تعمل اكبر ولهذا فان الابتلاء يراد منه رفع مستوي اعمالك الصالحه

4

لاجل ان تعرف الله في الرخاء قبل الشده ولهذا فالشده تهدف الي ازاله التصورات الفاسده وازاحه المانع من النظر والاستماع لان الشده تهز الكبر وصاحبه وتولد في النفس

مشاعر العجز والفقر والحاجه وبالتالي لاتجد الا الحق تلجااليه فلا تنسي ان الله المنعم في الرخاء فمصر ارض خصبه زراعيه وهذه هي اول اسس الحضاره الفرعونيه ولهذا فان اصابه ارضها بالقحط والسنن امر غريب عنها يقتضي من ال فرعون ان يتفكروا في تلك الاحوال وان يستوعبوا الدروس ويتعظون لان الشده ترقق القلوب وتنزع عنها الكفر والعصيان والشرور اذا فهموا ان كل شر في العالم لايخرج عن كونه الم يصيبهم او سببا للالم فاعمالهم السئيه سبب للعذاب فاصل الذنوب هي سبب الالم

ثانيا

الاصل ان يتذكروا ضعفهم امام قوه الله يتذكروا عجزهم وعجز ملكهم المتغطرس وانهم في قبضه الله يتذكروا ان ماحل بهم من الجفاف انما هو بسبب كفرهم وطغيانهم واستعبادهم بني اسرائيل الذين خلقهم الله احرارا فخلاص امرهم متوقف علي امرين الايمان وتحرير بني اسرائيل لو استعملوا عقولهم التي اعطاهم الله اياها ليفكروا بها فالعقل والفطره يكره الظلم والطغيان فكان اللازم علي الاقباط ان يستيقظوا من غفلتهم فلا يقبلوا استعباد فرعون لهم وان يتبعوا موسي بعدما اتضح لهم زيف فرعون ولكن لم يستفيدوا من الدروس فهم كما قلنا اما منتفعين من نظام فرعون غير مبالين بالدروس من التجارب واما غير منتفعين من نظام فرعون غير مستفدين من الدروس والتجارب فما هو السبب لعدم استفادتهم من التجارب يخبرنا الله بالجواب عن هذا السوال فقال تعالي (فاذا جاءتهم الحسنه قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئه يطيروا بموسي ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لايعلمون وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

الامر الاول

مشكله هولاء تعود الي فقدان العلم والغني واساءه تفسير احوال الانسان في الغني والاقتدار وفي الفقر والمرض

فهولاء ينسبون النعم لانفسهم وان حلت به المصائب اتهم الدعاه والدين او غيره لم ينتبه الي العلاقه بين النعم وا لايمان ورحمه الله وبين المصائب والبعد عن الدين وغضب الله وسخطه

ففرعون وملئه لم ينتبهوا للرسائل الالهيه التي تنوعت بين الترغيب بالنعم وبالترهيب بالمصائب الي ان هنالك ثمه علاقه بين كفرهم وبين ماحل بهم من قحط وجدب

لم ينتبهوا ان اخذ لهم بالقحط والجدب وضيق المعيشه رساله من الله لهم كي يذكروا ضعفهم وفقرهم وحاجتهم لله وضعفهم امام قوه الله وعجز ملكهم المتغطرس وعجز الهتهم لعلهم يتعظوا ويتذكروا فيعودوا الي الله تائبين عن كفرهم ويترجعوا عن ظلم بني اسرائيل واجابه دعوه فالاصل ان الشده ترقق القلوب لكن هولاء لم يستفيدوا من ذلك لانهم كانوا اذا جاءت النعم نسبوا ذلك لانفسهم وذكائهم ولم يتذكروا المنعم فحرموا عن مشاهده جمال

الله ورحمته وفضله التي تفصح عنها انعامه واذا اصابتهم مصيبه نسبوا ذلك الي موسي ومن امن معه فلم ينتفعوا من الرسائل التحذيريه والتجارب التي عاشوها وهذا يعود الي انحراف الفطره عن الايمان وعدم النظر الي قضاء الله وقدره الذي به تنشا الاحداث والاشيا ء

الامر الثاني

يحذرك الحق من طريقه التفكير الفاسده للتجارب التي تمر بها اخي المسلم فالذنوب سبب للمصائب والابتعاد عن كتاب الله وسنته هو سبب الشقاء فما اشد حاجتنا اليوم الي القراءه السليمه والصحيحه للاحداث فقد سلط الله علينا الاعداء بسبب ذنوبنا ولتركنا تعاليم الله سبحانه ولهذا يعطينا الله هذا االمثال الذي يضربه لتلقي فرعون وملئه للرسائل التحذيريه بان هولاء كانوا يستخدمون الظروف والاحوال التي يعيشونها حسب امزاجتهم فهذا النمط من التفكير يعتمد علي النظر للاحوال فاذا كانت موافقه ومطابقه لرغباتهم قالوا هذا الامر الحسن يعود الي جهدنا وذكاءنا وخبرتنا فتري احدهم يقول لقد نضالت وانتصرت علي الالم والمصاعب لقد دربت نفسي فاذا نزلت به المشاكل عز ذلك الي الخرافه وهذه هي طبيعه الشعوب والمجتمعات المصابه بالانانيه والضلال فهي تفقد ادراكها وتتبلد الاحاسيس لديها فتفسر الاحداث بمعزل عن التوحيد لاتنظر الي تاثير الله وانه فعال لمايريد فهذه الشعوب تلجاا الي خدع نفسها وضمائرها والاخرين لاتعترف باخطاءها وتحاول ان تلقي بتعبئيه ذلك علي الاخرين او علي القدر هذه الحاله المرضيه الالقاء بالتبعه علي الاخر للاسف اصبح حاله نعاني نحن منها الان وقد تحولت الي ظاهره تتوراثها الاجيال وباء معدي نتيجه وباء الطوائف والاحزاب والجماعات المتناحره داخل المجتمعات العربيه اليوم وقد تجاوزت ذلك الي الافرادالذين يجتهدون في القاء تبعيه فشلهم فيما يضطلعون به من مهام علي الاخرين فلوا انهم انشغلو بمراجعه حساباتهم مع انفسهم لادركوا ان في ذلك رسائل تحذيريه تادبيه من الله رحمه بهم لاصلاح مافيهم من عيوب ونواقص ولاجل الارتقاء لكن الاستكبار والتمترس وراء الالقاب وعناوين التمايز المزعومه تخدع اصحابها وتمنهعم من الاعتراف بالخطا ولايستفيد من التجربه وبالتالي لايكتشف الخلل والاخفاق الحاصل لانه لم يعتمد علي المنهج العلمي المتخصص والمنهج الرباني الذي يمكنه من اكتشاف الخلل والعمل علي معالجته والذي يبدا بالشجاعه علي الاعتراف بالخلل والاخفاق والفشل بعيد عن المكابره والاعتراف بالمسووليه عنه فالله يقول (قل هو من عند انفسكم.)

فاللازم الوقوف مع النفس ومراجعه احوالها واخطاءها وتقصيرها علينا اصطحاب معرفه الوحي كبوصله تدلنا وترشدنا الي مافيه السلامه لتكون قراءتنا للاحداث وفقا لذلك

الامر الثالث

تبين لنا النصوص الاطار الذي ينظم العلاقات في الانظمه الاستبداديه بانه يقوم علي فكره تقسيم المجتمع الي طبقات ولهذا فان الطبقه الحاكمه تلقي باخقاقتها علي الطبقه المستضعفه فهذه هي ثقافه الانظمه الديكتاتوريه الا ستبداديه فعندما يتحقق للبلاد تقدم فانها تعتبر سبب ذلك حسن قيادتها وجدراتها وكفاءتها واذا حصل الاخفاق و الفشل فانها تنسب ذلك الي العدو الخارجي والمومره بينه وبين الطبقه المهضومه الحقوق داخل الدوله وتلجا الي التنكيل بهم بانهم هم سبب الاخفاق والفشل وهذه الحقيقه واضحه في نكبه 1967م وفي العديد من النكبات التي تعيشها الدول حيث تحاول ان تلقي بفشلها علي ماتسميه الموامره والمعارضه وبدل ان تراجع حساباتها كونها هي المتسببه بالفشل فانها تلجا الي معاقبه المعارضين لها اي انها تستغل الفشل والاخفاق الناتج عن اعمالها سلاحا لتصفيه الخصوم للاسف الشديد هذا هو حالنا اليوم

المبحث الثاني

ان الانظمه الاستبداديه لاتقبل العلم وتسعي الي تكريس ثقافه الخرافه استخفافا منها بعقول الرعايا فهذه من اهم سمات الانظمه الاستبداديه الطبقيه والسلاليه فقال تعالي

(وان تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه)

للهروب من المشاكل ومن معالجه اسبابها ولاجل منع الناس من فهم الاحداث ومافيها من رسائل تلجا تلك الانظمه الي التفسيرات الاسطوريه الخياليه للظواهر الطبيعيه ومن هذه التفسيرات والنظريات فكره التطير

ومعني يطيروا ماخوذ من عاده العرب انهم كانوا اذا اردوا الخروج لامر اخذوا طائر ا وتركوه يطير فاذا طار عن يمينه قال معي وتحرك نحو الامر الذي يريده متفائلا بطيران الطائر اما اذا طار عن شماله فانه يتشائم ويقعد عن طلب الشي

ولهذا يقول الحق ان هذا التفسير لا اصل له فجاء الاستثناء(الا انما طائرهم عند الله)

لبيان انه لايوجد. علاقه منطقيه بين التفاول والتشاوم بامور مثل هذه وبين النجاح والفشل فهي خرافيه فاراد بهذا الاستثناء توجيه ذهن القاري لما يلقي بعده حتي لايفوته شي يريد ان يعلموا ان العلم له قواعد واصوال واسس يسعي الي ان يقبلوا ما يملي عليهم من اسس علميه لتفسير الاحداث والظواهر بانه ليس للتشاوم بشخص دور للمصائب وانما كل ما في الكون وماعليه هو من خلق الله جعل الحق له سنن وقواعد يسير عليها وانه لايوثر فيها احد ولاتوثر هي نفسها باحد لانها خلق من الله لاتملك من امر نفسها ولامن امر سواها شيئا فاراد بهذا توجيه الانسان الي دراستها علميا من حيث معرفه اسبابها الماديه مع ربط ذلك بذنوب الانسان تراجع علاقتك مع الله تعالي والمعني فما اصابكم وما حصل هو ناتج عن ذنوبكم واعمالكم الخبيثه فما حل بكم هو عدلا من الله بحقكم

فاراد بهذا ان يكون التشاوم مرتبطا بالذنوب والتفاول مرتبطا بالطاعات بان تسعي الي ارضاء الله تعالي لانه هو الفعال لما يريد وهو الموثر في كل شي فاليه يرجع الامر كله فعليك ان تراجع حساباتك مع الله لان التفاول و التشائم ليس لهما اثر طبييعي وانما اثر نفسي فالتفاول يعني الامل بينما التشاوم يوجب الياس والوهن ولهذا عبر بمجي الحسنه (اذا) الداله علي تحقيق الوقوع وعرفها لافاده الاصل الثابت لان رحمته وفضله سابق علي سخطه وغضبه وعبر عن اصابه السئيه ب(ان) التي هي اداه الشك اي ان شرطها اما مشكوك في وقوعها او بمنزله المشكوك فيها او انها قليله الوقوع

فاراد بهذا تعظيم الحسنه لاجل ان تكون ماده التفاول في السعي لارضاءالله بالاعمال الصالحه والتشاوم من الذنوب لتدفعك الي مراجعه حساباتك اتقاء سخط الله والتوبه لا القنوط من رحمه الله فالنهي عن التشاوم لانه يدفع الي الياس وبالتالي عدم المبالاه من اصلاح الاخطا المرتكبه ولهذا حذر الرسول صلي الله عليه وسلم من اشاعه اجواء الاحباط فقال عليه الصلاه والسلام اذا قال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم)

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يحث الناس علي التفاول فقد كان يدعوهم الي التفاول ويقول اتفاولو بالخير تجدوه)واعتبر التطير شرك في احاديث اخري

المبحث الثالث

فعلي المسلم ان يتوكل علي الله ويثق به سبحانه وتعالي

وان يسعي الي اصلاح كل احواله ويستفيد من التجارب ويبذل الاسباب ويترك النتائج علي الله فان اصابه سوء صبر وان اصابه خير شكر فكل شي بيد الله تعالي فهو فعال لما يريد وهذا الفهم يدركه القليلون اما الاغلبيه فهم كما قال تعالي (ولكن اكثرهم لايعلمون)

تبين الايه ان الكثير من الناس لايعلمون ان الاشياء كلها ليست فاعلها بذاتها وانما الفاعليه هي لله تعالي ولهذا لا ينتفعون بالايات المعروضه لفقدانهم العلم وعدم النظر لايات الله فما هي اسباب عدم العلم توضحه الايه بعدها (وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

الامر الاول

(التعصب والغني بالنفس)

تبين النصوص ان اغلبيه الناس ينظرون ان الدين ليس له علاقه بالنظام السياسي الحاكم والعلاقات التي ينظمها في اطاره ويعتبرون اخضاع الجانب السياسي للدوله لنظام الله ومنهجه امر غير مقبول ويعتبرون دعاه العلماء لذلك تدخلا سافرا فالاغلبيه تري انه لاتوجد علاقه بين الاحداث الجاريه والدين لهذا برزت الوثنيه السياسيه سواء بصورتها الديكتاتوريه الاستبداديه التي تحمي الاقليه الظالمه او بصوره الديمقراطيه التي تسعي لحمايه مصالح الا غلبيه واضطهاد الاقليه فان هذه الصوره الثانيه هي الاخري وثنيه سياسيه فليست المساله راي اقليه او اغلبيه واكثريه فهذا المعيار باطل تجاه اوامر الله ونواهيه والقيم والمبادي فالحكم لله ولايجوز ان يتدخل احد في. التشريع او تفسير الاحداث في مجال الخير والشر فقد انزل الله الوحي بوصله هدايه ودليل عمل وتعامل وامر ب المنهج العلمي مع اصطحاب هدايه الوحي وبذلك نستطيع استعياب السنن وفهم ما يجري حولنا ومعالجه المشاكل واحتواها بالقراءه الصحيحه لها اما الاغلبيه العظمي فانهم لاينتفعون بالايات فهم مرتابون لاعراضهم عن النظر عن ايات الله وعدم الاستعداد لقبول الحق وتلقي الحق ولهذا قال تعالي (وقالوا مهما تاتنابه من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

تشير الايات الي امتعاض هولاء من الحق وهم يفضلون عنه الباطل لماذا انها العصبيه والقوميه التي جعلتهم يرفضون دعوه موسي لهم بالتوحيد وتحرير بني اسرائيل من العبوديه لانهم كانوا يخافون من سقوط فرعون وجنوده فالتعصب القومي لدي الاقباط والخوف من تغلب بني اسرائيل علي فرعون والخوف علي المستقبل في ح ال تغلب موسي علي فرعون جعلهم يتصلبون في مواقفهم ويرفضون القبول بالحق وصار موسي بنظرهم يمثل خطرا وجوديا علي قوميتهم وهو ماتسبب في عدم العلم فلم يستخدموا عقولهم في التفكير السليم فقد شكلت العصبيه مانعا لهم رويه الحق ومانعا من الاستماع للحق وعدم معرفه الحق وعدم الاقرار به

فالافق الضيقه لدي الناس من اسباب اعاقه الانسان عن القبول بالحق لانه يكون واقعا تحت تاثير القوميه و العصبيه وانفعالاتها الخبيثه ولهذا فان المتامل لسلوك المستبدين والاستعمار في كل زمان نجد انه يعتمد علي سياسيه فرق تسد يقوم بتمزيق الرعيه الي طوائف واحزاب وجماعات عرقيه وقوميه فهذه سياسيه مستغلي الصراعات في كل زمان لبقاء سلطانهم والتفريط بالقيم لان التقارب بين مكونات المجتمع يعني زوال الاستبداد يعني القضاء علي الجهل والعنصريه والسلاليه والطبقيه والقوميات ويحل محل ذلك العلم والعدل والمساواه وتعاون الحاكم والمحكوم علي البر والتقوي اما عند غياب منهج الحق فان الناس تتعاون علي الاثم والعدوان في سبيل التقرب من الطاغوت ونظامه ولهذا فقد سعي فرعون جاهدا بسن القوانين القوميه التي زرعت العنصريه و الطبقيه بين افراد المجتمع المصري وتغللت تلك العقافه في النفوس فولدت الكبر والعناد لدي الاقباط بالشعور ان دعوه موسي تستهدف مجدهم وقوتهم التي صار فرعون رمزا يحمي قومتهم من خطر موسي ومن معه حسب تفكيرهم الفاسد

الامر الثاني

ترسم الايه لنا الحاله النفسيه التي تقف وراء عدم علم قوم فرعون بالحق وعدم الاقرار به بان سبب عدم العلم و القول به يعود لعدم اسبابه من النظر التام والاستماع لايات الحق واعلامه فقال تعالي (وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

لبيان ان المانع من النظر والاستماع يعود لوجود مانع من الكبر في النفس ولدت فيهم تصور باطل وسببه عدم

غني النفس بالحق فتعتاض عنه بالخيال الباطل

ولهذا جاء اعلانهم هذا بالاصرار علي التكذيب بالقطع قبل ان ينظروا للبرهان او يتفحصوا الدليل رافضين الا ستماع او النظر مهما كانت قوه الدليل فهم لايرغبون بالحق ولايقبلون به وليس لديهم نيه لمعرفته او النظر فيه ف لايرغبون بمعرفه الحقيقه اصلا وهذا هو سلوك ابليس الذي تكبر علي امر الله متعصبا لاصله فقال تعالي عن ذلك (مامعنك الاتسجد اذ امرتك قال انا خير منه ..الخ

وهذا الرفض منهم يعني العناد والتابي والكبر في قبول الحق وهو سلوك ابليس لقوله تعالي (الا ابليس ابي واستكبر وكان من الكافرين) فعدم سجوده هو بدافع الكبر والعناد والتابي فدل ان المانع هنا متعلق بمعصيه الشبهه فالعناد والكبر والتابي يعطل الانتفاع بالعقل فالعناد اشد جرما من ارتكاب جرائم الشهوات التي تغلب فيها الشهوه علي الانسان لماذا

لان مرتكب المغلوب علي شهواته بعد ارتكاب الذنب يندم ويتالم بعد ان يفيق من غفلته اما المعاند المتكبر فانه يري نفسه عظيما وهو ينزع الله في ملكه وعظمته وجبروته ولهذا فلا يدخل الجنه من كان في قلبه ذره من كبر اما من غلبته شهواته فباب التوبه مفتوح وقد رد الرسول صلي الله عليه وسلم علي الصحابه عندما لعنوا شخصا ارتكب جريمه شرب الخمروتكرر منه ذلك فقالوا عليه اللعنه ما اكثر ما ياتي منه فقال لهم النبي عليه الصلاه والسلا م لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله

فداء الشبهه خطير وهو داء ابليس اللعين وفرعون وملئه كانوا ينظرون لموسي ومن معه بانهم عبيد ليسوا بمنزلتهم فهم اقل منهم شانا فهم قالوا لموسي ذلك في معرض رفض القبول بالمساواه بينهم وبين بني اسرائيل رافضين دعوه الايمان والدعوه الي العداله الاجتماعيه وتحرير بني اسرائيل من ظلمهم ولهذا قالوا (فما نحن لك بمومنين)

تفيد المبالغه في القطع بانتفاء ايمانهم بموسي والجمله الاسميه للدلاله علي ثبوت هذا الانتفاء ودوامه كما يفيد الباء تاكيد النفي وفي هذا المشهد عده توجيهات ومفاهيم لك اخي المسلم نذكر منها الاتي

المفهوم الاول

عليك اخي المسلم الانتباه من معارضه الحق مهما كان فاللازم ان تقبل به حتي ولو كان في مظهره اذي يلحق بك فالحق احق ان يتبع انتبه من العناد في الحق عليك الانتباه ان تقف في جانب غير جانب الحق فهذا يجعلك تقع في سخط الله انتبه من الهزل والسخريه بالحق ولو علي سبيل المزاح لان ذلك موجب للهلاك فالزم الحق وان كان اهله قله وضعفاء فالله ينصر اولياءه والعاقبه للمتقين وهو تعالي يساعد المومنين ويبعد عنهم المهالك

المفهوم الثاني

انتبه من الجدل بالباطل لاجل اظهار قوه الجدل لا الحق فهذا الفعل من دعائم الكفر

واللازم عليك عند النقاس ان تكون قاصدا بذلك طلب معرفه الحق بنيه صادقه تهدف الي اكتشاف الحقيقه و القبول بها وان خالفت مصالحنا ورغباتنا

فمعرفه الحق يتطلب حسن الاصغاء والنظر التام للاداله والتفحص لها والاعلام لترزق نعمه معرفه الحق والاقرار به

فالايه تبين لنا ان مصيبه هولاء انهم لايريدون سماع اداله الحق او القبول بالاستماع للاخرين يتضايقون من سماع الحق وادالته اذا لم يوافق رغباتهم

فعليك الانتباه من الجدل الذي يقود الي ارداه الغلبه لا انتصار الحق واظهار الحقيقه فهذا من سلوك الكفار

المفهوم الثالث

ان التذكير والحوار والنقاش مع الناس اذا لم يكن بهدف معرفه الخقيقه ولم يكن لديهم رغبه في ذلك فانه انما يودي الي مزيد من الاختلاف وبالتالي فعليك ان لاتجادل مثل هولاء الناس لانهم لاخير فيهم فلو كان فيهم خير ولو واحد بالمليون لسمعوا الحق فالله يقول (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم)

رابعا

(فارسلنا عليهم الطوفان والجرد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

ابتدات الايه بالفاء (فارسلنا) للتفريع باصابتهم بهذه المصائب لبيان عنادهم واصرارهم علي الرفض لقبول الحق رغم تعدد المصائب فالارسال يطلق بمعني وجه كما قال (ارسل في المدائن حاشرين) وتاتي بمعني اطلق (فارسل معنا بني اسرائيل) اي اطلقهم من الاستعباد وتاتي بمعني انزل كما في قوله (يرسل السماء عليكم مدرارا) ولهذا فان قوله (فارسلنا عليهم) تفيد معني التوجيه للطوفان والجرد والقمل والضفادع ...الخ

وكلمه عليهم تفيد ان التفريع هو تفريع عقاب لا تفريع زياده

والمراد بهذا التفريع بيان الاتي

المفهوم الاول

ابتدات الايه بالفاء (فارسلنا) بالتفريع باصابتهم بهذه المصائب لبيان عنادهم واصرارهم علي رفض الحق رغم تعدد المصائب والعقوبات في المرحله الثانيه وتنوعها فلم ينتهوا لتعلم ان الكافر لايبحث عن الحقيقه ولايرغب فيها خاصه اذا كان فيه الكبر والشعور بالعظمه والخيلاء فان هذا يكون معاند وتجده يسخر من الحق واهله فذكرت الايه قبلها قولهم (مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها.. الخ

فهم يسخرون من موسي وكانهم يقولون مهما جاءت به من مزاعم ايات ايها الساحر فان سحرك لن يصل الينا وهذا نوع من الاستهزاء والسخريه باداله الحق واياته فهذا الجواب هو انكار لدعوي موسي ومقابله منهم للنوائب التي تمثلت في المرحله بالقحط والجدب وما ترتب عليها من اضرار ماليه ثم تمثلت نوائب المرحله الثانيه في عقوبات اشد منها فانزل عليهم نوائب متفرقه مدمره لكنهم لم ينتهوا والتعبير بالايه هنا منهم من باب الاستهزاء و السخريه لان موسي وصفها بانها ايات الله وهم يفسرونها باسلوب الاستهزاء فهم مغرورن بالقوه واغنياء بالمال ومن كان هذا شانه فانه يصعب مناقشته والنصوص توحي بان الجهاز الاعلامي في نظام فرعون كان يلعب دور في تزيف الوعي ولهذا فان التعبئيه العامه للاعلام شارك في تعبئيه الراي العام ضد موسي برفع شعار ان ما جاء به موسي هو نوع من السحر فقالوا(مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين) فجاء تفريع العقاب بعدها بانه ارسل العقوبات التنبيهية العديدة والمتنوعه لعلهم ينتهون ولكنهم لم ينتهوا فقال تعالي (فارسلنا عليهم الطوفان والجرد والقمل والضفادع ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

انهم رغم تنوع العقوبات التاديبيه والتي تدل علي صدق موسي لاقترانها بالتحدي وما فيها من دلائل علي غضب الله عليهم فالفصل في الحقيقه يستعمل للتميز بين الاشياء ويستعار لازاله اللبس والاختلاف في المعني (ايات

مفصلات) بانها لاشبهه فيها في كونه معجزه وقيل انها مفصوله عن بعضها لقوله تعالي (ومانريهم من ايه الا هي اكبر من اختها) فماهي النتيجه لقد استكبروا والجمله فيها تفريع علي ارسال الطوفان وترتيب ذلك وان مابعدها كان استكبارهم للاشاره الي طريقه تفكيرهم فدل هذا علي انغماسهم في الضلاله والوقوف في وجه الحق وبعدهم عن التوفيق والسعاده فالايه (فاستكبروا) تدل علي فساد الفكر وغياب الوعي بالتوهم وتعاظم النفوس عن التصديق باداله الحق فشكلت ماده الكبر الشديده مانعا من النظر والاستماع لاداله الحق ولهذا استخدم السين و التاء للدلاله علي شده الكبر فيهم ووصفهم بانهم مجرمين لرفضهم الاعتراف بالحق رغم تعدد الايات وبصيغه الجمله الاسميه للدلاله علي ثبات الاجرام فيهم وتمكنه ورسوخه منهم فوصف الاجرام الراسخ فيهم هو عله الا ستكبار الصادر منهم ويدل علي استمراره

المفهوم الثاني

(جنود الله)

ابتدات الايه بالتفريع بالفاء بقوله تعالي (فارسلنا عليهم

والارسال يطلق علي التوجيه كما قال تعالي (ارسل في المدائن حاشرين) وتستخدم بمعني الاطلاق كقوله تعالي (فارسل معنا بني اسرائيل)

وتستخدم بمعني الانزال كقوله تعالي (يرسل السماء عليكم مدررا) فاستخدم الجار والمجرور (عليهم)في جمله التفريع (فارسلنا) يراد منه ان تفهم ان لله جنود تقوم بتنفيذ اوامره في انزال العقوبات باعداءه لاننا لو سالنا انفسنا من الذي قام بتوجيهم بذلك الامر من الذي امر الطوفان بتدمير ارض مصر واتلاف المحصولات واغراق الا رض من الذي امر الجراد باتلاف المحصولات الزراعيه من الدي امر القمل ليكونوا سلاحا يدمر المحصولات او يوذي الاجسام من الذي امر الضفادع لافساد الحياه ومن الذي جعل المياه تصير دم لابد ان الجواب هو الله تعالي و نفهم من النص ان الذي امرهم بتنفيذ العقوبات هو الله تعالي فهذه المخلوقات كلها جنود الله تعالي شاركت في المعركه ضد الباطل فكلمه ارسلنا تعني انهم تلقوا الاوامر من الله لتنفيذ العقوبات التاديبيه ضد فرعون وملئه ف الحندي يعرف بهذا الاسم لبيان انه يتلقي الاوامر ويقوم بتنفيذها فهو الاداه التي تستخدم لتنفيذ العقاب

ابتدات الايه بالتفريع (فارسلنا عليهم) لتفهم ان لله جنود يرسلهم لنصره الحق فعليك ان لاتخاف من الاعداء مهما كانت قوتهم فاللازم ان تقاوم الظلم فنحن اليوم مثلا نعيش تحت وطاه الاستعمار الذي نهب ارضنا في فلسطين وهنالك استعمار غير مباشر لايختلف في وطته علي الاستعمار المباشر بل روبما هو اشد لانك تجد ابناء جلدتك يقفون بوجه الحق لخدمه الكفر واهله تنهب ثروتنا وتسخر امكانيات الدول الاسلاميه ومقدراتها ضد ابناءها وضد مبادي الاسلام وضد مصالح الامه والشعوب

فهل نستسلم امام هذا الاحتلال يقول لك الحق انتبه من الوهن والضعف فانت قوي بمن بالله تعالي ولهذا ابتدات الايه بالتفريع (فارسلنا)

لتفهم ان هنالك قوه وجنود لله يرسلهم الله لمعاونه اولياءه ونصرتهم يرسلهم للقيام بالتدخل لتغليب كفه المومنين واظهار دينه فعليك ان تعلم ان لله جنود تقف في صف الحق وهو تعالي قد وعد عباده بالنصر

المفهوم الثالث

يريدك الحق ان نفهم انه تعالي يقوم بتدبير الامور كلها وهو تعالي لايعجزه شي وان جميع المخلوقات هي في الا صل جنود لله تعالي فحتي فرعون الجاحد كان جنديا لله رغم انفه فقد كان كفره وجحوده لحكمه ليري الله من يستسلم لفرعون ومن يتبع موسي ولهذا فاللازم ان تثق بالله تعالي ونصره فلا تضعف اذا كنت مع الله

ولذلك نجد تعدد الايات المبينه طبيعه جنود الله التي شاركت في هذه المعركه لتبرز الايه التوافق بين العقوبات وبين ماتقوم عليه الحضاره الفرعونيه الماديه الكافره والتي كانت قائمه علي ابداعات متنوعه ولهذا كانت العقوبات التنبيهه متنوعه تتناسب مع ذلك التنوع الذي تميزت به الحضاره الفرعونيه في الابداع الزراعي و الصناعي وفن الري وبناء السدود فقد ابتدات بمساله الطوفان والكلمه علي وزن خوف وتعني الشي الذي يطفوا ويدور ثم اطلقت هذه الكلمه علي الحادثه التي تحيط بالانسان واطلقت علي السيول والامواج المدمره التي تاتي كل شي وتدمره وتقتلع الاشياء من جذورها

فكان الطوفان مفاجي لهم ابداعاتهم في تلك الجوانب المشار اليها تعود الي العلم المادي الذي توصلوا اليه فهذه العلوم تجعل المرء ينظر الي القوانين المحكمه التي تحصن البلاد من الكوراث فالطوفان لم يكن متوقعا بالنسبه لهم لانهم قد وضعوا قنوات الراي القادره علي تصريف المياه وابعاد شبح اي كارثه مائيه عن انفسهم واراضيهم فكانت مساله الطوفان ايه عظيمه لانها اخرجت حركه نهر النيل والامطار الساقطه علي مصر عن قوانينها التي يعرفونها فالامر معجزه فمصر قليله الامطار ثم ان التهديد بالطوفان لم يشمل جميع الناس بل توجه الي فرعون وقومه ولم يهدد حياه بني اسرائيل الذين كانوا يعيشون في الصحراء بعيدا عن شاطي النهر فخروج الطوفان عن قوانينه يدل انه انتقل الي قوانين المشئيه الالهيه المطلقه والامر لايحتاج الي تفسير علمي وكذلك لم يجد الفراعنه تفسيرا لعدم تهديد الجرد محصولات بني اسرائيل وكذلك فان فرعون وقومه وجدوا انفسهم مهددين بـ القمل توذي اجسادهم رغم انهم في منازل محصنه من هذه المخلوقات وفق النظريات العلميه التي حرصوا علي مراعاتها عند تشيد منازالهم والعجيب انها لم تدخل منازل بني اسرائيل المتوضعه والتي لم يراعي فيها ايان من تلك الاحتياطات عند البناء وهكذا هو الحال بالنسبه للضفادع والدم فلم تعد لفنون وعلوم السدود وقنوات الراي و لا فن البناء ولاغيرها من العلوم وقونينها اثر فقد تعطلت واصبح هذا العذاب يهدد فرعون والاقباط ولم يوثر في بني اسرائيل والسوال هنا ما الذي جعل الطوفان والجرد والقمل والضفادع والدم كلها تهدد الفراعنه ولاتمثل خطرا لبني اسرائيل لماذا?

المفهوم الاول

لانها جنودا لله تعالي وقد صدرت لها الاوامر من الله تعالي ان تهجم علي فرعون وقومه ففعلت مثلها مثل البحر الذي له قوانينه الخاصه ونعرف ان القوانين التي تحكم البحر ليس فيها ان ينشق البحر ان يضربه احد ما بعصا فاراد بهذا ان تعلم ان الله الاحد الصمد اذا خلق قانونا خضع له القانون ولم يخضع هو للقانون فعليك ان تفهم ان المشئيه الالهيه المطلقه تبقي هي مصدر القانون وفوق القانون فهو تعالي اذا اراد شي فانما يقول له كن فيكون فكل شي ينتهي الي الله ومايعلم جنود ربك الاهو

المفهوم الثاني

يعلمنا اهميه التفريق في المعامله بين المسي والمحسن فلا تكون المعامله عندك بمنزله سواء ولهذا تبين الايات ان الله وجه جنوده من الطوفان والجرد والقمل والضفادع والدم لتاديب فرعون وقومه فالعقوبه خاصه لم تطال بني اسرائيل فنجاه بني اسرائيل تدل علي التفريق في المعامله

فلو عم البلاد كلها لما كان له معني لكن حينما ينجي الله المومن فمعني هذا ان انه تعالي فرق بينهما علي معيار ما الزم كلا منهما به نفسه فالمسي الزم نفسه استحقاق العقاب واما المحسن فقد الزامها استحقاق الكرامه ولان المساواه بالمعامله يعني قتل روح الابداع والاحسان ولهذا لابد من المعامله بالمثل فالله يقول وهل جزء الاحسان الا الاحسان ...كما ان عدم التفريق بين المسي والمحسن فيه تشجيع لاهل الاساءه علي الاساءه فلايمكن ان يتساوي المومن مع الكافر ولا الكاذب مع الصادق

الامر الثالث

قد يقول قائل كيف تعتبر المعامله عنوان لرضا الله وسخطه في حين ذكر الله في موضع اخر ان ذلك المعيار فاسد فقال تعالي (ايحسبون انما نسارع لهم في الخيرات)

الجواب :

الايات وردت في مقام التاديب وليست في مقام الابتلاء الذي يختبر الله به عباده ليعرف من يصبر علي قدره تعالي في الشده والخوف والفقر والجوع والمرض ممن يجحد ويكفر ويشكو من قدر الله وكذلك الابتلاء بالغني و الاقتدار ليعرف من يشكر الله ممن يجحد انعامه فهذا موضوع يختلف عن ما ذكر في هذا المقام المتعلق بالتاديب كما ورد في الحديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم ما تلف مال في بر او بحر الا بحبس الزكاه)

ولهذا عندما نقرا الايات في مقام التاديب ينبغي ان ننظر اليها بشكل مختلف عن مقام الابتلاء فمقام التاديب ينبغي ان نعود الي انفسنا لنصلح ما بيننا وبين الله اما مقام الابتلاء فعلينا ان نكثر من الدعاا ء ونصبر علي قدر الله

فالاصل ان مقام التاديب يعيد المرء الي الحق ولمقام التاديب علامات فمثلا شاهدنا علي شاشه التلفز في ازمه تسونامي ان الكارثه حلت بجميع المباني ومن كان بسواحل اندونسيا عدا. جامع كان فيه اناس يصلون فلم يصبه اذي اليس في هذا رساله من الله ان التسونامي تاديب لاولئك الذين اتبعوا شهواتهم اليس في ذلك رساله من الله لعباده المومنين يطمئنهم فيها بعنايته وعطفه يدعوهم فيها الي الثبات وكذلك شاهدنا في ليبيا عند انهيار السد انه دمر كل شي مر عليه قبل عامين تقريبا الا منزل لم يصيبه باي اذي تحدث الناس ان هذا المنزل كان صاحبه يلقب ابو الايتام فقد جعل منزله ماوي للمحتاجين اليس في ذلك رساله تستدعي من كل الناس ان يفهموا مدلولاتها وماذا يريد الرب ان يقول لهم فالله تعالي يقول في موضع اخر (ام حسب الذين اكتسبوا السيئات ان نجعلهم ك الذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)

خامسا

مما سبق يتضح لنا انه في مقام التاديب والعقاب لا يمكن ان يتساوي المستقيم مع المجرم والمنحرف اطلاقا لماذا?

الجواب :

لان الهدي يرفع الانسان فالعمل الصالح يرفع الانسان والعبوديه هي مصدر عز الانسان اما الكافر فانه يتوهم نفسه ذو قوه وانه عظيما ولهذا فانه لاينتفع بوضوح الحق ولايقوده الي مافيه سعادته لان الضلال يرديه ويعطل حواسه فلا يري الحق مهما كان واضحا فالكبر يمنعه من رويه الحق او سماعه ولهذا قال تعالي (ايات مفصلات)

انها كانت منسقه الخطوات تتبع كلا منها الاخري وتصدق اللاحقه وهنالك فواصل زمنيه بينها فانزل الله الطوفان ثم رفعه ثم وجه الجرد ان تاكل المحصولات الزراعيه ..فهي جاءت متفرقه وهذه الفواصل منحتهم فرصه للتفكير والانتباه لما هم فيه لكنهم لم يفكروا بسبب الاستكبار الذي هو سبب اجرامهم فهو مانع لهم من معرفه الحق والا قرار به ولهذا فان المجرم لاينتفع من الرسائل التنبيهيه فهو يتنقل من مصيبه الي مصيبه ولكنه يظل في اجرامه لوجود المانع من الايمان بانه داخل نفس الانسان انه القلب اما المومن فانه يكون موافقا متوزان لان الله يشرح صدره الايمان ولهذا تاتي الايه تحكي لنا واقع فرعون وقومه في كل مره تاتيهم الايات فقال تعالي (ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسي ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الي اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون)

وهذا فيه الاتي

بانهم في كل مره تحت ضغط العذاب كانوا يطلبون من موسي ان يدعوا الله لينقذهم من العذاب ويقسمون بالله ان رفع العذاب عنهم بانهم سوف يومنوا بصدق رساله موسي وانهم سوف يطلقون بني اسرائيل من الاستعباد ويعطونهم حق المواطنه وحريه الاقامه في مصر او الخروج منهاوفي كل مره ينقضون العهد الذي قطعوه وهكذا تتكرر العمليه فيعودن الي ما كانوا عليه من قبل من الكفر والجحود وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

تبين الايه ان هنالك فرق بين تفكير المومن وتفكير الكافر

فطريقه تفكير الكافر ومفاهيمه للحياه وسلوكه وكلامه يختلف لانه يفسر الامور من منطق الكبر والاجرام الذي نشا عليه ينظر للاشياءاء وفقا لاهوائه ليس لديه منهج يسير عليه في حياته ولهذا لايستفيد من التجارب التي يعيشها و لايفهم رسائل الرب وتوجيهاته اليه واما المومن فانه يسير وفق منهج الله يربط كل حركه بمنهج الله ولهذا ينتفع المومن من الاحداث التي يمر بها لانها يتمكن من فك الشفره التي تحملها الرسائل الربانيه لعباده فيراجع حساباته ويصلح علاقاته مع ربه وفي حاله الابتلاء يصبر

فالمومن يستقوي بالله تعالي ويعتز بالعبوديه لله ويستعلي بالاتصال بالله وبالحق فقوه المومن في الدعاء لانه يشعر ان له ربا يقف معه فمعرفه الله تعني العطاء والرحمه العظيمه فالمرء لايجد السعاده الا بمعرفه الله ومحبته وعبادته فشهاده الانسان ان لا اله الا الله فيها خروج الانسان من ومن سجن الغربه الانانيه والذات ويتصل بمصدر القوه فالشهاده تعني انه يشهد ان له ربا يبسط عليه المن الالهي والرحمه فيعرف انه ليس في الكون وحده فاذا استقرت هذه الحقيقه تحرر الانسان من الغربه والخوف فلا يخاف احد وتتحرر طاقاته من السكون ويصير الا نسان حرا لانه يشعر ان الله معه فلايحس بالغربه ولايحس انه وحيدا لانه اذا كان الله معك فهو خالق الكون والا تصال به يعني الامان وهذا اول ما يتعلمه المسلم ولهذا لاينهار المسلم امام التحديات لانه يسير وفق منهج الله لا يروغ المسلم ولايضعف فهو يلجا الي الله بالدعاء ويستغني بالله فهو القوي الذي لايقهر اما الكافر فانه ينهار ويضعف وقت الشدائد ولهذا ترسم لنا الايه صوره الكفار عند الشدائد عندما وقع عليهم المصائب قالوا ياموسي ادع لنا ربك ...لماذا لم يلجاوا الي فرعون الذي زعموا انه اله وانه ربهم الاعلي لقد شاهدوا انه ليس فعال وليس بيده شي لكن اله موسي بنظرهم فعال لما يريد

المفهوم الثاني

تبين الايه ان من ترك منهج الله وسنه رسوله اصيب بالذعر والخوف عند حلول المصائب التي يعجز عن ردها بما يستعلي به من قوه وجاه ومال وضرب الله لنا مثال لذلك (ولما وقع عليهم الرجز)

اي لما اصابهم الطوفان والجرد.. فالرجز هو العذاب بشكل عام ولكن المقصود به هنا ماذكر وليس هنالك دليل علي انه الطاعون كما ذهب البعض بل الموكد هو الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم يقول ابو السعود(اي العذاب المذكور علي التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحده من الايات المفصله اي كلما وقع عليهم عقوبه من تلك العقوبات قالوا ياموسي ... فالمراد بهذا بيان الي حقيقه

انهم في كل مره يتعرضون للعذاب والسخط الذي كان يحل بهم كانوا في كل مره يلجاون الي موسي طالبين منه ان يتوجه بالدعاا ء الي ربه اي ان قوه المومن هي الدعاء والاتصال بالله فرفع العذاب اخي المسلم انما يكون بـ الدعاء والتوبه والانابه الي الله وهذا مافهمه اعداء الله من اتباع فرعون فقالوا لموسي (ادع لنا ربك بما عهد عندك)

اي بما عرفك واودع عندك من الاسرار وهذه عباره متحير من امر ملتبس عليه الاداله والباء بما عهد عندك مرتبط بـ الدعاء وما مبهمه موصوله اي ادعه بما علمك ربك من وسائل اجابه دعائك عند ربك وهذا يعني انهم جوزوا ان

يكون موسي مبعوثا من ربه

المهم هنا ان الايه تبين انهم لجاوا الي موسي لانهم لايعرفون الطريق لرفع العذاب ويعلمون ان موسي يعرف هذا الطريق ومن هنا نفهم ان الاتصال بالله وانشا علاقه مع الله انما يكون بالتزام منهج الله تعاليدوالتلذذ بطاعه الله فالبلاء لايرفع الا بالانابه الي الله فالايه توحي ان موسي كان يرعبهم باتصاله بربه فقالوا (ادع لنا ربك)

وقال تعالي في موضع اخر عن فرعون (ذروني اقتل موسي وليدع ربه ..الخ

ان فرعون كان خائفا من العلاقه التي يتصل بها موسي بربه كان فرعون مرعوبا وهذا انما يكون بالتزام منهج الله

فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول نصرت بالرعب مسيره شهر)

ولهذا لما ترك المسلمون منهج الله وطغي بينهم التعصب والانانيه وحب الذات وانقطعوا عن مفاهيم الايمان الحقيقي والقيم التي تحملها الشعائر لم تفهم الامه دورها في حمل الامانه وتخلت عن واجبها وانفصلت عن مفهوم القوه والاستعلاء الحقيقي بالاتصال بالله والتزام منهجه وصارت تنظر الي المال والجاه والسلطان مصدر القوه وصارت تتنافس علي حب الدنيا وتخلت عن الجهاد لكراهيه الموت فقد اصيبت. بالوهن وهو ماحذر منه الرسول صلي الله عليه وسلم تتدعي عليكم الامم كما تتدعي الاكله الي قصعتها قالوا امن قله نحن يومئذ يارسول الله قال لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يلقي عليكم الوهن قالوا وما الوهن يارسول الله قال حب الدنيا وكراهيه الموت وفي روايه وتنزع المهابه من صدور عدوكم)

فالوهن هو الضعف الباطن والظاهر بسبب التعلق القلبي بالدنيا وامالها واعمالها وشهادتها وصناعتها والا ستقرارالمادي الصوري يولد الضعف لان الناس يعتقدون ان السعاده بالراحه والمال والجاه والسلطان

والاتصال بالاقوياء ولو كانوا كفارا فانهم يلهثون تحت اقدامهم طلبا للعزه ويتباهون بان امريكا تحميهم وان لهم ء لاقه حميمه بدوله اسرائيل اليس هذا هو الواقع الذي تعيشه الامه اليوم لماذا لانها تركت منهج الله الذي لو التزمت به فانها تجد مصدر القوه الحقيقي وهو الاتصال بالله فلماذا تخاف اذا كان الله معك عندها لن يجروا الاعداء ان يتدخلوا بشوونا لكن الابتعاد عن منهج الله وقبول صداقه الكافر ولو علي حساب المبادي والقيم وتبرير ذلك بعده مسميات مثل حقوق الانسان والمنظمه الدوليه جعلت الاعداء يتجرؤن علي اختراق صفوف الامه رغم الاعداد السكانيه الكثيره ومن خلال هذا الاختراق قاموا باعاده ترتيب الامه لتدور في فلكهم لاننا طلبنا العزه من غير الله اذلنا الله فاذا اردنا القوه فعلينا ان نقتدي بموسي ونطلب العزه من الله وحده ونلتزم منهج الله

المفهوم الثالث

ان طبيعه الكفار انهم وقت الشدائد يبحثون عن وسيله للخلاص فهم قد التفتوا الي مساله كفرهم والعنصريه فهم يدركون انه يجب تصحيح اوضاعهم بالعوده الي الايمان التوحيد وتحقيق العداله الاجتماعيه بتحرير بني اسرائيل ولكنهم متمسكون بكفرهم فقال تعالي (لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك ولنرسلن معك معك بني اسرائيل)

ولهذا جاء القسم في جمله استنافيه بيانيه فيه بيان ان طلبهم من موسي الدعاء بكشف العذاب مع سبق كفرهم ف القسم باعتبار ان موسي سوف يقول وماهو الجزء المقابل علي رفع العذاب فجاء القسم بقطع العهد علي انفسهم ب الايمان بان موسي نبي وتحرير بني اسرائيل

وهذا نوع من المرواغه التي كانت بنظرهم سياسيه وذكاء منهم وهو ما يعتبروه الكثيرون اليوم تدبير سياسيه للوصول الي السلامه والسلطه والتمكين فارتباط اهل الكفر بالمصالح التي تجمعهم مع النظام تنعكس علي سلوكهم

لانه يولد فيهم عدم الوفاء بالعهود والشعور بنشوه خداع الاخرين فالايه تستعرض لنا هذه المرواغه التي هي شان الكفار في كل زمان كما قال تعالي (يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الانفسهم) وهنا قال تعالي (فلما كشفنا عنهم الرجز الي اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون)

لقد اعماهم التعصب والمصالح التي تربطهم بنظام فرعون عن الايمان فلم يعودوا الي رشدهم رغم انهم اقسموا الا يمان المغلظه انهم سوف يومنون اذا رفع الله عنهم العذاب ويطلقون بني اسرائيل الي حال سبيلهم لكنهم ينقضون العهود ويعودون لما كانوا عليه قبل رفع العذاب

فجمعت الايه النكوث كانه وقع مره واحده مثلما جمع الايات في البدايه لبيان ان القلب المنكوس يتلقي التجارب ولاينتفع بها ولبيان ان الايمان انما يكون بالاقتناع والرضا والقبول وليس قهرا ولا اضطررا فالانسان حينما لايكون اقباله علي الايمان بالرضا والقبول فلاقيمه لايمانه لانه يكون ايمان اضطرري ومرواغه تحت الضغط فاذا وجد فرصه فانه يعود لكفره كما قال تعالي في الانعام (بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لمانهوا عنه وانهم لكاذبون)

سادسا

تبين الايات ان موسي ظل صابرا يدعوا فرعون وقومه للايمان ولكنه لم يستطيع اقناعهم رغم الاداله والبراهين فقد حملهم التعصب الاعمي لنظام فرعون القوي علي التمسك بقياده فرعون ونظامه ورفضوا العوده الي الرشد

فكانوا ينكثون العهود التي اعطوها موسي فقد استدراجهم الله بذلك فقال تعالي (فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باتنا وكانوا عنها غافلين)

فقد عميت بصائرهم وعندما علم فرعون بخروج موسي من مصر حشد كل قواته وجنوده لاجل اللحاق بهم وعندما وصل موسي الي البحر راي خلفه فرعون وجنوده وقال بني اسرائيل هذه النهايه انا لمدركون فقال موسي كلا ان معي ربي سهيدين فارشده الله ان يدخل البحر فانفلق البحر بضربه عصا ودخل فيه موسي واتبعه فرعون ومن معه فاغرقهم الله في البحر فقال تعالي بعدها (بانهم كذبوا باتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمه ربك الحسني علي بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)

وهذا فيه بيان الاتي

الامر الاول

عليك ان لا تستسلم امام قوه الاستكبار مهما كانت فلا تخضع طالما انك علي الحق فانه تعالي يقف مع اولياءه فا لاعداء لن يتمكنوا من القضاء علي الحق مهما كانت قوتهم فعليك ان تفهم ان كل شي من تدبير الله فقد جعل الله هلاك فرعون وملئه علي يد موسي الذي تربي في قصر فرعون وكان البحر سببا لنجاه موسي هو سبب هلاك فرعون لتعلم انه سبحانه وتعالي القاهر القوي العزيز فعال لما يريد

الامر الثاني

يقول لك الحق ان الانتفاع بالعلم و الايمان يحتاج الي قبول الشخص واردته له باختيار منه فهذا هو الذي ينتفع بـ العلم والايمان فقوم فرعون كانوا قد شاهدوا الايات ومع ذلك اعماهم التعصب الاعمي عن رويه الحق الواضح ف العناد اوصلهم الي الذل والهون بل ان فرعون وقومه لحظه دخول موسي وقومه البحر شاهدوا معجزه كبير ه فليس من شان القوانين التي تحكم البحر ان ضربه العصا تجعله ينفلق كان بامكان فرعون وقومه التوقف عن متايعه موسي داخل البحر فقد كان المشهد كافيا ان يعودوا لرشدهم ووعيهم فيعرفوا الحق او علي الاقل يتوقفوا

عن متابعه موسي لكن تكرار التكذيب منهم لايات الله جعلهم بلا احساس وتعصبهم الاعمي اعمي بصائرهم ومنعهم من معرفه الحق والاقرار به حتي. وقعوا في الغرق

الامر الثالث

عليك ان تتدبر نهايه المعركه بين الحق والباطل انظر الي نهايه الظلم والطغيان فهذا فرعون امام الطغاه ورمز الظالمين والوثنيه السياسيه رمز الاستكبار العالمي اهلكه الله واستدرجه بتلك الطريقه امام انظار المستضعفين من بني اسرائيل الذين قالوا لموسي انا لمدركون كانت نهايتهم بتلك الخارقه التي نفذ البحر امر الله وتوقفت القوانين الطبيعه واغرق الله فرعون ونزع عنه وقومه السلطان والقوه ومكن الله لبني اسرائيل في الارض واستخلفهم كما وعدهم ليعبدوه واظهر الله فعليك ان تفهم ان هذه من النتائج الضروريه لسنه الاستبدال التي هي من السنن الا لهيه الحاكمه والتي فيها البشاره للمستضعفين في الارض ان هم اقاموا منهج الله في حياتهم فان الله سوف ينصرهم فكن اخي المومن واثقا ان الله سوف ينزع سلطان الاستعمار والطغيان والاستكبار العالمي الذي يحتل ارضنا علي ايدنا ان نحن اقمنا منهج الله وقمنا بواجب حمل الامانه وصبرنا في سبيل الله وتحملنا الاذي لاجل طلب ارضاا ء فسوف يهلك الله فرعون هذا الزمان كما اهلك فرعون زمن موسي فاصبر وكن واثقا بتحقق وعد الله ف‌الله لايخلف المعياد فهذا المثال ضربه الله للفئه القليله في مكه المطارده من قريش لتري نهايه الظلم وهو مثال لك اخي المسلم لتري نهايه الطغاه في كل زمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع التاسع

الاعراف

هذه المقطع امتداد للمقطع السابق الذي تناول الشطر الاول من قصه موسي عليه السلام مع فرعون وقومه الي ان اهلاكه الله تعالي وقومه في البحر غرقا ونجا الله موسي وبنو اسرائيل من الغرق فابتدات ايات الشطر الثاني من مشهد. يصف حال بني اسرائيل من بعد ما انجاهم الله من الهلاك وبعد اغراق فرعون وقومه اي انها توصف حال بني اسرائيل بعد ان انجاهم من عدوهم فرعون وقومه فقال تعالي (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا علي قوم يعكفون علي اصنام لهم قالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه قال انكم قوم تجهلون ان هولاء متبروا ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين واذ انجيناكم من ء ال فرعون يسومونكم سؤء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)

وهذا فيه الاتي

اولا

ان الايات توصف حال بني اسرائيل بعد النجاه والسلامه من الهلاك الذي حل ببني اسرائيل فقال تعالي (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا علي قوم يعكفون علي اصنام لهم قالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه) وهو ما نفهم منه ان الايات تتحدث عن مرحله جديده من حياه بني اسرائيل مرحله ابتدات بنصر الله لهم وتذوقهم الحريه بعد الاستعباد فكيف كان حالهم تنقل لنا الايات انهم كانوا في انحراف وفساد عقلي وقلبي ونفسي وفطري فتذكر لنا الايات انهم اصابوا موسي بالاعياء وهو يحاول اصلاحهم واعاده ترتيب اوضاعهم واثاره احاسيسهم وهم يقابلون ذلك با لاصرار علي الفسوق والكفر والعصيان ولهذا تنقل الايات حال بني اسرائيل لاجل الاتي

الامر الاول

(تحذر الايه من مصيبه التعايش مع الاستبداد)

نجد ان النصوص ترسم لنا حال بني اسرائيل ومايعانون من افات وامراض استوطنت اوعيه الفكر والتصور و القلب والفطره نتيجه الاستعباد الطويل الذي عاشوه تحت قهر فرعون وقومه حياه الذل والهون والعيش بلا كرامه ولا حقوق فقد اعتادوا علي نمط تلك الحياه وصارت طبائعهم متبلده الاحاسيس والمشاعر لم يعودوا يبالوا بانهم احرارا وان الله خلقهم احرارا فقد اثر فيهم التعايش مع الاستبداد

بفقدان الكرامه والشجاعه واعتادوا علي التخفي بالمشي جنب الحيط باللغه العاميه ..لتفادي الاخطار لقد فقدوا الهويه التي كانوا عليها بعد يوسف عليه السلام وفقدوا الكرامه والادميه فالتعايش مع الوثنيه السياسيه الا ستبداديه والاذلال والاهانه والعمل في خدمه الاقباط افسدت فطرتهم وتصوراتهم وعقولهم وامتلات نفوسهم ب الخوف والذل والهون وفقدان الثقه بالنفس

فهذا الداء من اخطر الافات التي تصيب الانسان لانها تورث الخبال والتخلف والعجز وعدم القدره علي فهم ما يدور حولك فنتائج التعايش مع الاستبداد وخيمه خاصه عندما يكون هذا الاستبداد مجتمعي اي يشارك المجتمع في ممارسته وليس النظام وحده فالاستبداد المجتمعي اخطر تاثيرا من استبداد النظام الديكتاتوري لقد نقلت التجارب التاريخيه لنا ان العبيد في امريكا كانوا هم انفسهم اول من وقف في وجه دعوه تحريرهم في منتصف القرن الماضي

وليس الامر ببعيد ففي اليمن مثلا هنالك ظاهره استحي ان اتحدث عنها لكنها للاسف الشديد واقع نعيشه هي معاناه طبقه المهمشين (الاخدام) هم اخوان لنا في الدين والوطن والعروبه لكنهم ذوي بشره سوداء يقال انهم من اصوال افريقيه المهم هذه الطبقه تعاني من استبداد المجتمع وتقاليده المذمومه وبرغم انه بعد التحرر من الامامه ومن الاستعمار فتحت لهم المدراس ولايوجد اي مانعا قانونيا امام الارتقاء بهم لكن هذه الفئه مازالت تتجرع المعاناه وبنفس الوقت اذا اردت ان تدمجهم في المجتمع للاسف الشديد تجد الاغلبيه العظمي منهم تقف ضد حريتها لقد كرس الاستعباد ثقافه الذل والضعف فيهم وانعدام الثقه بانفسهم

فهذا الداء للاسف الشديد من اخطر الامراض التي تفسد الانسان وتقتل ادميته وتقضي علي كرامته تفقده القدره علي الفهم والادراك لما يشاهد من احداث ولهذا تنقل لنا الايات هذا المشهد المولم فاقدامهم لم تجف من اثار مياه البحر فقد شاهدوا انعام الله عليهم بالنجاه والسلامه فالله يقول (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر)

وجاوز الشي بمعني عداه وانفك عنه والحديث عن الله تعالي بضمير المتكلم لبيان انهم تجاوز البحر بعنايه الله فكانه معهم بذاته فجاوزه مصاحبا لهم بالسلامه والامان بان فلق الله البحر وعبروا الي الشاطي بعدما اهلك الله فرعون فعندما وصلوا الي شاطي البحر بامان وقعت ابصارهم علي قوم وثنين يعكفون اي مستغرقين في طقوسهم الوثنيه وهم في هذا الموقف يطلبون من موسي الذي اخرجهم من مصر باسم رب العالمين الذي ارسله لا خرجهم من الظلمات الي النور ماذا يطلبون انهم يطليون من نبي الله ان يجعل لهم اصناما الهه مثلما لاهل تلك القريه اصنام فهذا القول منهم خلال فرحه العبور اختلط بطلب لايقوله الا احمق او غبي لم يفهم الدرس يدل علي انهم لم يفهموا ما علمهم موسي من عقيده التوحيد خلال ثلاثه وعشرين سنه مابين بدايه دعوه موسي وبين الخروج من مصر لم يفهموا المعجزه التي مازالت حاضره ومازالت ثيابهم لم تجف بان من انقذهم هو الله وهذا من رواسب الفكر الجاهلي وفساد الفطره والعقول والقلوب نتيجه التعايش مع الاستبداد والقبول بالذل و الهون لانه يبلد الاحاسيس ويقتل المشاعر ويولد قساواه القلوب وغلاظه الطباع ولهذا فالايات تحذر نا من التعايش مع الاستبداد

فعليك اخي المسلم ان تقاوم الظلم والاستبداد فليس في الاسلام دعوه للذل والخنوع كما يحاول ائمه الضلال تصويره بانه يدعوا لقبول الظلم فقالوا طاعه ولي الامر وان جلدك ...فطاعه ولي الامر مرهونه باقامه العدل وقيم ومبادي الدين واول هذه القيم الحريه والمساواه والشوري والمواطنه المتساويه وتطبيق منهج الله تعالي فالطاعه تكون في قبول حكم الله الذي يقوم ولي الامر بتطبيقه فاحترام سياده الشرع هو الذي يوجب الطاعه لقوله تعالي (فلا وربك لايومنون بك حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدون في انفسهم حرجا مما قضيت ...الخ

فالاسلام حرص علي حريه الانسان وصان كرامته وحفظها ومنع ايان كان من المساس بها وخير مثال علي ذلك هو استدعاء عمر بن الخطاب عامله علي مصر عمرو بن العاص لاجل انصاف الشاكي القبطي الذي قال له ابن عمرو العاص انا ابن الاكرمين ولطمه في خده فقد امر عمر بن الخطاب ابن العاص بالحضور الي المدينه وامر القبطي ان ياخذ بحقه وقال قولته المشهوره متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا هذا هو منطق الاسلام وما كان تربيه المومنين عليه فانتبه من التعايش مع الاستبداد فذلك هو الكفر بعينه لان اول خطوه يخطوها العبد في عقيده التوحيد انما تكون بتحرير الانسان من كل الاصنام واعاده للانسان حريته وادميته وانسانيته وكرامته ومن ثم تترك له حريه الاختيار فالعقيده الاسلاميه تحمي الانسان وكرامته وحريته من الاذلال فكيف يقبل بالتعايش مع الاستبداد كلا والف كلا لان الاسلام هو دين الحريه والكرامه والعزه

الامر الثاني

(من اين يبدا الداعيه في معركه تحرير الانسان)

ان اول خطوه نحو الطريق المستقيم يبدا بتخليص وتنقيه الاوعيه الذهنيه والعقليه والقلبيه والنفسيه من اثار

ركام الفكر الجاهلي ورواسبه اذ لايمكن احداث التقدم والتطور قبل اجراء العمليه الجراحيه والتربويه في اوساط المجتمع المسلم لتخليصه من اثار ورواسب الجاهليه وافكارها وما علق بها فعلي الداعيه ان يدرك ان مهمته سوف تكون شاقه وصعبه لانك سوف تجد الجاهليه تقف في طريقك تحاول ان تصدك فانت سوف تجد نفسك امام حـ اله افراط او تفريط حنين الرجوع الي الماضي نتيجه عدم الاستفاده من الدروس والتجارب او تشدد وهنا تكمن المصيبه لان تفريط صاحب العقيده يولد الاستهانه بالقيم والمبادي وتتحول العقيده لديه لمجرد شعارات وفي الطرف الاخر تجد المتطرف ولهذا فانت بحاجه الي الاعتدال والوسيطيه واول خطوه في هذا الطريق هو تنقيه الا وعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي وهذه المهمه صعبه وتحتاج الي مضاعفه الجهود وتحتاج الي الصبر علي ماسوف تجد من مشاهد انتكاسات بعد كل مرحله وعوده الي الماضي الجاهلي فقد روي احمد و النسائي عن ابي واقد قال خرجنا مع الرسول صلي الله عليه وسلم فمررنا ..فقلت يارسول الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما للكفار ذات انواط فقال الرسول صلي الله عليه وسلم هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسي اجعل لنا الهاكما لهم الهه ...انكم تركبون سنن من قبلكم

الامر الثالث

(اهميه تقيم انتفاع المتعلم بالعلم النظري والتجارب)

من الاهميه ان يخضع القائد والمربي والمعلم والمرشد الصفوه والطليعه الذين يعدهم ليشكلوا نواه العمل الثوري لـ لاختبار الميداني لمعرفه هل استفادوا من التجارب السابقه لان الذين لايستفيدون من تجاربهم يستسلمون للدوران في حلقات مفرغه يعجزون عن المساهمه في نهضه الامه ويعجزون عن قياده غيرهم فلابد في مرحله التحول ان تقف في فواصل التحولات لاجراء التقيم هل الصفوه والمريدين جاهزين لتدشين المرحله الجديده فلا بد ان تتم مراجعه التجربه لتعرف هل الناس قادرون علي اداره المرحله الجديده فالعبور من الماضي الي المستقبل امر يصعب عمليا علي كثير من الناس خاصه اولئك المشدودين للماضي الغير مستفيدين من دروسه ولهذا نجد ان الايات تصف حال بني اسرائيل من بعد ان انجاهم الله من الغرق واهلك الله فرعون وقومه فقال تعالي (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا علي. قوم يعكفون علي اصنام لهم قالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه)

بينما في سوره يونس قال تعالي (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون ...الخ

ففي سوره يونس تتحدث الايات عن حال بني اسرائيل قبل اغراق فرعون اما في هذه السوره فهي تصف حال بني اسرائيل بعد ان انجاهم الله بفضله وعطفه من الاغراق وبعد ان اهلك عدوهم اي انها بدايه مرحله جديده فكان الوصول الي شاطي البحر نهايه المعركه مع فرعون الطاغيه وبدايه مرحله جديده فقال تعالي (فاتوا علي قوم يعكفون علي اصنام لهم)

لما وصلوا الي الشاطي اول ما وقعت عليه ابصارهم مشاهده اناس يواظبون علي عباده الاصنام قيل انهم الكنعانين وقيل انهم قبيله مصريه وقيل انهم من قبائل لخم اليمنيه ولم يذكر القران منهم لان المراد ليس الا شخاص وانما العبره والعظه انها فرصه ليصقلوا ما تعلموا بالممارسات العمليه ويمتلوا من انواره لان الارتقاء بالعلم انما يكون من خلال الاختبار العملي لمعرفه هل فهموا التعاليم التي تحملها الايات ام لا فالعلم ينمو ويكبر مثل راس المال والتجاره للوصول الي اعلي درجات الكمال المسمي اليقين وهذا انما يكون بالتطبيق العملي لانه يكسب صاحبه نورا فهذا هو العلم المثمر ولهذا فان الدرس هنا هو ان الله اراد ان يضع هولاء في هذا المواقف لا جل ان ينظر الي اثر العلم الذي تلقاه بنوا اسرائيل طيله 23عاما وماشاهدوا من ايات عظيمه اخرها عنايه الله ورعايته لهم بان انجاهم من الهلاك بعد ان شاهدوا البحر صار بضربه عصا موسي يابسه وكان لهم السلامه والامان في حين اهلك الله عدوهم فماذا كانت نتيجه التقيم للتجربه لقد كانت صادمه فقد قالوا لموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه طلبوا ان يصنع لهم اصناما الهه مصوره ليتقربوا بها الي الله فكلمه (كما لهم الهه) الكاف متعلقه بمحذوف وقع صفه لها وما موصوله والالهه بدل والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هولاء علي عبادته فدل هذا

السوال انهم لم يفهموا الدرس السابق

دلت ان القوم تصوروا ان الثوره مجرد هدف وصول تصوروا ان الحريه هي تحريرهم من عبوديه ارض مصر و الوثنيه السياسيه وليست تحرير الانسان نفسه من كل الاصنام فهذا ضعف من جهه قوم موسي كيف لم يفهموا محنه فرعون كيف يبحثون عن الها وقد شاهدوا قوه الله العزيز الجبار تنقذهم من فرعون وقومه كيف يبحثون الهه غير الله فكان الاصل يشكروا الله علي فضله وعلي تحريرهم بحيث تمثل التجربه نقطه عبور للمستقبل بالا عتزاز بالاتصال بالله دون الحاجه الي وساطه فهو تعالي خالق كل شي

الامر الرابع

ماذا يعني العكوف؟وماذا يستفاد من هذا المعني؟

العكوف من لزوم الشي وحبس النفس عليه بالاقامه علي علي الشي والاقبال عليه بحيث لاتصرف وجهك عنه وهذا انما يكون ناتج عن التعظيم له والتعظيم الديني يكون الغرض منه التقرب من المعبود وطلب ثوابه او دفع ضرر عنه سوا كان في مساله الغيب او غيره باعتقاد ان له سلطه او لاجل التقرب الي الله وقصد الانتفاع في الا مور التي لاتنال بالاسباب العامه وكل ذلك من الشرك

ولهذا وردت الايه في مقام الذم لبني اسرائيل بانهم لم يفهموا ايات الله عليهم ومنها ايه اهلاك فرعون وكيف ان الله انجاهم بعدما كانوا قد تاكدوا ان هلاكهم واقع لامحاله فقالوا لموسي (انا لمدركون)

فالاصل ان يتوجهوا بالعباده لله تعالي خالصه وان تعكف قلوبهم علي الله وجمعيته عليه والخلوه به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه وتعالي بحيث يصير ذكره وحبه والاقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيستولي عليه بدلها ويصير الهم كله والخطرات كلها بذكره والتفكير في تحصيل مرضاته والقرب منه فيكون انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق

يقول ابن تيمه(ولما كان المرء لايلزم ويواظب الا من يحبه ويعظمه كما كان كان المشركون يعكفون علي اصنامهم وتماثيلهم ويعكف اهل الشهوات علي شهواتهم شرع الله لاهل الايمان ان يعكفوا علي ربهم سبحانه وتعالي

الامر الخامس

(اهميه العلم و الفهم السليم للمعلومه وترك التقليد)

تبين الايات ان الايمان انما يكون بالعلم وليس بالتقليد

ولهذا يذم القران قوم موسي لانهم عندما شاهدوا اناس يعبدون اصنام قالوا ياموسي اجعل لنا الها ..برغم انهم للتو وصلوا الي بر الامان ونالوا السلامه بواسطه معجزه شق البحر الذي امتن الله بها عليهم فالايه واضحه امامهم ومع ذلك يبحثون عن الها مصورا ؟

ان هذا االامر يعود الي سوء الفهم لمحنه فرعون وماشاهدوا من معجزه فالعيب يعود الي سوء الفهم والادراك يختلف نتيجه اختلاف الثقافه والحاله النفسيه والبئيه ..فدلت النصوص ان فرحه العبور امتزجت بطلب قبيح اصاب موسي بالصدمه وهو ماقتل الفرحه بتنغصها فقد افصحت النتيجه عن سوء الفهم للتجربه التي مروا بها

لان نفوسهم اعتادت علي سوء الاختيار والفطره قد افسدتها حياه الاذلال الطويله والثقافه الموروثه فيهم مازالت تقف وراء تفسيرهم للاحداث ينطلقون من الاهواء

والامزاجه المتاثره بحياه الفراعنه ولهذا جاءت كلمه (اصنام) منكره للدلاله انها مجهوله ووصفها بانها (لهم) ولم

يقل اصنامهم ليبين صغر عقولهم فهم يعبدون ماهو مخلوق وماهو مصنوع بايدهم وملك لهم ويجعلون مصنوعهم ومملوكهم الها

فدل هذا علي تفاهه التقليد وبالتالي فعليك الانتباه ان تقيم عقيدتك علي التقليد دون الفهم والدليل فالله يقول في موضع اخر (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

وعقيده الاسلام تقوم علي العلم وتامر به لا علي التقليد فالايمان يبدا من العلم وليس التقليد ويلاحظ هذا الامر بتامل الفارق بين ايمان السحره الذين كانوا اهل علم ودرايه وبين ايمان قوم موسي

ثانيا

تاتي النصوص مبينه رد فعل موسي عليه السلام بهذا الجواب (قل انكم قوم تجهلون ان هولاء متبر وا ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين

المبحث الاول من الجواب

ابتدا باثبات جهلهم بانفسهم وبربهم باسلوب فيه امتعاض من سلوك قومه فهم لم يفهموا الايات وعجزوا عن ترجمه العلم النظري الي واقع حال في اول اختبار لم ينتفعوا بالمعجزات فقال (انكم قوم تجهلون)

وهذا فيه

الامر الاول

وردت الكلمه علي اطلاقها يعني الجهل الكامل الشامل وهو يطلق علي عدم المعرفه.. والحماقه لان ما صدر منهم لا يقوله الا احمق او جاهل فهم قد شاهدوا ايات الله ومعجزاته وبالتالي فان هذا القول لايقوله عاقل

كما ان هذا الوصف المطلق لهم بالجهل باسلوب يشير الي غضب موسي من مقولتهم يهدف الي تعليم القياده كيف تقوم بتربيه واعداد الطليعه والصفوه ليكونوا اهلا لتحمل الامانه فلابد من توفير اسباب النجاح ووسائله والانتباه في مرحله التحولات من ترك الفكره واستبدالها بالتركيز علي الزعامه وانما نموذج تلتف حوله الطاقات ليكون الا سهام منهم في نهضه الامه ولهذا قال لهم موسي (انكم قوم تجهلون)

ولهذا فان النموذج هو المحرك للطاقات وبالتالي لاينبغي ان تخدع الاتباع فتقول له مثلا هذه وجهه نظر محترمه فعندما يتعلق الامر بالفكره ينبغي عليك ان تواجهه باخطاءه وتخبره بجهله وحماقته فلا مداهنه في مقام الحسم والتقيم للتجربه ولهذا كان موسي واضحا في رده فقال (انكم قوم تجهلون)

تجهلون ماذا لم يحدد يقصد بها

يقصد تجهلون عظمه الله تعالي وجلاله وجماله وما يجب ان ينزه من الشرك

يقول لهم انه لا اجهل مما ذكرتموه تجهلون مقام التوحيد وانه لاوساطه

الامر الثاني

تبين الايه ان الجهل بنوعيه يقود للانحراف والشرك سواء كان جهل معرفه او الحماقه وانه يتساوي الجهل فيهما

لان العقل والعلم كلاهما يقودان الي الله تعالي لماذا؟

لان العقل يعني ايثار الطاعه علي المعصيه وايثار العلم علي الجهل وايثار الاخره علي الدنيا فهذه الثلاثه الاشياء هي مكابح لقياده العقل فاذا خلت من عقل فان هذا العقل مكار مخادع لصاحبه فاذا كانت ايات الله واضحه في الكون تشهد بان لها ربا حكيم مدبرا فانه لاينكر هذه الحقيقه الا مكابر معاند او احمق لاعقل له فالفطره تعرف الحق وتحب العلم وتكره الجهل والحق موجود ولهذا فان الانصراف الي غيره يكون مكابره وايثار للجهل علي العلم

فالعلم اذا وجد عارض من هوي فانه يجعل القلب ينصرف الي محبه ماهو مضاد للعلم فتكون معلوماته مغلوطه وتصوراته فاسده فهذا لاقيمه لعلمه فهو اسوي من الجاهل

وكذلك فان العلم فهو لايتذكر الحق ولاتحدث له الايات ذكرا

وكذلك فان العلم الذي بمعني المعرفه يحتاج الي نفي الهوي المعارض له ولهذا لابد من الخشيه والا فلا فائده للعلم وقطع الرغبه بترك المعصيه

وبهذا يكون العلم بمعرفه الحق واتباعه .... فالجاهل هو الذي لايعرف الحكم الشرعي ويبني عقيدته علي التقليد او ذلك الذي يبتعد عن منهج الله ويتبع هواه

يقول شيخ الاسلام

(فالعلم بالحق انما ينتفع به من تذكر بما تحدثه الايات ومن الخشيه المانعه من اتباع الهوي فهذان بهما يكون صلا ح الانسان فاذا قوي العلم والتذكر دفع الهوي واذا اندفع الهوي بالخشيه ابصر القلب وعلم فبذلك يكون صلاح العبد وفساد القلب بانتفاء كلا منهما او احدهما فاذا انتفي العلم بالحق كان ضالا غير مهتدي واذا انتفي اتباعه كان غاويا مغضوبا عليه)

المبحث الثاني

يكشف لهم موسي عن سوء مغبه مايطلبون وعن سوء اعمال القوم الذين شاهدوهم يعكفون علي اصنام لهم فقال تعالي (ان هولاء متبروا ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون)

وهذا فيه

الامر الاول

توجيه للداعيه في مرحله ما بعد التحرير بان اللازم عليه اصلاح الاخطاء التي تمس الفكره والهدف المراد تحقيقهما فمرحله الانتهاء من معركه تحرير الانسان من الظلم تتطلب منك ان تربي قاده التحرير علي الحفاظ علي الفكره ليفهموا ان التقدم لايتوقف علي كون نظام الحكم ثوريا او ديكتاتوري استبدادي وانما يتوقف علي كون هذا النظام متقبلا للتقدم او معرضا عنه ويقاس مدي نجاحه بالحفاظ علي التزام المنهج الذي يحقق الفكره ولهذا يخبرهم ان الله اختارهم ليكونوا خلفاءه في الارض باقامه منهجه وبناء دوله التوحيد فهذا النظام هو القابل للتطور والتقدم لانه يحظي برعايه الله وعنايته وبالتالي فانه يكون محميا من الخساره فهو سبحانه يجمع بين الهدي والسعاده وبين الضلال والشقاواه وبين حسنه الدنيا والاخره وسئيه الدنيا والاخره ولهذا يتوجه الخطاب اليهم بقوله تعالي (ان هولاء متبروا ماهم فيه) بان من ترغبون تقليدهم متبروا ماهم فيه وكلمه متبروا تعني الخسران والكسر اي انهم هالكون فالله سوف يهدم دينهم واصنامهم وقادتهم عن قريب ويحطم اصنامهم

الامر الثاني

يحذرهم من نهايه الشرك بان عاقبته الهلاك فالعابد والمعبود مهلكان واعمالهم باطله

الامر الثاني

يكشف لهم ان الحق ثابت مستقر وان الباطل زائل وكل الانحرافات في واقع حياتهم كلها باطله ولايجد العبد منفعه منها ليبين لهم ان العكوف لغير الله باطل وان كان يقصد به التقرب لله فهو باطل مضمحل بالكليه لافائده منه

فلا يجد السعاده الا من كان مهتديا يسير في طريق الحق ولهذا يقرن الله الشقاءوالهلاك والخذلان بالباطل مثلما يقرن السعاده بالهدي والتوفيق واتباع منهج الله كما يقرن بين العلم النافع والعمل النافع بين العلم الطيب والعمل الطيب كما يقرن بين الضلال والغي باتباع الظن والهوي.

المبحث الثالث

هذه الخطوه جاء فيها انكار موسي عليهم ان يطلبوا منه ان يتوسط بجعل لهم اصناما يعبدوها حيث يفهم من هذا ان قلوبهم لم تستقر فيها عقيده التوحيد وانها تعاني من الغفله والشهوات والاحجبه التي شكلتها ظلمات الغفله فناسب هذامجي الانكار المعبر عن ارتفاع الغيره في كلمات موسي علي ربه والغضب لربه والتعجب من شان قومه وغفلتهم عن نعمه الله عليهم بان فضلهم علي عالم زمانهم بعد ان كشف لهم نهايه طريق الشرك والغفله والابتعاد عن ذكر الله بان ذلك من اسباب هلاك الناس وتعاستهم وشقاوتهم في الدنيا والاخره مبينا لهم ان ذلك الطريق موجب لهلاك العابد والمعبود وضياع اعمالهم التي قصدوا بها طلب التقرب من الله تعالي لانهم اخطاوا الطريق الذي سلكه هولاء يقول لهم موسي ليس هذا هو الطريق الي محبه الله ورضاءه والتقرب منه بل ان العكس من ذلك فهذا الطريق سبب تعاسه العبد وشقاوه لان نسيان الرب يوجب نسيان النفس ومصالحها فالله يقول في سوره طه (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي قال ربي لما حشرتني اعمي وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخره اشد وابقي)

اي تنسي في العذاب كما نسيت ايات الله فلم تقم بذكرها ولم تعمل بها واعراضه عن ذكره يتناول اعراضه عن الدعاء لله باسماءه وصفاته التي ذكرها في كتابه والاعراض عن اوامره ونواهيه والاعراض عن تدبر اياته وتلاوتها وفهمه والعمل بها وهذه هي مناسبه كشف تعاسه وخساره القوم الذين شاهدهم قوم موسي يعكفون علي اصنام لهم لتحذيرهم من اساءه فهم ايات الله ومن الغفله ومن الابتعاد عن منهج الله وذكره فهذا النموذج حياته ضنكا وضياع فهم لايعرفون اين مصالحهم ولايعملون لما فيه الامان لانفسهم فهم يبتعدون عن الله فبقدر الغفله يكون البعد عن الله وبقدر ذكر الله يكون القرب منه. يقول انتبهوا من هذا السلوك. ولهذا يستنكر عليهم موسي ذلك الطلب فقال تعالي (قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين واذ انجيناكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ابتدا بانكار ما طلبوه منه ان يكون وسيطا بالجعل الذي طلبوه حيث دل هذا علي جهلهم تعاليم ما ارسله الله به وكذلك انكر عليهم عدم تقدير نعمه الاختيار لحمل الرساله والتي فيها اسماء الله وصفاته وكماله وتنزيه عن كل نقص فهذه هي مهمه الانبياء فكيف يطلبون منه ان يامرهم بعباده الاصنام فهو تعالي ارسله ليامرهم بعباده الله وحده لاشريك له فهو تعالي المستحق للعباده وحده لاشريك له فلا حاجه للوساطه فمن يريد الاتصال بالله فما عليه الا الدعاء وهو تعالي قريب يجيب دعوه الداعي فانت مامور بذكر الله في كل الاحوال ذكره بامتثال امره

فتسرع الي طاعاته متلذذا بذلك وعندما يتبادر الي ذهنك المعصيه تتذكر رقابته واطلاعه علي ما تعمل فتشعر بـ الحياء ان يراك فيما يسخطه يقول لهم موسي ان رعايه الله وعنايته انه تعالي يحفظ عباده ويحرزهم من الهلاك و الخسران يحميهم من العدو طالما عبدوه ولم يشركوا به شيئا فالقوم الذين شاهدوهم يعبدون الاصنام مخذولون. فمنافذ الشيطان هي الغفله والشهوه والغضب ومنشا الشرك هو المبالغه في حب الصالحين وفقدان العلم والمعرفه مما يورث الغفله فالسير الي الله يتطلب منك المواظبه علي تذكر نعم الله واحسانه فهي من اعظم الوسائل الموصوله الي المقاصد الجليله فدوام التذكر يعني حياه القلب. ينبه القلب من نومه اذا كان نائما يوقظه ولهذا ناسب مجي الايه بعد ذكر ان حال القوم الذين يعكفون علي اصنامهم هو الخسران والضياع فاراد بهذا ان يستقظوا من غفلتهم وان يفقوا من نومهم وان عليهم ان يشدوا المئزر بقيه اعمارهم وتدرك ما فاتهم. فالذكر هو راس المولاه والعنايه واصلها والغفله اصل المعاداه وراسها فذكر الله متولي امورك واحسانه يعني ان تترك الغفله وتستقيظ فقال تعالي (اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين)

الامر الثاني

يخبرهم ان السعاده في ثلاثه اشياء شكر النعمه ..والصبر علي الابتلاء والتوبه من الذنوب والمعاصي

فهذه الاشياء هي عنوان السعاده والفلاح والنجاح في الدنيا والاخره وبهن يتقلب احوال الانسان. ولهذا فان نعمه ا لاصطفاء والتفضيل علي عالم زمانكم مقيده بالشكر بالاعتراف بنعمه الله بهذه النعمه وكذلك بانقاذكم من الذل و الهون في مصر واهلاك عدوكم فمن الذي تفضل عليكم بهذه النعم انه الله تعالي فيجب نسبها لله تعالي ..ثم الحديث عن نعم الله في الظاهر واياته للثناء عليه تعالي فالحمد لله تعالي بالاخبار عن صفاته وكماله وعطفه واحسانه مع محبته والرضا به يعني ضروره ان تتحدث بذلك لان الساكت لايكون حامدا ولايكون الثناء بلا محبه حامدا حتي يجمع المحبه والثناء فاللازم ان لاتستعملوا انعامه في معصيته ثم ان دوام تكرر الحمد والثناء يصل الي المدح بذكر صفات الجلال والعظمه والكبريا لتمجيد الله سبحانه وتعالي فهذا هو ذكر الثناء بالخبر عن الله تعالي وصفاته واطلاعه علي اعمال العباد واحاطته علما بكل شي والثناء عليه بما اثني علي نفسه بما انزل في كتابه وبما اتي به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل ولاتشبيه

اما الثاني فهو الصبر علي الابتلاء والصبر علي مشقه الطاعه فلا تسخط بالقلب ولاتشكوا باللسان ولاترتكب المعاصي بالجوراح مثل لطم الخدود فاذا التزمت ذلك انقلبت المحنه الي منحه ولك ان تتذكر ما حل بفرعون وقومه من الهلاك فالصبر نهايته طيبه

الثالث

التوبه يريد موسي منهم ان يتوبوا من طلبهم ذلك فباب التوبه من رعايه الله الخاصه والعنايه بعباده بان يحمي اولياءه ويحفظهم ويحرزهم من اسباب الهلاك والخذلان فلا يمكن الشيطان منهم حيث ان منافذ الشيطان هي الغفله والشهوه والغضب. ولهذا فان الشرك منشاه الغفله والمبالغه في حب الصالحين او الاغترار بالاعمال والا عجاب بالنفس. ولهذا فاذا احب الله العبد عرفه بعيوبه واخطاءه وولد في قلبه الانكسار والذل فعاد تائبا وهذا هو التوفيق بانه تعالي لايكلهم لانفسهم اما الخذلان فهو ان يكلك لنفسك حيث تغتر بما انعم الله عليك فتتصور ان الا ختيار والتفضيل علي عالم زمانك بانه شيك علي بياض يمنحك الحق بارتكاب المعاصي والتصرف كيفما تشاء وانك غير محاسب علي هذه النعمه فتقابل النعمه بالمعصيه وتعبد غير الله فهذا من اسباب الخذلان .

فلا تستعملوا النعمه في معصيه الله احذروا من ذلك فان هذا من اسباب الخذلان

المبحث الرابع

تنتقل الايات في الحكايه من الحديث بلسان موسي الي الحديث عن الله تعالي مباشره فقال تعالي (واذ انجيناكم

من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناء كم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم)

وهذا فيه عده امور

الامر الاول

تكريما لاولياءه بهذا الوصل في الكلام ولبيان ان موسي مرسلا من ربه يبلغهم اومره ونواهيه واسماءه وصفاته وما يحب ويرضا وما يسخط

فهو تعالي الذي بيده كل شي وهو المدبر الحكيم لامور العباد وان الرسل مبلغون عن ربهم

الامر الثاني

تبين الايات ان الوصول الي الله والنجاه والسلامه يتطلب ان تسير في الطريق الذي يرسمه الله لك علي السنه رسله وان الرسل لاينطقون عن الهوي انه الا وحيا يوحي ولهذا فان السير الي الله يتطلب مشاهده المنه ومطالعه عيب النفس والعمل كما ذكر شيخ الاسلام وهذا يتوافق مع حديث الرسول صلي الله عليه وسلم (اللهم انت ربي لا اله انت وانا عبدك علي عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابؤ بنعمتك علي وابؤ بذنبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت)

فمشاهده المنه (وهو فضلكم علي العالمين) والنجاه من الاذلال والهون ايام الفراعنه توجب المحبه والحمد و الشكر لولي النعمه والاحسان ومطالعه عيب النفس يوجب الانكسار والذل والتوبه والافتقار لله فهذا هو الباب الذي تقبل به علي الله تعالي فانت عندما تشاهد انعام الله واحسانه ينبغي ان تري جمال الله وجلاله وعظمته وقدرته تري حسنه واحسانه ورعايته وعنايته لك باستمرار وبالتالي فعليك ان تتوجه الي الله بالعباده والمحبه والشكر و الحمد فقد تحققت لك المعرفه به ومحبته وبالتالي فعليك افراده بالعبوديه وحده لاشريك له فما حاجتك الي الا صنام

ثم ان عليك ان تري كيف انقذك الله من عذاب فرعون حتي تظل الصوره حاضره في ذهنك لتري ان القوه هي لله والاستعلاء بالله والعزه لله فتكون تلك الصوره من ابواب الذل والانكسار والافتقار التي تدخل بها علي الله تعالي من االابواب التي تري بها عيوب نفسك وجهلها وتشاهد فضل الله واحسانه ورحمته

الامر الثاني

ان اليقظه من الغفله لاتحصل الا بالذكر. فهو يزيل الغفله فيكون الذاكر غنيا بلا مال عزيزا بلا قوه ولاسلطان بعكس الغافل فانه يكون فقيرا مع كثره غناه ذليلا مع سلطانه ولك ان تنظر الي احوال بني اسرائيل فقد كانوا اضعف الناس حالا واعجزهم حيله لدفع عدواهم فمن الذي انقذهم من ذلك البلاء الذي يفوق التصور انه الله تعالي فالذكر جالب للنعم ودافع للنقم فالله يدافع عن المومنين ودفاعه عنهم بحسب قوه الايمان فكلما كان الايمان و الذكر اقوي كان دفاع الله عنهم اقوي واعظم فالله يقول (لئن شكرتم لازيدنكم)

فالذكر والشكر جماع السعاده والفلاح فاللازم ان تعود نفسك تذكر ايام الله فالله يقول في موضع اخر (وذكرهم بايام الله)

فالذكر كما يقول ابن القيم رحمه الله هو شجره المعارف فلا سبيل لنيل نعم الله الا بالذكر وكلما رسخت وعظمت شجره الذكر كانت الثمره اعظم فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظه الي التوحيد وهو اصل كل مقام وقاعدته التي يبني عليها المقام فهو يحافظ علي البناء والسقف فوقه

الامر الثالث

لبيان شده حاجه الناس لذكر الله تعالي وفضله وانعامه واحسانه وعدم الاستغناء عنه تعالي عليك ان تتذكر المصائب في ايام الضعف وكيف ان الله انقذك من البلاء حتي لايصدا قلبك نتيجه الغفله فقلبك بحاجه الي تصقله من الصدا الذي اذا لم تنتبه له فانه يصير به بقع سوداء ورن حتي اذا اكتمل صار مظلما وعندها يصبح الحق عندك باطلا والباطل حقا ولهذا فان الذكر هو الوسيله الوحيده لجلاء القلوب وعلاج الغفله فالذكر يفتح ابواب المعرفه وكلما كثر الذكر كثرت المعرفه وفيه حياه القلوب وهو الذي جعله الله سببا لنيل محبه الله والقرب منه فهو باب المحبه وشارعها الاعظم ويكون بالقلب واللسان وهذا اعظم انواع الذكر يليه ذكر القلب ثم اللسان وذكر القلب افضل من ذكر اللسان لان ذكر القلب يثمر المعرفه ويهيج المحبه ويثير الحياء ويبعث علي مراقبه الله والخوف فهو اداه الفاعليه الايجابيه

الامر الرابع

ان الذكر سد وحاجز بين العبد وبين جهنم ولهذا جاء الامر بذكر فضل الله عليهم والامر بان يذكروا احوالهم في مصر وما عانوا من الاستبداد وكيف ان الله انقذهم من ذلك البلاء بعد ان اخبرهم ان من شاهدوهم يعبدون الا صنام في غفله وطريقهم الهلاك لهم وما يعبدون وضياع الاعمال فناسب مجي الامر بالذكر لله وحده بعد ذلك وانه هو الولي الذي يتولي رعايه عباده ليكون هذا الذكر وسيله سد الطرق امام الاعمال التي قد توصلهم الي جهنم لان من كان ذكرا فان الله يجعل بينه وبين المعاصي حاجزا وسدا محكما فالذكر بمنزله احجار تسد عنك ابواب جهنم و الطرق الموصله اليه

القسم الثاني من المقطع التاسع من سوره الاعراف

تبين الايات حال بنو اسرائيل بعدما انجاهم الله تعالي من فرعون الطاغيه الذي قتل بني اسرائيل واستعبدهم واسترقهم ونساءهم فاغرق الله فرعون وملئه وانجي الله موسي وقومه من الغرق فقد زال خطر العدو الخارجي الذي كان قد قاومه موسي وناضل وكافح من اجل تحرير بني اسرائيل فماذا كان موقف بني اسرائيل بعد زوال الخطر لقد كان اول شي فعلوه بعد التحرير هو طلبهم من موسي ان يصنع لهم اصناما مثل الاصنام التي يعبدوها اهل القريه التي وصلوا اليها وقد شاهدوا للتوا ايات الله العظيمه ومعجزاته لكنهم كانوا قد تاثرت نفوسهم بما عاشوا في مصر وافسدت فطرتهم فهم في الاصل علي دين التوحيد لانهم ينتسبون الي ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف لكنهم كانوا لايصدقون الا بالامور الحسيه ولهذا فهم يتصورن ان الله يشاكل الانسان ولهذا كان موسي يحاول ان يقرب لهم الحق الي اذهانهم وهم يحاولون ذلك الي. اصنام وتماثيل ولهذا كان هنالك حاجه لانزال المنهج الذي يتم به تربيه هولاء واعاده تشكيلهم وفقا للصوره التي يرضاها الله فقد انتهت مرحله التحرير وبدات مرحله القياده والبناء وهي تختلف عن مرحله التحرير فكان لابد من منهج رباني يلبي مطالب المرحله الجديده فقال تعالي

(وواعدنا موسي ثلاثين ليله واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله وقال موسي لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين قال ياموسي اني اصطفيتك علي الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظه وتفصيلا لكل شي فخذها بقوه وامر قومك ياخذوا باحسنها ساوريكم دار الفاسقين ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخره حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

وبالوقوف علي الايات نجد الاتي

اولا

ابتدات الايات بقوله تعالي (وواعدنا موسي ثلاثين ليله واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله)

الامر الاول

تبين الايه ان التحرير من الطغاه ليس هو الهدف النهائي ولا نقطه وصول بل يمثل ذلك نقطه انطلاق في المعركه مع العدو الداخلي فلا يكفي الانتصار علي العدو الخارجي

بل عليك ان تدرك اهميه الثبات علي منهج الهدايه واهميه ان ترسخ العقيده في النفوس فلابد ان تكون عقيده التوحيده راسخه في قلوب العباد والنفوس بحيث لاتسمح باي اختراق من قوي الشرك البائسه للنفوس فاذا وصلت لهذه المرحله من الرسوخ والثبات فانه لايمكن ان تعصف بها العقائد الضاله والشبهات ولهذا تطلعنا الايات ان معاناه موسي لم تتوقف عند هلاك فرعون وقومه وانتهاء جبروت فرعون وظلمه لم يكن المحطه الاخيره في نضال موسي بل ظل يتحمل المتاعب في مدواه امراض قومه المطبوعين علي الذل وخسه النفوس وفساد فطرتهم فهم لم يكونوا ليتخلوا عن ما اعتادوا عليه من حياه الاسترقاق والقهر والذل وغلاظه الحس وعدم الا يمان بغير المحسوس

وعقيده التجسيم والتشبيه والتمثيل التي محت عقيده التوحيد التي بلغها اياهم اجدادهم اسحاق ويعقوب ويوسف فهم لم يعودوا يهتمون بما وراء الحس الا اعتناء شكلي من غير اصاله ولاحقيقه فقد تاثروا بماعاشوه في

مصر وان كانت العصبيه القوميه قد احتفظت لهم باظهار الايمان لكن الخلل من داخل اعماق النفس الامر الذي جعلهم بحاجه الي منهج تعليمي وتربوي وروحاني يعيد لهذه النفوس حقيقتها فقال تعالي (وواعدنا موسي ثلاثين ليله واتممناها بعشرفتم ميقات ربه اربعين ليله)

اي انه بعد حصول التحرير والنصر بهلاك فرعون وقومه كان الانتقال الي مرحله جديده وهذه المرحله تتطلب التشريع ولهذا كان مجي التشريع فهو له وقت ومكان محدد لاجل القاء الكتاب المنهج الرباني الذي يتم به اعاده تشكيل الناس وفقا للصوره التي يريدها الله. فالمنهج يتضمن المطلب الرباني من العباد ويعرفهم بسبب وجودهم و الاهداف التي يجب عليهم تحقيقها في الحياه فبعد ان تم الله عليهم بنعمه النجاه والتحرر اراد الله ان يتم علبهم نعمته بانزال الكتاب الذي فيه الاحكام والوصايا والاوامر والنواهي وما يجب عليهم ان يفعلوا وما لايفعلوا منهج يحكم الحياه ومافيها

الامر الثاني

تبين الايه ان المنهج هو اداه التغيير للامه وهذا يتطلب ان تغزو المفاهيم القرانيه اعماق النفس الداخليه بالا حساس عند قراءه القران انك انت الذي يوحي اليك انك تتحدث مع الله فلا تنظر لها علي انها ايات مجرده فاللازم وجود مشاعر الاحساس انك تتصل بالله لتحدث اهتزاز كهربائي تقشعر منه جسمك فاذا حدث هذا كان الاتصال بالله والاطمئنان به بالشعور انك تناجي الله تعالي وكان للايه القرانيه دورها في تغيير حياه العبد كما حدث في عهد الصحابه بالشعور انك في لقاء مع الله الخالق العظيم فهذا اللقاء اعظم واجمل لقاء ولهذا اراد الحق ان يلفت انتباهك بان هنالك لقاء وموعد بين موسي وبين ربه لبيان عظمه لقاء الله والاتصال به لترسم لك الايه مشاعر الفرحه لدي موسي والشوق لهذا اللقاء والمراد بهذا ان تشتاق انت للقاء الله ومناجاته فقد جعل الله لك خمس محطات في اليوم تلتقي بالله تعالي وتناجي ربك انها الخمس الصلوات فعليك ان تشعر بعظمه من تلتقي ومن تناجي انه الله سبحانه وتعالي وكذلك لديك فرصه في رمضان وفي الحج محطات كثيره يجب ان تغتنم هذه الفرص وتشعر بالاعتزاز بان الله قد جعل لك موعدا سابقا للقاءه حدده الله لك بالمكان والزمن فاذا جاء وقت ص لاه الفجر فانهض شاعرا بالموعد الذي بينك وبين ربك لاجل اللقاء بينكم في هذا الوقت فانتبه ان تتاخر عن الوصول في الموعد فايهما افضل لك ان تصل في المعياد المضروب او تنام وتصل متاخرا او تترك الموعد؟

من الموكد ان العاقل ينظر ان الوصول في الموعد هو افضل ما يتمناه ويكون مشتاقا لحلول الموعد فينهض لتلبيه النداء هذا بالنسبه لزمن الموعد وكذلك فان مكان اللقاء له اهميه فالصلاه في المسجد افضل بكثير من الصلاه في البيت لان الله قد حدد لك المكان الذي تلتقي به

وهكذا قد جعل الله لك في كل مكان وزمان لقاء لمناجاته فعندما تكون الامه في حرب فان مناجاه الله ولقاءه تكون في ميدان المعركه فهل تتاخر اخي المسلم عن الوصول للمكان الذي تلتقي فيه ربك هل تخاف عناء الجهاد ومشقته

من الموكد ان العاقل الصادق في ايمانه يكون مشتاقا للقاء ربه في هذا الموعد والمكان وكذلك فان مناجاه الله ولقاءه في ميدان الصناعات الحربيه وما فيها نصره دينه هو ميقات تلتقي فيها بربك وتتصل به اذا كنت من اهل الخبره في هذا المجال ولهذا كانت الموعده ليستعدموسي ويتهيا لوعد الله ويكون لنزول التوواره موقع اكبر لديه وشوق لنزولها

الامر الثالث

الايه جاء فيها تفصيل واجمال (وواعدنا موسي ثلاثين ليله واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله)

ولهذا فلا اشكال ان وردت في موضع اخر بقوله اربعين ليله ولكن الملاحظ هنا انه سبحانه وتعالي خص بالذكر

ليله دون الايام مع ان موسي مكث اربعين يوما بايامها وليالها فلماذا خص بالذكر ليله؟

لان الميقات كان لاجل التقرب الي الله تعالي ومناجاته تعالي ولهذا خصه بالليل فهي خلوه روحيه لما يحتاجها كل انسان للخلوه مع الله والاقبال عليه والاحساس بالقرب منه سبحانه وتعالي والاحساس انه راض عنك مثلما كان الرسول صلي الله عليه وسلم يخلوا بنفسه في غار حراء فكل انسان بحاجه ان يخلوا بنفسه مع ربه ليتزود بشحنات روحانيه وغذاء روحاني واحسن الاوقات لذلك جوف الليل لما فيه من اجتماع الحواس وتهيوا النفس كما قال تعالي لنبيه (قم الليل الا قليلا)

لبيان فضل قيام الليل

فقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال افضل الصلاه بعد الصلاه المكتوبه الصلاه في جوف الليل) وعن جابر ان رسول الله (ص) قال ان من الليل ساعه لايوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا الا اعطاه اياها) وقال تعالي (تتجافي جنوبهم عن المضاجع ...الخ وقال تعالي في وصف اهل الجنه ايضا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

وقال تعالي عن النبي (ومن الليل فتهجد به نافله لك عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وورد في الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال (احب الصلاه الي الله صلاه دواد عليه السلام واحب الصيام الي الله صيام دواد وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه...الخ

فمعرفه فضل قيام الله يعين العبد ويهيجه علي اللحاق بركب الصالحين وكذلك فان العبد اذا احب الله احب الخلوه به والتنعم بمناجاته ولذيذ خطابه

الامر الرابع

اضاف ميقات انزال التواره اليه سبحانه وتعالي (ميقات ربه) تشريفا وتعظيما ليكون استقبال اوامر الله بالامتثال والتعظيم والتوقير كما اضاف الله القران اليه سبحانه وتعالي ليعلم الخلق ان من اتصل بكتاب الله حصل علي شرف معظم فكيف بمن اتصل به تعالي من الخلق عالما وعاملا فالاتصال به تعالي يكون بالاعمال الصالحه فالله يقول في موضع اخر (من كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا)

ثانيا

(وقال لاخيه اخلفني في قومي واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين)

بالوقوف علي الايه نجد الاتي

المبحث الاول

الاسلوب الذي تحدث به موسي لاخيه هارون (وقال لاخيه)

لماذا جاء الاخبار عن حديث موسي مع هارون بهذه الصيغه وقال لاخيه والذي يقصد به هارون ولم يقل وقال لهارون؟ وما علاقه ذلك بقوله (في قومي) ؟

الامر الاول

اهميه اشاعه اجواء المحبه وبناء روح الفريق الواحد لدي العاملين في اي موسسه فهذا هو السبيل لتوحيد الرؤي والاهداف لدي الجميع حتي لايحصل تعارض بين من يصنع القرار وبين من ينفذ كما يفهم من قول موسي (افعصيت امري)

ولهذا فان التودد والرفق بمن يتولي تنفيذ القرارت من اهم الاسس لبناء روح الفريق الواحد واشاعه اجواء المحبه ولهذا فان كلمه اخيه تشير الي العلاقه القويه التي تربط موسي بهارون فهو اخيه ابن ابيه فالاخ الحصن الحصين الذي يعتمد عليه الاخ ويلجا اليه عند الحاجه ثم ان موسي نبي الله فهذا يوكد العلاقه الحميمه ويوحد الاهداف التي يعملون لتحقيقها . كان موسي قال له انت اخي ابن ابي وشريكي في حمل الرساله الربانيه وتبليغها لبني اسرائيل فالعلاقه بينهماقويه فهو يذكره بهذه العلاقه للاعتماد عليه في تولي ادراه شوون بني اسرائيل

الامر الثاني

للدلاله علي حرص موسي علي تدبير امور الرعيه شاعرا بمسولياته وواجبات القياده فالقائد والخليفه هو الاب الروحي للرعيه وكل الرعيه ابناءه ولهذا كان الخطاب وقال لاخيه باعتبار ان هارون نبي مثله فهو يذكره بانه اخوه في النسب والرساله وانه شريك معه في حمل الاهداف وتحرير بني اسرائيل فهو قد طلب من الله ان يجعله وزيرا يشاركه في تنفيذ الامور والقيام ببعض صلاحياته كما ورد في سوره طه (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري)

فالنص هنا لبيان تذكيره بالتفويض الممنوح له في بعض الصلاحيات ليقوم بها نيابه عنه ليتمكن هو من الاضطلاع بامور واعمال اكبر فهو يذكره بهذا لاجل ان يستحضر المسووليه الملقاه علي عاتقه بان عليه ان ينظر للراعيه كلهم انهم ابناؤه حتي من خالفهم او عليه ارشادهم ورعايتهم وهدايتهم للطريق الصحيح فقال (اخلفني في قومي) اي هم عزيزين علي فاخاف ان اتركهم فينحرفوافالايه تشير الي الابواه الروحيه التي تقتضي حبهم واحترامهم فهذه هي مؤهلات القياده واساسها فاذا لم ترحم وتحب من حولك فانت لست مؤهلا لقيادتهم

ومن هنا فان فن القياده يتطلب التعامل والاحساس بالرحمه والحب للرعيه والخوف عليهم من الانحراف وان ترعاهم بالنصيحه وتتوخي ما ينفعهم فالاب في المنزل يقود اسرته وبالتالي فعليه ان يرحمهم ويحبهم ويحرص علي سلامتهم من الانحراف في وجوده وفي غيابه فلا يتركهم بدون رعايه وكذلك المعلم في مدرسته يجب عليهم ان يحب تلاميذه ويرحمهم وهكذا في كل المجالات

المبحث الثاني

(اخلفني في قومي)

هذه الايه تحتاج الي الوقوف عليها من خلال استعراض معاني الخلافه لغه واصطلاحا والفرق بينها وبين الامامه نظرا لحدوث اشكال كبير حول هذا المفهوم حيث استدلت الشيعه الاماميه بهذه الايه وعلي قول الرسول (ص) لعلي حين خلفه في بعض مغازيه اما تراضي ان تكون مني بمنزله هارون من موسي الا انه لانبي بعدي

استدلوا بهذا علي ان الولايه لعلي بن ابي طالب معتبرين ان الخلافه متعلق بالامر الالهي فهي منصب الهي الي غير ذلك من التاويلات الفاسده والتي انتهت الي تكفير الصحابه ورفض الاعتراف بولايه ابي بكر وعمر وعثمان

وهذا القول فاسد منهم لان الخلافه هنا بمعني النيابه في حال غيبه الرسول صلي الله عليه وسلم مثلما استخلف ابن ام مكتوم في بعض المواقف ولايدل ان هذا يعني ان لعلي الولايه والخلافه بعد الرسول (ص) لان الاستخلاف في حياته

ولهذا سوف نبين هذا حقيقه ما تتناوله هذه الالفاظ من مفاهيم من خلال الاتي

الامر الاول

من حيث المعني اللغوي لكلمه الخلافه

الاسماء:الاخلف الخليف الخلفف المستخلف الخوالف المخلفات الخليفات الاخلاف الخولف الخلف الخلاف الخلافي الخلوف الخلفيه الخليفه الخلفاء التخالف الخلفي المخالف الاختلاف

الافعال :

استخلف تخلف تخالف خالف خلف اختلف يخلف خلف

وكلمه (استخلف) يستخلف استخلافا فهو مستخلف تعني جعله خليفته جعله يعقبه ويتلوه وجعله مكانه استخلف اخاه في الاشراف علي تربيه اولاده اشاره لمن يستخلف مكان من كان قبله ويقوم مقامه ومن يخلف غيره

وخليفه مدير من يختاره رئيس الدوله ليخلفه في منصبه او يختار ه كنائب مع مهمته

ويقال وخلفه ربه في اهله وولده يخلفه خلافه كان خليفه عليهم منه يكون ذلك في الخير والشر ولذلك قيل اوصي له بالخلافه (القاموس المحيط الاعظم-وتاج العروس من جواهرالقاموس) فخلفه في قومه صار خليفه فيهم

والخليفه الذي يخلف غيره وهو فعيله بمعني فاعل اي خالف وقال بعضهم يجوز ان تكون فعيله بمعني مفعول اي استخلفه غيره مثل ذبيحه

فقال اهل اللغه هنا ان الخليفه

يعني النيابه عن الغير اما لغيبه المنوب عنه او لموته او لعجزه واما لتشريف المستخلف وعلي هذا الوجه. الاخير يكون استخلاف الله لاولياءه

والخلافه اسم للمنصب الذي اطلق علي من يخلف الرسول (ص) في تولي امور المسلمين من حراسه امر الدين وسياسيه مصالح الدنيا

الامر الثاني

الخلافه بمعانيها الخليفه الخلافه. الخلفاء خلائف في القران الكريم وردت في اكثر من موضع حيث نجد انها تتناول الاتي

انواع الخلافه :

من اصطفاء النوع الانساني وتميزه علي سائر المخلوقات ليقوم بعماره الارض وبناءه وفق منهج الله ومطلوبه بتنفيذ اوامر الله ونواهيه فهو تعالي قال (اني جاعل في الارض خليفه)

والكلام هنا ورد في مقام الاخبار عن خلقه تعالي لنوع جديد من المخلوقات وليست في معرض البيان لاحوال خاصه بشخص ادم

فهي تتحدث عن اختيار النوع الانساني للقيام بمهمه البناء والاصلاح والاعمار في الارض وهو ما دفع الملائكه للتساول عن سر هذا الاصطفاء وبالتالي فان هذا يعني ان الانسان هو المختار المكلف للقيام ببناء الارض واعمارها والتي خلق منها الانسان كما اخبرنا الله فقال (هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها) فالانسان حمل الامانه وكلف بالقيام بالبناء الشامل فهذه هي مهمته اي حفظ الحياه والاصلاح في الارض ومحاربه الفساد ولهذا فان هذه المهمه ذات طبيعه تمتاز بالامتداد والتراكم حيث ان الانسان عمره قصير في الارض ولايمكن ان يحقق الاهداف و المهام المكلف بها في فتره حياته القصيره ولهذا جعل الله طبيعه الانسان انه يخلف بعضهم بعضا بالتناسل والتولد

ولهذا سمي الانسان خليفه لان كل انسان يجي بعد الاخر فهو يخلفه

وكذلك فان الدول تخلف بعضها البعض فقال تعالي(جعلناكم خلائف)

وبتامل النصوص نجد انها تربط بين خلافه الانسان والجماعات والدول علي الارض وبين قيام الحكم السياسي علي اساس مبادي الحق والعدل فجعل الحكم بالحق هدفا من اهداف الخلافه وممارسه القياده لمسووليه الحكم انما يريد منها تحقيق الاراده الالهيه العادله فتكون النائب المستخلف لتنفيذ المهمات وفق منهج الله. بحيث ينطلق كل فرد او جماعه او دوله بعماره الارض وبناءها وممارسه من الرؤيه الالهيه التي حددت الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم ونظمت العلاقات بين الافراد والدول والجماعات فيكون متوجها بكل حركه يتحركها نحو مرضاه الله وان يتعبد الله في ذلك بان يخضع اردته طوعيه لارداه الله فتكون حركته منسجمه مع حركه الكون

الامر الثالث

مما سبق يتضح بجلاء ان المراد من استخلف الرسول صلي الله عليه وسلم عليا كان من باب النيابه في موقف محدد مثلما استخلف الرسول صلي الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وغيره فهي من قبيل التفويض له ببعض الصلا حيات الادرايه بصفه موقته لغيابه او انشغاله بامر اكبر وهو في الامور المدنيه والسياسيه وقد قال موسي هذا لا خيه هارون لحظه ماكان يفارقهم فالاستخلاف انما يكون في غيبه وبالتالي فلايلزم من استخلاف الرسول (ص) عليا او ابن ام مكتوم او غيره ايمان لان الخلافه تنتهي برجوع الخليفه لان الخليفه يقوم بعمل من يخلفه عند غيبه فقط ولهذا كان حديث الرسول صلي الله عليه وسلم مع علي من باب شد الاهتمام بالمسووليه في الاداره ح ال غياب الرسول صلي الله عليه وسلم فالخليفه من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده وهي هنا بمعني النيابه عن غيره

عند غيبته للقيام بمهمه وهي تختلف عن مفهوم خلافه الانسان علي الارض لان الله حاضر لايغيب وحديث اللهم انت الخليفه في السفر يعني الذي ارجوه واعتمد عليه في غيبتي عن اهلي وان تلم شعثهم وتقوم امرهم وتحفظ عليهم دينهم ودنياهم فكلمه خليفه لها جذور من اصل الكلمه مرتبطه بحروفها الثلاثه الخاء واللام والفاء. حيث لها ثلاثه اصوال الاول :ان يجي شي بعد شي يقوم مقامه

(الثاني :خلاف قدم) (الثالث التغيير)

وتكليف الرسول صلي الله عليه وسلم لعلي هو موقت وهو يعني النيابه وليس الخليفه بالمعني الذي يعني تولي امور المسلمين وحراسه دينهم وسياسيه امور دنياهم لان عوده الرسول (ص) للمدينه انهت مهمه علي رضي الله عنه مثلما كان. انهاء مهمه ابن ام مكتوم بعوده الرسول صلي الله عليه وسلم فلم يخلف علي الرسول (ص) ولم يقوم مقامه الا في هذا الموقف وانتهي الامر ولم يحصل التغير وانما نيابه موقته لفتره محدده

المبحث الثالث

(واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين) ذهب البعض للقول ان موسي اوحي اليه ان قومه سوف يفسدون بعد غيابه وانه بسبب ذلك امر اخيه بهذا الامر

وبالنظر الي النصوص اللاحقه عليها وماورد في سوره طه نجد ان هذا القول غير صائب لان موسي علم بفتنه قومه بعد ان كلمه الله بدليل قوله تعالي (وما اعجلك عن قومك ياموسي ....الي قوله (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري)

وهذا دليل كافي لنفي تلك المزاعم والفهم السطحي للنصوص حيث وان المراد من هذ ا بيان الاتي

الامر الاول

تعلمنا الايات فن القياده بان علي القائد ان يطلع من يقوم مقامه علي الصعوبات التي سوف تواجهه وان يضع امام نصب عينيه كل الافتراضات بما في ذلك التمرد والخروج عن القانون حال غيابه وان يضع المعالجات والحلول لمواجهه تلك التحديات ولهذا نفهم من سياق النصوص ان سيدنا موسي عليه السلام كان متوقعا شرا من قومه مدركا انهم سوف يستغلون غيابه ولين هارون لخرق النظام والشرع والتمرد ولهذا بادر الي تقديم النصائح لاخيه هارون لبيان كيفيه التعامل مع التمرد الذي قد يحدث حال غيابه وهذا التوقع مبينا علي ماشاهد منهم تصورات فاسده وتعلقهم بالاوثان عندما طلبوا منه ان يصنع لهم صنما ليعبدوه مثلما لاصحاب القريه صنما ولهذا قال لاخيه (واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين)

فامرهم بتوخي ما ينفعهم وقال له عليك ان تبعدهم عن الجهل الذي هم واقعون فيه فقد وصفهم في الايات السابقه بانهم قوم يجهلون فالجهل اساس دمار وخراب العمران وحذره من التهاون معهم عند المخالفه فاللازم ان يقوم بتاديبهم فقد راي في سلوك القوم بواعث التمرد والعصيان وانهم مشددون للماضي البغيض

الامر الثاني

ان التفويض لمن ينوب عنك يتطلب ان تطلعه علي المهمه وابعاده وان تزوده بالمهارات اللازمه للقيام بالمهمه وان تراعي الكفاءه ويكون مطلعا علي الضوابط التي يجب عليه الالتزام بها في اداء مهمته ليكون شاعرا بالمسووليه وانه سوف يحاسب علي التنفيذ للمهمه فلا يصح ان يكون التفويض بلا رقابه والمحاسبه ولهذا فان المحاسبه تتطلب ان يكون المكلف عالما بالواجبات التي يجب عليه تنفيذها

ومن اهم الشروط اللازم توفرها في صفات القياده ان يكون حريصا علي الامه والرعيه من الانحراف عن الطريق فلا يسمح لها بالانحراف عن سبيل الحق ولهذا نجد ان موسي امر هارون بالاصلاح وهارون نبي مرسل معصوم لاتصدر عنه المعصيه وكذلك لايمكن ان يكون منه اتباع سبيل المفسدين فليس مراده نهيه عن الكفر والمعصيه بل ان لايتبع شي في اداره امور قومه بما يشير اليه فيه بعض المفسدين من قومه لان الاتباع اصله المشي خلف ماشي فعليه مدوامه ماهو عليه من صلاح وان يسلك سبيل الصلاح الذي عهده عنه يريد من اخيه ان يكون عند مستوي المسووليه فلا يغفل عن الانحراف والاعوجاج ولايتساهل عن ذلك وان يبادر الي معالجه الخلل قبل وقوعه فجاء استعاره الاتباع للتحذير من المشاركه في عمل المفسد فالسبيل يعني الطريق مستعار للعمل المودي الي الفساد والمفسد مماكان الفساد طبيعته فالنهي عن الفساد والسلوك الذي يسلكه المفسد ومن المشاركه في عمل عرف بالفساد فلابد ان تقف له وتمنعه بقدر المستطاع والنهي عن مخالطه الفساد والمفسدين او اقراراهم علي فسادهم

الامر الثالث

تبين النصوص كيف يكون سياسيه تداييير امور الناس ومهمه القائد باقامه منهج الله في الارض وتنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر فالسياسيه تدور حول محور الاصلاح بجعل الشي صالحا بحيث تكون جميع تصرفات الامه متجه نحو الصلاح عائده بالخير وتزيل الشر وتحاصره ولهذا حذر من الفساد وطريقه فالله يقول في موضع اخر (كنتم خير امه اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فعز الحق انما يكون بصلاح الرعيه والراعي بالاستقامه علي منهج الله فصلاح الزمان مرهون بصلاح اهل الزمان فاراد بهذا ان يحدد لاخيه معيار الاستجابه للامر وهو يجتهد في اي مساله بانه ينظر الي امر الله في الشي لا امر النفس او دعاه الضلال مهما استحسن الناس الشي او استحسنته النفس فامره ان يباشر بنفسه مشارف الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسه المله ولايعول علي التفويض للغير تشاغلا بلذه او عباده لانه قد يخون الامين ويغش الناصح فلا يثبت في مثل هذه المواقف الا من ترسخت لديه عقيده التوحيد ومن ادرك الاتباع انما يكون بما جاء به الامر من عند الله لا

الابتداع واتباع الهوي فهو كما قال تعالي لدواد (يادواد انا جعلناك خليفه في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله)

فلم يقتصر الله سبحانه في. التفويض دون المباشره ولاعذر في الاتباع حتي وصفه الله بالضلال فاراد موسي بهذا التحذير تنبيه اخيه ان المعركه مع الباطل لن تتوقف فهنالك من سوف يستغل غيابه لتضليل الجماهير وصدهم عن طريق الحق وبالتالي عليك ان تكون متيقظا خاصه وان القوم لديهم استعداد للغوايه والانحراف فهم رغم تبيان اداله التوحيد والمعجزات المتكرره لم يفهموا حقيقه عقيده التوحيد وطلبوا ان يصنع لهم اصناما وهم خارجون للتو من اعظم مواقف النصر في التاريخ

ثالثا

تتناول الايات هنا موضوع من اهم الاسس والقواعد والحقائق التي تقوم عليها العقيده الاسلاميه انها استحاله رؤيه الله تبارك وتعالي في الارض بعين البصر وبانوار العقل وحدها فالجسد البشري لايصمد لنور الله ولايتماسك امام جلاله وكبريائه فهو تعالي كما اخبرنا في موضع اخر (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وتحدثنا النصوص عن قصه نبي الله موسي الذي احب الله حبا شديدا فدفعته تلك المشاعر ان يسال ربه الرويه فقال تعالي (ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني

فالايه فيها....

الامر الاول

ان طلب موسي الرؤيه جاء بعد كلام الله معه في المقيات الذي حدده لانزال الكتاب وكلمه الله بما يضمن امره ونهيه

فقد تشوق موسي لرؤيه الله تعالي بعدما تفضل الله عليه بنعمه الكلام لاننا نعلم انه تعالي لايكلم احدا الا وحيا او من وراء حجاب. اويرسل رسولا باذنه فالله يقول في موضع اخر (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)

وهو مايفهم ان الله كلم موسي تكليما فلم يكن الوحي عن طريق رسول انما كلمه مباشره من وراء حجاب

الامر الثاني

لما تفضل الله علي موسي بنعمه الكلام من وراء حجاب اندفع موسي كعاشق لله تعالي فطلب رفع الحجاب وموسي من اولي العزم من الرسل ومن الموكد انه يعرف ان رؤيه المخلوق لله عزو جل مستحيله فالله لاتحيطه ا لانظار ولاتحده الجهات ولاتدركه الابصار ولاتسعه اقطار السموات والارض الله اكبر من كل شي

فموسي يعرف هذا كله ولكن حبه العظيم لله دفعه الي تجاوز منطق العقل والاعصاب فطلب الرؤيه طلبها باندفاعه انه عاشق عظيم سال المحال ناسيا انه محال كان طموحا فرده الله تعالي الي حقيقه الالوهيه وحقيقه العبوديه برفق وحب فقال تعالي (قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني)

وهذا فيه الاتي

المساله الاولي

لوان الله قال (لن تراني)ولم يزد عليها شئيا لكان هذا عدلا منه تعالي لان المفروض ان النبي يعلم ان جلال الا لوهيه يتعالي عن نظر المخلوقات ويتعالي علي عجز حواسهم وانحصارها غير ان الله سبحانه ادرك موسي

برحمته وبداء بالحب والرافه فنبهه الي ان الرؤيه مستحيله

وساق له الدليل علي استحالتها فحدثه ان الجبل الذي هو اقوي الخلائق اذا استطاع ان يتحمل تجلي الجلال عليه واذا استطاع ان يستقر في مكانه فسوف يمكن لموسي ان يري

المساله الثانيه

ان الدليل الذي ساقه الله لموسي الجبل كان جبلا مشهودا له فجاء بلام العهد الحضوري (ولكن انظر الي الجبل)

اي انك لن تطيق رويتي فاذا استطاع الجبل ان يستقر مكانه واطاق رويتي فاعلم انك تطيق النظر الي رويتي

والجبل اقوي صلابه من الانسان

الامر الثالث

تبين النصوص نتائج تجلي الله عزوجل للجبل فقال تعالي

(فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين)

1

لقد سجد الجبل لهيبه الله. اندك الجبل العظيم وزايل مكانه انهارت صخوره وتهاوت ترابا يمغر جبينه في تراب الذل

2

لقد اصيب موسي بالصدمه وهو يشاهد كيف اصبح الجبل دكا واصبح مسوي بالارض لقد تفاجا ان الجبل يتلاشي امام عينيه والصعق اما الاغماء اشاره الي السقوط من هول ما راي واما ان يكون الموت حسبما ذهب البعض الا خر من العلماا ء المهم هنا ان موسي علم انه لاطاقه له لرؤيه المولي سبحانه وتعالي بالعين والبصر

3

امر الله موسي ان يفيق فلما عاد اليه وعيه عاد اليه وعيه بحقيقه الواهيه الخالق وعجز الخلائق فقال تعالي (فلما افاق قال سبحانك)

بدا بتنزيه الله ان يراه احد من خلقه في الدنيا تنزيه كبرياه تعالي وتقديس لعزته ان يحصره مكان او يحده زمن

ثم اعلن توبته (تبت اليك)

من اجترائه علي طلب الرؤيه ..ومن نسيانه حقيقه ان احد لايصمد لنور الله ..تاب من اغفاله انه يجب تنزيه الله عن المكانيه المحدوده التي لابد منها لحدوث الرؤيه

ثم بادر الي الاعمال الصالحه بعد اعلان التوبه لان من دلائل صحه التوبه الاسراع لعمل القربات فقال تعالي (وانا اول المومنين)

رابعا

(قال ياموسي اني اصطفيتك علي الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين)

تتحدث الايه عن مخاظبه الله سبحانه وتعالي لنبيه موسي عليه السلام بانه جل جلاله نداءه باسمه ياموسي قائلا له لقد اخترتك واجتبيتك بفضائل عظيمه ومناقب جليله بان اخترتك لحمل الرساله التي لا اجعلها ولا اخص بها الا افضل الخلق وكذلك بكلامي بغير واسطه فعليك ان تاخذ ما اعطيتك من شرف الاصطفاء والمناجاه وكن من الراسخين في الشكر علي ما انعمت عليك ..وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الجمله مسوقه لتسليه موسي عما اصابه من عدم الرؤيه فكانه يقول له ان منعتك فقد اعطيتك من النعم العظام ما اعطيتك فاستعمل الاصطفاء هي افتعال من الصفوه وصفوه الشي خالصه وخياره اي اخترتك علي عالم زمانك برسالتي لان الرسل قبل موسي وبعده اصطفاهم الله ايضا وبالتالي فان هذا يدل علي ان المراد بالاصطفاء بالرساله علي ناس عالم زمانه وليس كل الناس

اما بالنسبه لنعمه الكلام مع الله بدون واسطه فهذه نعمه اختص الله بها موسي دون غيره من الانبياء فهذا تكريم خاص له دون غيره

الامر الثاني

يخبر الله تعالي نبيه موسي انه قبل الاصطفاء كان بشرا عاديا وان الله اكرمه بالاصطفاء وهو من نعم الله التي يخص الله بها من يشاء من عباده صحيح انه بعده يرتقي في مدراج البشر الي افق الكمال لان علم الانبياء مصدره الوحي بينما علم البشر مصدره العقل وهو محدود واصل حركه الانبياء اصطفاء الله فاالله يقول (الله يصطفي من الملائكه رسلا ومن الناس) ويقول (الله اعلم حيث يجعل رسالته) وبعد اختيار الله للنبي تبدا مرحله جديده في حياته تقف امامه قوي الشر يتعرض للاذي في نفسه واهله وبيته وماله وعقيدته وافكاره فالنبي بحاجه الي يكون قويا في حمل الدعوه وان يكافح من اجل الدعوه الي الله حتي يلقي ماقدره الله عليه فالانبياء يدفعون ثمن اختيار الحق للمهمه والعناء في الله ويقدمون التضحيات ولهذا فهم يحتاجون الي العزيمه والجد والا جتهاد للقيام بالمهمه فبعد البعثه تصعد حياتهم لافاق في الكمال لاندري بها نحن البشر فهو يحتمل ما لايحتمله البشر ويدفع ما لايقدر عليه البشر ويزوده الله بما لايزود به البشر من معجزات وغيره

وهذه الامور من نعم الله ولهذا يقول الله لموسي خذ ما اعطيتك من النعم التي فضلت بها علي عالم زمانك بـ القبول والانفياد وكن من الشاكرين لله ولاتطلب المزيد

فالامر باخذ ما اتاه من التوراه ومافيها من علم والشكر علي الاصطفاء والعطاء يعلم الحق نبيه ما ينبغي ان يقابل به نعمه الله تعالي من القبول والشكر ففي ذلك زياده النعم لقوله تعالي (لئن شكرتم لازيدنكم) واصلاح القلوب وا لاحتراز من بطر النعمه والاتصال بـالله ...وهذا فيه تعليم موسي ان طلب استزاده النعم يكون بالشكر فلا يطلب م اليس له ان يطلبه يقول له لاتطلب ما لاطاقه لك اي ان التفضيل للانبياء والارتقاء في مدراج الكمال الذي يصلون اليه بعد الاصطفاء يجعلهم غير البشر العاديين لكن ذلك لايخرج النبي عن بشريته وحقيقه انه عبدا لله يشكر ربه علي انعامه ويلتزم المنهج بامتثال اوامر الله واجتناب نواهيه فهو القدوه الحسنه للناس فيجب ان يكون اول من يلتزم بمنهج الله وبالتالي فعليك اخي المسلم ان تتذكر انعام الله تعالي وتشكره.وان تظهر احسان الله وفضله ف الشكر مقرون بالمزيد

خامسا

قال. تعالي

(وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظه وتفصيلا لكل شي فخذها بقوه وامر قومك ياخذوا باحسنها ساوريكم

دار الفاسقين)

المبحث الاول

(مضمون الرساله التي انزالها الله علي موسي)

الايه ذكرت مضمون ما جاء في التوراه في سياق الحديث عن بعض النعم التي انعم الله بها علي موسي وقومه فجاءت الايه معطوفه علي ماقبلها كانها تفصيل لهذه النعم التي توجب الشكر لله علي انزالها فقال تعالي (وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظه وتفصيلا لكل شي)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

تهدف الايه الي الوصول الي اعماق النفس الداخليه لرؤيه احسان الله وعطاءه ليكون الشكر لله نابعا من الشعور بجمال الله وجلاله وعظمته وبالتالي تعظيم امر الله ونهيه ولهذا جاء اسناد الكتابه لله جل جلاله وهي تحتمل ان يكون النقش بالكتابه منه تعالي او انها كنايه عن امره ونهيه سواء كتبها موسي او ملك من الملائكه

الامر الثاني

استخدام كلمه الالواح وهي جمع كلمه اللوح وهي صحيفه معده للكتابه فيه لانه يلوح ويظهر بما فيه من الخط واصله من لاح البرق اذا علم

وهذا الوصف المذكور في القران الكريم والذي يجب التوقف عنده وماذكره المفسرون من القول انه من الياقوت نقشه والجواهر والزمرد وغيرها من الاوصاف فانه لادليل صحيح من الكتاب والسنه علي ذلك ولعلها من تسربيات الاسرائيليات وبالتالي فلا ينبغي القول بذلك لعدم الدليل ويكفي الوصف الوراد في القران بانها الالواح واسند الكتابه لنفسه لبيان ان فيها كل ما يختص بموضوع الرساله من توجيهات وارشادات واحكام في جميع نواحي الحياه في السلم والحرب والسياسيه والاقتصاد والاجتماع والاخلاق والعقيده والمعاملات وسائر ما هو متعلق بالا نسان ومايحتاج اليه

لبيان انه لم يترك مساله الا كتب في الالواح كل مايتعلق بها من احكام وبالتالي فلم يكن هنالك غموض ولاعذر لبني اسرائيل ذلك ان الاحكام مكتوبه يعني لم يبقي اي عله لعدم الفهم لها وانها شامله لكل شي فلا نقص ولا غموض فيها فقوله (من كل شي) بالتبعيض يعني بيان لكل شي وتنكير تفصيلا لافاده الابهام والتبعيض والمعني كتب المولي في الالواح وهي التواره النازله مختارات من كل شي حسب ما يحتاج اليه الناس في الاعتقاد والعمل في جميع نواحي الحياه في زمانهم

المبحث الثاني

التوجيهات بكيفيه التلقي والتنفيذ لما في التوراه حتي تحصل الفائده وهي توجيهات لك انت ايه المسلم كيف تتعامل مع مساله تلقي وتنفذ ايات القران واحكامه وموعظه لتحصل علي الفائده فقال تعالي (فخذها بقوه وامر قومك ياخذوا باحسنها)

الايه ابتدات بالعطف بالفاء عطف تفريع علي قوله (كتبنا)

لان الايه تشعر بمعني القول فالتقدير وقلنا له فخذها بقوه

وامر قومك ياخذوا باحسنها وهذا فيه الاتي

الامر الاول

اهميه اعداد القائد وتزويده بالمعلومات والاساليب التي تحقق الغايات والاهداف وادواته فقال تعالي (فخذها بقوه) والخطاب موجه لموسي والاخذ بالقوه هنا تعني الحزم والجد والصبر والعزيمه والهمه لانه ارسل الي قوم طال امد الاستعباد فيهم ولهذا فانه اذا لم يكن قويا وجاد فانه سوف يعجز عن تربيتهم وارشادهم ويعجز عن تنفيذ امر الله فالقياده تحتاج الي شخص قوي ومعلوم ان الحازم والجاد يستعمل ماعنده من قوه حتي لايفوته المقصود فالاخذ بالقوه لازم للجد والحزم

الامر الثاني

تهدف الايات الي اعداد وبناء الشخصيه المومنه الصادقه المتقيه العابده العلميه القياديه في مجتمع نشاء في بيئيه اجتماعيه سادت اجواءها الذل والقهر والاستعباد لفتره طويله من الزمن تعاقبت فيها الاجيال علي نمط حياه الخوف والقهر والهون وتعايشت مع الاستبداد والطغيان حياه مسلوبه الحقوق لاحريه ولاكرامه ولا مواطنه واستوطنت ثقافه الاستعمار في اعماق نفوسهم بانهم عاجزون عن اداره امورهم ولايمكنهم القيام بشي وغير ص الحين للقتال وليس لهم الا ان يعيشوا في خدمه الاسياد

ثقافه نتج عنها الشعور بعدم الثقه بالنفس وتبلد الاحاسيس والمرواغه والالتواء في التعامل وعدم الوضوح لا تعرف صدقه من كذبه مجتمع كسل حياته كلها هزل لايتحدث معك بجديه البته مجرد الحديث فكيف بالتعامل كل تلك الظروف جعلت نظرتهم وطريقه تفكيرهم تفتقد للجديه والحزم يتهربون من اعباء المسووليه ومشقه تكاليفها ولهذا كان لابد من استعمال اسلوب معين في تربيتهم واعاده تشكليهم بحيث يكون تفكيرهم ومشاعرهم نحو العقيده واهدافها واحكامها نابعا من الجديه والحزم في التلقي والتنفيذ باحساس بالمسؤوليه والواجب عليهم

يشعرون انهم منتجون ولهم دور في صناعه الحياه والتاريخ مساهمون في حركه التغيير والارتقاء والنهوض بالامه نجو المجد واضحون في تعاملهم يعشقون الحريه والعقيده التي زرعت فيهم هذا الفكر والمشاعر الجديده

فالامر يحتاج الي منهج مكثف قادر علي تربيتهم واعاده تشكيل قواهم العقليه والنفسيه والذهنيه مع طبيعه المرحله الجديده والحدث الضخم الذي انتقلوا اليه فتكاليف الاخذ بالمنهج تحتاج الي قوه عزيمه وهمه عاليه تجتاج الي رجال اقوياء لا ميع وضعفاء وكسالي فكان الامر باختيار الاحسن بمنعي التكاليف الشاقه هو الاحسن لهم والاصلح لحالهم احد المعاني التي اخذ بها بعض المفسرون امثال السيد قطب باعتبار ان ذلك يتناسب مع التشخيص للامراض التي يعاني منها بنو اسرائيل كما شرحنا سابقا فهم بحاجه الي منهج لازاله امراضهم تلك

ولايتعارض هذا المعني مع راي من قال ان المراد بهذا ان يامرهم بالعفو بدل القصاص وكظم الغيظ-والامهال للمعسر بدل التعجيل لان هذا فيه تربيه لهم من اثار فتره الاستعباد والتي غرست فيهم الحقد والكراهيه وعدم التسامح

وكذلك لايتعارض مع راي من قال ان المعني هو يامرهم باختيار الاحسن من الامور عندما يعرض حسن وسي عليك ان تختار الحسن لكن عندما يعرض عليك حسن واحسن فهل تختار الادني ام الاعلي من الموكد ان صاحب الذوق السليم سوف يختار الاحسن علي الحسن ويبدوا ان بني اسرائيل كانوا قد فسد لديهم الذوق نتيجه الا ستعباد اصيبت نفوسهم بالخسه والدناءه ولذلك كان اختيارهم للادني والسي كما وصفهم الله في موضع اخر (ق ال اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير)

ولهذا فان التوجيه هنا يامر فيه موسي باعاده تربيه قومه والارتقاء بنفوسهم وتخليصهم من الخسه وذلك يحتاج

الي تنميه الذوق فيهم برؤيه الجمال للاشياء من حيث حالها وعاقبتها ودوام هذا االجمال وزواله لان بني اسرائيل كانت معيارهم تنبع من التعلق بالدنيا وشهواتها ومن رغبه البطون فلم يكونوا ينظرون الي جمال الامور والاشياء من حيث غذاء الروح ولهذا فالاخذ باحسن الامور لازم حب الجمال وملازمه الحس فيكون الاستماع للامر باعثا علي اتباع احسن مافيه باستنباط الاحكام وتكوين المفاهيم الجميله عن تنفيذ الاحكام في اعماق النفس وهذا يتطلب ان تكون النفس شريفه والهمه عاليه والعزيمه الرفيعه كما قال تعالي (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه)

فالامر يحتاج الي الاخذ بالعزائم خاصه في الاحكام التربويه لان الاخذ بالعزائم تعمل علي تقويه الانسان لحمل العظام خاصه لمن كان يتصف بالكسل والضعف

المبحث الثالث

يعقب المولي عزو جل علي ماسبق بقوله (ساوريكم دار الفاسقين) ذهب المفسرون في تاويل هذه الايه الي اراء متعدده

الراي الاول :

بان الايه وردت في مقام الوعد لهم بالتمكين في الارض ان هم اخذوا التوراه بقوه في التلقي والتنفيذ بان يورثهم دار الفاسقين التي اخبرهم بها اي الارض المقدسه التي كانت في ذلك الزمن بعيده عنهم وقد خرجوا من مصر لاجل دخولها كما ذكر الحق في في موضع اخر (ادخلوا الارض المقدسه التي كتب الله لكم)

وهذا الراي فيه :

المفهوم الاول

الحث علي عدم التساهل والتهاون بالمنهج ومافيه من مشقه وان عليهم الاخذ بالعزائم فان هذا لاجل تربيتهم واعدادهم وتجهيزهم ليكونوا اهلا لدخول الارض المقدسه حيث يفهم ان تربيتهم لم تكن قد اكتملت فلم يكونوا اهلا لدخولها وهذا واضح في ردهم في سوره المائده (اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون)

فقد كانت عزائمهم خائره مفككه وملتويه ولهذا كان الامر الالهي ان ياخذ الامر بقوه وان يامر قومه تحمل تكاليفها الشاقه

المفهوم الثاني

هذا فيه الترغيب علي التمسك بالمنهج وان يكونوا من اهل العزائم خاصه للنخبه والطليعه التي هي التنظيم النواه في عمليه التغيير فاللازم ان يكونوا اصحاب عزائم لايبحثون عن الرخص ولهذا جاء الوعد بالتمكين لبيان نتيجه نعمه الايمان والاخذ بمنهج الله وتوجيهاته بان ذلك يوصلهم بحبال الكرامه والعزه وتنقاد لهم النعمه ويحصل انبساط العاقبه لهم بالاعتصام بمنهج الله والاجتماع علي نعمه الاسلام والتمسك بمنهجه عندها سوف تصيرون ملوكا علي من كان يتحكم فيكم ففي ذلك الكرامه وسعه النعمه عندها سوف تشاهدون امر الفاسقين وترثون ديارهم واموالهم فيتحقق وعد الله بالتمكين والعز بدل الذل

الراي الثاني

ان المراد بدار الفاسقين هي ديار الهالكين من الامم السابقه مثل ثمود وقوم لوط وقوم شعيب الذين اهلكهم الله بذنوبهم وابقي علي ديارهم عبره يعتبر بها المومنون المتواضعون ..قال بهذا الراي الكلبي

وهذا المعني لايتخلف عن مدلول. المعني الاول فالمعني هنا ان المنهج هو لتربيتهم لاجل ان يكونوا اهلا للعز و التمكين

ومنهم من قال ان المراد بها منازل فرعون وهذا القول غير سليم لان النصوص تتحدث عن حقبه جديده من حياه بني اسرائيل بعدما شاهدوا هلاك الفراعنه

الراي الثالث

ان الايه وردت للتهديد بعد الامر باخذ التوراه بالقوه والعزيمه والهمه العاليه فذكر نهايه اهل الفسق بانها في نار جهنم

المفهوم الاول

فاراد الحق بهذا تقويه العزائم للاخذ بالمنهج واتباع مافيه لان الخلافه اختيار فهي لاتثبت بمجرد ولاده الانسان كا لادميه والعبوديه وانما تثبت له بطاعه الله والقيام بحق الامانه التي كلفه الحق بها وان كان الانسان يولد عبدا لله سواء اعترف بهذا او كابر فالانسان لايولد خليفه لله وانما يصير خليفه لله اذا اراد الخلافه وسعي لها سعيها وهو مومن ولهذا عقب الامر باخذ المنهج الرباني بالقوه واختيار احسن الاحكام فيها بتوجيه الانظار الي نهايه الفاسقين العصاه والمتمردين الذين جعل لهم دار يقيمون فيها (ساوريكم دار الفاسقين) وهي نار جهنم وربط النهايه لاهل الفسق بالتمرد عن اتباع منهج الله فان هذا التعقيب يتناسب مع شرط الخلافه الذي اشترطه سبحانه وتعالي علي ادم حينما اسكنه وحواء في الارض فقد جعل الله اول شرط لاستخلاف البشر هو طاعتهم لله تعالي فقال تعالي (فاما يتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

نفهم منها ان اتباع هدي الله يعني النجاه من الاحزان والخوف فقيدت الخلافه بشرط اتباع الهدي اي منهج الله

فالايه تهدف لبيان ان مدرسه الخير التي التي ينتسب اليها الانبياء ومن اهتدي بهديتهم تقوم علي ابواه المنهج بامتثال امر الله واجتناب نواهيه

وان مدرسه الشر التي ينتسب اليها الفاسقون والمتمردون العصاه تابعون لمدرسه الفسق وموسسها ابليس اللعين

وان النهايه والعاقبه تكون باجتماع اهل الفسوق والعصيان في نار جهنم فذكر هنا ان جهنم هي الدار التي يسكنها الفاسقون فسماها دارهم بينما سماها في ايه شرط الخلافه انهم اصحابها فقال تعالي (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

المفهوم الثاني

تبين الايه ان الاحكام والمواعظ الوراده في كتاب الله هي. لتطهير النفس من نوزاع الفسوق والعصيان والتمرد فهي

من نعم الله علي الانسان ومن رحمته فالله يحرسكم بما انزل من عبادات من الافات التي كانت سببا في هلاك ابليس اللعين فعليكم قبولها لتزكيه نفوسكم من الافات ففي المواعظ والاحكام والعبادات تذليلا للنفوس من الكبر واذهاب للخيلاء بالاذعان لامر الله فمثلا الصلاه تعني تمريغ الوجوه والجوراح في التراب تواضعا لله وقمع للكبر وفي الزكاه اعتراف بحق الفقير واخراج للتعالي عليهم

المفهوم الثالث

ان من يريد الانتساب لمدرسه الخير فعليه ان يلتزم منهج الله لانه اذا تمرد فانه يكون فاسقا تابعا لمدرسه الفسوق وموسسها ابليس اللعين

ولهذا فان اساس وقاعده الانتساب هي اخراج الكبر من القلب والنفس وترك التعصب لاثار مواقع النعم والذي ينشا عنها التعالي والكبر فابليس تعصب لاصله وتفاخر علي ادم بمادته التي خلق منها ولهذا فاللازم ان تحذروا من العدوي بداء ابليس فلا تعصوا امر الله ثم انه للوصول الي التمكين لابد من الاذعان لله بالعبوديه ولهذا لاجل ان تكونوا اهلا للعز والتمكين انزل الله المنهج لازاله الشك والريب من الصدور باختباركم بضروب المكاره والشدائد في مشقه الطاعه ومشقه ترك المعصيه لاخراج التكبر من قلوبكم واسكانا للتذليل والاذعان في نفوسكم لله تعالي لتكون المواعظ مفتاحا لرحمه الله لتملكوا امور من كان قبلكم وصولا الي العز والتمكين

سادسا

(ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل ايه لايومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكا نوا عنها غافلين. والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخره حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

المبحث الاول

علاقه الايه بما ورد قبلها من الامر بالعزيمه والارده القويه في تلقي منهج الله تعالي والعمل به والتي اختتمت (ساوريكم دار الفاسقين)

فان هذا الاستئناف للتحذير من سلوك اعداء الحق سواء في مقابله المنهج بالفتور والكسل والضعف او مقابلته بـ التعالي والعصيان فهذا يدل علي خسه النفوس وحقارتها وفساد العقول فاراد الحق ان يحذرنا من ذلك فهو يقول

 عليكم ان تفهموا ان الطريق الي العز والتمكين يكون بطاعه الله وامتثال امره واجتناب نهيه وان يكون ذلك عن حب لله واجلال وتعظيم فالانسان محتاج الي رضا الله وتوفيقه ولهذا فلابد من تنظيف النفوس من الكبر و التعصب والتمرد فهي نجاسه مانعه من الانتفاع بالعلم النافع عليك ان تخلع ثياب التعزز وتلبس ثياب العبوديه وتطهر قلبك من الكبر لان الكبر والتمرد والفسق والعصيان ينتهي الي دار الفاسقين فابليس هو امام المعتصبين و الله لم يرخص بالكبر لانبياءه فاحذروا من الاصابه بعدوي داء ابليس فهو كما يقال عبد ربه سته الف سنه لكنه احبط عمله كله وذهب جهده الجهيد بسبب كبر ساعه واحده عندما رفض امتثال امر الله بالسجود لادم

فعلي كل واحد ان يفتش مافي نفسه من كبر او تعصب ويخرجها في الحال لانه بعد هذا كيف لاي انسان ان يسلم من العقاب الالهي فالمساله حاسمه فما انت فاعل في عمرك القصير الذي لايتجاوز ستين سنه اذا كان ابليس قد سجد لله سته الف سنه فاستحق الغضب الرباني لانه تكبر علي امر الله فلا نجاه ولاهدايه ولافلاح الا باتباع منهج الله والخضوع والاذعان لامر الله تعالي ولهذا ذكر بعدها قوله تعالي (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الا رض بغير الحق ....الخ

الامر الثاني

تبين الايات ان مصير الفاسقين المتكبرين مشهود بما ترون من اثارهم الباقيه في ديارهم لتروا. نهايه المتكبرين المتمردين عن احكام الله تعالي ومنهجه والذين يرفضون القبول بالحق فتلك ايات تنطق بنهايه اهل الفسق و العصيان ولكن فهم الايات وادراك مافيها واستنتاج العبر والمواعظ يحتاج الي توفيق الله وهدايته والهدايه الخاصه انما تكون لاولياء الله تعالي اما اعداء الحق المتكبرون فانهم محرمون من الهدايه والتوفيق لان قلوبهم غير طاهره فمعاني الايات سواء كانت الكونيه او اداله الحدث او الايات المسموعه التي هي اياته تعالي وادالته وء

لامته علي حقيقه ما امر به عباده من توحيده له بالواهيته وربوبيته وعبوديته وحده لاشريك له وما فرض من اوامر كلها ايات الله لها معاني لايذوقها الا القلوب الطاهره فالقلب لايدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينجسه مثل الكبر والعصيان والحسد لقوله تعالي (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) ولهذا قال تعالي (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا ..الخ

المبحث الثاني

تبين النصوص من هم الذين ينتفعون بالايات الربانيه سواء المسموعه او المرئيه ايات الله الكونيه او اداله الحدث

بالرجوع الي النصوص القرانيه نجد ان الحق سبحانه وتعالي ذكر في اكثر من موضع دعوته الي استخدام العقل في طلب رؤيه الحق بالتفكير من خلال النظر والتامل الي ماوراء المحسوس لتري في اياته الكونيه مفعولاته ما يدل علي وجوده وانه حكيم خبير عليم قدير

والقران يامر بالتفكر ويحترم العقل فقال تعالي (قل انما اعظكم بواحده ان تقوموا لله ....ثم تتفكروا)

فاصحاب العقول هم الذين يستخدمون عقولهم في النظر والتامل فقال تعالي (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا .....ويتفكرون في خلق السموات والا رض ...الخ

ولهذا نجد ان الحق سبحانه وتعالي يقول لنا (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق)

لان العلم والارداه هما اصل كل عمل فاصل الخير بمعرفه الحق ولهذا فان ذلك يوجب اتباعه لكن بسبب العارض الكبر ...حجبت عنهم معرفه وفهم الحق واتباعه فكان منعهم من فهم الايات عقوبه لهم لانهم حرموا معرفه الخير واتباعه كما قال تعالي (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

وهذا فيه

الامر الاول

عليك اخي المسلم الانتباه من الانهماك في الباطل فان ذلك موجب للعقاب الالهي فالاصرار علي التكذيب بالايات برغم معرفه الحق بسبب عارض الكبر يترك اثرا في النفس تمنعه عن رويه القضيه ولهذا قال تعالي (ساصرف عن اياتي ..الخ فالسنه الالهيه في سلب المعاندين توفيق الهدايه لان المعاند يدخل نفق مظلم لانهايه له ولا امل في عودته للحق ولهذا قال تعالي (بغير الحق) بعد لفظه الكبر

لتاكيد ان التكبر والشعور بالاستعلاء علي الاخرين واحتقار عباد الله يكون دائما بغير الحق فجاء القيد هنا قيد توضيحي وتوكيد خاصه وانها وردت بعدها (في الارض)

للدلاله بمعني التكبر والطغيان فوق الارض لاشك ان هذا العمل بغير الحق

الامر الثاني

فالمنع لهم من فهم الحق واتباعه لان قلوبهم متسخه باوساوخ فهي غير صالحه لاستقبال انوار الله لان الله يفتح علي قلوب اولياءه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهاره قلوبهم مما يكرهه واتباعهم مايحبه ما لايفتح به علي غيرهم فان الكبر واتباع الهوي مانع من قبول الحق فاخبرنا الله ان اتباع ما يكرهه الله يصرف عن العلم والهدي

فقال تعالي (وان يروا كل ايه لايومنوا بها)

وان يروا جميع الايات ولهذا فعليك الانتباه من الاعراض

فالنفور والهروب من دلائل. الحق حجودا له او كسلا عن مشقه التفكير هنا من اسباب العقاب لهم كما قال تعالي

(وما تاتيهم من ايه من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين)

ولهذا يصف الحق من يتصف بذلك كمن لاعقل له فهو يفقد التميز بين الخير والشر والحسن والقبيح يسلب القدره علي التميز بين الرشد والغي فقال تعالي (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) فهم لايسلكون طريق الصواب الموصول الي النجاه الذي يسلكه العقلاء حتي وان ظهر لهم ذلك الطريق بل يسلكون طريق الغي لانهم انغمسوا في الشرور والضلال واعتادوا علي المنكرات ولهذا فقدوا التميز

المبحث الثالث

فاللازم عليك اخي المسلم الحذر من المعاصي والذنوب لانها سبب الخذلان والانحراف وتعطيل حواس الفكر و النظر ولهذا نجد ان الايه تاتي بعدما سبق ببيان الاسباب التي كانت وراء عقوبه صرف الايات فقال تعالي

(ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين)

تعليل العقوبه فاستعمل اسم الاشاره لبيان ان العقوبه المذكوره من التكبر وعدم الايمان بشي من الدلائل الداله علي الحق واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم علي سبيل الغي والغوايه والضلال كان بسبب تكذبيهم بالايات الداله علي بطلان ماهم عليه من اباطيل وسبب انهم انغمسوا في الاهواء ومتقلبات الحياه فصاروا في الغفله ف الله لم يخلقهم مطبوعين علي شي مما ذكر ولم يجبرهم ولم يكرههم بل ان ذلك بسبب اختيارهم التكذيب بايات الداله علي الحق فاستعمل اسم الاشاره (ذلك) مبتدا وخبره الجار والمجرور بعده اي ذلك الصرف سبب تكذيبهم

ولهذا قال تعالي بعدها (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخره حبطت اعمالهم هل يجزون الا ماكانوا يعملون)

فالكذب يصور المعدوم حقا ويصور الحق معدوم ولهذا يفسد عليه تصورته واعماله وحركاته ولهذا فان المومنون و المصدقون بايات هم الذي ينتفعون بما فيها لان الاعتقاد الحق يزيد صاحبه معرفه وكذلك فان فان الذين يومنون بلقاء الله والحساب والعقاب فانهم يخشون الوقوع في الهلاك ولذلك هم يبحثون عن الحق ويتحروا الحق في كل حركه يتحركونها فالله يقول في موضع اخر (ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين)ويقول (وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون)

فعليك ان تتجه باعمالك الي غايه مقصوده وهي ارضاء الله وان تشعر برقابه الله فهذه هي اساس الفاعليه الا يجابيه واساس الانتفاع بالعلم لان الله سوف يشرح صدرك لاستقبال انواره ولهذا يخبرنا الله ان الذي يكذب بايات الله ولايومن باليوم الاخر ايمانا يقينيا فان اعمالهم وان كانت في ظاهرها متجه جهه الخير فانها سوف تبطل اثارها ولايجدها وقت الحاجه بسبب فقدان شرطها وهو الايمان والتصديق فالجزاء من جنس وهو عقاب لكل من يكذب بالايات ويكذب باليوم الاخر

القسم الثالث

تعود الايات لموضوع قوم موسي بعدما تركهم موسي تحت امره اخيه هارون وذهب لمناجاه الله فما الذي حدث وكيف عرف موسي ذلك وماذا كان رده فعل موسي فقال تعالي (واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد

ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفرلنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسي الي قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتنوني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقي الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولاتجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذله في الحياه الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وءامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم)

الموضوع الاول

تنقل لنا الايات فعل قوم موسي بعدما ذهب موسي لمناجاه ربه وتركهم تحت اماره اخيه هارون فذهب لمقيات

ربه حيث دفعه الشوق والحب لربه بالذهاب متعجلا بالوصول وخلال فتره غيابه حدثت امور فقال تعالي (واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار)

فقد استغل السامري غياب موسي وصنع لهم من الحلي الذهب التي اخذوها معهم من مصر ومع قبضه من اثار الرسول اي جبريل عجلا له صوت خوار اي البقره وعبدوه

وهذا فيه الاتي

/1

ان الواقعه خصلت بعدما فارقهم موسي ماضيا الي ربه لمناجاته وفاء للوعد الذي وعده ربه اياه

فموسي كان في حضره ربه في موقف مناجاه ربه

/2

ترسم لنا الايات صوره انتكاسه وتردي بني اسرائيل بانه حصل سريعا فلم يمضي علي غياب موسي شهرا حتي انحرفوا ووقعوا في عباده العجل فقد اعتبروا غياب موسي انه لن يعود وصنع لهم السامري عجلا وقال لهم ان هذا هو ربهم الذي ارسل موسي فعبدوه

الموضوع الثاني

تبين لنا الايات ان التغيير الايجابي يتطلب العبور من حقبه الماضي البغيض الذي يرمز للتخلف الي المستقبل الذي يمثل امنيه الانسان وطموحاته والذي يرسم طريق التطور والعبور هنا يعني الانتقال من مرحله التخلف الي مرحله التقدم وهذا يتطلب اعاده تشكيل العقول والافهام والنفوس بما يتفق واهداف التغيير ولهذا فان اول خطوه لنجاح ذلك هو تنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي البغيض ليكون الانطلاق من خلال الواقع الجديد والاهداف التي تحكمه ولهذا نجد ان الايه تنقل لنا صوره ترسم حال بني اسرائيل وانهم مشدودين للماضي ومازالوا متاثرين بحقبه فتره الاستعباد في مصر حيث ذكر عن بني اسرائيل كانوا قد اخذوا معهم حلي من ال فرعون فقال لهم السامري لما مضي ثلاثين يوما من غياب موسي هاتوا ما عندكم من حلي نحرقها فبقاوها حرام كونها خاصه بفرعون فاوقد نار فالقي فيها الحلي فلما ذاب الحلي القي ما معه من قبضه من اثر الرسول في النار فصار عجلا له والعجل ابن البقره له خوار مثل صوت البقره فقال لهم هذا الهكم واله موسي فعبدوه فالحادثه ترسم لنا الاتي

الامر الاول

ان بني اسرائيل فشلوا في اول امتحان في تطوير طبيعه هذا المجتمع لانهم لم يتهياوا بعد لتطوير طباعهم

المتخلفه التي اوجدتها ظروف الاستعباد فصارت بمرور الزمن سلوكا عاما تمثل بالتردد يتقدمون خطوه ثم يرتدون خطوات الي الخلف فهذا السلوك متلائما مع طبيعه الالتواء التي اتصف بها بني اسرائيل نتيجه الاستعباد الطويل الذي صاغ سلوك الانحراف وصار طبيعه ملازمه لهم تتناقلها الاجيال نتيحه ضعف العزائم التي شكلت دافعا علي استمرار بنو اسرائيل علي طباعهم الموروثه من حياتهم في مصر

الامر الثاني

تصور لنا الايات استبقي ذهنيه بنو اسرائيل علي معايير اجتماعيه من حياتهم في مصر والتي صاغت نظرتهم للا شياء تحت تاثير الاستعباد وهم لم يستطيعوا التلائم مع الظروف الجديده نظرا لعدم قدرتهم علي التخلص من اسباب الذل والهون الذي عاشوه فقد جمدت قناعتهم بتلك الحياه احكام طباعهم فهم غير قادرين علي تجاوز اثاره من فقدان الطاقات ولهذا فقد شكلت تلك الطبيعه عائقا امام تقدمهم وصعب عليهم اجتياز مراحل التطور وبسبب ذلك تتعثر خطواتهم لانهم غير قابلين للتقدم. فالملكات التي تحكم تفكيرهم سطحيه لانها تستند علي معايير فاسده استوطنت عقولهم فهم برغم مشاهدتهم ايات الله ومعجزته ومنها انشقاق البحر بضربه عصا وهي تدل علي قدره الله تعالي وانعامه ومع ذلك يطالبون من موسي ان يصنع لهم صنما يريدون ادراك الخالق تنزه سبحانه وتعالي عن ذلك فهو لاتدركه الابصار ولهذا يذم الله هولاء فقال تعالي (واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار)

لانهم لم يتذكروا وصايا نبيهم عندما طلبوا منه ان يصنع لهم الها بان ذلك القول يدل علي الجهل والحماقه فالله لاتدركه الابصار وامتناعها علي العقول ادراكا فقال لهم انذاك (انكم قوم تجهلون)

ولم يفكروا ان الذي صنع العجل هو واحد منهم رجل منهم فاساس الدين معرفه الله وهو تعالي قد يعرف انه خالق العالم فاذا كانت هذه المعرفه بدون تنزيه فانها معرفه ناقصه وكمالها التصديق به ذاته سبحانه وتعالي بصفته الخاصه التي لايشركه فيها غيره فكمال التصديق به توحيده وكمال التوحيد الاخلاص وكمال الاخلاص نفي الصفات عنه فلا يجوز التشبيه فهو تعالي منزه من مشابهه الماديات فلا يقول بالتشبيه الا جاهل لايعرف ربه وبني اسرائيل لم يكونوا يومنون بما وراء الحس وقد انعكس ذلك علي تفكيرهم وجعلهم يعبدون ماصنعوه بايدهم من الحلي فقال تعالي

(من حليهم عجلا جسدا له خوار)

ولم يقل عجلا جسما وانما عجلا جسدا لان الجسد هو الجسم الذي لاروح فيه وهو خاص بجسم الحيون الذي بلا روح وبهذه الدقه في اللفظ استطاع القران ان يسلب القران السامع الدهشه التي شعورا بها من تحويل قوم موسي الحلي لبيان انهم صنعوا هذا العجل لكن بلا روح لبيان فساد العقول لانهم عبدوا جمادا اقل منزله من الا نسان ولبيان ان من اهم صفات الخالق انه حي دائم لايموت فقال تعالي بعدها منكرا عليهم ماواقعوا فيه من ضلا ل لايقبله عاقل (الم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)

بعد الفراغ من الحديث في الذات الالهيه وامتناعها عن العقول ادراكا لان الله مدبر السموات والارض ومالكها لا يجوز ان يكون جسدا له خوار تنزه عن ذلك يذكر الحق صفات الاله الحق بانه يتكلم بما يوحي لعباده ويهدبهم الي سبيل الرشد وخص بالذكر هاتان الصفتان التكلم والهدايه لان ذلك من صفات الله التي تكليم عباده عبر رسله بما يعبدوه وهو يرشدهم الي سبيل الخير وينهاهم عن سبيل الهلاك

والمطلوب منك ان تضع كل شي في موضعه لان الخلافه تعني حمل امانه العلم البشري وامانه العلم بالله اي العلم بالماده والعلم بخالق الماده وحملها يحتاج فيه الانسان النجاه من الجهل والظلم لقوله تعالي (انا عرضنا الا مانه علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)

فالنجاه من الظلم لاتقوم الا بالاتصال بالله والنجاه من الجهل تقتضي العلم باسماء الاشياء ومن هنا فان الاتصال بالله يعني افراده بالتوحيد والالوهيه والعبوديه والربوبيه وحده لاشريك له

بالتنزيه والتقديس في ذاته بكماله وكمال صفاته عن مشابهه الصفات الحادثه لان كل صفات الممكن لها في اثرها حد تنقطع اليه كما نجده في قدرتنا وعلمنا مثلا لكل منها اطوار تتوقف عنده ولاتتعداه اما قدره الله وعلمه فلا حد لشمولها فالانسان له اطوار فيها ضعف ونقص وغموض اما صفاته تعالي فهي منزهه عن هذه النعوت واشباهها ثم هي ازاليه ابديه ولهذا قال عن بني اسرائيل (اتخذوه وكانوا ظالمين)

ظلموا انفسهم لانهم اتخذوا العجل الها لعباده غير من له العباده

الموضوع الثالث

تبين الايات ان المجتمعات المتخلفه عندما تصبح راضيه ومقتنعه ومتشبثه بما تعيش من اوضاع تخلف صنعتها احوال طبيعتها ثم جمدتها اجكام طباعها فهي غير قابله معالجه للتطور والتجديد والتحديث لايمكن ان تتخلص مما هي فيها الا بعد ان تتخلص من اسباب التخلف بحيث تتهيا لتطوير طباعها المتخلفه اي لابد من اعاده تشكيل العقول والنفوس بما يولد الانسياب الفكري الذي يسمح باجتياز مراحل التطور بنجاح اكبر وبسرعه اكثر من خلال معالجه اسباب التخلف والتمهيد لخلق القناعه بالرغبه في التطور والترقي ولهذا تعددت المعجزات التي انزلها الله علي موسي لاجل ان يحدث الانفعال الباعث علي التخلص من عادات الماضي وتوجيه الطاقات نحو عباده الله وحده لاشريك له والتحرر من كل الاوهام والمخاوف بالنظر الي الامام ورفض الواقع الذي كانوا يعيشون فيه لكن سلوك بني اسرائيل يدل علي ان ايمانهم لم يكن حقيقا فهم مازالوا مشدودين للماضي مرتبطون بقيود ذكريات مرحله الاستعباد فاسباب التخلف هو ضعف العزائم وخسه النفوس وفقدان الطاقات عطلو ا الحواس رويتهم لا ترتفع عن مدي الرؤيه الحسيه في الاعتقاد والتصور فهم لايومنون بما وراء الحس ولهذا كان ايمانهم انفعالي وقتي كلما وقعت معجزه امنوا وصدقوا لكن اثرها يزول بسرعه فالاعجاب الغير منظم بطبيعته مثل البخار الغير منظم لايولد طاقه دفع ولاقدره تحريك لانه يتجلي مع المناسبات العابره ويتبخر مع البخار المنطلق ولهذا نجد انهم بعدما خرجوا من البحر وشاهدوا المعجزه طلبوا من موسي ان يصنع لهم صنما وبرغم وصاياه عبدوا العجل بمجرد غيابه عنهم فهم لم يومنوا ايمانا حقيقا لان اثار مرحله الاستعباد ولدت فيهم طبيعه العناد والاستكبار فهم لايومنون الا تحت وطاه السوط كما اخبرنا القران في مواضع عديده ولهذا نجد ان الحق يذم بني اسرائيل . لتركهم اعمال العقل بالنظر الي العجل المصنوع بايدهم بانه لايمكن ان يكون الها فقال تعالي (الم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) لبيان ان الايمان ليس مجرد انطباع في النفس ناتج عن العلم. النظري بل لابد ان يكون فعلا اختياريا والنتيجه هي التصديق المنطقي الذي يرسخ في العقول والنفوس اما الانفعال النفساني فانه يزوال بزوال الموثر وهنا يكمن الفرق ان الايمان يولد الطاقه ويدفعها ويحرك القدرات في اتجاه التطور وهذا الايمان هو الذي يكون به بدايه ولاده ميلاد التطور في حياه الانسان ويبدا بالتخلص من اثار ركام الفكر الجاهلي ولهذا تبين الايات حال بني اسرائيل بعدما رجع موسي واحرق العجل او بعدما تدفعوا حوله وسقط العجل وشاهدوا انه عاجز عن دفع الضرر عن نفسه فادركوا انهم ضلوا عندما عبدوه بعد ان كشفت لهم الحقيقه فقال تعالي (ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)

فالايه تبين الاتي

/1

انهم ادركوا اخطاءهم التي وقعوا فيها بعد ان وقع البلاء في ايدايهم قال ابوجعفر لما سقط في ايديهم ..لما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف الله جل ثناءه صفته عند رجوع موسي اليهم واستسلموا لموسي وحكمه فيهم ف

العرب تقول لكل نادم علي امر فاته منه او عاجز عن شي قد سقط في كذا

2

تبين الايه انهم عندما ندموا علي فعلتهم سقط الندم في ايديهم تشبيه بمن عض يداه من الندم فظهرت اثار العض من شده الندم

واستعمل اليد لانها تستعمل للقوه والقدره وتحريك الاشياء واستعملت هنا بمعني الندم وتبين الخطاء ففي الايه تمثيل بحال من سقط في يده حين العمل اي تعطلت حركه يده بسبب غير معلوم دخل بها فصارت عاجزه وهذا كنايه عن الدهشه والجمله تفيد التنبيه لما ذهلوا عنه فشاهدوا انهم قد انحرفوا عندها لجاوا الي الله تعالي فقالوا (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)

وكلمه ربنا لها قراتان قراءه بفتح الراء (ربَنا) اي علي وجه الخطاب قرا بهذا البعض وقرا البعض بالرفع للراء (ربُنا) بعض اهل الكوفه والمدينه والبصره فيكون المعني علي وجه الخبر كانهم قالوا لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبه برحمته ويتعمدنا بها بمحو ذنوبنا لنكونن من الهالكين الذين حبطت اعمالهم

فدل هذا علي التخلص من ركام الفكر الجاهلي باعلان التوبه فاخبر الله في موضع اخر انه جعل التوبه بقتل انفسهم فقال تعالي (ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل ....الخ

فهذا هو بدايه الطريق للخلاص من الفكر الجاهلي ان تعترف بالسباب التخلف فالاعتراف يدل علي قابليه التطور والتلائم مع الظروف الجديده يدل ان الانفعال اصبح منتظما يمكنه ان يحرك الطاقات والقدرات نحو التقدم والتطور يدل علي رفض الناس لواقعهم والاستعداد للتضحيه بالنفس في سبيل الله

ثانيا

المبحث الاول

(ولما رجع موسي الي قومه غضبان اسفا)

الامر الاول

ترسم الايه لنا انفعال موسي وغضبه لما حدث من قومه في فتره غيابه فكان غضبان عند رجوعه من مناجاه ربه كان علي وجهه ملامح الغضب والحزن الشديد من فعلت قومه الذين عبدوا العجل

وهذا فيه

ان الغضب الذي ينبغي علي المسلم ان يغضبه انما هو الغضب الذي يكون لله تعالي

الغضب الذي يصدر من العبد عند انتهاك حرمات الله لان من غضب لله غضب الله له وارضاءه يوم القيامه

فمن علامات الايمان الغيره علي دين الله والغضب لله تعالي فالمومن يغضب للحق فهذه القوه اوجدها الله في الانسان كغريزه لاجل ان تولد فيه قوه النفور من كل ما حرم الله قوه بغض وكره لكل المعاصي لاجل النهوض بالدعوه والوقوف في وجه الطغاه وبغض الفاسقين واعمالهم وارغام انوف الكفار فالله يقول عن المومنين بانهم اشداء علي الكفار رحماء فيما بينهم ..

الامر الثاني

كيف عرف موسي بما احدثه قومه من بعده في فتره غيابه

لقد اخبره الله عن ذلك فقال تعالي في موضع اخر (قال ما اعجلك عن قومك يا موسي ....قال هم اولاء علي اثري وعجلت اليك ربي لترضي..قال انا قد فتنا قومك واضلهم السامري ...الخ

ولهذا ابتدات الايه هنا بقوله (ولما رجع موسي الي قومه غضبان اسفا)

تبين ان موسي رجع في حاله غضب واسف من فعله قومه والاسف له معنيين اما الحزن واما شده الغضب قال ابو الدرداء الاسف منزله وراء الغضب واشد من ذلك

فالايه تصور لنا ان الرسول لايخرج عن بشريته فهو يتالم ويحزن ويغضب فواقعيه الرساله وبشريه الرسول مهم لاستجلاب الاستجابه من الناس وبقدر تلك الواقعيه يكون لها النجاح

المبحث الثاني

(قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقي الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه)

ترسم لنا الايات صوره انفعال الغضب لدي موسي من فعل قومه في قوله وفعله في مواجهه الانحراف الواقع من قومه في فتره غيابه لبيان الاتي

الامر الاول

اهميه وجود القياده الرشيده التي تعمل علي تحقيق الاهداف وتحقيق التقدم فلايمكن تحقيق التقدم بغير قياده تقود التقدم وتدفع تياره ولهذا لم تاتي الايه بكلمه (ياقوم) وانما (قال بئسما خلفتموني) لان الموقف تقريع يتطلب اظهار الغضب منهم ومن فعلهم بعكس اذا كان الموقف يتطلب اثاره حميتهم مثلا نجد انه يقول (ياقوم ادخلوا الارض المقدسه) او تلين قلوبهم نجد ان القران ينقل لنا صوره التودد من موسي لقومه فقال تعالي (واذ قال موسي لقومه ياقوم لما توذنني) وفي موقف التذكير بنعم الله عليهم (قال موسي لقومه ياقوم اذكروا نعمه الله عليكم) اما هنا فقد جاء يقرعهم ويوبخهم فاراد بهذا تعليمنا كيف نقود الشعوب ونربي الجماهير بالاستفاده من الاحداث والازمات التي تقع لتقليل الشرور في المجتمع وتنميه جوانب الخير وبالتالي فلابد من اظهار الغضب لارتكاب الجماهير مخالفه الشرع والقانون لاجل تربيه الجماهير علي النفور والبغض من هكذا افعال فلا يجوز التهاون او التساهل في التمرد الجماعي علي النظام والشرع او الخروج عن سياده الشرع لان ذلك يتعارض مع الاهداف التي تسعي القياده لتحقيقها فلابد من الحزم في مثل هذه المواقف فالقياده في جوهرها جهد سياسي منظم ومنضبط ينطلق من امال واسعه كي يتم تحقيق اهداف محدده تمثل امال وطموحات القياده والجماهير فالكل منخرط في تهئيه الظروف والمناخ لتحقيقها ومشاركون فيها وفقا للخطط والمهام التي يجب علي كل واحد ان يقوم بها بما يشكل هيكل تنظيمي يسعي كل فرد لاجل تحقيق الاهداف من خلال المهام المكلفون بها من القياده ولهذا قال (بئسما خلفتموني من بعدي) فالخلافه تعني القيام بامر بعده يكلفه بمهام وهذا الامر يتطلب وضوح المهمات المطلوبه وعدم تعارض التعليمات الادرايه ولذلك فان موسي قبل ان يترك قومه حدد لهم من يتولي اداره شوونهم في غيابه وصلاحياته فقال اخلفني في قوم واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين) وحدد لهم المهام فلا تضارب في التوجيهات ولهذا جاء الذم لهم ب(بئس)

هنا في اطار الرقابه و المحاسبه لهم علي تنفيذ الاهداف لان غياب القياده الرشيده يعني الفوضي والعشوائيه و التداعي لاهواء الباطل وهذا بحد ذاته من اخطر اسباب نشوء الازمات ولهذا ذكر (من بعدي) عقب قوله (خلفتموني) مع ان الخلافه اصلا تفيد البعديه للتذكير بالفرق الشاسع بين حال الخلف وحال المخلوف كما قال تعالي (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاه واتبعوا الشهوات ...الخ ولهذا يقال خلفه بخير او خلفه بشر لمن كان

اولاده او اهله او قومه من بعده قد اتصفوا بالخير فيقال خلفه اهله بالخير او اتصفوا بالشر ولهذا يقال خير خلف لخير سلف

فالايه تبين تصوير موسي لهم فظاعه ما خلفوه به من بعد ما سمعوا منه التحذير من الاشراك و تحذيرهم من تقليد المشركين عندما طلبوا منه ان يصنع لهم صنما ليعبدوه مثل اصحاب القريه التي وصلوا اليها فاخبرهم ان مصير هولاء ومن وقع في فعلهم منهم الاهلاك والضياع ولهذا اظهر غضبه من فعلهم قائلا لهم ما الذي جعلكم تنحرفون عن المسار وتخرجون عن التوحيد الذي تركتكم عليه في اطار الرقابه والمحاسبه لهم علي مافعلوا

الامر الثاني

التحذير من العجله :-

(اعجلتم امر ربكم)

الايه وردت في اطار محاسبه موسي لقومه علي مافعلوا فلم يكتفي بذكر المخالفه بل باشر بذكر اسبابها التي اوقعتهم في ذلك

فقال (اعجلتم امر ربكم)

اي استعجلتم امر ربكم باعطائي التواره فعبدتم العجل قبل ان ارجع اليكم

والعجله التقدم بالشي قبل وقته وهي مذمومه وهي تختلف عن السرعه التي تعني عمل الشي في اول وقته وهي محموده

ولهذا جاء الذم هنا لانهم طلبوا الشي قبل اوانه ومعني ذلك انه وبخهم بما صنعوا فقال بئسما خلفتموني من بعد غيابي عنكم بامر ربكم وطلبتموه قبل بلوغ اجله وهو امر بيده خيركم وصلاحكم ولايجري امرا الا بما تقتضيه حكمته البالغه ولايوثر فيه عجله غيره

وفيه التوبيخ من العجله في الامور قبل حلول موعدها فاظهار موسي الغضب لما فعلوه وتوبيخهم يهدفهم الي تربيتهم وخلق تغيرات موضوعيه فيهم كي يقبلوا المتغيرات الجديده في حياتهم فبني اسرائيل كانوا عاجزون عن وضع كل امر في موضعه فقد اتصفت طباعهم بالعجله بطلب الاشياء قبل حلول موعدها وايضا كان في حاله حلول موعدها لاياخدونها فتسقط من ايديهم نتيجه الضعف رغم وضوحها واذا لم يعرفون وجه الصوب كثر فيهم اللجاج والجدل طلبا للغلبه ولهذا كان التوبيخ لهم لتحذيرهم من ذلك ويحثهم علي ترك ذلك السلوك القبيح

الامر الثالث

تنقل سياق النصوص حركه فعليه تعبر عن غضب موسي من قومه فقال تعالي (والقي الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه)

وهذه الحركه تدل علي شده الانفعال لان الالواح يحمل فيها احكام الشريعه التي تلقاها من ربه وكذلك امسك براس اخيه يجره اليه راس نبي يسحب سحبا لما راهم يعبدون العجل وهذا فيه

المفهوم الاول

عليك ان تدرك ان الغضب بوجه عام امر مذموم فعليك ان تجلس حال غضبك لانه يفقد الانسان توزانه في اغلب الاحوال ويجعل المرء يلقي الاشياء الثمنيه الا اذا كان الغضب لله فانه محمود فموسي من شده الغضب القي الا

الواح التي ذهب الي ربه لاجل تلقي ما فيها من احكام وهي اشياء ثمنيه ولهذا لم يواخذ موسي لانه غضب لله وان كان من صفات الغضب ان الانسان يلقي بالاشياء الثمينه فاللازم وان تحذر الغضب في سائر امور حياتك

المفهوم الثاني

اهميه الشعور بالغيره عند مشاهده شريعه الله تنتهك او مقدستنا تتعرض لهجوم فمن لم يشعر بالغيره والغضب لله فانه لاصله له بالاسلام والغيره تتفاوت من السمع بالانتهاك الي الرؤيه فقد تسمع ان هنالك انتهاكت تمس شريعه الله او المقدسات فان ذلك لابدان يحدث فيك غيره من الذين يقومون بتلك الانتهاكات لكن مشاهدتها تجعل الغيره والغضب اقوي ولهذا ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم قوله (رحم الله موسي ليس المعاين كالمخبر اخبره ربه تبارك وتعالي ان قومه فتنوا فلم يلقي الالواح فلما راهم وعاينهم القي الالواح)

فهذه هي غيره المومن وغضبه لله تعالي فعلينا ان ننظر لانفسنا اليوم وواقعنا الذي نعيش فيه فاننا نشاهد علي شاشه التلفاز انتهاكات اليهود لمقدستنا كل يوم ومع ذلك لايتحرك لاغلب الناس ساكنا فاين هي الغيره ايه المومنون وانتم تشاهدون اليوم معابد البوذين تبني في دوله اسلاميه من اموال المسلمين لعباده البقر في دوله عربيه واسلاميه تشيد معابد للاصنام بعد الف واربعمائه واربعين سنه من هدم المسلمون للاصنام وتطهير الجزيره العربيه من الاصنام والاوثاون يتم اليوم اعاده بناء معابد لعباده الاصنام يتم تشيد معابد لام العجل في وطننا الحبيب وجزيره الرسول الكريم فاين هي غيره العلماء من هكذا فعل اين انتم يامشايخ الحرمين وياعلماء الازهر الشريف من غيره وغضب موسي

الذي القي الالواح التي ذهب لاجل تلقيها من ربه ان هذا الفعل من موسي هو لتعلموا ان حفظ ما في الورق و الصحف والالواح لافايده منه ما لم تحفظ. احكامه

لتعلموا ان الالواح تحتاج الي قوه غضب تحمي الحق وانكار المنكر لا التباهي بالالواح وطباعه المصاحف علي نفقه دوله تقوم ببناء معابد للهندوس في ارض الاسلام فموسي القي الالواح رغم محبته لها لان الغضب لله هو مصدر قوه الاخذ بالالواح ومافيها وبدون وجود قوه الغضب لله والحب في الله تصبح الالواح مجرد زينه فسامري العصر الحديث هو نفسه سامري بني اسرائيل بل ان سامري اليوم بيده المال والنفوذ والسلطه يطمح للسيطره علي مقدرات الامه الاسلاميه كلها تجاوزات طموحه الحدود فلم يكتفي بتشجيع عباده الاوثان في ارض الاسلام بافتتاح اكبر معبد هندوسي وثني في ارض الاسلام دون خجل او خياء بل سمح باقتناء تماثيل بوذا وغيرها لتعبد في ارض الاسلام ويعمل علي نقل هذه التجربه المذمومه لبقيه اوطاننا الحبيبه يعمل جاهدا لمحاربه كل صوت اسلامي في اي مكان لقد استعان بعصابه اجرام لتصفيه علماء وائمه وخطباء المساجد في عدن كل ذلك لاجل ارضاء الفكر السامري الذي يحكم عقول الصهيونيه العالميه اليوم فالصهيونيه اليوم امتداد لفكر السامري الذي جعل موسي ينزع لاتخاذ موقف عملي برمي الالواح الثمنيه وجر راس نبي الله هارون اليه انها عقيده الغيره علي الدين فالامر في غايه الخطوره والا ماكان موسي ليلقي الالواح التي فيها منهج الوصول لرحمه الله وهدايته

ان عليكم يا علماء المسلمين اليوم ان تدركوا ضخامه المسووليه الواقعه علي عاتقكم فموسي قام بجر راس نبي الله هارون وسحبه اليه لم ينظر لصله القرابه ولا لمنزله هارون وانه نبي فمن انتم بجانب هارون ومنزلته من الله فالمواقف لاتحتمل السكوت فمشاهده شريعه الله تنتهك والمقدسات تهدم والترويج للفسق والعصيان تتم بابواق اسلاميه وعقيده الشرك ومعابدها تبني في ارضنا دون ان تحركوا ساكنا يعني ان الغيره لم تعد موجوده يعني ان غضبكم ليس لله وانما للمال والجاه والمناصب فعليكم ان ترجعوا حساباتكم قبل فوات الاوان فالغضب لله من ثمرات اجلال الله ومهابته ولاخير في عبد لايغضب لمولاه

المفهوم الثالث

ان التفويض ببعض الصلاحيات لنواب في ادراه العمل والموسسه امر مطلوب لتسهيل الاعمال ولكن ينبغي ان يتزامن مع الرقابه والمحاسبه للمقصر فالايه تخبرنا ان راس نبي الله تم سحبه من قبل موسي بالقوه يجره اليه ف لا عاطفه في الحق ولابد من محاسبه العاملين فلا ينظر الي القرابه بل الزام الحق لمن لزامهم وان ثقل عليك وعلي الاخرين فالحاكم عندما يلزم الحق فان له عاقبه محموده بحفظ الدوله في الدنيا ونيل السعاده في الاخره

فالغضب علي المسي بحضرته متضمن للاجلال وزجر للمسي عن انتهاك الحرمات

المبحث الثالث

تنقل لنا الايات رده فعل هارون علي فعل موسي اثناء ثوره غضبه

فقال تعالي (قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولاتجعلني مع القوم الظالمين) ثم جواب موسي (قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الرحمين)

الامر الاول

ابتد ا هارون بامتصاص ثوره غضب موسي فقال (ابن ام)

فلم يقل ياموسي ولا ياخي ولا ابن ابي لان موسي وهارون اشقياء لاب وام لان المقام مقام استعطاف وطلب رحمه واستيعاب ثوره غضب اخيه التي بلغت ذروته فهو يحتاج للعطف والحنان فالاحري ان يذكره بامه ورحمتها وعطفها له وفعلا تحقق له ما اراد فقد استوعب غضب اخيه فاذا موسي الشديد الحازم يقول بعدها (قال رب اغفر لي ولاخي ...الخ

وهذا فيه

المفهوم الاول

ان اللازم عليك ان تختار الالفاظ في الدعوه وان تحسن توظيفها

فالدعوه تحتاج الي الالفاظ الرقيقه التي تلين القلوب وتنشرح لها الصدور ويخفق لها الفواد فتصل الي اعماق النفس الداخليه فيحصل التاثير وتحدث الاستجابه

المفهوم الثاني

ان الاخ الذي يشد به عضدك هو الذي يستوعبك اثناء ثوره غضبك

المفهوم الثالث

علينا ان نومن بتفاوت طباعنا وانفعالاتنا فالاختلافات بين العقلاء لابد ان تحدث نتيجه لذلك ولهذا فنحن بحاجه الي التفاهم فيما بيننا وان علينا ان تحمل بعضنا بعضا بالذات وقت الغضب فاللازم ان يستوعب كل اخ اخاه وان نعمل علي تهدئه بعضنا فقد قدم لنا هارون اروع نموذجا لاستعياب الاخ لاخيه فذكره برابطه الاخوه مستعملا افضل الالفاظ القادره علي استعياب غضب اخيه فقال ابن ام ثم ذكره بمخاطر الاختلاف بين ابناء الدعوه ف المستفيد منها اعداء الدعوه فاستوعب موسي حجه اخيه وفهم ان الهدف هو منع تفرق بني اسرائيل فهذه هي الع لاقه التكامليه التي تنتج من تفاوت الطباع فموسي كان ذو طبيعه شديد الانفعال بينما هارون كان ذو طبيعه هادئه فكان ذلك فيه التكامل الذي يكمل كل واحد منهما الاخر

الامر الثاني

ما دلاله ذكر وحذف حرف النداء (يا) في قوله (ابن ام)

حيث ذكرت في سوره طه وحذفت في الاعراف

ان هذا يعود الي مقام السياق ففي سوره طه نحد ان المقام مقام البسط والتفصيل فجاء ذكر الحرف ياابنئوا اما في هذه السوره فان المقام مقام ايجاز وجاء ذكره باختصار ولهذا حذف

الامر الثالث

يكشف هارون لاخيه موسي عن حقيقه موقفه بانه لم يفرط ولم يقصر بالقيام بالمهمه ولكن كانت هنالك ظروف ومتغيرات طرات في سلوك بني اسرائيل تتطلب التعامل معها فقال تعالي (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)

نفهم من النصوص انه حصل تمرد وعصيان لهارون من بني اسرائيل فلم يستجيبوا لامره مندفعين لعباده العجل ورفضوا الاستجابه لنصيحه هارون وخالفوه فاستضعافهم اياه تركهم طاعته واتباع امره وانه وصل الامر بينهم الي طريق مسدود فقال (وكادوا يقتلونني) قاربوا ولم يفعلوا اشاره الي ان التمرد اصبح امر واقعا ووصل الخلاف لطريق مسدود فلم يعد للنصيحه فائده سوي غلق الابواب وهناك متربصين بالدعوه يريدون شق الصف وهم مستغلي الصراع ودعاه التفرق فالسياسيه تقتضي خلق طرق جديده وعدم الوقوف امام المشكله بايدي مكتوفه ولسان معقوده وسط دائره مفزعه فكان من الحكمه فتح طرق جديده تضمن امكانيه استعاده زمام المبادره ومعالجه الداء

ومثل هذه المتغيرات تحتاج الي اساليب جديده في التعامل ومعالجات جديده تحتاج الي سعه افق وعمق ادراك فالتطورات المفاجاه التي حدثت كانت سريعه تحتاج الي اتخذ اجراءت سريعه لانها تمنع القياده من التفكير علي مهل والتقرير علي مهل كما هو الحال عند التفاعلات الاجتماعيه التي تاخذ مسارها علي مهل فالجريان السريع للا خداث يحتاج الي سرعه تتلائم مع سرعه التفاعلات فواجب القياده ان تعمل علي احتواء الموقف ومنع تفاقم الا زمه والحد من اثارها ولهذا ذكر هارون لاخيه انه خاف ان تتمزق وحده بني اسرائيل في ظل وجود مستغلي الصراع ودعاه التفرق ولهذا قال بعدها (ولاتشمت بي الاعداء)

ان الاختلاف يظهر للاعداء عورات الاخوه فيجد دعاه التفرق ومستغلي الصراع الذين لايخلوا منهم اي شعب من الشعوب فهولاء لايقرون اتحاذ الكلمه ولايقبلون بالوحده لانهم يفقدون مصالحهم الشخصيه وامتيازتهم الذاتيه التي تذوب وتنصهر داخل التجمع الكبير الذي يحدد الاهداف والمصالح العامه فالاعداء متربصون بالمومنون يبحثون عن ثغره لينفذو منها فاللازم علي الاخوه ان يحلو مشاكلهم بعيدا عن الانظار

وفي هذا درس عظيم للدعاه لعلاج مشاكلهم مهما كانت بعيدا عن اي اسلوب يجلب شماته الاعداء ولهذا ينبه هارون اخيه موسي الي انه يحتاج نصيحته لكن لايوجعه بما يجعل الاعداء يشمتون. به فعليك ايه الداعيه ان تحذر التفخيم والتشهير لزلات الصالحين لانها من شماته الاعداء وسميت شماته من قولهم شمت فلان فلانا اذا ذكره بما يكرهه المشمت به

واختتم بقوله (ولاتجعلني مع القوم الظالمين)

يطلب من موسي ان يتوقف عن هذا الاسلوب حتي لايفرح الاعداء باهانته يقول له لست مشاركا معهم ولست من المشركين فلا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك مع الذين عبدوا العجل فانا لست منهم بهذا الاسلوب استطاع هارون اقناع اخيه موسي واستطاع استعياب ثوره غضب نبي الله موسي ولهذا لجاا ء موسي الي ربه طالبا (قال

رب اغفر لي ولاخي)

طلب محو الذنوب وان يغفر له مافعل باخيه وعلي القي الالواح

وان يغفر لاخيه اي تقصير كان قد وقع منه وعطف علي ذلك بالدعاء بقوله (وادخلنا في رحمتك) رحمه الله الواسعه يرحم بها كل الخلائق (الرحمه العامه) والمراد هنا الرحمه الخاصه التي من ادخله الله فيها حصل له النجاه والسلامه وعقب علي ذلك بقوله (وانت ارحم الرحمين) يصفه بانه ارحم الراحمين فكان هذا الوصف مناسبا بعد تذكير اخيه له بامه ورحمتها بابنها فجاء ذكر ان الله ارحم الرحمين فرحمته اعظم واجل واكبر من رحمه الام بابنها

رابعا

ياتي التعقيب علي ماسبق فقال تعالي (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم)

حيث يلاحظ ان الايات تضمنت الاتي

الحكم علي من عبد العجل بتعجيل العذاب لهم والعقوبه في الدنيا فقال تعالي (سينالهم غضب من ربهم وذلة) وهي الهون كعقوبه الله اياهم علي كفرهم بربهم عاجل في الدنيا وعقب علي ذلك بالوعد بان هذه عقوبه لكل مفتري يبتدع في دينه (وكذلك نجزي المفترين) ثم عطف علي ذلك بذكر قاعده التوبه ومحو الله الذنوب وهذا فيه الاتي

الامر الاول

الحكم هنا من الله تعالي بشان من عبد العجل ولهذا نجد ان الكلام فيه اتصال كلام الله سبحانه وتعالي بما يحكيه هنا من كلام عبده موسي عليه السلام فجاء هذا الاتصال بالحكم الفاصل ممن يملكه سبحانه وتعالي لبيان ان اللازم اتباع الرسل وما جاوا به

يخبرهم ان معرفه الله وصفاته من خلال كتابه وسنه رسوله والابتعاد عن الراي والهوي مع وجود الدليل فالذين عبدوا العجل وامثالهم ممن يعتقدون بالتشبيه والمعطله للصفات كلها او بعضها لايعتمدون علي ماجاء في كتاب الله وماجاء به الرسل ولكنهم يعتمدون علي ما يظنون انها اداله عقليه يعارضون بها ما جاء به الرسول فهولاء ابتدعوا العجل برايهم واعرضوا عن توجيهات هارون ولم ينقادوا لنصائحه ولهذا عوقبوا بالذل والهون في الدنيا

الامر الثاني

ان هذه عقوبه لكل من يبتدع ويحدث اصولا في دين الله الي يوم القيامه ان يذله الله تعالي لان المبتدع يخالف ماجاء به الرسل من ربهم وياخذ برايه وهذا يقود الي الفريه علي الله فالاصل ان تجعل قول الله ورسوله هو الا صل وتجعل اقوال الناس التي توافقه او تخالفه متشابهه فتحمله علي ذلك ولهذا يخبرنا الله ان الذل عقوبه من يخالف منهج الله لان سنه الله تعالي انه جل ثناوه

يجزي الانسان بجنس عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه فان كان قد قدح بهم ونسب مايقولونه انه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلي بعقله وعمله وظهر من جهله ماعوقب به ومن تعمد تكذيب الرسل اظهر الله كذبه فنحن نعلم ان فرعون سخر من موسي وهارون ووصف فرعون بانه(ساحر كذاب) ووصفه بانه(مهين ولايكاد يبين) وانه يريد الافساد في البلاد وقد اهلك الله فرعون واضهر كذبه وافتراءه علي الله ورسوله واذله الله غايه الاذلال واعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجه

وبني اسرائيل خالفوا وصايا موسي واشركوا بالله خالفوا هارون واستضعفوه وانخدعوا بغوايه السامري وافتراه علي الله تحت تاثير الاعجاب بالراي فكان العقاب بالذل والهون وقد اخبرنا الله في سوره طه (قال فما خطبك ياسامري.....الي قوله (قال فاذهب فان لك في الحياه ان تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الي الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لااله الاهو وسع كل شي علما)

فهذا العقاب الذي عوقب به السامري فكان يهيم في البريه لايمسه احد علي افتراه علي الله وكذلك كان عقاب البقيه كما ورد في سوره البقره فقال تعالي

(واذ قال موسي لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الي بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم)

بان يقتلوا انفسهم وقد قبل الله توبتهم وبالتالي فلا تعارض. في النصوص ولاتلغي الايه قاعده قبول توبه التائبين

الامر الثالث

تبين النصوص ان الايمان بالله والرسول واتباع ماجاء به من ربه والجهاد في دينه سببا لخير الدنيا والاخره و العكس بان البدع والالحاد ومخالفه ماجاء به الرسول من ربه سببا لشر الدنيا والاخره وهذه سنه الله ووعده الي يوم القيامه فقال تعالي

(وكذلك نجزي المفترين)

بان الذل والهون عقوبه كل من يفتري علي الله الكذب بالبدع وغيره ولك ان تنظر اليوم لحال المسلمين عندما تركوا العمل بمنهج الله فقد تسلط عليهم الاعداءفالدول اذا ظهرت البدع فيها التي تخالف دين الله الذي جاء به رسله وحدث الفجور المخالف لشرع الله سلط الله عليهم الاعداء وهذا هو سبب معاناه المسلمين اليوم فلو اقاموا منهج الله في حياتهم وقهروا المنافقين والمبتدعين فان الله سوف ينصرهم علي اعداءهم تحقيقا لوعده سبحانه وتعالي القائل (يايها الذين امنوا هل ادلكم علي تجاره تنجيكم من عذاب اليم .....الي قوله واخري تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين)

فهذا هو مفتاح النصر علي الاعداء واستعاده العز والتمكين

الامر الرابع

تبين الايه ان باب التوبه مفتوح لكل تائب يعود الله من ذنب كان صغيرا او كبيرا كما قبل توبه من عبد العجل بعد كفرهم وبعد ان ارشدهم الله الي التوبه كما ذكرنا في الفقره الثانيه بما ورد في سوره البقره (واذ قال موسي لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخذكم العجل فتوبوا الي بارئكم فاقتلوا انفسكم....الي قوله تعالي (فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم)

ولهذا قال تعالي هنا (والذين عملوا السئيات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم)

فمن عمل السئيات ثم رجع الي الله تائبا طالبا رضا الله وعمل مايحب الله وترك ما يكره الله فان الله يقبل توبته وهو ساتر ذنوبه ولايفضحه بها فهو تعالي رحيم بعباده ولهذا جاء باللام المزحلقه في (لغفور)

القسم الرابع

ابتدات ايات هذا القسم بقوله تعالي (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ

للذينَ هُمْ لرَبِّهِمْ يَرْهبُونَ)

تبيّنَ الايه الاتيَ

المبْحثُ الاوّلُ

انَ الانبيّاء لهمْ خصائصُ البّشرَ يغضبون ويتالمون ويفرحون ويعانون وهذه الخصائص من اهم الميزات التي توصل الدعوه للنفوس فمقياس النجاح يعتمد علي واقعيه الرساله وبشريه الرسول الذي يعرف من خلاله ما يحمله للناس من اوامر ربانيه

ولهذا نجد ان الجمله مستانفه مسوقه لبيان المبالغه في علامات غضب موسي لما راي قومه يعبدون العجل فقد القي الالواح واخذ يجر براس اخيه فهذه علامات كمال الايمان لان الغضب لله فهذه هي عقيده الغيره علي دين الله فقد كان النزوع لذلك الموقف العملي من رمي الالواح واخذ براس اخيه لان الموقف الذي شاهد فيه حال قومه استفزه فكان الغضب شخصا يكلم موسي يقول له افعل كذا افعل ثم سكت هذا الغضب وهدا فهل كان غضب موسي لاجل نفسه كلا انه غضب لله تعالي ولهذا فان هذا الغضب محمود لانه يعبر عن عقيده الغيره علي دين الله

فاستعمل الاستعاره المكنيه لتاكيد معني الغيره علي دين الله وتوضيحه حيث تصنع لك المعاني الذي ترسمه اسناد السكوت الي الغضب صوره محسوسه تصور لك الغيره لدين الله تصوريا ترتاح له النفس حيث ترسم مشهد الغضب كانه كائن حي يدفع موسي ويحركه ثم تركه بعد ذلك فاثبت للغضب المشاركه في امر الغيره علي دين الله واثبت له السكون علي طريق التمثيل والمراد بهذا ان تحدث هذه المعاني هزه نفسيه تجعلك تستعمل قوه الغضب في محلها فالغضب المحمود هو الذي يدفعك لتغضب فيما يرضي الله ولهذا نجد ان الايه جاء موكده لهذه الحقيقه التي تناولتها الايات قبلها فقال تعالي (ولما سكت عن موسي الغضب)

اي ولما زال عن موسي الغضب لان حقيقه السكوت زوال الكلام وحقيقه زوال الغضب عدم وجود ما يدل عليه من الكلام او غيره في تلك الحال وغضب موسي من حال قومه عندما انحرفوا فقال تعالي (قال بئسما اخلفتموني ...الخ والقي الالواح فكانت تلك مظاهر الغضب ولما زال الكلام الدال علي الغضب حسن استعاره السكوت للغضب وهذا من سر جمال الاستعاره المكنيه في تاكيد المعاني وتوضيحها

المبحث الثاني

هل سكوت الغضب يلزم حصول الرضا

لا يلزم لان موسي لم يراض علي فعله قومه علي ارتكاب المعصيه حتي تحصل التوبه ولهذا ذكرت النصوص سكوت الغضب عنه دون حصول الرضا لانها استعاره معقوله لمعقول للمشاركه في امر معقول فذكرت سابقا (ولما رجع موسي الي قومه غضبان اسفا)

فاذا اخذنا بقول من اعتبر الاسف الحزن فان الايه افصحت عن سكوت الغضب دون ذهاب الحزن عن موسي

المبحث الثالث

تبين الايه انه بعد سكوت الغضب عن موسي اخذ الالواح التي القاها فقال تعالي (اخذ الالواح) فماذا فيها؟

يخبرنا الله انه منسوخ عليها اوامر الله ونواهيه وتوجيهاته وتعاليمه فيها بيان الحق وطريق السلامه والنجاه و الوصول الي هدايه الله و رحمته للذين يخافون الله تعالي

وهذا فيه بيان الاتي

1

عليك ان تدرك ان الوصول الي رحمه الله الخاصه وهدايته الخاصه بالسداد والتوفيق والنجاح والطمانينه والراحه النفسيه انما تكون بذكر الله واتباع منهج الله تعالي

فرحمه الله وهدايته العامه تشمل كل المخلوقات فهو تعالي خلق الناس ليرحمهم كما قال تعالي (الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)

فرحمته وهدايته العامه هو انه تعالي لم يوكل امر الايمان لمافي الانسان من فطره ولايعذبهم حتي يبعث رسولا كما اخبرنا الله فهذا من رحمه الله بعباده ولذلك يرسل الرسل يحملون المنهج الرباني وهذه هي الهدايه العامه

ومساله الهدايه الخاصه والرحمه الخاصه متوقفه علي قبول الهدايه العامه المنهج الرباني وهذا متوقف علي صلاح المحل لاستقبال انوار الله وهو القلب لقوله تعالي (فما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسري واما. من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري)

فهذا هو قانون التيسير الي الحق او الي الغوايه اي ان القبول بمنهج الله والعمل بما فيه يصلك الي رحمه الله ولهذا استعمل كلمه

(لربهم يرهبون)

اي ان الذين ينتفعون بالمنهج هو الذين يخافون ربهم ويخشون الله تعالي اي ان الفاعليه الايجابيه التي تجعل للعقيده تاثير علي حركه الانسان في الحياه انما تكون لمن يشعر بوجود الله وليس مجرد العلم بوجود الله فدور العقيده هي تحريك الطاقات وبدون هذه العقيده فان الفاعليه اما ان تكون مفقوده لجمودها واما ان تكون سلبيه ولهذا ورد في الايه ان الوصول الي رحمه الله وهدايته انما يكون بالاخذ بالمنهج مقرونا بقيد هو (للذين هم لربهم يرهبون)

لماذا؟

لانهم يتحررون من كل الاوهام والاصنام فلا يخافون في الله لومه لائم فخوف الله يعيطهم قوه يواجهون بها كل الناس بالاعتزاز بالله فمن كان الله معه فما الذي يخافونه

لانهم عرفوا الله بقدرته وعظمته وجلاله وغناه ورحمته لهذا انتفعوا بما في منهج الله

لانهم يشعرون بوجود الله ولهذا يخافون ان يراهم الله في معصيه انهم يتصلون بالغيب وتتصل ارواحهم بربهم

وبهذا تكون فاعليتهم ايجابيه وناسب هذا دخول لام التقويه علي المفعول به المقدم مراعاه لتاخير الفعل عن المفعول به.

ثانيا

(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)

المَبْحَثُ الأوَلُ

قَالُ الالوَسيَ ُهيَ تتمّمُه لشرَحُ اجوَالُ بني اسرائيل وقال البعض هي استدعاء التوبه وكيفيه وقوعها

المهم هنا ان الايه تبين ان موسي قام باختيار سبعين رجلا من بني اسرائيل والاختيار يعني الانتخاب والاصطفاء فدل هذا انهم النخبوه والصفوه المختاره من القوم فهم خيره بني اسرائيل فهم كانوا من خيرتهم وهنانجد في التعبير القراني جوده الالفاظ لانه استعمل في الجمله البدل او عطف بياني فقال تعالي (واختار موسي قومه سبعين رجلا)

وهو ما فيه اتسع المعني فلو انه قال (واختار موسي من قومه)

فانها لاتحتمل الا معني واحد وهو مفعول به لكن قوله (واختارموسي قومه)

جعلتهم الايه بدلا عن من القوم جميعا في الاختيار او عطف بياني

وكان بني اسرائيل علي كثرتهم لايوجد من بينهم فضلاء سوي هولاء السبعين فكان حذف (من) له دلاله تقضي الي معنين.

المبحث الثاني

(عدد الميقات المذكور في السوره)

الاختيار للسبعين رجلا من بني اسرائيل هو لاجل مناجاه الله واستغفاره عما حصل من القوم من عباده العجل فهولاء هم النخبوه والصفوه المختاره من بني اسرائيل للحضور الي الميقات الذي حدده الله لهم لطلب عفوه سبحانه وتعالي والاعتذار عما خصل منهم

اي ان السوره تتحدث عن ميقاتين. الميقات الاول مناجاه موسي ربه ...واما الميقات الثاني فهو للاعتذار والا ستغفار بعدما عبد بني اسرائيل العجل

المبحث الثالث

تخبرنا الايات ان في هذا الميقات الذي كان حضور الصفوه من بني اسرائيل للاستغفار والاعتذار اخذهم الله بعذاب الرجفه

حسب اراء المفسرون اما الصاعقه التي ادت موتهم جميعا ثم احياهم الله بعد ذلك وقال اخرون انها ادت الي اصابتهم بالغشي ثم افاقوا وبغض النظر عن قول اولئك واولئك فان المفهوم من ذلك ان الله انزل بهم نوعا من العذاب والسوال هنا ما هو الذنب الذي ارتكبوه لانزال العقاب بهم؟

ان الاجابه عن هذا السوال فيه بيان طبيعه غلاظه الحس لدي بني اسرائيل وقساوه القلوب وسوء الادب نتيجه الا ستعباد الطويل

حيث انهم لما وصلوا الي الميقات الذي وعدهم الله للاعتذار والاستغفار تجروا علي الله جراءه كبيره واساوا الا داب معه فطلبوا ان يروا الله جهره كما حكي الله لنا في موضع اخر انهم قالوا (لن نومن لك حتي نري الله جهره ..الخ

فهولاء هم الصفوه ونخبوه المجتمع الاسرائيلي فكيف كان حال العوام والبقيه فالايات ترسم لنا مستوي الانحطاط

الذي وصل اليه بني اسرائيل

المبحث الثالث

في هذا الموقف لجاءء موسي الي التضرع لربه طالبا منه تعالي ان يعفو عنهم وما فعلوا قائلا (قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي)

يارب لو اهلكتهم من قبل خروجهم معي الي هذا المكان وان تهلكني معهم فاقع في الحرج الشديد من بني اسرائيل فيقال لي ذهبت بخيارنا لاهلاكهم

ثم جاء بالاستفهام للاستعطاف (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) اي يامولنا لاتهلكنا بذنب غيرنا من الحمقي فاذا كان هولاء السفهاء قد خرجوا عن طاعتك وخرجوا عن الاداب في التعامل مع ربهم فنحن يارب خاضعون لك

ثم يتوجه الي ربه قائلا (ان هي الافتنتك تضل. بها من تشاء وتهدي من تشاء)

يعني انه لابد ان يفتن كل شخص والفتنه تعني الابتلاء والامتحان

فالله يقول في موضع اخر (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا. وهم لايفتنون) والايه فيها التحذير من الا عجاب بالنفس لانها تودي الي السقوط بالامتحان فالسبعين الرجل من بني اسرائيل كما اوضحنا كانوا خيره بني اسرائيل وكانه لايوجد في بني اسرائيل افضل منهم

فكان ذلك الاختيار والاصطفاء ابتلاء وامتحان لهم ليضعهم الله في حجمهم الحقيقي لانهم اعتبروا ذلك الا صطفاء دليل علي عظمتهم فكان هذا التوهم والخيلاء سببا لجراءتهم علي الله ولذلك وفشلوا في الامتحان لان رغبتهم انصرفت عن طاعه الله الي التفاخر بالنفس ولذلك كانت نتيجه الامتحان الفشل وكان اخذهم بالزالزله الشديده الرجفه ليعرفوا حقيقه انفسهم فمن عرف نفسه بضعفه وافتقاره لربه وعرف ربه بغناه وعظمته وقدرته وكماله وجلاله واحسانه فانه يقف عند حد نفسه ولايتعداها ويظهر الضعف امام ربه ويتادب مع ربه ولهذا تحدثنا ا لايه عن ان سلامه الانسان بعلم الانسان بنفسه وعلمه بربه وتعطينا نموذجا لذلك بمناجاه موسي ربه متضرعا له بخطاب فيه اجلال لربه وتعظيم خالقه فقال تعالي عن التجاء موسي لربه طالبا ان يكشف عنهم الغمه بقوله تعالي (انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين)

يارب انت القائم بامورنا كلها فانت ناصرنا لا احد غيرك فاغفر لنا الخطا الكبير الناتج عن عباده العجل واستر واخفي عيوبنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شي وانت خير الغافرين وهذا فيه طلب العون والمدد من الله لا جتياز الامتحان ونيل مغفره الله ورحمته

ولهذا فعليك ايه المسلم ان تتادب باداب العبد الصالح موسي في مناجاه ودعاء ربك حيث قدم طلب المغفره و الرحمه من الله مقرونا بالتسليم لله والاعتراف بحكمه ابتلاءه وختمه باعلان الرجعه الي الله والالتجاء الي رحابه فقال تعالي (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنه وفي الاخره انا هدنا اليك)

اكتب لنا حسنه اي اوجب لنا علي توبتنا وروجعنا اليك والتجاءنا الي حماك وطلبنا نصرتك حسنه في الدنيا وفي ا لاخره

وكلمه حسنه لها معني لغوي من الاستحسان. ومعني شرعي هو الشي الذي حسنه الشرع

ولهذا فاللازم علي الانسان ان ينظر الي الشي من حيث استحسان الشرع لا من حيث استحسان الانسان لان الهوي يوقع صاحبه في الهلاك والبدع فتكون نظرته بدعيه حيث نجد ان الكثيرون ينظرون للعلم ودليله وطريقه اي

انهم يعظمون النظر ويعرضون عن الارداه ويعظمون النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي فاهمال النظر الشرعي يعني ا لانحراف والوقوع في نتائج النظر البدعي الباطل المنهي عنه

القسم الخامس

لما طلب موسي من الله بدعاءه الحسنه والرحمه لقومه اجابه الله تعالي بقوله (قال عذابي اصيب به من اشاءورحمتي وسعت كل شي فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاه والذين هم باياتنا يومنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لااله الاهو يحي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسي امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

اولا

(قال عذابي اصيب به من اشاء وَرَحْمَتِيَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءَ)

والايه وردت في سياق اجابه الله لدعاء موسي ربه بعدما طلب قومه رويه الله جهره فاخذتهم الصاعقه ودعاء موسي ربه سبحانه وتعالي ان يرفع عنهم العذاب ويرحمهم ويغفر لهم وطلب الحسنه والرحمه لقومه وعللها بقوله ان هدنا اليك ...وهذا يعني ان مساله الرحمه تكون لك هاد اي راجع الي الله بالتوبه فان الله يكتب له الحسنه في الدنيا والاخره لمجرد عودتهم وتوبتهم فجاء الجواب

متضمن الاتي1

الامر الاول

اول ما يلفت الانتباه هو الالتفات في سياق الكلام من الغيبه التي وردت في الايات السابقه بقوله تعالي (واختار موسي قومه)

ثم جاء التكلم هنا مباشره (قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شي)

والمراد بهذا ان تدرك عنايه الله تعالي باجابه دعاء الداعين من عباده لتفهم انه لاحاجه للتوسط في اجابه الدعاء فجاء اظهار التكلم بلفظ الله وحده مناسبا لمعني المناجاه

الامر الثاني

تقرير ا طلاق المشئيه المطلقه لله فهي تضع الناموس اختيارا وتجريه اختيارا وان كانت لاتجريه الا بالعدل وبالحق وعلي سبيل الاختيار ايضا لان الله هو العدل ولايظلم ربك احدا ولهذا جاء الجواب بذكر العذاب في مقابل الرحمه وذكر سعه الرحمه لان العذاب انما ينشاء من اقتضاء من قبل المعذبين لامن قبله سبحانه وتعالي ف الله يقول (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم)

والله يقول (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذبي لشديد)

فالله لايعذب باقتضاء ربوبيته وعدله الا من يستحق العذاب

فهو سبحانه يقول لموسي عذبي الذي تخشي ان اصيب به قومك اصيب به من اشاء فقد اقتضت حكمتي ان

اجازي الذين اساوا علي افعالهم فالعذاب في حقيقته فقدان الرحمه حيث تحل النقمه بدل النعمه وهذا لايتحصل ا لا لمن يستحق ذلك من الكفره وعدم شموله بالرحمه التي سبقت الغضب فالعذب في حقيقته يعود لعدم وجود سبب الرحمه ولهذا ذكر الله منهم الذين يحظون برحمته بانهم الذين يخافون الله تعالي ويوتون الزكاه ويومنون باياته تعالي لبيان ان رحمه الله العامه ينالها البر والفاجر اما الخاصه في الاخره فانما هي للمتقين لان موسي علل طلب الرحمه. والحسنه في الدنيا والاخره بالرجوع الي الله بالتوبه فاخبره الله ان اسباب الرحمه الخاصه هو الرجوع الي الله بالتوبه والايمان الصادق والتقوي فهذه هي موهلاتها

المبحث الثاني

قوله تعالي (ورحمتي وسعت كل شي)

الايه لها ثلاثه تاويلات

الاول

ان المراد بالرحمه هنا العموم في الدنيا والخصوص في الاخره

اي ان رحمه الله شامله تسع العباد كلهم في الدنيا البر والفاجر المومن والكافر فاالله يرزق عباده كلهم فكلمه كل شي يعني شمول رحمته كل شي حتي تفاصيل ادق الامور ما ادركنا وما لم ندرك ما شعرنا به وما لم نشعر به كل شي فيه رحمه من الله حتي تلك الاشياء التي نكرهها ونري انها شر فهي رحمه من الله فعسي ان تكرهوا شئيا وهو خيرا لكم ...

فرحمه الله ينعم بها البر والفاجر شملت الجميع فهي من مقتضيات الالوهيه ولوازم صفه الربوبيه فما من مخلوق الا ووجوه نعمه الله تحيط به وهم مستفيدون من عطا الله فقد قسم الله من اجزاء رحمته جزء لمخلوقاته كلها انسهم وجنهم ووحوشهم وبقي تسع وتسعين جزء له سبحانه وتعالي فما تراه من رحمه الام بولدها حتي الوحوش التي تعطف علي ابناءها رغم قساواه قلوبها فتاتي لهم بالطعام كل ذلك جزء من مائه جزء. وبقي تسع وتسعين جزء من الرحمه اختص الله به نفسه فدل هذا ان رحمه الله تعالي تسع العباد كلهم في الدنيا بما فيهم الكافر والفاجر

اما الرحمه في الاخره فهي خاصه بالمومنين الذين يتقون الله تعالي ويوتون الزكاه وهم بايات الله مومنون كما ق ال تعالي (بالمومنين رحيما)

والايه نزلت بمناسبه طلب موسي من ربه ان يكتب الرحمه لهم في الدنيا والاخره فاخبره ان موضوع الرحمه في الدنيا تشمل جميع المخلوقات اما الرحمه الخاصه في الاخره فهي مخصصه للمتقين والمومنين

فاذا اردت الرحمه الخاصه فسارع اخي المسلم الي توحيد الله وطاعته وترك الشرك وسائر المعاصي فانه لايهلك ا لا جاحد كافر

الثاني

فالايه فيها الشمول والعموم كقوله تعالي اخبارا عن حمله العرش ومن حوله انهم يقولون (ربنا وسعت كل شي رحمه وعلما)

اي انها متعلقه بعموم التوبه فقد ورد في الحديث ان اعرابي جاء فاناخ راحلته ثم علقها ثم صلي خلف النبي

صلي الله عليه وسلم فلما صلي النبي صلي الله عليه وسلم اتي راحلته فاطلق عقالها ثم ركبها ثم بادر بالقول اللهم ارض عني ومحمد ولاتشرك في رحمتنا احدا فقال الرسول صلي الله عليه وسلم ايقولون هذا اضل ام بعيره الم تسمعوا ماقال قالوا بلي قال لقد خطرت رحمه الله ..وفي لفظ لقد تحجرت واسعا)فهذا القول من جهل الاعرابي لاترحم معنا احد مبالغه لما راه من حفاوه النبي له والرفق به والتوجيه للخير فهذا كلام الجاهل اما المسلم فيقول اللهم ارحمنا وارحم المسلمين جميعا وعباد الله كلهم

والرحمه تكون باتباع منهج الله تعالي لان فيه السكينه والاطمئنان والرخاء والرفاهيه للمجتمع لانه يحفظ حقوق ا لاخرين ويحرم الخبائث لانه يزيل الحسد والحقد والبغضاء ويخرج الانانيه من القلوب فمن الرحمه ان تجد مجتمع متماسك قولا وسلوكا مجتمع لايسمح للاختلاف في الراي ان يفسد النسيج الاجتماعي مجتمع يراجع الي كتاب الله.وسنه رسوله حال الخلاف والمنازعات

الثالث

مخرجها عام ومعناها خاص اي رحمتي وسعت المومنين من امه محمد صلي الله عليه وسلم

وهذا الراي يجب علينا ان نفهم ان المعني لايراد به علي اطلاقه

لانه ليس من الصواب القول بان المومنون من قوم موسي وعيسي في زمانهم الي ماقبل بعثه الرسول صلي الله عليه وسلم لم يحظوا برحمه الله تعالي فهذا القول يخالف المنطق وما جاء في القران من ان هنالك جمع من بني اسرائيل قبل بعثه النبي صلي الله عليه وسلم رضوا بالدعوه الالهيه فقبل الله ايمانهم ووعدهم بالخير والكلام الا لهي ناطق بهذا فكيف يمكن ان تقصر الرحمه الالهيه علي الفئه التي صدقت بالنبي بعد بعثته ونستبعد باولئك الذين ماتوا قبل البعثه وكانوا مومنين مصدقين بالحق

ولهذا فان المعني الخاص هنا بقوله (الذين يتبعون الرسول النبي ...الخ

مسوق لبيان حقيقه الدعوه المحمديه وانها هي الورايث لجميع مراحل الاديان والتدين فكان التعبير ب(يتبعون) بعد ذكر الايمان بالايات وهي الكتب السماويه والمعجزات والانبياء فالاتباع شرط الايمان فلا ينفع الاعتقاد دون العمل والتسليم والطاعه ولهذا ذكر في نهايه الايات (ومن قوم موسي امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

لبيان ان هنالك طائفه تتجه اينما يتجه الحق وتدور معه حيث دار

ولبيان حقيقه اجتماع الرسل علي امر التوحيد وطاعه امر الله تعالي فهم جميعا دعاه الي الله وما من رسول بعث الا بشره الله بالنبي الخاتم واخذ عليه العهد بالايمان به اذا بعث ونصرته كما ورد في ميثاق الانبياء بسوره ال عمران

وقد ذكر عن ابي حاتم في تفسيره عن ابن عباس انه لما نزلت الايه (ورحمتي وسعت كل شي)

قال موسي رب سالتك التوبه لقومي فقلت ان رحمتك منحتها لقوم غير قومي فليتك اخرتني حتي يخرج فاكون في امه ذلك الرجل المرحوم فهذه الايه كما قال شرحبيل بن حسنه لطلحه ابن خويلد اما علمت ان الله لما انزل هذه الايه طمع فيها كل شي حتي ابليس قال لما انزلت (كل شي) قال فانا من الشي فقال تعالي (فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاه ...الخ فنزع عنها ابليس فقالت اليهود والنصاري ونحن مومنون متقون فانزل الله (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) فنزعت اليهود والنصاري منها

ثانيا

تاتي الايات مبينه الذين هم اهلا لرحمه الله الواسعه والعظيمه في الدنيا والاخره الرحمه الخاصه التي اختص بها المومنون فقال تعالي (فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاه والذين هم باياتنا يومنون)

المبحث الاول

يقول الحق سبحانه وتعالي لموسي ان الرحمه الخاصه قد جعل الله لها اسباب توصل اليها فقال تعالي (فساكتبها) اي سوف اوجب حصولها احسانا منه تعالي كما قال (كتب ربكم علي نفسه الرحمه)

للذين يخافون الله تعالي...والذين يوتون الزكاه ...والذين يصدقون بايات الله وكلماته ومعجزاته وانبياءه

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الايه تضمنت اصلان هما جماع الدين والعلم هذان الاصلان

1/التعظيم لامر الله (التقوي) 2/الرحمه لعباد الله (ايتاء الزكاه)

فالتعظيم لامر الله يكون بالخشوع والتواضع وهذا هو اصل التقوي

واما الرحمه لعباد فتكون بالاحسان اليهم ...

الامر الثاني

عليك ان تفهم ان قاعده التيسير والوصول لرحمه الله تقوم علي قاعده (فاما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسري)

فالاعطاء والتقوي اساس قاعده التيسير لما سبق ولقوله تعالي (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

وقد اخبرنا الله ان التيسير للعسري. يكون بالبخل والكبر والفخر

(واما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنسيره للعسري)

ولهذا جاء تخصيص الوصول لرحمه الله الخاصه بالتقوي لان فيها التواضع والذل والخشوع والتعظيم لامر الله و الذل له وهو مضاد للخيلاء والكبر والفخر ولم يذكر الصلاه مع انها مقدمه علي سائر العبادات لان النقوي جامع لكل شي ثم جاء تخصيص ايتاء الزكاه بالذكر فيه تعريض ببني اسرائيل لانهم اتصفوا بالبخل والحرص علي المال فالزكاه متضمنه لنفع الخلق والاحسان اليهم وهو ضد البخل والتقوي متضمنه التعظيم لامر الله والخشوع والذل له

ثانيا

(الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والانجيل

المبحث الاول

(علاقه الايه بما ورد قبلها)

ان ذكر التقوي وايتاء الزكاه فيها التعريض ببني اسرائيل فالايات تكشف جانبا من طرف الغيب. في المستقبل

يطلع الله موسي عليه المله الاخيره التي اوجب الله لهم الرحمه وموقف بني اسرائيل منها للتعريض بهم وبحرصهم علي المال فهم اتصفوا بالبخل وكذلك اتصفوا بالكبر والخيلاء والفخر ولهذا يحثهم علي الاعطاء ومراعاه حقوق الناس والاحسان اليهم فهذا يكون به التخلص

من البخل وحثهم علي التقوي المتضمنه التواضع الذي هو ضد الفخر والكبر والخيلاء وايضا يامرهم بالايمان الصادق باليقين بايات الله فقال تعالي (والذين هم باياتنا يومنون) كما قال في ايه قاعده التيسير (فاما من اعطي واتقي وصدق بالحسني) فقد ذكر اهميه التصديق بايات الله فانه سبجانه وتعالي هو المعبود المراد المقصود بـ الدعوه فالعباده اسم جامع لكل ما يحب الله ويرضاه وغايه الحب الذل له تعالي فالعباده تتطلب الحب والتعظيم لان الشرك يوجب نقص المحبه والاستكبار يمنع حقيقه الذل لله تعالي

ولهذا جاء بعدهاقوله تعالي (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والا نجيل)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الاتباع للرسول هو وسيله الوصول الي المقصود فانه سبحانه وتعالي هو المعبود المراد المقصود من الدعوه التي حملها الرسل جميعا ولهذا فان المحبه لله توجب الذل والطاعه لله تعالي لان المحب لمن يحب مطيع ولهذا فان المحبه لله تتطلب اتباع رسوله لقوله تعالي في ال عمران (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) لانه يحمل الخير والرحمه من ربه والمومن متبع لامبتدع يتبع الانبياء ولهذا فان المومن الحقيقي يتبع الحق ولايمكن ان يقف معاندا او مكابرا فهذا هو الايمان الذي يقبله الله تعالي من العبد ان يكون مع الحق حيثما كان

الامر الثاني

ان الايمان الحقيقي ليس مجرد قول باللسان او اقرار بوجود الله فقط بدون عمل فهذا الايمان لاقيمه له لان ابليس لم يكن ينكر وجود الله ولا اليوم الاخر بدليل قوله تعالي بخصوص ذلك ان ابليس قال (انا خير منه خلقتني من نار) فهو مقر بوجود الله وانه الخالق وكذلك مومن بالبعث فقال تعالي (انظرني الي يوم يبعثون)

بل الايمان الحقيقي هو الذي يولد التواضع والاعطاء ينتج اثاره تكون للعقيده فاعليتها وقوتها الايجابيه وتاثيرها من خلال الشعور بوجود الله فنملاء نفوسنا به كمصدر طاقه فمعرفه الله تعني ان تبحث عن امره ونهيه تعني ان تسال عن منهج الله فهذا من لوزام الايمان الصادق وبالتالي تتبع ما جاء به الرسول من ربه لانه المصدر الوحيد الموثوق للحديث عن مراد الله لان علم الرسل هو الوحي وهذا يتطلب اخراج مافي النفس من اي ذره طلب علو او عناد مع معرفه الحق والعلم به فهذا هو المومن الصادق ولهذا قال تعالي (الذين يتبعون الرسول النبي الامي ...الخ

المبحث الثاني

ابتدات الايات بذكر ان المومن الصادق هو الذي يتبع الرسول النبي الامي

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

تقديم الرسول علي النبي وهذا يدل الاهتمام برساله الاسلام لان الرسول اخص من النبي

الامر الثاني

وصفه بانه امي وهذا بحق النبي صلي الله عليه وسلم شرف له لان الله تعالي تولي تعليمه وايضا في ذلك اثبات صدق نبوته وصحه ما جاء به من ربه فهو لم يجلس لمعلم قط

الامر الثالث

الايه تكشف عن التعنت في موقف اهل الكتاب من دعوه الاسلام والرسول الخاتم وتفصح عن عنادهم في استقبال النبي الخاتم وما جاء به وتكشف عن المعركه التي سوف تحدث مع اهل الكتاب فهو سوف يقفون بوجه الحق رافضين القبول بتحول قراءه المطلب الرباني الي القران الكريم ولهذا فان عدم اتباعهم الرسول الخاتم يجعل من ايمانهم بالتوراه والانجيل لامعني ولاقيمه له

المبحث الثاني

توصف الايه الرسول الخاتم بعده اوصاف

الوصف الاول

انه رسول الله للناس كافه وليس لقوم محدد

الوصف الثاني

انه اوحي اليه من الله بشريعه عامه كامله لكل الناس

الوصف الثالث

انه امي لايعرف القراءه والكتابه وهذه تدل علي صدق نبوته

الوصف الرابع

انه معروف نعوته في التوراه والانجيل وهذا اكبر دواعي التصديق بنبوته وصدق ما جاء به وبالتالي فهو لم يشرع شيئا من عنده ولم يشرع دينا لم ياذان به الله

الوصف الخامس

(يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)

فهو يامر بالحق الذي تقره الفطره وتحبه اذا لم تعارض بمانع عارض انه يامر بمكارم الاخلاق ومحاسن السلوك وغير ذلك من الامور التي توافق الفطره والعقول السليمه

وينهاهم عن مساوي الاخلاق

الوصف السادس

(ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)

وهذا من عظمه الشريعه الاسلاميه لانه احل لهم. من المطاعم والمشارب مافيها غذاء للاجساد والارواح مافيه مصالح الانام

وحرم عليهم من المطاعم والمشارب والمناكح كل مستقذر وخبيث

فالتحريم انقاذ للانسان من الوقوع في المفاسد

وهذه نعمه عظيمه توجب شكر الله عزو جل علي شريعتنا التي فيها كمال الانسان

الوصف السادس

(ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم)

الاصر :

يطلق علي الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركه لثقله ويطلق علي العهد لقوله تعالي (قال االقررتم واخذتم علي ذلكم اصري) اي عهد

وبني اسرائيل اخذ عليهم الله عهد التوراه وعهد الايمان بالرسول الخاتم

وكذلك عقابهم الله تعالي بسبب فسادهم بان حملهم اعمالا ثقيله فقال تعالي في موضع اخر (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم)

وهذا الثقل عقوبه لهم والاغلال جمع غل وهو يطلق علي السلاسل والقيود التي توضع علي العنق والايدي والا قدام ولهذا فان التعبير بالاصر والاغلال استعاره لما كان في شرائعهم من تكاليف وامور شاقه جزء افعالهم فشبه حالهم بحال من يحمل اثقالا تسمع اناته من ثقل حملها وفوق ذلك انه مقيد بالسلاسل والاغلال كما قال تعالي (ربنا ولاتحملنا ما لاطاقه لنا به)

فاخبر الحق ان مجي النبي الخاتم سيكون رفع هذه الاثقال عنهم والقيود من اعناقهم بالتيسير والتخفيف في الا حكام

من عظمه شريعه الاسلام ان الله جعلها سهله ولم يحملنا الاثقال كما كان حال من قبلنا وهذا من رحمه الله بنا فمن وصايا الرسول صلي الله عليه وسلم يسروا ولاتعسروا ...وقوله لمعاذ عندما اطال الصلاه افتان انت يامعاذ.... فالدين الاسلامي يقوم الي التيسير ولايحمل الانسان فوق طاقته

ولهذا تاتي الايه بعدها بقوله تعالي (فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون)

فطريق السعاده والفلاح يكون بالايمان بالرسول وتوقيره ونشر دعوته والاقتداء به واتباع القران واحكامه هو نور يستضي به الانسان ويخرج من الظلمات الي النور وهذا فيه السعاده الابديه

ثالثا

المبحث الاول

قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الاهو يحي ويميت)

وهذا فيه الامر الالهي لنبيه صلي الله عليه وسلم ان يتوجه بالخطاب للناس كافه يدعوهم الي الايمان بالله والا يمان برسالته العالميه فهو رسول الله لكل الناس يشمل العرب والعجم والايه مكيه وهي تكفي للرد علي افتراءت المستشرقين الذين زعموا ان رساله الاسلام للعرب وان الرسول صلي الله عليه وسلم اغراته الانتصارات التي حققها للقول بعالميه الرساله...فان هذه الايه تكفي لدحض تلك المزاعم

يقول لهم انه مرسل من مالك الكون والمتصرف فيه ومدبره فهو تعالي الغني وانتم الفقراء الي الله تعالي فالكون ومافيه شاهد علي عظمه الله وجلاله واحسانه وانعامه وعطفه وانه المتفرد بالالوهيه والربوبيه فالجميع عبيده

وبالتالي فالله تعالي هو المستحق بالعبوديه وحده لاشريك هو الذي يجب ان يكون القلب به متيم بحبه فلايشرك معه احد هو الذي ينبغي ان تستسلم له فهو الخالق والمالك والمتصرف والميهمن علي الكون ومافيه فهو له حق التشريع وحده لاشريك له وهو المعبود الذي لايشركه احد فهذا هو معني لا اله الاهو يعني ان تخرج من قلبك وعقلك ونفسك كل ماسوي الله فلا يبقي في قلبك الا الله فمن استسلام لغير الله فهو مشرك فالله الذي بيده الا حياء والاماته

فربط اتباع المنهج الرباني والايمان به بتحقيق الالوهيه لله وتوحيده وامتناع الشرك وفساد السموات والارض بتقدير اله غيره

المبحث الثاني

تبين النصوص ان القلوب لاتصلح الابان تعبد الله وحده فلا كمال ولاصلاح ولالذه ولاسرور ولافرح ولاسعاده بدون ذلك فالاهتداء الي صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين. والشهداء والصديقين والصالحين يكون بالتوحيد والا يمان بالله وبالرسول والرساله

(فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)

الامر الاول

ان الايمان بالله يوجب الايمان برسوله ونبيه صلي الله عليه وسلم فقد جعل الله الايمان ان تومن بالله وملا ئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره

فهذه هي اصوال عقيده الايمان واي خروج عن اصل من هذه الاصوال يخرج صاحبه من ظلال العقيده الاسلاميه فانت لو قلت انا مومن بالله وبرسله لكن لا اومن بالرسول الفلاني فانك لست مومنا وعقيدتك هذه بدعه خارجه عن الاسلام فالله يجعل الايمان به قضيه واحده لايتجزا عقيده اصليه تعني الايمان به وبرسله وكتبه وملا ئكته ...

ولهذا يقول لاهل الكتاب ان الايمان بالله يقتضي الايمان برسوله

النبي الامي

الامر الثاني

يصف النبي صلي الله انه (الذي يومن بالله وكلماته)

اي مومن بالله وبالكتب السماويه فهو مصدقا لما بين يديه فاللازم الايمان به كما ورد في عهد ميثاق النبيين

وايضا هذا فيه ان علي الداعيه الذي يدعوا الناس ان يكون مومنا بما يدعو الناس اليه لتجد كلماته وافكاره منفذا وطريقا لقلوب الناس وليكون لخطابه ودعوته تاثيرا علي الاخرين

الامر الثالث

(واتبعوه لعلكم تهتدون)

الامر باتباع الرسول صلي الله عليه وسلم واتباع سنته ففي ذلك سبيل الهدايه

فالعلم النظري لابد ان يلحقه عمل تنفيذي

رابعا

(ومن قوم موسي امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

تتحدث الايه عن وجود طائفه من اليهود يهتدون بالحق ويباشرون به حياتهم وشوونهم فهم لايجورون ولا يرتشون وانما يعدلون في شوونهم كلها وقد تعددت الاراء بالمراد بهذه الطائفه ومثل زمانها اشكاليه لبعض المفسرين. اوقعتهم في الخطاء بتاويل الايه بسبب

موقع الايه بعد ذكر رساله النبي صلي الله عليه وسلم وانها لجميع الناس حيث ذهب البعض للقول ان بني. اسرائيل كانوا اثني عشر سبطا وانه لم انحرفت بني اسرائيل عن منهج الله وكفروا رفض سبط منهم الكفر الذي وقعت به البقيه وانهم سالوا الله ان يفرق بينهم وبين بقيه بني اسرائيل وانه فتح لهم نفقا في الارض مشوا فيه سنه ونصف فوصلوا الي منطقه في الصين تحجزهم عن العالم وانهم علي الحنفيه يستقبلون قبلتنا لانلتقي بهم و لايلتقون بنا وهذا القول من الخرفات والاسرائليات ولاينسجم ودلاله النصوص وموقع الايه بعد ذكر امر الله بالا يمان بالله ورسوله واتباع القران وان الاسلام جامع لجميع مراحل الاديان والتدين يدل علي الاتي

الامر الاول

يعلم القران المسلمين العدل والانصاف في القول فلا يجوز التعميم في الالفاظ والاحكام علي الناس ليعم الناس كلهم الصالح والطالح بدون تميز فعليك ان تتعلم من طريقه القران في الحديث عن الامم فالقران يسوق احكامه بانصاف واحتراس فهو مثلما يذم الفاسدين يمدح الصالحين فهذه عداله في الاحكام تضمن انصاف الصالحين

فالايه كما قال تعالي (ليسوا سوا من اهل الكتاب امه قائمه...)

وكما قال تعالي (الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) وكما قال تعالي (وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم ...الخ وكما قال تعالي (الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون)

ولهذا لما تقدم ذكر معايب بني اسرائيل المنافيه للكمال المناقضه للهدايه. جاء بهذا الايه الكريمه كنوع من الاحتراز فيما تقدم

فاخبر الله عن بني اسرائيل ان فيهم طائفه استقاموا علي االهدي تابعوا الحق وصدقوا بنبوه موسي وهارون وانقادوا للحق احترزا لدفع توهم المتوهم الذي قد يعم جميع بني اسرائيل فجاءت الايه لدفع هذا التوهم مبينه ان فيهم طائفه يتبعون الحق ويعدلون في الحكم

الامر الثاني

تبين النصوص ان الامم العظيمه لاتخلو من اهل الحق والعدل ولهذا بعد ذكر معايب بني اسرائيل يقول الحق (ومن قوم موسي)

جاء فيه تخصيص لظاهر العموم الوراد في قوله (واتخذ قوم موسي ..الخ

لدفع التوهم بان جميع بني اسرائيل كانوا متمردين عن الحق والحكم بالعدل وهذا القول فيه اشاره الي التقليل وان معظمهم لايهتدي بالحق واستعمل الفعل المضارع يهتدون ويعدلون تفيد الاستمرار والتجديد لتصوير

الماضي في صوره الحاضر وهذا فيه بيان ان منهم طائفه اهتدوا بالتوراه قبل بعثه النبي صلي الله عليه وسلم وحكموا بها شوونهم وبعد بعثه الرسول صلي الله عليه وسلم صدقوا الرسول وامنوا به امثال ابن سلام والايه وردت في اطار بيان ان العلم بالتوراه ونعوت النبي فيها يوجب الايمان ودعوه الناس للايمان فاستعمل الباء في قوله (بالحق) للملابسه اي يرشدون الناس لطريق الهدايه. كونهم ملتبسين بالحق

فالايه فيها اخبار بان الامم لاتخلوا من اهل الحق والعدل فيها اخبار بسنه الله بان الارض لاتخلوا من اهل الحق كما قال تعالي (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

اي يعملون ويقضون وكما قال النبي صلي الله عليه وسلم لاتزال طائفه من امتي ظاهرين علي الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتي تقوم الساعه)

والامه جماعه اي لاتزال طائفه علي الحق منصوره لايضرها من خذلها والمراد بهذا بيان ان الحق لايزوال من الا مه فهذه سنه الله فالساعه لاتقوم الا علي اشرار الناس

الامر الثالث

فيها توجيه لنا بان نلزم الحق ونحكم به فلا تتبع ايه المسلم امر غير ما انزل الله فتخرج عن الحق الذي جاءك به الرسول صلي الله عليه.وسلم الي غير فان هذا عدول عن الحكم الحق عدول عن حكم الله الي حكم اخر حكم الباطل والجور والظلم

فاللازم ان تدور مع الحق خيث يدور ومع حكم الله فان فيه العدل والكمال فهذا هو ميزان المسلم والمومن. في ا لاشيا ء والاوضاع كلها اينما كان الحق تجده وهو يلتزم ميزان العدل بالحكم بما في كتاب الله

القسم السادس

تعود الايات للحديث عن بني اسرائيل وانحرفاتهم تحكي الايه الاحداث بعد الرجفه فقال تعالي

(وقطعناهم اثنتي عشره اسباطا امما واوحينا الي. موسي اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن. السلوي كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

اولا

ان الايات فيها اخبار الله برعايته بني اسرائيل وانعامه عليهم فبعد عبادتهم العجل وسوء الاداب منهم مع الله عندما طلبوا رؤيه الله جهره فقد عفا الله عنهم وتم تنظيمهم بان صيرهم الله اثنتا عشر فرقه حسب انسابهم فهم ينتسبون لابناء يعقوب الاثني عشر الوراد ذكر قصتهم في سوره يوسف فقال تعالي (وقطعناهم اثنتي عشره اسباطا امما)

وهذا فيه الاتي

اهميه التنظيم للجماعه وان يقوم هذا التنظيم علي التجانس بين افراد كل فرقه بحيث يكون الانتاج والتقدم فاصل (القطع) التفريق وابانه شي من شي بحيث يسهل اعاده ترتيب اوضاعهم وتشكيل عقولهم ومعالجه امراضهم

فالعزل هنا لان امراضهم كانت متعدده فالعزل علاج لمنع العدوي وانتقال الامراض

كما تخصيص التقسيم بالاسباط يقصد به توفير المناخ البيئي القادر علي استعيابهم فاطلق السبط لفظ يطلق للد لاله علي امتداد الشي فالسبط يعني ولد الولد والمقصود بهم قبائل بني اسرائيل المتفرعه من اولاد يعقوب وهو يهدف الي تذكيرهم باسلافهم الذين ينتسبون اليهم كي يقتدوا بهم ولهذا حذف تميز العدد وورد بصيغه التانيث فقال تعالي (اثنتي عشره اسباطا اسما) لان السبط اطلق هنا علي الامه ولهذا حذف تميز العدد لدلاله قوله (اسباطا اسما)

ثانيا

تخبرنا الايات ان تقسيم بني اسرائيل الي اثنا عشر مجموعه حسب قبائلها امر ذو فائده لترتيب اوضاعهم ومنع الفوضي فهو جزء من رعايه الله تعالي بهم ولهذا يخبرنا انه خصص لهم اثنتا عشر عينا في الصخره ليشربوا منها لمنع اي اعتداء من بعضهم علي بعض

فقال تعالي (واوحينا الي موسي اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينا قد علم كل اناس مشربهم)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

لما وصفهم الله بالكثره فقال وقطعنا .هم).ذكر ان ذلك استوجب التنظيم لامورهم وتوزيعهم الي مجموعات منظمه لمنع اي مشاكل بينهم وذكر جري الانعام عليهم بما فيها الكفايه في الاكل والشرب وابتداء بالماء لانه اصل الحياه فذكر انه اخرج لهم الماء من الحجر بضربه عصا فهذه معجزه حيث انهم اصابهم الظماء فطلبوا من موسي ان يدعوا ربه فاوحي الله لموسي ان يضرب الحجر بعصاه فخرج الماء وتحولت الصخر الي منبع اثنتا عشر عينا

وهذا لتعلم ان الله قادر علي كل شي فهو يقول للشي كن فيكون فالعصا تحولت الي ثعبان بقدره الله والعصا لما ضرب بها موسي البحر صار يابسا حولت الماء الي صخر وحولت الصخره الي ماء فهذا من طلاقه القدره الالهيه

الامر الثاني

تشير الايات ان بني اسرائيل كانوا يعانون من ضعف الارداه والعزيمه فجاء التعبير بالقوم اشاره الي تبكتهم فلم يكونوا اهل قوه ولم يتاسوا بموسي في الصبر الي ان ياتي الله بامره فقد عجزوا ان يتحملوا العطش وبادروا الي موسي طالبين ان يدعوا الله ان ينعم عليهم بالماء فقال تعالي (اذ استسقاه قومه)

بان الوحي من الله لموسي بضرب الحجر كان حين طلب قومه منه ذلك وانه دعا الله فامره الله بضرب الحجر ولهذا جاءت الايه بعدها بقوله (فانبجست منه اثنتا عشر عينا)

اي بمجرد ضرب موسي بالعصا حصل خروج الماء فدل هذا علي سرعه امتثال موسي لامر الله بالضرب بالعصا. وسرعه التاثر من ضربه حصل الانبجاس اثر تحقيق الضربه فكان الانبجاس اول خروج الماء من مكان ضيق يمثل معجزه خارقه

ثم كان بعد ذلك الانفجار بشكل غزير كما ذكر في البقره لان الانبجاس يعبر عن اول خروج الماء فهو يخرج مثل العرق من الجسد حيث ان من يعمل في حفر الابار يعرف ذلك لان بدايه الماء هو خروج ماء من الجدار او من التربه بشكل العرق يقال له عندنا في اليمن ينشع ثم بعد ذلك يكون انفجار العيون بالاتساع والكثره

فالانفجار ابلغ في كثره الماء ولهذا ذكر في البقره فانفجرت لان المقام ذكر تعدد النعم اما هنا فهو مقام تقريع

وتوبيخ وتانيب لبني اسرائيل فذكر المرحله الاولي من خروج الماء فانبجست. بينما في البقره ذكر المرحله الثانيه

الامر الثالث

ذكر ان الضرب بالعصا علي الحجر نتج عنها خروج الماء منها باثنا عشر عينا اي بعدد قبائل بني اسرائيل فهذه معجزه الهيه لتدرك ان كل شي يحدث يتم وفق اراده الله لقد اعتني بهم لدرجه انه جعل عدد العيون باعداد قبائلهم وحسب التقسيم الذي تم توزيع المجموعات لهم مثلما ذكر تعالي في المائده انه جعل عليهم اثنا عشر نقيبا لادراتهم ولهذا فان هذا العدد يراد منه ان تقف علي مدلولاته لتري عظمه الخالق وتدبيره لشوون عياده ولهذا استخدم (عينا) اشاره الي المكان الذي ينبع منه الماء اويسيل منه لا الي الماء بعينه فالمكان صخره لايخرج منه الماء اطلاقا وكذلك العدد جاء متوافقا مع عدد المجموعات الذي فيها تنظيم بني اسرائيل ولهذا قال تعالي بعدها (قد علم كل اناس مشربهم)

اي موضع شربهم معلوما لهم وواضحا فاسترحوا من التعب والمزاحمه ايضا وقطعت كل اسباب الخلاف والاختلا ف فلا يعتدي بعضهم علي بعض لان مشربهم محدد فهذا امر يدل علي الاستقرار لامورهم واطمنان نفوسهم ف القياده الرشيده من اهم. الاسس التي تمنع نشوا الازمات في المجتمع

فالايه تبين حرص موسي علي تنظيم قومه واخرجهم من حاله العشوائيه والفوضي التي كانوا يعيشونها لقد كانوا بحاجه الي التربيه علي النظام واحترام الهكيل التنظيمي. فهذه هي الوسيله لتربيتهم وخلق قياده تحترم المصلحه العامه علي المصلحه الخاصه لتخليصهم من فوضي الغشوائيه فقد جعل لهم قياده بعدد القبائل ترتبط بقياده نبي الله موسي فهذا التنظيم ضروري ومن الامور التي تودي الي تهذيب الانسان وانتظامه في الصفوف بـ العمل الذي يخدم الجماعه ويساعد علي ظهور القدوه الصالحه

المبحث الثاني

تستمر الايه بذكر انعام الله علي بني اسرائيل ولهذ ا بعد ذكر انعام الله عليهم بما يكفيهم من الماء يذكر الله نعمه اخري انعمها عليهم في زمن التيه (وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوي كلوا من طيبات مارزقناكم)

تبين الايه ان الله حماهم من حر الشمس بالتظليل من حر الشمس المحرقه وكذلك انزل المن وهو نوع من الشراب يشبه العسل قيل انه

كان ينزل علي الاشجار فميزجونه بالماء ويشربونه

والسلوي قيل انه طائر السماني وهذا كله تسهيل من الله لهم وتسيير الطعام والشراب لهم في فتره التيه

فهذه الاشياء كلها من عند الله ليس بكسب منهم فالاصل ان يشكروا الله تعالي ولهذا قال تعالي (كلوا من طيبات ما رزقناكم)

فجاء اسناد الرزق الي ضمير جمع العظمه تاكيدا علي انه الرزاق وللتنبيه والتذكير بما يجب من شكره تعالي

ولهذا يخبرنا انهم برغم تلك الرعايه لم يشكروا الله بل اقدموا علي معصيه الله فقال تعالي (وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

ولهذا فان اللازم عليك اخي المسلم اذا وقعت في معصيه ان تدرك انك بذلك انما االحقت الضرر بنفسك لانك اوردتها مورد الهلاك واستحقاق العقاب فالله غني عن العالمين لاينقص في ملكه عصيان العصاه شي ولايزيد في ملكه طاعه المطيعين شيئا

سابعا

تنقل لنا الايات جانبا من واقع بني اسرائيل وتاريخهم المعبر عن فساد فطرتهم وطبيعه نفوسهم التي اعتادت علي الانحراف بالسير بطريق معوج فتعرض لنا الايات نماذج لظلم بني اسرائيل لانفسهم بمخالفه امر الله التي اختتمت بها الايات السابقه بقوله تعالي (وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

تاتي الايات هنا تعرض لنا لظلم بني اسرائيل لانفسهم وانحرافهم

من خلال الاحوال والمواقف المعبره عن هذا الانحطاط والفساد من خلال هذه المشاهد

(المشهد الاول المعبر عن ظلم بني اسرائيل لانفسهم)

قال تعالي(واذ قيل لهم اسكنوا هذه القريه وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطه وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

تتحدث النصوص عن امر الله بني اسرائيل بدخول القريه والاكل منها حيث شاوا فما هي هذه القريه لم تذكرها النصوص هنا فمن العلماء من قال انها بيت المقدس الوراد ذكرها في سوره المائده بقوله تعالي (ادخلوا الارض المقدسه التي. كتب الله لكم.) والتي فيها باب يسمي اليوم باب حطه عند المسجد الاقصي ومنهم من قال انها اريحا لان موسي مات في زمن التيه. لان الفاء في قوله (فبدل الذين ظلموا منهم) تقتضي التعقيب موجب ان يكون ذلك التبديل وقع لهم عقب الامر وفي حياه موسي وموسي مات في ارض التيه لكن ليس في الايه ما يدل ان الدخول. بتلك الصفه كان علي لسان موسي او لسان يوشع عليه السلام الذي كان الدخول بيت المقدس في زمانه وبناء علي هذا نفهم ان الايه فيها عده مفاهيم وتوجيهات هي

المفهوم الاول

وعلي هذا المعني فان القصه تبين ان طالب النفوذ الي الله والدار الاخره يحتاج ان يكون شجاعا مقداما عاشقا لمطلوبه زاهدا عما سواه يجاهد نفسه ويقوم بتزكيتها من حب الدنيا لان النكول من بني اسرائيل عائدا لضعف الا رداه وضعف الايمان فغلبت الاغواش الردئيه اصحابها فذلك الدنس حال دون امتثال امر الله. فعدم صلاحيه المحل وفساد القصد ينتج عنه ضعف الانقياد فاللازم علي العبد ان يتدراك قلبه بازاله كل ما يدنسه فترك الشهوات. لله من اسباب النجاه من عذاب الله وتوجب الفوز برحمته تعالي

ولهذا تنقل لنا الايات هذه القصه لنحذر ما وقعوا فيه

المفهوم الثاني

تبين النصوص ان الفوز والنجاح يكون بالتمسك بالمطلب الاعلي فهذا فيه منفعه النفس وهذا يحتاج الي ارده قويه وهمه عاليه تنظر الي الاعلي واومره وحده لاشريك له فاذا حصل هذا فقد افردت الهمه لمطلوبها ارضاء الله وافردت له الطريق فسلكت طريقه المستقيم بعكس حاله تعلق النفس بالدنيا وما فيها من شهوات يعني ظلم النفس لانك تهمل امر تزكيتها وتنظيفها من الاوساخ ولهذا فان هذه النفس تمتلي بالقذورات والدنس وبالتالي توثر علي طريقه تفكيرها ونظرتها للاشياء فكل همها هو الدنيا وملذاتها ولهذا فان هذه النفس تتصف بالخبث ونوايا اصحابها خبيثه يسلكون طريق معوج يقابلون انعام بالجحود والنكران فجاء الاخبار بنكول بني اسرائيل عن تنفيذ امر الله لهم بدخول القريه وفقا لما امرهم فيه من القول والفعل لبيان كيفيه استقبال بني اسرائيل انعام الله

ورعايته عليهم لتفهم خطوره اهمال النفس بدون تطهير ولاتزكيه فذلك ظلما للنفس حسبما اختتمت به الايه السابقه فناسب مجي الايه بعدها بقوله تعالي (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القريه وكلوا منها حيث شئتم...الخ

تدل الايه ان الله هيا لهم الظروف للتمكين من دخول القريه وتمكينهم من العيش والسكن فيها بقوله (اسكنوا)

تدل علي النعمه اي ادخلوها لتكون وطنا لكم ومسكنا واتبعه باباحه الاكل منها حيث شاوا يدل علي تهئيه ظروف التمكين بان لهم التصرف في اي موضع من القريه وهذا فيه اشعارا بكمال النعمه واتساعها وكثرتها حيث نفهم من ذلك انها قريه فيها ثمار وانعام عديده وانه اذن لهم في التمتع بما فيها من اي مكان شاوا فكيف استقبل بني اسرائيل رعايه الله لهم وانعامه التي. لم يكلفهم علي استحقاقها تكاليف صعبه بل جعلها سهله ميسره فقد امرهم مقابل ذلك اثناء الدخول بان يلتزموا دعاء الله ان يحط عنهم السئيات والذنوب فقال تعالي

(وقولوا حطه) وان يدخلوها خاضعين لله (وادخلوا الباب سجدا)

ووعدهم مقابل طاعه الله وامتثال امره بمحو الذنوب وزياده اجر المحسن فكيف كان تصرفهم يقول الحق انهم بدلوا القول الذي امروا به فقالوا حنطه اي شعير ودخلوا يزحفون علي اساتهم فاستحقوا العقاب بالعذاب علي ما ارتكبوا من ظلم لانفسهم

فظلم النفس اهمالها وعدم تزكيتها من الاوساخ التي توردها موارد الهلاك

الامر الثاني

تبين الايه لك اخي المسلم ماذا يجب عليك من واجب عند تحقيق الله لك النصر والتمكين فيقول لنا الحق عليكم ان تسالوا الله ان يحط عنكم الذنوب واي تقصير فقال تعالي (وقولوا حطه)

والثاني الدخول سجدا (وادخلوا الباب سجدا) طبعا السجود هنا بمعني الخضوع لله شكرا علي انعامه التي لاتعد ولاتحصي لانه لايمكن الدخول في حال السجود فالسجود هنا يراد بها الخضوع لله كما قال تعالي (الم تر ا ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض)

فالرسول صلي الله عليه وسلم لما دخل مكه عام دخل ساجدا علي دابته وهذا فيه اعتراف بان النصر من عند الله فيه تنقيه النفس من الغرور والاعجاب واثاره والتي. تنشاء عنها ازمه قاتله لان الانسان في لحظه نشوه الفرح الزائد يخرج عن حد الاتزان فالاسلام يحذر من الفرح المذموم الذي يخرج صاحبه عن حد الاتزان ويدفعه للغرور فالله يقول في موضع اخر (ان الله لايحب الفرحين) ولهذا امر الاسلام بالسجود لله حال النصر فقال تعالي في موضع اخر (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)

الامر الثالث

تكشف الايه زيف الاحتلال الاسرائيلي في الوقت المعاصر وادعاءتهم انهم اهل الارض في فلسطين فالله يقول ان استحقاق الارض انما يكون بالسجود لله وطاعته وامتثال امره والخضوع لاحكامه والعمل بشرائعه فهذا هو شرط التمكين في الارض ولهذا فانه بعد بعثه النبي صلي الله عليه وسلم ونزول القران فقد صار القران هو المنهج الذي به معرفه مراد الله. من العباد ولهذا فان الاسلام هو الحاكم لها وطالما انهم لم يخضعوا لامر الله باتباع القران فانهم قد خرجوا عن طاعه الله والتحقوا بمدرسه الشر

المهم هنا ان الايه تبين لنا ان انحراف بني اسرائيل عن الطريق وخروجهم عن طاعه الله ليس امرا جديدا فهم قد خالفوا توجيهات ربهم وامره خالفوا رسل الله الذين ارسلهم الله كي يبنوا لهم ما يجب عليهم تجاه خالقهم و

الطريق الموصله الي الغايه من وجودهم ولكنهم رفضوا التضرع والخضوع لله والعمل بشرائعه برغم الاغراء الوراد في قوله تعالي (نغفر لكم خطيئا تكم سنزيد المحسنين)

بان ذلك من اسباب غفران الذنوب ورفع الدرجات فمن اراد العز والتمكين في الدنيا والاخره فعليه ان يكون محسنا في طاعته وعبادته لله لكنهم قاموا بتبديل امر الله استهزاء وسخريه مع الغرور والكبر فقالوا حنطه ودخلوا زحفا ولهذا يحذرنا الله من ان نقع في اخطاء اليهود وسلوكهم القبيح فهم قابلوا الاحسان بالاساءه والنعم بالجحود والغفران والصفح بالتمادي والطغيان ولهذا استحقوا الاذلال والهلاك استحقوا السخط والغضب الالهي

ثانيا

تنقل لنا الايات كيف قابل بني اسرائيل امر الله لهم فقال تعالي

(فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم)

التبديل تغير الشي. فهم بدلوا صيغه الدعاء التي امروا ان يقولها وكذلك بدلوا هئيه الدخول التي كلفوا بها سواء دخلوا علي اساتاهم زحفا او انهم لم يدخلوا خاضعين لاحكام الله واوامره

فدلت الايه انهم حرفوا اوامر الله فقد حرفوا القول استهزاء منهم وكانهم قالوا لماذا يامرنا موسي ان نقول هذا فقالوا علي وجه السخريه حنطه اي شعير وهذا التحريف يفهم من الايه انه حصل من بعضهم وليس كلهم فدل هذا علي الاتي

ان نفوسهم خبيثه متمرده كانها لم تتلق شي من التربيه والترويض برغم مرافقتهم الانبياء فلم ينتفعوا من اداب موسي الذي رباه الله تعالي فقال تعالي (والقيت عليك محبه مني ولتصنع علي عيني)

فاللازم ان تحذر افعال وسلوك الكفار اخي المسلم وعليك ان تقوم بتربيه نفسك علي الدوام

2

ان طبيعه الكفار في كل زمن واحده حيث يلجاون الي اسلوب الاستهزاء بالحق باستخدام الفكاهه لتشويه صوره الحق وهذا الاسلوب تتطور وسائله بتقدم البشريه فاليوم اصبح هنالك وسائل اعلام ودور سينما وقنوات اعلاميه تجد فيها اهل الكفر يستخدمون كل هذه الوسائل للسخريه من الحق حيث تحاول وسائل اعلام الكفر اظهار الاسلا م واحكامه بانه خرافات وتاتي بالممثلين الذين يجسدون ذلك علي سبيل السخريه والاستهزاء

وهذا يعود الي افلاس اهل الباطل امام الحق فعندما يعجزون عن المواجهه يلجاون الي هكذا امور وهذا يجب ان يقابل بجهود من العلماء للازاله ذلك اللبس ومنع الابناء من مشاهده مثل تلك الامور لان لها اثر سلبي علي الشباب توثر علي نفوسهم وطريقه تفكيرهم ولهذا حرم الله الجلوس في مجالس الاستهزاء بالدين فقال تعالي

(واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره ...الخ

3

تبين الايه ان المخالفه للمنهج عندهم كانت هدفا

****

بين النصوص عظم وزر من يبدل كلام الله او يحرفه عن موضعه

فذكر الله عقابه لهم فقال تعالي (فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون)

فالفاء في فارسلنا ..تفيد ان العقوبه كانت سريعه في الالقاء لان الفاء تفيد الترتيب مع التعقيب وسماه الله رجزا اي عذابا شديد وسماه بذلك لان الرجز يقود الي الاضطراب وزلزله وحركه مضطربه فاخبرنا ان ذلك كان بسبب الا ستهزاا ء والمخالفه للمنهج الرباني يقول الحق ان هذا الرجز السي الهائل (بما كانوا يظلمون)

فالباء هنا تدل علي السبب بان سبب ارسال العذاب الرجز عائدا لفعلهم الظالم فالعذاب من ارسله؟

لقد ارسله الله اي انه جندي مكلف بمهمه القضاء علي الطغاه

وماهو السبب؟

ظلم الطغاه لانفسهم بارتكاب المعاصي والمحرمات واستعمل المضارع (يظلمون) للاشاره الي ان ذلك كان من ديدنهم وعملهم المستمر وهذا فيه

عليك ان تفهم ان الابتعاد عن المعاصي فيه النجاه من العذاب

فالله يمهل ولايهمل

ان هنالك فرق بين من يرتكب المعصيه وهو مقر بحرمه الفعل واستشعار قبح الفعل وبين من يرتكبها مع الاعتقاد بعدم حرمتها وعدم الشعور بقبح عمله

****

لماذا ذكر تبديلهم للقول دون ذكر الفعل ؟

الاجابه تتضمن عده مفاهيم

لان مخالفه وتبديل القول معناه ابلغ من المخالفه في الفعل لانه انكر امرا شرعيا وادعي ان الامر خلافه فهو يقول قولا غير الذي قيل ووضع مكانه قولا غيره فهذا ظلم لانه وضع شي في غير موضعه

كما الالتزام بالقول في المسائل التعبديه والطقوس امر يجب الاخذ كما وردت من الله فلايجوز مثلا ان تقول بـ النداء للصلاه الله اعظم بدلا من الله اكبر

فلاقياس مع النص وايضا مخالفه القول مدعاه لمخالفه الفعل وهذا السلوك ينبع من النفوس الخبيثه التي تحاول التحايل علي احكام الشرع والتماهي مع رغبات النفس القبيحه والخسيسه فالمشركون كانوا يوخرون الاشهر الحرم من محرم الي صفر لاجل ان يقتالوا في محرم وكذلك فان اليهود اعتدوا في السبت بحجز السمك الي الا حد واصطادوا

فاللازم التوقف علي النصوص لان مخالفتها باي شكل كان يعد خروج عن الامر الهي فلا يجوز البحث عن وجه الحكمه لاعمال الامر الالهي كان يقول البعض ان الامر بالعده هو لمعرفه ابانه براءه الرحم فيقول هنالك اطباء تعرف ذلك فلماذا لاتتزوج المراءه بعد شهر من طلاقها اذا اتضح بالفحص الطبي انها غير حامل

فان هذا القول خروج عن الامر الالهي وهو من ظلم الحق والنفس يوجب العقاب

ان التعبد بالاقوال المنصوص عليها في الشريعه لايخلوا من وقوع التعبد بلفظها ومعناها فان كان التعبد بلفظها فلا يجوز تبديلها لذم الله بني اسرائيل علي ذلك

(المشهد الثاني لانحراف وفساد بني اسرائيل)

قال تعالي

(وسئلهم عن القرية التي كانت حاضره البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لاتاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)

اولا

اول ما يلفت الانتباه هو عدول سياق الخطاب من اسلوب الحكايه الي اسلوب المواجهه حيث نجد ان الخطاب فيه الامر للنبي صلي الله عليه وسلم (وسئلهم عن القريه ...الخ

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الايه مدنيه لان المواجهه مع اليهود انما كان بعد هجره النبي صلي الله عليه وسلم الي المدينه حيث بدا اليهود بمحاربه الاسلام

بشتي الوسائل ولهذا فانه من هذه الايه الي نهايه قوله تعالي (واذ نتقنا الجبل ...الخ هي ايات مدنيه وبقيه الايات مكيه

الامر الثاني

الايه وردت في سياق الامر للرسول صلي الله عليه وسلم بدعوه الناس للاسلام واليهود من جمله المدعويين وفي الحديث عنهم بهذا العرض فيه الاخبار بان لاتستغرب ان يقف اليهود مع المشركين صفا واحدا في رفض القبول بدين الله لاتستغرب منهم قولهم للمشركين انهم اهدي من المومنين سبيلا فهم اعتادوا علي العصيان لامر الله و التحايل علي تنفيذ احكامه

الامر الثالث

تفضح الايات اليهود من خلال هذه المواقف التي قابل بها اسلافهم اوامر الله تعالي بالتمرد والعصيان والحيل التي ابتكروها حتي لاينفذوا امر الله وهذا مهم لان اليهود شهودا علي صدق الرساله فموقف الرفض منهم قد يوثر علي موقف الناس الذين كانوا ينظرون اليهم انهم اهل علم بالاديان وقد سمعوا منهم كثيرا عن النبي الخاتم ولهذا فان ذكر مفاسد ومعايب اسلافهم مهم فيقول لك لاتستغرب رفضهم دعوه الاسلام لان طبائع هولاء اعتادت علي الفسق والعصيان

الامر الرابع

العدول في الخطاب بالسياق يهدف شد انظار اليهود واذهانهم الي الوقوف علي حقيقه النبي صلي الله عليه وسلم والرساله التي يدعوهم اليها وفائده هذا تعريف اليهود ان ذلك مما يخبرهم به النبي هي مما علمه الله تعالي فلا يكون الا باخبار ربه سبحانه وتعالي فهذا دليل علي صدق نبوته فالنبي يحدثهم عن اخبار مضي عليها ثلاثه الف سنه وهو امي لايعرف القراءه ولا الكتابه ولم يجلس لمعلم قط يطلعهم علي تفاصيل ما حدث رغم ان علماء

اليهود يخفون هذه الواقعه عن العوام فالايه فيها دعوتهم الي الالتحاق بموكب الايمان وترك العناد والجحود الذي اتصف به اسلافهم يقول لهم قفوا مع انفسكم وفكروا من الذي اخبره بهذه القصص فهي من انباء الغيب لايعلمها هو ولاقومه من العرب عليكم اعاده النظر في مواقفكم من الرسول والرساله فهذا هو النبي الامي المكتوب عندكم في التوراه والانجيل فالاخبار بهذه القصص من الاداله الموكده صدق النبي صلي الله عليه وسلم وصدق الرساله التي يدعوهم اليها

المبحث الثاني

كما ان ابتدا الايه بالامر الالهي للنبي صلي الله عليه وسلم ان يسال اليهود في المدنيه المنوره عن قصه اهل القريه التي كانت قريبه من البحر اي واقعه علي شاطي البحر والتي دمرها الله تعالي بسبب تجاوزهم شرع الله بتحريم العمل والصيد يوم السبت الذي جعله الله يوم تعبد لهم وقد ابتلاهم الله بظهور السمك لتربيتهم حيث كانت الاسماك تظهر يوم السبت علي سطح الماء بكثره في حين تختفي باقي الايام الاحد والاثنين والثلاثا والا ربعاء والخميس والجمعه حيث قاموا بحجز السمك يوم السبت في احواض كي يصطدوه يوم الاحد فدمرهم الله بذنوبهم

فالعدول في الخطاب من الحكايه الي المواجهه يهدف الي الاتي

الامر الاول

ان السوال للتقرير والتقريع والتوبيخ لليهود كيف تنكرون نبوه الرسول الذي تعرفونه كما تعرفون ابناءكم وهو مذكور نعوته وصفاته في كتبكم وهو يخبركم بانباء معروفه لكم وحدكم دون غيركم لتدل علي صدق نبوته فمن اين له ان يعرفها لولا ان الله اخبره بها فكيف تقفون بوجه الدعوه وتحاربونها وانتم اهل علم

الامر الثاني

يامر الله نبيه ان يواجهه اليهود بهذه القصه لتحذيرهم من مغبه الاعتداء علي امر الله برفض القبول بدعوه الاسلا م واتباع الرسول الخاتم يحذرهم من اخفاء وكتمان صفه النبي صلي الله علبه وسلم التي يجدونها في كتبهم فجاء استعراض قصه من تاريخ اسلافهم

ليذكرهم بعاقبه من يتجاوز امر الله يذكرهم بنهايه تمردهم وعصيانهم القديم وما جري علي اسلافهم من المسخ والذل والهون عندما اعتدوا في السبت. فنهايه مخالفه امر الله الهلاك

الامر الثالث

تبين الايه اهميه احترام الاوامر الالهيه والتعظيم والتوقير لها ولهذا يخبرنا الله بقصه اهل قريه كانت واقعه علي شاطي البحر جعل الله لهم يوم السبت يوم راحه يتعبدون الله فيها ولاينشغلوا بغير عباده الله ولم يحدد لنا ما اسم القريه وهذا فيه ان القصه سوف تتكرر فهي نماذج مكرر ويمكن ان تقع في اي وقت فالقصه فيها سنه الله الجاريه بحق من لم يحترم امر الله تعالي وشرعه بان العقوبه التي حلت باصحاب السبت هي العقوبه لكل من يقابل امر الله بالاستهزاء واللامبالاه ومن يلجاا الي استعمال الحيل للتملص من الامر الالهي فالهدف من الاخبار عن بني اسرائيل ومواقفهم من الهدي المنزل عليهم وانحرافهم وماعوقبوا به ان نفهم ان ذلك نتيجه لمخالفه امر الله تعالي فعلي الامه المسلمه ان تحذر الوقوع فيما وقعت به الامم الغابره عليك ان تفهم ان هذه هي نهايه من يخالف امر الله بحيله من الحيل بان النهايه وخيمه فعليك احترام امر الله فلا تلجا الي الحيل الرخيصه فسنه الله اهلاك كل من يفعل ذلك من الافراد والامم

وكم نحن اليوم بحاجه الي نعي خطوره الحيل الشرعيه التي اصبحت من سلوك المسلمين خاصه في الاعمال

الربويه حيث اصبح الكثيرون يلجاون الي حيل في هذا المجال لاضفاا ء مشروعيه للقروض الربويه لاتختلف عن حيله اصطياد السمك وحجزها في الاحواض من قبل بني اسرائيل يوم السبت ثم اخذها يوم الاحد

المبحث الثالث

ان الاصل ان صيد السمك والعمل امر مباح ليس فيه حرمه وانما التحريم وقتي فما الحكمه من ذلك ؟

الامر الاول

لمعرفه من يطيع الله ممن يعصيه فقد حرم الله عليهم الصيد يوم السبت وحرم عليهم العمل هذا امر لايسمح بتجاوزه ولا مخالفته فقال تعالي (اذ يعدون في السبت)

فذكرت الايه ان الصيد في السبت اعتداء علي امر الله لانهم قد نهوا عنه فيقال سبت اليهود اي تركوا العمل في سبتهم لانهم يتفرغون للعباده مثلما ان المسلمون لايسمح لهم بالشغل والتصرف من بعد الندا للصلاه في يوم الجمعه حتي انقضاء الصلاه والخطبه فقال تعالي (اذا نودي للصلاه من يوم الجمعه فاسعوا الي ذكر الله وذروا البيع.....فاذا قضيت الصلاه فانتشروا في الارض ...الخ

فالله يختبر عباده وقوه ايمانهم واردتهم وصدق الطلب منهم احيانا بان يغلق امامهم ابواب الحلال ويفتح امامهم ابواب الحرام ليعلم من يثبت في طاعه الله امام المغريات ممن يضعف

امام الشهوات ولهذا يجد التاجر في السوق ان ساعه النداء لصلاه الجمعه يكثر فيها الزبائن قاصدين شري السلع وهنالك زحمه في المحلات وهذا اختبار صعب للانسان لمعرفه من يعظم امر الله حيث يصبح الحرام فيما هو حلا ل في وقت اخر وتسمي هذه الابتلات مضلات الفتن لانها تخرج صاحبها عن حاده الطريق الي المخالفه بالانحراف

الامر الثاني

تفصح لنا الايه ان هذا ابتلاء من الله تعالي لتربيتهم لانهم كانوا لديهم ضعف في الارده والعزيمه والهمه كانت نفوسهم خسيسه نتيجه العيش في الذل والهون الطويل في مصر لقد كانوا بحاجه الي تقويه الارداه وتخليص انفسهم من الشوائب الردئيه فهم واقعون تحت ضغط ركام دنس الماضي الذي عاشوه في مصر ولهذا كانوا بين الحين والاخر يخالفون الديانه ولذلك يتعرضون للعذاب والغضب والسخط بدايه من عصر موسي وحتي ما بعد موسي فوصفهم الله في اكثر من موضع من قتلهم الانبياء وما عقابهم من التيه وتحريم الشحوم ثم ما حصل هنا في هذه القصه من مسخهم قرده وخنازير فالله يخبرنا هنا ان فسقهم كان سبب هذا الابتلاء فاوجب الله لهم هذا الامتحان فلو انهم لم يفسقوا لما وضعهم الله في هذا الاختبار فهم كانوا وسائل تحريف الكلام عن موضعه وتزيف الحقائق والعصيان والخروج عن امر الله فاراد الله تخليصهم من الاسباب الكامنه وراء هذا السلوك ليكونوا اهلا لحمل امانه الخلافه ولهذا كان لابد من تحرير الارداه من قيود التعلق بحب الدنيا ومن الضعف والهون التي تمنع النهوض فحمل الامانه تتطلب الصبر والشجاعه والزهد عن سوي المطلوب اي الاستعلاء علي الاغراء بالشوق الي ماعند الله تعالي وهذا الاختبار كما يقول السيد قطب رحمه الله تعالي لابد ان يبتلي به كل من يحمل امانه الخلافه فاول من وقع فيه ادم وحواااء فقد خضعوا للامتحان فهو

لابد ان يخضع له كل من يحمل امانه الخلافه وهو يختلف في شكله ولايتغير فحواه

المهم هنا تعرض لنا القصه حقيقه بني اسرائيل بانهم لم يصمدوا امام الاغراءت التي اختبرهم الله تعالي بها حيث اختبرهم باظهار االسمك علي ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم وتختفي في باقي الايام فقال تعالي (اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتاتيهم)

فعليك ان تفهم ان الامتحان في هذه الاحوال يجعل الله فيها اغراء لتهيج النفوس واثاره الشهوات لمعرفه قوه الا راده ومقاومتها لان ضعف الهمه تجعل النفس تستجيب للاغراء. لهذا قال تعالي (شرعا)

تعني ظاهرين فالايه تصور الاسماك تكاد تقفز فوق الماء السمك تسبح في الماء فهي ترتفع وتسقط وفي هذا تهيج نفوسهم واغراءهم حيث ان في هذااظهار مافي النفوس من خبث وتمرد

فقد جعلهم الله يشاهدون ظهور السمك في يوم السبت تقفز فيغريهم ذلك وهم لايشاهدونها في سائر الايام جعلها سهله التناول

فماذا يصنعون لقد لجاوا الي حيله صناعه الاحواض لحجز السمك واصطيادها الاحد وهنا مسخهم الله قرده وخنازير

والتوجيه هنا فيه تحذير لهم واقامه الحجه عليهم ولفت الانتباه ليدركوا ان كل شي يسير وفق اراده الله تعالي فما الذي جعل الاسماك تظهر يوم السبت وتختفي باقي الايام

انه الله تعالي لانه خالق الكون ومالكه والمتصرف فيه والقوانين التي تحكم الاشياء تخضع لارداه الله ومشيته

الامر الثالث

ترسم الايه لنا ضعف اراده بني اسرائيل امام الشهوات والملذات وانهم يميلون الي تلبيه رغباتهم واهواءهم دون مرعاه ما ينتج عن ذلك من اضرار وفوضي ومخالفه المنهج فهذا السلوك يدل علي عدم قدرتهم علي الانضباط واحترام القانون ويعيطنا الله مثال لذلك السلوك الذي يجسد سلوك مدرسه الفسق التابعه لابليس اللعين الذي مشروعه هو هدم النظام ومخالفه الشرع ونشر الفوضي ورفض الانضباط للاوامر فتعرض لنا الايه هذه القصه بشان ماحدث في السبت حيث وان بني اسرائيل طلبوا ان يجعل الله لهم يوم السبت عيدا يعبدون الله فيه وقد استجاب الله لهم ثم انهم خالفوا امر الله فقد فشلوا في الامتحان وهم كذلك جاوا من الشام لانتظار النبي الخاتم الذي عرفوا انه سوف ينزل المدينه المنوره وكانوا يهددون العرب بظهوره فلما خرج من امه العرب وليس منهم لجاوا الي استخدام حيل تحريف النصوص لاخفاء نعوت الرسول صلي الله عليه وسلم وزعموا ان عدم الاعتراف بنبوته يمنع اقامه الحجه عليهم ولايلزمهم بالتحول الي القران الكريم في قراءه المطلب الرباني

فهذه الحيل اوقعتهم في الحرام والخروج عن منهج الله فهم اصحاب حيل فالضمير خالي من التقوي والشعور بوجود ولهذا فان هولاء يصعب التعامل معهم لان من كان متصفا بهذه الاوصاف فانه لايعمل حساب الا للعقوبه الماديه ولهذا فان صاحبها يرتكب الجريمه بمجرد ان يشعر انه بامكانه ان ينجوا من العقاب بالحيل

ولهذا تعجز الدول والانظمه عن حراسه تطبيق القانون في المجتمعات التي تخلو من عقيده الايمان حيث وان الجريمه تنتشر فيها وتعجز عن ملاحقه المجرمين بعكس في البلدان المسلمه فان عقيده الايمان والشعور بوجود الله والشعور بسلطان الله فان هذه العقيده تولد الفاعليه الايجابيه وتقل فيها الجريمه فالشعور برقابه الله و الرجوع الله والوقوف بين يدي الله تولد قوه النفور من مخالفه امر الله اشفاقا علي النفس من العقاب وتراقب الموت لان الحياه الابدايه في نظره هي في الاخره يولد قوه جذب لعمل الخير شوقا لما عند الله ولهذا يقول الله في سوره البقره مخاطبا اليهود

(وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولاتكونوا اول كافر به ولاتشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلاه واتوا الزكاه واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاه وانها لكبيره الا علي الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون)

فالاذعان والخضوع لامر الله هو اساس النجاح لانك تخضع لامر الله فهذه هي مدرسه الخير .....وهي تحتاج الي ارده قويه وعزيمه وهمه عاليه ويقابل ذلك مدرسه الشر وموسسها ابليس اللعين الذي فسق عن امر ربه فالفسق الخروج عن طاعه الله فيقال فسفت الفاره وتسمي الفويسقه لانها تخرج من مكانها فكل من خرج من طاعه الله فهو فسق لانه خرج عن الطاعه

ولهذا فان الله يختبر البشر ليعلم من يتبع هدي الله ومدرسه الخير والهدي باتباع منهج الله ومن يتبع مدرسه الشر والفسوق والعصيان فهذا هو التسلسل الذي يربط اهل الخير ببعضهم البعض وهم الذين يهتدون بماجاء به الرسل من ربهم من منهج الهدايه فابواه المنهج هي التي تربط الانسان بربه فالبشريه عند الله كلها واحده فلا ينفعهم نسب الدم فبني اسرائيل ينتسبون الي الانبياء ائمه الهدي وقد فضلهم الله علي عالم زمانهم لكن ذلك لم يشكل مانعا من عقابهم علي ما ارتكبوا من جرائم لان قانون وسنه الله واحده بان اي امه ترتكب جريمه الفسق عن امر الله لابد ان يعاقبها الله فمن اراد القرب من الله فعليه امتثال امر الله وتزكيه نفسه من اوساخ التمرد والعصيان ولهذا فان المتامل للتاريخ الانساني والحضارات الماديه يجد ان اي امه اعرضت عن الله وعن منهج الله وشرعه وانغمست في الشهوات فانها تمتحن ثم ياتيها العذاب

لكن اذا فاقت من الغيبوبه والسكر وتابت وعادت الي الله ايام فتره امتحانها وتابت عفا الله عنها اما اذا استمرت في الباطل اهلكها الله فالعفاب يبدا تاديب في المرحله الاولي للانذار ثم يكون الهلاك

ولهذا قال تعالي (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)

ثانيا

(واذ قالت امه منهم لما تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذره الي ربكم ولعلهم يتقون)

المبحث الاول

من القائل لما تعظون قوما الله مهلكهم

الراي الاول

ان يكون القائلين هم العصاه الفاعلون للصيد يوم السبت قالوا ذلك للواعظين علي سبيل التهكم والسخريه منهم ومن مواعظهم والمعني اذا علمتم ان الله مهلكنا كما تزعمون فلما توعظوننا فهم قالوا ذلك علي سبيل السخريه لعزل العلماء عن الواقع ومنعهم من التاثير في الناس

الراي الثاني

ان يكون القائلين هم المؤيدين للدعاه لانك عندما تنصح الناس او تلقي موعظه فان الناس ينقسمون بين موييد ومعارض وهذا القول من المويدين علي سبيل السوال عن جدوي المواعظه والنصيحه لمن يرتكب المعاصي ولا يستجيب للنصائح فدل هذا علي انكارهم للمنكر

الراي الثالث

ان الناس انقسموا الي ثلاثه اقسام جماعه وقفت ضد المنكر وكان لها موقف ايجابي وفريق لم يرتكب المنكر ولكنها لم تنهي عنه واصابها الياس من هدايه المفسدين

وفي مجمل الاراء الثلاثه نجد ان الايات تحمل عده مفاهيم

المفهوم الاول

(التحذير من قبض العلم بتسيس المنهج وقبض العلماء بعزلهم عن الواقع والتاثير فيه)

مما لاشك فيه ان الواقعه حدثت بعد موت موسي ولهذا فان الايات تهدف الي تربيه المسلمين واعطاءهم فكره عن الصراع بين مدرسه الخير التي تقوم علي اساس(المنهج الرباني الذي يحدد لك الطريق الذي تصل به الي الله تعالي .....والقدوه الصالحه التي تقوم بتحريك الناس نحو الخير وهم الانبياء والعلماء)

والعدو هم المنتسبون لمدرسه الشر التي تقوم علي اساس(الفسق ومخالفه المنهج ونشر الفساد والفوضي و الدجل .....ابليس اللعين وائمه الضلال)

ولهذا فان ابليس وائمه الضلال يشجعون علي التمرد والفسق والعصيان ومهمتهم هي الدجل والتحريش وتفريق المجتمع وسلاحهم ينصب باتجاه المنهج بدرجه اولي لتغير المسار من خلال تبيديل المفاهيم للنصوص وهذا هو مشروع السيطان والدجال الذي يظهر في اخر الزمان فالدجال له فتنتان الاولي قبل ظهوره وهي تمثل كل انحراف عن منهج الله والديانات منذو ادم الي اخر الزمان فكل فتنه تتم تنطوي تحت مسمي فتنه الدجال ولهذا فان سياسيه الدجال لها من يمهد لها الطريق في فتره خفاءه ولهذا فان

ائمه الضلال يسعون الي نقض المنهج من خلال البدع ومن خلال تسيس المنهج الرباني يحاول ان ترغيب الناس في قبول الانحرافات المتنوعه من الكفر ومخالفه الشرع ولهذا يستعمل الحيل لترويض الشعوب علي قبول الفكر الشيطاني لاجل نقض وتدمير الديانات وهنا تكمن الخطوره حيث يكون قبض العلم بتسيس المنهج بتحويل الطريق والمسار عن غايته وطريقه المستقيم بالانحراف من خلال الحيل وتحريف التاويل للنصوص وتزيف الحقائق وهذه هي صفات اصليه في اليهود من عهد موسي الي اليوم وهذا هو السلاح الاول الذي يستخدمه اتباع الشيطان والمنتسبون لمدرسه الفسق فهو يستهدف تسيس المنهج واسقاط تاثير العقيده في الناس وجعلها عقيده بلا فاعليه وهذا هو حال المسلمين اليوم

اما الهدف الثاني لهم فهو يتجه الي عزل العلماء عن حركه الواقع والتاثير فيه ومنع المصلحين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فهذه هي صفات الادره العشوائيه الفوضيه حيث تتغلب المصلحه الحاليه علي المصلحه ذات الاثر البعيد وتظهر الفاسدين وتحارب القدوه الصالحه ولهذا نجد رد الدعاه بقوله تعالي

(قالوا معذره الي ربكم ولعلهم يتقون)

ان الوعظ استشعارا منا بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاللازم اقامه الحجه بالبلاغ ولعل بعضهم ينتفع بهذه الموعظه فهم حريصون علي القيام بواجبهم ووالمشاركه في الحياه والتاثير فيها من خلال تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر

المفهوم الثاني

تحذر الايات الداعيه من الياس من تحقيق نتيجه ايجابيه في اصلاح المجتمع او اي موسسه لان ذلك يحول حركه الانسان الي السكون والجمود لايبالي بما يري امامه من اخطاء ولايحاول اصلاحها ولهذا حذر الرسول صلي الله عليه وسلم من اجواء الاحباط فقد ورد في الحديث عن ابي هريره ان النبي صلي الله عليه وسلم قال (اذا ق ال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم)

قال ابواسحاق لا ادري اهلكهم بالنصب او اهلكهم بالرفع ومعني رويه النصب اهلكهم فعل ماض اي ان هذه الكلمه

كانت سبب اهلاكهم ومعني الرويه بالرفع اهلكهم تكون اللفظه اسما من صيغه افعل اي فهو اشدهم اهلاكا وقد اتفق العلماء ان الذم يكون لمن قال ذلك علي سبيل الازدراء والاحتقار وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح احوالهم لانه لا يعلم سر الله في خلقه اما من قال ذلك تحزنا لما يري في نفسه وفي احوال المسلمين فلاباس

لكن اللازم اشاعه الامل في الانتاج والتاثير ولهذا كان رد الواعظ

(قالوا موعظه الي ربكم ولعلهم يتقون)

ان الواجب علينا وهو واجب علي كل مومن ان لايتاخر في النصيحه للاخرين وان ييأس من ان يتاثرون بـ النصيحه فامر القلوب غيب في علم الله تعالي فسبحان مقلب القلوب

ثالثا

تبين النصوص اهميه استعمال التخويف في الخطاب الدعوي من عواقب انتهاك المحرمات وان تذكر الناس بتلك العواقب وتحذرهم من المخالفه ولاتياس من عدم استجابتهم ولهذا قال تعالي

(معذره الي ربكم ولعلهم يتقون)

فهذه هي الحجه المقبوله منكم امام الله لان النفس تعرف الحق وتحبه فليس واجبك ارغام الناس علي الايمان ولهذا يقول تعالي بعدها (فلما نسوا ما ذ كروا به انجينا الذين ينهون عن السوء...الخ

فقد وجد من ينهي عن السوء ولكنهم كانوا قله وانه بعد اقامه الحجه عليهم بالبلاغ وحصل منهم الاعراض والترك لما ذكرهم به الصالحون الناهون عن المنكر فاستعمال النسيان هنا المراد به المودي الي الاغترار والبوار رغم حصول التذكير الدائم لهم الذي لو اخذوا به لكان حاجزا وسد فيه الوقايه لهم من الهلاك والعذاب

فالناسي للشي يعني من ترك الشي ومن اعرض عنه تمام الاعراض

فهم لم يلتفتوا اليه ولم يقبلوا به فقال تعالي (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب ...الخ

المبحث الاول

والسوال هنا لماذا قدم ذكر نجاه الذين ينهون عن المنكر قبل ذكر اهلاك المكذبين

تهدف الايه الي تقويه العزائم في مواجهه الباطل لتشعر انك في رعايه الله فهو يقف معك فما الذي يخيفك فعليك ان تقوم بواجبك في الاصلاح فلا تخاف الطغاه فهذه سنه الله انه يقف مع المصلحين وينجيهم من الهلاك فجاء قوله (انجينا) فمن الفاعل انه الله جل جلاله وعظمت قدرته فما الذي يخيفك عن القيام بالواجب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر يخبر العلماء ان لايتخلوا عن القيام بدورهم في نشر الخير وتنميته ومحاصره الشر وان عليهم استعمال كل الوسائل للتاثير علي الناس وان يكون لهم دور وموقف من كل ما يحدث في المجتمع الذي يعيش فيهم انتبه من تمكن الاعداء عزلكم عن الناس فلابد ان تهدم كل الجدران التي يحاول الاعداء صنعتها بينك وبين الناس فلابد ان تشارك الناس همومهم وتخالطهم وتعمل علي تغيير الواقع السلبي الذي يعيشونه ولهذا لم تذكر النصوص مصير الذين وقفوا علي الحياد ولم يقوموا بدورهم. في النصيحه واكتفت بذكر نهايه المكذبين ونجاه الذين نهوا عن المنكر فقال تعالي

(فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون)

لماترك العصاه من اهل القريه ما ذكرهم به الصالحون الناهون عن المنكر ترك الناسي للشي المعرض عنه تمام الا

اعراض حصل النجاه للذين نهوا عن المنكر وحصل العذاب الشديد علي الذين ارتكبوا الخروج والمخالفه لمنهج الله فالتقديم بذكر النجاه للذين ينهون عن المنكر للاشعار برعايه الله لاولياءه

المبحث الثاني

لم تشير الايه لنهايه الفريق الثاني الذي سكت عن النهي عن المنكر رغم انه لم يرتكبه للاتي

الامر الاول

لتحذير المسلمين من التردد وعدم حسم الموقف بالمشاركه في ازاله المنكر ومحاصرته فالتغيير لايتحقق الا باتحاد اردات العناصر الاجتماعيه كي تنصهر في اردة واحده فانها حينها تستطيع ان تقهر ارده الظالمين والطغاه وخاصه في مرحله سقوط قرار الامه والتي يصبح الطغاه ودعاه الشر يمتلكون سلطه القرار والتحكم في الامه حيث ان الياس من التخلص من الظلم والاستسلام للوثنيه السياسيه نتيجه الشعور بالعجز غالبا ما تسيطر علي شعور اغلبيه الناس فتشاهد بغض الناس للسلطه الظالمه الخارجه عن منهج الله والجميع يتمني زوالها لكن لايجروا احد علي الوقوف بوجه الظلم ولاينكرون المنكر ان مثل هذه الحاله واقع تعيشه الشعوب المسلمه اليوم نتيجه انقضاض الطغاه علي السلطه فالكل يتذمر من خروج الحكومات عن منهج الله ومبادي وقيم الدين الحنيف ومع ذلك لاتجد من يقف بوجه الظالم او يحاول تغيير هذا الواقع المؤلم رغم ان الاغلبيه تريد ان يسود الحق والعدل وان تحكم الشعوب بالقران لكن لايسعون للتغيير في الميدان ولاينكرون المنكر فهذا الياس يفرض عليهم بقاء الظلم رغم انهم اقليه لماذا لان الاغلبيه مفككه غير متحده وغير مجتمعه علي راي ولامتفقه علي عمل لاتعمل علي تغيير الواقع المخالف لمنهج الله لم تحسم امرها وليس للاغلبيه العظمي دور عملي في التغيير لقد اصابهم الياس وقتل الاحباط طاقاتهم وقضي علي امالهم وطموحاتهم فهذا هو داء الشعوب المسلمه اليوم

الامر الثاني

ان علي الناس ان يسالوا اهل العلم في كل امر يتعلق بامر العقيده فالجماعه الثانيه قد استفادت من اجابه الجماعه الاولي التي انكرت مخالفه منهج الله وقامت بالنهي عن المنكر عندما سالتها ماجدوي ان تذكر هولاء بشي يعرفون انه محرم ومع ذلك يقترفونه فقد تصوروا ان حال القوم يسقط عنهم واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكرلانهم اقترفوا ما يوجب الهلاك فجاء الرد (معذره الي ربكم ولعلهم يتقون)

هنالك واجب علينا وعليكم لابد من القيام بتاديته بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايسقط هذا الواجب عن المكلف الا بالبلاغ الذي فيه اقامه الحجه عليهم فلا يرتفع عنا وعنكم العقاب الا بالنهي عن المنكر فاستخدم كلمه (ربكم) ولم يقولوا (ربنا)

فهم هنا يحذرونهم من التقاعس من القيام بالواجب لان العقاب تاديب من الرب للمخالفين ثم قاموا بالترغيب لهم بالمشاركه معهم في نصيحه المخالفين وتحذيرهم عواقب افعالهم وحثهم علي التسابق في الدعوه لما في اهتداء الناس علي ايديكم من اجر عظيم يستحق تحمل العناء والمشقه

فدلت الايه بعدها انهم استفادوا من هذه الموعظه وانهم التحقوا بصف الفريق الذي لم يرتكب الجريمه وقاموا بـ النهي عن المنكر ولهذا خص الله النجاه للفريقين معا وعبر عنهما بالفريق الواحد فقال تعالي (انجينا الذين ينهون عن السوء) لان اردتهما قد انصهرت معا وتجمعت واتحدت واتفقت علي انكار المنكر بعد ان فهموا من اخوانهم انه لابد من انكار المنكر والعمل علي ازالته ومجاهده النفس في ذلك فلا يكفي انكار المنكر ودلت الايه انهم نهضوا وحصل لهم التذكر فخافوا من العقاب وحسموا امرهم بدليل ان الله انما خص بالعذاب الظالمين فقال تعالي (فاخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) ويبدوا ان اعدادهم كانت قليله رغم اجتماع الفريقين الا ان فريق العصاه كان اكثر منهم

الامر الثالث

تبين الايه ان افضليه اي امه وخيرتها انما تكون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا كان الله يربط استمرار الفضل لبني اسرائيل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فكيف يترك المسلمون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحن افضل واعظم امه اخرجت للناس فعلي كل مومن ان لايقصر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يتطلب ان تتزود بالعلم لانه لايمكن ان تامر بالمعروف وانت لاتعرفه ولاتعلم ماهو ولايمكن ان تنهي عن المنكر وانت لاتعرفه فاللازم علي الامه ان تتزود بالعلم وان تسال اهل العلم

المبحث الثالث

تبين النصوص اهميه التقاط الاشارات التحذيريه والاستفاده منها فعندما تشاهد انتشار المخالفه لمنهج الله فعليك ان تتوقع عقوبه الله بعدها في الدنيا والاخره فهذه هي النتيجه التي ادركها الصالحون من بني اسرائيل في انكارهم فعل قومهم وبغضهم لما يفعلون بقوله تعالي (لم تعظون قوم الله مهلكهم) في الدنيا (او معذبهم عذابا شديدا) اي في الاخره

وهذا هو التذكير والموعظه التي حاول الصالحون ان ينصحوا بها الغافلون من قومهم ولكنهم لم يقبلوا النصيحه واعرضوا عنها فحصل النجاه للمصلحين وحصل الهلاك للظالمين فقال تعالي (فاخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون)

والبئيس يعني العذاب الشديد المولم الموجع لماذا لانهم اوغلوا في الخروج عن طاعه اوغلوا في الفساد والشر لان الفسق يعني الخروج عن الطاعه وعندما يحصل توغل في المخالفه يسمي الفاسق والنصوص تبين ان هولاء وصلوا في تمردهم وغيهم الي التجبر واصبحوا لايحتفلون بما يقال لهم فلا يبالون بالنصائح فقد استمروا في فسقهم ولهذا قال (فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قرده خاسئين)

فهذا فيه تكرر لقوله (فلما نسوا ماذكروا به)

للتاكيد والتقرير ان المسخ هو العذاب البئيس وخاسئين

والخاس يعني الصاغر الذليل او المباعد المطرود فيقال خسا به فخس اي باعد به فتباعد والمعني بعداء عن الخير وهذا فيه تحذير لنا يقول لنا فيه الحق احذروا ان ترتكب ما ارتكبت اليهود

من استحلال محارم الله بالحيل فان عواقبها وخيمه ولافرق في كون المسخ حقيقه او مسخ قلوب ونفوس لان المراد ان نفهم عظيم جرم ارتكاب مخالفه منهج الله وعظم جرم استخدام الحيل لاستحلال محارم الله

القسم السابع

تعقيبا علي ماسبق يقول الله سبحانه وتعالي

(واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الي يوم القيامه من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم)

اولا

وردت الايه معطوفه علي ماقبلها من الايات التي تحدثت عن اللعنه التي لحقت بالذين احتالوا في السبت عطف عليها بمساله اللعنه الابدايه التي لحقت باليهود بالحكم الالهي الذي صدر بحقهم بان يذيقهم الذل والهون بتسليط من يذلهم الي يوم القيامه فهم محكوم عليهم بان يعيشوا محكومين بسبب عصيانهم ومخالفتهم امر الله وشرعه واحتيالهم فقال تعالي (واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم)

وهذا يعني ان كلمه تاذن تعني حكم وامر الله وعزم وقضي بضرب اليهود بعذاب القهر والذل والهون فلا تقوم لهم دوله وهذا فيه الاتي

الامر الاول

تتحدث عن الحكم علي بني اسرائيل بان يعيشوا في الذل والهون مقهورين تحت حكم الطغاه وان هذا الحكم ابدي تحقق منذو صدوره فقد تسلط عليهم الطغاه والجبارين بسبب خروجهم عن شرع الله فقد ورد ان اول من ضرب عليهم الجزيه هو موسي عليه السلام ثم سليمان لكن الايه هنا. تتحدث عن سقوط الحضاره العبريه والتي بسقوطها حدث التحول من القوه والعز والتمكين الذي كانوا عليه في عهد سليمان الي القهر علي يد الملوك اليونانين والكشدنين والبابلين بختنصر ثم صاروا في قهر النصاري واذلالهم ثم في كنف الاسلام فقد عاشوا اذلاء صاغرين فهذا هو الحكم الالهي المضروب علي اليهود الي يوم القيامه بتسليط من يذيقهم الذل والهون لانهم خ الفوا شرع الله تعالي

الامر الثاني

ان هذا الحكم المضروب علي بني اسرائيل هو حكم ابدي فهم لايستطعون الخروج من الذل والهون فهم يتقلبون في هذا الحال ولهذا فقد يبدوا احيانا ان اللعنه توقفت فتري لهم عزا ولكن سرعان ما يلحق بهم العذاب فهذا حكم الله عليهم انها اللعنه الابدايه ولهذا فان هذا يفهم منه الاتي

المفهوم الاول

عليك ان تفهم ان العقاب السريع لكل من يخالف منهج الله هو ان يتجرع الذل والهون في الدنيا فهذا هو حكم الله العادل السريع لمن يخالف منهج الله تعالي

المفهوم الثاني

ان الامه اليوم مطلوب منها ان تعود الي منهج الله اذا اردت ان تخرج من دائره الذل والهون والاستعمار فهذا هو السبيل الوحيد لاستعاده الكرامه والعزه لهذه الامه كما قال عمر نحن قوم اعزنا الله بالاسلام فان ابتغينا العزه بغيره اذلنا الله ويقول تعالي (ان العزه لله ولرسوله وللمومنين ...الخ

فاليوم عندما فرط المسلمون في دينهم وفي حق خالقهم وحق انفسهم وتركوا العمل بالقران ولم ياخذوا بالاسباب وسلكوا طريق من قبلهم فقد اصابهم الذل والهون

المفهوم الثالث

ان بدايه سقوط وانهيار الحضارات التي ارتبطت بالاديان يبدا من سقوط القرار بتسيس المنهج والاحتيال علي احكام الشرع والتذبذب حيث ان الامه عندها تفقد قرارها وتصبح لاتمتلك السياده وانما تكون تابعه تعيش بذل وهون فالله تعالي يقول (ذلك بان الله لم يكن مغير نعمه انعمها علي قوم حتي يغيروا ما بانفسهم)

ويقول (مثل كلمه طيبه كشجره طيبه اصلها ثابت وفرعها في السماء .....الي قوله (يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياه الدنيا ...الخ

فعندما تنشا دوله يحكمها القران فان هذه دوله الموحدين التي يحميها الحق سبحانه وتعالي فهي لايمكن ان تنتزع لان جذورها ثابته في اعماق الارض لكن عندما تصبح الدوله غير ثابته لان جذورها مضطربه يسهل قلعها بسهوله

ولهذا سلط علي المسلمين الظالمين عندما تم التفريط بدوله التوحيد

ثانيا

ان الحديث هنا عن مواقف بني اسرائيل بانهم سوف يعيشون متقبلون مترددون في الشر والفساد منغمسون فيه فهم دعاه لكل الفساد واشاعته في الارض ولهذا قال تعالي عطفا علي ماسبق

(واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب الي يوم القيامه

فعبر عن هذا الحكم بقوله (واذ تاذن) وماده الكلمه من اذن واذان وكلها يراد بها الاعلام (واذن في الناس بالحج)

ووسيله الاعلام السمع بالاذن بان يستقبل القاري لذلك بالسمع فقال تعالي(فاذنت لربها وحقت)

اي استمعت لامر لربها ونفذت فكان النص مناسبا للاعلام بالحكم.

الذي صدر بحق بني اسرائيل مع ما قبلها من الايات لبيان ان مواقف بني اسرائيل ظل في تلك الحاله من التردد وعدم الحسم ولهذا استحقوا ان يتسلط عليهم من يذلهم لانهم اهل دين ولهذا فان العقاب عليهم امر حتمي

فالسوره تتحدث عن قصه نشاه الحضارات والفرق بين الحضارات الشرعيه والحضارات الوضعيه حيث يفهم من مما تناولته السوره ابتدا من خلافه ادم وما تعقب ذلك من ذكر قصه سقوط حضاره قوم نوح وعاد وثمود ومدين وقوم لوط والفراعنه بعدها ثم حضاره بني اسرائيل ومواقفهم مع الانبياء ان الحضاره. الشرعيه هي مجموع الحضارات التي ربطت بين الديانه والتاريخ ولم تخالف الرسل والتي منها حضاره سيدنا سليمان عليه السلام التي اشاد بها القران

وان الحضاره الوضعيه هي التي برزت مجرده عن الديانه او محاربه لها وهي التي تعرضت للدمار والفناء والهلاك بعذاب الاستئصال مثل حضاره قوم نوح وثمود وعاد وقوم لوط وقوم مدين والفراعنه

واما قوم موسي فلم يحل بهم عذاب الاستئصال بل كان العذاب ينزل بهم ويبقي علي البقيه ولهذا لاتعارض بين ا لايه وبين ما عطفت عليه من قصه مسخ بعضهم قرده وخنازير لان قوم موسي لم يتم استئصالهم ولكن حصل تدمير حضارتهم الماديه بسبب مخالفتهم فقد انتهت دولتهم علي يد البابلين بخنتصر بعد موت سيدنا سليمان عليه السلام

ولهذا يقول لنا الله انه عاقبهم بان جعلهم محكومين يعيشون في قهر الظالمين وان هذا الحكم ابدي الي قيام الساعه فلا يمكن لكم ولا لاي قوه ان تقف لتمنع نفاذ قدره الله وحكمه علي اليهود فقال تعالي (ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب الي يوم القيامه)

اي يسلط عليهم الحكام الذين يذلونهم الي قيام الساعه وكلمه (يسومهم سوء العذاب) تعني ان الله سوف يسلط عليهم من يقوم بتعذيبهم جهد طاقاته فاذا فتر او ضعف جاء من يزيد في تعذيبهم وهذا الجزء العادل لمن ينتهك حرمات الله فقال تعالي (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) وهذا فيه

1

ان الله تعالي يعجل العقاب في الدنيا بان يسلط عليهم من يقوم بتعذيبهم فمن يسلك طريقهم فانه سوف يلقي نفس العقاب وبسرعه

2

انه تعالي غفور لمن تاب وعمل صالحا فان الله يستر ذنوبه

3

عليك ان تعبد الله بالخوف والرجاء فلا افراط ولاتفريط ولهذا قرن الرحمه المغفره مع العقاب لئلا يحصل الياس فيتوب اليه وكذلك حتي لايحصل الاتكال علي الرجاء فهذا من باب الترهيب والترغيب لتبقي النفوس بين الرجاء والخوف

4

ان الله تعالي لم يستاصلهم كما فعل بالامم السابقه لحكمه الهيه ذلك ان لهم دور في قياده الشر فهم جنود الدجال في اخر الزمان حيث ذكرت الروايات والاحاديث ان اتباع الدجال سبعين الف من يهود اصفهان وثلاثه عشر الف امراه

فهم لهم مهمه التمهيد لظهور الدجال ومهمه الافساد في الارض لقوله تعالي (لتفسدن في الارض مرتين)

ولهذا يخبرنا الله ان حالهم مترددة في اشاعه الشر والفساد الي قيام الساعه وهذا الامر فيه تحفيز اهل الخير لمواجهه الباطل وعناصره ومحاربه الشر لاجل نيل رحمه الله وهذا يولد الطاقه والنشاط ولهذايخبرنا الله انه فرقهم علي العالم كله فقال تعالي

(وقطعناهم في الارض اممًا منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسئيات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا علي الله الا الحق ودرسوا مافيه والدار الاخره خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاه انا لانضيع اجر المصلحين)

المبحث الاول

تبين الايه انه حكم عليهم بالشتت والتمزق والتقسيم فقال تعالي

(وقطعناهم في الارض اممًا)

فقد كانت هذه عقوبه لهم فعاشوا موزعين في العالم في الكره الارضيه فلاتوجد دوله والا فيها يهود يسكنون فيها ويعيشون صاغرين مقهورين تحت وطاه حكم تلك الدول

وهذه المرحله مابعد سقوط القرار من اي امه يحصل فيها الضعف

والايه هنا تشير الي الاتي

الامر الاول

حقيقه ان اليهود سلبوا حق الوطن والهويه بسبب خروجهم عن الدين ومخالفه شرع الله فكان التقسيم والتمزيق والتشيت في الارض عقوبه لهم للتعبير انهم لم يعد لهم وطن في فلسطين لان شرط دخول الارض المقدسه كان (ادخلوا الباب سجدا)

لكنهم لم يذعنوا للحق ولاحكام الله وشرعه وكان منهم انتهاك المحرمات والتمرد علي الخالق سبحانه وتعالي ورغم العذاب الذي حل بهم بعد كل جريمه يرتكبونها الا انهم سرعان ما يعودوا الي ارتكاب الجرائم ولهذا تم القضاء علي حضارتهم والحكم عليهم بان يعيشوا محكومين مقهورين في اقطار الارض فكان هذا بمثابه اعاده تشكيل وصياغه احوالهم وفقا للحكم الذي صدر بحقهم

وبالتالي فلا حق لليهود في فلسطين لان العبوديه لله بالخضوع والاذعان والتسليم لامر الله هي اساس استحقاق فلسطين ولهذا فانه بمجي الرسول صلي الله عليه وسلم وبعثته فقد صار الاذعان والخضوع لله من خلال تنفيذ ما في القران الكريم لانه هو المعبر عن المراد والمطلب الرباني ولهذا قال تعالي (سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي...الخ

فلم يقل بنبيه بل قال بعبده لان العبوديه الخالصه لله تعالي هي التي تمنح حق ملك الارض لان الارض لله يورثها عباده الصالحين وقال تعالي في سوره الاسراء (بعثنا عليهم عبادا لنا اولي باس شديد)

ومن هنا نفهم ان قيام دوله لليهود لايعني ان الوعيد توقف بل ان هذا الامر لحكمه اخبرنا الله بها فقال تعالي (فاذا جاء وعد الاخره جئنا بكم لفيفا)

فقد جعل الله عذاب الاستئصال لليهود موجلا الي يوم معلوم حيث يجتمعون من اصقاع الارض بعد تفرقهم لاجل ان يكون القضاء عليهم فهذه هي ارداه الله فقد ورد في الحديث ان الشجر والحجر يقول يامسلم هذا يهودي وري تعال فاقتله

الامر الثاني

تشير الي فقدانهم القرار فعاشوا في قلق وذهب عنهم الاستقرار و انعزالهم عن الشعوب وهذا هو الملاحظ في حياه اليهود في اقطار الارض انهم يعيشون فيها معزلون فالبرغم من تبني دول الغرب اعانه اليهود في اقامه وطنا لهم في ارض فلسطين فانك تجد اليهود في بريطانيا يعيشون في احياء خاصه بهم وكذلك في فرنسا فهم لا يندمجون في المجتمعات لان الشعوب تكرهه اليهود وتحتقرهم ولاتقبل بالتعايش معهم ولهذا فان مساعدتهم لا قامه وطنا في فلسطين من قبيل التخلص من قمامه فقد اردوا ان يجعلوا من فلسطين مكان يرمون فيها الزباله و القمامه لانهم اتصفوا بالافساد واثاره الفتن في اي مجتمع يعيشون فيه فهذه صفات جعلتهم منبوذون من كل الناس

المبحث الثاني

قوله تعالي (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)

**

نفهم من الايات ان هذه الاحوال التي ابتدات بتفريق اليهود الي اجزاء ومذاهب وجماعات سكنت في اقطار الا رض كلها كانت بعد ضياع امانه الحكم فلم تعد التوراه تحكم الشعب اليهودي فقد عقابهم الله بان سلط عليهم الطغاه والظالمين من الملوك الذين استولوا علي دولتهم وبهذا انتهت حضارتهم الماديه ولم يعد لهم دوله لخروجهم عن منهج الله وهذا كان بعد موت سليمان عليه السلام حيث كان انقضاض بختنصر علي بيت المقدس واستعباد اليهود عندها سلبوا الوطن وتفرقوا في الارض

وقد ترتب علي ذلك انقسام اليهود الي طوائف ومذاهب واحزاب وجماعات متعدده في اطار سعيهم لاستعاده دولتهم وعلي اثر هذا كان الانقسام في الافكار فمنهم من راي ان النجاه بالتمسك بالتواره وانتظار النبي الخاتم ومنهم من زعم ان سليمان كان ساحرا وان القوه بامتلاك الجن وتعلم السحر فاتبعوا ماتتلوا الشياطين كما فصلنا ذلك في سوره البقره ولهذا يقول لنا الله (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) كما ورد في مقوله الجن (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا)

**

فالايات تتحدث عن ضياع امانه الحكم فيهم لكن بقيت امانه العلم

موجوده لدي البعض فقد اصبح افراد وجماعات وطوائف بني اسرائيل منقسمه بين ملتزم بالتواره يودي حقوق الله وفرائضه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه وترك محارمه ويودي حقوق العياد بامانه وعدم غش وبين ط الحون لايلتزمون بمنهج الله ولايبالون بانتهاك حرماته لايتورعون في ارتكاب المحرمات ومخالفه الشرع

فالايه تحدثنا عن مرحله مابعد سقوط الدوله وانتهاء الحضاره العبريه كدوله ما هو موقف الفرد اليهودي من امر الله ومنهجه هل خرج عنه الافراد ام تمسكوا به وهذا الامر مهم ان نعرفه لماذا لان تاريخ هذه الامم فيها السنن التي تنحرف فيها عن الطريق والرسول صلي الله عليه وسلم قد اخبرنا ان استتباع سنن الامم الماضيه من علا مات الساعه الصغري وحذرنا من ذلك فقال الرسول لتسلكن من كان قبلكم ...حتي لو سلكوا جحر ضب لدخلتموه)

وقال الرسول صلي الله عليه وسلم (لاتقوم الساعه حتي تاخذ امتي باخذ القرون قبلها شبرا بشبرا وذرع بذراع فقيل يارسول الله كفارس والرم فقال ومن الناس الا اولئك)

فتبين الايه انهم صاروا فريقين فريق انحراف وفقد هويته من خلال التاثر بافكار الوثنين الذين استولوا عليهم واستعبادوهم كما اخبرنا الله في البقره (واتبعوا ماتتلو ا الشياطين علي ملك سليمان وما كفروا ولكن الشياطين كفروا .....وما انزل علي الملكين ببابل هاروت وماروت)

حيث ان بعضهم تعلم السحر في بابل وتسللت اليهم عقيده الوثنيه فكان التحول من التوراه الي الكتب الشيطانيه مبكرا من هذه الفئه

ولهذا قال تعالي (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك)

هذا حالهم قبل بعثه النبي صلي الله عليه وسلم وبعد سقوط دولتهم يتكلم عن احوالهم فذكر ان منهم من استمر ملتزما ومقيم علي اليهوديه والتوراه ومنهم من صار فاسد فلو انهم صاروا فاسدين كلهم لكان اهلاكهم كما حل بالا مم السابقه فسنه الله انه لايهلك القري بظلم واهلها مصلحون ولهذا فان الذي يفهم من الايه ان بني اسرائيل كان فيهم صالحون مصلحون ومفسدون ولهذا لم يهلكهم الله بعذاب الاستئصال كما فعل بمن قبلهم ولهذا سوف نعرف الاتي

الصالح:-

هو الذي يسعي للوصول الي محبه الله ورضاءه بالتزام منهج الله في جميع شوونه يتقرب الي الله بطاعته في كل امر يفعله او يتركه

المصلح :-

الذي يتولي اصلاح الناس ويتولي ارشادهم وامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فهو صالح في نفسه ومجتهد في اصلاح غيره

فهذا يسمي الصالح المصلح

الفاسد:-

هو الذي فسد دينه بالكفر بالله او بالمعاصي والسيئات

المفسد:-

الذي يدعوا الي الفساد ومحاربه الحق ويقوم بنشر الرذيله

***

مما سبق يتضح لنا ان الاصلاح هو صمام امن من العقوبات والمنجي من الهلاك فاظهرت الايات انه تعالي بعد نزول التوراه لم يهلك امه بعذاب الاستئصال فقال تعالي (ولقد اتينا موسي الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الا ولي)

فقد كان يهلك بعضهم ويبقي بعضهم فهم لم يتفقوا علي الكفر ولهذا لم يزل من بني اسرائيل باقيه فقال تعالي (ومن قوم موسي امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

وقال تعالي (ومن اهل الكتاب امه قائمه يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون)وقال تعالي (ليسوا سواء)

فهم لم يتفقوا علي الكفر وكان فيهم مصلحون حيث استمر ارسال الانبياء اليهم حتي بعثه عيسي عليه السلام وكانوا ينقسمون بشان الرسل الذين كانوا يقومون بالموعظه لهم ويقتلون الانبياء لكن لم يحصل لهم عذاب الا ستئصال ولهذا قال تعالي (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)

يقول الحق عاملناهم معامله المبتلي بالنعم والعافيه والخصب والعافيه و(السيئات)اي النقم والمرض والفقر و الجدب والقحط

حتي يعودوا الي الله تائبين

فهذا الابتلاء يدل علي عنايه الله ورعايته لهم التي استمرت تتولاهم بالنعماء والضرر لعلهم يعودون للرشد ويتوبون ويستقيمون علي الطريق

المبحث الثالث

عليك اخي المسلم ان تفهم ان الابتلاء من رحمه الله لانه تذكير دائم للانسان ووقايه له من النسيان المودي الي الا غترار والبوار

لانه يجعلك تذكر الله في الشده والرخاء فالنعم تدعوا الي الطاعه فهذا ترغيب والشده والنقم لاجل الترهيب حتي تشعر بوجود الله

فالشده والرخاء رحمه الله لهم حتي لايتخلي الصالحون منهم عن عقيدتهم فيخبرنا الله ان بعضهم ظل مومنا ومتدينا وان فقدت اشعاعها الاجتماعي وتجردت عن فاعليتها لكنها صارت جذبه فرديه وان لم يكن للعقيده تاثير علي الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه فهذا هو حال المتدين بعد عصر سقوط دوله التوحيد يكون الايمان ايمان فرد متحلل عن صلاته بوسطه الاجتماعي كما كان حال المسلمين بعد صفين

فكان الابتلاء رحمه من الله لماذا لاجل الحفاظ علي الهويه الدينيه للصالحين من بني اسرائيل وسط المجتمعات و الشعوب الذي انتقلوا للعيش فيها فهم بحاجه الي الشعور بوجود الله بحاجه ان تملا نفوسهم عقيده الشعور بوجود الله لتكون التواره مصدر الطاقه الذي فيها تجديد الصله بالله فلا يحدث انفصال الفكره عن العمل لان هذا انما يكون بالنسيان لله والشعور بوجود ه لقوله تعالي (نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون)

فالنسيان ان استولي علي الانسان فانه يقع في ماساه الفكر لان ذلك يعني ان العقيده فقدت فاعليتها فلم تعد حقيقه فاعله موثره لم تعد مصدر الهام الانسان في مختلف نشاطاته فقال تعالي (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وهذا مايسمي بفقدان الهويه

حيث يستولي الشيطان واعوانه علي وجدان المومن فغياب الروح الايماني يجعل العبد واقعا تحت سيطره الماده وتجعل الانسان مستعدا لتلقي الخرافه تحت ستار احياء الماضي كما اخبرنا الله في سوره البقره فقال تعالي (واتبعوا ماتتلوا الشياطين علي ملك سليمان ....الخ

وهذا انما يحدث عند غياب من يقوم بتحريك التفاعل واثاره النار في الرماد ومن يقوم بذلك هم الانبياء والعلماء والصالحين لان التغيير يتطلب حدوث تغيير النفس من داخلها فمعني ذلك ان غياب الروح الايماني نتيجه قبض العلماء او سيطره اهل الكفر علي القرار عندها تفقد الامه هويتها فقال تعالي

(فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه)

تبين الايه

*

ان فقدان الهويه لهولاء يعود الي غياب الروح الايماني وفقدان القدره علي التعامل مع المخزون الديني الذي هو مصدر الالهام للامه وتحويل المعتقد الي عمل مثمر او حقيقه واقعيه

كما هو حال المسلمون للاسف الشديد موجودون لكن مثل اناس مشلولين لم يتمسكوا بالمنهج ولم يسيروا في الطريق الذي سلكه السلف الصالح فالله يقول انه جاء خلف من بعد الصالحين الذين تقدم ذكرهم خلف فاسد فقال تعالي (فخلف من بعدهم خلف)

وكلمه خلف في اللغه بفتح اللام (فَخلفَ) تعنَيَ فيَ الْخيَرَ فيَقَالُ ٌخيَرَ ٌخلفَ لْخيَرَ سلِفَ وَاذَا جاء تسكِيَنَ اللاَمْ (ٌخلفَ)فمعني ذلك انه خلف في الشر

فالايه تبين ان فقدان الهويه حصل بانقطاع التسلسل بين الخلف المذموم الفاسد في قوله(من بعدهم خلف)بتسكين اللام عن السلف الصالح الممدوح هنا فقال تعالي (فخلف) بفتح اللام الذين كان تفكيرهم كله في نشر الخير وتنميته ومحاصره الشر هو ان هذا الخلف الفاسد انهزموا عسكريا بسقوط حضارتهم وهزموا فكريا حيث ان هذه الاجيال وقعت تحت سيطره الظالمين وتسللت لعقولهم ان المال والماده هو اساس القوه و العزه ولهذا فقد انقطعت تماما عن كل شي يمت الي امه الايمان ومنهجها بصله فلم تعد للقيم والمبادي لديها قيمه فصار المنكر معروف والمعروف منكرا فقد استولت الحضاره الماديه علي عقولهم وابتعدوا عن القيم الروحانيه فلم تعد معاني الكتاب الرباني لها تاثير عليهم فقد صار ينظر الي اهل الخير والمومنون انهم حمقاء وصار اللصوص اذكيا هذه هي ثقافه مابعد فقدان الهويه حيث يندفع الناس الي الرذيله والشهوات ومتاع الدنيا وهتك المحرمات كما قال تعالي في موضع اخر (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاه واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) واضاعه الصلاه تفريغها عن مضمونها وليس تركها اي لم يقيموها حق اقامتها فهم لم يتركوها بالكليه لان اقامه الصلاه تعني النهي عن الفحشا ء والمنكر فمن لم تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر فان الصلاه لم تحقق غاياتها ولا مقصدها الذي اراده الله منها ولهذا قال تعالي (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) وخلف بتسكين اللام تعني الفساد ومنها خلف يخلف فهو خالف من خلف الفم اذا تغير رائحته فكان هذا التعبير مناسبا لتعريف مرحله مابعد فقدان الهويه والتي تعرف بمرحله ضياع الاجيال عندما يستولي المستعمر علي مركز القياده الفكريه العلماء و المفكرون والمثقفون فنحن نري كيف هو حال المسلمون اليوم صحيح ان الاسلام موجودا والقران محفوظ لم يتغير ولم يتبدل ولم يحرف ومازال المسلمين يودون الصلاه ويتدافعون في عرفات لاداء فريضه الحج لكنهم غير قادرين علي تحويل معتقداتهم الي واقع حياه او عمل مثمر للاسف الشديد

لم يحافظوا علي المثل الاعلي الذي وضعه لهم النبي الاكرام

وكما قال تعالي في موضع اخر (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب)

ينظرون للكتاب الرباني انه سلاح فئوي او حزبي او طائفي كلا يريد استخدمه لصالحه ولخدمه اهدافه يريدون تطويعه لخدمه مصالحهم واهدافه ومكاسبهم الدنيويه فالمنهج الرباني فيه سعاده الدنيا والاخره فهم لم يسلكوا الطريق الذي سلكه من كان قبلهم هنالك فرق بين السلف الصالح ومن جاء بعدهم من خلف فاسد في التعامل مع الكتاب الرباني وهذا هو واقع حياه المسلمين اليوم فقد ورثوا القران بعد السلف الصالح فلماذا كان لهم التمكين و العز ونحن لسنا كذلك

هذا يعود الي ان السلف كانت همتهم عاليه ونيتهم صادقه همتهم متعلقه بالمطلب الاعلي ولهذا فقد فهموا منهج الله وطبقوه دون افراط ولاتفريط فالنفوس الشريفه صاحبه الهمه العاليه لاتتاثر بالاغراءت ولابزينه المال والبنين والشهوات لانها تستعمل قوه الحب هذه التي اودعها الله في غريزه الانسان للسيطره علي النفس والعقل اي يستعملها في طلب مطلوبه الاعلي فلايسمح للنفس الاماره بالسوء ان تقوده الي مايغضب الله يستعمل قوه الخوف في صيانه نفسه من الوقوع في الهلاك

لهذا فان العبره للايات بما تسكبه في النفس من الخضوع والاذعان والخشوع لله فصاحب النفس الشريفه يسعي الي ارضاء الله ولهذا لاتغريه الدنيا وما فيها من متاع

اما صاحب النفس الخسيسه فهو الذي يقع في اغراء الدنيا ومتاعها الزائل ولهذا فهو يقضي حياته عبد ا للمال واسيرا له يحرسه ويسهر علي استثماره ويبيع به دينه ودنياه وتغلبه الشهوات فيكون عقله تابعا لهواه فهو يستبدل الادني بالذي هو خير فقال تعالي (هذا الادني) لتخسيس وتحقير الادني فهو من الدنوا بمعني القريب او من دنوا الحال وسقوطها والمراد ما كانوا ياخذون من الرشا مقابل تحريف ايات الله فالمراد بقوله عرض هذا ا لادني بيان خسه النفس وحقارتها فهي تختار وتريد الدنيا وحطامها ولهذا جمع متاع الدنيا في كلمه(عرض) بفتح الراء لبيان ان ذلك عرض ياكل منها البر والفاجر فهذا اختيار قبيح وفي هذا اشاره الي انهم صاروا متفرقون بلا قياده تقودهم فهم يعيشون في حاله من الفوضي والعشوائيه يختارون المصلحه العاجله علي ذات الاثر الممتد ويحاربون القدوه الصالحه ويشجعون الفاسدين فقد غلبت عليهم شهوات حب اللذات وكرهيه الطاعات

****

ثم تبين النصوص ان هولاء قد اقاموا بناء عقيدتهم علي الاماني الزائفه والامال الباطله فقال تعالي (ويقولون سيغفر لنا)

انه من خلال تامل الايه تجد اخي المسلم انها احتوت علي عده مفاهيم فيها توجيهات لك انت ايه المسلم

المفهوم الاول

احذر من ان تجزم بالمغفره علي الله تعالي وانما عليك ان ترجوا من الله المغفره فقد حكي الله عن اليهود انهم كانوا يستحضرون الذنب ويقولون سيغفر لنا اي جازمين ان الله سوف يغفر لهم

اما المسلم فانما يستحضر الذنب ويندم ويطلب من الله ان يغفر له علي سبيل الرجاء

المفهوم الثاني

ان اللازم عليك اخي المسلم ان تدرك انك ورثت القران بعد الرسول صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام وبالتالي فان اللازم عليك ان تسير في الطريق الذي ساروا فيه لان تتباهي بالماضي وبامجاد الاسلام والصحابه كما يفعل البائس الفقير الذي بجلس يتباهي بما كان عليه اجداده من الغني ولايتحرك لكسب قوت يومه لهذا فعليك ان

تنهض وتتحرك لتحويل معتقداتك الي حقيقه واقعيه لها تاثير علي النفوس وتهز القلوب ليكون استعاده دور العقيده وفاعليتها

المفهوم الثالث

عليك ان تحذر تجزئه احكام القران كما فعل اليهود الذين اخذوا من التوراه الاحكام السهل واللطيفه وتركوا الا حكام الشاقه

المفهوم الرابع

عليك ان تفهم ان ضعف المسلمون اليوم يعود الي ترك العمل بالمنهج

المفهوم الخامس

احذر من اتخاذ الانتساب للاسلام سببا للمكاسب الدنيويه او التفاخر والتباهي بالقران دون ان تعمل به فان الازمه التي وقع فيها اليهود هو انهم اتخذوا الدين وسيله لكسب المصالح والمنافع فقال نحن ابناء الله واحباءه...ولهذا اجابهم الله بقوله (فلم يعذبكم بذنوبكم)

وكذلك فان المسلمون قالوا نحن خير امه اخرجت للناس فاخبرهم الله فقال تعالي (ليس بامانيكم ولابامانى اهل الكتاب من يعمل سوء يجزء به ولاتجد له من دون الله وليا ولانصيرا)

المفهوم الخامس

احذر من بناء عقيدتك علي الاماني الزائفه دون العمل فالتمني لاقيمه لها مالم تتحول الي عمل واصرار مشفوعا بعمل تنفيذي فسلعه الله غاليه فالبر الحقيقي كما قال الله ليس ان تولي وجهك قبل المشرق والمغرب ولكن البر هو الايمان الصحيح الصادق فلا يمكن ان تتمني من الله المغفره وانت ترتكب المعاصي

لاتتصور انك ستدخل الجنه وانت ترتكب المحرمات وتصر علي ارتكابها فهذا تصور سخيف فالجنه تحتاج الي عمل وجهد وصبر لان الله يقول (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لايفتنون)

******

تعود النصوص لتاكيد تعلق هولاء في الدنيا وايثارها علي الاخره

فقال تعالي (وان ياتهم عرض مثله ياخذوه)

للاشاره علي اصرارهم علي ارتكاب الجريمه لماذا لانهم حريصون علي الدنيا وملذاتها والمراد بهذا الاشاره الي ضياع امانه العلم من علماء مقابل المال كما قال تعالي في سوره البقره (فويل للذين يكتبون الكتاب بايدهم. ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ....الخ

فالايه تناقش مرحله ضياع امانه العلم بعد ضياع امانه الحكم

ولهذا قال تعالي (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الايقولوا علي الله الالحق ودرسوا مافيه والدار الاخره خير للذين يتقون افلا تعقلون)

وهذا فيه الاتي

التحذير من تحويل المنهج الرباني الي سلعه تباع لتوظيفها في امور السياسه حيث يلجاء الحكام للاستعانه برجال الدين لاصدار فتاوي تدعم سلطانهم بحيث يجد القبول من الشعب

وهذا هو الحاصل في واقع المسلمون اليوم حيث صارت الفتوي سلاحا يستخدم اليوم لتصفيه المعارضين بل لتشويه صوره اهل الحق من قبل الطغاه

لقد شاهدنا كيف ان فتوي بعض علماء السلطه الذين يطلبون متاع الدنيا كانت سببا في اذلال العلماء والصالحين واستباحه دمائهم والزج بهم في السجون لسنوات حتي يومنا مازالوا اسري الانظمه العسكريه

لقد ساعدت فتاوي علماء السلطه علي تمكين الظالمين من رقاب المسلمين وعلماءهم فصار الصادق بنظر الكثيرون كاذب واللص امين وهذا ما ذكره النبي صلي الله عليه وسلم (انه سيكون هناك سنون خداعه يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويخون الامين ويومن فيها الخوون)

والعلم هو الكتاب والسنه فهو العلم المورث من الانبياء فالعلماء ورثه الانبياء ولهذا فقبض العلم ليس بمحوه من الصدور وانما يكون بتوقف العلماء عن دورهم فيكون ذهاب العلم وموت السنن وبالتالي تظهر البدع ويعم الجهل عندما يتخلي العلماء عن دورهم في حمل امانه العلم الماخوذ عليها ميثاق الكتاب وعهده فهم درسوا مافيه وفهموا مدلولاته ولهذا فان من مخالفه اهل الكتاب وتفريطهم بامانه العلم انهم قاموا بتحريف الكتاب مقابل المال وغيره من المكاسب ولهذا فعليك ان تدرك ان من مخالفه عهد حمل امانه الكتاب هو تحويل مفاهيم النصوص والمنهج عن مضمونه من خلال توظيف النصوص لخدمه فكره حزبيه او لمصلحه دنيويه

وتسيس المنهج لتوظيفه في خدمه الحكام اثناء تعليم الاجيال وتربيتهم وتدريسهم حتي تخرج اجيال لاتعرف من امر دينها لا ما علمه اياها علماء السلطه او علماا ء المغالاه والتطرف

فمن اسباب فقدان الهويه وضياع الاجيال هو فصل التعليم عن التربيه والدعوه عن الحكمه والموعظه الحسنه حيث ان ذلك يعني ان العلم لايخالط النفوس ولاتتاثر به قلوبهم ولاسلوكهم حيث تتحول العقيده الي ثقافه تدرس وتحفظ وليس لها دور في الحياه ولافاعليه هكذا هو حال الناس عندما تخلو الساحه من العلماا ء الربانين اما لموتهم او لتعرضهم للتنكيل والسجن ومنع سماع اصواتهم او لاعتزال البعض الحياه نتيجه انتشار الظلم وثقافه التنفير من العلم والعلماء حيث ينشا في المجتمع جيلا منحطا ومحاطا بالجهالات والضالات ويخلو الجو لعلماء السلطه الذين اتخذوا من الدين وسيله للمكاسب الماديه فهم يدرسونه لاجل ان يحتالوا علي احكامه ولاجل ان يحرفوه عن مواضعه

****

تاتي الايه بالتعقيب علي ماذكرت بشان التفريط بامانه العلم مقابل الرشوه والمال السحت وتحويلهم العقيده الي اماني زائفه رغم انهم دروسوا مافيه فقال تعالي (والدار الاخره خير للذين يتقون افلا تعقلون) فالايه فيها عده مفاهيم وتوجيهات نذكر منها مایاتي

المفهوم الاول

ان الانتفاع بالعلم انما يكون بالاقتران بالايمان فذلك يكون به الرفعه لقوله تعالي (وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الي يوم البعث)

لماذا لاننا لو نظرنا لواقعنا لوجدنا اننا ندعي الايمان بالله واليوم الاخر ومع ذلك نرتكب المعاصي فلماذا؟

هذا يعود الي امرين

الاول:-

اننا نشك ان العذاب سوف يحل باليقين الجازم فانت لو كنت متقين ان العقاب سوف يقع عليك في لمح البصر فمن المستحيل انك ترتكب الجريمه فانت لو كنت متقين ان شرب السم سوف تموت هل هنالك عاقل يشرب السم من الموكد انه لن يشرب السم

وكذلك فان المومن بلقاء الله والمعاد والحساب والعقاب باليقين الجازم لن يرتكب اي معصيه لانه بمجرد ان يفكر بارتكابها يحس بالم العذاب والحريق بالنار ولهذا فانه ينظر الي المعصيه انها اشد فتكا من الوحش المفترس ولهذا من الموكد انه ينفر من المعاصي

الثاني

ان يكون غافلا مخدوع بالركون الي رحمه الله وعفوه ومغفرته كما اخبرنا الله انهم كانوا يقولون (سيغفر لنا)

فالاتكال علي رحمه الله مع اصرارهم علي ارتكاب المعاصي من اسباب الخروج عن طاعه الله والتفريط بمنهج الله ناتج عن ضعف البصيره فهو غافلا عن ايات الله فهو مثلما انه قال انه غفور رحيم فهو قد اخبرنا انه شديد العقاب والغفله ناتجه عن الاغترار بصحبه الصالحين والانتساب اليهم واعتبار ذلك سببا للنجاه من العذاب وانهم شفعاء لهم بدل الاقتداء بهم

فالاول ناتج عن ضعف اليقين والثاني ضعف البصيره فهو كمن لاعقل له او ان عقله مكار قد خدعه لانه لايجتمع الرضي بالدنيا والغفله عن ايات الرب الا في قلب من لايومن بالمعاد ولايرجوا لقاء الله يقول ابن القيم (فلو رسخ قدمه في الايمان بالمعاد لما رضي بالدنيا ولما اطمان اليها ولا اعرض عن ايات الله

اما المومن باليقين بلقاء الله اورثهم عدم الرضي بالدنيا ولهذا لم يتدبروا ايات الله ولم تخالط العلوم قلوبهم

المفهوم الثاني

ان ايثار الدنيا علي الاخره انما يكون ناتجا عن عدم الرهبه وشده الرغبه بالدنيا واصل هذا كما اوضحنا ضعف اليقين وضعف البصيره واصله خسه النفس ودناءتها وحقارتها فهي التي تجعل العبد يرضي بالدون من الاشياء وتركهم العمل بالعلم ومسارعتهم الي الذنوب وترك التوبه فهذا كله ناتج عن خسه النفس فهي تحوم حول الدناءات فهي تميل الي ماينا سبها ويشاكلها فدلت الايه ان نفوسهم قذره لاخير فيها

فا لخير يحتاج الي نفوس شريفه فانها كبيره لم ترض بالدون فهي لاتقبل من الاشياء الا باعلاها وافضلها واحمدها عاقبه

المفهوم الثالث

علي العاقل ايثار الاخره علي الدنيا فالدنيا زائله وهي قصيره مهما كان فيها من متاع فانه سوف يزول بسرعه اما الاخره فانها حياه ابدايه اما سعاده واما شقاءفهي الخياه الحقيقه الدائمه التي لاموت فيها فان العاقل لايمكن له ايثار الدنيا علي الاخره

المفهوم الرابع

ان العاقل عندما يعلم ان لذه المعصيه مهما كانت فانها سريعه الزوال فاذا علم ما سوف يتبعها من عذاب والم فانه لن يفعل المعصيه ولهذا فان العاقل لايمكنه ايثارالمعصيه علي الطاعه

المفهوم الخامس

اطلب اثا ر العلم ممن زاده خشيه والعمل به بصيره والعقل معرفه

وعلامه ذلك ان تري منهم ايثار الطاعه علي المعصيه وايثار الاخره علي الدنيا وايثار العلم علي الجهل لان كل من اثر الدنيا من اهل العلم وتعلق بها لابد ان يقول علي الله غير الحق في سبيل تحقيق مطامع النفس وشهواتها من حب الرئاسه والمال والجاه والسلطان

فلا يمكن تحقيق اغراضهم الا بمخالفه منهج الله فمحب الرياسه والمال يتطلب ان تدفع ما يضده من الحق خاصه مع وجود الشبهات يقول المحاسبي فالعلم اذا لم يصاحبه ثلاثه فهومزيد في الحجه كف الاذي بقطع الرغبه وبذل ا لانصاف بالتباذل والرحمه ووجود العمل بالخشيه ولهذا ذكرت النصوص لنا اصرارهم علي تحريف احكام الشريعه وانهم مصرون علي ذلك والحامل لهم علي قول غير الحق التعلق بالدنيا وشهواتها وان قلوبهم قاسيه فدرستهم للتوراه لم تخالط قلوبهم اما الذين يتقون فان هولاء يختارون الاخره وهم يرون الدنيا لاتساوي جناح بعوضه وبالتالي فان هولاء لايوجد في نفوسهم بواعث حب الدنيا والتعلق بها فهم يرون انهم مسافرون الي الله والدار الا خره ولهذا فهم يتمسكون بكتاب الله والسنه ويستعينون بالصلاه والصبر ويتفكرون في الدنيا وخستها وزوالها و الي الاخره واقبالها

******

تبين النصوص ان علي الانسان ان يدرك ان الغرائز التي اودعها الله في الانسان هي نعمه من الله فلا يحسبن عاقل ان الغرائز شر تغري الانسان بعصيان ربه بل هي خير انعم الله بها للانسان فما خلق الله في الانسان من قوه الشعور بالخوف والحرص علي الحياه وحب الاموال والرئاسه والرفعه والبنين والجاه والسلطان انما هي للخفاظ علي حياتك وحياه اولادك واقرباك وان تاخذ بايدهم الي مافيه السعاده الابدايه وبقوه غريزه الحب تسيطر علي هواك وعقلك بان تجعل الحب لله والغضب لله لان من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنه هي الماوي فانت بهذا تثبت جدراتك بحب الله واستحقاقك لنعيمه وهذا يكون بان تتقي الله حق تقاته فهذه الغرائز تكون دافعا الي التقوي والصبر وجهاد النفس وقمعها عن الحرام تفضي الي رضا الله والي حسن جزائه

فالحب قوه تدفع الي طاعه الله والغضب قوه تردع عن ارتكاب ما يغضب الله والخشيه تحمي الانسان والبصيره تنجيه ولهذا انزل الله المنهج لاجل ان يثبت الانسان جدراته في استحقاقه لنعيم الله تعالي فهو مرهون بمقدار جهاد الانسان لنفسه وسعيه لتاديه واجياته وبمقدار احسانه ومسارعته في الخيرات ليقدم لحياته

فقال تعالي (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاه انا لانضيع اجر المصلحين)

فالايه فيها عده توجيهات ومفاهيم

المفهوم الاول

لاتجعل الدنيا اكبر همك فلا تلهكم مشاغل الحياه عن المصاحف بتلاوته وتدبره وفهم مافيه والاستقامه علي امر الله فالتمسك بالقران هو اساس الفلاح والبركه والرفعه في الدنيا والاخره وهو شافع لكم يوم تلقون ربكم باذان الله وليس الانساب للانبياء والصالحين

المفهوم الثاني

ان التمسك بكتاب الله فيه الرفعه في الدنيا والاخره فالعقلاء هم الذين يتمسكون بالكتاب قولا وعملا وينفذون اوامر الله ويجتنبون نواهيه فالتمسك بفتح الميم وتشديد السين معناها الذين يعملون بما في الكتاب فاريد به

كثره الاشتغال بكتاب الله والاستقامه علي امر يقول العارفين ما اشتغل عبد بكتاب الله الا ورث له حسنا في شانه كله

المفهوم الثالث

ان التمسك بكتاب الله فيه سعاده الانسان والوصول الي الدار الاخره ومافيها من نعيم فالله لايضيع اجر المصلحين فالكتاب انزل لاصلاح مافي الارض من فساد ولهذا فان المرحله ان تستقيم علي امر الله قبل ان تقوم باصلاح الاخرين فملازمه القران فيه تهذيب الانسان فمن عاش مع القران تسري روح الحياه الي قلبه وتزدهر شجره سعادته فهو للقلب مثل الروح للجسد لقوله تعالي (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا)

المفهوم الرابع

اجعل القران جزء من حياتك فعليك الاستمساك به وتدبره وفهم مافيه والعمل به علما وخشوعا وتدبرا وفهما وعملا وسلوكا فهو من اسباب المجد في الدنيا والاخره قال الرسول صلي الله عليه وسلم

ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع اخرين)

ولهذا فان اهل القران لاينسون القران عن امام وجههم ونهجهم لايشغلهم شي عنه فهم يطلبون ثواب الله وجنته ولهذا لايتوقفون عن الذكر واقامه الحياه وفق منهج الله فالتمسك بالقران هو نفقه تكاليف بناا ءالدار للمومن في الجنه فاذا توقفت عن ذلك توقفت الملائكه عن البناء والعيش مع القران يجد الانسان نفسه في دورب الخير لا يدري كيف وصل اليها فيسري في عروقه فيكون في سعاده واستقرار فمن رزق تلاوه القران وفهمه والعمل به نال السعاده فالله لايضيع اجر المصلحين

المفهوم الخامس

ان عليك ان تدرك ان المنهج انزل لاجل اصلاح الارض من الفساد ولاجل ان يتصل العبد بخالقه ومعبوده ولهذا فلا تستطليوا طريقكم مع القران فعليكم بالصمود والثبات فلا تنكسروا ان تعثرتم اليوم او تاخرتم المهم ان تبقوا علي الدرب وان تشدوا الهمه وتكملوا المسير ولو بخطي عرجي ولو بمشقه الذهاب وعناء السير والتكرار فالله سوف يبلغلكم مطلوبكم فهو لايضيع اجر المصلحين

فلا تفوت علي نفسك لحظه فيجب ان تكون حياتك كلها عباده الله ولهذا قال تعالي (واقاموا الصلاه)

اي تكون حياتك كلها صلاه كلها قراءه قران فانت في متجرك عليك ان تلتزم ماجاء في كتاب الله بشان الامانه في التعامل والوفاء بالعقود فتكون بذلك عابدا لله كانك ساجدا في المسجد تصلي الصلاه والمنهدس في عمله و الطبيب والعامل والمعلم والقاضي والمخترع والطيار وهكذا كن مقبلا علي الله بقلب طاهر ونيه صادقه تدعوا الي الله من موقعك عاملا بمنهج الله فانظر الي عظمه الاجر فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنه والحسنه بعشر امثالها لا اقول الم ولكن الالف حرف ولام حرف وميم حرف) فاذا كان القاري لكتاب الله له هذا الاجر الجزيل فكيف بالعامل به

ولهذا فعليك ان تستعين بالصلاه والصبر وتدوام علي قراءه القران وتدبره فقد سال رجل احد العارفين فقال ياشيخ اني اعاني من كسل وضعف همه ابدا في طريق ولا اكمل واذا بدات بشي اتوقف تعبت من نفسي فبماذا تنصحني

قال له الشيخ اكثر واكثر من قراءه القران فانه يعالج الهوي ويعالج الاردات الضعيفه ويعالج النفس الثقيله المملوله يعالج الكسل والفتور

وقال له في نهايه الكلام ان نفسك هذه علاجها القران وهذا شي من ارزاق القران وبركه القران وثمرته وما يصدق بهذه الارزاق. تصديقا حقيقيا الا من عاش مع القران والتف حول مائدته وبذل نفسه لله بالتمسك بالقران

فما اعطيت القران اخي المسلم من وقتك وعملك وقلبك سيبقي نورا معك في حياتك وبعد الممات فهنينا لمن اصبح وامسي وهو علي موعد مع القران

****

فلا تستثقل ولاتستطيل حياتك مع القران فعليكم ان تصبروا وتكونوا اصحاب عزائم قويه وهمم عاليه قادرون علي احتمال مشاقه وتكاليف المنهج فهو فيه العزه فلا تكونوا مثل اليهود الذين روي عنهم انهم ابو ان يقبلوا احكام التواره لغلظها وثقلها فقال تعالي (واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظله)

اي رفع جبل الطور فوق روسهم فاصل النتق قلع الشي عن موضعه واالمعني قلعناه من اصله وجعلناه فوق روسهم كانه سقيفه فالظله يطلق علي كل ماله سقف عندها علموا وتيقنوا انه واقع بهم اي الجبل فقال تعالي (وظنوا انه واقع بهم)

والظن هنا بمعني العلم باليقين لقوله تعالي في البقره (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم)

عندها قيل لهم ان قبلتم بها بما فيها او ليقعن عليكم الجبل فنظروا الي الجبل فخر كل واحد منهم ساجدا علي حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمني للجبل خوفا من سقوطه ولذلك لاتري يهودي يسجد الا علي حاجبيه الايسر وهو ينظر بعينه اليمني ويقولون هذه السجده التي رفعت عنا العقوبه

عندها قال لهم الحق (خذوا ما اتيناكم بقوه واذكروا مافيه لعلكم تتقون)

لان فساد الحياه انما يكون بترك المنهج ترك الاستمساك الجاد بكتاب الله وتحكيمه في حياه الناس فان هذا يعني الضعف والهون يعني ان الانسان يعيش في الهموم والانكاد فالتقصير بالعمل بما في كتاب الله سببا لابتلاء العبد بـ القلق ولهذا يخبرنا الله ان حامل منهج الله لابد ان يكون قويا صاحب عزيمه قادره علي احتمال مشقه التكاليف لان المتقاعس غير قادر علي حمل المنهج فالامر يحتاج الي التمسك به بحزم وان لايتهانوا ولايتخاذلوا ولا يترجعوا وان لايغفلوا عن احكامه فقال تعالي (واذكروا مافيه)

فانت عليك ان تبحث عن الحكم الشرعي في كل مساله في حياتك فلا تنسي امر الله فهذا هو الطريق الي تلين القلوب من قساوتها وحتي تظل موصوله بـالله لاتنساه

لكن اليهود نقضت العهد وخالفت امر الله ولم تذكر مافيه فاستحقت غضب الله ولعنته

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع العاشر

الاعراف

بعد ان اختتمت السوره قصص الانبياء بقصه بني اسرائيل في سياق تناول نشاه البشريه من ادم عليه السلام وماتلا ذلك من حضارات بشريه في الارض وصولا الي الحضاره العبريه وسقوطها بضياع امانه الحكم وامانه العلم تاتي ايات هذا المقطع معطوفه علي ماقبلها فقال تعالي

(واذ اخذ ربك من بني ءادم من ظهور ذريتهم واشهدهم علي انفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا ان تقولوا يوم القيامه انا كنا عن هذا غافلين او اتقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون)

الموضوع الاول

(علاقه الايات بما قبلها)

تبين الايه ان الله سبحانه وتعالي قد تفضل علي ابن ادم بارسال الرسل رحمه منه تعالي فسر ارسال الرسل رحمه من الله في الاصل فهو تعالي لو لم يرسل انبيائه ورسله لالزام الناس حجته لسببين

الاول: فهو ان الانسان مولود بالفطره يعرف ربه ويحبه فكل مولود يولد علي الفطره لقول الرسول صلي الله عليه وسلم (كل مولود يولد علي الفطره فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمه جمعا هل تحسون فيها من جدعاء) ويقول تعالي (فطره الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) فالفطره المودعه في النفوس تهدي للحق ما لم تلوث وبالتالي فلا تفسير لارسال الرسل غير الرحمه فمحض كرم من الله ورحمته انه ارسل الرسل ومحض كرم من الله انه قضي القضاء الرحيم فقال (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا)

والا فان عهد الفطره يكفي لاقامه الحجه علي الفاسقين فلا عذر لهم ولهذا كان مناسبا عطف جمله(واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم ...) علي ماقبله لبيان ان ارسال الرسل منه واحسان من الله تعالي وعطف منه تعالي والا فان عهد الفطره يكفي لاقامه الحجه علي الكفار ولاعذر لهم

فالايه تهدف الي احساس العبد برحمه الله فهو القائل في المقطع السابق في صفه رحمته (ورحمتي وسعت كل شي) ولهذا يقول لهم. الحق ان رحمته عرفت طريقها اليك قبل ان تولد

كنت ذره في صلب ابيك حين تعرف الله اليك واشهدك علي الوهيته فشهدت واخذ عليك عهده فاقررت (نقلا عن المحاسبي في كتابه الرعايه لحقوق الله)

اما كيف كان ذلك فقد ذهب العلما ء الي قولين في ذلك اما ان يكون محمولا علي ظاهر النصوص وهو ما اكدته السنه المطهره وهو ان الله تعالي مسح ظهر ادم فاستخرج منه كل نسمه هو خالقها الي يوم القيامه فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولايشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم الي صلب ادم فلن تقوم الساعه حتي يولد من اعطي الميثاق بمعني انه اخذ عليهم العهد يوم خلق الخلق وهم ذرات في ظهر ادم

واما الراي الثاني. فقالوا ان هذا من باب التمثيل وان المراد انه تعالي اخرجهم من اصلابهم ذريه وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن وحين اخرجهم من بطون امهاتهم واصلاب ابائهم اشهدهم علي انفسهم ان يومنوا بالله ويتبعوا رسله واستدلوا بصيغه الجمع ظهورهم فلو قصد اخراجهم من ظهر ادم لقال من ظهر ادم

وانه تعالي لم يقل ذريه بل ذريتهم وانه قال محذرا من الشرك وادم لم يكن مشركا

والارجح الراي الاول لان السنه تواترت علي تاييد قول اصحاب الراي الاول وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الموضوع الاول

لماذا جاء التعبير بالاخراج جاء بصيغه الاخذ اي ايغار الاخذ علي الاخراج؟ ولماذا جاء اسناد ذلك الي اسم الرب؟

الجواب:-

لمناسبه ما تضمنته الايه من الميثاق فكان الاخذ مناسبا للموقف و

كذلك فان اسناد ذلك الي اسم الرب يفصح عن السبب الثاني الذي يدلك علي الخالق لما يتبع ذلك الاخذ باعتبار ما يتبعه من اثار الربوبيه حيث وان في ذلك ارتباط العهد بنعمه تسخير الكون ومافيه لخدمه الانسان عندما قبل الا نسان حمل الامانه حيث جعل الانسان سيدا علي هذا الكون واودع فيه الفطره والعقل والحواس وادوات العلم

فالايه فيها تصريح ان الله تبارك وتعالي قد واجه النوع البشري قبل ميلاده من ظهر ادم وسال هذا النوع الانساني عن خالقه وكان في السوال بهذه الصيغه المسيطره المستفهمه الموكده (الست بربكم) قالوا بلي

بهذا تم اخذ العهد علي البشر اي اعترف الخلق بالله وهم في عالم. الذر في عالم الارواح في عالم الغيب اعترفوا واقروا وسجدوا واقيمت عليهم الحجه البالغه كان الموقف سابقا علي الوجود البشري لم تكن الارواح قد ارتدت ثيابها الموقته من الاجساد الانسانيه ذات الصور المختلفه والمصالح المتباينه والابتلاءت المتعدده (نقلا من بتصريف من كتاب الله في العقيده الاسلاميه)

كان البشر بغير مصالح ايام اخذ العهد عليهم ولهذا اعترفوا بربوبيه الله وهم ارواح في ظهر ابيهم ادم

وبقي ان يعترفوا بعبوديتهم لله وهم اجساد علي الارض

فالاعتراف الثاني تابع للاعتراف الاول فالاعتراف بالربوبيه يقود مباشره للاعتراف بالعبوديه ولهذا كان اسناد اسم الرب فقال تعابي (واذ اخذ ربك)ليفصح عن السبب الثاني الذي يدلك علي الخالق لما يتبع ذلك الاخذ باعتبار مايتبعه من اثار الربوبيه حيث وان ذلك فيه ارتباط العهد بتسخير الكون ومافيه لخدمه الانسان عندما قبل الانسان حمل الامانه حيث جعل الانسان سيدا علي الكون واودع فيه العقل والحواس والفطره وادوات العلم

ولهذا فان هذا الحديث من الله لعباده يهدف الي تذكير الناس بما هو معروف لديهم لان الاعتراف بالربوبيه يقود الي الاعتراف بالربوبيه غير ان الناس تختلف عندما تهبط الي الارض فمنهم من يذكر ومنهم من ينسي او يتناسي او يذكر ويحارب هذه الذكري

ولهذا تاتي هذه الاضافه الي اسم الرب لغرض اظهار رحمه الله لعباده التي وصفها بانها وسعت كل شي رحمه وعلما فقال تعالي(ورحتمي وسعت كل شي)

ولهذا فان التذكير بعهد الذرري فيه حديث الله الرحيم المستمر الي الناس واياته في الكون وفي انفسهم ومعجزاته المدهشه في الافاق وفي متناول انظارهم شاهده علي عظمه الله وقدرته ولو تامل الانسان لحاله لوجد نفسه يعيش في انعام الله التي لاتعد ولاتحصي يقول المحاسبي في كتابه (الرعايه لحقوق الله)

تعرف الله اليك قبل ان تولد فعرفته وتجلي بنعمه عليك لك فشهدت والهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ثم انه جعلك نطفه مستودعه في الاصلاب فتولاك بتدبيره هناك حافظا لك ومحافظا عليك موصلا لك المدد بلطفه وكرمه من ا

لاباء من ابيك ادم ثم قذفك في رحم امك فتولاك برحمه التدبير وجعل الرحم لك ارضا يكون فيهانباتك ومستودعا تنشا فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين والف بينهما فكنت ترجمه لسر الازدواج الذي انبني عليه الوجود كله ثم جعلك بعد النطفه علقه مهياه لمايريد الله سبحانه وتعالي

ان ينقلها اليه ثم بعد العلقه مضغه ثم فتق سبحانه في المضغه صورتك واقام فيها بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الام في رحم الام فاجري عليك رزقه من قبل ان يخرجك للوجود ثم ابقاءك في رحم الام شهورا حتي قويت اعضاوك واشتدت اركانك ليهيئك الي البروز الي ماقسم لك او عليك ليبرزك الي دار يتعرف فيها بفضله وعدله ورحمته اليك ثم انزلك الي الارض فعلم سبحانه انك لاتستطيع ان تتناول الطعام الخشن وليس لك اسنان تستعين بها علي ماتاكله فاجري الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما منبع الرحمه التي جعلها في قلب الام فكلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمه التي جعلها في قلب الام لك منبعا لايفتر ثم انه شغل الام والاب بتحصيل مصالحك والرافه عليك والرحمه والموده لك وماهذا كله الارحمته هو سبحانه ساقها للعباد في مظاهر الاباء والا مهات تعريفا بالوداد وفي حقيقه الامر ماكفلتك الا ربوبيته ولا حضنتك الا الوهيته ثم انه الزم الاب القيام بك الي ان تبلغ واوجب عليه ذلك رافه منه بك ثم رفع التكليف عنك حتي يكتمل فهمك ثم انه مضي يتعرف اليك برحمته الي ان صرت كهلا ثم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ثم اذا انتهيت الي الشيخوخه ....الخ

لو عرف الانسان هذا لادرك ان الحجه تلزمه دون ما حاجه لارسال الرسل فهو عندما يطلب منك ان تشكره فان شكرك لايساوي شي من انعامه فانت لم ولن تخرج عن احسانه ولم تدعك رحمته وفضله وامتنانه ورعايته لك وعنايته تري اثارها في كل احوالك

فهذا السبب الثاني التابع لعهد الفطره الذي يدل ان ارسال الرسل محض رحمه وكرم من الله تعالي ولهذا كان مناسبا عطف الجمله

علي ماقبلها من الايات التي اختتمت بذكر قصه بني اسرائيل مع رسلهم في سياق تناول السوره لقصه نشاه البشريه وحضارتها من ادم وصولا الي امه موسي عليه السلام حيث عرضت لنا نماذج لحضارات البشريه خرجت عن منهج الله وانفصلت عن الديانه وكانت نهايتها الهلاك والفناء ثم عرضت لنا الحضاره العبريه وسقوطها وما تلا ذلك من ضياع امانه العلم بعد ضياع امانه الحكم وهذا يعود الي التهاون في شرع الله وافراغ النصوص عن مضمونها نتيجه تعاقب الاجيال وتحريف النصوص مقابل المال رغم علمهم بالحق مبينا ان النجاه والسعاده في التمسك بكتاب الله وختم ذلك بتذكيرهم بالميثاق الماخوذ منهم

فالتمسك بالمنهج يحتاج الي عزيمه وهمه وصبر علي مشقه التكاليف وامرهم بتذكر امر الله لاجل خوف الله وخشيته لان الغفله والشهوه اصل الشر فاهل العلم لابد ان يتذكروا الله علي الدوام حتي لاتصيبهم الغفله فالعالم هو من يخشي الله فمن لم يخشاه فليس بعالم فهو جاهل غافل اذ لافائده من العلم اذا لم يتبعه عمل فان العلم بما انذرت به الرسل يوجب الخوف فاذا كان العلم يوجب الخشيه الحامله علي فعل الحسنات وترك السيئات فكل عاص جاهل ليس بتام العلم وهنا يعطف انه لاعذر علي عدم الاهتداء بما جاء به الرسل من هدايه عامه بما جعل فيكم بالفطره من المعرفه واسباب العلم ففي كل ذلك ما يقتضي معرفته تعالي بالحق ومحبته له وقد هداه ربه الي انواع من العلم يمكنه ان يتوصل بها الي سعادته في الدنيا والاخره وجعل في فطرته محبه ذلك وانما الانسان يعرض عنها بجاهليته وغفلته فلا يطلب ما ينفعه من العلم فالله قد تفضل علي الانسان باصل السعاده بان جعله مفطور علي معرفته ومحبته فقال تعالي (واذ اخذ ربك من

بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم علي انفسهم)

الموضوع الثاني

ان عليك ان تفهم ان مهمه الرسل هو تذكير الفطره ماهو معلوم لها وتقويته وامداده ونفي المغير للفطره فالرسل بعثوا بتقرير الفطره وتكميلها لابتغير الفطره وتحويلها والكمال يحصل بالفطره المكمله بالشرعه المنزله فليس في الرسل من قال اول ما دعا قومه انكم مامورن بطلب معرفه الخالق فانظروا واستدلوا حتي تعرفوه فلم يكلفوا اولا بنفس المعرفه ولا بالاداله الموصله الي المعرفه لماذا

لان قلوبهم تعرفه وتقر به فكل مولود ولد علي الفطره ولكنها تعرضت لتلوث غيرها ولهذا فان الانسان اذا ذكر ذكر مافي فطرته من العلم الذي يعرف به ربه ويعرف به انعامه واحسانه وافتقاره لربه فاللّٰه قال لموسي في خطابه لدعوه فرعون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر اويخشي)بما ينذره من العذاب

والتذكر هنا للعلم الفطري والتوحيد الفطري والحب الفطري المودع في الفطره لانه مغروس في الانسان نفسه فكل ذره وكل خليه وكل عضو في الانسان خلق لمعرفه اللّٰه ومحبته وعبادته وتوحيده فالاعتراف بربوبيه اللّٰه وحده اخذ عليهم وهم ذرري يوم خلق اللّٰه الخلق فقال تعالي (واشهدهم علي انفسهم الست بربكم قالوا بلي شهدنا)

تبين الايه انه بعد ان اخرجهم من صلب ادم اخذ عليهم العهد بعد ان ركب فيهم من دلائل وحدنيته وعجائب خلقه وما اودع فيهم من علم فطري ومحبه فطريه وتوحيد فطري فقال لهم هل قبلتم امانه حمل الاسماء وامانه الخلا فه بعباده اللّٰه ومحبته ومعرفته وتوحيده وحده لاشريك له فكانهم قالوا (بلي) اي امنا بربنا وشهدنا علي انفسنا واقررنا انك خالقنا ومالكنا ومعبودنا وهذا يدل علي ان اللّٰه اودع في الخلق العلم الفطري والتوحيد الفطري و المحبه الفطريه فاقام في نفوسهم ما يمكنهم من معرفه اللّٰه ومحبته وعبادته والاستدلال علي صدق ما جاء به الرسل اذا سلمت الفطره من التلوث والعقل من الفساد

فالعلم بالحق يدعوا صاحبه الي اتباعه لان الحق محبوب في الفطره فالمعرفه موجوده. في قلوب الناس فالفطره تستلزم معرفه اللّٰه ومحبته وتخصيصه بانه احب الاشياء الي العبد وهو التوحيدفقد ورد في الحديث القدسي الذي يرويه الرسول عن ربه ان اللّٰه تعالي قال (اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما انزل به سلطانا)

فاخبر انه خلقهم حنفاء وهذا يتضمن توحيداللّٰه ومعرفته ومحبته

فالذكر الذي هو الكتاب المنزل مع الرسل انما يذكرهم بما قد علموه فالانسان اذا لم ينسي ربه الذي عرفه وحصل له ذكره علي الوجه الذي يقتضي محبته ومعرفته وتوحيده فانه يذكر نفسه بضعفها ويبصر ما كان فيها قبل من معرفه اللّٰه ومحبته وتوحيده

فاللّٰه انما خلق الخلق لعبادته ليذ كروه ويشكروه ويعبدوه وارسل الرسل وانزل الكتب ليعبدوه وحده وليكون الدين كله لله ولهذا نجد ان الايات

الموضوع الثالث

ان اللازم عليك اخي المسلم ان تقف مع نفسك هذه اللحظات امام هذا المشهد الذي تجسده الايه بكل جوراحك بان تفكر بضخامه المشهد وانت في قبضه الخالق سبحانه وتعالي قبل ان يخلق الوجود لتعرف نفسك وان كل ذره وخليه منك وكل ملكاتك وكل جزء وعضو منك ظاهرا وباطنا انما الهدف الحقيقي منه هو معرفه اللّٰه ومحبته وعبادته عليك ان تدرك انه مهما انشغلت بالملذات الماديه فانك لن تجد سعادتك مهما كانت لان السعاده الحقيقه

باختصار لن تجدها الا في اللّٰه تعالي فمهما بلغت في الثري والمناصب والملك فانك لن تجد السعاده ابدا

فالانشغال بالدنيا وملذاتها لن تصلك الي السعاده بل الي تودي الي تحمل انكاد الدنيا كما قال بعض السلف من

احب الدنيا فليوطن نفسه علي تحمل المصائب يقول ابن القيم فمحب الدنيا لاينفك من ثلاث هم لازم ..وتعب دائم ..وحسره لاتنقضي)ذلك ان صاحبها

يظل باحثا عن الذات العليا التي تولد في قلبه جاذبيه خفيه اليها فهو مانال من الدنيا شي الا طمحت نفسه لما فوقه يتصور انه سوف يجد سعادته في الوصول اليها وهذه الجاذبيه الخفيه توجد حتي في الطفل الرضيع فهو ينجذب لامه بعد ولادته ثم بعد ذلك تنتقل الي حب الزوجه والاولاد والمال والجاه ولايجد ذاته العليا

لان هذه الجاذبيه هي المحبه ا لتي اودعها الله في فطره الانسان للاله الحق ولهذا فان ذروه كمال الانسان هو الوصال بالله تعالي عندها فقط يجد الانسان سعادته

الموضوع الرابع

ان اللازم عليك الايمان بحصول العهد الذري كما اخبرنا الله به دون الخوض في كيفيه الاخذ لان الكيفيات المتعلقه بافعال الله غيبيه لاتدركها ابصار البشر مثلما ان الله لاتدركه الابصار كما بينت الايه في المقطع السابق (قال انك لن تراني ..الخ

وكذلك فقد اخبرنا الله في سوره البقره ان ابراهيم اراد معرفه كيفيه عمل قدره الله في احياء الموتي فلم يمنح ذلك فلم يري يد الله وهي تعمل في احيا ء الموتي لان الكيفيات المتعلقه بافعال الرب من الغيبات التي لاتدركها ا لابصار فليس كمثله شي

ثانيا

تبين الايه ان الله خلق الانسان علي الاسلام والاستسلام لله تعالي فقد اودع الله في الانسان الفطره فقال تعالي في موضع اخر (فطره الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

وهذه الايه تنسجم مع قوله تعالي هنا (الست بربكم)اي انه سال الارواح فاجبن كلهن بانه تعالي ربهن فقال تعالي (بلي شهدنا) في هذا الحوار يشير الحق سبحانه وتعالي الي انه غرس في الفطره خاصيه الاقرار بوجود الله وانه مالكهم وخالقهم ولايستطيع احد ان ينكر ذلك ولهذا يخبرنا الله بعدها عن عدم وجود عذر لهم بعد هذا الاقرار فقال تعالي (ان تقولو ا يوم القيامه انا كنا عن هذا غافلين)

الامر الاول

تبين الايه ان الحجه قد قامت بما اودع الله في الانسان من اقرار فطري وعلم فطري ومحبه فطريه وتوحيد فطري فمعرفه الله ومحبته وحب رسوله موجوده في قلوب المنكرين ولكن افسدته الغفله والله‌و والشهوات ولهذا يقول الله انه تعالي ارسل الرسل يحملون المنهج الذي يذكر الناس بربهم الذي تعرفه الفطره وتبين للناس ماانزل اليهم من ربهم ومهمه الرسل هو ان يبلغوا الناس البلاغ المبين والمطلوب من الناس ان يعقلوا ما بلغه الرسل ف العقل والفطره يتضمنان العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر فهذا قد اضر بنفسه لانه لم ياخذ ما ينفعه ولم يدع ما يضره فعدم انتفاعه بالعقل والفطره وما فيهما من العلم الفطري والحب والتوحيد الفطري يعود الي حب الرياسه والشهوات وانشغاله بهن وبالمعاصي يودي الي الران الذي يغطي ويحجب عن القلب الرويه ويصيبها بالعمي والطيف الذي يمنعهم من رويه الحق فانسيانهم ربهم كان سببا لنسيان انفسهم عقوبه لهم باعراضهم عن الحق وعدم معرفتهم بما كانوا عارفين به قبل ذلك

ولهذا يقول لهم لاحجه ولاعذر لكم فالله قد اوضح الدلائل علي وحدنيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكروه فهو معاند ناقض للعهد وقد لزمته الحجه فنسيانهم وعدم حفظهم لايسقط الحجه بعد اخبار المخبر الصادق صاحب المعجزات

الامر الثاني

تحذر الايات من التقليد في الدين فالله قد ازاح العذر وازال العلل فلا ينكر احد ان الله الخالق اذا سالتهم (من خلق السموات والارض ليقولن الله)

لكن التقليد والبيئه الفاسده هي التي تودي الي طمس معالم الفطره وعدم رويه الحقيقه ولهذا اخذر التقليد للاباء لانه سبب الانحراف وطمس معالم الفطره وتعطيل العقل فالرسول صلي الله عليه. سلم يقول (كل مولود يولد علي الفطره)...وهي الحنفيه السمحاء التي خلق الناس عليها ولكن ابواه يفسدان ذلك فيهودانه او ينصرانه ويمجسانه ويشركانه فيجعلانه منكرا لما في قلبه من معرفه الرب ومحبته وتوحيده ولهذا يقول الحق ان خلق الانسان وما ركب فيه من الفطره والعقل فيه قطع الجحه عليهم اذا لم يستعملوا العقل والفطره في الايمان بما جاء به الرسل فهم ماخوذون بتركهم شريعه الله ولاعذر لهم بعد ذلك لانهم ساروا في طريق اسلافهم واباءهم وما سنوا لهم من اباطيل فهم قد استحقوا العذاب يوم القيامه علي تركهم منهج الله الموافق للفطره التي خلق الناس عليها فدليل صدق ما جاء به الانبياء بداخل الانسان نفسه ولهذا قال تعالي (او تقولوا انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذريه من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون)

الامر الثالث

مما سبق نفهم انه تعالي لما خلق الناس عرفهم بنفسه وانه وحده المستحق للعباده ولكن البئيه تفسد الفطره ولها تاثير سي في تغير االفطره وطمسها ولهذا لم يترك الله الناس لفطرتهم بل ارسل الرسل يدعونهم الي الهدي ويرشدونهم الي المنهج الذي يحفظ لهم فطرتهم من الزيع والضلال لان الفطره وحدها قد تنحرف وقد تتبلد فلا تحس وقد تعمي فلا تبصر وقد تنتكس وتنحط فتكفر وتعبد الهه من البشر وغيرها من المخلوقات وكل ذلك من تاثير البئيه المنحرفه والتقليد ولهذا يقول الحق تعقيبا علي ذلك (وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون)

ان تفصيل الايات اي توضحيها وبيانها لاجل نفي المغير عن الفطره وازاله الغبار الذي لوث الفطره فمهمه الرسل ليس تغير الفطره وتحويلها وانما تذكير الفطره بما هو معلوم لها وتقويه امدادها من خلال هذا البيان التفصيلي للا يات ونفي المغير للفطره فالرسل ارسلوا لتقرير الفطره وتكمليها بالشرع المنزل الذي يذكرهم بما يعرفوه وما علموه وماهو مستقر في فطرتهم من علم فطري وتوحيد فطري ومحبه فطريه فهذا التوضيح كفيل بتذكيرهم ما نسوه ليعودوا الي ربهم تائبين فهذا هو البيان المطلوب من الرسل ان يبينوه للناس ليرجعوا الي الدين الحق فاذا حصل البيان الذي يكمل الفطره وينفي المغير لها فقد اقيمت الحجه فكان التعريف بمهمه الرسل وما انزل من كتب بانها مكمله للفطره مناسبا بمجي هذا التعقيب لو رجعت الي الموضوع الثاني الوراد في تاويل ايات هذا القسم من المقطع

القسم الثاني

(واتل عليهم نباء الذي ءاتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه. الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثل القوم الذين كذبوا بايتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بهااولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)

اولا

ابتدات الايه بقوله تعالي (واتل عليهم نباء الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها)

وهذا امر للرسول صلي الله عليه وسلم من ربه ان يتلو علي قومه هذا الخبر عن عالم السوء الذي خرج عن ما اعطاه الله من علم رباني وكفر بعد الايمان والايه فيها التفات بديع كونها وردت بعد ان بينت الايه ان اصل السعاده في الفطره التي خلق عليها الانسان اذا سلمت من التلوث فهذه ايه في تكوين الانسان نفسه ثم ان الله قد اعطاه سببا اخر يعرف به ربه ويحبه ويدعوه الي عبادته وتوحيده وحده لاشريك له وهو مشاهده احسانه وعطاءه وانعامه واياته الكونيه التي يحدث الخالق بها عباده عن الوهيته وربوبيته وحده لاشريك له فارسال الرسل هو لتذكير الناس بما يعلموه ويعرفوه عن ربهم ولانذارهم من العذاب كما قال تعالي (وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا) اي لاجل التذكير او الخشيه كما قال تعالي لموسي (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشي)

لان منشا السئيات هو الجهل والظلم ولهذا فان عدم العلم هو منشا السئيات لانه لايفعل انسان قبيحه الا لعدم علمه بكونها قبيحه او لهواه وميل نفسه اليها ولايترك شي نافع الا لعدم علمه بمنفعته او لبغض نفسه لها. فمن يعلم انه اذا دخل مكان فانه يعرض لنفسه لخطر الموت لن يدخله فمن وجد مثلا لافته. مكتوب عليها عباره احذر الدخول في المكان فانها منطقه الغام.فان العاقل والعالم لايمكن ان يدخل الي المكان الا ان يكون مختلا فاقد لعقله او انه لم يقرا اللافته كونه غافل او ساهي او انه غير جازم بوقوع الضرر ان دخل الي المكان وكذلك فان من يرتكب المعاصي اما ان يكون غير جازم بان ما يفعله سوف يلحق به الضرر اي غير جازما بتحريمه او يكون غير جازما بعقوبته كما قال اليهود (سيغفر لنا) او يغفل عن ذلك كله فلا يستحضر تحريما ولاوعيدا ولاعقوبه فهو غافل عن ذلك كله والغفله ضد العلم وقد هدي الله هدايه عامه بما جعل فيهم بالفطره من المعرفه واسباب العلم وبما انزل اليهم من الكتب وارسل اليهم الرسل فقال تعالي (اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرام الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقال تعالي (الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان) ففي كل. انسان ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له وقد هداه ربه الي انواع من العلم يمكنه ان يتوصل به الي سعاده الدنيا والاخره وجعل في فطرته محبه لذلك ولكن قد يعرض الانسان بجاهليته وغفلته عن طلب ما ينفعه او انه يعرف ما ينفعه ولكنه لايريده ولايعمل به فهو يتركه رغم معرفته له ولهذا يقول تعالي

(واتل عليهم نباء الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها)

فهذا النوع الذي تحدثنا عنه الايه ليس جاهلا بايات الله بل عالما بها ولكن فيه من الهوي المعارض ما يحتاج معه الي الخوف الذي ينهي النفس عن الهوي فهو عالم ومطلع علي ايات الله سوا ء الكونيه او التكونيه او المسموعه والتي فيها الدلائل علي عظمه الله وقدرته وجماله وجلاله ولكنه يتغبا عنها ويدعها ولاياخذ بها

فهذا من علماء السوء الذي امر الله نبيه ان يتلو علي قومه قصته

ولم يذكر الحق في القران اسم هذا العالم ولامكانه ولازمانه وقد ذهب بعض المفسرون للقول انه من بني اسرائيل واسمه بلعام بن عوراء كان من علماء بني اسرائيل وبعدها فسد

ومنهم من قال انه عالم كان في بيت المقدس ومنهم من قال انه من بني اسرائيل كان مجاب الدعوه وكانوا يقدمونه وقت الشدائد فبعثه موسي الي ملك مدين يدعوه للايمان فاعطاه الملك المال فارتد عن دينه ...الخ

لكن الحقيقه انه لم يرد في القران ولا السنه دليل علي ماذكر صحيح وبالتالي فلاحاجه لاستدعاء الاسرائيليات وعدم ذكر اسمه في القران لاجل الاتي

الامر الاول

باخذ العبره فهذه القصه نموذجا متكررا يحدث في كل زمان ومكان فهذا المثال نموذج لانحراف الفطره وسقوط العقل في الوحل ولهذا لم تتذكر القصه تفاصيل المكان والزمان فهذه حكمه اغفال تلك التفاصيل للتحذير من

تجاهل ايات الله فمن لم يعبا بها ولم يفكر بايات الله التي في متناول نظره وعقله سواء كانت كونيه كالشمس و القمر وتعاقب الليل والنهار والامطار وغيرها من انعام الله التي يحدثنا الله بها عن رحمته وعطفه وانعامه وقدرته وجماله وعظمته او ما هو مغروس فيك من الايمان الذي فطر الانسان عليه او ايات الله المسموعه فان تجاهلك لها تكون فريسه سهله للشيطان وظلم للنفس اشد ظلما وهبوط الي مرتبه اقل من الحيوانات تخرج الانسان عن ادميته

الامر الثاني

يريد الحق ان يبين لك ان الايات الداله علي الوهيته وربوبيته ووحدانيته لاشريك له محيطه بالانسان احاطه. كامله فانت اينما توجهت تري انعام الله واياته التي فيها حسنه واحسانه وحده لاشريك له ولهذا يقص علينا نباء هذا العالم السوء كنموذج لانحراف الفطره ونقض العهد الماخوذ عليها والنكوص عن ايات الله ومثال لانحراف العقل وسقوطه في الوحل بعدما راي ايات الله وعلم مافيها فقال تعالي (فانسلخ منها)

فشبه صوره تخلصه من ايات الله كانسلاخ الحي من اذيمته اللاصقه بها والتعبير بالسلخ لاجل تصوير المشهد بما فيه من عنف وحركات قاسيه للدلاله علي نزعه اداله العلم المحيطه به من كل اتجاه وكانه بذل جهد ومشقه لنزع الايمان وادالته التي تحيط به من كل اتجاه وانها لاصقه به وفي داخل كيانه

الامر الثالث

ان التعبير بايتاء الايات فيه اشاره الي عطاء الله وانعامه بان اعطاه اياته التي ترشده الي الخير وتدله عليه فقد كانت في متناول يده ولكنه انسلخ عنها اي انه ضل بعد العلم واختار الكفر علي الايمان عمدا لاجهلا فهو قد فارق الايمان مفارقه من لايرجي عودته لانه قد نزع عنه كل ماهو متعلق بالايات الايمانيه فانسلخ منها كما تنسلخ الحيه من قشرها فلا تبقي معها شي من ذلك

فنزع الايمان والعلم عنه كان بنزع الخشيه من الله والله يقول (انما يخشي الله من عباده العلماء)

ولهذا فان. العلم بما انذرت به الرسل يوجب الخوف والعلم يوجب الخشيه الحامله علي فعل الحسنات وترك السئيات ولكن صاحبها خلع عن جسده رداء الخشيه بالتعزز بالجاه والسلطان والمال لقد خلعوا رداء الدين ولبسوا رداء الكبر والتعاظم والتعزز والتفاخر فكانوا اضدادا لنعمه الله التي انعم بها عليهم ولهذا وقع في مصيده الشيطان فقال تعالي (فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين)

اي انه فقد اللباس الواقي الذي يمنع اصابته بسهام الغوايه التي توعد بها ابليس كل من ترك منهج الله فقال تعالي(ربي بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغويناهم اجمعين)

فما سبب وقوعه في الغوايه مخالفته منهج الله فاالمنهج كان غطاء واقي يمنع وصول سهام ابليس اليه فقد كان يلبس درع العبوديه لله وحده لاشريك له فكانت هذه العبوديه هي الدرع الواقي له فالله يقول (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين)

فعليك ان تفهم العبوديه لله والخضوع والاذعان لله هي السلاح الواقي الذي يحميك من نفثات الشيطان وسهامه فالشيطان لايقترب من الانسان الا اذا ترك الانسان ايات الله او لم يعبا لها عندها ياتيك الشيطان من كل الجهات ولهذا قال تعالي (فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين)

تكمل الصوره لانسان انسلخ عن ايات الله وسار في طريق الضلال عندها تبعه الشيطان اي ادركه ولحقه بحيث ظفر به وافتراسه فاستعمل فاتبعه ولم يقل تبعه فكانت اتبعه ابلغ في التعبير عن حاله وتصوير المشهد بصوره متحركه فيها ايقاعات علي النفس موثره عن ما وصل اليه فقال تعالي (فكان من الغاوين)

اي اصبح من جنود ابليس بعد ان كان من اهل الرشد لقد امسي مطرودا من رحمه الله تعالي ومن مطايا ابليس اللعين

ثانيا

عدم ذكر اشخاص القصه لان هذا نموذج متكرر في كل زمان ومكان ولاجل تربيه الجماعه المسلمه علي قيم الا يمان بحيث يكون للعلم اثار تترجم في واقع الحياه فلا يكون العلم مجرد نظريات وثقافه بلا عمل ولهذا يعرض لنا هذه القصه والتي تحكي واقع من عرف الحق وعلمه ولكنه لم يتبعه فما الذي جعل هذا العبد لايتبعه مع ان الاصل ان العلم بالحق يوجب اتباعه

الامر الاول

دلت الايه انه لم يطلب الخير بالعلم الذي كان لديه فالخير يكون بمعرفه الحق واتباعه و في العلم والعمل جميعا ص لاح القول والعمل فالعلم النافع هو القائم علي توحيد الله سبحانه وتعالي عندما يكون طلب العلم عباده لله ولاجل تزكيه النفس وبلوغها مقامات الخشيه والقرب من الله وتصحيح المسار وترسيخ الايمان في القلب يحصل الانتفاع بالعلم

فالعلوم النافعه لاشك انها تلك التي تدفع المسلم الي التفكر في المخلوقات وتامل بدايع حكمته وعظمه الله وجلا له فالطبيب الذي يمارس مهنه الطب لابد ان يشاهد ايات الله الظاهره في تكوين الانسان وبالتالي فان علمه هذا لا يكون نافعا الا اذا ازداد ايمانا بربه ورسخ الايمان في قلبه وكذلك فان عالم الفلك لابد ان يشاهد ايات الله في الكون اثناء قيامه بدراسه احوال الكون وكذلك المهندس والكيمائي وعالم الاحياء البريه والبحريه وعالم الجبال و الصخور وهكذا كلا في مجاله فاللازم ان يكون للعلم غايه نبيله واصوال ثابته تستدل بها علي قدره الله وبديع صنعه

الامر الثاني

الايه فيها التوجيه لك اخي المسلم بالاستزاده من العلم لكن بشرط ان تخلص النيه من تعلمه ان يكون العلم لله وان يتبعه العمل الصالح فهذا العلم هو الذي يحصل فيه علو قدر صاحبه ورفعه منزلته عند ربه فقال تعالي (ولو شئنا لرفعناه بها)

والرفعه بالعلم يكون بالاتي

المفهوم الاول

ان يغرس في النفس تقوي الله والخشيه منه تعالي لقوله تعالي (انما يخشي الله من عباده العلماء) فالخشيه محصوره في اهل العلم بلفظ انما فالعلماء اكثر الناس خشيه من ربهم ولهذا فان العلم من اهم وسائل تزكيه النفس من قذروات الدنيا ومطامعها

المفهوم الثاني

ان العلم وسيله لابد منها في انماء النفس وتكبيرها وتزكيتها فهذه هي البدايه الصحيحه لتزكيه النفس وطهارتها من امراضها فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (من اراد الله به خيرا يفقهه في الدين)

والمراد بالفقه في الدين ان يدرك مقاصد الدين واحكامه قولا وعملا فينتج اثاره في سلوك المسلم لحفزه الي طريق الخير والسعاده فهو الطريق الموصل الي الجنه وهو ميراث الانبياء وبه حياه القلوب وسعاده النفوس

المفهوم الثالث

ان العلم النافع هو الذي يتبعه عمل ويلتزم صاحبه بالخلق الفاضل والاعتصام بكتاب الله وسنه واخلاص القصد لله سبحانه وتعالي فهذا العلم المثمر لقوله تعالي (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون)

فالعلم لايودي وظيفته الا ان يصحبه العمل الصالح مع الاخلاص لله تعالي والتزام الاداب المطلوبه للعالم والمتعلم وان يتجنب الجدل والخصام في مسائل العلم

المفهوم الرابع

علي المسلم ان يدرك انه سوف يسال يوم القيامه عن علمه ماذا عمل به وهل اثمر عنده الخشيه من الله والتقرب اليه بالعمل الصالح ام اتخذه وسيله للتظاهر والتباهي امام الناس فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال (لاتزال قدما عبد يوم القيامه حتي يسال عن عمره فيما افناه وعن علمه فيم فعل ..الخ

ولهذا فان العلم اذا لم يعصم صاحبه من ارتكاب المعاصي فلافائده من هذا العلم لان كل حي يهرب مما يوذيه ويضره فهذا هو فائده العلم فاذا لم يحصل هذا فان العلم غير مثمر

المبحث الثاني

تبين الايه ان العله بحرمانه من نعمه القرب من الله والرفعه عند ربه بهذا العلم يعود الي الاتي (ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

الايه فيها حث المسلم علي مجاهده النفس والهوي والشيطان فعليك ان تدرك انك في معركه مع هولاء الاعداء ولهذا فان الرفعه في العلم تكون في الوصول الي اليقين في الفكر والتصديق بالقلب ثم المجاهده للنفس بالعمل الصالح والثبات والصمود

فعامه المسلمون ورثوا الدين وعلموا احكامه فهم مسلمون لكن حقيقه الايمان يحصل شئيا فشئيا وهذا قد يوصلهم الي اليقين

ولكن لايصلون الي الجهاد الذي بدونه لاتكون الوصول الي القرب من الله والرفعه في الدرجات عنده لقوله تعالي (يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات) ولقوله تعالي (اليه يصعد الكلم الطيب) (والعمل الصالح يرفعه)

وبدون قوه مجاهده النفس ودوامها للاستقامه علي امر الله وشرعه فان اليقين الذي وصل اليه العبد من العلم الذي اتاه الله لايصمد امام التشكيك اذا ما شكك من الاعداء فما لديه من علم بيقين يزوال تدريجبا ويقع العبد في الغفله فيصبح بلا درع واقي يمنع اصابته برماح الشيطان فقد ادركه الشيطان ولحقه يقول ابن القيم رحمه الله الشيطان مع الانسان مثل الكلب والغزل ان الغزل سريع جدا لايقارن سرعه الكلب قفزه واحده واذ الكلب من ناحيه والغزل في ناحيه اخري لكن ما الذي يحصل يطارده الكلب بلا توقف فكيف يصطاده رغم سرعه الغزل انه يظل يطارده حتي يلتفت الغزل فاذا التفت ضعف وخارت قواه فيقع في مخالب الكلب بهذه الطريقه والافهواسرع

وهذا هو حاصل للانسان فاذا التفت للشيطان وطاوعه في خطواته وتزينه فقد ادركه الشيطان واما اذا لم يلتفت الي وساس الشيطان ولا لخوطره ولا يتبع خطواته فانك سوف تسير سيرا صحيحا مستقيما اما اذا التفت الي

الشيطان فانه يزين لك خطوته فيوقعك في مصيدته وعندها تفقد العلم وتصيرا تابعا

فالسلاح الواقي من العدو هو المنهج الرباني بان تلتزم بما فيه وتعمل بما امر الله وتجاهد نفسك فتترفع عن كل مافي الدنيا من ملذات مخالفه لمنهج الله بالشوق الي ماعند الله

الامر الثاني

فاليقين يتضمن القيام بامر الله واجتناب مانهي الله عنه تعني القيام بما يوصل الي الشرف والفلاح والنجاح الذي وعد الله به اولياءه واهل طاعته فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال كل يدخل الجنه الا من ابي قيل ومن يابي يارسول الله قال من اطاعني دخل الجنه ومن عصاني فقد ابي)

ولهذا تبين لنا الايه ان عالم السوء هذا ترك الاخذ بثمره العلم الذي هو الدرع الواقي وانحراف عن الهدي الي الباطل نتيجه عدم عدم حبس النفس عن اهواها ورغباتها لقد ضعف امام عدواه النفس وتحكم الاهواء فالانسان مخلوق من جسد ارضي وزوح سماوي وهي تميل الي الشهوات والملذات تقف بين قوه جذب ارضيه وقوه جذب سماويه تتنازعه ولهذا فان فقدان الخشيه واستحضار عظمه الله وقوته وعذابه وعقابه ادي الي الغفله فغفل عن ذكر ربه الذي عرفه بایاته وادالته لكن الهوي والغفله استحوذ عليه فاختار الادني دون الاعلي فقد هبط في افقه و التصق بوحل التراب واتبع الشهوات فاصبح مسخ كلب يهئيه انسان يلهث سواء طاردته ام لم تتطارده فهو يلهث وراء الشهوات وقد الغي عقله

ولذلك عوقب بحرمانه من نعمه. القرب من الله والرفعه عند ربه بهذا العلم بسبب اختياره لماهو ادني واتباع الهوي فقد غلبه هذا الباعث علي باعث الدين كما قال تعالي (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)

الامر الثالث

تبين الايه ان جاذبيه الجانب الارضي المادي الجسدي في عالم السوء هذا قد انتصرت علي قوه جاذبيه الروح لديه في المعركه التي خاضتها النفس الاماره بالسوء مع النفس اللوامه فقد كان النصر في هذه المعركه للنفس الا ماره بالسوء فقال تعالي (ولكنه اخلد الي الارض)

فضل الدنيا علي الاخره لانه اختار الذي هو ادني فقد كانت المعركه بين باعث الدين وباعث الهوي فتغلب داعي الهوي علي باعث الدين عندها استسلم للشيطان وصار تابعا له وجنديا من اتباعه وسلم قياده امره لشهواته واشتري الدنيا باالاخره. ومن استسلم لشهواته لابد ان ينقض عهوده ويسير في طريق الغوايه

فلم يعد قادرا علي كبح جماح نفسه والامساك بها وضعف امام عنادها وزغ عن طريق الحق فجعلته عبدا لشهواته ولهذا نجد هذا التعبير الدقيق في تصوير حاله بقوله تعالي (ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه)

فالايه تبين صوره السقوط في الوحل بان اختياره للادني لم يكن عن خاطر وحديث نفس ولكنه ميل الي الارض بالكليه فالاخلاد لزوام الاقامه علي الدوام فهو رغب عن هداه واتبع هواه فصارا تابعا لهواه وسلم قياده امره لهواه

المبحث الثالث

عليك ان تعلم ان الشهوات والغرائز التي خلقها الله في الانسان من الحب للمال والبنون كما اخبرنا تعالي في موضع اخر فقال (زين للناس حب الشهوات مو النساء والبنين والقناطير المقنطره...الخ

وكذلك خلق في الانسان الخوف والجزع فقال تعالي (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير

منوعا الا المصلين)

فهذا الغرائز مزوجه التاثير فهي سلم ودرجات اما ان تترقي بصاحبها وترفعه واما ان تهبط به الي اسفل سافلين ف‌الله قد ابتلي الانسان بهذه الغرائز اختبارا لصدق ايمان المومن وقوه اردته في طاعه ربه بقوه هذا الحب الغرائزي الذي يسيطر علي نفسه وعقله فما ان تترقي بالنفس للوصول الي النفس المطمئنه او تهبط بصحابها الي منزله اقل من مستوي الحيوان فقال تعالي

(مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث)

فالذي فضل ايثار الدنيا علي الاخره والجهل علي العلم والمعصيه

علي الطاعه شبهه بالكلب الذي هو اخس الحيوانات واخسها نفسا وابخلها واشدها قال ابن القيم رحمه شبهه الله من اتاه الله كتابه وعلمه فترك العمل به واتبع هواه واثر سخط الله علي رضاه ودنياه علي اخرته والمخلوق علي الخالق بالكلب الذي هو اخس الحيوانات واشدها حرصا واسقطها نفسا فمن شده حرصه انه لايمس الا عظمه في ا لارض يشمم ولايزال يشمم دبروه دون سائر اجزاء جسمه واذا رميت له بحجر رجع اليه ليعظه من فرط بهميته وهو من احقر الحيوانات وارضاءها بالدنايا والجيف القذره واذا ظفر بميته تكفي مائه فانه لايدع كلبا يتناول منها شئيا ومن عجيب امره وشده حرصه انه اذا راي صاحب ثياب رثه حمل عليه كانه يتصور مشاركته له او منازعته في قوته واذا راي صاحب هيبه حسنه وثياب جميله خفض راسه الي الارض ولم يرافعه

فهو شديد اللهث سواء طاردته ام لم تطارده

المهم هنا ان تفهم ان من سقط في مستنقع الشهوات واتباع الهوي فان الشهوات تجعله ينحط الي اسفل السافلين لماذا

لانه تعامل من اجل اشباع شهواته وبالتالي فهو يقع اسيرا الشهوات وكم اغري المال طلبه الي السرقه وارتكاب الجرائم لاجل جمعه وكم اغري الشح صاحبه لجمع المال وصار عبدا له يحراسه ولايتوقف عن اللهث بطلب المزيد منه ويغريه علي الجراءه علي الله ليحظي بحب المال او النساء فلايبالي بغضب الله وانما يبالي بغضب من يتصور انه بيده ان يشبع رغباته كما قال تعالي (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا)

ولهذا حذر الله من فتنه المال والبنون فقال تعالي في موضع اخر (انما اموالكم واولادكم فتنه والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

فتقوي الله فيها الفلاح والنجاح وتزكيه النفس بمجاهديتها هو وسيله التخلص من الاخلاط الردئيه للارتقاء ب النفس وتكبيرها فالاسلام لايحارب الشهوات وانما ينظمها فتكون في اطار طاعه الله تعالي

الاسلام دين فيه التوزان بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح ولهذا يقول النبي صلي الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد حلاوه الايمان. ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار)

وحلاوه الايمان تعني تذوق طعمه فهذه لايعرفها الا المومنون بالذوق التي تحصل في القلب لذه ومتعه وسرور فهذه الحلاوه يحس بها المومنون حقا فهي تحمل صاحبها علي تحمل مشاق الطاعه وايثار ذلك علي اغراض الدنيا فالمحبه لله والمحبه لرسوله لاجله تعالي ومحبه الاعمال الصالحه هي كمال التوحيد

ولهذا فان المراد بالمحبه محبه الاختيار لاحب الطبع حيث يجد بها حلاوه الشي لانه تابع للمحبه لان من احب شي فانه يجد اللذه والسرور بالقيام به والوصول اليه ولذلك فهو يعمل الاعمال التي من اسباب الوصول الي من

يحب ولو كانت شاقه فلا يحس بمشقه القيام باعمالها لان الحب جعله يجد لذه في القيام بذلك ولهذا فان الايه ترسم لنا فساد قوه المحبه لدي هولاء فقد تعلقت نفوسهم بالدنيا واخلدوا لها ولهذا فهم مثل الكلب الذي يبحث عن شهواته

فهو منقطع الفواد يلهث بصفه دائمه في حال ازعاجه وتركه وهكذا هو حال من يترك الهدي فانه لافواد له وان فواده منقطع اي ليس له فواد يحمله علي الصبر علي الدنيا فهو يلهث علي الدنيا من قله صبره والكلب يلهث من قله صبره علي الماء فالكلب اقل الحيوانات صبرا علي العطش فاذا عطش ياكل الترب او البروز وان كان اكثر صبرا علي الجوع فهو اشد الحيوانات لهثا قائما وقاعدا وواقفا لشده حرصه فحراره الحرص فيه موجب اللهث وكذلك فان الانسان قليل الصبر لايفلح في مجاهده. نفسه فالنفس كلما تعلقت بحظوظها واهواءها ازدادت حاجه العبد للصبر لان النفس عنيده وتضغط علي صاحبها لاشباع رغباتها ولهذا فان الذي يفقد التحكم في نفسه. فان النفس تدفعه للهث وراء الشهوات وبالتالي فلا تنفعه الموعظه والنصيحه فهو يلهث سواء نصحته او تركته.ولم تعظه فهو يلهث فهذا من ضعف اليقين فهو لايجد السعاده ولايجد ما يشبع به رغباته حتي يهلك فاللّه بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وذكر ان ابن مسعود قال (اليقين الايمان كله و الصبر الايمان)

ثالثا

تاتي الايه مبينه ان هذا المثال هو لتعرف حال من كذب بايات الله فقال تعالي (ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) ففي ذلك العظه والعبره كما قال تعالي (لقد كان في قصصهم عبره لا ولي الالباب) وقال تعالي (تبصره وذكري لكل عبد منيب)

فالامثله هنا تفصح عن المراد من الامر بتلوه هذا النباء بان المراد من القصه ان تاخذ ماوراء النباء والامر يحتاج الي التفكر والتدبر لاستنباط المفاهيم ولهذا عقب بقوله لعلهم يتفكرون

فالامثال للاتعاظ والاعتبار ولكن. لاينتفع بها الا من يفكر كما قال تعالي (وما يعقلها الا العالمون)

والعلم مراد به الاعتبار والاتعاظ والعمل فمن تعلم ولم تظهر اثار العلم في سلوكه فان هذا اسوا من الحيوانات

فالعلم النافع هو الذي يكون به انماا ء النفس وتزكيتها من الاوساخ فالعلم هو الذي ينتج ثمراته ويتحول الي واقع حياه اما الذي ياخذ العلم من اجل التباهي والتفاخر او لاغراض الدنيا كتطويع الدين لمصلحه الشخصيه ومساعده الطغاه من خلال الفتاوي الظالمه وتبرير انتهاك المحرمات فان هذا العلم ولذته الدنيويه لايشبع رغبات صاحبه فهو يظل لهثا وراء الدنياوملذاتها الخسيسه مثل الكلب دون فائده فقال تعالي (ساء مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون) فهذا اسوا مثال بان شبههوا بالكلاب التي لاهمه لها الا في تحصيل اكله وشهوه فعليكم ان تفكروا هل هنالك اسوا من هذا المثال مثلا فهل هناك اسوي من الانسلاخ عن الهدي هل هناك اسوا من اللصوق بالا رض واتباع الهوي فمن خرج عن الهدي والعلم واقبل علي الشهوه واتبع هواه صار مثل الكلب وبئس المثل القبيح مثله فهو مثل الكلب لاينتفع باللّه الا العناء والتعب لانه ظالم لنفسه بعدم استفادته من العلم

رابعا

تختم الايه ماسبق بقوله تعالي (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون)

المقصود بالهدايه هنا الهدايه الخاصه التوفيق والسداد والنجاح والفوز وهذا يكون بعد القبول بالهدايه العامه والا يمان باليقين الذي يتبعه الجهاد مجاهده النفس والشيطان والهوي والدنيا

فاللازم ضبط النفس وكبح جماحها والتحكم فيها والسير في طريق صلاحها وسعادتها بطاعه الله فعليك ان

تحرس الثغور لمنع تسلل الاعداء اليها فالقلب له ثغور يتسلل اليه العدو والهوي من خلال الشهوات والشبهات وبالتالي فعليك ان تسد الثغرات بتذكر الله علي الدوام ومجاهده النفس لان الله يهدي من يجاهد ليهتدي كما قال تعالي في موضع اخر (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

فقد علق الهدايه بالجهاد فاكمل الناس هدايه اعظمهم جهاد وهدي الله ورضاه مرهون بالجهاد للاعداء الاربعه واخس الناس من ترك الجهاد فمن لم يمنع نفسه من ارتكاب المعاصي فانه يضل ويخسر سعادته في الدنيا والا خره ولهذا فان من ترك الجهاد يكون من الهدي بحسب ماعطل من الجهاد فانت في معركه مع الاعداء فاما ان تنتصر عليهم وتنال الدرجات العلي واما ان تنهزم وتهلك فالله يقول في موضع اخر (فاما من طغي واثر الحياه الدنيا فان الجحيم هي الماوي واما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنه هي الماوي

ومن هنا نفهم ان العلم ولو كان باليقين لاقيمه له بدون جهاد النفس علي طاعه الله وجهاد الدنيا بحب الاخره وجهاد الهوي بان تسلم القياده لكتاب الله فيكون الهوي تابعا لمنهج الله فالمنهج الرباني هو الذي يقود حياتك عندها تنتصر علي الاعداء الثالثه النفس والهوي والدنيا وايضا تنتصر علي الشيطان

خامسا

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذن لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)

المبحث الاول

ماهو معني (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) وما المراد بالعطف والقسم (بقد) واللام في قد وفي جهنم ؟

الذرء بمعني الخلق لقوله تعالي (وجعلوا لله مما ذرء من الحرث والانعام)

ولهذا وقع الكثير من العلماء في اشكال تفسير وتاويل الايه وبماهو غريب المنطق فهناك من نسب لسعيد بن جبير قوله ان اولاد الزنا ممن ذرا الله لجهنم

وهذا القول يتنافي مع واقع الحال لانه ثبت صلاح بعضا منهم

ولكن الواضح من سياق الايه انها اخبار من الله تعالي انه تعالي مثلما جعل للخير والهدايه اهلا وانصارا وهم الذين يهتدون بما جاء به الانبياء والرسل من ربهم اي المنهج فانه تعالي قد جعل للشر والضلال اهلا وانصارا ودعاه وهم الذين يرفضون القبول بمنهج الله ويتبعون الشيطان فانقسام الناس لفريقين اهل الهدايه واهل الضلال لان الله مثلما خلق للجنه اهلا يوهلهم للوصول والاستقرار فيها والتنعم بما فيها من نعيم فقد خلق للنار اهلا جعلهم مؤهلين لاستحقاق عذاب الاخره لعملهم بعمل اهل النار فالايه معطوفه علي جمله (واتل عليهم نباء الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها)والمناسبه ان صاحب القصه المعطوف عليها انتقل من الايمان والهدي الي الكفر والضلال مع انه كان عالما ولان الله اخبر في موضع اخر ان الهوي وحده لايستقل بفعل السئيات الا مع الجهل ذلك ان صاحب الهوي اذا علم قطعا ان ذلك يضره ضررا راجحا انصرفت عنه النفس بالطبع لان الله جعل في النفس حبا لما ينفعها وكراهيه ونفور مما يضرها فلا تفعل ما تجزم انه يضرها فلا تفعله الا لضعف عقلها ولهذا فان الهوي يدفع صاحبه لا ستماع تزين الشيطان الذي يصور السئيات بانها حسنات ويذكر للنفس ما لها من المحاسن كما فعل ابليس مع ادم وحواء فقال (يا ادم هل ادلك علي شجره الخلد وملك لايبلي) ولهذا اجمع الصحابه علي ان كل من عصي الله فهو جاهل ولهذا فان الجهل نوعان الاول المضاد للعلم مثل الذي يجهل الاحكام هل هي حلال ام حرام فهذا اذا عرف الحق وتبين له اتبعه وعمل به فهذا هو الذي يحدث له القران ذكرا المشار اليه في قوله (وكذلك نفصل الايات

ولعلهم يرجعون)

اما النوع الثاني فهي فقدان الخشيه من الله فلا يخاف العاقبه

فمن لم يدفعه العلم بما انذرت به الرسل الي الخوف من عقاب الله

فانه لم يكن عالما بالله لان العلم يوجب الخشيه ويدعوه الي عمل الحسنات وترك السئيات فالعالم بالله وانه مسافر الي الله والدار الاخر ه فان هذا العلم يولد فيه قوه دافعه لطاعه الله شوقا للجنه ولهذا فانه لايحس بمشقه التكاليف وهذا الشوق يقمع قوه الشهوات ويجعل قوه الحب زاد تمده بالصبر فتكون الطاعات غذاء روحاني يمده بالطاقه والنشاط وكذلك فان ذلك يخمد الشهوات وتتصل النفس بربها فترتقي النفس الي النفس المطمئنه الزاهده عن الدنيا وهذه من قوه العزيمه وكذلك فان الاشفاق من عذاب الاخره والنار فانه يجتنب المحرمات ولهذا فهو يتراقب الموت بالمسارعه في الخيرات وبهذا تقوي الهمه ولهذا اختتم الايه السابقه بقوله تعالي (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون) والايه وردت تعقيبا علي من ضل بعد الهدي وكان منه الغفله بعد العلم لان الهوي تغلب علي العلم فلم ينتفع بالعلم بالحق الذي يتضمنه التذكر ولم يستطع دفع الهوي لعدم وجود الخشيه المانعه من اتباع الهوي فمشكلته ليست العلم والتذكر بل

عجزه عن تحويل العلم النظري الي واقع حياه لعدم الشعور بوجود الله وعدم التصديق بعقاب الله لان دفع الهوي انما يكون بالخشيه فاذا حصل ذلك ابصر القلب وعلم لكن هذا الشقي اختار الدنيا علي الاخره فلم يكن عاملا لا خرته ولم يكن مريدا للجنه ولم يسعي لها سعيها فنفسه خسيسه اختارت الدنيا ولما كانت الارداه والعمل من لوزام النفس وهي اساس القوه العمليه الارديه فان ضعف هذه القوه وفسادها اوقعه في غضب الله تعالي فسعاده الا نسان التامه موقوفه علي استكمال قوتيه العلميه والاردايه فهو كان عالما بربه واسماءه وصفاته وافعاله والطريق الموصل اليه ....لكنه لم يستكمل قوه الاردايه العمليتيه والتي لاتحصل الا بمرعاه حق الله علي العبد والقيام بها اخ لاصا وصدقا واحسانا ومتابعه وشهودا لمنته تعالي عليه ولهذا يستحي ان يقابل الله علي تقصير ه واخبرنا الله تعالي انه لاسبيل الي استكمال القوتين الا بمعونته تعالي فالعبد بحاجه الي هدايه الله الي ما هدي اليه اولياءه الذين هداهم الي الصراط المستقيم وان يجنبك الخروج عن ذلك الصراط وان يمدك بالصبر والنشاط والثبات فلا سبيل للاستقامه علي الصراط الابهدايته تعالي ولهذا ندعوا الله في الصلاه بذلك كلما قمنا الي الصلاه اثناء قراءه الفاتحه حيث نبدا بالحمد لله والثناء عليه وبرحمته ثم نتوجه بذكر اننا نعبده وحده ونستعين به وحده فنقول (اياك نعبد واياك نستعين) ونختم بالدعاء (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

و الصراط المستقيم هو الطريق الموصل الي الجنه والي الفلاح والنجاح الذي عرفه الله لمن انعم عليهم من النبين والشهداء والصديقين والصالحين ولهذا فالعبد بحاجه معونه الله له ان يهديه الي هذا الطريق يحتاج الي معونه الله وهذا فضل من الله تعالي فهو تعالي قد ارسل الرسل وانزل الكتب وازاح العلل ومكن من اسباب الهديه و الطاعه وهذا والابصار والسمع والعقول وهذا عدله تعالي ووفق من يشاء لمزيد من عنايته و توفيقه وهذا فضله لان الانحراف الي احد الطريقين انحراف الي الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد وهذا ناتج عن فساد القوه العلميه او الانحراف الي الطرف الاخر الذي سببه فساد القصد والعمل و فساد قوته العمليه الاردايه فيوجب له الغضب فعدم التوفيق جزء للعبد اما ان يكون جزء او عدم صلاحيه المحل لاستقبال الهدايه وهذا يكون بفساد القوه العلميه النظريه وهذا يودي الي الضلال ولهذا ختم بقوله (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون)

فالتوفيق والسداد والنجاح لمن اراد المولي فضل منه تعالي وعنايه لمن اراد وهو سبحانه وتعالي وان اضل من شاء وقضي بالغي والضلال والخساره علي من شاء فذلك محض العدل في حكمه لانه وضع الاضلال والخذلان في موضعه اللائق فالله من اسماءه العدل وكل افعاله واحكامه سداد وصواب ولتاكيد استحقاق هولاء للخذلان والا

اضلال والتخلي عنهم جاء العطف للجمله علي ماقبلها

فقال تعالي (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس)

لتاكيد الخبر المتعلق بعدله تعالي في حكمه بلام القسم وبقد. لقصد تحقيقه لان غرابته تترك سامعه حال الذهن منه منزله المتردد في تاويله لان المخبر عنهم قد وصفهم بان لهم قلوب لايفقهون بها فاارد بهذا الايضاح

الامر الاول

انه سبحانه تعالي عادل فقد اوضح السبل وارسل الرسل وانزل الكتب وازاح العلل ومكن من اسباب الهدايه و الطاعه بالعقول والاسماع والابصار وهذا عدله ووفق من شاء بمزيد عنايه فمن اراد الله ان يوفقه ويعينه فهذا فضله وانه تعالي خذل من ليس باهل لتوفيقه وفضله وخلي بينه وبين نفسه ولم يرد الله تعالي من نفسه ان يوفقه فقطع عنهم فضله ولم يحرمهم عدله وهذا نوعان

ان يكون ناتج عن فساد قوه الانسان العمليه القصد والعمل فهذا موجب لغضب الله تعالي فيكون المنع والحرمان من الهدايه الخاصه

الامر الاول

عقوبه للعبد علي اعراضه وايثاره المعصيه علي طاعه الله وايثاره الدنيا علي الاخره وايثاره الجهل وتناسي ذكر الله والجحود لانعامه علي العلم والتذكر والخشيه وشكر الله فهو اهل ان يخذله الله تعالي ويتخلي عنه وهولاء مغضوب عليهم

وهذا النوع ماتناولته الايه السابقه بقوله تعالي (ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه ...الخ

ولهذا ذهب البعض للقول ان اللام في لجهنم لام العاقبه والصيروريه لبيان ان الجزء من جنس العمل فالنفس لابد ان تتحرك لان الاراده والحركه من لوازمها فانها حيه طبيعيه لكن سعادتها ونجاتها انما تحقق في الحياه النافعه الكامله فاذا عرفت الحق واحبته واردته وعبدته فذلك من تمام انعام الله عليه والافهي بطبعها لابد لها من معبود فاذا انصرفت عن الله واخلدت الي الارض فانها تعيش في ضنك الدنيا وعذاب الاخره فيكون الخذلان والضلال و الخساره الفادحه لان كل مالها من الحياه موجب لعذابها فلا هي متنعمه بالحياه الدنيا لانه وصفه مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث ولاهي ميته مستريحه من العذاب فكان الخذلان. عقوبه له لانه عاش حياه البهائم وبالتالي فهو يعيش في ضنك الدنيا وعذاب الاخره التي اعدها له فهي العاقبه التي يصير اليها

الامر الثاني

ان تكون اللام هنا في قوله(لجهنم)هي لام التعليل وهذا الارجح لان الايات تتناول النوع الثاني من الخذلان والا ضلال عطفا علي ماسبق من قصه من انتقل من الهدي للضلال : بانه تعالي لايشاء ان يوفقه ابتدا لما يعلم انه لا يعرف قدرنعمه الهدايه ولايشكره عليه ولايثني عليه بها ولايحبه فالمحل غير صالح لاستقبال نعمه الهدايه فقضي علي هذه النفوس بالضلال والمعصيه وذلك محض العدل كما تقتل الحيه والكلب العقور (نقلا من كتاب الفوائد لا بن القيم بتصريف)

ولهذا جاء باللام. (لجهنم) لام التعليل اي خلقنا كثير لاجل المكوث في جهنم وهي مستعمله في هذا السياق في الافعال الموجبه لها بعلاقه السببيه لانهم خلقوا لاعمال الضلاله المفضيه الي المكوث في جهنم ولم يخلقوا لا جل جهنم فلا يقصد ايجاد خلق لتعميرها وعلي هذا فان اللام ليست للعاقبه باعتبار ان الايه تتناول بيان انه تعالي لايشاء لهم التوفيق لما قد علم في علمه الازالي المكشوف من نفاذ علمه ان هولاء لايقدرون نعمه الله ف

المحل غير صالح لاستقبال النعمه وهذا العلم ازالي غير متوقف علي زمان ولا علي حركه ينشا بعدها الفعل في ع الم العباد الحادث

وهذا العلم ليس هو الذي يدفع هذه الخلائق الي الضلال الذي تستحق به جهنم وانما الخذلان عائدا لعلمه بان انفسهم غير صالحه لقبول النعمه ولهذا قال بعدها (لهم قلوب لايفقهون بها...الخ

لتفهم من هذا ان هولاء الناس لاياتي منهم الا اعمال وافعال اهل النار فكان التعبير بالخلق (ذرانا لجهنم) للدلاله علي تمكنهم مما يوهلهم لدخول النار ولهذا كان تقديم الجار والمجرور علي المفعول في قوله تعالي (لجهنم كثيرا) وهي متعلقه ب(ذرانا) ومعني ذلك خلقنا الكثير لاعمال الشر المفضيه الي النار لتفهم ان الخذلان وعدم التوفيق ليس بمجرد المشيئه التي لاسبب لها وانما سبب ذلك عدم اهليه المحل فهو سبحانه وتعالي خلق المحال متفاوته في الاستعداد والقبول فالجمل مخلوق لاجل حمل الاثقال وغيرها من الامور ولهذا فان اقصي ما يفعله ويقدر عليه هو حمل الاثقال فهذه هي الغايه التي خلق لها وهذه الفائده من قواه وتلك هي استعدادته وهي تختلف عن الجماد فلاتقبل مايقبله الحيوان. وهكذا هنالك تفاوت في الاستعداد والقبول واما الانسان

فقد شاءت حكمه الله سبحانه وتعالي ان يكون للنفس قابليه التوجيه للخير او الشر وجعلها فيها قوي من شانها افساد الانسان لانها تميل احيانا للشهوات قال تعالي (فالهمها فجورها وتقواها) فالانسان في معركه مع باطنه ومافيها من قوي متحاربه بين الجسد والروح معركه بين الخير والشر كلا منهما يريد ان يمسك بزمام قياده الا نسان فالروح والفطره تدعوا الانسان الي الخير وهذه هي قوي العلم الايمانيه العقليه المنطقيه فاذا استجاب لنداء الفطره والعقل فانه يعود الي الوضع الطبيعي الذي خلقه الله عليه وميزه علي سائر المخلوقات لكن اذا تغلبت قوي الشر وتولت قياده الانسان فانها تطمس اشعاع الروح المضئيه وتهبط بالانسان الي مستوي اقل من الحيوانات لماذا لانه لايستخدم طاقاته الروحيه ولهذا وصفهم الله بقوله تعالي (لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) ولهذا فان الخذلان لعلمه تعالي ان المحل غير صالح للنعمه فقد علم الله من قلب هذا العبد اي محله لاتناسبه النعمه المطلقه فهناك مانع يمنع وصول النعمه ولهذا اخبر ان محلهم غير قابل للنعمه كما قال تعالي في موضع اخر (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون)

فقد ترجحت في نفوسهم دواعي الشهوه والغضب علي الفطره برغم ان دلائل الحق في نفوسهم ولكنهم يتصرفون وفقا لاهوائهم وكانهم خلقوا لجهنم وكانهم لم تخلق فيهم دواعي الحق في الفطره فاسباب الخذلان عائدا للنفس ذاتها فهي غير صالحه لاستقبال النعمه لانها غير صالحه للارتقاء الروحي الذي يتطلب التخلص من الخلاط الرديئه بحيث يكون لديها استعداد لقبول النعمه ومعرفتها وشكر المنعم والقيام بواجبها وهولاء علم الله انهم المحل فيهم غير قابل للنعمه وليس اهلا لها ولهذا لم يشاء ان يهديهم وهذا عدل من الله تعالي

المبحث الثاني

سبب تقديم الجن علي الانس في الايه :

هذا لان ابليس هو موسس مدرسه الشر وهم من سعوا للاضلال في بدايه الامر فهم القاده وائمه الضلال ولما كان المتبوعين اول من يدخل النار فقد ابتدا بالجن ثم ذكر الانس لانهم تابعين للجن

والجن خلق غير الانس وظاهر النص انهم عقلاء وانهم مطبوعون

علي ماخلقوا لاجله من نفع او ضر او خير اوشر وهذا الخلق لايوجد لدينا تفاصيل عنه غير ما ذكر بالقران

ولهذا فان قوله تعالي (لهم قلوب لايفقهون بها ..الخ

حال اوصفه لخصوص الانس لانهم الذين لهم عقول وقلوب وعيون واذان ولم يعرف هل للجن مثل. ذلك ام لا ولهذا فان تقدم ذكر الجن علي الانس في الذكر يتعين معه ان الصفات الوراده بعد هي صفات الانس بقرينه قوله تعالي (اولئك كالانعام)

المبحث الثالث

تبين الايات اوصاف هولاء الذين لم يشاء الله هدايتهم فقال تعالي

(لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها)

الصفه الاولي

(لهم قلوب لايفقهون بها)

الفقه هو الفهم فدل هذا علي سقوط الوعي منهم فهم لايدكورن ما ينفعهم ولا ما يضرهم يتصرفون كمن لايرجو ثوابا ولايخاف عقابا

الصفه الثانيه

(ولهم اعين لايبصرون بها)

الاعين لاتنطر لدلائل قدره الله واياته في الكون نظره تامل واعتبار لايبصرون ما ينفعهم ولايبصرون طريق الحق وسبيل الرشاد

الصفه الثالثه

(ولهم ءاذان لايسمعون بها)

اي لايسمعون موعظ القران سماع تدبر وتفكر فهي لاتوثر فيهم

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الله عادل في حكمه فقد ارسل الرسل وانزل الكتب وازاح العلل وامدهم بادوات معرفه الحق المساعده علي العلم به وهي القلوب والاذان والابصار وبالتالي فلا عذر لهم لانهم عطلوا الحواس ولم يستعملوها فيما خلقت لا جلها فالانسان مخلوق متميز علي سائر المخلوقات ولهذا فان التاثر بالشريعه الحقه انما يكون باستعمال الملكات فيما خلقت له بمعرفه حقوق الله وحقوق بني جنسه. حقوق غيره فيكون التفاني في خدمه البشر يه لاجل ارضاء الله فالانسان مخلوق لعباده الله ومعرفته ومحبته وتوحيده وقد منحه الله ملكات واعضاء وكلف كل عضو وجزء وملكه من ملكاتك للقيام بمعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده ولهذا فذروه الكمال لها هو الاتصال باالله وان تظل مفتوحه وان تودي كل منها الوظيفه التي خلقت لاجلها فلا يجوز مثلا استعمال حاسه النظر لمعرفه ذوق وطعم المر او الحلو لان ذلك من مهام اللسان فهي اداه الذوق والطعم

يقول الله ان هولاء لم يقدورا النعمه التي انعم الله بها عليهم فهم ليسوا اهلا لنعمه الهدايه لان المحل غير صالح

فهم لم يفتحوا قلوبهم لاستقبال انوار الهدايه وفهم ما فيه فقد اغلقوا القلوب ومنعوها من ان تصل اليها اداله الهدايه فقلوبهم مغلقه باقفال الشرك والضلال كما قال تعالي (علي قلوب اقفالها)

ولهم اعين ولكن مغلقه لاتبصر ايات الله المشهوده الداله علي حسنه وجماله واحسانه والداله علي قدرته وعظمته وجلاله

ولهم اذان لاتسمع ايات المتلوه وتتدبر مافيها من احكام فقد عطلوا الحواس التي ترشدهم الي مافيه منافعهم

ولهذا وصفهم بانهم (اولئك كالانعام)

لان البهائم لم تكلف الا بخدمه الانسان ولهذا فهي تاكل وتشرب وتتناكح اما الانسان فهو مميز عن الحيوانات بالعقل والفطره وحريه الاختيار ولهذا فعندما يسقط عنه الوعي بربه وعندما تنحرف الفطره عن الحق فان ذلك يودي الي تعطيل الحواس عن مهمتها التي خلقها الله لتكون عونا للانسان علي معرفه الحق واتباعه فالله يقول في موضع اخر (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئده فما اغني عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا. به يستهزون)

ولهذا فهم اضل من الحيوانات لتعطليهم الحواس وترك الهدايه التي جاء بها الرسل

الامر الثاني

عليك ان تفهم ان قيمه الاشياء هو بمنفعتها وثمرتها وفائدتها لا بمظهرها فالمولي سبحانه وتعالي ذم تعطيل الكفار الانتفاع بالقلب والعين والاذن فقال تعالي (لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها)

فلم ينفي وجود صوره الادوات والالات بل اكد وجودها انما هي صوره بلا منفعه منها فاصبحت بلا فائده فالقلوب خلقها الله لتعي وتعقل وتفهم الغايه من وجودها وتعرف الحق من الباطل والاعين لتبصر دلائل الحق والاذن لتسمع الحق سماع تدبر وايمان ولهذا قال بعدها (اولئك كالانعام) جمله مستانفه فجعل هذا الابتداء بالكلام لاجل شد الانتباه بما سوف يخبرهم به فاستعمل اسم الاشاره للتنبه بما سيذكر بعده وهو تسويتهم بالانعام في عدم الا نتفاع بما ينتفع به العقلاء فكان قلوبهم واعينهم واذانهم. قلوب انعام واعين انعام واذان انعام ذلك ان البهائم السارحه لها قلب ولها عين ولها اذن لكنها لاتفقه مايقال لها ولاتفهم ماهو الصالح وماهو غير الصالح ولاتميز بين الخير او الشر ولها عين ولها اذان لكنها لاتفهم النداء فهي لاتسمع الا صوت كما قال تعالي في سوره البقره (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع الادعاء صم بكم عمي فهم لايعقلون)

اي وصفهم في حال دعائهم للايمان كمثل الانعام اذا دعاها راعيها لاتسمع الاصوت ولاتفقه مايقول ولهذا عليك ان تدرك ان الله انعم عليك بالحواس فلا تعطل عملها وتفقد قيمتها وهذا فيه الاتي

الامر الثالث

عليك ان تفهم انك مخلوق لمعرفه الله وعبادته ومحبته وتوحيده وان الله قد انعم الله بالعقل والفطره وحريه الا ختيار وميزك بذلك علي سائر المخلوقات ولهذا فان الادوات التي اعطاك اياه الله والاعضاء لله عليك في كل عضوء وجزء من اعضائك امرا وله عليه فيه نهي وله فيه نعمه وله به منفعه ولذه يقول ابن القيم (فان قام لله في ذلك العضو بامره واجتنب فيه نهيه فقد ادي شكر نعمه الله عليه فيه وسعي في تكميل انتفاعه ولذته به وان عطل امر الله ونهيه فيه عطله الله من انتفاعه بذلك العضو وجعله من اكبر المه ومضرته)

ولهذا فان كل انسان يملك قلبا لكنه لايعني انه يملك قلبا عاقلا لانه قد الاداه موجوده لكنها معطله لامنفعه منها ولهذا فلا تستغرب ان تري كثير من البشر يتصرفون كمن لاقلب له ولاعقل ولاتستغرب ان لايستجيب هولاء لنداء العقل والفطره الذي يتوافق مع ما يدعوهم اليه الناصحون فهم لهم قلوب ولكن معطله فقدت منفعتها فهم مشغولون بالاكل والشرب كالبهائم

الامر الرابع

عليك ان تحرص علي فهم الاشياء والتفكر في الايات وتدبر معانيها

انتبه من تعطيل ما انعم الله به من حواس لانك ان فعلت هذا فانت المؤخذ لعدم توجيه اردتك لفهم الامور و التفتش عن الحقائق فالله يقول (لهم قلوب لايفقهون بها ...الخ

فلم يقل لهم قلوب لاتفقه وانما قال لايفقهون بها لبيان انهم الموخذون عن تعطيل توجيه الحواس للبحث عن الحقيقه والتامل والتفكر فكل من له قلب لايفقه الحق وعين لاتبصره واذن لاتسمعه فانه قد حط من منزلته وكرامته التي فضله الله بها علي سائر المخلوقات وبالتالي فانه يكون كالانعام بل اضل فعجبا لمن اتاه الله قلبا يفقه به وعينا يبصر بها واذنا يسمع بها ثم تراه يتخبط في دورب الضلالات والشرك والكفر فهو مثل البهائم بل اضل لان البهائم تتفادي مايضرها بحسب مافيها من غرائز وتطلب ما ينفعها لكن الانسان يقدم علي مايضره معانده ومكابره مع العلم بالهلاك فقال تعالي (بل هم اضل) فلذلك كانت البهائم احسن حالا منهم

وهذا فيه تنقيص لمرتبه الكفار عن رتبه الانعام فهم اسوا حالا والسوال كيف يمكن الجمع بين قوله بالتسويه بالا نعام وقوله انهم اضل

المساله الاولي

ان يكون الاضراب (بل) هنا انتقالي لا ابطالي حيث انه ذكر في الاولي تشبيههم بالانعام في اصل الضلال لافي مقداره ثم كان استخدام (بل) للانتقال الي بيان مقداره تنقيصا لرتبتهم بانهم اسوا حالا من الانعام اذا ان الانعام ليس لها سوي الاستعدادت الفطريه ثم تهذيبها اما الانسان فقد زواده الي جانب الفطره بالقلب الواعي والعقل المدرك والعين المبصره وزوده بالقدره علي اتباع الحق والهدي وانحراف الي الضلال فاذا اغلق منافذ الهدايه فانه يكون اضل من الانعام الموكوله الي استعدادتها الفطريه فهم اضل من الدواب التي تقوم بما خلقت لاجله ام هولاء فقد عطلوا الحواس التي تساعدهم علي التميز بين الخير والشر والصالح والفاسد والنافع والضار ولهذا وصفهم بـ الترقي في الضلال مع ما اعطوا من الافهام والعقول المميزه فكيف يطلبون ان يعيشوا حياه البهائم

ولهذا فان بل للانتقال والترقي في التشبيه في الضلال وعدم الانتفاع بما يمكن الانتفاع به ولان قوله كالانعام فيه وجه الشبه موول الي معني الضلال كان الارتقاء في التشبيه بطريقه اسم التفضيل في الضلال فقال (بل هم اضل)

ووجه كونهم اضل من الانعام ان الانعام لايبلغ بها ضلالها الي االوقوع فيما يودي الي هلاكها فهي مثلا تتجنب الا ماكن الهاويه التي يمكن ان تسقط منها فلا تمشي في الجبال الشاهقه الوعره التي لاطريق فيها وموكد السقوط منها والتردي فلا تسلك الطرق التي فيها فجوات ولهذا استعمل صيغه التفضيل لبيان كيفيه الضلال الواقع فيه الضال ومقداره لانهم حجروا علي عقولهم ومدراكهم ومنعوها من النظر والتفكر والاستدلال علي ماينفعها وبالتالي فهم اضل من الانعام

المساله الثانيه

ان يكون المراد بالاولي ضلال المتبوعين اي طائفه القاده وائمه الضلال وفي الثانيه ضلال طائفه التابعين و الجنود والمروسين

ووجه كونهم اضل من الانعام انها اي الانعام تنقاد لاربابها وتعرف من يحسن اليها وتجتنب ما يضرها اما هولاء فهم لاينقادون لربهم ولايعرفون احسانه اليهم وهم ينقادون لبشر مثلهم

المبحث الثالث

تختم الايه تعليل ماسبق بقوله تعالي (اولئك هم الغافلون)

الامر الاول

وهذه الصيغه فيها قصر الغفله عليهم وهذا يتناسب مع الاسلوب الذي وصفهم بالاوصاف المتدرجه من نفي انتفاعهم بمداركهم ثم تشبيههم بالانعام ثم الترقي بانهم اضل فكان التذييل مناسبا للترقي قبله بانهم اضل من الا نعام فكان مجي قصر الغفله جمله تعليل لقوله بل هم اضل للاشاره الي بلوغهم حد النهايه من الغفله

وبلوغهم هذا الحد قيد بصيغه القصر الاذعاني بانحصار صفه الغفله فيهم بحيث لايوجد غافل غيرهم بعدم الا عتداد بغفله غيرهم لماذا

لان غفلتهم متعلقه باجدر الاشياء التي لاينبغي ان يغفل عنها احد

والغفله تعني عدم الشعور وهذا يهدف الي التحذير من اتباع الشهوات لانها تعمي العقل عن الرويه السليمه بل انها تعطل الحواس وتحجب عن القلب الرويه والفهم فقد غفلوا عن انفع الاشياء غفلوا عن الايمان بالله وتركوا اعمال الحواس فيما خلقت له فاستعانوا بها علي ضد المقصود منها فلم يستعملوا الحواس في عباده الله والايمان به ومحبته والتي تكون فيها سعاده العبد ولهذا فان غفلتهم هذه تجعلهم مستحقون بان يكونوا ممن خلقهم الله للنار باعمالهم باعمال اهل النار واهمالهم تزكيه نفوسهم

الامر الثاني

عليك ان تحرص علي اليقظه فلا تغفل عن ايات الله فالسعاده ان تظل ابواب ونوافذ القلب مفتوحه تجاه الله لان القلب هو محل الاعتبار والفهم والهدايه ولهذا فان الغافل الذي يغلق ابواب القلب دون الحق او سماعه فهذا الغافل يحرم الفهم والهدايه لانه مغطي بالران التي تكون نقط سوداء تحجب عنه الرويه والفهم والسمع فلا يتمكن من قراءه الاشياء وبالتالي فلا يتاثر بالموعظ ولاتنفع الذكري الا القلب الحي المتيقظ

فالغفله ليس المراد منها الغفله اي الجهل المضاد للعلم فقط بل الغفله التي تمنع دفع الهوي لعدم الخشيه عندما يصبح الانسان يعيش لاجل ان ياكل ويشرب ويتناسل فان هذا السلوك يهبط به الي منزله الحيوانات ويبني حاجزا وسدا بين الانسان وبين الاتصال بربه ولهذا فهو لايفهم الايات ولايحس بها وهذه الخطوه الاولي للانحراف ثم انه يري الايات في الكون ولكنه يمر عليها دون ان يحدث له ذلك عبره او فهم يشاهد بها احسان الله وحسنه وجماله وجلاله

فلا يتاثر قلبه بما يشاهد ويسمع الايات القرانيه دون ان يكون لها اثرا علي مسامعه وقلبه فهذا يعيش مثل الحيوانات بل اقل مرتبه منها لانه يعطل الطاقه الروحيه التي اودعها الله فيه ومطلوب منه ان يستعملها فهو اضل من الحيوانات لان الحيوان ليس مطالبا بالارتقاء الروحي ولاقادرا عليه وانما فطرته القيام باقصي ماخلق له وهو انه مسخر لخدمه الانسان

الامر الثالث

كما ان الايات تبين اعجاز علمي عن حقيقه القلب بقوله تعالي

(لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها)

فالايه تبين ان القلب محل الفهم والفقه والعلم والوعي والادراك ولهذا فان الناس قد يملكون عقولا لكنهم لايملكون

القلوب الوعيه القلوب التي استقر فيها عواطف حب الله والخوف من الله فهي تذكر الله عندما تسمع ايات الله ف القران يحدث لها ذكرا وهذا يعود الي قوه الفهم والعلم التي استقرت في القلب والي قوه الحب لله واياته والتي تعني قوه علم تذكر وقوه خشيه تدفع الهوي فالقلب له دور في زياده المعرفه وهو يعقل ويبصر ويسمع ف الله يقول في موضع اخر (فانها لاتعمي الابصارولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

ولهذا وصف الله من عطل اداء القلب لعمله بانه غافل وقصر الغفله عليهم لان القلب هو محل الوعي والادراك و الفهم وليس المخ او الدماغ كما يعتقد البعض وهذا ما تم اكتشافه حديثا من خلال مراقبه الاطباء لعمليه زرع القلب الطبيعي او القلب الصناعي

حيث لاحظ العلماء انه بعد زرعه قلب جديد في صدر اي مريض

ان النبض يبدا علي الفور دون ان ينتظر اشاره المخ

مايوكد صحه الايه لهم قلوب لايفقهون بها لان هذا الاكتشاف يوكد ان القلب هو الذي يوجه الدماغ في عمله فكل خليه من خلايا الانسان لها ذاكره في القلب يقول احد الاطباء في زراعه القلب ان تاريخنا مكتوب في كل خليه من خلايا جسدنا

وقد شاهد الاطباء بعد زراعه القلب الصناعي الذي عباره عن مضخه دم تعمل باستمرار وكان اول زراعه في عام 1982م

والذي استمر اربعه اشهر ومات المهم شاهد الاطباء ان كل من زرع له قلب صناعي يصبح بلا عواطف ولا احساس وفاقد للتفكير يقول احد المرضي لقد تغيرت بالكامل فلم اعد افهم ولا ادرك شي لم اعد احس بالعاطفه تجاه اولادي واحفادي الذين كنت احبهم كثيرا لم اعد اشعر بوجود رابطه تربطني بهم لقد فقدت حتي الايمان ب الله واليوم الاخر لم اعد افكر بالمستقبل واتمني ان اموت

فدل هذا ان القلب هو الذي يفكر وفيه العواطف والحب وهذا ما اكده الاطباء فقد ذكرت امراه تدعي كليرا سليفا تم زراعه قلب لها العام 1988 من شاب كان عمره18سنه توفي في حادث تقول هذا المراه منذو تم زرعه قلب الشاب في صدري بدات اتغير فاصبحت اميل الي سلوك الذكور وكذلك اصبحت ارغب بطعام لم اكن اطيق رويته وهكذا تغيرت حياتي بالكليه والعجيب انها عندما قابلت اسره المتبرع تبين لها ان تصرفاتها هي نفس تصرفات المتبرع بالقلب (نقلا عن بحث الاعجاز العلمي في الايه)

المهم ان هذه الظاهره تكررت وهو ماجعل العلماا ء يتوصلون الي وجود ذاكره في القلب عن كل خليه في جسم الا نسان ولذلك بدا العلماء في التسعينات يرقبون التغيرات النفسيه لمن يتم زراعه قلب جديد لهم لمعرفه اسباب هذه التغيرات فاتضح لهم ان هنالك ترددت كهرطيسه يبثها القلب توزي تلك التي يبثها الدماغ وهو ما جعل العلماء يتبعون مجراها فوجدوا ان الذاكره ليست في الدماغ وانما هي في القلب ومن هنا نفهم قول الرسول صلي الله عليه وسلم الا ان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب)

فغفله القلب سبب فساد الانسان وانحرافه اسال الله تعالي ان يصلح قلبي وان يرزق بصري البصيره التي اري فيها ايات الله وان يمتع سمعي بقراءه القران وتدبر مافيه

القسم الثالث

ايات هذا القسم امتداد لما قبلها فهي تتناول قضيه التوحيد التي استعرضتها النصوص مبينه ان الانسان مغروس فيه العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري ثم تناولت النصوص بيان حاله الانحراف من التوحيد الي الشرك ومن الهدي الي الضلال وتناولت مساله تعطيل الحواس مبينه ان ذلك من اسباب الغفله والضلال

تهبط بالانسان الي مستوي اقل شانا من البهائم وهو ما يقتضي اليقظه

فسعاده الانسان وكماله انما تكون بالاتصال باالله علي الدوام فهذا فيه السعاده في الدراين فقال تعالي (ولله الا سماء الحسني فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسماءه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امه يهدون بـ الحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون واملي لهم ان كيدي متين او لم يتفكروا مابصاحبهم من جنه ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شي وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

اولا

ابتدات الايه بقوله تعالي (ولله الاسماء الحسني فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسماءه سيجزون ما كانوا يعملون)

فيها الاتي

المساله الاولي

اثبات الاسماء له تعالي

وهي الاسماء الحسني وهي التي ذكرها الله في كتابه والنبي صلي الله عليه في سنته وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان لله تسع وتسعين اسما من احصاها دخل الجنه) وفي روايه اخري من حفظها دخل الجنه) وهي (هو الله لااله الاهو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الرشيد الحق الوكيل القوي المتين الوفي الحميد المحصي المبدي المعيد الحي المحيي المميت القيوم الواجد الماجد الاحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الا ول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوراث الرشيد الصبور)

المساله الثانيه

اثبات كونها حسني

بيان لعظيم جلال الله وسعه اوصافه يحدثنا فيها المولي سبحانه وتعالي عن اسماءه الحسني فيخبرنا انه تعالي له اسماء حسني كل اسم دال علي ذاته المقدسه وعلي صفه كمال عظيمه ولهذا استعمل صيغه

اسم التفضيل الحسني لبيان ان اسماء الله كلها حسني فهي اعلي درجات من الكمال المطلق

المساله الثالثه

الامر باقتصار الدعاء لله سواء في العباده او المساله باسماء الله حيث نجد ان الايه ورد فيها الضمير العائد علي الله سبحانه وتعالي (فادعوه)

الهاء والمراد بهذا ان الدعاء ايان كان لايجوز ان يتوجه الا الي الله تعالي وان ذلك لايكون الا باسماءه الحسني فقال (فادعوه بها)

فالهاء في (بها) عائده علي الاسماء الحسني

المساله الرابعه

ترك الملحدين الذين يتجرون علي الله في الشرك باسماءه وصفاته وافعاله سواء في انكارها والجحود بها او جحود معانيها او تعطيلها او تحريفها عن الصواب او اخراجها عن الحق واما بجعلها اسماء لمخلوقات كما فعل المشركون الذين اشتقوا اللات من الله والعزي من العزيز

المساله الخامسه

توعد الملحدون بالعذاب والهلاك في الدنيا والاخره

وهذا فيه الاتي

الموضوع الاول

ان كمال العبد وسعادته متوقفه علي قوه العلم الحب اي العلم بالله وحب الله تعالي فكلما كان الانسان عارفا بربه ومحبا له كانت سعادته وكماله اقوي ولهذا لما تناولت النصوص في الايه السابقه حال من انقطع عن الاتصال بربه بانه صار ادني منزله من الحيوان وحصر عليه الغفله جاء ت الايه تحدثنا عن كيفيه الخروج من الغفله وكيف يستعيد الانسان انسانيته وتكريمه الذي كرمه الله وجعله سيدا علي الخلق انما كان بالعلم والروح والتسويه بيد الخالق فقد علم ادم الاسماء فقال تعالي (وعلم ادم الاسماء كلها) وبهذا العلم كشف الحق للملائكه مكانه ادم ومنزلته والروح هي مصدر التكريم

ولهذا فان الانسان قد حمل امانه العلم وامانه الخلافه والعلم يعني العلم بالماده والعلم بخالق الماده ولما كانت الغفله نقص للانسان وغياب الدين ومعرفه الرب يجعل النفس تتخذ لنفسها معبودا وحينها تفقد كرامتها التي انما تكون بعباده الله وحده وكيف للانسان ان يعبد مخلوقات من البشر امثاله او جماد او جن او ملائكه وهو الذي فضله الله علي الملائكه وامرهم بالسجود له تكريما وسخر له الكون كله ان هذا الانحطاط انما يحصل لعدم معرفه الله ولهذا نفهم لماذا يحدثنا الله عن اسماءه الحسني لان استعاده كرامه الانسان ومنزلته انما تكون بمعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده وحده لاشريك الله فتحقيق هذه الغايه التي خلق لها الانسان والقيام بحمل امانه العلم بالاسماء وامانه الخلافه اول وسيله للوصول ونيل الغايه هي العرفان الصحيح بالله تعالي والايمان بالاله الحق القدير الحي القوي العزيز فمن اخطا في هذه الخطوه فانه ينحرف في سائر الخطوات ولهذا جاء تقديم الخبر في قوله تعالي (ولله الاسماء الحسني) لان تقديم ماحقه التاخير يفيد الحصر فهو تعالي له دعوه الحق فاسماء الله الحسني هي الحقيقه المطلقه لان الله تعالي هو الحقيقه المطلقه وماعداه الاسماء صور تظهر وتختفي وتجد وتهالك فمل مافي الكون صور تخضع لما تخضع له الصور والحقيقه الباقيه هي اسماوه الحسني وهي وسر كونها الحقيقه كونها ترمز الي عزته وتشير الي جلاله والانسان بحاجه للاتصال بالله ودعاءه فالانسان يعيش في ارض الله خالقه ولهذا فهو بحاجه ان يعرف اسماء خالقه بحاجه الاتصال به كيف له ان يتحرك في الارض دون اعانه خالقه ولهذا فهو بحاجه الي ان يعرف اسماء خالقه ليدعوه ولهذا فعليك ان تدرك ان حديث الله لنا عن اسماءه هو كرم منحه الله للانسان انها شفقه ورحمه من الله تعالي الذي احتجبت. ذاته المقدسه عن انظار الخلق فكشف لنا اسماءه الحسني ليدلنا علي طريق الدعاء بها فجعلها الله طريقا لدعوته والاتصال به تعالي فانت تري ان الانسان يلتفت اذا ناداه احد باسمه فان رحمه الله تبارك وتعالي تسرع لمن يناديه باسماءه سبحانه وتعالي عندها يخرج الانسان من الغرابه لانه يحس بالاتصال بالله ولهذا وصفها بانها الحسني بصيغه المبالغه فاراد منك ان تشعر بلذه معرفه الله تري حسنه واحسانه وجماله فالانسان مفطور علي حب الجمال والكمال

فالحق يريد ان تفهم وتدرك ان العبد يكون منقطعا عن الله حتي تتصل اردته ومحبته بوجهه الاعلي وهذا لايتم ا

لا بالرغبه بالمحبوب والشوق اليه بحيث تفضي المحبه اليه وتتعلق به وحده لاشريك فلا يحجبها شي دونه فاراد بهذا تقويه المحبه والشوق لان اللذه تقوي بقوه المحبه وتضعف بضعفها والشوق والمحبه تابع للمعرفه والعلم به وباسماءه وصفاته فمن كان عالما بالله واسماءه وصفاته كانت محبته اقوي وكان اتصاله بها اقوي. وكانت فاعليته ايجابيه فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم في الحديث ان لله تسع وتسعون اسما من حفظها دخل الجنه ..الخ

فالحفظ هنا ان تتصل باسماء الله وصفاته وافعاله فلاتطمس انوراها بالتعطيل او التشبيه يعني حفظ امانتها وحملها وعدم تضيعها بوصفها المثل الاعلي والحقيقه المطلقه فهي هدف المسلم في حياته علي الارض

وبقدر ما يحمل المسلم من اسماا ء الله الحسني يكون حظه من التوحيد

عندها يحبس الانسان نفسه لله تعالي فهو مطلوبه فلا يخاف احد لانه مومن ان الله مع عباده المخلصين فهو لا يلتفت الي الدنيا ومافيها فهذا يظل ذاكرا لله يقظا وبالتالي فهذا هو علاج الغفله

الموضو ع الثاني

عليك ان تدرك انك مكلف بحمل امانه حمل اسماء الله الحسني وهذا يقتضي معرفتها والمعرفه تعني الفهم الصحيح لاسماء الله الحسني

وهو طريق(التعلق والتخلق) والتعلق بالله واسماءه وحده لاشريك له تعني ان تعيش مع اسماء الله تعالي وتتدبر معانيها ليحصل لك القرب من الله وتري جمال الله وجلاله وعظمته سبحانه وتعالي

والتخلق باوصافه لتكون رباني فهذا يعني التحول من الهمجيه الي الانسان ثم من انسان الي انسان اخلاقي ثم من اخلاقي الي رباني وهذا يعني ان تستفيد من دراسه اسماء الله الحسني في تزكيه النفس واصلاح السلوك من خلال صفات التخلق التي نتعلمها من صفات الرب فانت عندما تعرف ان الرب رحيم فان اللازم عليك ان ترحم من في الارض ليرحمك من في السماء عليك ان تتخلق بالعفو عن من اساء لك تخلقا باخلاق الرب واذا كان الرب كريم فان حظك منها ان تتعامل مع الناس بمثل ذلك فهناك اسماء لله يجوز للعبد ان ياخذ من اخلاقها مثل ماذكرنا

وهناك اسماء لايجوز التخلق بها مثل. الله والرحمن فلا يجوز التخلق بهما وانما يجوز لك التعلق بهما والمقصود بـ التعلق هو التاله ومعني ذلك كما قال حجه الاسلام الغزالي ان يكون العبد مستغرق القلب والهمه بالله تعالي لا يري غيره ولايلتفت الي سواه ولايخاف ولايرجو الا اياه

وكذلك فان عليك ان تفهم ان الله قد سمي نفسه باسماء فعليك ان تحسن اختيار الاسم المناسب للدعاا ء فانت اذا اردت ان تطلب الرزق من الله فقول يارزاق ارزقني ..وياغفور اغفر لي ..ويارحيم ارحمني

فهذا هو الفهم الصحيح لاسماء الله تعالي وليس كما ذهب البعض للقول بان له هنالك خواص للاسماء بالفهم الخاطئ لها كما اشار اليه الامام حسن البناء رحمه الله تعالي في كتابه العقائد فقال (يذكر البعض ان لكل اسم من اسماء الله تعالي خواصا تتعلق به وقد يتغالي البعض ويتجاوز هذا القدر الي زعم ان لكل اسم خادما روحانيا يخدم من يواظب علي الذكر به والذي اعلمه في هذا وفوق. كل ذي علم عليم ان اسماء الله تعالي الفاظا مشرفه لها فضل علي سائر الكلام وفيها بركه وفي ذكرها ثواب عظيم وان الانسان اذا واظب علي ذكر الله تعالي طهرت نفسه وصفت روحه ولاسيما اذا كان ذكره بحضور القلب وفهم المعني اما ما زاد علي ذلك فلم يرد في كتاب الله و لاسنه نبيه وقد نهينا عن الغلو في دين الله تعالي والزياده فيها وحسبنا الاقتصار علي ماورد)

والامام البناء حذر من التحريف الذي حصل من البعض نتيجه الغلو في النظر لخواص الاسماء حيث تحول الفهم الصحيح للاسماء الي فهم فاسد عندما حاول البعض استخدم الاسماء الحسني في الدجل والشعوذه والسحر

بمزاعم الاتصال بعالم الارواح وهذه المحاولات تخرج صاحبها عن الايمان وهو تحول خطير مثل تحول اليهود من التواره الي الكتب الشيطانيه كما قال تعالي (واتبعوا ما تتلوا الشياطين علي ملك سليمان ....الخ

وهو ما ينبغي الحذر منه اخي المسلم فلا تدعو ا الله الا بالاسماء الحسني التسعه والتسعين المذكوره وان كان هناك اسماء لانعلمها كما ورد في الحديث (اللهم اني اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك انزلته في كتابك او علمته احد من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك)

هو

1

ان دعاء الله باسماه الحسني هي من ابواب الخير ومفاتيح الاستجابه فعلي كل منا ان يحسن طرق الباب عسي ان يفتح الله له الابواب المغلقه

2

ان اللازم عليك ان تعيش مع اسما ء الله وصفاته وتتدبر معانيها واهم مايستفاد من دراسه اسماء الله وصفاته هو تزكيه النفس واصلاح السلوك والقرب من الله فعكوف القلب وانابته علي الله والاشتغال بالله هو الطريق الي الجنه كما قالت امراه فرعون (رب ابن لي عندك بيت في الجنه) فكلما ذكرت الله حصل البناء لمنزلك في الجنه فذكر الله والتعلق به سبحانه وتعالي هي مواد البناء فاذا توقفت عن ذكر الله توقفت الملائكه عن البناء ولهذا فان تعلق القلب وعكوفه علي الله يعني تذوق طعم الجنه وانت في الدنيا عندها تصل الي اعلي مراتب النفس النفس المطمئنه يقول تعالي (الا بذكر الله تطمئن القلوب) ويقول تعالي (يايتها النفس المطمئنه ارجعي الي ربك راضيه مرضيه فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) فحقيقه عكوف القلب تعني العكوف علي محبته وذكره بالاجلال و التعظيم وهذا هو التعلق وعكوف القلب الذي يحدث به الاتصال بالله ويزول بين الذاكر والمذكور حجاب الغفله التي تحدث عند الانشغال والالتفات لغير مذكور العبد وعندها يحصل التخلق بصفاته باصلاح السلوك وتزكيه النفس بالاستقامه علي امر الله بحيث يتصل العمل بامره ونهيه فتفعل ما امر الله به وتترك مانهي بعكوف البدن والجوراح علي طاعته والاخلاص له والمتابعه لرسوله ويتصل الحب والخوف والرجا والفرح والسرور وكل مايخص الانسان بالله عندها يانس بالله ويعيش حياته كلها لله تعالي وحده لاشريك له فهو يتعلق بموصوف بكل كمال

الموضوع الثالث

يامر الله المومنين ان يتركوا الملحدين الذين انحرفوا ويقومون بتحريف اسماء الله فقال تعالي (وذروا الذين يلحدون في اسماءه)

وكلمه ذروا تعني اتركوا فهل معني الامر بان يتركوا الملحدين والسوال هنا من هم المقصود بالملحدين وهل الامر للمومنين بتركهم يعني عدم مناصحتهم وبيان الحق لهم ثم كيف يكون هذا والمعلوم انه لايترك الظالم علي ظلمه فلابد من رده فالامه وصفت بانها خير امه اخرجت للناس لانها تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟

الامر الاول

تحذر الايه من سلوك اهل الضلال الذين فرقوا دينهم بالانحراف عن منهج الله بالبدع والشبهات فاحدثوا في عقيدتهم ما احدثوا بمخالفه الحق كما قال تعالي (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .....الخ

ولهذا فان المراد بالملحدين كل اهل الملل والنحل الضاله (المشركون والوثنيون واليهود والنصاري)

فالالحاد هو التكذيب واصل الالحاد في لغه العرب العدول عن القصد والميل والجوار والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه الي جهه القبله وحقيقه الالحاد تعني الميل بالاشراك والتعطيل لاسماء الله وصفاته كلها او بعضها ويكون الالحاد اما بتكذيبها وانكارها واما بجحد معانيها بتعطيلها او تحريفها واخراجها عن الحق او بالتشبيه وغيرها من الاحوال ولهذا فان المراد من الامر بقوله (وذروا ا لذين يلحدون) اي اتركوا الملحدين اي لاتسلكوا مسالك الضالين والملحدين ولاطريقهم فانهم علي ضلال كلهم

الامر الثاني

يامر الله تعالي المومنين ان يتركوا مسالك المفترقه من اهل الضلال الذين سماهم الله الملحدين مبينا ان هولاء قد جعلوا لانفسهم دينا اخترعوه واصوال دين قد ابتدعوها برايهم فاشتقوا اللات من اسم الجلاله الله واشتقوا اسم العزي من العزيز وصار ذلك عندهم دينا وكذلك فان اليهوديه اتخذت من عقيده التشبيه دينا فادي ذلك الي تعطيل الصفات لله وكذلك فعلت النصاري عندما زعمت ان عيسي ابن الله ...الخ

و قد قاموا بوضع فلسفه لاضلال الناس بمعتقداتهم الفاسده من خلال تحريف الكتب السماويه لانهم عندما عرضوا ارءاهم علي الكتب السماويه لم يجدوا ما يوافق اهواءهم ولهذا اتخذوا طريق التحريف للنصوص والايات وهذا نوع من الالحاد

وكذلك فان المشركون لجاوا الي تغيير ملامح ايات الله التي جعلها في مكه لتدل علي عقيده الحنفيه التي جاء بها ابراهيم عليه السلام

حيث جعلوا اصناما حول الكعبه منها اساف ونائله الصنمان الذان وضعت في الصفا والمرواه لاجل اضلال الناس بما يشبهون به عليهم لاجل طمس شعائر الحج التي تحكيها تخليد موقف السعي بين الصفا والمرءوه التي تجسيد موقف هاجر التي حملت الرساله التي كلفت بها فقالت لزوجها ابراهيم الخليل عندما تركها وطفلها لم تكلنا في هذه المنطقه المقطوعه فعندما لم يرد قالت له الله امرك بهذا فقال ابراهيم نعم قالت ان الله لن يضيعنا ولهذا انزل الله قوله في البقره (ان الصفا ء والمروه من شعائر الله...الخ

لرفع الحرج عن بعض المسلمين الذين كانوا يتحرجون من الطواف بوجود الاصنام

المهم هنا ان الله يريد منك ان تحذر من طريق الالحاد الذي يسعي لطمس معالم الايمان من خلال التحريف للنصوص واستغلال المتشابهه منها كما فعلت المرجئه والقدريه والباطنيه والفلاسفه والجهميه في العصر العباسي من تحريف تاويل النصوص فجعلوا اقوالهم البدعيه محكمه يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف لهم بنظرهم اما كافر او جاهل وليس له علم بالمعقول ولا بالاصوال حيث تمسك الزنادقه بالمتشابهه من القران لتاويلاتهم الفاسده التي انتهت الي تعطيل الصفات فقالوا ان كل محدث لابد له من حادث واطلقوا هذه الاوصاف علي الرب سبجانه وتعالي

وهذا الفساد ناتج عن فساد المقاييس فلا يمكن ان يقاس الخالق في اسماءه وصفاته بالبشر فالله له صفات الكمال وهومنزه عن صفات البشر

ولهذا فان المولي سبحانه وتعالي يحذرنا من مخالفه منهج الله الذي فيه اسماءه وصفاته تعالي

يقول لنا اعتصموا بكتاب الله ففي ذلك الاصوال التي يكون بها الوصول الي الله تعالي فمن اراد النجاه فعليه اتباع الرسول صلي الله عليه وسلم

يقول انتبهوا من ان اتباع ما احدثه الملاحده من امورا ظنوا انها اصوال وهي باطله شرعا وعقلا فان ذلك موراد للهلاك والضياع والحرمان من الوصول لماذا لانهم ضيعوا الاصوال فقال تعالي (سيجزون ما كانوا يعملون)

وفعلا عندما وقعت الطوائف في فتنه الفلاسفه والملاحده وخالفوا العقل والشرع سلط الله علي الطوائف وعلي المسلمين عدوهم ودخل التتار بغداد بسبب غلط الملاحده من ابناء المسلمين الذين جعلوا ما افترواه من نظريات اصولا للدين فحرموا الوصول

ثانيا

بعد الامر الالهي للمومنين بان يلتزموا بمنهج الله وان يتركوا مسالك الفرق الضاله يقول الحق (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

وهذا فيه الاتي

الموضوع الاول

(اهميه التمسك بالاصوال الثابته التي جاء بها الرسل)

يقول الرسول صلي الله عليه وسلم تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وسنتي) ولهذا فان الايات فيها التنبيه لامه الدعوه من انتقال داء الامم الضاله الي الجماعه المسلمه مبينه ان ذلك يحدث من خلال البدع والتاويل بالشبهات من قبل الملاحده الذين يجعلون اراءهم اصولا يبنون عليها عقائدهم وان خالفت منهج الله فهم يعرضون اراءهم علي الكتاب فان وافق ذلك اراءهم اخذوا به وان خالفه لجاوا الي التاويلات الفاسده والتحريف للنصوص لاجل صناعه اصولا توافق اهواءهم بتطويع الكتاب والسنه لاغراضهم ولهذا يحذر المولي سبحانه وتعالي المسلمين من ذلك السلوك قبل وقوعه يحذرهم وهم في مرحله البناء للصرح الاسلامي بان. اساس البناء ينبغي ان يكون قائما علي التوحيد بالفهم الصحيح للنصوص وان فروع الشجره ينبغي ان تظل متصله بالاصل الذي تفرعت عنه كما قال تعالي (مثل كلمه طيبه كشجره طيبه اصلها ثابت وفروعها في السماء....الخ

وقال تعالي (افمن اسس بينانه علي تقوي من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه علي جرف هار فانهار به في نار جهنم)

فالكلمه الطيبه لها اصل ثابت في قلب المومن ولها فرع عال وهي ثابته راسخه لاتزحزح بعكس الكلمه الخبيثه مثل الشجره الخبيثه غير مستقره ولامكان لها

يقول لنا الحق ان الاصوال الثابته هي اصوال الانبياء لانهم يتلقون العلم بالوحي فهذا هو الطريق المستقيم الذي يهتدي فيه العبد الي الحق والي صراط الذين انعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين هذه هي الاصوال التي يبني عليها مافي القلوب ويتفرع عليها ولهذا. قال تعالي (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون ..الخ يعني ان هناك جماعه مومنه سوف تتمسك بالعقيده والاصوال الثابته فالتوحيد هو الكلمه الثابته التي في قلب العبد المومن فهي العقيده الايمانيه التوحيديه فهي كالشجره التي اصلها ثابت وفرعها في السماء فاصل اصوال الايمان ثابت في قلب المومن كنبات الشجره الطيبه فالله ضرب مثال مثل فيه الكلمه الطيبه اي كلمه التوحيد بشجره طيبه اصلها ثابت وفروعها في السماء فبين ان لها اصل ثابت في قلب المومن ولها فرع عال وهي ثابته في قلب ثابت كما يثبت الذين امنوا بالقول الثابت في الحياه الدنيا وفي الاخره فهو في نفسه ثابت علي الامر مستقر لايتحول عليه فكان مناسبا هنا ان يقول (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون) اي يقولون الحق ويدعون الله به ويعملون به ويقضون باحكامه فهي ثابته علي الاصوال التي فيها الهدايه الي الحق. الذي

هو الشي الثابت والهادف وعكس ذلك الباطل الشي الزائل والعابث لاهدف له ولاثبات. فهو مثل الشجره الخبيثه في المثال الوراد في سوره ابراهيم للكافر والمشرك (ومثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثت من فوق) استوصلت واجتثت كما يقطع الشي يجتث من فوق الارض (مالها من قرار)يقول شيخ الاسلام لامكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالي (بئس القرار) وقال تعالي (جعل لكم ا لارض قرارا) فالمبطل ليس قوله ثابت في قلبه ولاهو ثابت فيه ولايستقر كما قال تعالي (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

فان الشرك وان امتلك المال والجاه والسلطان وكل مظاهر القوه فانه عند الحقيقه تخونه كالمشرك يضل عنه ما يدعو من دون الله وكذلك الافعال الباطله التي يعتقدها الانسان عند الحقيقه تخونه فهي مثل الشجره الخبيثه التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ولهذا يقول الحق (سيجزون ما كانوا يعلمون) ويقول تعالي (والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

فالايه تحذر من الاضلال الذي يقع فيه من يتبع الفلاسفه والملاحده الذين يصنعون اصولا اما ان يبتدعونها او من خلال التاويلات الفاسده

فان هذا انما هو استدراج للمكذبين بايات الله وعقوبه وجزء لمن يخالف منهج الله من المفترقه من اهل الضلال التي اخبرنا الله في الايه (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس.. الخ

فهناك من العلماء من قال ان اللام في (لجهنم) لام المال والعاقبه اي خلقنا خلقا كثيرا منهم شردوا فاستحقوا النار وهنا قال تعالي (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

وكذلك خلقنا خلق عرفوا الله وتمسكوا بالاصوال الثابته التي بها سلكوا الطريق الموصل الي الجنه فاستحقوا الجنه ولهذا فان الايه تفصيل لقوله تعالي (من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل ...الخ

حيث ابتدا بذكر بيان من يستحقون جهنم وهم الذين اهملوا استعمال القلوب والاعين والحواس ورفضوا القبول بمنهج الله وانهم كثيرون

ولم يسميهم الله امه لانهم لاتجمعهم في الضلال جامعه ولان الباطل كثير واصنافه متفرقه ولانهم ضيعوا الاصوال الثابته التي يجب ان يجتمع الناس عليها ثم ذكر الله امه الايمان الذين هداهم الله وسماهم امه الحق فهذه الرفعه والتفضيل لها لانها تمسكت بالاصوال الثابته التوحيد فكان لها الاتصال بمصدر العزه بينما اهل الضلال ضيعوا الا صوال فحرموا الوصول

يقول شيخ الاسلام

فمن كان معه كلمه طيبه اصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الي الله فهو القائل (اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه)

ومن لم يكن معه اصل ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصوال ولهذا تجد اهل البدع والشبهات لايصلون الي غايه محموده كما قال تعالي (له دعوه الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشي الا كباسط كفيه الي الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

والله سبحانه وتعالي بعث الرسل وانزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لاشريك له وانما يعبد بما امر به علي السن رسله

واصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وماوصفه به رسله ولهذا جاء الامر (فادعوه بها وذروا الذين

يلحدون في اسماءه سيجزون ما كانوا يعملون)

وقد نفذ الصحابه الامر فكانوا يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل

وهذا هو المراد من الايه اي ان يلتزموا بالاصوال الثابته وان يتركوا مسالك وطريق المفترقه من اهل الضلال ومنهجهم واصوالهم التي احدثوها وليس المراد ان لاننصحهم وندعوهم الي الطريق الصواب

ولهذا قال تعالي بعدها (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بايتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

الموضوع الثاني

الايه فيها توجيه لك اخي المسلم ان تلتزم الاصوال الثابته في بناء العقيده واقامه الحياه انتبه من البدع والتاويل بالراي. فكل راي مردود الا ماجاء في كتاب الله وسنه رسوله والسير في طريق السلف الصالح

فهذه الاصوال هي التي يجب ان تكون مصدر اجتماع الامه عليها

واللازم عليك ان تترك مسالك وطريق المفترقه من اهل الضلال ومنهجهم واصوالهم التي احدثوها وابتدعوها انتبه من التاويلات الفاسده وعليك ان تلتزم جماعه الحق الفرقه الناجيه من النار فقد. ورد في معني الحديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم في معني الحديث انه قال تفرقت اليهود الي سبعين فرقه والنصاري الي واحد وسبعين وسوف تتفرق امتي الي بضع وسبعين فرقه كلها في النار الا واحده

ولهذا فان الايه تتحدث عن وصف هذه الفرقه الناجيه بانها امه تجتمع فيها كل الكمالات امه ايمانيه متقيه عالميه تتصف بالكمالات كلها

ولهذا وصفها بانها (امه) للاشاره الي اجتماع الكمالات كلها فيها لان الكمالات للامه بمجموعها فانت تجد فيهم الشجاع وقد لايكون كريما لكن تجد ايضا فيهم الكريم وتجد فيهم المحسن وتجد فيهم من يحب خدمه الناس فـ الكمالات موزعه بين افرادها فمجموع الكمالات يشكل امه ولهذا وصف الله ابراهيم بانه كان امه كماقال تعالي (ان ابراهيم كان امه قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين)

والرسول صلي الله عليه وسلم كان امه كونه معصوم وقد قال لاتجتمع امتي علي ضلاله ويد الله مع الجماعه

ولهذا فان شجاعته وقيادته ورحمته وعطفه صلي الله عليه وسلم وكل المناقب التي فيه كلها كمالات شموليه في شخصه ولايمكن ان تجتمع في شخص واحد غيره وانما كمالات الامه باجتماع تلك الصفات في الامه فالامه معصومه بمجموعها ولهذا اخبرنا عن هذه الامه التي تجتمع فيها الكمالات امه محمد صلي الله وعليه وسلم فهي تدين بعقيده واحده ثابته علي عقيده التوحيد وماجاء به الرسول صلي الله عليه وسلم من ربه ثابته علي الحق فهم يهتدون بالحق ويدعون غيرهم اليه يسعون الي تحويل العقيده الي واقع حياه بتنفيذ احكامه وتطبيقها علي واقع الحياه لهم مواقف ايجابيه يحافظون علي الامانه ويحرسونها ويقومون بواجب الذود عنها لايتقوقعون علي انفسهم ولاينزون بالحق الذي يعرفونه بل يقومون بنشر الحق والخير ومحاصر الشر يدعون غيرهم للحق ويسعون الي اقامه حكم الله وتحويل المعتقد الي واقع حياه فالتوحيد هو الذي ينظم حياه الناس السياسيه والاقتصاديه و الثقافيه والاجتماعيه يسعون الي اقامه دوله الموحدين وتغير واقع الحياه لتكون وفقا للصوره التي يريدها الله لعباده وهذا فيه

المفهوم الاول

ان دعاه الحق عليهم ان يختلطوا بالناس ويصبروا علي اذاهم لان مهتمك هو تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر ولهذا فان ذلك لايتحقق اذا كان الدعاه متقوقعون علي انفسهم ومنعزلون عن المجتمع من حولهم ومنزون بالحق فان هذا يجعل الخير محصورا ويجعل الشر يمتد ويقوي

ولهذا فان دعاه الحق اجتماعيون يعيشون هموم المجتمع والالالم التي يعاني منها المجتمع تولمهم ويسعون الي ازالتها

المفهوم الثاني

والايه فيها توجيه بلزوم الجماعه ولكن عليك ان تفهم ان المراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليل و المخالف له كثير لان الحق هو الذي كانت عليه الجماعه الاولي في عهد النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه ولا نظر الي كثره اهل البدع

وقد ورد عن عمر بن ميمون الازداي انه قال صحبت معاذ باليمن فما فارقته حتي واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده افقه الناس ابن مسعود. فسمعته يقول عليكم بالجماعه فان يد الله مع الجماعه ثم سمعته يوما من ا لايام وهو يقول سبلي عليكم ولاه يوخرون الصلاه عن مواقيتها فصلوا الصلاه لميقاتها فهي الفريضه وصلوا معهم فانها لكم نافله

قال قلت ياصحاب محمد ماادري ماتحدثونا قال وماذاك قلت تامرني باالجماعه وتحضني عليها ثم تقول صل الص لاه لوحدك وهي الفريضه وصل مع الجماعه وهي نافله

قال ياعمر بن ميمون قد كنت اظنك من افقه اهل هذه القريه تدري ما الجماعه قلت. قال الجماعه ماوافق الحق وان كنت وحدك

وفي روايه قال الجماعه ماوافق طاعه الله عز وجل

وقال نعيم بن حماد اذا فسدت الجماعه فعليك بما كانت عليه الجماعه قبل ان تفسد وان كنت وحدك فانك انت الجماعه حينئذ

ذكره البيهقي وغيره

وذكر ابن القيم في اعلام الموقعين ما ملخصه وقد جعل البعض السنه بدعه والمعروف منكرا لقله اهله وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذ شذ في النار وماعرفوا ان الشاذ من خالف الحق فان كان الناس كلهم الا واحد خالفوا الحق فهم الشاذون وذلك الواحد هو الجماعه

المفهوم الثالث

ان معرفه الحق ليست مجرد ثفافه وعلم يتباهي به بل يجب تحويله الي واقع حياه فالتوحيد لم ياتي ليبقي في القلوب ولايخرج الي واقع الحياه كما يتصور البعض بل اتي ليستقر في القلب ويحكمها ثم يخرج الي واقع الحياه ويحكمها فاالله انزل القران ليحكم وينشا دوله الموحدين وليس مجرد وعظ وارشاد بل يجب ان يكون له سلطه تحكم وتنفذ مافيه من قيم ومبادي هكذا انشي الرسول صلي الله عليه وسلم دوله الموحدين في المدينه ولو ان القران انزل للوعظ والارشاد فقط ما كانت الهجره من مكه الي المدينه فقد كان مع الرسول افضل الصحابه ولهذا فان الهجره كانت لاجل انشاء دوله التوحيد ولهذا قال تعالي (يهدون بالحق وبه يعدلون)

تجاوز دورهم المعرفه للحق والهدايه به الي تحقيق دور المنهج (الحق)

في حياه الناس ليحكم احوالهم واوضاعهم تحقيقا للعدل الذي لايقوم الحكم الابهذا الحق فهو الميزان الذي لاتقوم الحياه الا به

المفهوم الرابع

ان الارض لاتخلوا من الهداه المهدين العادلين التابعين للحق فلا يخلو عصر من دعاه يجتمعون علي الحق

المفهوم الخامس

ان امه الاسلام كامله في نفسها مكمله لغيرها يهدون انفسهم وغيرهم بالحق فيتعلمون الحق ويعلمون غيرهم ويدعون الناس اليه ويعدلون في الحكم بين الناس في الحقوق وكل شي فهم ممن انعم الله عليهم من الصديقين والشهدااااء والصالحين والنبين وان كانوا في انفسهم متفاوتون في المراتب كلا بحسب عمله فالنجاه بالاهتدا الي الصراط المستقيم وهذا بمعونه الله تعالي

المفهوم السادس

ان الفاعليه الايجابيه للحركه ليس بالاقتصار علي معرفه الحق والتصديق به بل اللازم ان تدعوا غيرك الي هذا الكمال وان تحوله الي واقع حياه فالمتفوق لايكون متفوقا الا اذا كان فاعلا وموثرا بحيث يتفوق من حوله ف الصادق لابد ان يصبح من حوله صادقين لانك تغرس فيهم صفات التفوق فالاب لايكذب امام ابناءه لانه يريد ان يكون قدوه حسنه لهم يريد ان يحصل ابناءه علي مرتبه التفوق الذي وصل اليها ولهذا يحرص علي ان يرشدهم علي طريق التفوق الذي وصل اليه هو

المفهوم السابع

ان الموقف الكامل المعبر عن الكمال هي مظهر من مظاهر التعبير عن التاثر بالمنهج. ويدل علي صدق الاتباع لمنهج الله لان من تاثر حقا لابد ان يترجم معرفته لحقوق ربه وحقوق بني جنسه حسب مراتبهم ولهذا يحسن استعمال ملكات العدل والرحمه والاحسان في محلها فيقوم بتاديه تلك الحقوق بحسب مراتب الناس فهو يتفاني في خدمه الاخرين

لينشر انوار الحق في كل مكان من خلال المواقف المعبره عن هذا الكمال واهميه حسن استعمال الملكات لان الموقف الايجابي الكامل المعبر عن الكمال لايحتاج الي ثقافه عاليه وفلسفه يحتاج الي قلب رحيم يحتاج الي تواضع وتفاني في سبيل الله لاجل التقرب من الله بتاديه حقوقه تعالي وحقوق عباده فتحكم بالعدل بين الناس فالوصال بالله لايتحقق الا بذلك فالتاثر بالشريعه والوصال باالله يجعلك تتفاني في خدمه الناس بدافع حب الا يمان والاعمال الصالحه لوجه الله

ثالثا

عليك ان تدرك حقيقه المعركه بين الحق والباطل فاهل الحق عليهم ان يقوموا باصلاح الاوضاع والحياه لتخضع لمنهج الله ولذلك فان الباطل سوف يقف بوجه الحق بشتي الوسائل والاساليب وسوف يستدعون كل الطاقات لديهم لمحاوله صد الحق من الوصول الي هدفه الذي يرون انه يهدد مصالحهم حيث ان الكثيرون يدعون الا نتساب للدين لكن تلك الادعاءت تهدف الي المتاجره بالدين واستخدمه كسلاح فئوي او حزبي او طائفي لاجل المصالح والامتيازات التي تعود عليهم من دعوي الانتساب للدين ولهذا فانهم يلجاون الي تطويع النصوص القرانيه لتخدم افكارهم ومعتقداتهم الفاسده التي يستغلون بها الناس ولهذا فان اصطدام الحق باهواء اهل الباطل ومصالحهم امر لابد من حدوثه والمطلوب منك ان تقف بوجه الباطل وتزيل الشبهات التي يحدثها ائمه الضلال و التي قد ينخدع بها من يعطل حواسه وعقله من الناس الذين يتبعون ائمه الضلال وهم يحسبون انهم يحسنون

صنعا

فوجود جماعه تحمل الحق وتعمل علي اقامه الحق في الحياه ضروره بشريه وفريضه شريعه ولهذا فعليك الثقه بان الحق سوف ينتصر مهما كانت قوه الكفر فقال تعالي (والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

وهذا فيه الاتي :

الامر الاول

طالما انك مع الحق فيجب ان تتجه اهدافك صوب طلب الحق وتدور مع الحق حيث كان وانت متمسك بالحق و الخطاب لامه الاسلام كلها فان عليها ان لاتخاف من الاعداء طالما انك متمسك بدينك فانت لابد ان تجد عراقيل يضعها اهل الباطل في طريقك يحاولون منع الحق من ان ينتشر سوف يسعون الي اطفاء نور الحق لمنع الناس من رويه الحقيقه ان اهل الباطل يخافون من الانوار لانها تكشف اباطليهم فهو يسعون لنشر الظلام في مقابله النور ولهذا فان مشكلتهم هي مع الايات فقال تعالي (والذين كذبوا باياتنا)

فتكذيبهم للايات سواء الايات المسموعه القران الكريم ..او الايات الكونيه المرئيه او دليل الحدث تعود الي كراهيه هولاء للانوارالتي تحدثها الايات حيث انها تزيل الظلمات وتفتح اعين الناس لمشاهده الحقيقه وتكشف زيف الباطل وتاذان بزواله وزوال انشطته

ولهذا فان تكذبيهم بالايات يتخذ صورا واشكال متعدده منها جحود الايات بحيث ينكرها ويحاول منع الناس من التاثر بها حيث نجد ان المجتمعات اليوم مثلا اصبحت لاتعبا بالايات وبالموعظ فانت لو قمت بفحص ما يشاهد عموم الناس ومايتدوالون في وسائل التواصل الاجتماعي ستجد الاغلبيه الساحقه منشغله بالرفاهيات وربما المحرمات

او المباحات مثل متابعه كاس العالم وغيرها في حين لاينظر الي الصفحات التي تتحدث عن الدين اي انها لاتعبا بكلام الله ولاتتلقي ايات الله بالتعظيم والاجلال نتيجه الثقافه التي عمد اعداء الدين لاشغال الناس بها فقد اوجدوا لهم مشاغل تبعدهم عن التفكير بدين الله

ان هذا الامر عائد لغياب الروح الاسلامي عن الشخصيه المسلمه بعدما سيطر عليه الروح الغربي في حقبه الا ستعمار ولهذا قال تعالي (وذروا الذين يلحدون في اسماءه ..الخ

فاخبرهم ان يتركوا مسالك الاعداء والملحدين واخبرنا اننا موصفون بالكمال اذا حصل منا الاجتماع حول الحق وهدف الحق

وكذلك فان من صور التكذيب بايات الله تشويه صوره الاسلام من خلال خلق جماعات تدعي الانتساب للاسلام بل. تدعي احتكار الحديث عن الاسلام وتقوم بارتكاب ابشع الجرائم باسم الدين من خلال تحريف النصوص عن مضمونها لتولد حاله النفور من الاسلام وتعيق دور الامه في هدايه غيرها من الامم

ومن صور التشويه للاسلام والايات ان يعمد الكثيرون الي تاويل القران بما يجعل له اصولا لدعوه السلاله و العنصريه واستعباد الناس باسم الله والحق الالهي

وغيرها من الامور ويدخل في هذا اخفاء الاكتشافات العلميه في الكون عن اعين الناس والتي توكد معجزه القران لمنع اكتشاف الناس الحقيقه

ومن صور التكذيب لايات الله تحريف النصوص من خلال علماء السلطه لتكريس الظلم وهدم القيم والحريات و الحقوق وتصوير الاسلام بانه دين صلاه وصيام وحج وزكاه وهذا كله يهدف الي اخفاء ما فيه من انوار يكشف الحقيقه

ولهذا فمهمتك ان تزيل الظلمات فلا تخشي الاعداء مهما كانت قوتهم طالما انك علي الحق فان انشطه الباطل ليست ذي قيمه فهي نوعا من العبث ولابد ان تزول فالله يقول (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

فهم في استدراج من حيث لايعلمون لقد انبهروا بالقوه الماديه التي ادت الي انحطاط في القيم الروحانيه فيرون انهم اصحاب قوه حتي يتفاجاوا بالهلاك فالله يمهل ولايهمل

الامر الثاني

عليك ان لاتتاثر بما قد ينعم الله به علي اعداء الحق من مظاهر القوه والسلطان والجاه والنعم انتبه من ان تضعف في حمل الحق والدعوه للحق انتبه من الانسحاب من مجال الدعوه للحق تحت ضغط الضجيج الاعلامي الذي يحدثه اهل الباطل فلا تنهزم في المعركه فاعلم ان العدو يريد اجتثاث الهمم والمدركات يريدون اضعافك يضخمون لك مالديهم من قوه كما هو حال امريكا اليوم التي تحمل رايه الباطل وتقف امام انوار الحق تحارب الا سلام باسم الارهاب تسعي جاهده الي وقف المد الاسلامي تسعي الي تغيب الوعي الاسلامي عن ابناء الاسلام وساعدها في ذلك غياب دور الحكومات الاسلاميه بل صارت اغلب الدول تروج للباطل وافكاره وصارت قنوات الا علام العربيه للاسف الشديد تروج للصهاينه في حملتهم ضد اهلنا في غزه للاسف الشديد اصبحنا نسمع من اقوال تخدم الاعداء من اشخاص محسوبون علينا انهم من علماء الاسلام ومن المثقفون العرب يستدلون بالايات القرانيه بهدف تبرير جرائم الاعداء وكل هذا انبهار منهم بقوه الغرب وانهزام فكري وخوف من قوه الاعداء وهذا ما حذر الله منه فقال تعالي (والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

فالاستدراج مشتق من الدرج والتي تستعمل للطلوع الي مكان او النزول منها والفاء والسين في كلمه (سنستدرجهم)

للطلب اي طلب منه التدرج في الصعود والنزول فيها تمثيل لحال القاصد ابدال حال احد الي غيرها بدون اشعاره كحال من يطلب من غيره ان ينزل من درجه الي اخري بحيث ينتهي به الي المكان الذي لايستطيع الوصول اليه بدون ذلك وهذا تمثيل بانتقال حال هولاء الي حال اسوا واقبح يصعب عليهم الخروج من حالتهم السئيه وان ذلك يتم دون ان يعلموا ولهذا جاء (من حيث لايعلمون) اي استدرجهم من مكان لايعلمون انه مفضي بهم الي المبلغ الضار ف(حيث) للمكان علي اصلها اي من مكان لايعلمون ما يفضي بهم وحذف مفعول يعلمون للدلاله علي الا ستدراج بانه عظيم لايظن بالمفعول به ان يتفطن له

ولهذا جاء بعده (واملي لهم ان كيدي متين)

والاملاء من الافعال وهو الامهال وهذا فيه

المفهوم الاول

يريد الحق ان تتبدل كل مقياسك للاشياء وتفسيرك للاحداث فلا تغتر بامهال الله الظالمين والطغاه. فتتصور ان الله يهمل الظالمين او تتصور ان عطاء الله لهم وانعامه دليل علي انهم علي الحق لانهم امتلكوا عناصر القوه ولهذا قال (واملي لهم) فاللام في (لهم) هي لام التبين والتي يقصد بها تبين اتصال مدخولها بعامله لخفاء في ذلك الا تصال لان اشتقاق املي من الملو هو اشتقاق غير مبين لان المشتق منه ليس فيه معني الحدث فلم يجي منه فعل

مجرد فاحتيج الي اللام لتبين تعلق المفعول بعله ولهذا قال بعدها (ان كيدي متين)

في موضع العله للجملتين الاستدراج والاملاء جاء بضرب من الكيد والكيد له معني اي قوي لا انفلات منه للمكيد وموقع ان في (ان كيدي متين) موقع التعليل والتفريع اي يكون ذلك الاستدراج وذلك الاملاء بالمعني الذي اردناه بهم من كيدي القوي

فالله يمهل ولايهمل والاستدراج بين الناس بعضهم البعض قد يتفطن له فيقوم بافساد عليك استدرجك له لكن استدراج الله قوي لايعلم به فهو قوي بحيث لايستطيع احد التغلب عنه

فاذا علمت هذا فماذا الذي تخافه من اعداءك ومالديهم من قوه فان الله يستدرجهم بها فهو عندما ينعم علي عباده فان ذلك العطاء يكون للكفار استدراج لانهم عندما يعصوا المنعم فان ذلك موشر بزوال النعم لقوله تعالي (واذ تاذان ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)

المفهوم الثاني

عليك ان تثق بالله طالما انك علي الحق فلا تخاف احد فهذا الرسول صلي الله عليه وسلم يقول والله ياعماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ماتركت هذا الامر حتي يظهره الله او اهلك دونه

والمراد بهذا ان تثبت علي الحق فلا تنهزم امام الضجيج الاعلامي لاهل الباطل عليك ان تثق ان النصر للمومنين وان الله يقف في. صف اولياءه في حربهم مع اهل الباطل فلا تصاب بالياس وانت تشاهد قوه الاعداء

فان ذلك مقدمه لزوال الباطل واهله لان الله يستدرجهم الي ما يكرهونه فهو ياخذهم بتدبيره الخفي الذي لا يشعرون به فجمله (ان كيدي متين)

لتعليل الاستدراج والاملاء للكفار بانه من فعل من ياخذ علي خفاء دون ان يدركوا فياخذهم بما يغر الماخوذ فلا يحتاط له فهو استدراج من حيث لايعلمون ولهذا اطلق الكيد هنا علي طريقه التمثيل بتشبيه الحال التي يستدرج الله بها المكذبين مع تاخير العذاب عنهم الي ابعادهم عن المغفره بحال من يهئ اخذ لعدوه مع اظهار المصانعه و المحاسنه ليزيد عدوه غرورا وليكون وقوع ضرر الاخذ به اشد وابعد عن الاستعداد لتلافيه

وهذا فيه تطمئن المومنين من ان الحق لابد ان ينتصر لان الله وعد بنصر اولياءه بان اعداءهم لايحسبون حسابا للقوي الكبري اي قوه الله في المعركه مع الباطل واهله فهم يجهلون ان ماهم فيه من القوه انما هو استدراج من الله واملاء الي حين فسنه الله انه يمهل الظالمون والطغاه استدراجا لهم في طريق الهلكه وامعانا في الكيد و التدبير لهم ومن الذي يكيد لهم انه الله العزيز الجبار ذي القوه المتين ولكنهم غافلون ولايدكورن ان العاقبه للمتقين

رابعا

بعد ان بينت النصوص ان العاقبه للمتقين وان المظاهر التي يظهر بها الباطل واهله من القوه والجاه والمال و التمكين فهي مظاهر زائفه هي من قبيل الاستدراج والاملاء لهم فهم في غفله عن ايات الله وبالتالي فقد استحقوا الهلاك والضياع والعذاب لانهم عطلوا الحواس والعقول التي منحهم الله اياها ليهتدوا الي الحق ولهذا يتوجه الخطاب الي العقل يحاوره (اولم يتفكروا مابصاحبهم من جنه ان هو الانذير مبين او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وماخلق الله من شي وان عسي ان يكون قد اقتراب اجلهم فباي حديث بعده يومنون ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

الايه فيها

المبحث الاول

ذم الكفار الذين انكروا ما يدعوهم الرسول صلي الله عليه وسلم من التوحيد واثبات عظمه الله وكماله ووحدانيته وانه المستحق للعباده وحده لاشريك له.. وانه انما يعبد بما امر به علي السن الرسل

حيث ان المشركون بدوا معركتهم مع الاسلام من خلال محاوله النيل من شخص الرسول صلي الله عليه وسلم لمنع اجتماع الناس حوله فتعمدوا التشويه بشخص الرسول صلي الله عليه وسلم بالزعم ان مايقوله غريبا وانه مجنون حيث كانوا يترصدون عند مداخل مكه للحجاج والزائرين فيحذرونهم من الرسول صلي الله عليه وسلم

مع انهم كانوا يستمعون للرسول صلي الله عليه وسلم وهو يقرا القران خلسه ويجدون متعه في ذلك وهم معترفون انه ليس بكلام بشر فانزل الله الايه

(او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنه ان هو الانذير مبين)

المفهوم الاول

فيها جمله مستانفه مساقه للرد علي مزاعم الكفار تلك فجاء بالاستفهام للتعجب من حالهم والانكار عليهم ما يزعمون من ان الرسول. به جنون لتمويه واضلال الجماهير

المفهوم الاول

تحذر الايه من العناد بان صاحبه يسلك طريق وعره ويضيق عليه المخرج وهذا هو حال المعاند يفقد معه المعاند عقله فمن كثر نزاعه بالباطل اعماه ذلك عن الحق فيصبحون بلا عقول ولهذا يدعوهم الي اعمال العقل والمنطق و التفكير في شان الرسول صلي الله عليه وسلم وصدق رسالته

والدعوه تهدف الي حثهم علي ترك العناد فهم كانوا في قراره انفسهم يعلمون ان الرسول صلي الله عليه وسلم صادق فيما يدعوهم اليه ومتاكدين ان القران كلام الله لكن العناد وارداه التغلب هو الذي يدفعهم الي الجدل بـ الباطل ولهذا يدعوهم الحق الي ترك العناد وان عليهم ان يجلسوا مع انفسهم ويتفكروا بشان الرسول صلي الله عليه وسلم فهو منهم وملازم لهم ويعرفونه بانه ليس به جنون ولهذا قال تعالي (مابصاحبهم من جنه) وسماه صاحبهم فالصاحب من يلازم غيره

كما قال تعالي (ياصاحبي السجن)

والمراد بهذا ايقاظهم من غفله العناد التي ضيفت عليهم المخرج ولهذا فان مخاطبه العقول والمشاعر تهدف الي ان تحدث ارتجاج عميق لنفوسهم مما يجعل اهتزاز القلوب بقوه لتنفض الركام عن الفطره وتخرج من غفلتها فلم ياتي بنفي الجنون عن الرسول بجدل ذهني بارد بل توجه الخطاب الي العقل والواجدان والعاطفه والفطره فقال تعالي

(ما بصاحبهم من جنه)

وما نافيه للجنون عن الرسول نفي للتاكيد والاستغراق وفعل يتفكروا منزل منزله اللازم فلا يقدر له متعلق للا ستغناء عن ذلك بما يدل عليه النفي (ما بصاحبهم من جنه)

اي لم يكونوا من اهل الفكر والنظر بسبب العناد وكثره النزاع الذي اعماهم عن رؤيه الحق والا فهم يعرفون الرسول حق المعرفه ولايخفي عليهم انه الصادق الامين

المفهوم الثاني

ان علي اللازم علي العبد الانشغال بالحق من حيث الفائده التي تستفيدها من الانشغال به فهذا هو الانشغال المفيد بالحق ولهذا يذم الله المشركون الذين انشغلوا بالخوض في امره بكيفيه منع انتشار دعوته عنادا منهم ولهذا وصف الرسول بانه صاحبهم بمعني اشتغلوا بشانه ولزموا الخوض في امره وتكذيب ما جاء به فانكر عليهم وتعجب من اعراضهم عن التفكير بشان الرسول انه غير مجنون ردا عليهم لما وصفوه بالجنون بدلا من الانشغال باتباع ماجاء به والذي فيه تحذيرهم مما يضرهم ولهذا جاء بعدها بجمله (ان هو الانذير مبين)

استناف بياني متعلق بقوله (ما بصاحبهم من جنه)

فالنذير هو المحذر من شي يضر واصله الذي يخبر القوم بقدوم عدواهم كي ينشغلوا بما فيه الاحتياط من الخطر القادم ولهذا فان المغفل هو الذي ينشغل بالقاء التهم علي المنذر بدل الانشغال بعمل يحرز النفس ويحفظها من سوء المصير

خاصه ان المنذر قد اخبرهم بالخطر بشكل بين وواضح لاغموض ولالبس فيه فقال تعالي (نذير مبين) وصف النذير بانه واضح وفيه وصف للخبر والمعني انه النذير المبين لنذراته بحيث لايوجد ادني شك في صدقه ولا في تصوير الحال المخبر عنه فالغرض من اتباع النذير بوصف المبين التعريض بالذين لم ينصاعوا لنذراته ولم ياخذوا حذرهم من شر ماحذرهم منه وذلك فيه قطع عذرهم وقيام الحجه عليهم

المبحث الثاني

الامر الاول

تحذر الايات من التعمق بالذهاب خلف الاوهام في زعم طلب الاسرار الذي تسلكه الفرق الضاله التي تترك الاصوال الثابته وتصنع لها اصولا فاسده ضاله قائمه علي الخرافات والاساطير واكثر احوالهم التصاقا بالاساطير وبعد عن المنهج العقلي هو الظواهر الطبيعه من مطر ورعد وبرق وما يشاهد في السماء والارض من انهار وبحار وكواكب ونجوم وما هنالك من ظواهر ومافيهما من مخلوقات حيث لجاوا الي تفسير ذلك تفسيرات اسطوريه خياليه وجعلوا منها اصولا دينيه ووسائط اتصال بالله يحتكر معرفتها الكهنه فقط وهذا التفكير جعل اصحاب الملل و النحل ينحرفون عن الطريق المستقيم وعن التوحيد فهذا هو حال العالم عند بعثه النبي صلي الله عليه وسلم ولهذا جاء الاسلام

/1

يرفض كافه اشكال الخرافات والاساطير والشعوذه والسحر وكل مايتنافي مع العقل والتفكير السليم وعاءاء القران الي تحكيم العقل والتفكير الصحيح والاستفاده من الحواس التي زواد الله الانسان بها للوصول الي الحقائق واكد ان الذين يعطلون الحواس هم اقل منزله من الحيوان وهم شر الخلق فقال تعالي (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ....الخ

/2

يدعو الناس الي التحرر من كافه اشكال التقليد للاخرين او الاعتماد علي الغير في اتخاذ القرارت وعد كل انسان مسوولا عن اختيار مايصلح له في حدود التفكير السليم وعد المقلدين لابائهم او لاخرين بانهم سواء في الضلال و العمي فقال تعالي (سيجزون ما كانوا يعملون)

(والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون)

/3

يبين لهم اساس المنهج العقلي التجريبي بانه يقوم علي اعمال الحواس وعلي التجربه فقد جمع المنهج الاسلامي جميع مصادر المعرفه لكن بترتيب محدد ورائع ابتدا بعلم الله فقال تعالي (ولله الاسماء الحسني فادعوه بها) ثم تحكيم المنهجيه الكامله بالحس والعقل وسياجها رفض التقليد وتمحيص كل تراث بشري علي اساس هذه المنهجيه فقال تعالي (او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنه) فصدق النبي صلي الله عليه وسلم معروف بالحس و العقل

والاسلام اعتمد المنهج العقلي حتي في العقيده وفي اثبات اخطر قضيه وهي التوحيد فقد اكد القران اهميه اثباتها بالعقل والمنطق ودعا منهج الاستقراء العقلي فقال تعالي (او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شي) وهذا فيه دعوه الي معرفه الله عن طريق مشاهده اياته المشهوده للعين وفيه دعوه الي اعتماد المنهج العقلي في تفسير الظواهر ومافي الكون بان كل مافيه هي من خلق الله تعالي له سنن وقوانين تسير عليها لايرتبط شي منها الا بتلك السنن الثابته فلايوثر فيها احد ولاتوثر هي نفسها باحد لانها خلق الله تعالي فهي لاتملك من امر نفسها ولامن امر سواها شيئا ولهذا قال تعالي (اولم ينظروافي ملكوت السماوات والارض وماخلق الله من شي)

فاراد بهذا ان تشاهد ماوراء هذه المخلوقات والايات المشهوده لتنظر ان الفاعليه والتاثير هي لله تعالي لان الا سباب تنتهي الي الله تعالي فلا يستقل بالتاثير وحده دون توقف تاثيره علي غيره الا الله الواحد القهار فلا ينبغي ان يخاف او يرجي غيره ولهذا يامر الله العبد ان يدرسوا ويتعاملوا مع الكو ن ومافيه علي اساس ماسبق اي دراسه الظواهر والسنن التي تحكمها لتصل الي العلم بالماده ودراسه القوي الموثره التي تقف خلف هذا التنسيق في حركه الكون لتعرف خالق الماده وبهذا يتمكن العبد من تحقيق الهدف من خلق الكون وهو تسخير ها لخدمه ا لانسان وايضا يتعرف علي الخالق فينظر الي القوه التي تقف وراء هذا التدبير والابداع ولهذا فان ايضاح القران لنا بوجود سنن دون تفسيرها فيها دعوه لك الي ادراكها ومشاهده مفعولات الله الداله علي الفاعل سبحانه وتعالي فاراد بهذا ان يتركوا التعمق بالذهاب خلف الاوهام في مزاعم طلب الاسرار مبينا ان هذا الطريق من سلكه فانه يستدرج فيه الضال ولايمكنه الرجوع الي الحق وان هذا ليس طريق الله لان الطريق الي الله خال من اهل الشك ومن الذين يتبعون الشهوات والغافلون عن مستقبلهم وهو معمور باهل اليقين والصبر والفاعليه الايجابيه فقال تعالي (وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

الامر الثاني

يلاحظ ان الايه جاء فيهاترقي في الانكار والتعجب من حال الكفار في كل زمان وليس المقصود به المشركين من اهل مكه فنحن لسنا نقرا القران علي انه تاريخ المهم ان هذا الترقي فيه انتقال من انكار اعراضهم عن التفكير بصديق الرسول صلي الله عليه وسلم والايمان برسالته رغم معرفتهم بحاله ولهم تجارب معه الي انكار وتعجب من حال اعراضهم عن النظر في ايات الله المشهوده في الكون وبالوقوف علي هذا العطف نجد انه استعمل في الا ولي الامر بالتفكر وفي الثانيه الامر بالنظر فلماذا وايضا لماذا عطفت عليه

المساله الاولي

من الاهميه ان تعرف ان الله تعالي جعل لعباده طريقين لمعرفته الاول النظر في مفعولاته ..... والثاني التفكر في اياته وتدبرها

يقول ابن القيم في كتابه الفوائد فتلك اياته المشهوده وهذه اياته المسموعه المعقوله

ومن هنا نفهم ان لماذا جاء الامر في الانكار والتعجب من اعراض المشركين من التفكير بشان الرسول صلي الله

عليه وسلم وماجاء به من عند الله بصيغه (او لم يتفكروا) لان النقاش متعلق باعراضهم عن اياته المسموعه القران الكريم منكرا عليهم ذلك الانكار لانهم لو تاملوا وتدبروا وتفكروا في ايات الله وبحال الرسول صلي الله عليه وسلم النبي الامي الذي يعرفونه ولهم معه تجارب فهم يدركون انه لم يجلس لمعلم وهولايقرا ولايكتب وهو الصادق الامين فيهم وهم اهل لغه وبلاغه ولاتخفي عليهم حقيقه معجزه القران وبالتالي كيف لهم ان يصفوا ان قائله مجنون فالتفكير والتدبر هو باب فهم مافي القران من ايات

ولما كان النظر في الايات المشهوده هو باب المعرفه لها قال تعالي (او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شي)

فالمفعولات امام انظارهم يقول ابن القيم (و الافعال تدل علي صفات الفاعل ويدل علي وجوده وقدرته ومشئيته وعلمه ثم ان مافيها من التخصصات المتنوعه تدل علي ارداه الفاعل ومافيها من المصالح والحكم والغايات المحموده الداله علي حكمته تعالي ومافيها من النفع والاحسان الداله علي رحمته ومافيها من البطش والانتقام الداله علي غضبه. وما فيها من التقريب والاكرام الداله علي محبته وعنايته ومافيها من الكمالات التي لو عدمتها كانت ناقصه دليل علي ان معطي تلك المكالات احق بها فمعفولاته من ادل شي علي صفاته وصدق ما اخبرت به رسله عنه فالمصنوعات شاهده تصدق الايات المسموعه ولهذا كان عطف انكار حالهم واعراضهم عن الرسول الذي يعرفونه وعن ايات الله القران الي انكار اعراضهم عن النظر في ايات الله في الكون

فقال تعالي

(او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وماخلق الله من شي وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

فاخبر الحق ان القران حق فالايات المشهوده فيها الدليل والبرهان علي صدق الرسول فهي شاهده بصدقه فليس ينقصهم العلم والمعرفه لكن الطغيان افقدهم صفاء الذهن فاعماهم عن النظر والاستدلال بافعاله تعالي واحكامه فاذهانهم مستغرقه في الطغيان ومنشغله بذلك ولهذا فقدت جودتها وقوتها التي تقف به علي الحق فهي تحب الباطل ولهذا يقفون في صفه فامتلا القلب بالباطل اعتقادا ومحبه لم يبقي فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع فهو مشغول بالباطل واهله ولهذا فانه غير صالحا لقبول الحق الذي يشترط بتفريغ المحل من ضده اي تفريغه من الباطل

المساله الثانيه

فيها امر بالنظر للايات المشهوده والتفكير فيها وتامل حكمه الله ولطفه واحسانه وعدله وقيامه بالقسط بعد مجي الامر بتامل ايات الله المسموعه كلها بالفهم الخاص عن الله ورسوله فاراد بهذا ان يدخل التوحيد في منطقه المشاعر الانسانيه بحيث يحب ويكره بناء عليه

يقول لنا الحق بهذامعرفته سبحانه وتعالي ينبغي ان تتجاوز معرفه الاقرار التي يشترك فيها كل الناس فلا احد ينكر وجود الله حتي الكافر الملحد الي المعرفه التي توجب الاحساس بجماله وجلاله معرفه توجب محبته وتعلق القلب به تعالي والخشيه منه والشوق للقائه والاشفاق من عذابه والانس به تعالي وهذه المعرفه يتفاوت فيها المومنون لانه لاينالها الانسان الا من عرفه الله بنفسه وكشف لقلبه معرفه ما اخفاه عن سواه

يقول ابن القيم وانه تعالي جعل لذلك بابان باب التامل والتفكر في اياته المسموعه بالفهم الخاص عن الله ورسوله وباب اياته النظر في اياته المشهوده بتامل حكمه الله ولطفه واحسانه وعدله وقيامه بالقسط.

ولهذا نفهم سبب الترقي في الانكار والتعجب من حالهم واعراضهم عن التفكر في شان الرسول صلي الله عليه

وسلم وماجاء به من ربه الي الانكار والتعجب من اعراضهم من النظر فيما هو اوضح من ذلك وهو الايات المشهوده وعدي فعل النظر الي متعلقه بحرف الظر فيه لان المراد التامل والتدبر وهو التفكر كقوله في انفسكم افلا تبصرون

وتقول نظرت في الشي فدل بحرف الظر فيه علي ان هذا التفكير عميق متغلل في اصناف الموجودات لان جماع البابين هو الفقه في معاني

اسماء الله الحسني وجلالها وكمالها وتفرده بذلك وتعلقه بالخلق والامر يقول ابن القيم فيكون فقيها في اوامره ونواهيه فقيها في قضاه وقدره في اسماه وصفاته فقيها في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري

ولهذا اضاف الملكوت الي السماوات والارض لبيان انه تعالي له الملك للسموات والارض ومن فيهمن ليدل هذا علي عظمه الله وقدرته وابداعه

يامرهم ان يتاملوا ابداعه وتنسيق المجرات وكل ما في الكون كلها تدل علي العلي القدير وعطف عليها (وما خلق الله من شي)

علي ملكوت السموات والارض فقسم النظر الي نظر في عظيم ملك الله والي نظر في مخلوقات الله ودقائق احوالها الداله علي عظيم قدرته تعالي فكلها تدل علي الواهيه الله وانفراده بالخلق والامر وانه المستحق للعباده وحده لاشريك فهذا هو المنهج العقلي الذي يصبح العقل به في غايه من القوه والجلاء في استنتاج الاداله العقليه ويتقي بذلك الخطا والعثار اما المنهج الثاني فهو المنهج الروحاني وهو الشعور بوجود وتنفيذ امر الله فيتصل الفكر بالعمل ولهذا قال تعالي (وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم)

فانت بحاجه الي الشعور بوجود الله والشعور بانك مسافر الي الله والدار الاخره وانك سوف تحاسب علي اعمالك فاللازم ان تستعد للقاء الله وعمرك قصير والموت سوف يداهمك في اي لحظه فعليك ان تكون في حاله ترقب للموت بالمسارعه بالاعمال الصالحه

فاللازم علي المومن ان يقدر الله حق قدره كما يجب عليه ان يتقيه حق تقاته وان يجاهد فيه حق جهاده ف الموت احدث خطر ينتظرك فالعاقل من يستعد لما بعد الموت فمن لم يتعظ بالموت فلن تجد له واعظا ولهذا ختم المولي بقوله (فباي حديث بعده يومنون)

ان من لم يعرف الله معرفه توجب الحياء من ان يراه في معصيه ومن لم يعرف الله معرفه توجب له مشاهده جماله وجلاله ومحبته تعالي فان هذه المعرفه لاتنتج عنها عقيده لها فاعليه وتاثير تنعكس في حياه العبد وبالتالي فانه لايمكن عودته للحق لان معرفته باسماء الله وصفاته من قبيل التعمق في الذهاب خلف الاوهام في طلب مزاعم الاسرار كما هو حال من يحاول استعمال تلك المعرفه في السحر والشعوذه فهولاء ميوس منهم ولن يعودوا الي الحق فهم يدخلون نفق مظلم لايخرجون منه فقال تعالي (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

فسنه الله الجاريه بالهدي والضلال وفق ماردته مشئته تعالي من هديه من يطلب الهدايه ويجاهد فيه ويضل من ترك طريق الهدايه وهم الغافلون الذين عطلوا العقول والحواس من اعانته علي معرفه الحق فهم قد اغلقوا منافذ الهدايه فعقابهم الله باهمالهم وتركهم في باطلهم يخوضون في ما فيه البوا.ر والهلاك

القسم الرابع

تبدا ايات هذا القسم ببيان ما كان من اسئله المشركين استهزاء عن موعد ساعه قيام القيامه لانهم ينكرون العوده للحياه او من اليهود كما ذهب البعض انهم اردوا اختبار صدق النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا اذا كان كاذبا فانه سوف يذكر لها وقتا وان كان صادقا فلن يحدد موعدها والارجح ان السوال كان من المشركين لان الايه مكيه فقال تعالي (يسالونك عن الساعه ايان مرساها)

اولا

مناسبه الايه وارتباطها بما قبلها هو ان الايه تهدف الي.بناء الشخصيه الايمانيه فالايمان بالله واليوم والجنه و النار ...الخ

من اهم العوامل التي تسهم في تشكيل الشخصيه ورسم معالمها ولهذا نجد ارتباط الايمان بالله باليوم الاخر في اكثر من موضوع لان ذات الله لاتدركها الابصار وكذلك فان الايمان باليوم الاخر والحساب والعقاب من الامور الغيبيه ولما كانت الايات السابقه قد تناولت تاكيد القران علي اهميه اثبات قضيه التوحيد بالعقل والمنطق واستدعاء منهج الاستقراا ء العقلي فقال تعالي (او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شي....الخ

فكان مجي اسئله المشركين بعدها مناسبا لما قد يحاول البعض اثاره الشبهات حول دعوه الاسلام الي اعمال المنهج العقلي للوصول للمعرفه فيقول كيف يقال هذا وهنالك جوانب غيبيه يومن بها المسلم في العقيده الاسلا ميه ؟

ولهذا فان الجواب فعلا توجد جوانب غيبيه في العقيده الاسلاميه

ولكنها ترتكز الي الاصل العقلي وهو وجود الله فاذا تقرر بالعقل وجود الله عز وجل وانه القادر علي كل شي فلا حرج بعد ذلك اذا وجدت امور غيبيه مثل الايمان باليوم الاخر والجنه والنار وسائر المغيبات ولهذا تختلف معرفه المسلم بالله وايمانه عن معرفه الفاجر بالله فلا احد ينكر وجود الله قال تعالي (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله)

لماذا الاختلاف لان معرفه المومن يترتب عليها امور منطقيه فهم يعلمون ان من له الخلق له الامر ولهذا يخضعون لله ويعبدونه وفقا لما انزل علي السن رسله

هم يومنون باليقين الجازم ان من خلق هذا الكون وابداعه قادر علي اعادتهم الي الحياه بعد الموت بينما الكفار ينظرون ان ذلك مستحيل

ولهذا يقول الله في نهايه هذه الايه (يسلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لايعلمون)

ومن هنا نفهم الفرق بين المعرفه المجرده لله التي يشترك بها البر والفاجر وبين المعرفه المطلوبه من المسلم بان. يكون العالم والمتعلم عنصرا موثرا وفاعلا مستفيدا من علمه. فالعلم بالله الذي لايولد الايمان باليقين بقدرته تعالي علي البعث والنشور مرفوض ولايعد العالم عالما اذا لم يودي العلم الي خشيه الله فالله يقول (يعلمون ظاهرا من الحياه الدنيا وهم عن الاخره هم غافلون)

فكان مجي الايه باسئله المشركين عن موعد قيام الساعه مناسبا لما ختمت به الايه قبلها من تصوير تركهم في الطغيان والضلال والخذلان في تصوير عدم انتفاعهم بالعلم الذي اظهره الله لهم

لترسم الايه الفرق بين العلم الذي هو معرفه الاشياء اي نظريه في المعرفه باعتبارها اداه تفسير الاشياء كما هي وبين الثقافه التي

تفسر الاشياء كما يجب ان تكون فالمعرفه ليست هي نظريه ام الثقافه فهي التي توجه السلوك فالرجل العالم قد ء الما بالمشكله بفكره لكنه لايجد في نفسه الدوافع التي تجعله يتصورها كعمل

ولهذا فان المثقف هنا يعني هو الذي يري نفسه مدفوعا بمبدا الاخلاص النابع من الايمان باليقين ان يقوم بالعمل و الاستعداد حتي لايتفاجا بالكارثه فهو يعمل علي احتواء الضرر قبل وقوعه

ولهذا ذم الحق اسئله المشركين حول الساعه بدل ا لاستعداد لها

فقال تعالي (يسلونك عن الساعه ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الاهو ثقلت في السماوات والا رض لاتاتيكم الا بغته)

ثانيا

الساعه تستخدم في القران غالبا للتعبير عن الوقت الذي تقوم فيه القيامه يقول الزجاج :-

يريد من هذا التعبير ان تفهم انها ساعه حقيقه تحدث فيها امر عظيم حيث يكون البعث والنشور وخراب الارض واضطراب احوالها يوم فيها اهوال عظيمه فذكر الساعه في اغلب الايات مقرونه بذكر الله يعود الي ان الحق سبحانه وتعالي يريدان يدخل التوحيد في منطقه المشاعر الداخليه للانسان فيحب في الله ويكره في الله وبهذا ينزل التوحيد الي مجال عمله الطبيعي ويكتسب معناه وفاعليته ولهذا لابد ان تكون نظره الانسان للحياه انها طريق يسلكها العبد للوصول الي الله والدار الاخره هده هي النظره الايمانيه التي تجعل العقيده لها تاثير وفاعليه ايجابيه تربط بين الفكر والعمل اي يكون الايمان اعتقاد عقلي يوثر في احاسيس القلب وهو عمل تقوم به الجوراح فالتوحيد هنا يكون هو الذي يحكم. اسلوب الحياه ويوجه القلب ينشي الرغبه في العمل ويهيمن عليه وهذا انما يتحقق بالشعور انك سوف تحاسب علي اعمالك وان الدنيا طريق عبور للاخره ولهذا قال تعالي (يسالونك عن الساعه ايان مرساها قل انما علمها عند ربي)

الساعه تستخدم غالبا للتعبير عن يوم القيامه فمعني الساعه في القران الوقت الذي تقوم به القيامه والسوال من المشركين هو عن موعد حصول البعث والنشور وهذا السوال يراد منه الاستهزاء لانهم ينظرون للحياه نظره ماديه وهم منكرون البعث والنشور فجاء الجواب (قل انما علمها. عند ربي)

ان علم موعد حصولها من الامور الغيبيه التي لم يطلع الله عليها احد من خلقه لانبي ولاملك ولا احد ولهذا استعمل كلمه (قل) بان الرسول صلي الله عليه وسلم لايعلم موعدها انه بشر ومصدر علمه الوحي الذي يوحيه اليه ربه وامور الغيب من خصائص الالوهيه وهو بشر عبد لله لايتعد حدوده حتي يتطاول بالقول فيما لاعلم له به

فلا يعلم بموعدها الا الله تعالي ولهذا. جاء اسلوب الحصر (قل انما)

اي عنده تعالي وحده علم موعد حصولها ثم قال بعدها (لايجليها لوقتها الاهو)

جواب عن طلب معرفه الوقت الذي يكون ارساءها فيه فاخبر انه لايكشف وقت مجئها لاحد فهي تاتي مفاجئه وال لام الداخله علي وقتها يسمي لام التوقيف والمعني لايكشف حجاب الخفاء عنها ولايظهر وقتها المحدد لاحد الا هو تعالي فاخفاء امرها علي العباد حتي يكونوا دواما علي حذر وهذا يكون ادعي للطاعه وازجر عن المعصيه لابد ان تكون مشاعر العبدمستحضره حلول ساعه القيامه في اي لحظه يكون العبد في حاله ترقب موعدها فهو يمكن ان يحل في اي لحظه فهل سالت نفسك ماذا اعددت لها من الاعمال ماذا اعددت لها من زاد فامرها عظيم واهوالها كثيره واثقالها شقت علي السموات والارض واهلها فقال تعالي (ثقلت علي السموات والارض لاتاتيكم الابغته)

فهي ايه عظيمه عبئها ثقيل علي الجبال والكواكب والبحار والنحوم والشمس والقمر والملائكه والجن والانس وكل الخلائق فالاولي بكم الاهتمام بالاستعداد لهذا اليوم واخذ الحيطه والحذر فامرها عظيم والعمر قصير وهي تاتي مفاجئه فيجب ان تستقيظوا من الغفله

ثانيا

تستمر الايه بعرض الحاح المشركون علي معرفه موعد مجي الساعه فقال تعالي (يسلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لايعلمون)

فالايه ترسم حرص المشركون علي معرفه موعد مجي الساعه اي وقت مجئيها وهذا الحرص من باب الاستهزاء. فقال تعالي مكررا نفس الجواب (قل انما علمها عند الله)

ان علم وقتها اختص الله به نفسه وهذا التكرار للتاكيد علي ان هذه المساله من امور الغيب التي لم يطلع عليها احد

ولهذا فعليك اخي المسلم ان لاتصغ لمن يزعم انه يعرف موعد نهايه العالم وزوال البشريه لان الله لم يطلع افضل الخلق وهو النبي صلي الله عليه وسلم

وان الواجب عليك مراقبه نفسك وان تصرف اهتمامك عن محاوله معرفه موعد حلولها الي الاهتمام والاستعداد لذلك اليوم فهي لاتاتي الافجاه ولله حكمه في ذلك لايعلمها اكثر الناس

ومن هنا نفهم الفرق بين علم الساعه وعلم امارتها :-

حيث وان الكثير من الناس يخلط بينهما وترتب علي ذلك الفهم الي اهمال اهميه علم امارات الساعه بحجه انها من امور الغيب وهذا فيه تعطيل لاصل اصيل من الدين الاسلامي وهو فقه التحولات الذي ارتبط بعلامات الساعه والتي ورد ذكرها في حديث جبريل حيث سال الرسول عن الساعه فقال الرسول له ما المسول باعلم عنها من السائل ...حيث يفهم من هذا ان الرسول فهم ان جبريل يساله عن موعد حلول الساعه فكان ذلك الرد الذي يوكد انه لايعلم بها لانبي ولاملك مثل جبريل فقد استاثر الله علمه بها وحده فقال له ان هذا الامر لايعلمه احد ابدا

فكرر جبريل السوال عن الامر المقصود من السوال عن الساعه فقال ما اماراتها فقال الرسول (ان تلد الامه ربتها وان تري الحفاه رعاه الشاه يتطاولون في البنيان...الخ

ثم ختم الحديث اتدرون من السائل قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم

وهذا فيه ان الرسول صلي الله عليه وسلم عندما رد علي جبريل ما المسول باعلم منها من السائل ...ليس انه فهم ان جبريل يساله عن موعد حلول الساعه وانما اراد ان نفرق بين علم موعد الساعه وبين العلم بامارات الساعه فاراد ان نفهم انه لا مجال لمعرفه موعد قيام القيامه ولكن هنالك علامات واشراط ينبغي ان نعلمها هي علامات قيام القيامه وهذا العلم من امور الدين الذي ينبغي ان نتعلمه لانه يذكرنا بيوم القيامه واهوالها فنكون في يقظه ف لا نغفل بالاعراض عن تذكر اليوم الاخرولانغفل بالاعراض عن القيام بالمسوليات الشرعيه في الحياه

ثالثا

تستمر الايات في عرض الاسس والاصوال التي تقوم عليها عقيده الاسلام بشان الايمان بالغيب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنه والنار والقضاء والقدر فجاا ء الامر الالهي للرسول ليعلن للناس كلهم انه لايعلم الغيب الا الله وانه لايملك لنفسه نفعا ولاضرا فقال تعالي (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت

اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يومنون) وهذا فيه الاتي

ابتدات الايه بكلمه (قل) امر الهي من الله سبحانه وتعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم بهذا الاعلان المتضمن اعلان النبي صلي الله عليه وسلم النبي المعصوم الذي له مقام عظيم عند ربه بانه لايملك جلب المنافع لنفسه ولا دفع الضرر عنها الا ماشاء الله تعالي ان يوفقه الي الاسباب التي يتم بها تحصيل النتيجه

مبينا انه لايعلم الغيب الا الله تعالي فلا يطلع احد الا مايشاء الله وبقدر مايشاءووقت مايشاء ولوكنت اعلم الغيب لاكثرت من الافعال التي تودي لكثره المنافع واجتناب الشر ومبينا انه وظيفته هي الانذار بالعذاب والتبشير بالجنه وان المنتفعون هم المومنون

وهذا الاعلان فيه الاتي

الدرس الاول

ان موقف الانسان من مساله الغيب هو ينظر اليه انه بيد الله تعالي فلا تصدق من يدعي انه عالما بالغيب مهما كنت تري فيه صلاحا والتزاما لانه اذا كان شان النبي المعصوم وهو سيد الخلق انه عاجز عن الاخبار بامور الغيب فهل يصح ان يدعي انسان من الدرجه الدنيا انه يعلم الغيب ولهذا فان اللازم عليك ان لاتجلس الي من يدعي علم الغيب سوا كان ساحرا اومنجما او قاري الفنجان فكل من يدعي معرفته بالغيب او امتلاكه النفع والضررفهو كاذب دجال لايجوز الجلوس اليه. لان الله قد اخبر نبيه ان يعلن انه لايعلم الغيب ولايملك ان ينفع نفسه ولادفع الضرر عنها وبالتالي كيف تاتي الي انسان وتقول له حدثني عن مستقبلي انتبه من ذلك فلا يوجد انسان ولامخلوق كائن من كان يعلم الغيب فالغيب لايعلمه الا الله

الدرس الثاني

تهدف الايات الي بناء الشخصيه المسلمه المومنه التي يهيمن علي ايمانها عقيده التوحيد البناء الصحيح يهدف. الي تحريرها من الاوهام والخرافات والاساطير ينقذها من ان تصير اسيره المخاوف ويحفظها من الوقوع في الا وهام ذلك ان جميع الحضارات والاديان المنحرفه تقوم علي اسلوب التخويف للانسان من اشياء كثيره وتظهر من اشخاص الكهنه والملوك والاسر السلاليه انهم يمتلكون قدرات خارقه وانهم الطريق الوحيد لخلاص الانسان من تلك المخاوف التي يخوفون بها الانسان للسيطره عليه واسترقاق العقول فهم يخوفون الناس من الطبيعه و المستقبل. ومن الرب الذي يصورنه بصوره مخيفه مرعبه يخوفونه من الجن وانهم هم القادرون علي التخاطب مع الطبيعه واسكات غضبها وانهم هم القادرون علي الكشف عن المستقبل واسراره واخطاره وانهم هم الذبن يغفرون ا لاخطاء ويخلصون الانسانيه من غضب الالهه

ولهذا فان عقيده الاسلام تشفق علي الانسان من ان تستعبده الطبيعه فالانسان مخلوق عزيز حر كيف له ان يتصاغر امام الشمس التي خلقها الله لتمد الانسان بالضوء والحراره او امام القمر او الكوكب او كل مافي السموات والارض من مخلوفات فاخبرنا الله انها مخلوقات مسخره لخدمه الانسان فمن غير المنطقي ان تستعبدك الطبيعه التي خلقها الله لخدمتك

وكذلك يحرر الانسان من الاهواء الذي هو جزء منك فلا يصح ان يجرجر كيان الانسان كله جزء منه اشباع لرغبه او شهوه

فالاسلام حريص علي تفجير الطاقات الانسانيه العارمه ولهذا يربط امر المستقبل الغيب بالله الواحد القهار الذي ليس كمثله شي ولم يكن له كفوا احد فيقول لك الحق ان المستقبل الذي هو الغيب لايعلمه الا الله تعالي فلا يعلمه لانس ولاجن ولا ساحر ومنجم.

وحتي الرسول صلي الله عليه وسلم الموييد بالمعجزات والوحي مامور ان يعلن للناس انه لايعلم الغيب ولايملك لنفسه نفعا ولاضرا

لتعلم ان الله لاشريك ولامثيل له فهو تعالي من له الخلق والامر ولهذا تحرر طاقاتك فلا تخاف ولاترجوا الا الله تعالي فالعباد سواء

وبالتالي عليك ان تعتز وتستعلي بالله وتعتمد علي الله تعالي واما الخلق فهم سواسيه وانذادا

ولهذا تحقق الحريه للانسان ويتخلص من ضغوطات النزوات والاهواء ومن المخاوف لانه يتوكل علي الله لانه يخضع للقوي الكبري الذي بيدها النفع والضرر فهذا الايمان يفجر الطاقات وينطلق المومن الي ارحب الكون بالا ستسلام لله تعالي ينطلق متحررا من كل سلطان سواه بهذا يكون انطلاقه منسجما مع نداء الكون الذي هو نداء الخضوع وندا الفطره ونداء العزه فهذه القوه الكبري التي يومن بها تعني انه يستعلي بالحق ولهذا يسلم ويخضع لله ويتحرر مما سواه

فالحق يريد ان يتم بناء الشخصيه المومنه علي وحده التصور بحيث يهيمن التوحيد علي كل جوانب الحياه من عبادات وقيم ومعاملات بين الانسان مع نفسه او مع ربه او مع غيره فتجعل كل ما يصدر عنه من فكر وقول وعمل منسجم مع بعضه فهو ينطلق من عقيده التوحيد وغرس هذه العقيده في اعماق النفس تعني اطمئان النفس وانسها بجوار ربها ولهذا تخرجه من القلق والحيره فعندما يشعر ان له ربا يتولي رعايته واغداق النعم عليه فانه يطمئن بالاتصال بالله

ولهذا فصل بين شخص الرسول وبين خصائص الالوهيه بهذا الاعلان الذي فيه تنقيه عقيده التوحيد وتجريدها التجريد المطلق من كل صور الشرك فصفات الالواهيه لايشاركه فيها احد ولو كان هذا المخلوق هو النبي الخاتم وما له من مقام عظيم عند الله فقد امر باعلان ان الغيب خاص به تعالي

الدرس الثالث

اللازم تربيه الابناء والتلاميذ علي المبادي والقيم وعدم تعليق الايمان علي المصالح الدنيويه ولهذا يقول الحق لرسوله صلي الله عليه وسلم (قل لا املك لنفسي نفعا ....ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الانذير وبشير لقوم يومنون)

فمن الخطاء ربط الاتباع بالمصالح او الوظائف او غيرها حيث ان التجارب اثبتت ان الانسان اذا لم يعمر قلبه بالا يمان لايصمد في وجه الازمات حيث شاهدنا تساقط العديد من العاملين في المجال الاسلامي بعد ضعف الحركات الاسلاميه في الكثير من البلدان

ولهذا يعرض الاسلام نفسه علي الناس بهذه الصوره لترسم معالم الشخصيه المسلمه بانها تعتز بالحق وتستعلي به تعالي ومنه تستمد قوته وعزته فهولاء هم الذين ينتفعون بما في القران من الانذار والتبشير فهم الذين يفقهون حقيقه ما جاء به ويدركون ماوراء الانذار والتبشير فالاسلام جاء لتقرير الحريه للانسان وازاله ما يعيق حريه الا ختيار وترك للانسان حريه الاختيار فهذه هي مهمه الاسلام فقال تعالي (ان انا الانذير وبشير لقوم يومنون)

فهذا هو الاساس الذي يعرض الاسلام نفسه علي الناس بالحكمه والموعظه الحسنه والجدل بالتي هي احسن لمن لديه استعداد وقبول لها ولهذا ربط مساله تحرير الانسان من النزوات والمخاوف ليصل التوحيد الي اعماق النفس البشريه فالكلمه لاتعطي مدلولها الحقيقي الا اذا كان القلب مفتوح لاستقبال مافيها من طاقه تزود النفس بالطاقه والنشاط وهذا يحتاج الي اخراج كل الشوائب من القلب لاجل ان يكون صالحا لاستقبال مدلولات كلمه التوحيد وليكون لها تاثير وفاعليه ايجابيه في حياه المومن فالاسلام لايرغم الناس علي الايمان ولايلزم الرسول باجبار

الناس علي التصديق فالله يقول في موضع اخر (افانت تكره الناس حتي يكونوا مومنين)

وانما يقوم بتحرير الانسان من اغلال وقيود المخاوف التي تستعبد الانسان ويعيد لهم حريتهم وعزتهم بدعوتهم ا لانطلاق في الكون من خلال الاستسلام والخضوع لله تعالي بعد التحرر من كل سلطان سواه يقول لهم ان الغيب امر لايعلمه الا الله وحتي الرسول لايعلم الغيب وهذا النداء من اهم دواعي تعلق الانسان بربه وتحريره من الاوهام والخرفات وبهذا يخرج الناس من ظلم الناس الي عدل الاسلام يتحرر فيها الانسان من كل انواع الخوف سوي خوفه من الله تعالي فهذا هو سياج الحريه الذي لايستطيع الانسان بدونه ان يكون حرا مهما اطلق له العنان ولا يستطيع ان يستمتع بما اوتي من حريه ظاهره بدون هذا السياج لانه مكبل باغلال الخوف ومكبل بقيود الاوهام ولهذا لاينتفع بالانذار والتبشير

لانه يستعلي بالمظاهر الخادعه فهو تكون لديه الممكنات كلها سواسيه لايتفاعل مع دعوه الايمان فهو لايعبا بما يبشره الرسول من الاجر عند الله في الجنه ولابالانذار بالعذاب في الاخره فغياب الانفعال الخلاق الذي يثتب في الفكر الشوق لما عند الله والاشفاق من عذابه غير موجود ولهذا فان انفعاله العقلي والقلبي ينصرف الي المصلحه و الجاه والمال لانه ينظر للحياه من نظره ماديه لاتخرج عن نطاق تحصيل الشهوات والملذات فهو لايري ان هنالك حياه بعد الموت ولهذا لايتاثر بنداء الايمان ولايجد مدلول الكلمه سبيله الي قلب الكافر

اما المومن فان الايمان يرسم لنا ملامح فكره ومقومات شخصيته

ولهذا فهو عندما يسمع الايه التي فيها التكليف له بطاعه الرسول وامتثال اوامره وعندما يسمع الحديث عن اليوم الاخر فانه ينصت ويتدبر لانه يري في ذلك خاتمته عندها يحدث اهتزاز وارتجاج لكيانه ينتقل الي اعماق النفس و الي كل. جزء منه تزلزل وتعصف باعماقه فتحدث حياه للروح تخرجه من سجن العاطفه والذات وتجلب البهجه له وتجلب مشاعر الحب للبشريه وتنهي الشكوك ويحصل الانسجام بين العقل والغرائز ويجد السعاده بما يشعر من ا لايمان ولهذا فهو يثبت امام العواصف لانه يري ان الازمات امتحان وابتلاء من الله وان القوه بيد الله فهو يستعلي بالله ولهذا فان الايمان يحمي صاحبه من مزالق التخاذل فهو يري ان الله وضعه في برنامج عملي يفحص فيه الصادق في ايمانه من الكاذب ولهذا فان هذا الاستعلاء بالحق يولد قوه انفعال خلاق يعينه علي تثبيت العقيده حين يستشعر انه يعمل في مجالات المومنين وفقا لاوامر الله فيدفعه الايمان الي الالتزام بما امر الله ويدوام علي محاسبه نفسه ولهذا يكون لمدلول الكلمه اثرها فيه

الدرس الرابع

كما ان الايه فيها توجيه بان علي العبد الاعتراف بعدم قدرته علي ماليس من حوله ولامن قوته فهذا من تمام عبوديه العبد لربه

ولهذا فان علي العبد الايمان بالقضاء والقدر بعد الاخذ بالاسباب التي باستطاعته الفرار من قدر الله الي قدر الله فان اصابه خير شكر الله لانه وافقه لذلك وان اصابه شر صبر فالعبد عليه ان يلتزم امر الله فالله اعلم ما ينفعك كما قال تعالي (وعسي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسي ان تحبوا شيئا وهو شرا لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فعليك تفويض امرك الي من يعلم. عواقب الامور

فالله يعلم العواقب فقد يكون هنالك شيئا بنظرك انه مكروه لكنه قد يجلب المحبوب وهكذا فان هنالك امور بنظر الانسان انها محبوبه لكنها قد تجلب مكروه ولهذا فان الانسان لايعلم الغيب وانما يعلم الغيب الله وحده ولهذا فانه لا انفع من امتثال امر الله لان الله يعلم ما ينفع الانسان وما يضره

ولذلك فان نظره العاقل ليس للاشياء وانما مقايسه الغايات هل هي محموده ام مذمومه ولايعني ذلك ان الغايه تبرر الوسيله ليس هذا المقصود وانما المقصود ان تنظر للغايات من وراء ستور مبادئها

وهذا يحتاج الي قوه اليقين الذي تدرك به الغايات من مبادئها والي قوه الصبر في مواطن الشده في سبيل الوصول الي الغايه المحموده فعليك ان ترضي باختيار الله وفيما يقضيه فلا تقترح علي ربك ولهذا فان عقيده الا يمان بالقضاا والقدر تريح الانسان من الافكار المتعبه وتولد فيه قوه صبر وعزيمه فلا يجزع ولايفزع. لانه لاخروج للانسان عما قدر الله عليه فاذا صح التفويض والرضي بما اكتنفه من القدر الرباني فان الله يعطف عليه ويلطف به فيهون عليه ما قدره سبحانه وتعالي فهذه هي عقيده التوحيد التي يجب علي المومن الالتزام بها

الدرس الخامس

تبين الايه لنا اهميه معايشه هموم الناس والامهم لابد ان يكون اندماج العلماء مع الجماهير وان يشاركونهم احزانهم والامهم ولهذا ارسل الله الرسل من البشر ولم يخرجوا عن بشريتهم فهم يتالمون ويعانون ويحزنون ف الرسول لاتربطه بالسماء اسباب غير الوحي فقال تعالي (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الانذير وبشير لقوم يومنون)

فهذه هي واقعيه الرساله التي يتوقف عليها نصيبها من النجاح لان اي فكره تخرج عن نطاق الواقع لايكتب لها النجاح ومصيرها الفشل

وهذه الواقعيه لايمكن ان يدركها الناس الا من خلال انسانيه من يحمل الفكره فالناس يعرفون الرساله من خلال شخصيه صاحبها فقد تبهر الناس بالشخصيه الملائكيه القديسه الي حين لكنهم لايستريحون لصحبتها دواما في كل حين قد تنبهر الناس بالكرزما التي تمتع بها الشخصيات الطاغيه لكنها التجارب ان مثل تلك الشخصيات قد تصلح للزعامه الموقوته لكنها لاتصلح للهدايه الموصوله والرساله الخالده ومن هنا كانت شخصيه الرسول الانسان الدي يحس ويتالم ويعاني ويتحمل المشقه والتعب خير دعوه ودعايه لرسالته فيه النموذج المحرك للجماهير فيه البساطه الاسره والانسانيه الغامره والجاذبيه الساحره يعيش هموم الناس ومشاكلهم يعاني مثلهم من المتاعب يقف عاجزا امام قدر الله عندها يصبر ويحتسب ذلك عند الله

ولهذا يقول تعالي للنبي (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا. الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الانذير وبشير لقوم يومنون)

فالرسل لم يكونوا يتقوقعون في حصون يحرسهم اتباعهم او ينظرون من وراء جدر بل كانوا يخرجون للناس ويأكلون مما ياكلون ويشربون مما يشربون يتحملون المعاناه فالرسول الكريم كان يمرض ويجوع ويتالم كان يمشي في الاسواق ليراه الناس فيقتدون به ويتاسون بحاله لم يكن الرسول يتهرب من مواجهه المشاكل فيتواري عند تلاطم الهموم ويقول انتم وشانكم وانما كان يقدم نفسه وعقله ويتبني هموم الناس يدفع ويزيل العوائق التي تعيق التقدم كان يتحمل المتاعب فقد شاركهم مشقه الحصار في شعب ابي طالب شاركهم هموم الاستضعاف المعيشي والاضطهاد الاجتماعي

الدرس السادس

عليك ان تدرك ان لله حكمه في كل امر فقد تري اشياء محبوبه وياتي منها مكروه والعكس ولهذا عليك الرضي بما يقضيه ويختاره لك ربك فهو تعالي لايسال عما يفعل وهو تعالي له حكمه في كل شي فلا يفعل شي عبثا ولهذا لا يكشف لك المولي سبحانه وتعالي حكمته بابعادها الكامله لانه لو حدث ذلك لذهب اختيار الناس وبطلت حركتهم وتوقف صراعهم ولهذا قال تعالي (ان انا الانذير وبشير لقوم يومنون)

هذه هي مهمه الرسول وليس مهمته ان يعلم الغيب او ان يكشف للناس عن حكمه الله التي اخفاها عن عباده في كثير من الامور

فالله اختص نفسه بامور الغيب وهو تعالي لايكشف الحكمه الالهيه لاي انسان بابعادها الكامله لان انكشافها تعني ان الانسان سوف يصاب بالدهشه التي تولد في نفس الانسان حين يعرف حكمه الله التي يستغرق تاملها ملا يين السنين فهي تستطيع ان تقضي علي ادراك الانسان الانساني ويمكن ان تدمر كيانه المحصور في الرغبات والا مال والاحلام فالانسان لا يتحرك حركه واحده يكف عن محاوله استكمال نقصه وتسجنه الدهشه في مكانه لا يصبر الانسان حين يعاين طرفا من حكمه الله مثلما لم يصبر موسي عليه السلام وهو يراقب تصرفات الخضر وهو يخرق السفينه ويقتل الغلام ويصلح جدار في قريه ابت ان تضيفهما ان غضب موسي ودهشته واحتجاجه علي تصرفات العبد الذي اتاه الله من لدنه علما كان امر طبيعيا للغايه لقد وقف موسي وهو من اولي العزم العارفين بـ الشريعه وقف امام عبد علم طرفا من حكمه الله فلم يصبر عليه وهذا ماحدثه به العبد العالم بالحقيقه (وكيف تصبر علي مالم تحط به خبرا)

رحمه بالناس ...اخفي رب الناس حكمته عن البشر .....

نقلا من كتاب (الله في العقيده الاسلاميه تاليف احمد بهجت)

فاعطي الله الناس من حكمته قدرا يمكنهم من الخلافه في الارض او تحقيق مشيئته في عماره الكون. واعطي الا نبياء من حكمته قدرا اعلي يمكنهم من الدعوه ورسم افاق الكمال الانسان ولهذا جاا ء الاستثناء في خطاب الرسول المامور باعلانه للناس فقال تعالي

(قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا. الاماشاء الله)

يقول لهم انا بشرا مثلكم لا علاقه لي باسباب السماء غير الوحي فهذا العلم الذي انقله لكم مما علمني الله اياه مما هو متعلق بالوحي فقال تعالي (الا ماشاء الله) كما قال تعالي (عالم الغيب لايظهر علي غيبه الا من ارتضي من رسول)

اي ان الله يعطي كل من عباده قدرا من حكمته بما يمكنهم من اداء مهامهم اما عمق حكمته وسر حكمته فقد ابقاه سر لذاته

ولهذا فان الايمان بالله وباليوم الاخر يستوجب الايمان بقضاه وقدره فهو الاطار العام الذي تتحرك داخله حريه ا لانسان وقدرته علي الحركه ولهذا فان الانسان ينطلق من هذه العقيده التي تجعله. احيانا مخير واحيانا مسير في جميع المواقف التي يتعرض لها في حياته لايخرج عن نطاق هذان الامران وهو محاسب علي ماكان مخيرا فيها ولايحاسب علي ماكان مجبورا فيه ومعيار ذلك ان هنالك اشيا ء يعرفها الانسان واشياء لايعرفها هناك اشياء يفهمها واشيا لايفهمها اشياء يقدر عليها واشياء لايستطيعها فالانسان حر فيما يعرف ويفهم ويقدر وهو مجبور فيما لايفهم ولايقدر ولايعرف

ولهذا فان انوار العقل وحدها لاتستطيع اكتناء سر القضاء والقدر فنحتاج الي انوار اخري من لون اخر انوار ليست ماديه والقضاء والقدر يصدران من الله كما يتصلان بالانسان وما صدر عن الله تعالي لاتصلح انوار العقل وحدها لا كتشافه لان غايه جهدالعقل ان يفهم ويعرف وليس الفهم وحده هو المطلوب من المسلم كما ان المعرفه العقليه ليست بمفردها هي الغرض النهائي لوجود المسلم فثمه مستوي يعلو علي الفهم والمعرفه العقليه نتحدث عن الحب

ولهذا بغير الحب يصعب علينا تفسير القضاء والقدر فالحب يعني الطاعه العذبه والاستسلام المحض باختيار اراده المحبوب وحبس النفس في طلب المحبوب يختار الانسان ان يكون بلا اراده امام اراده الله تعالي فتخضع حريته

لمشيئه الله المطلقه وهذا الجبر الاختياري هو عين الحريه لانك تخرج من كل سلطان غير سلطان الله

القسم الخامس

تستنائف النصوص الحديث عن حقيقه التوحيد باعتباره الاساس الاعتقادي الذي يجب ان ترتبط وتتصل به جميع جوانب الحياه وميادينها فاساس نظام الاسلام مرتبطا باساسه الاعتقادي فهذا الاساس هو الذي يجب ان يصوغ الحضاره ويخرج الامه فهو يهيمن علي نظام الحياه وينظم مجراها ويحكم وضعها فهذا هو اصل عقيده الاسلام واساس بناء الحضاره الاسلاميه ولهذا نجد ان الايات تاتي بجمله استنافيه لتقرير دليل التوحيد وابطال مظاهر الشرك الذي سلكه المشركون الذين كانوا يدعون انهم علي دين ابراهيم فقال تعالي

(هو الذي خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالي الله عما يشركون أيشركون ما لايخلق وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الي الهدي لايتبعوكم سواءعليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون)

اولا

ابتدات الايه بذكر نعمه خلق الانسان من ادم ونعمه خلق حواء من جنس ادم اي ان الانثي خلقت من جنس نوع الذكر ليانس اليها

ثم ذكر انعامه بحصول التناسل للذريه. فذكر الله ما انعم عليهم من اطوار الخلق من العدم للوجود ثم من النطفه التي استقرت في بطن الام ومن الضعف الي القوه ثم بين اعطاهم المواثيق واخذ منهم العهود بعباده الله وطاعته ثم اخبر تعالي عن غدرهم ونقضهم العهود وكفرهم للنعم ونقض المواثيق فالايات سيقت توبيخا للمشركين ونقضهم العهود وغدرهم وليس كما ذهب البعض الي الحديث عن قصه خرافيه مفادها ان حواء لما حملت جاءهاهي وادم وقال لها انني انا صاحبكما الذي اخرجكما من الجنه لتصغي او لاجعلن له قرني ايل فيخرج من بطنك فيشقه ولافعل ولافعل كذا وكذا يخوفهما ويطلب ان يسميه عبد الحارث فابيا ان يصيغا له فخرج ميتا ثم حملت فجاءها ابليس وكرر ماسبق ثلاثا حتي اثر عليهما حب الولد فسماه عبد الحارث وذكر البعض ان نسبه الشرك لادم وحواء في الطاعه ولم يكن في العباده .....وهذا القول غير صائب ولا صحه له فهي قصص خرافيه فالذين اشركوا هم ذريه ادم وليس ادم وحواء للاتي

الامر الاول

ان الايات سيقت لتوبيخ وذم المشركين الذبن ينقضون عهد الذريه بافساد فطرتهم التي تعرف ربها اذا تركت وكذلك عطلوا حواسهم وهم يغدرون بما يعاهدون الله عليه في انفسهم بسبب تعطيل عقولهم وحواسهم ولهذا تاتي الايات بهذه القصه التي فيها تمثيل لانحراف النفس مبينه كيف يبدا الانحراف الي الشرك ومداخله ترسم لنا خطوات السقوط من التوحيد الي اسفل السافلين الشرك في النفس لترسم حال الانسان الذي تتوزاع الاصنام اجزاءه اوزاعا واشتاتا تتنازع السيطره علي اشلائه الالهه والارباب عندما يعطل قواه وطاقاته وحواسه التي منحها له الله الواحد الاحد الفرد الصمد فان الانحراف عن التوحيد ينتهي به الي السخافه والسذاجه في التفكير والتنازل عن عقله وادميته ولهذا يعرض عليهم الحق بدايه الانحراف للنفس وتصور خطواتها وكيف ينتهي بها الي الضلال الذي لارجوع عنه فقال تعالي (هو الذي خلقلكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها)

فيها عوده قوله تعالي (ولقد ذرانا لجهنم كثير من الجن والانس ...الخ

وليس علي قوله تعالي (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا)

لان ذلك القول قصد به ابطال الملازمه من وصف الرساله وعلم الرسول بالغيب فكان التوجه بالخطاب للمشركين مناسبا لاقامه الحجه عليهم بفساد عقولهم في شركهم وذم عبادتهم للاصنام وكذلك ما كانوا يمارسون من طقوس فيها تسميه الابناء بانهم عبيد للالهه باعتقاد ان ذلك سببا للنجاه والعيش كما كان سائدا في القرن الماضي الي نهايه الثمانيات فقد كنا نشاهد الكثيرون يحضرون ابناءهم الي الاضراحه عند ولادتهم ويقومون بحلق الشعر للمولود وثقب اذنه للتعبير عن شرء المولود من صاحب الضريح ويعتبرون الذبيحه التي يتم ذبحها عند الضريح انها واجب الشكر علي هذا المولود الذي طال انتظاره ثم يطلقون عليه اسم بحسب ما يامرهم به القائم برعايه الضريح هذه الاشياء

وهولاء الناس كانوا يعتقدون ان ذلك هو دين الاسلام الذي جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم وهو نفس حال مشركي مكه الذين كانوا يقدمون الاضحي للاصنام بعد ولاده المولود ويطلقون عليهم اسماء عبد اللات ..وعبد العزي...وغيرها من المسميات ويزعمون انهم علي دين ابراهيم عليه السلام ولهذا فان دعوه الاسلام كانت تجد حواجز تمنع وصول الدعوه للناس نظرا لان الشرك صار عقيده جميع اهل مكه ارتبطت بها اخص مايطمح له كل انسان وهو انجاب الذريه الصالحه فهذه الامنيه يتمناها جميع الناس الفقير والغني الضعف والقوي فالنفس وقت الخوف والطمع تنقشع عنها الاغطيه فتعرف ربها وتتوجه اليه وحده لاشريك له ولهذا نجد ان

ولهذا نجد ان النصوص تتوجه بالخطاب الي العقول والواجدان تحاورهم بالمنطق تطلب حضور العقل تعرض عليه حقائق التوحيد من خلال العرض المنطقي الذي يعرض به الله سبحانه وتعالي دينه باسلوب رائع في ايراد كل معارضه ومناقشه كل مخالفه ومناهضه كل نزوه فالخطاب دعوه لاعمال الفكر والفقه والتدبر تهدف الي اعاده تشكيل اذهانهم وتكوينهم العقلي للوصول الي تقرير عقيده التوحيد في اعماق نفوسهم ولهذا قال تعالي (هو الذي خلقكم) فضمير الخطاب هنا للمشركين من العرب وهو لكل انسان في كل زمان لان المراد هو التذكير بنعمه ا لايجاد من العدم

بخلق ادم من الطين فقال تعالي (من نفس واحده)وخلق زوجته حواء فقال تعالي (وجعل منها زوجها) وهذه النعمه العظيمه لاينكرها احد من البشر فالجميع يعترف ان الله هو الخالق لكل المخلوقات ولهذا فان الاستنائف مساق للاتي

/1

لبيان ان مقتضي التوحيد الذي هو المقصود الاعظم يعني ان الله هو المستحق بالعباده والخضوع فهو الذي عنده علم الغيب وهو الذي خلقكم من نفس ادم وجعل من نوع هذه النفس وجنسها زوجها

فعليك ان تسال نفسك لماذا خلقك من العدم ولماذاجعل للانسان زوجه من نوع هذه النفس ؟

ان هذا الايجاد لم يكن عبثا وانما خلق الله العالم ليعبدوه فهذه هي الغايه من الخلق كما قال تعالي (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وقد فسر ابن عباس العباده بالمعرفه والمعرفه اعم واشمل من العباده لان معرفه الله تعني انه ينفتح داخلك كون علي الكون الاكبر فانت تتصل بالغيب من خلال هذه المعرفه كما تتصل بالمشهود تفهم ان عليك ان تبدا رحله السفر في الكونين معا غير ان كل شي في الدنيا نسبي المعرفه والمعرفه الانسانيه نسبيه وناقصه وتتغير ولهذا لابد ان يكون سبب الخلق اكبر من مجرد المعرفه ولهذا اقترنت المعرفه بالحب فالعباده مثلما انها قمه من قمم المعرفه فهي قمه من قمم الحب يقول ابن القيم ان الله خلق العالم ليعبده العالم والعباده هي قمه المحبه وكمالها

/2

ولما كان المعلوم للبشر انه لايطلب احد من احد ان يحبه الا اذا كان يسبقه بفضل الحب ولهذا يبين الله لعباده انه تعالي عندما امرنا ان نحبه فانه تعالي قد سبقنا بهذا الحب فهو تعالي له فضل الخلق والايجاد لنا ابتداءونعمه الذريه والبعث انتهاء ولهذا جاء التذكير بنعمه الايجاد من العدم بخلق ادم وكذلك تكميل النقص الذي لاتكمتل لذه الحياه بدونه وهي الزوجه فقال تعالي (وجعل منها زوجها) من التبعيض (منها) والمراد من نوعها فهي صفه لقوله (زوجها) قدمت علي الموصوف للاهتمام بالامتنان بان جعل الزوج وهي الانثي من نوع ذكرها ليحصل الانس فيحصل بيننا الموده والرحمه فاراد المولي بهذا الاتي

المفهوم الاول

ان تحس بانعام الله تعالي فتري حسنه واحسانه لتفهم ان حب الله لك سابق وحبه تعالي هو العطاء والرحمه و الرافه بنا فقد اوجدنا من العدم وكرمنا علي سائر المخلوقات وانعم علينا بالزوجه من جنس نوع نفس الرجل ولهذا جاء التعليل (ليسكن اليها)

اي جعل من نوع الرجل زوجه يانس اليها ليرتاح ويزيل الهموم والاوجاع وجعل هنالك شهوه لينساق اليها ارتبطت بالتناسل فلو جعل التناسل حاصلا بغير الشهوه مثلا لكانت نفس الرجل غير راغبه بالاستكثار من نسله ولو كان التناسل حاصلا بحاله الم لكانت نفس الرجل مقله بحيث لاتنصرف اليها الا مثل ما ينصرف المريض الي الدواء المر الطعم ...

المفهوم الثاني

يريد المولي منك ان تحبه فهذه النعم توجب عليك محبه الله ولهذا جاء الاستطراد بالانتقال من ذكر نعمه الايجاد والخلق من العدم وخلق الزوجه من نفس نوع الذكر لتانس اليها الي ذكر نعمه قوام

النوع. بالنكاح والنسل ولهذا فرع بالتعقيب بالفاء (فلما تغشاها) والغشاء يستعمل للتعبير عن الغطاء الذي يغطي الشي فيستره من فوقه وهو هنا كنايه عن الجماع ومعناها يغشي الزوج الذي هو الذكر الزوجه التي هي الانثي لد لاله عن نعمه قوام النوع الذي ميز به الحق الانسان عن الحيوانات حيث جعل لذلك طريق الزواج ولهذا اعتبر الزنا افساد لقوام النوع واعتداء علي قوه الشهوه التي هي من جنس قوه الحب ولهذا يخبرنا المولي عن سكون الزوج للزوجه هو الغشيان الذي يعني قضاء الشهوه فيما يحقق قوام النوع بالنكاح الشرعي الذي يحصل به التناسل فكان التعبير بهذه الكلمه دقيقا ومتناسقا مع. اجواء السكن والموده وانشاا ء ذريه صالحه وليس مجرد قضاء شهوه ولهذا ذكر انه مع حصول الغشيان يبدا معه الحمل واطوراه وما يصحب ذلك من طموح في النفس ان ياتي المولود الصالح الذي يحمل اسمك من بعدك فهذه النعم كلها توجب عليك محبه الله تعالي لان النفوس مجبوله علي حب من احسن اليها وتبغض من اساء اليها فالله عندما يطلب منا ان نحبه فهذا لانه تعالي قد سبقنا بالحب من قبل بـ الخلق ابتدا والايجاد والانعام الذي به يحصل استقرار الحياه وبنعمه قوام النوع الذي فيه تكريم لنا

المفهوم الثالث

عليك ان تفهم ان العلاقه الزوجيه ينبغي ان تقوم وفق النظام الذي حدده الله الذي فيه تكريم النوع الانساني وبقاء قوام النوع فهذا التكريم للانسان انما يكون باتباع منهج الله في كل امر

ولهذا جاء الاسلام بهذا الاعلان الذي يدعوا الي احترام حقوق المراه في زمان كانت المراه لاحقوق لها وكرامتها تداس بالاقدام جاء يعرف المسلم ان الرابطه بين الرجل هي رابطه تكامل فالزوج يكمل نقصه العاطفي بزوجته و الزوجه تكمل نقصها القيادي بزوجها وهذا التكامل لاجل المساهمه في تاسيس الاسره المومنه التي تعمل علي القيام بامر الخلافه

فالمراه لها احاسيس ومشاعر وافكار ينبغي احترامها وقيادتك لها هي قياده ارشاد وتوجيه لاجل وقايتها من الهلاك ومن العذاب في النار ليس اذلالها واهانتها فينبغي التعامل معها علي انها اساس حفظ حقوقها وكرامتها ويجب عليك تثقيفها لتحمل رساله تربيه الابناء وفق منهج الله

ينبغي ان تفهم ان لها دور في الخلافه من خلال المساهمه في انجاب الجيل المسلم فهذا هو اساس الرغبه لقضاء الشهوه الذي يجب ان يكون هو الهدف الذي تسعي اليه انت وزوجتك لا مجرد قضاء اللذه فانت لك هدف من ذلك انت تختلف عن الحيوان الذي لاعقل لديه فليس الغرض الالتقاء الجسدي بل التقاء لضمان بقاء النوع الانساني علي الصوره التي تميزه عن الحيوان ولهذا فاللازم ان تلزم الانضباط في حياتك بحيث تكون وفق منهج الله تعالي فهذه هي نظره الاسلام للمراه

الامر الثاني

ان الانبياااء معصمون من الكبائر ولايمكن ان يكون ادم وحواء قد ارتكبا هذه المعصيه الشرك وهذا ما يدل علي كذب ماورد في القصه الخرافيه من نسب الشرك لادم وحواء فهذا القول غير سليم وانما المشركون من ذريتهما وما يوكد ذلك الاتي

/1

حديث الشفاعه الذي ذكر ان الناس يطلبون من ادم الشفاعه فعتذر لانه ارتكب معصيه الاكل من الشجره ولم يذكر هذا الذنب

/2

ماورد في القصه من ان ابليس قال لهما انا صاحبكما الذي اخرجكما من الجنه فلا يعقل ان يصدقه ادم وحواااء وقد خاض التجربه السابقه اضافه الي انه لايمكن ان يقول من يريد اغواهما انه ابليس فهذا القول يتعارض مع تزين الشر الذي هو وسيله الاغواء

/3

لم يذكر القران حصول توبتهما من الذنب وكيف يذكر ارتكاب الذنب دون ذكر التوبه

/4

ختم الايه بقوله (فتعالي الله عما يشركون)

والانبياااء معصمون من الكبائر ولو كان المقصود ادم وحواء لقال عما يشركان ولكن الحديث يتناول المشركون من الذريه كما قال تعالي (كان الناس امه واحده ....الخ

ثالثا

القصه تتناول الحديث عن انحراف النفس التي تعرف ربها لانها مفطوره علي معرفه الله ومحبته وهذا ما حدث للذريه بعد ادم وحواء وليس المراد بذلك ادم وحواء فاالايه تتحدث عن نقض العهد الفطري الذي يشد النفس ويدفعها الي ربها تطلب منه الذريه الصالحه ثم تنقض العهد بعد ان يرزقها الله المولود الصالح فقال تعالي (هو الذي خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالي الله عما يشركون ايشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون)

وهذا فيه

الامر الاول

ذكر انه الخالق للانسان بهذا التكريم والتفضيل بالعقل والتسويه والعلم فجعل كمال القوي العقليه المنطقيه الايمان وجعل كمال قوه الشهوه قوم النوع بالنكاح والتناسل فذكر الحمل الخفيف في البدايه للاشاره الي انه لا الم فيه فذكر انها تمر به وتجتازه بدون تعب والا الم (فمرت به)

وحقيقه المرور الاجتياز ويستعار عدم الاكتراث كما قال تعالي (فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الي ضر مسه)

فالنصوص فيها حكايه للواقع بانها لم تتفطن ولم تفكر بهذه النعمه فلم تقف عندها لتشكر الله عليها في مرحله الحمل الاولي فهذه هي حقيقه المرور (وكاين من ايه في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون)

وهذا فيه ان الاصل علي العبد ان يشعر بنعمه الله فلا يتغافل عنها

فالايه وردت باسلوب الاطناب ولهذا قال بعدها (فلما اثقلت. دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) وهذا الاطناب الذي سلك فيه وصف تكوين النسل يهدف الي تذكير النفس بتلك

الافعال الداله علي دقيق حكمه الله وقدرته ولطفه واحسانه

فهو تعالي يبين انه لما اصبح امر الحمل واضحا وقد قربت الولاده واثقل الحمل علي الزوجه فان النفس هنا تبدا لديه الطمع ان يكون ابنها افضل الابناء في الصلاح سواء من حيث الجسد فلايكون معاقا او من حيث العقل او من حيث الدين فالصلاح كلمه عامه

فالنفس هنا تبدا بمناجاه الله ان يرزقهما طفلا سليما معافا لان الركام الذي يغطي الفطره وقت الخوف او الطمع ينتفض فلاتري الا ربها ولهذا تتوجه اليه وهذه الحاله لابدان تحدث من الابواين سوان كانا مسلمين او غير مسلمين فهما يتمنان ان يكون لهما مولود صالح سواء نطقا بذلك ام اضمراه في نفوسهما فان مده الحمل طويله و لاتخلوا من حديث النفس خلالها بذلك والمشركون كانوا يعترفون بربوبيه الله وانه خالق الكون فما الذي حدث بعد ولاده الطفل الصالح يقول الحق (فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهم فتعالي الله عما يشركون)

فجاء تنزيه الله نفسه عن ذلك الشرك سواا ء كان هذا الشرك بتسميه الابناء بانهم عبيد للاصنام كما ذكر البعض عبد الحارث او عبد الكعبه او نحوه فكل اسم معبد لغير الله حرام فقد اتفق العلماء ان ذلك شرك في الربوبيه والالوهيه لان الخلق كلهم ملك لله وعبيد له تعالي استعبدهم لعبادته وحده واحكامه ساريه عليهم قال تعالي (وان كل من في السماوات والارض الا اتي الرحمن عبدا)

وهذا ما ذهب اليه ابن حزم بتحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد الكعبه او عبد الحارث واستثناء من ذلك كلمه عبدالمطلب وهذا استثناء من العموم من كل اسم وهذا لان اصل اسم عبد المطلب يعود الي اخ هاشم الذي قدم من المدينه ومعه شيبه ابن اخيه هاشم رديف خلفه وهو لم يكن قد جاء الي مكه حيث انه عاش عند اخواله بني عبد النجار في المدينه وقدم وهو شاب فعندما شاهده اهل مكه قالوا هذا عبد المطلب وعلق الاسم به بعد ذلك

الامر الثاني

الايه فيها هجوم علي الانقياد لهوي النفس والعرف والتقليد الفاسد انه استنهاض لحيويه الارداه الانسانيه التي بها يغدو الانسان قوه ايجابيه فعاله ولهذا يبين الحق انه اقام في كل نفس شاهدا من وعيه ومن عقله ووعيه علي

قضيه العقيده تقطع عليه طريق الاحتجاج والتنصل فقد خلق الانسان واخذ عهد الذرري كما سبق واوضحنا ولهذا فان الانسان يجد في نفسه جاذبيه البحث عن الذات العليا ولهذا اخبرنا الله تعالي في مقدمه هذا المقطع عن حال من يوثر المروق من حصانه العقل الي نزوات الهوي من يختار التمرغ في مواخم الضلال بانه لايجد الذات العليا و لا الكمال الذي يبحث عنه فهو يصبح مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث لانه اخطي الطريق التي توصله الي الكمال فالحب هو الذي نكمل به ذواتنا الناقصه وانفسنا الحائره ولهذا تجد الانسان يبدا بحب والديه في طور البحث عن الذات العليا ثم ينتقل الي حب زوجته ثم الابناء والذريه والمال وهكذا لايجد الكمال ولا الذات. العليا التي يبحث عنها ولهذا يصور القران ان هذا ظالم لنفسه لانه عطل الادوات التي يري فيها محبوبه الحقيقي الذي يبحث عنه المحبوب الذي يستحق الحب الاعظم فجاء الايات (اولم يتفكروا ما بصاحبهم ....)(اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض ...الخ

(يسلونك عن الساعه ايان مرساها ...الخ

(قل لااملك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ...الخ

(هو الذي خلقكم من نفس واحده...الخ(ايشركون ما لايخلق شئيا وهم يخلقون ولايستطيعون نصرهم ولا انفسهم ينصرون ..الي قوله (ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم...الخ

وهذا فيه الاتي

المساله الاولي

يدعوهم الي ان يكون الحب الاعظم لله تعالي لا شي سواه

فالحب مرتبط بالمعرفه ومرتبط بالعمل لان الذي لايعرف شئيا لاقيمه له ومن الصعب علي من فقد القيمه ان يحب فالحب هو الحجر الاخير في هرم القيم فاذا كان الهرم غائبا فكيف تضع الحجر الاخير فلا يقد ر علي الحب الا من يقدر علي الفهم والملاحظه والرويه والاحساس والعطا وكلما زادت المعرفه زدات قدره القلب الانساني علي الحب فيدرك ان محبوبه الاعظم هو الحي القيوم الذي لايمت فليس هنالك طريقه للاتصال بالكون والاخرين غير الحب

يقول الحق لك احب ادم حواء علي الارض وولد من حبهما النوع الانساني وبغير الحب تتحول الحياه الي سجن انفرادي وعزله قاسيه

فالحب هو الحل الوحيد امام الانسان ليخرج من سجن الذات الي اتساع الكون ورحابه الاخرين ولهذا يصل الاسلا م المسلم بالله اولا واخيرا فالانسان حينها لا يكون غريبا فهو متصلا بالله خالق الكون ومصدر الامان ولهذا فعقيده الاسلام اذ تقيم عقيده الدين في الانسان والتي تبدا بالنطق بالشهادتين ان لا اله الاالله فانما تقيم البناء العقلي والنفسي لكل فرد من افراد الامه تخرج الانسان من غربته ووحدته الي اتصاله بالله ايمان ناتج عن تميز عقلي لهذه الحقيقه ومشاهده جماله وجلاله واحسانه وعطفه تعالي علي العبد فالشهاده تعني شهود ويقين فاذا شهد الانسان ان له ربا يبسط عليه خيام المن الالهي والرحمه فاذا ايقن الانسان انه ليس وحده في الكون فانه يتحرر من الغربه والخوف وتتحرر طاقاته وتنطلق المواهب من قيود السكون عندها يصير الانسان حرا ولهذا فان المسلم يتاله الله في كل الاحوال فهو تعالي وحده الذي يملك الخلق والامر وكل ما عداه مخلوقات عبيد لله تعالي وبهذا الاتصال يجد المسلم الذات العليا التي يبحث عنها اما المشرك فانه يظل باحثا عنها ولايجد ما يبحث عنه فيعيش في حيره وقلق

المساله الثانيه

يقول الحق ان الذي خلق هو الذي يستحق ان يعبد فمن له الخلق له الامر واصنامهم لاتخلق شئيا بل هي مخلوقه

ولهذا يستنكر المولي عليهم مثل هذا الانحراف الذي لايقبله عاقل فمناقشه العقل هنا جاء بهذا الاسلوب الذي فيه ا لانتقال من الحكايه عن حديث النفس وانحرافها يهدف الي ضبط قوي النفس من خلال اسلوب المواجهه المباشره مع المشركين بهذا الهجوم علي انقياد النفس للهوي والعرف والتقليد في هذا الهجوم استنهاض لحيويه الارداه الا نسانيه لتكون ذو فعاليه ايجابيه ولهذا يتوجهزالخطاب الي العقول بهذا الاستفهام الذي ينكر عليهم هذه التصورات الساذجه والسخيفه يعرض عليهم دليل الخلق والقدره فالعقل لو استقيظ من غفلته لما قبل بهذه بعقيده الشرك الساذجه فهي لاترضاها لولا ان الشهوات تضلل صاحبها وتخدعه ولهذا جاء بهذا الحوار كيف لك ان تعبد مخلوق ما الداعي لتلك الساذجه والسخافه يدعوهم الي التفكر يدعوهم الي وزن الامور بالعدل والقسط فالخالق الله تعالي وبالتالي فان اللازم ان تكون قوه الاراده في فعل المامور ناتجه عن حب الله وترك ماسواه لان من يخلق له الامر (الا له الخلق والامر)

وهذا يتناول نفي ان يكون المعبود المدعوا من دون الله فهم مخلوقات سواء كان المدعوا من الملائكه او الانس او الجن او الجماد او الكواكب او النجوم فكل سوي الله مخلوقات خلقها الله فكيف تعبد مخلوق مثلك وقد كرمك الله عليهم ان انت عبدت الله وحده لاشريك له

فالمخلوقات لاتملك لنفسه نفعا ولاضرا فهي لاتملك ان تنفع غيرها ان عبدها ولاتستطيع ان تضر من لم يعبدها وهذا فيه انتفاء الرغبه والرهبه من جهته بخلاف الرب الذي بيده النفع والضرر

ولهذاكان استخدام برهان القدره والخلق لتقويه القوه الجذبيه لطاعه الله وحده وكذلك تقويه القوه الغضبيه النفريه من كل ماعدا الله لان النفس لاتكف عن الظلم الا بالقوه الغضبيه ولهذا يفهم منه ان المحبوب الذي ينبغي ان تتوجه اليه الخلائق هو الله تعالي لان اندفاع المكروه لايمكن ان يحصل بدون المحبوب

كما قال تعالي (ماريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوه المتين)

ولهذا يتسال كيف تعبدون عاجزا لايقدر علي نصركم فهو لايقدر علي نصره نفسه فقال تعالي (ايشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون)

الامر الرابع

تهدف الايات الي ابطال عقيده الشرك واقامه الحجه علي المشركين بان الاوثان والاصنام والملائكه والانس كلها لا تصلح ان تكون الهه تعبد فذكر انهم لايخلقون شي ..وانهم مخلوقون مربوبون مقهورن ..وانهم عاجزون عن نصره غيرهم ولايقدرون علي نصره انفسهم فهذه الصفات متوفره في غير الله فهم لايصلحون ان يعبدوا ولا ان يعتمد عليهم ولايسمعون الدعاء فقال تعالي (وان تدعوهم الي الهدي لايتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون) فهم لايسمعون لانهم ام موتي او غائبون او عاجزون فقال تعالي (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها)

تهدف الايات لبيان انهم عاجزون لايقدرون علي شي فلا يقدر عليه الا الله تعالي فانكر الله عليهم عبادتهم اصناما واوثان بهذا الخطاب الذي فيه بيان شده جهل من يعبد غير الله وايضا في الايه نفي اي مخلوق علي النفع والضرر والمراد بهذا ابطال دعوي الشرك فالخلق والامر لله فليس لاحد شي ولانبي مرسل فالله قال لنبيه (ليس لك من الا مر شي)

فكيف تتعلق انت بمخلوق وكيف تعتمد علي بشر وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم يوم نزلت (وانذر عشيرتك الاقربين) انه قال يامعشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شي) قال هذا قبل ان يهاجر ومعني اشتروا انفسكم من الله بالتوحيد والايمان ثم نادي عمه العباس فقال ياعباس بن عبد المطلب عم

رسول الله لاغني عنك من الله شي ياصفيه عمه رسول الله لاغني عنك من الله شي يافاطمه بنت محمد سلني من مالي ماشئت ولا اغني عنك من الله شي)

يقول لاهله لاتعتمدو ا علي لاني رسول الله فهذا حق الله فالواجب طاعته واتباع منهجه وما وظيفه الرسل الا البلاغ فلا يملكون لانفسهم نفعا ولاضرا فالعباده والدعاء لايصلح التوجه بها الا لله تعالي فلا يجوز التوجه بها حتي للنبي صلي الله عليه وسلم

فهذه هي العقيده التي تم بناء بها الشخصيه المسلمه المتحرره من كل الاصنام ولهذا انطلق المسلمون الاوائل يحملون دعوه التوحيد لايخافون احد فهم اقوياء بعقيده التوحيد ولهذا نفهم. سبب التعقيب بامر الرسول صلي الله عليه وسلم ان يتحدي المشركون فقال تعالي (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون)

اي استنصروا بها في مكائدكم واجتهدوا جهدكم فلا تمهلون فاني لا اخاف اصنامكم

وهذا فيه دعوه لكل صاحب دعوه الي التحرر من الاصنام فلا تخاف ان تفصل من الوظيفه ان وقفت مع الحق انتبه ان تسكت علي الباطل خوفا من العدو ومن سلطانه فهذه الاصنام عاجزه عن النفع والضرر الا اذا شاء الله فعليك ان تعتمد علي الله فهو يتولي اولياءه ويحميهم ويرعاهم فقال تعالي (ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين)

اي قل حسبي الله وكافي وهو ناصري وعليه متكلي واليه الجأ وهو ولي في الدنيا والاخره

فكيف اخاف من المشركين واصنامهم فقال تعالي (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الي الهدي لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون)

والخطاب فيه التفات من الغيبه للمخاطب لشد الانتباه لاهميه الامر

الامر الخامس

لماذا خص بالذكر عجز المعبودت غير الله من نصره من يعبدها هنا

عليك ان تدرك ان الخير والشر له مقتضي من المحبوب والمكروه

ولهذا نجد اقتران الرزق بالنصر في اغلب ايات القران لان الرزق من قوه الحب والنصر من قوه الغضب ولما ذكر الله انه الخالق فدل هذا علي انه الرزاق وهذا فيه بيان انه الغني وانه تعالي هو المستحق للحب العظيم ولما نفي عن الاصنام الخلق فهي مخلوقه

انتقل الي نفي قدرتها علي نصره من عبدها او الحاق الضرر بمن لم يعبدها فدل هذا ان النصر بيد الله وخص ذلك بالذكر لان طبع الانسان يعظم دفع المكروه وبالشرع يعظم دفع المكروه بالتقوي

فالعاقبه لاهلها ولهذا يتوجه القران الي النفوس التي يعلم الخالق انها فيها تعظيم لمن ينصرهم بدفع الضرر عنهم. من عدو او غيره لان اهل الرزق معظمون لاهل النصر اكثر من تعظيم اهل النصر لاهل الرزق. ولان النصر بلا رزق ينفع ولان اندفاع المكروه محبوب ايضا وهو لايحصل الابقوه الدفع التي هي اقوي من قوه الجذب فاختص الناصر بالتعظيم لدفعه المعارض فالناصر محبوب معظم وهذا لايعني التسليم ان قوه الدفع اقوي بل الجذب قد يكون اقوي بل هو اقوي في الاصل لانه هو المقصود بالقصد الاول والدفع خادم تابع له (نقلا عن ابن تيمه)

فالمانع تحتاج اليه عند ثبوت المعارض وقد لايكون هناك معارض فالمقتضي والمحبه هو الاصل والعمده في الحق الموجود والحق المقصود اما المانع والبغضه فهو الفرع والتابع ولهذا كتب الله في الكتاب الموضوع عنده فوق

العرش (ان رحمتي تغلب غضبي)

ولهذا نجد ان الحق يتوجه بهذا الخطاب قائلا (وان تدعوهم الي الهدي لايتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون)

يقول الحق كيف لكم ان تتركوا عباده الله وترفضوا الانصياع لهدايه القران الذي انزله الله لانقاذ البشريه و الحفاظ علي كرامتها وصيانه العقول من يستعبدها مخلوقات مثلها وتطلبوا الهدايه من الاصنام التي لاتهتدي لنفسها فكيف تهدي غيرها لانها اصنام جامده لاتسمع ولاتري ولاتتكلم فهي خاضعه لقدرته تعالي مخلوقات مثلكم

فقال تعالي (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها)

فهي عاجزه عن نصره نفسها فاقده للحركه والحياه لاتسمع الدعاء ولا ارجل ولا اذن ولا ايدي ولا اعين لها ...فلماذا تخاف من العاجز ولما تطمع بالهدايه ممن لايملكها ولهذا يتوجه الي الرسول صلي الله عليه وسلم وهو نداء لكل داعيه ان لايخاف من غير الله ويامره ان يتحداهم الاضرار به هم واصنامهم فقال تعالي (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) اي اجتمعوا انتم واصنامكم ولا تتركوا جهدا في جمع كيدكم بلا امهال ولا انتظار فان كيدكم لايقف امام قوه الله ونصره لاولياءه فقال تعالي (ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الي الهدي لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون) اي عليكم ان تعتمدوا علي الله وتتوكلوا عليه فهو الولي والناصر فلا تخافوا الا الله تعالي عليكم استقبال اوامر الله بالتعظيم لامره للوصول الي القرب من الله عليكم بتقوي الله لتحظوا بنصره الله عليكم الاستعلاء بالحق والاستهانه بالمظاهر الخادعه الكاذبه للدنيا فلا تنخدعوا فيها فهذا هو السبيل للوصول الي رحمه الله

-

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الحادي عشر من سوره الاعراف

بعد ان تناولت النصوص السابقه قبح عقيده الشرك وسخافه عقول المشركين واقامت الحجه عليهم وسجلت عليهم تعطيل ادوات العلم ومكابرتهم وعنادهم وفساد معتقداتهم وامعانهم في الضلال وهذا فيه تقويه قوه النفور في قلوب المسلمين من الشرك واهله ولهذا جاءت الايات بعدها تامر النبي صلي الله عليه وسلم وهو امر لكل المسلمين بمكارم الاخلاق في التعامل مع الاخرين وملاطفتهم وامرهم بالمعروف والاعراض عن الحمقي فلا يكون الانتقام والغضب للنفس فقال تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

فهذه هي المناسبه التي كان هذه الاوامر اذ ان الايه مكيه ولم يكن قد شرع امر القتال وهذا فيه بيان الخطوط العريضه لاهل الدعوه بان علي الداعيه ان يميز بين فقه الدعوه وفقه الدوله انت تعيش داخل هذا المجتمع وعليك ان تحسن التعامل معهم لتكون قادرا علي عرض نفسك والفكره التي تدعو اليها علي الناس ولهذا ابتدات الايه بـ التوجيه بالخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم بثلاث امور

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان المولي سبحانه وتعالي تولي تربيه النبي صلي الله عليه وسلم واعداده بالخبرات اللازمه التي تساعد علي ايصال الخير للناس

فالنبي صلي الله عليه وسلم هو المربي والمعلم والهادي للناس ولهذا يعلمه الله كيف يقوم بعرض الدعوه علي الا خرين فيقول له

انتبه ان تصنع حاجزا بينك وبين الناس يمنعهم من القرب منك ومعرفه ما تدعوهم اليه لان الفكره انما تعرف من خلال شخصيه الداعيه ولهذا فعليك

1

ان تتعامل مع الناس بالسهل علي الناس فلا تكون فظا غليظ معهم فلا تكلف الناس بما يشق عليهم وعليك التزام اللين وعدم الشده عليك مراعاه ضعف الناس وتفاوتهم ولهذا عليك التسامح وغض الطرف عن الضعف البشري و العطف عليهم والتعامل معهم بسعه صدر من اجل ان تسير الحياه فاللازم التسامح معهم في التعامل فلا تضيق عليهم الخناق بالتكاليف الشاقه وهذا في الاخلاق وليس يعني هذا التفريط في امور العقيده فلا مجامله في العقيده وانما يراد به يعاملهم بحسب طاقاتهم ولايطلب المثاليه والكمال منهم

/2

وكذلك يامره بان يامرهم بالعرف الذي يعرف المجتمع حسنه فلا تامرهم بما هو غريب عنهم لان النفس يصعب عليها حمل التكاليف الغريبه عنها ويصعب ترويضها وقيادتها وانما يكون تطويعها بالامور المالوفه عليها المعروفه انها من اوجه الخير فيكون انقيادها بسهوله فالعرف كما عرفه العلماء هو ما استقرت النفوس عليه بشهاده العقول وتلقته الطبائع بالقبول

3

ثم يامره بان لاينتقم لنفسه من الذين اساوا له فعليه الابتعاد عن السفهاء والاعراض عنهم فذلك هو الافضل لان

الجدل معهم قد يودي الي مفاسد اكبر اما الاعراض عنهم فقد يكون دافعا الي تركهم اللجاج وهو ايضا يوصلهم الي العزله ويصبحون منبوذون من اصحاب الضمائر الحيه الذين لايقبلون بافعال السفهاء فعندما يشاهدون حلم صاحب الدعوه عن السفهاء فانهم يتاثرون لانهم يعلمون ان الحلم هو اعلي مراتب الشجاعه

ولهذا جاء الامر للرسول صلي الله عليه وسلم وهو امر ملزما لجميع المسلمين فالايه فيها

المفهوم الاول

ان علي الداعيه ان يكون حريصا علي ايصال الخير للاخرين ولهذا فلا بد ان تحرص ان يكون تعاملك مع الاخرين سواء في التخاطب او الاحكام حاملا علي الاستمتاع بما تقول وبتعاملك معهم ودافعا لتطبيقها فالله يقول(ادعوا الي سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)

ففي الايه امر ملزم بان تكون الدعوه الي سبيل الرب جامعه بين الحكمه والموعظه الحسنه وسبيل الرب جنس مضاف يقتضي الاستغراق فكل سبيل ربنا في الاصوال والفروع والتبليغ والتطبيق والاعتقاد كل ذلك مطلوب ان تكون الدعوه مشتمله علي الحكمه والموعظه الحسنه

فالحق يامر نبيه اخذ ما يحقق ايصال الخير من الاحكام القادره علي جذب استمتاع المستهدفين بتطبيقها من خلال ربطها بالحكمه والموعظه الحسنه الحامله علي اصلاح العبد فاذا كان العفو مثلا يودي الي مزيد من الشر فانه لايحقق الغرض من الحكمه منه

المفهوم الثاني

ينبغي ان يكون خطاب الداعيه واومره قائمه علي فهم الواقع والمرحله فلا بد من مراعاه الزمان والمكان ليكون لكل زمان لسان ولكل مكان اذان ولكل حدث حديث ولكل مقال مقام ولكل مصاب جواب ولكل داء دواء يقول الدكتور عبدالله الزبير عبد الرحمن في كتابه.دعوه الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد (فالداعيه الموافق هو الذي يتناسب خطابه بحال زمانه ومكانه ولايتخذ نموذجا قد طبع علي حاله واحده وسياق واحد ومدلول متبلد علي معني معين وهدف فرد ...وطريقه محدده

انما خطابه يكون بحسب الزمان والمكان الذي يعيش فيه والنوزال التي تحدث والقضايا التي تثور وتظهر فليس الخطاب الذي يطلق في زمان الركود والوقود كالخطاب الذي يصدر في عهد اليقظه والنهوض ولايصح ان يكون الخطاب ايام الاستضعاف والهوان كالخطاب ايام الاستعلاء ولا الخطاب حال العز والتمكين كالخطاب حال الانهزام والتبعيه ولا الخطاب في زمان الصحوه كالخطاب في زمان الغفله ولكن لكل حاله خطاب يناسبها ويفل حديدها ويسد ثغورها)

ولهذا فان قوله تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

ليست منسوخه كما زعم البعض مستدلين بقوله تعالي (يايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)

لان الايه المذكوره نزلت في المدينه في عهد التمكين والعز اما الايه في هذه السوره فهي مكيه فليس للاسلام دوله ولاقوه ولهذا فان المرحله تتطلب التعامل بسلاح يناسبها فالداعيه مطلوب منه ان يفهم الواقع والمرحله ليستخدم السلاح المناسب لعلاج القضايا ولاجل ان يكون خطابه وافعاله فيها جوابا لمشكلات العصر الذي يعيشه والواقع الذي يتلبسه

لابد ان تكون الدعوه مرتبطه بالواقع فلا يجدي ان تتجرد الدعوه تنظيرا تبعد عن ملامسه الواقع من الخطا اقامه

الدعوه في الاذهان دون ان تنزل الي ارض الواقع

فالداعيه الناجح هو الذي يفقه المرحله والواقع ويفهم العصر فيحدد حاجاته بناء علي تشخيص دقيق لهذا الواقع ومعرفه طريقه تفكير اهله والوقوف علي سنن التغيير والمدافعه ليكون قادرا علي اختيار العلاج المناسب حتي لا تكون الدعوه شاغله عن المهم داعيه لهامشات الامور التي لاتحرس دينا ولاتقيم حدا ولاتنقذ شرعا ولاتحي قلبا ولا تنقذ شعبا ولاتفك رقبه ولاتوجه مسلما الي طريق الحق فيميل عن هم الدعوه والتمكين لدين الله بالتفاعل مع واقعه الثرثره والجدل والمراء ولهذا جاء الامر بالاخذ بالعفو لان المرحله تتطلب ان يكون هذا هو الموقف لتحقيق الاهداف فلو ان المسلمين قاموا بالانتقام لمن يعذبهم في مكه با غتيال ابوجهل مثلا او برد كل اذيه جسديه بمثلها فما هي النتيجه بنظرك لاشك ان رده الفعل سوف تنعكس علي واقع الجماعه المومنه دون رحمه وكذلك لو ان الرسول صلي الله عليه وسلم امر المومنين بعدم تزوج المشركات وهم في مكه بصيغه التشريع كما حصل في المدينه عندما نزلت الايه (ولاتنكحوا المشركات حتي يومن) فمن الموكد ان ذلك سوف يرتد اثره سلبا علي واقع المسلمين المستضعفين في مكه

فاللازم عليك ان تركز علي الاولويات لكل مرحله فالعهد المكي نجد فيه تركيز الخطاب القراني علي مساله التوحيد لم ينشغل الخطاب بامور هامشيه ولم يتعرض فيما لاحاجه للمسلمين فيه

هناك قضيه رئيسه هامه ينبغي التركيز عليها فمن الخطا الواقع فيه الكثيرون الانشغال بقضايا ثانويه واهمال القضايا الاساسيه فمثلا العالم الاسلامي اليوم يعاني من ازمه كبيره تهدد مقدسات المسلمين في فلسطين وتهدد بمحو شعب غزه بل والضفه. من قبل اليهود وتري من علماء المسلمين من ينتقد ناطق المقاومه لانه يغطي وجهه ويجمع الناس ليحدثهم عن ما يزعم انه جهاد السنه بان لايغطي وجهه اليس هذا تهميش للقضيه وتهوين لجرائم ا لاعداء بحق اهلنا بغزه ولهذا فان علي الداعيه ان يفهم الواقع فالمقصد الاعلي هو السعي لتمكين دين الحق في الا رض يقول شيخ الاسلام والمفضول قد يكون انفع لبعض الناس لمناسبته له كما قد يكون جنسه في الشرع في بعض الامكنه والازمنه والاحوال فالمفضول تاره يكون افضل مطلقا في حق جميع الناس وقد يكون

افضل لبعض الناس لان انتفاعه به اتم)

فالداعيه الحق هو الذي يزواج بين الواقع والواجب وبين التبليغ ومقتضيات العصر والداعيه الموفق هو الذي ارتبط خطابه بزمانه ومكانه وبئيته وحال قومه واهله ولهذا قال تعالي (خذ العفووامر بالعرف)

اي خاطبوا الناس بما يعرفونه لان مخاطبتهم بما لايعرفون فتنه لهم وفساد عريض وهو من اقوي اسباب التكذيب وقال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله)

ولذلك جاء امر الله سبحانه وتعالي (خذ العفو وامر بالعرف)

والعرف كما عرفه العلماء هو ما استقرت النفوس عليه بشهاده العقول وتلقته الطبائع بالقبول (المرجع كتاب عبد الله الزبير عبد الرحمن دعوه الجماهير وخطاب الدعوه والتسديد)

فالحق يحذر من الخطاب الذي ينفصل عن الواقع او يتعلق بامور لاحاجه للمسلمين فيها بقدر ما فيه من تهميش القضيه وتهوين للدعوه وتسفيه لامر الدين الحق

المفهوم الثالث

يحرص الاسلام علي تصويب الجهود بالاتجاه نحو الاهداف الاستراتجيه ولهذا يحذر من الخطاب الذي ينفصل عن الواقع او يتعلق بامور لاحاجه للمسلمين فيها بقدر مافيها من تهميش القضيه وتهوين الدعوه وتسفيه لامر الدين الحق وتشتيت لجهد الدعاه ولهذا يامر الحق نبيه بالاعراض عن الجاهلين فقال تعالي

(واعرض عن الجاهلين)

لان الحمقي من اهل الكفر يحبون منكر القول والفكر والفعل فهم ينظرون له انه وسيله ليعرفوا ويذكروا فشعارهم (من لم يفعل منكر لايذكر) فنحن نشاهد ان الكثير من السفهاء الذين يريدون الشهره في الوقت الحاضر يلجاون الي التطاول علي الدين والعلماء في وسائل الاعلام بدون ان يعلموا شي فهولاء الحمقي يعتقدون ان سبيلهم الي المجد هو التشهير باهل الصلاح لاجل ارضاء اسيادهم الذين يسعون لنيل اعجابهم من التطاول علي الدين فهذه هي افه وعله الحمقي ولهذا عندما يجدون ردا من اهل الصلاح والخير بالمثل فانهم يفرحون بذلك لانهم يعتبرون ان قدرتهم علي استفزاز اهل الخير شهاده لهم عن ائمه الكفر يقربهم اليهم ولهذا فان الاعراض عن الجاهل لغه قويه للرد عليه

الامر الثاني

لاشك ان توجيه الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم بقوله تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

هو خطاب لجميع امته وان التوجه به للنبي صلي الله عليه وسلم

يهدف الي شد انتباه الامه ومشاعرها الي تدبر وفهم ما في الخطاب من وصايا وتوجيهات فالامر بهذه الصيغه يعني ان الموضوع ذو اهميه كبيره يتطلب منك ايه المسلم العنايه والاهتمام

فانت عندما تسمع الامر (خذ العفو) عليك ان تفهم انك مكلف من الله وملزم باخذ العفو والامر بالعرف والاعراض عن الجاهلين

لان هذا البيان الذي سيقت عليه الايه يعني ان هذه الصوره التي ترسمها الايه انما تضع لك معالم وملامح وصوره الواقع الذي ينبغي ان يبني عليه المجتمع المسلم هذه هي الصوره التي ينبغي ان يقوم عليها المجتمع المسلم ولك ان تقف مع نفسك فتنظر الي هذه الصوره التي سيكون عليها المجتمع المسلم لو تم الالتزام بما. في هذه الكلمات الثلاث اي مجتمع مثالي ستعيش فيه اليس هذه الحياه والمدينه المثاليه التي يطمح كل انسان ان يعيش فيها

ان هذه الاخلاق الفاضله التي امر الله بها نبيه ان ياخذها هي اخلاق يجب ملازمتها وعدم تركها ولهذا قال تعالي (خذ العفو)

والاخذ للشي هو لازمه او عدم تركه فاخذ العفو ملازمته اي لابد ان يكون هذا الخلق ملازما لك لماذا

لانك تريد ايصال الخير للناس فهذا هو الطريق للوصول الي القلوب

فالايه تدل ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان منشغلا بامر الدعوه يريد ان يتمكن من الوصول الي قلوبهم لاجل ان يوصل الخير اليهم ولهذا ابتدات النصوص بهذه الكلمه الجامعه خذ العفو

انه الخلق الاول لايصال الخير الي الاخرين والعفو له عده معاني

حيث انه يطلق علي الصفح عن المذنب والمعني هنا خذ الصفح خلقا لان الذي يصفح عن المذنب انما يصله بخير لان المذنب يستحق العقاب ولهذا فان العفو (الصفح) بمثابه ايصال الخير الي المذنب ولهذا يشترط ان يترتب عليه اصلاح ولايودي الي مزيدا من الشر

فالاخذ هنا اذا اخذنا براي من قال انه من الصفح فانه بمعني خذ الصفح خلقا خذ الحلم خلقا خذ الرحمه خلقا خذ العفه خلقا خذ الستر علي الاساءه خلقا

لكن العفو الذي بمعني الصفح عن المذنب اي اسقاط حقك اكراما واحسانا انما يكون مع قدرتك علي الانتقام فتوثر الترك برغبه الاحسان ومكارم الاخلاق. اما عندما تكون عاجزا عن الانتقام فان الصفح لايسمح هنا عفوا لانه لايثمر في النفوس باصلاحها ولو اعتبرنا ان الامر للرسول بالعفو عن اذيه المشركين له وللمسلمين فان هذه المواقف لا ينتج الصفح اثاره لان المسلمون كانوا مستضعفون وانما امرهم الله بالصبر في مثل تلك الاحوال

ولهذا فان نزول الايه في مكه فالسوره تتحدث عن حسم المواقف فقد نزلت بعد الانتقال بالدعوه من مرحله السريه الي الجهريه

وهي المرحله الذي تعني مخاطبه الناس كلهم ودعوتهم الي الاسلام ولابد فيها من المواجهه مع الاعداء ولابدمن ازاله الشبهات التي يثيرها الاعداء وبالتالي فان الايات مرتبطه بتلك الاحوال

ولهذا يفهم من النصوص ان المراد بالنصوص الاتي

ارشاد الي كيفيه التعامل مع الناس في هذه المرحله والخطاب الذي يجب ان يتوجه به الي الناس بان يتعامل باسلوب. التلطف بالناس لتستخرج منهم الحق ولتردهم عن الباطل فقال تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

فان المراد بهذا التعامل بالمداره فذكر احوالها خفض الجناح للناس. (خذ العفو) والرفق بالجاهل في التعليم (وامر بالعرف)

وترك الاغلاظ في نهي الفاسق بالانكار عليه بلطف القول والفعل وذلك بالاعراض عنهم حتي لايتصور رضاك عن افعالهم

فالامر فيه توجيه بمخالطه الناس والتخلق باخلاق حسنه في التعامل معهم ولهذا ابتدا بخفض الجناح للناس خذ العفو

فمن معاني العفو مازاد علي الشي الذي يعفو علي السطح وهذا يعني عليك ان تاخذ الظاهر من اخلاق الناس ما تراه ابتعد عن التجسس عليهم وكشف المستور لان ذلك يعيق ترتيب الصفوف ويفقد الثقه بين المعلم والتلاميذ والامر بالرفق بهم بالتعامل بالظاهر مشروط بعدم مخالفه الشرع فلا مجامله في دين الله لان المجتمع اذا خالف منهج الله وكان السكوت عن ذلك وعدم انكار المنكر فمعني ذلك ان العفو يودي وظيفه سلبيه ولايترتب عليه اصلا ح فانتفاء الشرط يعني ان العفو لم يعد فيه ايصال خير وانما يودي الي مزيدا من الشر وبالتالي فان هذا لايعد عفوا وانما ديوثه باسم العفو والحلم وينافي الغيره والعفه وهو وصمه عار وليس عفو

ثم امره بقوله (وامر بالعرف)

جاء الامر بالعرف محذوف مفعوله لافاده عموم المامور ين فالله يامر رسوله ان يامر الناس كلهم بكل مافيه الصلا ح والخير ويدخل في هذا العموم المشركون الذين في زمان الايه

ثم يامره بالاعراض عن الحمقاء الذين سوف يقفون في طريق الدعوه بعد اقامه الحجه عليهم وامرهم بالمعروف فامره بالاعراض عنهم صيانه له ورفقا لقدره عن مجادله الجهلاء كما قال تعالي (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلا ما)(واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) فالايه بينت كيفيه التعامل مع الناس في هذه المرحله بانه يكون بالمداره وحذرت من المداهنه التي هي من الدهان وهو الذي يظهر علي الشي ويستر مافيه فالامر بالاعراض عن الجاهلين حتي تدراك ان هنالك فرق بين المداره المطلوبه في مثل تلك المرحله التي كانت تمر بها الجماعه المسلمه والتي تعني استعمال التلطف لدفع المنكر وبين المداهنه التي تعني باظهار الموافقه لاهل الباطل علي باطلهم من غير انكار عليهم ماهم فيه فهذا امر لاتقبله الشريعه

الامر الثالث

تبين الايه اهميه حسن الادب في مخالطه الناس وان كانوا مشركين طالما انك تعيش في هذا المجتمع ولكن هذه المخالطه ينبغي ان تهدف الي استقطاب الناس الي الخير وهذا يتطلب منك معرفه احوالهم واوضاعهم وان تدرس الوسائل والاساليب التي تسهل علي استقطاب من يمكن استقطابه لصف جماعه الايمان فمعرفه. المداخل التي يسهل عليهم الاجابه امر هام وضروري لعمل الداعيه

ولهذا فان من الاخطاء التي وقع فيها الكثيرون من رواد الحركات الاسلاميه هو المغالاه في الزهذ بدعوه الناس الي ترك الدنيا والانعزال عن الناس وهذا ما ولد جهلاء تركوا الدنيا بفهم ان هذا هو الدين واصبحوا عناصر تعيق الدعوه وتشوه صوره الاسلام حيث صار التشدد وتكفير الناس صفات اغلب هولاء

ونهايه المطاف تري شباب هذه الجماعات اما مريض نفسيا مختل عقليا نتيجه تصادم قوه الباطنه الناتج عن الا فراط في التدين واما متطرف صار الدين عنده الانتماء للذوات وليس للفكره والدين

المفهوم الثاني

ان اللازم عليك عند الدعوه التاني عند موارد العجله فلا تستعجل في خطواتك فعليك ان تضع النقط علي الحروف لاتفصل بين العلم والتربيه فالصعود الي القمه يتطلب ان تصعد السلم درجه درجه حتي تصل الي القمه ولهذا فان هذا الامر يتطلب منك ترتيب الاولويات وهذا يعني ان لاتامر الناس بترك الدنيا (الزهد) قبل ان تامرهم بترك الذنوب لانهم لايقدرون علي تركها يقول ابن القيم (فاول خطوه عليك ان تامرهم بترك الذنوب مع اقامتهم علي دنياهم فترك الدنيا فضيله وترك الذنوب فريضه فكيف يومر بالفضيله من لم يقم الفريضه

فان صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد في تحبيب الله اليهم بذكر الائه وانعامه واحسانه وصفات كماله ونعوت جلا له فان القلوب مفطوره علي محبته فاذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والاصرار عليها

وقد قال يحي بن معاذ طلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها

العارف بالله يدعو الناس الي الله من دنياهم فتسهل عليهم الاجابه والزاهد يدعوهم الي الله بترك الدنيا فتشق عليهم الاجابه فان الفطام عن الثدي الذي ماعقل الانسان نفسه الا وهو يرتضع منه شديد ولكن تخير من المرضعات ازكاهن. وافضلهن فان للبن تاثيرا في طبيعه المرتضع ورضاع المراه الحمقي يعود بحمق الولد وانفع الرضاعه ماكان من المجاعه فان قوبت علي مراره الفطام والا فارتضع بقدر فان من البشم مايقتل)

نقلا عن ابن القيم رحمه الله في كتاب الفوائد

المفهوم الثالث

تحث الايات علي الاهتمام بالعلم والتنزه عن منازعه السفهاء فهذا فيه ارشاد الي عدم جدوي مجادله الحمقي لان من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق فالحمق يودي الي الجهل والجهل يعني الفقر الحقيقي فقد ورد ان علي ابن ابي طالب قال اغني الغني العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشه العجب اي من اعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له انيس فهو في وحشه دائمه

ثانيا

(واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم)

الامر الاول

(مناسبه الايه لما قبلها)

وهذا ما ابتدات به الايه بامر الله الرسول صلي الله عليه وسلم والمومنون بحسن الادب في مخالطه الناس بـ التعامل معهم فجاء الامر بخفض الجناح للناس والرفق بالجاهل في التعاليم وبالفاسق بانكار ماهو عليه باسلوب لطيف ولماكانت هذه التوجيهات شاقه علي النفس . ومافيها من قوه غضب والاسلام يعترف بما في النفوس من قوه غضب فالرسول صلي الله عليه وسلم بشر يجري عليه ما يجري علي البشر من انفعالات ولان البشر لابد لهم من مواقف ورده فعل علي افعال اي طرف مقابل

ولهذا نجد ان الاسلام قد جاء بعلاج الاثار الجانبيه التي تصاحب قوه الغضب والحب ولهذا لما امر الله بالمعروف في الايه السابقه وهو يشمل النهي عن الضد المنكر لان الامر بالشي نهي عن ضده وانما اقتصر بذكر المعروف هنا لانه الاهم في دعوه مشركي قريش لانه يدعوهم الي اصوال المعروف التوحيد

ولما كان الامر بالمعروف مما يهيج الجهلاء ويظهر سفاهتهم عند ذلك امر بمقابله ذلك بالسكوت والاعراض عنهم فقال تعالي (واعرض عن الجاهلين)

ولما كان المعروف ان افعال واقوال السفهاء قد تهيج الغضب وقد لايبقي الانسان علي حاله من السكوت لان لكل فعل رده فعل مساوا له في القوه ومضاد له في الاتجاه فهذا القانون فيزيائي

والخروج من حاله السكون التي تسبق رده الفعل هذه تبدا من الغضب الذي يحمل الانسان علي ما لاينبغي تحت تاثير ثوره الغضب لان الشيطان يجد من ذلك مدخلا لوسوسته وتزينه. لرده الفعل ولهذا يضع الحق لعباده العلاج لهذا الداء فقال تعالي (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) عليك الالتجاء الي الله لانك الغضب يجعلك عرضه لوسوسه الشيطان الذي يستغل حاله غضب النفس وفقدانها زمام القياده عند الغضب فالايه مع ماقبلها تبين لنا ان طريق للعبد للنجاه تكون من ثلاثه

الاول

العمل بالعلم

عليك ان تفهم انك مكلف بايصال الخير للاخرين وازاله الشر والفساد ومجاهدته ولهذا ابتدات الايه السابقه بالامر (خذ العفو) يامر الحق نبيه بحسن الادب في مخالطه الناس وهذا مافهمه السلف فقد ورد عن البغدادي انه قال لا بنه بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا اي استكثر من الادب حتي يكون نسبته في سلوك من حيث الكثره كنسبه الدقيق الي الملح الذي موضع فيه وكثير من الادب مع قليل من العمل الصالح خير من كثره العمل مع قله الاداب ولهذا لما بين الله في الايه السابقه كيف يكون التعامل مع الناس الذي فيه االصلاح احوالهم وازاله كل مظاهر الفساد في الارض لو التزموا بتلك الوصايا قفي الله عليها بالوصيه باتقاء افساد الشيطان فقال تعالي (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم)

ولهذا تضمنت الايه : تنبيه العبد من الغفله التي تمكن الشيطان من بيت افكارك واردتك فقال تعالي (واما ينزغنك من الشيطان نزغ)

قال الزجاج :النزغ ادني حركه تكون من الادمي ومن الشيطان ادني وسوسه ولهذا يقول لك الحق عليك الانتباه من مداخل الشيطان الي تصوراتك واردتك لانه يفسدها عليك يصعب عليك تدراكها فهو يلقي عليك الافكار و الوسوس والخواطر المضره فالخواطر والافكار مبدا كل التصورات وتدعوا الاردات فكن في يقظه من امرك انتبه ان تفسد خواطرك وافكارك فقال تعالي (واما ينزغنك من الشيطان نزغ)

اي اما ان يصرفك عن ما امرك الله صارف (فاستعذ بالله انه سميع عليم)

اي لاتغضب لنفسك واغضب لله علي نفسك لاتحدث نفسك بخطئيه ولاتصر علي صغيره مهما كانت فلا تسعي للا نتقام لنفسك

وهذه التوجيهات فيها بيان الفرق بين الحميه لله وبين الحميه للنفس

فالحميه لله تعود الي تعظيم الامر الالهي وتعظيم الآمر اي الله سبحانه وتعالي فالحميه لله تعني ان تحمل قوه الغضب القلب علي تعظيم امر الله وحقوقه علي عباده ولهذا تصير هذه القوه نور لها سلطان علي القلب تجعله لا يغضب الا لله

اما الحميه للنفس فهذا يعود الي تعظيم النفس والاعجاب بها

ولهذا فان دناءه النفس من الاعجاب الانسان بنفسه واردته بغيره

ولذلك فان الحميه النافعه هو فطام النفس عن رضاع اللوم من ثدي الخبائث والقبائح من خلال معرفه الانسان نفسه بضعفها وعيوبها وافتقارها لربها

ومعرفه ربه بجلاله وعظمته وجماله وقدرته واطلاعه علي كل شي فتنكسر النفس امام خالقها وتخضع لامر ربها وتذعن لسلطانه لان النفس قد تجد فيها نوع من الاباء والشرود من الطاعه او رغبه في المعصيه ولهذا فان معرفتها لربها وحاجتها اليه تجعل. النفس تنكسر امام امر الله وكذلك فانها عندما تذكر ربها وعظمته فانها تخضع لسلطانه وتطرد صارف الهوي والشيطان

الثاني

الاستغناء بالله والفزع الي الله تعالي في كل حال فهو حصن من الغوائل ومخلص من شرور النوزال سبحان من يسمع استعاذتك فيجيب ويعلم مايصلح امرك ولهذا يرشد الله العبد الي كيفيه مجاهده النفس والهوي والشيطان

فقال تعالي (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم)

يوجه الله العبد بدفع الخواطر الواراه عليه قبل ان تصير فكرا عليك اصلاح الفكر. الخواطر والهمه. الارده يقول لهم ان السعاده بالقرب من الله والشقاء في البعد عنه وسخطه عليك ولهذا قال تعالي (فاستعذ بالله انه سميع عليم) اي يسمع لدعائك ولوسوسه الشيطان ولكل صوت عليم باستعاذتك ولوسوسه الشيطان

فصلاح الخواطر انما يكون بمراقبه النفس لوليها والهها صاعده دائره علي مرضاته ومحابه فانه تعالي به كل صلاح ومن عنده كل هدي ومن توفيقه كل رشد ومن اعراضه وتوليه عنه كل ضلال وشقاء فيشعر بوجود الله واطلاعه علي كل مايصدر عنه

ولهذا قال تعالي (سميع عليم) ولم يقل السميع. العليم فالذي يسمعك ويبصرك هو عليم بك لان الذي يعلم قد يكون غائبا عنك ولهذا فان السمع فشمل العلم والرؤيه والسمع

ليغرس في النفس الشعور بوجود الله فتخاف ان يراها الله فيما يغضبه فتحذر الوقوع في ذلك وايضا لتشعر النفس ان الاستعاذه بالله هي المنقذ من وسوسه الشيطان فهو تعالي يسمع دعائك ويسمع وسوسه الشيطان

ولهذا فان نجاه العبد بمعرفه الله وتوحيده وانزاله اياه حاضرا معه مشاهدا له ناظرا اليه رقيبا عليه مطلعا علي خواطره واردته وهمته فحينئذ يستحي منه ويجله ان يطلعه علي عوره يكره ان يطلع عليها مخلوق مثله او يري

في نفسه خاطرا يمقته عليه

ولهذا قال تعالي (انه سميع عليم)

فمن انزل ربه هذه المنزله منه وقربه منه واكرمه واجتباه وبقدر ذلك يبعد عن الاوساخ والدناءات والخواطر الردئيه والافكار الدنيئه كما انه كلما بعد واعرض عنه قرب من الاوساخ والدناءات والاقذار ويقطع عن جميع الكما لات ويتصل بجميع النقائص

فالانسان خير المخلوقات اذ ا تقرب من بارئه والتزم اوامره ونواهيه وعمل بمرضاته واثره علي هواه وشر المخلوقات اذا تباعد عنه ولم يتحرك قلبه لقربه وطاعته وابتغاء مرضاته فمتي اختار التقرب اليه واثره علي نفسه وهواه فقد حكم قلبه وعقله وايمانه علي نفسه وهواه وشيطانه وحكم رشده علي غيه وهداه علي هواه

(نقلا من كتاب الفوائد) ولهذا قال تعالي (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)ومتي اختار التباعد من ربه فقد حكم نفسه وهواه وشيطانه علي عقله وقلبه ورشده فقال تعالي (واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لايقصرون)

الثالث

(التحرز بالخوف)

ولهذا نجد انه بعد ان امر الحق النبي صلي الله عليه وسلم بدفع الخواطر والاستعاذه بالله من وسوسه الشيطان يصف الله حال المتقين فقال تعالي (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)

وهذا فيه الاتي

المساله الاولي

اهميه اليقظه علي الدوام وسد الثغور ومجاهده الشيطان وسوسه

والنفس والهوي لان الانسان قد يخفي عليه كثيرا من احوال نفسه فلا يشعر بها ومن ذلك حب الرياسه التي يطلق عليها الشهوه الخفيه فالكثيرون لايعرفون ما قد يكون في انفسهم من حب الرياسه ويتصور نفسه مخلصا وعندها تخفي عليه عيوبه لاسيما وان الشيطان يغطي علي الانسان امورا ولهذا يامر الله نبيه بالتيقظ ومجاهده الشيطان مبينا بعدها ان التيقظ سنه المتقين

فقال تعالي (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)

فيه تهيج للمومنين بمتابعه الرسول صلي الله عليه وسلم فهو مامور بمجاهده الشيطان لانه متق ولهذا عليكم الا قتداء به اذا اردتم ان تكونوا من المتقين كما قال تعالي (اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده)

فالمتقون في حاله يقظه دائمه فهم (اذا مسهم) والمس تعني ملامسه من غير تمكن كالكفار الذين يتسلط عليهم الشيطان

ولكن مجرد ملامسه اي ان الشيطان يختلس من قلوب المومنين حين تنام العقول الجاريه للقلوب مواطن النوم فيجد ثغره فيحاول ان يتسلل منها ولهذا قال(طائف) اي انه يتاتي حين تنام القلوب فهو يرجوا غفلتها فهو لاياتي الي القلوب دائمه الاستيقاظ

فذكر الحق ان المتقين لاينتظرون ان يغور الطائف في اعماقهم ويظلم قلوبهم وانما بمجرد المس يتذكر فيتوب الي الله انه يستقيظ وعندها يلجاء الي الله بالاستغفار فيسترجع ما اختلسه منه الشيطان فيبصر مكائد الشيطان ومواطن الزلل فيحذر الوقوع فيها

المساله الثانيه

لماذا قال تعالي (تذكروا)ولم يقل ذكروا وماعلاقه ذلك بالتقوي؟

التذكر اعم واشمل وهذا فيه اشاره الي ان الغفله لايطردها مجرد الذكر بل تحتاج الي الذكر ميدانه اللسان بينما التذكر ميدانه القلب ولهذا انما يطرد الغفله التذكر والاعتبار

فالنفس لها سلطان هوي قاهروغالب يتطلب قمعها وتزكيتها بالتقوي التي تعني الخوف من عقاب الله وعذابه الذي توقن بوقوعه لامحاله اذا ارتكبت الذنب لان الذي لايوقن بذلك لايترك هواه فالله يقول (فما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنه هي الماوي)

وقد وصف الله المتقين بانهم يومنون بالغيب وهم بالاخره هم يوقنون ولهذا فان تزكيه النفس وضبط قوتي الحب والغضب

ولهذا قال تعالي (تذكروا) محذوف متعلقه اي تذكروا الجنه والنار والعقوبه فهذا التذكر ماحي لطيف الهوي من قلوب المتقين وعلي هذا يكون المعني ان التذكر ادي الي الخشيه اي تذكر فخشي فابصر بانوار شمس البصيره فقال تعالي (فاذا هم مبصرون)

او ان المراد بها ان الخشيه تدعوهم الي التذكر

وهذا لان المتذكر اما ان يتذكر خالقه الذي تعرفه فطرته وتحبه فيتذكر انه مخلوق وان الله خالقه ويتذكر انعام الله واحسانه ويتذكر ان فقير الي الله ومحتاج لله علي الدوام فيكون التذكر سبب للتزكي بامتثال امر الله ورسوله فهو يتذكر فينيب كما قال تعالي (وما يتذكر الا من ينيب)

واما ان يتذكر مايقتضي الخوف والخشيه وهو لابد له من الانابه حينئذ لينجو مما يخاف

ولهذا قال تعالي (تذكروا) لان التذكر الماحي للطيف من قلوب المتقين مراتب بحسب مراتب المتقين لان الخوف الناتج عن التقوي له اربع مقامات الاول خوف الايمان (خوف المريدين) وعلاماته مفارقه المعاصي والذنوب– وخوف العلماء وعلامته الاشفاق والورع والخشيه ....وخوف الصديقين (خوف الفوت) وعلامته بذل الجهد في طلب مرضاه الله برجود الهيبه والاجلال لله عزو جل .....وخوف خص الله به الانبيا ء والملائكه وهو خوف الا عظام لانهم امنون علي انفسهم بامان الله لهم فخوفهم تعبدهم لله اجلالا واعظاما ولهذا قال تعالي (تذكروا فاذا هم مبصرون)

فاستخدم الفاء الفجائيه الداله علي حصول مضمون جملتها دفعه بدون تريث اي تذكروا تذكر ذوي العزم اشاره الي الفزع من الطائف العارض النازل بالمكان فلم يتاخروا في دفع الخواطر لان الخواطر اذا اهملت لم تلبث ان تصير عزما ثم عملا

ولهذا وصفهم باسم الفاعل مبصرون دون الفعل للدلاله علي انهم سارعوا علي دفع الخواطر ومحو الطيف من قلوب المتقين علي حسب مرتباهم ومقاماتهم فقال (تذكروا) فمرتبه التقوي يدخل فيها الانبياء والمرسلين و الصديقين والاولياء والصالحين وعامه المسلمين فتقوي كل واحد حسب مقامه ولهذا كان استخدام كلمه تذكر وا مناسبا ليعم جميع المقامات فلو خص بالذكر قسما من مقامات التذكر لم يدخل فيه الا اهل ذلك القسم اي لم تبين

لكل قسم الحق كان دفع الخواطر الشيطانيه وكان التمسك بالحق والعمل بما تذكروا

ولهذا فان توسيع دائره المتقين يراد منها ان تدرك ان الله تعالي اراد توسيع دائره رحمته والتقوي التي تعني امتثال اوامر الله. واجتناب نواهيه وجعل لذلك مقامات فلو انه قال ان الذين اتقوا لايمسهم طيف من الشيطان لخرج كل احد الا اهل العصمه

والمراد بهذا تعظيم امر الله تعالي

ومن هنا نفهم لما عظمت التقوي حيث قد سبق وان اوضحنا سابقا في موضوع تعظيم النصر ...ان ا لخوف صار يعظم بالشرع والطبع دفع المكروه فاما بالشرع فبالتقوي. فالله يقول (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ولافساد والعاقبه للمتقين) وقد اوضحنا ان الناس تعظم من ينصرهم اكثر من اهل الرزق ...ولهذا سوف نبين لماذا عظمت التقوي لانها تضبط قوي الحب الشهويه وقوه الغضب البغضيه والرسول صلي الله عليه وسلم يقول (اوثق عري الايمان الحب في الله والبغض في الله)

يقول شيخ الاسلام فان هاتين القوتين هما الاصل وقال النبي صلي الله عليه وسلم (من احب لله وبغض لله واعطي لله ومنع لله فقد استكمل الايمان) فالحب والبغض هما الاصل

والعطاء عن الحب وهو السخاء والمنع عن البغض وهو الشجاعه ولما كان الغضب له حاله خصوص لوجود شده تقوم في النفس تقترن بحاله غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا يسمي الغضب الخاص لهذا جاء الاسلام لضبط هذه القوه فمقابله الشهوه بالغضب يجب ان لايريد به الغضب الخاص لان الغضب الخاص يكون فيه نسبه هذه النفره بنسبه الطمع الي الشهوه اما الغضب العام فهو القوه الدافعيه البغضيه المقابله للقوه الجاذبه الحبيه ولهذا يقول الله في موضع اخر(نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم)

ويقول تعالي ايضا في موضع اخر (قل ان كان اباءكم وابناءكم.....الي قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا)

ولهذا فان تعظيم التقوي لانها :-

تحفظ الفطره وتمنع فسادها والعبد يحتاج الي رعايتها لان المحبه الفطريه. والعلم الفطري مغروس فيها ولهذا اخبرنا الله ان المتقون اذا اصابهم هذا الطيف الذي يطيف بقلوبهم يتذكرون ما علموه قبل ذلك فيزول الطيف ويبصرون الحق الذي كان معلوما ولكن الطيف كان يمنعهم عن رويته فالذنوب تغطي القلب وتمنع عنه الرؤيه وتفسد الفطره وتجعلها تنسي ما كان معلوما لها ولهذا كان اعظم ما دعت اليه الرسل الاخلاص والنهي عن الاشراك لان الاقرار الفطري حاصل لوجود مقتضيه وانما يحتاج الي اخلاص ودفع الشرك ولهذا كانت حاجه الناس الي الدوله الدافعه عنهم الظلم لبعضهم البعض والجالبه لمنفعه بعضهم البعض ومن هنا نفهم لما صار النصر معظم في الشرع والطبع وكان تعظيم التقوي ذلك ان المجتمعات التي لا ايمان لها فان الجرائم تنتشر كلما وجد الناس فرصه الافلات من عقاب القانون والدوله

اما المجتمعات المومنه فانها تراقب الله لانها تخاف الله ويشعر الفرد انه ان استطاع الافلات من عقوبه القانون فانه لن يستطيع الافلات من عقاب الله تعالي

الامر الثاني

يخبر الله عباده ان الحكمه في رياض الخوف ودوامه تذكر احسان الله لك مع مخالفتك وتذكر رحمته لك وستره عليك مع قله حياءك وحلمه عنك مع اعراضك عن ذكره وان علي العبد ان يفارق الهوي والغضب وان يعمل في اسباب التيقظ فمفاتن الدنيا براقه خلابه تجلب لك الغفله عن عاقبتك وتنسيك ما انت صائر اليه فالعمل علي

تحصيل اسباب التيقظ لازم عليك لسلامتك من دار الغرور ولهذا فان عليك ان تحذر مواطن الغفله احذر ان تنخدع بتزين الشيطان واحذر من هجمات الهوي التي تجعلك تستخف بالمعصيه وانت لاتدري انها تصير نكته سواده في قلبك جتي يصير مظلما فلا يبصر ولهذا فاعداء اعدائك هو نفسك عليك تواجه ضرواه الشهوه وتقمعها بقليل من الصبر وذكر الله فالله يقول في موضع اخر (انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ...الخ

فقد وصف المومنون بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوه ايمانهم وكانهم بين يديه ونظير ذلك قوله تعالي (وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال تعالي (الا بذكر الله تطمئن القلوب)

فهذا كله يرجع الي كمال المعرفه وثقه القلب والوجل الفزع من عذاب الله فلاتناقض وقد جمع الله بين المعنين في قوله (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله)

اي تسكن نفوسهم من حيث اليقين الي الله وان كانوا يخافون الله

فهذه هي حال العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما يفعل المبتدعون من الصياح والنعيق مثل الحمير فيقال لمن تعاطي ذلك وزعم ان ذلك وجد وخشوع

فاحذر اخي المسلم من مجالسه هولاء فهم في غفله انهم اخوان الشياطين ...وفيها خروج عن السبيل فقال تعالي (واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لايقصرون)

يحذرك الحق من ارتكاب الذنوب فهي تورث الغفله يقول ابن مسعود اني لاحسب ان الرجل ينسي العلم قد علمه بـ الذنب يعمله

والغفله تورث القسوه والقسوه تورث البعد عن الله والبعد عن الله يجعلك مطايا الشيطان ولهذا قال تعالي (واخوانهم يمدونهم في الغي)

اي ان الشياطين اخوانهم بالكفر يزيدون لهم الضلال والشرك

فهي تمدهم في غيهم (ثم لايقصرون) اي تصبح في اسر الشيطان واسر النفس الاماره بالسوء وسجن الشهوات وتسقط من العبد الجاه والمنزله وتقرب اليه اعداء الله وهم الشياطين من الجن والانس ومن اثار ذلك حصول الحرمان من العلم

وتوثر في القلوب الاثار القبيحه من الرين والطبع والختم والنفاق وسوء الاخلاق فالمعاصي سئيه العواقب فهي تجعلك تابعا للشياطين الذين يزيد اعتناهم بالاغواء فهم لايسامون ويثابرون لاضلالك فهم لايقصرون في المدد وا لامداد ولا عن الغي فاستعمل اداه الترخي (ثم لايقصرون) اي لايتركون اغواهم ولا لحظه فلا يقصرون عن المدد و الامداد فلا يبصرون مع ذلك الغي ماهو معلوم لهم ومستقر في فطرتهم لكنهم ينسونه

فالذنوب خصوصا ذنوب الخلوات التي تكون بينك وبين الله ويحصل الادمان عليها من اخطر الذنوب فانت تري في الحياه ان هناك اناس كانوا صالحون لكنهم فجاه ينقلب حالهم. فهذا الخذلان انما سببه ان صاحبه كان له ذنوب عظيمه يدوام علي ارتكابها ولايستحي من الله فكانت سبب ظلمه قلبه ...فاحذر اخي المسلم من مثل ذلك. لان المبارزه لله تعالي تسقط العبد من عينه تعالي

فكن حريصا علي ان تنال القرب من الله

فالعبد المومن اليقظان لايتلذذ بالمعصيه لانه عند التذاذه يقف بازائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها. فان قويت معرفته راي بعين علمه قرب الناهي وهو الله فيتنغص عيشه في حال التذاذه.

كما قال تعالي (والذين اذا فعلوا فاحشه او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ...الخ

ولهذا فلا يتلذذ بالمعصيه الا دائم الغفله لان سكر الهوي يغلبه والشياطين يزيدون له بالغي حتي تصير الشهوه له طبع فلا يتنغص قلبه بالمراقبات حتي يجد نفسه في خزي دائم وندم ملازم وبكاء متواصل واسف علي ماكان فهذا هو نهايه الغي وهو الغفله الدائمه التي هي خلاف الرشد فالذنوب تفسد الفطره والعقل وتضعف اراده القلب وانابته الي الله ويزوال بها عن القلب استقباح الذنوب

ولهذا فان هذا العبد لاينتفع بما في القران من ذكري لان من الناس من يتذكر فينتفع به والاخر تقوم عليه الحجه ويستحق العقاب فالله يقول في موضع اخر (فذكر ان نفعت الذكري) وقال تعالي (وذكر فان الذكري تنفع المومنين)

وقال تعالي (فما لهم عن التذكره معرضين كانهم حمر مستنفره فرت من قسوره) فهولاء معرضون عن التذكره لا يسمعون فتذكيرهم هو التذكير العام الذي تقوم به الحجه لا كما يذكر المومنين التذكير الخاص كما قال تعالي (فذكر بالقران من يخاف وعيد) وكما قال تعالي (سيذكر من يخشي ويتجنبها الاشقي)

ولهذا يخبر نا الله ان هولاء قد انحرفت فطرتهم وفسدت بسبب الغفله الدائمه ولهذا فانهم لاينتفعون بالتذكير الذي في القران وانما تقوم عليهم الحجه فقال تعالي (واذا لم تاتهم بايه قالوا لولا اجتبيتها)

اي انهم لايقبلون هدايه القران فنفوسهم تحب الشر وتميل الي الكفر فقد طمس الشيطان علي اعينهم فلا يرون الحق ولايسمعون مافيه ولهذا فان طلباتهم ليست لغرض فهم الحقيقه وانما تهدف الي الجدل والاستهزاء بالحق فهم يطلبون انزال المعجزات الماديه كشرط الايمان وفي الحقيقه حتي لو حصل ذلك فانهم لن يومنوا

وانما اقترحاتهم من باب التعجيز وتدل علي عدم التادب مع الحق ولهذا تنقل لنا الايات جانبا من الجفاء وقساوه القلوب فهم يقولون للنبي لولا اخترعت الايات وابتدعتها من عندك فانت تقول انك نبي فقال تعالي (واذا لم تاتهم بايه قالوا لولا اجتبيتها)

والاجتباء افعال من الجبايه بمعني الجمع يقال جبيت الماء في الحوض اي جمعته ويستعمل بمعني الاختراع وهذا فيه تصوير فساد قوه التصور لديهم فهم يقولون للنبي صلي الله عليه وسلم لولا اخترعت وابتدعت المعجزات من نفسك او هلا الححت في الطلب علي ربك ليعيطك اياها ويجمعها لك

ولهذا تاتي الايات بعدها مبينه لهم وظيفه الرسول وطبيعه الرساله

فقال تعالي (قل انما اتبع ما يوحي الي من ربي)

يبين لهم حقيقه الرسول صلي الله عليه وسلم انه بشر اصطفاه الله بالوحي فهو يتلقي الوحي من الله لايبتدع الا يات ولايختلقها من عنده انظر الي عرض الامر الالهي للرسول (قل)ليعرض نفسه علي الناس فهو ليس ذلك المتعاظم المتعجرف بل بشر اختاره الله للوحي والله اعلم حيث يجعل رسالته فهو لايقترح علي ربه شيئا

ولهذا فعليك ان لاتستحي ان تقول انت ايه المسلم عندما تسال عن مساله لاتعلمها الله اعلم

فهذا رسول الله يقول انما اتبع ما يوحي الي من ربي عندما طلب منه ان يتخلق الايات فيها تربيه لكل مسلم بان عليه الاقتداء بالرسول صلي الله عليه وسلم

فهل يفهم هذا من يبتدع بالتاويل الفاسد للنصوص صورا للتدين تدعم فكرته الضاله كيف يجرا هولاء علي مالم يتجري عليه الرسول الخاتم افضل الرسل فقد رد علي طلب المشركون بانه متبع لما يوحي اليه ربه ولاياتي بشي من عنده

ثم تبين الايات حقيقه الرساله ومن المنتفعون به فقال تعالي (هذا بصائر من ربكم هدي ورحمه لقوم يومنون)

ارشدهم سبحانه الي ان هذا القران اعظم معجزه وان فيه الدلالات واصدق الحجج والبينات فقال تعالي هذا القران بمنزله البصائر للقلوب به يبصر الحق ويدراك الحق فالمعجزه هي عين المنهج فهو فيه الهدايه لكم من الضلا ل والرحمه من العذاب لكن المنتفع به هم المومنون الذين تطهرت نفوسهم من الاوساخ والقذورات فلا يدخل الا نفس طاهره مستعده لاستقبال انوار الله وامداد وليها فاذا فقدت الاستعداد والامداد فقدت الخير كله

ثانيا

تبين الايه ان العلم لاينال الا بالاتي

الامر الاول

باراده القلب والنفس للخير واصل هذا هو شرف النفس وخستها

ولهذا فان شرف النفس بصيانتها من الدنايا والرذيل فالنفس الشريفه لاتقبل الدون ولاترضي به اما النفس الخبيثه فانها تحوم حول القذورات وهو يورث الجفاء الذي يترتب عليه غلظه في النفس وقساوه في القلب يتولد عنها بعد عن الحق وجاذبيه للباطل تجذب صاحبها الي القذورات نتيجه مهانه النفس وقساوه القلب ويعيش في غفله وقله معرفه وجهل لايري الحقائق رغم وضوحها ولهذا فهو يري حقائق القران الواضحه ومع ذلك لاينتفع بها وهو محروم من الهدايه الخاصه ومن رحمه الله

اما صاحب النفس الشريفه فان قلبه سليم من ارداه الشر ويسعي الي الوصول الي الكمال بتزكيه نفسه فهذا القلب خالي من اراده الشر بعد معرفته به كما قال تعالي (يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتي الله بقلب سليم)

فالقلب السليم من جميع الافات التي تعتري القلوب المريضه من مرض الشبهه التي توجب الظن او مرض الشهوه التي توجب اتباع الاهواء فهذا القلب يكون صالحا لاستقبال انوار الله فقال تعالي (هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمه لقوم يومنون)

الامر الثاني

القاء السمع

فقال (واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

تبين الايه ان الطريق الموصل الي رحمه الله بالقران والحصانه من نزغ الشيطان هي الاستماع لايات الله في القران والانصات مده القراءه والسماع هنا جاء بصيغه الاستماع وهذا ابلغ من السمع

لان السماع انواع فهي عمليه يتم من خلالها استقبال الاصوات والترددت الصوتيه من البيئه المحيطه وارسال اشارات الي الدماغ ليقوم بعمله اي انها تستقبل الاصوات دون فهم مافيها ولهذا فان السماع انواع سماع صوت دون فقه المعاني كما قال تعالي (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء صم بكم عمي فهم لايعقلون)

وهناك سماع فقه ولكن ليس هنالك قبول للانتفاع به كما هو حال اليهود ..وهنالك معرض ممتنع عن السماع وهم المشركون الذين قال عنهم الله (وقالوا لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون)

فنزلت هذه الايه (واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

فالسماع الذي امر الله به هو سماع ماجاء به الرسول صلي الله علبه وسلم سماع فقه وقبول

اي ان يكون السمع بقصد ونيه السماع والفقه للمعاني بتوجيه الحواس لادراكه لان السمع قد يحصل ولكن بدون قصد ولانيه ولهذا فان القلب غير حاضر لفهم المعاني

ولهذا فان مجي الصيغه بالاستماع تهدف الي ان تغرس فيك الحرص علي الاستماع الذي يتحقق منه الفقه و القبول والفهم للايات كما تحرص علي التلاوه فاراد بهذا الانتقال بالسمع الي ماهو اكثر من استقبال الترددت الصوتيه الي التركيز علي الاصوات وفهم مافيها فالمساله تتعدي مجرد سماع الاصوات الي القدره علي استخدام حاسه السمع بشكل فعال ومركز من خلال تشغيل كل القدرات الذهنيه والقلبيه لاستعياب مايصدر من الاصوات وفهم مافيها لامجرد الاحساس بترددت الاصوات كما هو حال الكفار وحال الكثيرون الذين يسمعون القاري الفلا ني في الكايست وهو يتلو القران باحساس بتذبذت الترددت للصوت دون فهم ولافقه مافيه او احساس وفهم ولكن دون قبول باحكامه ولهذا فان السماع المطلوب هو سماع فهم وقبول وتذوق وامتثال يتبعه عمل كما قال تعالي (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه)

الامر الثالث

بالتواضع امام المعلم فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول توضعوا لمن تعلمون منه)

ولهذا نجد ان الايه جاء فيها التوجيه بحسن الاستماع وحسن الاصغاء عند قراءه القران وحسن الانصات فقال تعالي (واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

فالحق يامر عباده بالتادب مع المعلم فجاء النهي عن رفع الصوت بالكلام علي صوت القاري عمدا فانه يحرم العبد من رحمه الله الخاصه يقول لهم توقفوا عن الكلام وانظروا الي من يحدثكم انه يتلو عليكم كلام الله واذا كان الله قد امر الناس بعدم رفع الصوت فوق صوت النبي فقال تعالي (يايها الذين امنوا لاترفعوا اصوتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض)

فالنهي عن رفع الصوت علي اصوات التالي لكلامه تعالي اولي

ولهذا فان التواضع للمعلم بالاستماع لما يلقي عليك خاصه اذا كان هذا المجلس هو مجلس ذكر تلاوه كلام الله فعليك ان تحرص علي فهم ما يتلي عليك فقوه الدين وكمال الايمان لايحصل الا بالاستماع والتفكر والتامل و التدبر بنيه الاهتداء بكل ايه والعمل بهافالايمان الاذعاني الصحيح يزداد. عند قراءه القران ويترتب عليه قيام العبد بالاعمال الصالحه وقد اخبر الله عن الجن فقال تعالي في موضع اخر (واذ صرفنا اليك نفر من الجن يستمعون القران فلما حضروا قالوا انصتوا ....الخ

الامر الرابع

الانكسار امام الخالق والاذعان له تعالي في كل الاوقات. والشعور انك انت المحتاج الي الله وان الله غني حميد فطاعتك لن تزيد في ملك الله شي وان معصيه العاصي لن تنقص في ملك الله شي

ولهذا يخبرنا الله ان عنده الملائكه لايعصونه ما يامرهم هم يسجدون لله فليس بحاجه الي طاعتك وانما انت ايه

العبد المحتاج الي ان تخضع وتذعن لله ولهذا يبين الحق انه تعالي خالق الانسان. ذو طبيعه مزدوج فهو اذا اذعن استسلام لله يكون افضل من الملائكه واذا تمرد وتعجرف فانه يكون اقبح من الشيطان وهذا كله يعود الي القلب السليم والقلب الفاسد فاذا صلح القلب صلح سائر الجسد ولهذا يامر الحق نبيه (واذكر ربك في نفسك

.....الخ

وقد سبق ان ذكر ان المواظبه علي ذكر الله. هي التي تحفظ الانسان من الغوائل فالاستعاذه بالله هي الحصن من النوازل وبينت بعدها الايات لنا ان الكفار متعجرفون بدليل اسئلتهم الرسول ان يبتدع لهم الايات ويخلقها من عنده فقلوبهم متكبره مثل البقعه من الارض التي لايستقر فيها الماء ولهذا الكبر وخسه النفس ومهانتها مانع من الا نتفاع بهدايه القران

اما المومن فان معرفته بربه واسماءه وصفاته وجلاله وعظمته ومعرفته بنفسه وعيوبها وافاتها يولد فيه الانكسار وخشوع القلب امام كلام ربه فيخشع قلبه خجلا وحياء عندها تخمد شهواته وتسكن دخانها في صدره فينجلي صدره بانوار الهدايه والرحمه وتخمد الجوراح و يطمن العبد لله وذكره بالسكينه التي تنزل عليه من ربه

(هذا بصائر من ربكم هدي ورحمه لقوم يومنون)

حيث ان هذه السكينه تنزل فصار مبختا له والمبخت المطمئن

ويقال علي الارض التي تنتفع بالماء بخيت فكذلك القلب المبخت يخشع ويطمئن بذكر الله فيكون كالبقعه المطمئنه من الارض يجري فيها الماء ويستقر فيها وعلامته ان يسجد بين يدي ربه اجلالا له وانكسارا بين يده سجده لايرفع راسه عنها حتي يلقاه

(نقلا بتصريف من كتاب الروح لابن القيم)

رابعا

كما ان قوله تعالي (واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

والاستماع كما اوضحنا هو السماع للاصوات والفهم لما فيها

والاصغاء تعني التركيز وتفاعل القلب والمشاعر كما قال تعالي (ان تتوبا الي الله فقد صغت قلوبكما)

والانصات ترك الاشتغال والتفرغ للاستماع وهو اعلي درجات الكمال في فن المحادثه وهذا فيه عده مفاهيم مهمه في حياه المسلم نذكر منها الاتي

الامر الاول

ان المسلم بحاجه الي حسن الاستماع والانصات بي كافه شوون حياته ليتخذ القرارت المناسبه. ازاء اي امر من الا مور فهو لايستطيع ان يقوم بتحليل وفهم ما يعرض عليه دون الاستماع والانصات بشكل دقيق فالمسلم بحاجه الي الانصات في كثير من التخصصات وجميع المجالات

الامر الثاني

ان الانصات الايجابي من اهم الاشياء التي تمكن المتلقي للرسائل التي يبعثها المرسل فهم ما تحمل من توجيهات وارشادات وتحذيرات فالانصات الجيد هو الذي يمنحك القدره علي قراءه ماوراء الكلمات من مفاهيم والمراد منك

القيام به

الامر الثالث

تدريب المومنين علي حسن الاستماع والانصات والاصغاء فهي من الامور المهمه التي يحتاجها الانسان في حياته فانت بحاجه الي كسب قلوب الاخرين ولهذا فان عليك ان تتعلم حسن الاستماع والاصغاء والانصات

فالمسلم بحاجه الي اكتساب هذه المهاراه كي يحسن التواصل مع الاخرين ففي حسن الاستماع والاصغاء والا نصات مفاتيح الاقناع ولهذا تلاحظ ان الدبلومسي يتمتع بحسن الاستماع والاصغاء والانصات لانه يريد ان يفهم وايضا لاجل اظهار الاهتمام بالمتحدث وهذا الامر من ما تميزت به شخصيه النبي صلي الله عليه وسلم بالرجوع الي السيره النبويه نجد ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان يهتم بمن يحدثه فهذه عائشه كما ورد في حديثها عن ام زرع التي طلقها ابو زرع تحكي للرسول صلي الله عليه وسلم ما كان بينهما من حب والرسول لم يقاطعها حتي اذا انهت حديثها قال لها اي لعائشه ساكون لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك)

خامسا

اذا تاملنا الي حال الصحابه رضوان الله عليهم والبيئه التي نزل بها القران فاننا نشاهد عظمه القران وكيف انه احدث ذلك التغيير العظيم في نفس العربي الذي عاش حياه خشنه وكانوا اضعف الشعوب فصاروا قاده العالم وصناع الحضاره ولهذا فنحن بحاجه اليوم لدراسه كيف حدث ذلك التغير لنخرج بالنفس من حاله الجمود و السكون التي تعيشها النفس العربيه وهذا مايتمناه كل واحد منا فما هو السر الذي كان به احداث ذلك التحويل و التغيير في المجتمع المسلم الاول من الموكد انه لم يوسس علي عاطفه مجرده ولا بالشعور الحلو في التغيير بل قام علي اساس جوهريه من الاخاا ء بين المهاجرين والانصار وعلي اساس العدل والمساواه والشوري والحريه اسست علي القران فكانت الايه القرانيه تستخدم كوسيله منطقيه تساق لغرض تعليمي

ولهذا كانت الايه القرانيه هي المعلم المباشر للانسان وكانت تصل الي اعماق مشاعر النفس الداخليه لتستقر في ضمير المسلم وحياته وجوانب فكره ومناحي سلوكه مباشره فكان لها تاثير علي النفس والعقل والقلب جعلت المسلم ينظر لما حوله نظره بعيده الامد والافق تتجاوز الواقع السطحي في نظرته لواقع الحياه وحقائقها وكل مافيها ناتجه عن قراءته لايات الله التي كان لها تاثير عليه علي الانسان المسلم الذي بدا يعرف حقوق ربه وحقوق بني جنسه والمحيطين به ولهذا فان التاثر بالقران جعله يحسن استخدام الملكات العدل والاحسان والرحمه في اداء حقوق ربه وحقوق الاخرين كلا بحسب مرتباهم كل ذلك طاعه لله خضوعا وخشوعا لله تعالي خضوع وتعظيم واجلال ومحبه بدون ملل وكسل وهذا يعود الي استخدام الايه القرانيه كفكره موحاه لا فكره مجرده

ولهذا يامر الحق المومنين بحسن الاستماع والاصغاء والانصات عند استماع القران فذلك هو طريق الرحمه. فقال تعالي(واذا قري القران فاستمعوا له.وانصتوا لعلكم ترحمون)

لان هنالك فرق هائل بين الحقيقه من حيث كونها مفهوما نظريا يتسم به الادراك المجرد وبينها كحقيقه. فاعله موثره تلهم الانسان مختلف نشاطاته

وهذا هو الفارق بين استماع المسلمون للقران اليوم واستماع المسلمون في زمن الرسول صلي الله عليه وسلم واصحابه من بعده .فقيمه الايه بما تحدث لدي السامع من تاثير انظر لحالهم فالقران لم .يكن يفسر ليعرف الناس معانياه بل كان كل واحد منهم يقرا القران يشعر كانه انزل عليه هو لهذا كان يصل الي الضمائر ليزلزل كيانها فقد كان القران منبعا للطاقه يكهرب ارداه المجموع ويمدهم بالطاقه والنشاط والحيويه وتصميم علي تنفيذ امر الله تعالي فهذا هو المطلوب من الاستماع للقران والانصات لتصل الي رحمه الله تشعر كانه انزل عليك انت ولهذا قال الحق بعدها

(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولاتكن من الغافلين)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

يعلم الحق عباده كيف يذكرون الله في انفسهم بان يستشعروا حضوره فيما بينهم في عظمته وجلاله وجماله استحضار العارف بمعاني الايات التي يقولها مستحضرا لصفات الكمال والعلو ذكر فيه التعظيم والاجلال

ولهذا لم يكن يتحدث الرجل من الصحابه عن ذات الله كما صورها علم الكلام لم يكن يتحدث عن الله العقلي بل يتحدث عن الله المتجلي لعباده بالقهر والرحمه والفعال لمايريد ذكر من يشعر بنفحت الله في كل موقف وهذا مايفهم من اسئله المسلمين للرسول صلي الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله (واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوه الداع اذا دعان)

فهذه الاسئله تنقل لنا النقله التي اخرجت العربي من ماساه الجاهليه الي نور الايمان الذي تصله بربه من خلال التربيه بالقران والسنه النبويه نقله عظيمه تتجلي فيها نعمه الله ورحمته

وهذه الاسئله تعطي المسلمين العلاج للخروج من الماساه التي هم فيها اليوم فتلك يمكن ان تحل كما يري مالك بن نبي اذا تحولت الايه القرانيه الي اثر مباشر علي الضمير هنا تفسح الفكره المجرده مكانها لتشغله قيمه ماديه محققه يعني تركيبا ناشطا للفكر والعمل

...

ففي ذلك التغيير والتطور والوقايه من الغفله فعندما تشعر انك انت الذي ينزل عليه القران فانك تدرك انك المخاطب بكل حرف من حروفه مطلوب منك ان تتذكر معاني اسماء الله وصفاته مطلوب منك التذكر الذي يحدث به الاتعاظ والاعتبار بكل مافيه من ايات واحكام وقصص وامثال مطلوب منك ان تذكر جنته وناره ووعده ووعيده مطلوب منك تكثر من ذكر الله علي الدوام

مطلوب منك ان تذكر الله وانت منكسر متذلل خاضع باستكانه ومحبه في جميع الاوقات

الامر الثاني

من المعاني الوراده في الايه ايضا التي يمكن حملها علي قوله تعالي(واذكر ربك في نفسك)

ان يكون التوجيه للنبي صلي الله عليه وسلم بالخطاب وهو خطاب لكل المسلمين وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

ان يراد بهذا الخطاب الاشاره الي اهميه الاخلاص لله بالعباده والذكر يشمل ثلاثه انواع الذكر باللسان والذكر بالقلب والذكر العملي والمراد بهذا ان يصبح التوحيد قانونا موثرا يتحكم في حركه الانسان ويسيطر عليه فالمراد بهذا ان يمارس التوحيد دوره في حكم اسلوب الحياه وتوجيه مشاعر القلب وينشي الرغبه للعمل ويهيمن عليه فحقائق التوحيد التي جاء بها القران لم تنزل ليحتفظ بها الناس في عقولهم او يتمتعون بها بين شفاههم بل ليمارس دوره في ضبط شوون الحياه

ولهذا فان اللازم ان نتجرد من الرياء وكل ما من شانه ان يفسد اجر الذكر فاللازم ان تكون في يقظه وانتباه فلا تسمح ان ينسحب القران من حكم النفوس والمجتمعات

فالذكر هنا هو الذكر العملي الذي نقصد به قيام المسلم بدوره كحارس لقيم الخير وكمسئول عن قتال الالم و الشرور في الارض

ولهذا فيه التنبيه من الغفله

المفهوم الثاني

ان يراد بهذا الخطاب الحث علي التفكير في الخلوه اي اذكر الله خاليا منفردا فان ذلك ابعد عن الرياء وارجي للقبول عند الله تعالي ففي حديث السبعه الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامه (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من الدمع)

فالامر هنا بذكر الله في خلوتك كما تذكره في مجامع الناس

فالمسلم مامور بذكر الله في الخلوه كما يذكره في العلن حتي يتخلص من سلوك النفاق الذين من علاماتهم (واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي يراءون الناس ولايذكرون الله الا قليلا)

ولهذا فان المسلم مامور ان يجعل لنفسه اوقات يخلو بنفسه يناجي فيه ربه يشكوا اليه حاله وضعفه وافتقاره ويطلب مغفرته ورحمته يقف بين يديه مستحضرا عظمه الخالق فالعقيده الاسلاميه واضحه تامر اتباعها ان يسالوا الله مباشره بلا واسطه من نبي او ولي

والذكر انواع ابسط انواعه ذكر اللسان لله كالتلفظ باسم الذات الالهيه وفوق ذلك مستوي ارفع هو حضور فكره الله في القلب

ولهذا فانه من غير المنطقي ان يكون الذكر باللسان وتفيض عيناه من الدمع فان ذلك لايحدث الا اذا كان هنالك موطاه القلب واللسان بذكر الله كما قال تعالي (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)

فالذكر اعم من التفكير واشمل لانه يقود الي التفكير والذكر اعم من التسبيح الذي يكون باللسان لقوله تعالي (يايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكره واصيلا)

فالتسبيح نوع من انواع الذكر والذكر اعم من التفكير كما بينت الايه

ولهذا. فان الامر بذكر الله في النفس اعم من مجرد ذكر اللسان

ولهذا فعليك ان تستبعد مايقع من مظاهر البدع التي تحدث في الموالد سواء كان عند الاولياء او غيرها والتي يحدث فيها التمايل علي دق الطبول فهولاء لايذكرون الله انما هم مفتنون بفتنه اصحاب العجل الذين كانوا يدقون الطبول ويرقصون حوله فهذا تقليد وثني يهودي انه دين العجل وليس ذكرا لله

المهم ان تفهم ان الامر بذكر الله يعني ذكر اللسان والقلب الذكر الذي يقود الي التفكير ومطالعه صفات الرب بمشاهده انعامه والاءه يتجلي لك بقهره وقدرته ورحمته وعظمته سبجانه وتعالي وانت تشاهد مخلوقاته وحين تري تعاقب الليل والنهار

فاراد بهذه الخلوه تاديب النفس بالمناجاه والمراقبه فقال تعالي

(تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول)

والتضرع تعني الخشوع والتذلل والاستكانه لله تعالي والتواضع اي حضور القلب اي ان تضع قلبك دون العرش فتناجي من هناك وفي رد القلب الي المراقبه مراجعتان :-

مراقبه النظر. مع تذكر العلم فالله يقول (انه يعلم مافي الصدور)

وقال تعالي (يعلم ما في انفسكم فاحذروه)

ثم تذكر العظمه لوجود الحلاوه وقيل ان الله سبحانه وتعالي اوحي الي ابراهيم يا ابراهيم اتدري لم اتخذتك خليلا قال لا يارب قال لطول قيامك بين يدي

قال فقيل انما كان قيامه بالقلب وليس بالصلاه. وهذا يوافق قوله تعالي (انا اخلصناهم بخالصه ذكري الدار)

وحديث النبي صلي الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه)

وقول حارثه كاني انظر الي عرش ربي بارزا

وقال اعلي الاعمال في الدرجات ان تعبد الله علي السرور بمولاك ثم علي التعظيم له ثم الشكر ثم علي الخوف

ولهذا قال تعالي (تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول)

اي بالتذلل والخشوع وبالخوف من الله وبالقول الوسط فقال تعالي (خيفه) ولم يقل خفيه كما في ايه الدعاء وهذا لان ايه الذكر هنا متعلقه بمراقبه النظر وتذكر العلم كما اسلفنا اي العباده القلبيه يتطلب ان يودي الذكر الي استحضار عظمه الله ولهذا ذكر في حديث السبعه الذين يظلهم الله ان الذاكر تفيض عيناه من الدمع وكذلك فان المنفق في الخلوه يخفي ماانفق حتي لاتعلم شماله ما انفقت يمينه فخص الخوف من الله في ايه الذكر لحاجه الذاكر الي الخوف لان الذكر يستلزم المحبه. ولهذا فهو بحاجه للخوف مقابل المحبه. لان انفراد المحبه قد تودي الي الاضرار بصاحبها لانها قد تورث الادلال والاجتراء علي الله فالقلب انما يكون عامرا الا بالخوف والاحزان و الفكر الذي يكون نورا مضي يري العبد مداخل ابليس فيرميه بالانكار لما يدعوه اليه ويعتصم بما ايده الله به من نور قلبه فخراب القلوب انما يكون من فقدان الخوف ومن قبول الغفله

ولهذا فان الذاكر بحاجه الي الخوف اما الدعاء فانه يحتاج الي الخفيه فقال تعالي في ايه الدعاء (تضرعا وخفيه)

اي ان يكون النداء مخافت وهذا اكمل الاخلاص وابعد عن الرياء

الا في بعض المواقف مثل رفع الصوت بالذكر حين انصراف الناس من الصلاه كماورد في الحديث عن ابن عباس انه كان يعلم بانصراف الناس من الصلاه بسماع اصواتهم بالتهليل

وهذا لتعليم الناس وتذكير الناسي وكذلك في التلبيه بالحج وفي العشر من ذي الحجه فالدعاء الاصل فيه الاخفاء الا ماجاء فيه النص بالجهر

الامر الثالث

عليك ان تدرك ان الذكر يعني الحياه لانك تتصل بمصدر الحياه الحقيقيه ولهذا ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال (مثل الذي يذكر الله والذي لايذكر الله مثل الحي والميت)

يقول صاحب كتاب (اعرف الله)

فهذه الصوره التي يقدمها الرسول صلي الله عليه وسلم للذكر ليست تعبيرا ادبيا انما هي حقيقه يقينيه ان الذين يذكرون الله هم الاحياء اما الذين انقطع الاتصال بينهم وبين الله فقد انقطعت صلتهم بالحياه حتي ولو احدثوا اكبر ضجيج يمكن احداثه في الدنيا وذكر الله يعني عباده الله يعني اسلام الوجه لله ولهذا قال تعالي (تضرعا وخيفه)

فليس المراد بالصلاه والصوم والزكاه والحج مجرد القيام بالقراءه والركوع والسجود فقط بل العبره بما تسكبه في الضمير فعندما تصلي وانت ترتكب الفحشاء والمنكر فمعني هذا ان صلاتك لامعني لها لان ذكر الله ينبغي ان يكون له اثر في النفس تشعر فيه بلذه الطاعه تجد اثرها في السلوك لابد ان يكون للعمل اثر في القلب

لان حياه الروح بذكر الله فذكر الله هو الشحن الذي يمدك بالطاقه فاذا توقف الشحن توقفت الطاقه ولهذا قال تعالي (بالغدو والاصال) انه الغذاا ء الروحي بالاتصال بمصدره والحق يريد قلبك لاصوتك ولهذا قال تعالي(تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول)

ولهذا غذاا ء الروح بذكر الله فالروح تبحث عن مصدرها ولهذا فان العبره بما في العبادات هي العباده القلبيه التي تصل الانسان بخالقه لان ذكر الله يعني حب الله وليس هنالك شرف اعظم. ولا اكبر فوق شرف الذكر ولاقيمه اعظم من استحضار جلال الله في القلب والسجود لعظمته والاستسلام لامره فقد فسر بعض العلماء قوله تعالي (اذكروني اذكركم)

ان (اذكروني) تعني تذللوا لجلالي

واما اذكركم فمعناها اكشف الحجب عنكم وافيض عليكم رحمتي واحساني واحبكم

ولهذا فعليك ان تسال نفسك هل تعيش حياتك كلها لله كيف حال قلبك مع الله يقول ابن القيم بين العمل والقلب مسافه وبين القلب وبين الرب مسافه فانت بحاجه الي ان يقطع العمل المسافه بينه وبين القلب وبحاجه الي ان يقطع القلب المسافه التي بينه وبين الرب

ولهذا اذا قرات القران فعليك ان تقف مع نفسك وتنظر هل وصل اثر هذا العمل الي قلبك تحتاج ان هل وصل القلب الي ربه

فالعبادات القلبيه كالحياء والخوف والرجاء والاخلاص والتوكل واليقين والايمان والصدق يجب ان نتعلمها كما نتعلم الصلاه وبقيه التكاليف فالله يقول (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شئيا وجعل لكم السمع والا بصار والافئده لعلكم تشكرون)

فيجب ان نتعلم الاخلاص واليقين نتعلم كيف نخلص وكيف نتوكل نتعلم كيف نخشع وننكسر لله ولهذا يقول لك الحق (اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولاتكن من الغافلين)

الامر الخامس

عليك ان تدرك ان قلبك يحتاج الي شحن حتي لاينفذ مافيه من طاقه تصله بخالقه وهذا انما يكون بذكر الله تحتاج الي تجديد الشحن للقلب فقال تعالي (بالغدو والاصال) كي تنطلق ولهذا فعليك بذكر الله في كل الاوقات وانت في البيت والمدرسه والمتجر والمحكمه والمعمل ووقت ماتنام وفي كل الاوقات وخص بالذكر بالغدو والاص ال للتنبيه علي استغلال الاوقات التي يكون فيها التفكر والاعتبار افضل من غيرها فالفائده عظيمه في مثل هذه ا لاوقات لتتعلم العبادات القلبيه فالقلب عندما يشاهد بدايه النهار ومافيه من ايات مصاحبه لضوه وكذلك عمليه

الغروب فان ذلك يساعد العبد علي تعلم العبادات القلبيه حيث يتاثر القلب وهو يشارك الكون ذكر الله وتسبيحه فيستجيب ويحصل له اليقظه والترقيق وكذلك فان الايه تدعو العبد الي الحرص علي ان يكون القلب في يقظه في كل الاوقات يراقب الله في كل لحظه يحرس فيه قلبه من الاغذيه التي تفسده وتستنفذ مافيه من شحن لا ستهلاكها في غير ماصنع له فالقلب اذا اصابه الجفاء والقساواه والافات فانه يصبح ما بداخله هواء كما قال تعالي (وافئدتهم هواء)

ولهذا فانت مطالب بان تحمي قلبك من كل المواد القاتله فلا تغفل عن حراسه قلبك الذي فيه صلاحك او فسادك ان اهملت

عليك معالجته فلا تغفل عنه ولهذا قال تعالي تعقيبا علي ذلك (ولاتكن من الغافلين)

وعكس الغفله اليقظه واليقظه تعني الانتباه. والصحوه والامر بها يراد منك الاهتمام والقدره علي الحفاظ علي الا نتباه واليقظه في جميع الاقاوت (بالغدو والاصال)

وعلاقه الوقت هنا ان اللازم عليك القيام بمحاولات الكشف عن مظاهر الحوافز التي تجعلك في حاله تيقظ وكذلك مراقبه احوال النفس علي الدوام لاتقاء نزغات الشيطان فالغافل انما يكون لديه تدهور في القدره علي البقاء في حاله تيقظ نتيجه انخفاض في معدل اكتشاف الاشارات التي تدعو الي اخذ الاحتياطات اللازمه لتفادي اثار الازمه لان اكتشاف الاشارات انما تكون بالتزام الهدوء والعمل والتيقظ فالغافل عن ذكر الله هو الذي لايخفق قلبه لما يشاهد من ايات الله فهم لايلتقطون الاشارات ولايفهمونها لانهم لايلحظون النعم التي تودي الي زياده الايمان و اليقظه وكذلك فان قراءه الاشارات يتطلب مطالعه الجنايه التي ارتكبتها عليك ان تسال نفسك عن احسان ربك وجحودك تسال نفسك عن اكرامه وذنوبك. وتسال نفسك عن لطفه وخطئتك فلا تياس من رحمه بل عليك ان تتخذ من الاجابه طريقا للتقرب من الله فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال رب ذنب ادخل صاحبه الجنه قالوا كيف ذلك يارسول الله قال لايزال تائبا فارا منه خائفا من ربه حتي يموت فيدخله الجنه)

يقول العارفين بالله :ان معصيه تورث ذلا وافتقارا خير من طاعه اورثت عزا واستكبار ا

وقال الشيخ ابو العباس المرسي:

كل اساءه ادب تعمر ادبا فليست باساءه ادب وكان رضي الله عنه يكرم الناس علي قدر رتبهم عند الله حتي انه روبما يدخل عليه مطيع فلا يبالي به وربما دخل عليه عاصي فاكرمه لان ذلك الطائع اتي وهو متكبر بعمله ناظر لفعله مستحسن لنفسه وذك العاصي جاء منكسر بمعصيته وذلته مخالفته

والتيقظ حاله نفسيه وفسيولوجيه ولهذا جاء التوجيه بقوله تعالي (واذكر ربك في نفسك)

فالنفس تبحث عن معبودها علي الدوام فهذه هي الحاله التي تحتاج اخي المسلم الي ان تجلس مع نفسك بهدوا وتسمع نداء الفطره فعليك ان تجعل نفسك تابعه لمنهج الله فالذكر هنا يشمل ذكر العمل الذي يتمثل في تحويل المعتقد الي واقع حياه فالذكر اذا لم يوثر في السلوك فلا قيمه له فالحاله النفسيه التي يجب علي المسلم ان يكون في حاله استقياظ وقدره علي رد ه الفعل تجاه الموثرات فعندما تشاهد انعام الله تذعن وتخضع لله بالشكر وعندما تشاهد تقصيرك تخاف من عذاب الله فتبادو الي التوبه والاستغفار

لابد ان يحدث انزعاج قلبك من المعاصي فيودي ذلك الي زياده ضربات القلب تدفعك الي تلافي القصور والاخطاء والعمل علي اصلاح ذلك فصلاح قلبك باليقظه لان نور القلب انما هو مع تيقظه وحياته يقول المحاسبي (فاذا غفل مات واظلم وطفي نوره فيلبس علي العبد مايدخل عليه العدو او يكون عليه فاختلس ابليس من حينئذ من العبد واستدام القلب بالغفله فتسور عليه الاثام فاذا اصر علي الاقامه عليها ورضي بها علاه الرين فاظلمه واستقر

فيه ابليس ثم سلك به سبيل الاثام الي ان يوصله ويوقعه في الكبائر ولاشي اعجب لابليس من ظلمه القلب وسوداه وانطفي نور قلبه وتراكب الرين عليه ولاشي اثقل علي الخبيث من النور والبياض والنقاء والصفاء وانما ماواه في الظلمه والا فلا ماوي له ولاقرار في النور والبياض)

ولهذا فان المسلم بحاجه الي ان يتعلم كيف يوقظ قلبه ويصلحه

وهذا انما يكون بتزكيه النفس حتي تنفتح في القلب عين تري بها الاشياء بنور الله تجد اللذه في طاعه الله وتبذل الجهد للوصول الي ان تدمع العين من خشيه الله فالسير الي الله لايقطع المسافه بالاقدام وانما يقطعها بالقلوب ف الله لاينظر الي صوركم ولا امولكم ولكن ينظر الي قلوبكم واعمالكم

وهذا يبدا من استعياب الغايه من وجودك وانك مخلوق لعباده الله ومعرفته ومحبته تبدا من معرفتك بنفسك بضعفها وافتقارها لربها تبدا من معرفتك لربك بعظمته وجلاله وجماله وقدرته وكماله تب

دا من اصلاح قلبك وانكساره امام ربه وان تدوام علي ذكر الله في كل الاوقات واساس اليقظه استخراج العز الموهوم من النفس وتمزيقه وقطعه من قلبك بالياس من الناس ليكون تعلقك بالله وحده ان تهب نفسك لله. وحده لاشريك له ورجوعك الي الله سكون قلبك عليه وفي سكون قلبك عليه الازدياد من طاعته والوصول الي خاصيه عبادته وفي وجود خاصيه عبادته النزول عند درجه العبيد فقال تعالي (ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) يمدح الله الملائكه لتقتدي بهم فجاء بالعنديه ولاتعني المكان وانما المراد بها القرب من الله انما تكون بالخضوع والسجود والنزول عند درجه العبيد لتفهم ان في النزول عند درجه العبيد اصابه شرف العبوديه وفي اصابه شرف العبوديه اكتساب القلب المذله لله عزو جل وفي ذلك افتقاد العز المذموم من قلبك فتكون اعز ذليل تذللت لله عزوجل لتعلم ان الله ليس ينقص في ملكه عصيان العاصي ولايزيد في ملكه شي طاعه المطيع وانما انت الذي تحتاج الي الله فاعزك الله بطاعته وخضعت له فشرفم بعبادته

الامر السادس

يحذر الله من اللاهين عن ذكر الله ولهذا يذكر بعد هذا التحذير دواعي الذكر وبحثك علي الاقتداء بالملائكه بان تعكف علي وجه الحق بالخوف والخشيه من سلطان ربوبيته وعظيم الوهيته علي الدوام منقادا لله تعالي فذكر احوال الملائكه الذين هم عباد الله المقربون بانهم يسجدون لله ويسبحونه عليزالدوام فقال تعالي (ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)

وقيل ان هذه السجود المامور به السامع للقران او المصلي ان يسجد لله فهي موضع سجود عند الجمهور فقدورد في سنن ابن ماجه عن ابي الدراداء عن النبي صلي الله عليه وسلم انه عدها من سجدات القران)

والايه تدعوا المومنين الي ملازمه الاستسلام والخضوع والطاعه لامر الله اقتداء بالملائكه ولتعلم ان الله لايريد ان يتكثر بعبادتكم من قله ولايتعزز بها فهو الغني وانما يريد ان ينفعكم بشرف طاعته ويعزكم بعبادته

وبهذا انتهيت من مفاهيم سوره الاعراف والتي ابتدات العمل بها في 24شوال سنه 1445هجريه وانتهيت في 1ربيع اول سنه 1446هجريه

المراجع والمصادر

- تفسير الجلالين
- تفسير ابن كثير
- **تفسيز السعدي**
- **تفسير النسقي (مدراك التنزيل وحقائق التاويل)**
- **تفسير البغوي**
- **تفسير في ظلال القران للسيد قطب**
- **تفسير الماوردي النكت والعيون**
- **تفسير ابن ابي حاتم الاصيل**
- **تفسير السمعاني**
- **تاويل مختلف الحديثم**
- **تفسير العز عز الدين ابن عبدالسلام**
- **تفسير القرطبي**
- **تفسير الطبري**
- **تفسير فتح الرحمن في تفسير القران**
- **صفوه البيان**
- **تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور**
- **التفسير الميسر**
- **التفسير الوسيط**
- **التفسير المختصر**
- **جامع البيان**
- **كشف البيان في تفسير القران للثعالبي**
- **تفسير ابو السعود**
- **ابن عطيه**
- **تفسير الشوكاني**

- تفسير الشعرواي
- تفسير صفوه التفاسير
- تفسير زهره التفاسير
- تفسير البيضاوي
- تفسير الالوسي
- تفسير الرزاي
- تفسير الزمخشري الكشاف
- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا
- التفسير الموضوعي
- تفسير الدرر في تاويل السور
- الشنقيطي
- تفسير ابن باديس مجالس الذكر
- تفسير ابن القيم
- تفسير ابن تيميه
- مجموع فتاوي ابن تيمه
- الزجاج
- الفاموس المحيط
- اعراب القران للنحاس
- تفسير سعيد حوي
- تفسير مختصر الاعراف
- كتاب مقاصد السور ل محمد عبدالعزيز الخضري
- تفسير روح البيان
- مقالات وبحوث للشيخ صالح الغالبي
- مقال بعنوان وقفات مع قصه بدء الخلق خلق السحاب. موقع الجزيره نت للشيخ علي محمد الصلابي
- مقال للصلابي عن مفهوم الخلافه في الاسلام

- التفسير الميسر
- مقاصد سوره الاعراف لابراهيم الدوسري
- كتاب تاملات قرانيه
- كتاب القران والشريعه للاستاذ وائل حلاق
- موقع الدرر السنيه
- كتاب البلاغه في القران
- مختصر اللمسات البيانيه
- كتاب المصطلح القراني مفهومه واهميته
- خصائص المفهوم القراني شبكه الالوكه
- المفاهيم القرانيه سبيل نهضه الامه
- المفاهيم القرانيه بين الجمود والتاويل
- المفاهيم والمصطلحات القرانيه مقاربه منهجيه
- سلسله المفاهيم القرانيه (طه العلوني للدراسات القرانيه)
- بعض المفاهيم القرانيه ودلالتها المعرفيه
- من موقع الكلم الطيب مقال عن الاعراف هدف السوره واغراضها
- اغاثه اللهفان لابن القيم
- كتاب الفوائد لابن القيم
- كتاب مدراج السالكين
- كتاب الروح لابن القيم
- الصور البلاغيه والمعاني الاعرابيه في القران
- كتاب الباري في شرح صحيح البخاري
- كتاب الله في العقيده الاسلاميه (احمد بهجت)
- كتاب المحاسبي رسائل المسترشدين
- بحث لعبد الله الزبير عبد الرحمن عن دعوه الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد
- كتاب صحيح البخاري

- كتاب صحيح مسلم
- المحاسبي (رعايه حقوق الله)
- التوحيد
- تزكيه النفس الجزء الاول
- تزكيه النفس الجزء الثاني
- كتاب محوارت الانبياء لاقوامهم
- الاسس والمنطلقات لابو بكر مشهور العدني
- الاعجاز العلمي في القران للسيد قطب اعداد مجدي عبد المعطي
- بدء من اناب الي الله للمحاسبي
- عقيده المسلم محمد الغزالي
- كتاب الازمه والسبيل للخروج منها
- الطريق الي الله ابو سعيد الخزار
- شروط النهضه تاليف مالك بن نبي
- الدفاع عن الاسلام
- تفسير محمد راتب النابلسي
- تفسير المراغي
- كتاب الثقافه الاسلاميه
- تهذيب السيره للامام النووي
- محمد علي الصابوني النبوه والانبياء
- محمد الغزالي كيف تتعامل مع القران
- محمد قطب دراسات في النفس الانسانيه
- محمد السيد سلطان مفاهيم تربويه في الاسلام
- محمد عبده رساله في التوحيد
- مالك نبي ميلاد مجتمع
- مالك نبي تاملات

- **الازمه الدستوريه الشنقيطي**
- **حقوق المواطنه راشد الغنوشي**
- **زاد المعاد لابن القيم**
- **مقدمه ابن خلدون**